

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها بالجميلة من قلد ربي جنتها مع الزيتونة

شهرية وسنتها عشرة أشهر

المجلد الثالث

تونس - في ذي القعدة ١٣٥٧ - جاني ١٩٣٩

الجزء الاول

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي القاهني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الصحيفة	المقابل	صاحبه
٢	فاتحة المجلد الثالث	الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس التحرير
٧	من تفسير سورة البقرة	لفضيلة الاستاذ الاكبر شيخ الاسلام المالكى
١١	حديث اذا رايتم الهلال فصوموا واذا رايتموه فافطروا	المنعم المبرور الشيخ الشاذلي ابن القاضي
٢٠	التشريع الاسلامي	لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيدي عبد العزيز جعيط المقي المالكى
٢٣	حكمة الصوم والحج	لفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ محمد الحجوي
٢٦	وزراء تونس قبل الحماية وبعدها	مندوب المعارف بالحكومة الشريفة العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه مستشار الحكومة التونسية
٣٢	المعروف
٣٣	الشرف الحسيني والحسيني	العالم المؤرخ الشيخ محمد طراد
٣٤	مثال العمود الذي على قبر الحسين
٣٤	الفتاوى	العالم المدرس الشيخ علي النيفر
٣٥	حكم خلقية
٣٧	تزكية النفس	العالم الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة
٣٩	عمر بن الخطاب كما يصفه صعصعة بن صوحان
٤٠	حول ولاية الشيخ محمد المختار بن محمود خطة الافتاء
٤٢	خطاب بين يدي الحضرة العلية	الشيخ محمد المختار بن محمود
٤٣	تهنئة بخطة الافتاء (قصيدة)	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار مدير المجاعة السابق
٤٥	النهضة العربية في العصر الحاضر	الامير شكيب ارسلان



صورة الهيئة المؤسسة للجنة الزيتونية

وهم من اليمين : المشايخ محمد الهادي ابن القاضي - الطاهر القصار - صاحب الفضيلة
المختار بن محمود - محمد الشاذلي ابن القاضي - الخطاب بوشناق - محمود بن الطاهر

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية
تصدرها جامعة الزيتونة في تونس

شهرية وسنتها عشرة اشهر

الجزء الاول	تونس - في ذي القعدة ١٣٥٧ - جاني ١٩٣٩	المجلد الثالث
-------------	--------------------------------------	---------------

ساحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي بن قابي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم تحريرها

محمد المختار بن ميمون

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

بسم الله الرحمن الرحيم

باسمك اللهم تفتح الاعمال . ومنك نستمد الهداية في الحال والمآل : وتوفيقك يحفظ القلم من الزيف والزلل . وينشرح الصدر لصالح العمل : ونعي مقررات الشريعة الاسلامية ، لنقوم باعباء دينك الذي ارتضيت لنا وذلك غاية الامنية ، ونصلي ونسلم على رسول الرحمة ، ومجلى الظلمة ، من أرسلته بنور الايمان ، وأدبته بأداب القراءان : واتممت به الحجة على من عاند وكفر : فظهر به الحق واستقر وعلى هاله الغر الميامين . وأصحابه مصابيح الظلام بين العالمين ، الذين نشروا الاسلام وكانوا له نعم الحافظ الامين ، وكل من اقتفى أثرهم ، وسلك مسلكهم المستبين : وبذل وسعه لاعلاء كلمة الحق والدين

اما بعد فما نحن نشق الطريق لقطع المرحلة الثالثة بالمجلة بعد ان قطعت مرحلتها الاولى والثانية بعزم صادق وايمان قوي ، مثابرة على الحطة الذي برزت متحالية بها : لم تحد عن المبادي التي أنشئت من أجلها . فخورة بما رزق الله من التوفيق للقيام بمهمتها على قدر ما سمحت به الظروف ، ثابتة بما أمدنا الله به من قوة امام العواصف التي تعترض كل ناشئ في اوليات خطاه ، متمادية في سيرها على نحو سيرتها الاولى من حيث المبدأ ، متطلعة الى الرقي شأن كل جاد في عمله

فقد قامت المجلة في بحر هاتين السنتين بمهمات جمة وأدت خدمات للمجتمع الاسلامي نحمد الله الذي رزقنا التوفيق للقيام باعبائها

فكان لها - رغما على قرب العهد بانشائها - فضل عظيم لا ينكر بما نشرته من المباحث المختلفة والتحقيقات النفيسة والمواضيع المتنوعة التي شارك في تحريرها اعيان العلماء سواء في بلادنا التونسية او في غيرها من الاقطار الاسلامية فكانت محالا للافكار الصائبة والتجارب المفيدة وكانت مطمح انظار الخاصة فضلا عن العامة وكانت من جهة اخرى واسطة بين اعيان علماء جامع الزيتونة ونبغاء المفكرين في بلادنا وبين بقية العلماء والمفكرين في سائر الاقطار الشرقية اذ لا يخفى ان للمجلات في هذا الزمان فضلا عظيما في تعريف الناس ببعضهم والابانة عما في كل قطر من الاسرار والفضائل التي لولا النشر لما ظهرت ولما اطلع عليها الناس .

ولا يخفى ان بلادنا التونسية من احوج البلدان الى الدعاية والاشهار لانها رغما عما فيها من كبار العلماء الذين يعدون من مفاخر علماء الاسلام سواء في هذه الايام او في الازمنة السابقة ورغما عن وجود جامعة علمية كبرى فيها تخدم اللغة العربية والشريعة الاسلامية وهي الجامعة الزيتونية ادام الله عمرائها ورغما عن كون البلاد التونسية من اشهر البلدان واعظمها في التاريخ القديم وكان لها صيت عظيم وكانت مطمح انظار عدة دول كبرى في الزمان السالف فانها تكاد تكون اليوم محبولة عند كثير من الامم الشرقية ولا اريد انهم يجهلون اسمها وانما هم يجهلون مزاياها وخصائصها .

ويكفي الدلالة على ذلك ان اقص لقراءنا القصة الاتية :

عند ما كنت في باريس في شهر رجب سنة ١٣٥٦ تهيأت لي الفرصة للاجتماع بكثير من المشاركة فكانوا يستلونني عن تونس سؤال من يجهل عنها كل شيء فاذا حدثهم عما في البلاد التونسية من الخصائص والمزايا تعجبوا من ذلك وقالوا ما كنا نظن ان البلاد التونسية على ما وصفته لنا ولا على اقل منه .

واعجب شيء وقع لي اثناء هذه الاجتماعات اني تلاقيت برجل من العراق يتظاهر بانه مثقف نبيه فلما علم في من تونس قال لي : هل هناك من يتكلم اللغة العربية في تونس ؟ فتعجبت من سؤاله واجبته بشيء من الشدة والاعتزاز بالنفس فقلت له : ان البلاد التونسية تعتبر في العصر الحاضر من اشد الاقطار الاسلامية اعتناء باللغة العربية واعتزازا بالاسلام وكيفيك ان تعلم ان بتونس جامعة هي الجامعة الزيتونة ليس لها من عمل الا خدمة اللغة العربية والشرعية الاسلامية يهرع الناس اليها ليتلقي العلوم ولها الفضل لا على البلاد التونسية فقط بل حتى على الجزائر وطرابلس فهي تعتبر جامعة الشمال الافريقي - فقال لي : كنت اجهل هذا كله واشكرك على ما افدتي به . فقلت له : والسفاه على الرابطة الشرقية كيف انحلت حتى صار المسلمون يجهلون بعضهم الى هذا الحد .

ونحن اذا رجعنا الى السبب الحقيقي في هذا الجهل نجده يرجع الى غدم وجود الدعاية الكافية للبلاد التونسية . والدعاية انما تكون بظهور العلماء والمفكرين وتسابقهم في ميادين التحرير العلمية حتى يعلم الناس فضلهم ومزاياهم وقد كانت هذه المجلة المتواضعة احسن وسيلة لظهور ما لعلاء تونس من القيمة العلمية ونحن نؤمل ان يكون عملها في المستقبل من هذه الناحية اكثر افادة واجدى نفعاً . هذا ورغماً عما قامت به هذه المجلة من الاعمال التي نرجو ان تكون مفيدة بحول الله . فان امامنا برامج متسعة لترقيتها . والارتفاع بها الى مصاف المجلات العلمية الكبرى في العالم وما ذلك على الله بعزيز . وذلك يتوقف تحقيقه على امور اهمها انتظام ميزانية المجلة من الناحية المالية وهنا يجب علينا ان نصرح لقراءنا الذين يهمهم هذا المشروع وبغز عليهم بقاؤه ومن الواجب ان لا يكون بيننا وبينهم حجاب : ان ما نلاقيه منهم من التشجيع الادبي وان كان بعيدا في حد ذاته لكنه لا يغني في ترقية المجلة واطراد حياتها لان هذه المشاريع انما تبقى وتسمو باعتمادها على ميزانية واسعة يصرفها القائمون على تلك المشاريع في سبيل تحسينها والرقى بها ونحن رغما عن كون مقصدنا من تاسيس هاته المجلة هو مقصد ادبي علمي محض لا نرمي من ورائه الى اي ربح يحصل لنا لكن على كل حال لا بد لنا من مال نتمدد عليه لبقاء هاته المجلة والاستمرار عليها اذ ليس من الانصاف ان نتحمل بجميع المشاق الادبية التي لا تخفى على احد ثم نتحمل مع ذلك المشاق المالية كما وقع لنا في العام الماضي والذي قبله فقد صرفنا من مالنا الخاص مبلغا عظيما من المال وقد صرفناه بصدر

رحب احتفاظا على مشروعا العزيز من ان تتطرقه يد الالهة او الفناء ولكننا نعلم وقرأونا يعلمون ايضا ان هذا امر لا يمكن ان يدوم لان الانسان مهما قويت عزيمته وصح يقينه فلا بد له من الاعانة المادية ليستمر على عمله والافسياتيه يوم لا محالة يوء فيه بالفشل ويفقد عزيمته وصبره وهذا موضوع وان كنا لا نود ان نطيل القول فيه لكن تلده بعض المشتركين في العام الماضي واتعابهم لنا اوجب علينا ان نصح به هنا حتى يكون قراؤنا على علم وحتى يكون لهم رأي معنا في تلافي هذا المشكل الذي وان لم يفض الى تعطيل المجلة - والحمد لله - لكنه افضى الى احتلال مواعيد صدورها .

هذا وان المجلة قد احرزت على رضى قرائها الافاضل الذين ما انفكوا يشجعونا برسائلهم الحافلة المفصحة عن ابتهاجهم بما نشرته المجلة من الابحاث العلمية والمقالات الرائعة واعرابهم عن الاغتياب بها وحسن مسلكها وجودة روثها وبهذا يصح لنا ان نقول ان المجلة قد اعتبرت الاوساط العلمية المنهل العذب الذي يرده الظمان فيجد فيه شرابا سائغا شيا عذبا قراحا ، وشجرة مباركة يستمد من ظلها روادها الراحة والسعادة ، ويؤكد هذا اقبال الطبقة المستتيرة على مطالعتها وحرصهم على اقتنائها ورغبتهم المتزايدة في نشرها بين سائر الطبقات ، وسؤالهم عنها اذ تأخر صدورها بضعة ايام كل هذا يزيدنا ايمانا بسمو هذا المشروع الجليل الذي عقدنا العزم من اول نشأته على السير به نحو الكمال بمونه تعالى وحسن توفيقه وادخال الاصلاحات التي تملينا علينا الرغبة في رقي المجلة المطرد وما يقدمه لنا السادة الاكارم قراء المجلة من الملاحظات الحسنة فنحن عند ظنهم بنا في ادخال التحسينات الفينة عقب الفينة وكلما سمحت لنا الظروف والمقادير بذلك ، وقبل ان نختم كلمتنا هذه نوجه تمنياتنا الحارة ودعواتنا الخالصة للسادة العلماء الاعلام الذين شجعونا في مشروعا الجليل وأمدونا باعانتهم في التحرير او النصح او غير ذلك مما عاد على المشروع بالحسن

كما انا نعتذر عما اعتري المجلة في عامها الثاني من الصدمات التي ثبتت امامها بكل قوة وعزيمة راسخة ولم تؤثر فيها الاعاصير

هذا وتقدم على كاهل الاحلال والاحترام دعواتنا الخالصة للسادة الشاخصة العلمية امير البلاد وملاذ الشعب ابي الخيرات الباشا احمد الثاني ، بلغه الله الاماني . وانار به العدل واعز به الشرع وحفظه في آل بيته الاعلام ووزرائه الفخام انه تعالى سميع قريب وبالاجابة جدير

القرآن الكريم



تفسير سورة البقرة

(هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة)

من تفسير العلامة الهمام الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

الهدى اسم مصدر الهدى ليس لوزنه نظير الاسرى وتقى وبكى ولغى مصدر لغى في لغة قليلة وفعله يتعدى الى المفعول الثاني بالى وربما تعدى اليه بنفسه على طريقة الحذف المتوسع فيه كما تقدم في قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم وتفصيل انواع الهداية تقدم هنالك والمتقى من اتصف بالاتقاء وهو طلب الوقاية والوقاية الصيانة والحفظ من الاذى والمكروه والمراد من الهدى ومن المتقين في الآية معناهما اللغوي فالمراد أن القراءان من شأنه الايصال الى المطالب الخيرية وان المستعدين للوصول به اليها هم المتقون والمراد بالمتقين المؤمنون الذين ءامنوا بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم وتلقوا القراءان بعزم على العمل به فالقراءان هدى في زمن الحال لان الوصف بالمصدر في قوة الوصف باسم الفاعل اي هو هاد في حال النطق بهذا الكلام والمتقون هم المتقون في الحال ايضا لان اسم الفاعل حقيقة في الحال اي ان جميع من نزه نفسه واعد لها لقبول الكمالات يهديه هذا الكتاب ثم ان القراءان لم يزل هدى للمبتقين فان جميع انواع هدايته نفعت المتقين في سائر مراتب التقوى على حسب حرصهم ومبالغ علمهم واختلاف مطالبهم فمن منتفع بهديه في الدين ومن منتفع به في السياسة وتدير الدولة ومن منتفع به في الاخلاق والفضائل ومن منتفع به في التشريع والتفقه في الدين وكل اولئك من المتقين وانتفاعهم به على حسب مبالغ تقواهم ، فان قصر باحد حفظه عن كمال الانتفاع به فانما ذلك لنقص فيه لا في الهداية ولا تزال المسابقة بين اهل العلم في مقدار الاهتداء بمعاني القراءان ، وما يعد من المشابهة انما هو معان كبرت على الافهام وقد كشف بعض معانيها مرور الايام على انها يعلمها الراسخون في العلم على التحقيق في معنى قوله تعالى واخر متشابهات

(الذين يؤمنون بالغيب) يتعين ان يكون كلاما متصلا بقوله للمبتقين على معنى الصفة وجوز

صاحب الكشف كونه مستانفا مبتدئا وكون اولئك على هدى خبره وعندي انه تجوز لما لا يليق
بالبلاغة اذ الاستئناف يقتضي الانتقال من غرض الى آخر وهو المسمى بالاقتضاب وانما يحسن في
مقام البلاغة اذا اشبع الغرض الاول وافيض فيه حتى اوعب او حتى خيف سئامة السامع وذلك موقع
اما بعد او كلية هذا او نحوهما والا كان تفصيلا من المتكلم لا سيما واسلوب الكتاب اوسع من
اسلوب الخطابة لان الاطالة في اغراضه امكن وكأن هذا هو الذي عناه قس بن ساعدة بقوله

لقد علم الحلي اليمانون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها

اي اعلمها بالخطابة وبموقع اما بعد من الخطبة ، والغيب مصدر بمعنى الغيبة قال تعالى ذلك ليعلم
اني لم اخنه بالغيب ، ليعلم الله من يخافه بالغيب ، وربما قالوا بظهر الغيب قال الخطيب
كيف الهجاء وما تنقك صالحة من ال لام بظهر الغيب تاتي

وفي الحديث دعوة المؤمن لاختيه بظهر الغيب مستجابة ، وقد اطلق الغيب في لسان الشارع على
ما غاب عن الحس ومشاهدة الناس كالجنة والنار والملائكة وقد جاء الغيب بهذا المعنى في القرآن في
قوله تعالى : وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو ، فاذا اريد من الغيب هنا المصدر بمعنى الغيبة جعلت الباء
للملابسة ظرفا مستقرا فالوصف تعريض للمناقين وان اريد بالغيب الاسم وهو ما غاب عن الحس من
العوالم وما وراء المادة كانت الباء صلة ليؤمنون فالمعنى حينئذ الذين يؤمنون بما اخبر به الرسول من
غير عالم الشهادة كالملائكة والبعث والروح ونحو ذلك وكان الوصف تعريضا بالمشركين الذين
انكروا ما وراء المادة (وقالوا هل ندلكم على رجل يبشركم اذا مزقتم كل فمزق انكم لفي خلق
جديد) ونحو ذلك

وانما اختير لبيان التقوى هذه الصفات دون غيرها لانها اول ما شرع من الاسلام فكانت شعار
المسلمين ولان هذه الصفات هي دلائل اخلاص الايمان لان الايمان في حال الغيبة عن المؤمنين حال
خويزة النفس ادل على اليقين والاخلاص حين ينتفي الخوف والطمع ان كان المراد بالغيب ما غاب او
لان الايمان بما لا يصل اليه الحس ادل دليل على قوة اليقين حتى انه يتلقى من الشارع ما لا قبل للرأي
فيه وشأن النفوس أن تنبذ عن الايمان به لانها تميل الى المحسوس فالايमान به على علته دليل قوة
الثقة بالمخبر وهو الرسول ان كان المراد من الغيب ما قابل الشهادة ومعنى يؤمنون يصدقون وفعله
ءامن وهو مزيد امن وهمزته المزيادة دلت على التعدية فأصل ءامن تعدية آمن ضد خاف اي صيره
ءامنا ثم اطلقوا ءامن على معنى صدق ووثق حكى ابو زيد عن العرب ما ءامنت ان اجد صحابة يقوله
المسافر اذا تأخر عن السفر كانه ءامن نفسه وازال خوفها من عدم صحبة الخفير فافاد مبالغة في أمن
كأقدم على الشيء بمعنى تقدم اليه وعمد اليه فصار فعلا قاصرا بمعنى حصل له الامن اي من الشك
واضطراب النفس واطمأن لذلك لان معنى الامن والاطمئنان اقارب ثم انهم يضمنون آمن معنى

أقر فيقولون ءامن بكذا اي اقر به ويضمنونه معنى اطمأن فيقولون ءامن له (اقتطمعون ان يؤمنوا لكم) (١) (وقيمون الصلاة) الاقامة مصدر أقام وهو معدى من قام بالهمزة الدالة على الجعل والتصيير ومعنى الاقامة هنا جعلها قائمة مأخوذاً من قامت السوق اذا نفقت وتداول الناس فيها السلع والبيع والشراء فيجيء من ذلك أقام بمعنى جعلها قائمة وقيد دل على هذا الاعتبار في يقيمون تصريح بعض اهل اللسان به قال ايمن بن خريم (٢)

أقامت غزالة سوق الضراب لاهل العراقيين حولاً قميطاً

فانه لو شاء لقال أقامت غزالة الضراب وكان اوجز وأحسن كما جاء في هذه الآية واصل القيام في اللغة هو الانتصاب المضاد للجلوس والاضطجاع ونحوهما وانما يقوم القائم لقصد عمل صعب لا يتأتى من قعود فيقوم الخطيب ويقوم العامل ويقوم الصانع ويقوم الماشي فكان للقيام لوازم عرفية مأخوذة من عوارضه اللازمة ولذلك اطلق على النشاط في قولهم قام بالامر وعلى الاستواء في قولهم استقام وقوام الانسان وقامته وعلى التحرك والتداول في قولهم قامت السوق وقامت الحرب وقالوا في ضده ركبت ونامت وفي الحديث الفتنة نائمة فإطلاق القيام على هذه المعاني من قبيل المجاز المرسل وقد شاع هذا المجاز حتى ساءل الحقيقة ولذلك صح بناء المجاز والاستعارة على هذه المعاني فاقامة الصلاة في الآية استعارة تبعية شئت المواظبة على الصلوات والعناية بها بجعل السوق نافقة رائجة وهذا اظهر الوجوه فان الثناء على المصلين اريد به الثناء على شدة عنايتهم بها ومواظبتهم عليها ولهم في الآية وجوه اخرى كلها بعيدة وقد عبر هنا بالمضارع كما وقع في قوله يؤمنون ليصلح ذلك للذين أقاموا الصلاة فيما مضى وهم الذين ءامنوا من قبل نزول الآية والذين هم بصدد اقامة الصلاة وهم الذين يؤمنون عند نزول الآية والذين سيهتدون الى ذلك وهم الذين جاءوا من بعدهم اذ المضارع صالح لذلك كله لان من فعل الصلاة في الماضي فهو يفعلها الآن وغدا ومن لم يفعلها فهو اما يفعلها الآن او غدا وجميع اقسام هذا النوع جعل القراء ان هدى لهم . ولما كان المضارع مراداً به ما ذكرنا وكان حينئذ بمعزل عن افادة التجدد أي تكرار الحصول اشتق من الاقامة المقضية للتجدد والتكرار فلم يقل ويصلون

(١) التضمين هو ان يقصد بلفظ فعل او نحوه معناه ويلاحظ معه معنى فعل اخر يناسبه محذوف يدل عليه بذلك شيء من متعلقاته بحيث لا يصلح ذلك المتعلق ان يكون متعلقاً بالفعل المذكور وهو من ايجاز كلام العرب لانه استغناء بذكر المتعلق بالكسر عن ذكر المتعلق بالفتح كما استغنى بذكر الفعل المذكور عن ان يؤتى له بمتعلق بالكسر

(٢) ايمن بن خريم بالحاء المعجمة والراء شاعر قال قصيدة يحرض أهل العراق على قتال الخوارج ويذكر غزالة زوجة شبيب الخارجي كانت تولت قيادة الخوارج بعد قتل زوجها وحاربت الحجاج عاماً كاملاً ثم قتلت وأول القصيدة

ابى الجبناء من أهل العرا ق على الله والناس الا سقوطاً

لئلا يفوت معنى المواظبة اذ المضارع وحده غير صالح في هذا المقام للتكرير فلا تغفلوا عن هذه النكتة من نكت الاعجاز

والصلاة اسم مصدر صلي وهي بوزن فعلة محرك العين ولاما واو لما ياتي فلذلك قلبت الفالما تحركت بعد فتحة وقد استغنوا باسم المصدر عن المصدر وهو التصلية فاهملوا المصدر للتباسه بتصلية النار قال بعض اهل اللغة هي حقيقة في الدعاء وجعلوا اطلاقها على العبادة المخصوصة نقلا شرعيا . وقال بعضهم هي العبادة بكيفية مخصوصة واستشهدوا بقول الاعشى

يرأوح من صلوات المليك طورا سجودا وطورا جؤارا

وجعلوا اطلاقها على العبادة المخصوصة في الاسلام تخصيصا للفظ ببعض مدلولاته مثل الغلبة وعندي ان هذا هو القول الوجيه لان العرب قد عرفوا في الجاهلية الصلاة بمعنى العبادة وعرفوا الركوع والسجود لاجل العبادة وقد اخبر الله تعالى عن ابراهيم بقوله « ربنا ليقيموا الصلاة » وكانت اليهود معاشرين للعرب وهم اهل صلاة وكذلك كان من العرب النصارى وهم يصلون وقد قال النابغة في رثاء النعمان بن الحارث الغساني وذكر دفنه في موضع يقال له الجولان

قئاب مصلوه بعين جلية وغودر بالجولان حزم ونائل

اراد المصلين عليه من القيسيين اذ كان النعمان متصرا وقال النابغة ايضا

او درة صدفية غواصها بهج متى يرها يهل ويسجد

واما اطلاقها على الدعاء فهو فرع عن هذا والصلاة مشتقة من الصلا وهو عرق غليظ في وسط الظهر يفترق عند عجب الذنب فيكتفه فيصير صلوين اشتقت الصلاة منه لان المصلي اذا ركع وسجد تحرك ذلك العرق حركة شديدة وانما اطلقت على الدعاء ايضا لان الداعي ينحني ويطأطأ

ولاجل مراعاة هذا الاشتقاق كتبوها في المصحف بالواو اذ لو لم يكن هذا قصدهم لما كان وجه لكتابتها بالواو بخلاف الركاة . وقد قيل انها كتبت في المصحف بالواو اشارة الى لغة تفخيم اللام في الصلاة لان اللام المفخمة مع الفتح تقارب مخرج الضم وهو بعيد

وصية الفاروق رضى الله عنه

من عرض نفسه للتهمة فلا يلومن من اساء به الظن ، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئى مسلم شرا وانت تجد لها من الخير مخرجا ، ولا تهاون في الحلف بالله فيمينك . واعتزل عدوك ، واحذر صديقك الا الامين ، والامين من خشى الله تعالى ، ولا تصحب الفاجر فتعلم من فجوره ؛ ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك ، وشاور في امرك الذين يخافون الله

الحديث الشريف

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم

إذا رأيتم الهلال فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا *

وقال طه عن عمار : من صام يوم الشك فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم

روى البخاري عن عبد الله بن مسleme عن مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر رمضان فقال لا تصوموا حتى تروا الهلال ولا تفطروا حتى تروه فإن غم عليكم فأقديروا له . حدثنا عبد الله بن مسleme حدثنا مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهر تسع وعشرون ليلة فلا تصوموا حتى تروه فإن غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين . حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن حبة بن سحيم قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا وخس الإبهام في المرة الثالثة . حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا محمد بن زياد قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم أو قال قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غبي عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين

البيان

قد تقرر في الاصول أن تكاليف الشريعة المطهرة إنما وضعت لمصالح العباد في العاجل والآجل، وإنها راجعة إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وإنها إنما جاءت لتخرج المكلفين عن دواعي أهوائهم حتى يكونوا عباداً لله قال جل ذكره وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون قال أبو إسحاق الشاطبي في المسئلة الثامنة من كتاب المقاصد من الموافقات : المصالح المجتابة شرعاً والمفاسد المستدفةة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا للحياة الأخرى لا من حيث هوى النفوس في جلب مصالحها ومفاسدها العادية قال وهذا المعنى إذا ثبت لا يجتمع مع فرض وضع الشريعة على وفق أهواء النفوس

* الختم الذي القاه المقدس المبرور الشيخ الشاذلي ابن القاضي بجامع حمودة باشا في رمضان

وطلب منافعها العاجلة كيف كانت وقد قال عزت كلمته ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن اه . ثم من جملة التكاليف الشرعية صوم رمضان قال عز من قائل شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . شرعه سبحانه وتعالى لمصالح عظيمة وفوائد جسيمة منها كسر النفس وقهر الشيطان وذلك لأن الشبع نهر في النفس يردده الشيطان والجوع نهر في الروح ترده الملائكة . ومنها معرفة الغني مقدار نعمة الله عليه بأقداره على ما منع منه كثير من الفقراء من فضول الطعام والشراب فإنه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الإطلاق فيوجب له شكر نعمة الله عليه بالغنى واليسار ويدعوه ذلك إلى رحمة أخيه الفقير المحتاج ومواساته بما يمكن مما أعطاه الله وقد وعد سبحانه عليه بالثواب العظيم في دار النعيم ففي الحديث القدسي الصوم لي وأنا أجزي به . وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال للرجل الذي سأله عن أفضل الأعمال : عليك بالصوم فإنه لا مثل له يقول الله تعالى يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي ، الصيام لي وأنا أجزي به والحسنة بعشر أمثالها . ومن المعلوم أن الكريم إذا تولى الإعطاء بنفسه كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتقديره وفيه مضاعفة الجزاء من غير عدد ولا حساب ثم إن الشارع أوجب صيام رمضان معلقاً برؤية هلاله على ما هو صريح الأحاديث المذكورة في هذا الباب إلا الحديث الأول منها فالجمهور على أنه بمعنى الحديثين الآخرين حتى كانا مفسرين له ولذلك أخرهما البخاري رحمه الله وذهب الحنابلة إلى أن معنى فاقدروا له قدره تحت الحساب . وذهب غيرهم إلى أن معناه قدره بحسب المنازل وقد ذكر الإمام الزاهدي في القنية أقوالاً ثلاثة للحنفية في العمل بالحساب فقل أولاً عن القاضي عبد الجبار وصاحب جمع العلوم أنه لا بأس بالاعتماد على قول الفلكيين وليس بواجب ونقل عن ابن مقاتل أنه كان يسألهم ويعتمد على قولهم إذا اتفق عليه جماعة منهم واستبعد الإمام السرخسي ونقل عن محمد الأئمة الترمذاني أنه اتفق أصحاب أبي حنيفة إلا النادر والشافعي أنه لا اعتماد على قولهم اه وقد حكى في المعراج الإجماع على عدم اعتبار أقوال المنجمين وأنه لا يجوز للمنجم أن يعمل بالحساب المخالف للرؤية لنفسه اه وما ذهب إليه الإمام السبكي من الشافعية من الاعتماد على قولهم بناء على أن الحساب قطعي قدره المتأخرون من أهل مذهبه بأن الشارع اعتبر الشهادة لأنه نزلها منزلة اليقين فلا عبرة بغيرها إذا خالفها بل قد ألغى الشارع غيرها بالكلية لقوله : نحن أمة أمية لا نكتب ولا نحسب الشهر هكذا وهكذا قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثاني والمائة من الفروق في العمل بالحساب قولان عندنا وعند الشافعية والمشهور في المذهب عدم اعتبار الحساب فإذا دل حساب تسيير الكواكب على خروج الهلال عن شعاع الشمس من جهة علم الهيئة لا يجب الصوم فلو كان الإمام يرى الحساب فائت الهلال به لم يتبع لاجتماع السلف على خلافه مع أن حساب الأهلة والكسوفات والخسوفات

قطعي فان الله تعالى أجرى عادته بان حركات الافلاك وانتقالات الكواكب السبعة السيارة على نظام واحد طول الدهر بتقدير العزيز العليم فلا ينخرم ذلك ابدا والعوائد اذا استمرت افادت القطع فالحساب ينبغي ان يعتمد عليه كاوقات الصلوات فانه لا غاية بعد حصول القطع لكن قد فرق بينهما الجمهور وعليه السلف والخلف بان الله تعالى نصب زوال الشمس سببا لوجوب الظهر وكذلك بقية الاوقات لقوله جل ذكره اقم الصلاة لدلوك الشمس أي لاجله والدلوك اما زوال الشمس أو غروبها كما قاله صاحب الكشف وكذلك قوله سبحانه وتعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والارض وعشيا وحين تظهرون . قال المفسرون هذا الكلام خبر ومعناه الامر بالصلوات الخمس في هذه الاوقات فحين تمسون المغرب والعشاء وحين تصبحون الصبح وعشيا العصر وحين تظهرون الظهر . والصلاة تسمى سبحة ومنه سبحة الضحى اي صلاتها فالآية امر بايقاع هذه الصلوات في هذه الاوقات وقد دل غير ذلك من الكتاب والسنة على أن نفس الوقت سبب للوجوب فمن علم السبب بأي طريق كان العلم لزمه حكمه المترتب عليه شرعا فلذلك اعتبر الحساب المفيد للقطع في اوقات الصلوات واما الاهلة فلم ينصب صاحب الشرع خروجها عن الشعاع سببا للصوم حتى يكون مجرد الخروج سببا لوجوب الصوم بل اعتبر رؤية الهلال خارجا عن شعاع الشمس هو السبب فاذا لم تحصل الرؤية لم يحصل السبب الشرعي فلا يثبت الحكم الذي هو الوجوب ويدل على ان صاحب الشرع لم ينصب نفس خروج الهلال عن شعاع الشمس سببا للصوم قوله صلى الله عليه وسلم صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته ولم يقل خروجه عن شعاع الشمس كما قال تعالى اقم الصلاة لدلوك الشمس ثم قال عليه الصلاة والسلام فان غم عليكم فاقدروا له اي خفيت عليكم رؤيته فاقدروا له اي قدروا له تمام العدد ثلاثين يوما اي انظروا في اول الشهر واحسبوا ثلاثين يوما وفي الرواية الاخرى فأكملوا العدة ثلاثين فنصب رؤية الهلال او اكمال العدة ثلاثين ولم يتعرض لخروج الهلال عن الشعاع واما قوله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه فلا دلالة فيه على المطلوب قال ابو علي لان شهد لها ثلاث معان بمعنى حضر ومنه شهدنا صلاة العيد وشهد بدرا وشهد بمعنى أخبر ومنه شهد عند الحاكم اي أخبر بما يعلمه وشهد بمعنى علم ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد أي عليم وهو في الآية بمعنى حضر ومعنى الآية فمن حضر منكم المصر في الشهر فليصمه اي حرام مقيما احترازا من المسافر فانه لا يلزمه الصوم واذا كان شهد بمعنى حضر لا بمعنى شاهد وراى لم يكن فيه دلالة على المطلوب وهو اعتبار الرؤية ولا على اعتبار الحساب ايضا فان الحضور في الشهر اعم من كونه ثبت بالرؤية او بالحساب فلجل هذا الفرق قال الفقهاء ان كان الحساب غير منضبط فلا عبرة به وان كان منضبطا لم يجب به الصوم لان الشارع لم ينصب سببا له قلت ما ذهب اليه الشهاب من أن شهد بمعنى حضر هو ما رجحه صاحب الكشف حيث قال اي فمن كان شاهدا اي حاضرا مقيما في الشهر فليصم

فيه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر اه قال
 الفضل السيلكتوتي في حواشي البيضاوي شهد على الوجه الثاني بمعنى رأى على ما قبل لانه ما وجد في
 الكتب المتداولة الشهود بمعنى الرؤية نعم جاءت المشاهدة بمعنى الرؤية اه وتتمام الكلام في تفسير
 القاضي وحواشيه . وهنا بحثان الاول في اوقات الصلوات وذلك انه جرت عادة المؤذنين وأرباب
 المواقيت بتسيير درج الفلك فاذا شاهدوا من درج الفلك ما يقتضي ان درجة الشمس قربت من
 الافق قربا يقتضي ان الفجر طلع امرؤا الناس بالصلاة والصوم مع ان الافق يكون صاحبيا لا يخفى
 فيه طلوع الفجر لو طلع ومع ذلك فلا يجد الانسان للفجر اثرا البتة وهذا لا يجوز فان الله تعالى
 انما نصب سبب وجوب الصلاة ظهور الفجر فوق الافق ولم يظهر فلا تجوز الصلاة حينئذ فانه يقع
 للصلاة قبل وقتها وبدون سببها وكذلك القول في بقية الصلوات قال الشهاب فان قلت هذا جنوح
 منك الى انه لا بد من الرؤية وانت قد فرقت بين البابين وميزت بين القاعدتين بالرؤية وعدمها وقلت
 السبب في الاهلة الرؤية وفي اوقات الصلوات تحقيق الوقت دون رؤيته فحيث اشترطت الرؤية فقد
 بطلت ما ذكرته من الفرق قلت الجواب عنه اني لم اشترط الرؤية في اوقات الصلوات لكنني جعلت
 عدم اطلاع الحس على الفجر دليلا على عدمه وانه في نفسه لم يتحقق لان الرؤية هي السبب ونظيره
 في الاهلة لو كانت السماء مصحبة والجمع كثير ولم ير الهلال جعلت ذلك دليلا على عدم خلوص
 الهلال عن شعاع الشمس وكذلك لو رايت الظل مائلا عند الزوال لجهة المغرب ولم اراه مائلا الى
 جهة المشرق بل متوسطا بين الجهتين جعلت ذلك دليلا على عدم دخول الوقت وعدم السبب ففرق
 بين كون الحس سببا وبين كونه دالا على عدم السبب فاني في الفجر جعلته دليلا على عدم السبب لا
 اني اشترطت الرؤية ولذلك لم استشكل ذلك الا والسماء مصحبة والحس لا يجد شيئا من الفجر اما لو
 كان حسابهم يظهر معه الفجر مع الصحو طالعا من الافق ويخفى مع الغيم لم استشكله وقلت انما يخفى
 لاجل الغيم لا لاجل عدمه في نفسه لكن لما رايت حسابهم في الصحو لا يظهر معه الفجر علمت ان حسابهم
 يقارن عدم السبب فان الحس كما يدل على وجود الفجر يدل أيضا على عدمه باتساق الظلمة وعدم الضياء اه
 كلام الشهاب وانا اقول في جواب هذا الاشكال ان الفجر يطلع شيئا فشيئا على القطر ففي أول طلوعه
 يكون الضياء ضعيفا جدا بحيث لا يدركه البصر لضعف البصر كما صرح به في المواقيت الا ترى أنه
 بعد اعتبار وقت طلوعه بزمان قريب يظهر منتشرا لكل بصر سليم في ذلك القطر وما كان ذلك الا
 لكونه ينتشر شيئا فشيئا اذ من المعلوم ان سير الشمس تدريجي ~~ك~~كثيرة من الافلاك البطيئة
 فقله ان الحس كما يدل على وجود الفجر يدل ايضا على عدمه ممنوع اذ عدم ادراك الحس لضياء
 الفجر لا يدل على عدم الفجر في الواقع حسبما علمت ان طلوعه على القطر يكون جزئيا شيئا
 فشيئا وان البصر مع ضعفه لا يدرك اول طلوعه مع اتساع الافق مع ما وقع له تسليمه من ان

الحساب قطعي الا ان الشارع لم يعتبره في الصوم فقط وعلى هذا فلا يلزم ما ذكره من لزوم ايقاع الصلاة قبل وقتها ولا وجوب الامساك قبل وقته المقدر فيه شرعا، نعم لو كنا نقطع بان البصر يدرك الفجر في أول طلوعه لثم البحث وما ذكره الشهاب فيه موافقة الى ما قاله ابن دقيق العيد حسبما نقله عنه الشهاب الرملي الشافعي في فتاواه اذ قال ما نصه قال ابن دقيق العيد الحساب لا يجوز الاعتماد عليه في الصلاة اهـ، لكنه مخالف لما عليه السلف والخلف فان الجمهور على اعتبار ذلك في اوقات الصلوات كما سبق تقريره من كلام الشهاب، نعم كون الحساب قطعيا ليس بمجمع عليه فقد نقل العالم الامام الابي في شرح صحيح مسلم عن بعض المالكية ان الحساب حذس وتخمين ولا يجوز الاعتماد عليه الا في القبلة واوقات الصلوات اهـ، ولعله انما اعتبر على هذا القول لانه غاية ما يمكن في التوصل الى معرفة القبلة ومعرفة دخول اوقات الصلوات فيرجع الامر فيه الى غلبة الظن وهي منزلة منزلة اليقين شرعا كما صرح به بعض الفقهاء في غير ما موضع من كتب الشريعة بخلاف الهلال كما سيأتي تحريره حيث اناط الشارع وجوب الصوم بالرؤية لا بمجرد طلوع الهلال على القطر وخروجه عن شعاع الشمس وان لم يكن بحيث يراه البصر السليم .

البحث الثاني ان المالكية جعلوا رؤية الهلال في بلد من البلاد سببا لوجوب الصوم على جميع اقطار الارض ووافقهم الحنابلة على ذلك وقالت الشافعية لكل قوم رؤيتهم واتفق الجميع على ان لكل قوم فجرهم وزوالهم وعصرهم ومغربهم وعشاءهم فان الفجر اذا طلع على قوم يكون عند اخرين نصف الليل وعند اخرين نصف النهار وعند اخرين غروب الشمس الى غير ذلك من الاوقات وما من درجة تطلع من الفلك او تتوسط او تغرب الا وفيها جميع الاوقات بحسب آفاق مختلفة واقطار متباينة فاذا طلعت الشمس في اقصى المشرق كان نصف الليل عند البلاد المغربية منهم او اقل من ذلك او اكثر على حسب البعد من ذلك الافق فاذا غربت في اقصى المغرب كان نصف الليل عند البلاد المشرقية او اقل او اكثر بحسب قرب ذلك القطر من القطر الذي غربت فيه الشمس وكذلك بقية الاوقات تختلف هذا الاختلاف ولذلك وقع في الفتاوى الفقهية مسألة اشكلت على جماعة من الفقهاء في اخوين ماتا عند الزوال احدهما بالمشرق والآخر بالمغرب أيهما يرث صاحبه فافتنى الفضلاء من الفقهاء بان المغربي يرث المشرقي لان زوال المشرق قبل زوال المغرب فالمشرقي ماب اولاً فيرثه المتأخر لبقائه حيا متأخر الحياة فيرث المغربي المشرقي

اذا تقرر الاتفاق على ان اوقات الصلوات تختلف باختلاف الافاق وان لكل قوم فجرهم وزوالهم وغير ذلك من الاوقات فيلزم ذلك في الاهلة بسبب ان البلاد المشرقية اذا كان الهلال فيها في الشعاع بقيت الشمس تتحرك مع القمر الى الجهة الغربية فما تصل الشمس الى افق المغرب الا وقد خرج الهلال من الشعاع فيراه اهل المغرب ولا يراه اهل المشرق واذا كان الهلال يختلف باختلاف الافاق وجب ان يكون

لكل قوم رؤيتهم في الاهلة كما ان لكل قوم فجرهم وغير ذلك من اوقات الصلوات وهذا حق ظاهر وصواب متعين ، لما وجوب الصوم على جميع الاقاليم برؤية الهلال بقطر منها فبعد عن القواعد والادلة لم تقتض ذلك اهـ . كلام الشهاب وانا اقول في الجواب من جهة المالكية والحنبلة وكذلك الحنفية على ما هو ظاهر المذهب عندهم وهو الذي عليه الفتوى كما نقله زين ابن نجيم في البحر عن الخلاصة ان الخطاب تعلق عاما في الصوم بمطلق الرؤية في حديث صوموا لرؤيته فان الظاهر منه مطلق الرؤية اذ لم يعلقه الشارع برؤية اهل القطر بخصوصه حتى يجب اعتبار رؤية اهل القطر لا رؤية غيرهم من اهل الارض وحيث تعلق عاما على ما هو الظاهر فيجب صوم اهل الارض برؤية اهل قطر منهم نعم قد ذكر العالم الامام الابي في شرح صحيح مسلم ان الحديث محتمل قال ما نصه الحديث يحتمل الامرين لان قوله صوموا لرؤيته يحتمل ان يريد اي رؤية كانت ويحتمل ان يريد لرؤيتكم اتم اهـ . وهذا الاحتمال الثاني هو الذي جنح اليه الامام فخر الدين ابو محمد عثمان الزيلعي في التبيين وايده ملاحظوا في الدرر بان كل قوم مخاطبون بما عندهم في اوقات الصلوات وبعدم وجوب العشاء والوتر على فاقدهما اهـ . فبحث الشهاب مسبوق به للحنفية وغيرهم ولما كان امر العبادات مبنيا على الاحتياط مع كون الاسلوب ورد بكيفية عامة على ما هو الظاهر وجب اعتباره وترك الاحتمال الآخر حتى يقوم عليه دليل خاص في المقام واعتبار القياس على الصلاة لا يفيد مع قيام النص الظاهر منه اعتبار الرؤية مطلقا مع كون الاحتياط خلافه ولهذا قال الشيخ كال الدين ابن الهمام في فتح القدير الاخذ بظاهر الرواية احوط اهـ . كلامه رحمه الله فقول الشهاب ان الادلة لم تقتض ذلك ممنوع

بقي ها هنا بحث آخر وهو انه قد سألني بعض من احبابنا الفضلاء وهو انه اذا رأى الهلال شخص واحد في حال الغيم أو أكثر منه في حال الصحو وكانت الرؤية بواسطة المرأة المسماة امرأة الهند وكان بحيث لو لا المرأة لم ير الهلال فهل تكون هاته الرؤية معتبرة شرعا حتى يلزم الناس الصوم بتلك الرؤية او لا تكون معتبرة شرعا حتى لا يلزم الناس الصوم بتلك الرؤية ؛ واقول في الجواب عنه اما اولاً ان هذه الصورة التي صورها السائل غير معقولة وذلك لان الهلال اذا لم يخرج من شعاع الشمس لا يمكن رؤيته لا بالمرأة ولا بغيرها من البصر السليم وذلك لاق المرأة لا تزيل شعاع الشمس الذي هو نور ذاتي لها كما صرح به صاحب المواقف وغيره عن الهلال حتى تمكن رؤيته لان المرأة المذكورة غاية ما تقيد انها يرى بها الصغير كبيرا مع بعد المسافة واما ازالة النور عن المرءي بحيث يرى بها لا بغيرها فكلاهما . وايضا اذا لم يخرج الهلال عن شعاع الشمس لم يكن موجودا اصلا لانه لا وجود لنوره الا بمقابلة الشمس وهذا ظاهر لا شك فيه اذا تقرر هذا فاذا رأي الهلال بالمرأة المذكورة كان بحيث يرى بالبصر السليم وحيث فلا تتحقق الصورة التي صورها السائل واما ثانياً فاقول على فرض تسليم معقولة هذه الصورة ان الرؤية بالمرأة معتبرة شرعا فيلزم الناس الصوم على مقتضى فروع المذهب

المذكورة في غير هذا الباب الدالة على اعتبار الرؤية بالمرأة رؤية حقيقية شرعا وان لم ار نصا في المسئلة في هذا الباب فمن الفروع ما ذكره اصحابنا كصاحب البحر والفتوح والتتوير وغيرهم في فصل المحرمات من كتاب النكاح من انه يحرم على الرجل اصول المرأة وفروعها المنظور الى فرجها الداخل من زجاج او ماء هي فيه ولا يحرم اصول المرأة المنظور الى فرجها الداخل من مرءاة او ماء هي خارجة عنه قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام في فتح القدير لان المرءى في المسئلة الاولى عينه وفي المسئلة الثانية مثاله لا هو لان البصر في المسئلة الاولى ينفذ فيرى نفس ما فيه وان كان لا يراه على الوجه الذي هو عليه ومنها ما صرحوا به في باب اليمين في الاكل والشرب من كتاب الايمان اذا حلف لا ينظر الى وجه فلان فرءاه خلف الزجاج وتبين الوجه يحدث لامرءة كما في النزابة قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام في فتح القدير والعلة في هذا هو ما ذكرناه سابقا من ان المرءى خلف الزجاج عينه ومن المرءاة مثاله. ومنها ما ذكره اصحابنا في باب خيار الرؤية من كتاب البيع انه اذا اشترى سمكة رءاها في الماء كان له خيار الرؤية قال الكمال ابن الهمام في فتح القدير لانه وان كان مرءيا حقيقة لكن لا يراه على الوجه الذي هو عليه فلذا كان له الخيار لان المطلوب في هذا الباب الرؤية حقيقة على ما هو عليه وفي المسئلة خلاف قال في البحر نقلا عن التحفة لو نظرت في المرءاة فرأيت المبيع قالوا لا يسقط خياره لانه ما رأى عينه بل مثاله ولو اشترى سمكة في ماء يمكن اخذه بلا اصطيد فرءاها فيه قيل يسقط خياره لانه رأى عين المبيع وقيل لا يسقط لانه لا يرى في الماء على حاله بل يرى اكبر مما كان فهذه الرؤية لا تعرف المبيع اهـ. دلالة فانظر كيف اتفقوا على ان الرؤية وقعت على عينه وانما قال اصحاب القول الثاني بعدم السقوط لانه يرى اكبر مما كان لانه لم ير حقيقة. اذا تقرر هذا فاذا رأى الهلال شخص واحد في الغيم او اكثر في الصحو فان تلك الرؤية صحيحة شرعا فيلزم الناس الصوم لانهم رأوا الهلال بحقيقة برؤية عينه ويصدق عليه الحديث فيجب الصوم على الناس بهذه الرؤية ولا مانع يمنع من اعتبارها شرعا على مقتضى اعتبار الرؤية بالمرءاة شرعا رؤية حقيقية غاية ما في الباب انه يرى الهلال اكبر مما كان وهذا لا يضر في تحقق الرؤية نعم عدم التكلف للرؤية بالمرءاة ليس شرطا في الرؤية وفرق بين اشتراط عدم الشيء وعدم اشتراطه والمسئلة من القسم الثاني قطعا اذ الشارع لم يشترط في الرؤية التكلف بالآلات كالمرءات ونحوها لكن اذا وقع في الخارج ورأوا الهلال بالمرءات فلا جرم تكون الرؤية المذكورة معتبرة شرعا حيث كانت الرؤية واقعة بالعين على عين المرءى نعم لو رى الهلال من المرءاة بالانعكاس حتى كان المرءى مثاله لا عينه فهذه الرؤية غير معتبرة شرعا فلا يلزم الناس الصوم بهذه الرؤية قطعا وانما يلزمهم بالاولى فقط لكن اعتبار الرؤية شرعا في هذا الباب ليس على اطلاقه بل السنية فيه مشروطة بشرط وهو خروج الهلال عن شعاع الشمس فتكون الرؤية سببا لوجوب الصوم على الناس بشرط ان يخرج عن شعاع الشمس

وهو شرط للوجوب وبدل على هذا ما ذكره شهاب الدين القرافي في الفرق الثاني والمائة من الفروق اذ قال ما نصه واما الاهلة فلم ينصب صاحب الشرع خروجها عن شعاع الشمس سببا للصوم حتى يكون مجرد الخروج سببا لوجوب الصوم بل اعتبر رؤية الهلال خارجا عن شعاع الشمس هو السبب اه وعلى هذا فلا يجب الصوم على الناس بمجرد الرؤية المذكورة على فرض تحققها وماخذ الشرطية من جعل خارجا حال ومن المقرر في الاصول ان الاحوال شروط كما هو مذكور في كتب الشريعة هذا الذي تحرر لي في المسئلة والعلم امانة في عنق العلماء كما قاله ابن نجيم في البحر

وقوله صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا الخ قال الامام الابي في شرح صحيح مسلم في هذا الحديث الارشاد الى تقريب الاشياء بالتمثيل وهذا الذي قصده صلى الله عليه وسلم ولم يمنع ذلك لاجل ما وصفهم به من الامية لا يحسبون ولا يكتبون لانهم لا يجهلون الثلاثين والتسع والعشرين مع ان التعبير عنها باللفظ اخف من الاشارة المصكرة

وانما وصفهم بذلك سدا لباب الاعتداد بحساب المنجمين الذي تعتمد العجم في صومها وفطرها وفصولها وفي هذا الحديث اعتبار الاشارة في الاحكام وانها بمنزلة النطق في الطلاق والبيع والوصايا وغير ذلك وفيه صحة طلاق الالبكم واقاراره وشهادته وحده للقذف اذا فهم منه القذف نص على جميع ذلك في المدونة اه اقول مذهب اصحابنا الحنفية في الاشارة فيها تفصيل اما الاخرس وهو الالبكم فقد قال ابن نجيم في الاشباه الاشارة من الاخرس معتبرة وقائمة مقام العبارة في كل شيء من بيع وهبة ورهن ونكاح وطلاق وعتاق وبراء واقرار وقصاص الا في الحدود ولو حد قذف فلا تثبت بالاشارة وكذلك الشهادة فانها لا تقبل وما يمينه في الدعاوي ففي ايمان خزانة الفتاوي وتحليف الاخرس ان يقال له عليك عهد الله وميثاقه ان كان كذا فيشير بنعم قال الشيخ كمال الدين ابن الهمام والمراد باشارته التي يقع بها طلاقه الاشارة المقرونة بتصويت منه لان العادة منه ذلك فكانت بيانا لما اجمله ثم انهم اختلفوا في ان عدم القدرة على الكتابة شرط للعمل بالاشارة والمعتمد عدم الاشتراط نعم لا بد في اشارة الاخرس من ان تكون معهودة منه والالم تعتبرها هنا فروع لم ارها الا في الاول اشارة الاخرس بالقراءة وهو جنب ينبغي ان تحرم عليه اخذا من قولهم ان الاخرس يجب عليه تحريك لسانه بها فجعلوا التحريك قراءة. الثاني علق الطلاق بمشية اخرس فاشار بالمشية ينبغي الوقوع لوجود الشرط الثالث لو علق بمشية رجل ناطق فخرس فاشار بالمشية ينبغي الوقوع ه وببحث الفاضل لحموي في الفرع الاول بقوله في الاخذ من ذلك نظر لان جعلهم التحريك قراءة تكليف بالقراءة بحسب الامكان في باب العبادات ولذا قالوا الاقرع يجري الموصى على راسه وان لم يكن بها شعر في باب الحج تكليف بالخلق بقدر الامكان في باب العبادات ولم يعد مثل ذلك في باب المحرمات اه يعني ومسئلنا من باب المحرمات لا من باب العبادات واما غير الاخرس فان كان معتقلا

اللسان فيه اختلاف والفتوى على انه ان دامت العقلة الى وقت الموت يجوز اقراره بالاشارة والاشهاد عليه ومنهم من قدر الامتداد بسنة وهو ضعيف وان لم يكن معتقل اللسان لم تعتبر اشارته مطلقا لا في الحدود ولا في غيرها الا في اربع - الكفر والاسلام والنسب والافتاء. كما تنقيح الحامدية ويزاد اخذا من مسألة الافتاء بالراس اشارة الشيخ في رواية الحديث وآمان الكافر والطلاق اذا كان تفسيراً لهم كما لو قال انت طالق هكذا وأشار بثلاث وحض الثلاث اما لو قال انت طالق وأشار بثلاث لم يقع الا واحدة واما لو قال انت هكذا مشيراً باصابعه ولم يقل طالق فقال في الاشياء لم ار فيه نصاً قال الفاضل الحموي في حواشيه قال بعض الفضلاء يجب ان لا يقع شيء ولو نوى الطلاق لان اللفظ لا يشعر به والنية لا تؤثر بدون اللفظ اه وانما لم يقع الا واحدة في قوله انت طالق وأشار بثلاث لفقد التشبيه بالعدد قال الفاضل القهستاني في شرح النقاية لانه كما لا يتحقق الطلاق بدون اللفظ لا يتحقق عدده بدونه ايضا اه واما ما نقله الحموي عن بعض الفضلاء وهو خير الدين الرملي فقد بحث فيه في رد المحتار اذ قال ورأيت بخط السامحاني مقتضى ما في الحاشية من قوله ولو قال لامرأته انت ثلاث قال ابن الفضل اذا نوى يقع انه يقع في مألئنا اذا نوى قال الفاضل الرحمتي لان الظاهر ان هكذا مثل قوله ثلاث قال في رد المحتار لان كلا منهما مرتبط بلفظ طالق ومقدر وقول خير الدين الرملي ان اللفظ لا يشعر به ممنوع وتماه فيه. ثم على مقتضى ما ذكره الابي في شرح صحيح مسلم من ان الحديث فيه الارشاد الى اعتبار الاشارة كالنطق يرد على اصحابنا الحنفية الاشكال بانكم قد خالفتم ما دل عليه الحديث من عدم اعتبار اشارة الناطق مطلقا الا في المسائل المستثناة فما وجه ذلك وما وجه استثناء تلك المسائل وما وجه عدم اعتبار اشارة الاخرس في الحدود ولو حذ القذف ؟ فالجواب عنه اما عن المخالفة فالمنع وذلك لان الحديث ورد مورد التشريع والتعليم فهو من قبيل الفتوى وقد علمت استثناءها فلا يدخل فيه ما كان من غير ذلك القليل حتى يكون مرشدا الى اعتبار الاكتفاء بالاشارة في غيره. واما عن استثناء تلك المسائل فاما عن الكفر والاسلام فللحديث الذي رواه في شرح الشافعية ان جارية اريد اعتاقها في كفارة فجيء بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأها ابن الله فاشارت الى السماء فقال اعتقها فانها مسلمة نقله الفاضل الحموي في حواشي الاشياء. واما عن الافتاء فقد قال في مجمع الفتاوى انما اعتبرت الاشارة فيه لان جواب المفتي ليس بحكم متعلق باللفظ انما اللفظ طريق معرفة الجواب عند المستفتي واذا حصل هذا المقصود استغنى المستفتي عن اللفظ كما لو حصل الجواب بالكتابة بخلاف الشهادة والوصاية فانهما يتعلقان باللفظ. والاشارة انما تقوم مقام اللفظ عند العجز عنه اه وأما عن النسب فلان الاشارة يفهم منها المقصود في الجملة وانه يحتاط في اثباته ولذا اثبتوا نسب ولد المشرقي من المغربية ومثله آمان الكافر فانه يحتاط فيه ايضا فكان اعتبار الاشارة فيهما الاحتياط. واما عن الطلاق فلانا قلنا باعتبار الاشارة حيث وقعت تفسيرا للمفهم لا وحدها قال الامام الزبيلي في التبيين ان الاشارة بالاصابع تقيد العلم بالعدد عرفا وشرعا اذا اقترنت بالاسم المبهم. واما عن عدم اعتبار اشارة الاخرس في الحدود مع ان اشارته صحيحة شرعا فلان الاشارة لا تخلو عن احتمال وهو شبهة والحدود تدرأ بالشبهات صرح به ارباب كتب المذهب في ابواب الحدود لقوله صلى الله عليه وسلم ادروا الحدود بالشبهات ما استطعتم وهذا الدرء كان رحمة من المولى الكريم انزله على لسان رسوله الرؤف الرحيم عليه منا افضل الصلاة وأزكى التسليم.

التشريع الاسلامي

معنى دين الاسلام وشريعته - ما تميز به الاديان - المقصد من الارسال
حكمة التدريج في التشريع - الاحكام الشرعية اهي مؤبدة ام موقته

بقلم العلامة الكبير فضيلة الشيخ محمد العزيز
جعيط المقي المالكى والاستاذ بجامع الزيتونة

دين الاسلام وشريعته

قد توأطأت كلمة المسلمين على اختلاف طوائفهم وتباين منازلهم وتواطأ هجم على ربان الحجال في قصورهن وبلغ الرعاة في شعف الجبال ان دين الاسلام وشريعته جملة اعتقادات وءاداب وطاعات واحكام متلقاة من المرشد الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فما دعا اليه عليه الصلاة والسلام من لاعتقادات التي يظاهرها الاحلام الراجحة وينصرها التدبر الصادق مما يفضي الى معرفة الله عز وجل او يكشف عما هو متوار بحجاب الاستار من احوال الآخرة وما جاء به عليه الصلاة والسلام من الاداب القيمة المزكية للنفوس والصادقة عن الانغماس في حمأة الرذيلة وما امر به من الطاعات سواء في ذلك ما تجلت حكمته وما دق امره وما شرعه من الاحكام اللاحقة باحوال الحياة كل ذلك امسمى دين الاسلام وشريعته ويشهد لكون الاحكام من الدين قوله تعالى ولا تاخذكم بهما رافة في دين الله فجعل اقامة الحد من دين الله وقوله صلى الله عليه وسلم (في حديث الصحيحين في بيان الايمان والاسلام والاحسان) فانه جبريل اناكم يعلمكم دينكم فسمى الجميع ديناً وما معنى الايمان بالرسول الا تصديقهم في الارسال وفيما جاءوا به ومن جملة ما جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام الاحكام اللاحقة باحوال الحياة

ما تميز به الاديان

الاديان والشرائع وان تعددت واختلفت بتعدد الارسال الا انها مرتضعة افلويق الوفاق فيما يتطلع الى الاعتقادات المتعلقة بالربوبية واحوال الآخرة والى الاخلاق الفاضلة وانظر الى دعواهم لعبادة الله كيف اتحدت وفي القراءان من ذلك انموذج عظيم ولتواطئهم في الاعتقادات على شيء واحد امر الله نبيه بالاقتداء بهداهم فقال بعد ان ذكر جماعة من المرسلين اولئك الذين هدى الله فهداهم اقتده

اما الاحكام وكيفية العبادات فهي التي ربما تختلف فيها كما يرشد اليه كتاب الله فيما قصه علينا في حق عيسى عليه السلام فقال جل ثناؤه (ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولا حل لكم بعض الذي حرم عليكم) ويفصح به قول الله تعالى في وصف النبيء الامي سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام (يا مرهم المعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التي كانت عليهم) اي يحل لهم الطيبات مما حرم عليهم ويضع عنهم الثقل والشدائد التي كانت عليهم كقتل النفس في التوبة وقطع اثر النجاسة وقال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

المقصد من الارسال

المقصد الاسمي من الارسال والفائدة له نفخ روح الاعتقادات الطاهرة في ارجاء الصدور والتجميل بصبغة الاخلاق الفاضلة والتلقين لما يقرب الى الله تعالى زلفى من الطاعات وتقرير الاحكام المتعلقة باحوال الحياة يشهد لذلك قوله تعالى (هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وقد علمت مسمى الدين فيما سلف وقوله تعالى (لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) اي القرآن والسنة ومن جملة ما تضمنه العقائد والاخلاق والقواعد العامة والاحكام الجزئية ولو لم يكن من مقاصد الارسال ما وقع الامتان به ومثل ذلك قوله تعالى (كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة الآية ولهذا اخذ النبيء صلى الله عليه وسلم العهد على الوفاء في الاعتقادات والاحكام والاداب فقال (كما في صحيح البخاري عن عباد بن الصامت رضي الله عنه) يا عوفي على ان لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا اولادكم ولا تاتوا بهتان تقرونه بين ايديكم وارجلكم ولا تعصوا في معروف فبايعوه على ذلك

حكمة التدريج في التشريع

الارسال وان تضمن فوائد جمة للعباد بيد ان المرسل به ورد في الاكثر على سبيل التدريج وبحسبك نزول القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اول ما بعثه الله بمكة وهو ابن اربعين سنة الى ان توفاه اليه بالمدينة فكانت مدة نزوله عليه عشرين سنة او ثلاثا وعشرين على حسب الاختلاف في سنه عليه الصلاة والسلام والحكمة في ذلك التيسير على الناس وتهيتهم لقبول ما يرد عليهم فان النفوس اذا صقلت مرءاتها بالاعتقادات الطاهرة وتشبعت من الاخلاق الفاضلة وارتاضت بالطاعات لربها مرتت على الائتمار لاوامر مرشدتها والاتباء عن نواهيها وفي ورود ذلك دفعة واحدة حرج الفصل عن المألوف جملة والتباعد عن المعتاد بغة فكان من اللطف بالعباد والرحمة لهم ان تلقوا بذلك في ازمة متعددة لم يشعروا فيها بنقل التكليف ووقر الاحكام وعلى هذا السنن وردت

الشرعية السمحة فكانت مناهلها عذبة سائغة للشاربين وما خرج صلى الله عليه وسلم من الحياة الدنيا حتى ضرب الدين بعطن وكملت احكامه قال تعالى اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا

والتدريج في الشريعة من الله تعالى كما رايت اما النبي صلى الله عليه وسلم فلم يكن ليعرض عن التبليغ وما كان ليصده عن الضرب به بين ظهرانيهم توقع الاعراض ولا خيفة النفور من العباد وقوفا عند امر الله تعالى القائل يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس والقائل فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا

الاحكام محمولة على التاييد

الاحكام الموحى بها الى النبي صلى الله عليه وسلم محمولة على الدوام اعتبارا بالظاهر منها ولا يرفع ذلك الا ورود ما ينسخها بوحى من الله تعالى وقد انعقد على ذلك اجماع الكافة واشتهر اشتهاها استوى في العلم به خاصة الناس وعامتهم حتى حكى القاضي عياض في الشفا الاجماع على تكفير كل من دافع نص الكتاب او نص حديث مجمع على نقله مقطوع به مجمع على حمله على ظاهره اهـ ومتى مست الاحكام يد التغيير بغير طريق الشرع لم تنسب الاحكام الجديدة للشرعية وانما تنسب لمغيرها كحالة القوانين الوضعية ومما يزيد ذلك ايضاحا ويترك الشبه تضائل حوله افتضاحا ان الشرائع ما تعددت الا باعتبار تغير الاحكام فالشرعية الموسوية مثلا لم تنسب لموسى عليه السلام الا باعتبار الاحكام المتغيرة عن حالتها في الشرائع التي بين يديها اذ لا اختلاف بين الشرائع في غير الاحكام والطاعات كما علمت ولهذا كان الانبياء المبعوثون لتعليم شريعة سالفة واحياءها لا تنسب اليهم تلك الشريعة وانما تنسب لمن شرعها اولا بامر ربه كانباء بني اسرائيل المبعوثين بشرريعة موسى عليه وعليهم السلام فتغير الاحكام يوجب ان يكون ذلك شريعة اخرى غير الشريعة المتقدمة على ان الاحكام لو كانت مشروعة اعتبارا بما يناسب الاحوال الحاصلة وقت ورودها حتى يلزم تغييرها بتغير تلك الاحوال لنبه على ذلك الشارع رفعا للبس وحماية من الوقوع في مهاوي الضلال كما بين ان النهي عن ادخار لحوم الاضاحي لحالة عرضت وهي الدابة التي نزلت المدينة واذ ضرب النبي صلى الله عليه وسلم عن بيان هذا صفحا فمن انبانا ان مشروعية تلك الاحكام باعتبار الاحوال العارضة حتى تحدثنا انفسنا بامكان تغييرها شرعا وانظر انكار الصحابة على مروان بن الحكم لما قدم الخطبة في العيدين على الصلاة في خلافة معاوية رضي الله عنه ولم يصغ الى ما تعلق به من تغير الاحوال

ولو كانت الاحكام تتغير بتغير الاحوال ما صح الوعد بالجنة لمن قرأ القرآن واحل حلاله وحرم حرامه ولا امر الرسول صلى الله عليه وسلم باتباع سنته ولا نهيه عن المحدثات مع ان الاحاديث في ذلك كثيرة اخرجا الترمذي وابن ماجه وابو داود والطبراني وغيرهم

حكمة الصوم والحج

بقلم العلامة الكبير مفخرة المغرب الشيخ محمد
الحجوي مندوب المعارف بالحكومة الشريفة

ان الله شرع المسلمين شرائع عالية تهذيباً لهم وتدريباً ، ورياضة على الاخلاق العالية كالصوم
والحج والزكاة وغيرها

ان الصوم شرعه الله والنبي صلى الله عليه وسلم بعث في جزيرة العرب القاحلة الكالحة بشمها
وغليان رمالها ففرض عليهم صوم نصف سدس السنة قبلوا وامتثلوا وضجوا بنصف سدس عمرهم
لا يتمتعون فيه بحرية في اكل ولا شرب ولا نوم ، هجروا ملذاتهم على ضلالة المذئاب ونزرة نعيم الحياة الدنيا
في تلك الارض الجرداء العطشى ، تدريباً لهم ان يتأبوا للاسفار الشاقة كي يصبروا على لايوائها ويزهدوا
في ملذاتهم لينالوا الشرف الاعظم وليتذوقوا ما يقاسيه الجائع من فقر او غربة ليواسوه ولا يتركوه
عرضة الهلاك ولذلك اوجب عليهم الزكاة والكفارات ليجدوا صندوق احتياط لديهم يواسوه منه ، ويستل
من البخل رغم انه ، لذلك كان عثمان بن عفان الخليفة الثالث يخطب الناس في رمضان يامرهم
باخراج زكواتهم مواساة للفقراء والضعفاء وذوي الاستحقاق

كما ان للصوم فوائد اخرى اديية صحية يستفيع بها الجسم لا سيما ذوو الثراء والتنعيم وذلك معلوم
من قواعد الصحة مشهور لدى غير المسلمين فاحرى عند المسلمين ولذلك كان الصوم موجوداً عند كل
الامم او جلها غير المسلمين وقبل الاسلام كما قال تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم
الآية غير انه لم يكن مدة شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن

ان المسلمين فرطوا في اكثر الشرائع التي اكرموا بها ولم يعرفوا لها قيمة في متأخر الازمان
كما هو مشاهد الا الصوم والحج

لاي شيء تحافظوا عليهما ، ، ، ،

تحافظوا عليهما لما يعلمون انهما رياضة على التضحية بل على اعلى انواعها وهي التضحية النفسية
في الصوم يضحي الانسان بما به قوام حياته الخاصة وملذاته الشهوانية من تمتع باكل وشرب
وراحة ونوم ونكاح ومقدماته بل حتى بالتفكير في مقدماته فهم يروضون انفسهم على هذه العبادة الشاقة
نعم المتناهية في ذلك في كل الفصول سواء برد الشتاء وزمهرير الثلج او قيظ الصيف وضيق النفس
من لاوائه او نعيم الربيع وازهاره والحريف وثمره

ولقد بقي المسلمون محافظين على هذه الشريعة باعتبار المجموع واغلب كل امة منذ ثلاثة عشر

قرنا ونصف لم يفعلوا فعل الامم قبلهم التي ادخلت على صيامها انواعا من التغيرات حتى انعدم عندهم تقريبا الا ماشد وهكذا تحافظوا على هذه الشعيرة العظيمة الفعل في التهذيب حتى من لم يكن يصلي ولا يفعل شيئا من شعائر الاسلام تجده محافظا كل المحافظة على الصيام . لم تستهوههم المدنية العصرية وما يرونه عند الامم الاخرى من الاستهتار في اتياع الشهوات والتفنن في الملذات واختراع الفتاوي والبهت في الدعاوي وتقنين قوانين سفسطائية يسقطون بها هيئة الديانات والتمسك بشرع السموات مع ما يظهر كل حين من بهرجة الحياة والرقي في انواع البذخ واستجلاب اصناف الراحة كل ذلك لم يؤثر على افكار مجموع الامة الاسلامية والله الحمد . فترى الجمهور يستقبل هذا الشهر العظيم شهر الرياضة والشفقة والرقي الروحي بابتسام حقيقي وفرح جدي لا تصنع فيه ولا نفاق باتم فرح واكمل سرور فيهجرون فيه كل حرية نفسية ويمثلون الاوامر القدسية ويعبدون الله وهم فرحون مسرورون مع انهم في الحقيقة متالمون لكن لا يحسون بالهم ولا يتوجعون او يتفجعون بل بالعكس يتعمون لانهم يعلمون انه تدريب لهم على التضحية كالتدريب على الخدمة العسكرية عند المتمدنين ، لذلك كان اعظم غزاة ظهر فيها الاسلام وقعت في اول رمضان شرع فيه الصيام في السنة الثانية . ان المسلمين يعلمون انهم بالتدريب على الصيام امكن لسافهم في مدة اثنتي عشرة سنة ان يبلغوا من المدينة المنورة الى الحدود الهندية والصينية شرقا والى طرابلس الغرب غربا والى سواحل البحر المتوسط والبحر الاسود والى السودان المصري فهذه هي الخريطة الاسلامية التي تركها لهم عمر بن الخطاب وبلغها بعد نبينا عليه السلام هو والخليفة قبله في مدة نحو اثنتي عشرة سنة بدون طيارة ولا مدفع ولا دباب ولا غواص ولا اسطول ولا سكة حديد ولا سيارة ولا سلك ولا لاسلكي وانما هو الايمان مع الارتياض على التضحية . وتحمل كل رزية . كان العربي يركب فرسه ويحمل شيئا من دقيق الشعير المقل على وجرة ماء يقطع الفيافي ويحارب الشمس والمطر والثلج والوعر والوحش بالصبر والرياضة والايمان وهكذا هو الحج ايضا رياضة على السفر الى مسافات شاسعة ثم عند الوصول لمكة المشرفة يروض نفسه على ان يتساوى مع الناس كلهم في الشارة واللباس سواء الملوك والسوقة وفي المجالس ويتخالط المسلم مع اخيه سواء كان اسود او احمر او اضر او ابيض ليكمل كل واحد ما يراه من النقص في الجنس الآخر بالارشاد والامداد ويعرف احوال العالم الاسلامي كله ويتنازل عن انانيته ان كان عظيما فينزل الى التسوية والى الديموقراطية الحقيقية

ويتنازل عن حريته فلا يقف في عرفات او مزدلفة الا في محل كذا ويرمي الاحجار في محل كذا بالخصوص متساويا مع غيره ويروض نفسه على ان يفخها ويتادب فيسميها حجرا مثلا وهكذا كل افعال الحج والعمرة لها حكم يضيق الوقت عن استقصائها . ولعل في هذا التنبيه بيان لياقها -

وبهذا يتبين وجه المحافظة على ابقاء الحج بالاشهر العربية. والصوم كذلك لتكون رياضتهما متاتية في الفصول كلها

حتى ان يوم اول رمضان واول شوال واول ذي الحجة ابقاء المسلمين على حاله كما كان في زمن النبوة يعتمد فيه رؤية الهلال ولا تقلد منجما ارشادا لنا الى الديموقراطية العجيبة يتساوى فيها طبقات الامة المنجم وغير المنجم وكل واحد يمكنه ان يشاهد الهلال ولا يقلد فيه ولا يجعل للمنجم أريستوقراطية (اومسولينية) ومن يضمن لنا عدم غلط المنجم وفي ذلك تدريب للامة على التفكير والنقد واعطاء الراي والاجتهاد وبذل المجهود واظهار الاعتناء بهذه الشعائر الهامة ولنضرب مثلا

اذا اجتمع مغربي وتونسي تجدهما يتذاكران بتمام الحرية والصفاء ويتدربان على تبادل الاراء بانصاف عقب رمضان

المغربي مثلا يقول لاخيه التونسي عجب كيف تتقدمون قبلنا كل سنة (١) بيومين كاملين في خصوص شعبان ورمضان وشوال دون بقية الشهور لاي شيء . يا اخي نختلف ونحن امة واحدة وجنس واحد ولغة واحدة ودين واحد ومذهب واحد (لان الهلال الامر فيه بتونس للملكية) وثقافة واحدة ووجهة واحدة وان التفاوت في خصوص الشهرين بيومين كاملين لا يخلو من مغزى دقيق تريدون ان تتقدموا علينا في كل شيء . ام تظنون ان بيننا من البعد ما يوجب هذا الفرق . . . كلا فليس هناك ما يوجب . نعم لو كان يوم واحد لاحتمل ولكان في السنة كلها . لكنه يومان وفي شهرين فقط وفي الغالب تتقدمون على الشرق والغرب معا ولا يعضدكم الفلكيون فها اتم في هذين الشهرين تكونون اميريكيين ثم يقع التدحرج في الشهور شيئا فشيئا حتى يرجع الامر الى اتفاق . يا اخي اظن ان لكم حسبا يتقاضاه الشهود ان سبقونا فان لم يسبقونا حرموا . ان كان هذا فالواجب ابطال هذا الحبس لانه حبس يؤدي الى حرام . التونسي يجب اخاه في هدو ومجاملة كما هي سجيته المباركة . ويقول والله يا اخي لا يوجد هذا ولا ذاك ولا ذاك وانما الديموقراطية قد يبالغ فيها حتى تؤول الى اريستوقراطية . والشيء اذا جاوز حدة استحال الى ضده . ان الشريعة جعلت للشهود حرية هالت الى ديكتاتورية . ياتينا الشهود فيقولون راينا الهلال فكيف نكذبهم ؟ فبقضى الامر بما يقولون . . . فسأل الله ان يمد قضاتنا بروح نقد نزيه يقدرون به على القبول والرد . وكل امة انعدم منها النقد وقف رقبها بل صار الى وراء

المغربي : والله اني لاتألم اذا سمعت النقد من الاجانب في مثل هذه المسالة البسيطة التي صعب علينا ان نتفق فيها فكيف نفعل لو كانت عندنا مشا كل غيرنا الصعبة الحل

التاريخ

وزراء تونس قبل الحماية وبعدها

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

قبل التعريف بخطة الوزراء والقاهم في نظام الدولة التونسية على عهد الحماية الفرنسية وقبلها يستحب التعريف اولا بمعنى الوزارة في اصطلاح اهل النظر قديما وحديثا. فالوزارة معتبرة عندهم كجزء متمم للامارة لان الامير لا يقدر على مباشرة شئون الامة وتدير مصالحها بانفراد فكان من المتعين ان يتخذ له وزير يستتبه في التدبير ويشاركه في انفاذ أوامره ونواهييه وكانت الوزارة في البدء وزارة تفويض ووزارة تنفيذ لاثالث لها قال في الاحكام السلطانية: وكانوا يشترطون في الوزارة ان يكون صاحبها من أهل الكفاءة فيما وكل اليه من أمري الحرب والحراج له خبرة بهما ومعرفة بتفصيلها، وحكي ان الخليفة المامون كتب في اختيار وزير فقال اني التمت لاموري رجلا جامعاً لحصال الميزن ذا عفة في خلائقه واستقامة في طرائقه قد هذبته الاداب واحكمته التجارب ان اوتمن على الاسرار قام بها

التونسي : واننا كذلك اتالم من هذا النقد بالخصوص . واتالم جد التالم من وجود شيء بيننا يعبر عنه في قواميسنا بالخلاف ولا نجد عبارة اخرى تلتطف على ءاذنا فتجنب بها لفظ الخلاف لكننا امة افريقية وبها للأسف اشتقت من الفرقة بلا خلاف وهي تشعر بالخلاف . ليتنا نجد مرادفا للفظ افريقية لا يدل على الفرقة وينعدم بيننا الخلاف

المغربي : نعم يا اخي الانصاف انك اجبت الجواب القاضي على تقدي فان الشاهد هو الذي يقضي على القاضي . ولكن القاضي يجب عليه ان يعلم ان زرقاء اليمامة لم تترك ولدا واني اعلم ان المغاربة ليس عندهم الصحو الذي في اديم الجو التونسي الجميل الصقيل وليس عندهم ما عند التونسيين من الاعتناء بامر الالهة . ولم نسمع قط انه كان عندهم قاضي الالهة

ولكن هذا كله لا يعدو ان يكون الفرق يوما واحدا . اما فرق يومين في رجب وشعبان فذلك من البعد بمكان ولو عمل بهذا الاستبعاد لكذب شهود رجب ثم شعبان وتفق في اول رمضان واني اسأل الله ان يؤلف القلوب ويقرب الافكار

وان قلد مهمات الامور نهض فيها يسكته الحلم وينطقه العلم وتكفيه اللحظه وتغنيه اللمحه له صولة الامراء وانساء الحكماء وتواضع العلماء وفهم الفقهاء ان احسن اليه شكر وان ابتلي بالاساءة صبر لا يبيع نصيب يومه بحرمان غدة يسترق قلوب الرجال بخلاصة لسانه وحسن بيانه اه. قال الامام الماوردي : اذا كملت هذه الاوصاف في الزعيم المدبر وقل ما تكمل فلصلاح بنظره عام وما يناط برأيه وتديره تام وان اختلت فالصلاح بحسبها يختل والتدبير على قدرها يعتل اه. هذا وقد جرى عمل امراء تونس منذ القديم باتخاذ وزراء لهم قياسا على غيرهم من ملوك الاسلام في الشرق والغرب فمن مشاهير وزراء الدولة الاغلبية نصر بن الصمصامة حاجب الامير ابراهيم بن الاغلب الثاني واشتهر في الدولة الحفصية الوزير البربري احمد بن تفرحين في المائة الثامنة وكان من أدهى أهل زمانه، وفي عهد حكم الاتراك اشتهر الوزير الحاج علي ثابت في ايام يوسف داي، كاشتهار الوزير يوسف خوجه صاحب الطابع في دولة الباي حمودة باشا الحسيني والوزير خير الدين في عهد المشير محمد الصادق باي ثم اعلم ان للدولة التونسية في الزمن الحاضر ثلاثة وزراء من التونسيين وثلاثة وزراء من الفرنسيين وهؤلاء الثلاثة يتولون خطة الوزارة بطريق الاصل وهم المقيم العام بصفة وزير للخارجية والجنرال القائد الاعلى للجيش الفرنسي بصفة وزير للبحرية والاميرال الوالي البحري ببنزرت بصفة وزير للبحرية وقبل التعريف بخطة وزراء كلا الشقين تتكلم على اصل خطة الوزارة بالبلاط الحسيني ومتى كان ظهورها بين الناس . فالبايات الاولون لم يكن لديهم في البداية متوظفون بلقب الوزراء بل كان لكل واحد من أصحاب الوظائف العالية بالبلاط المملوكي لقب خاص به، فكان المأمور الاسمي على رأس طائفة المأمورين السامين بالدولة هو صاحب الطابع يليه الباش كاتب الخزانة والباش مملوك، وقد اتفق لهم الجمع بين خطي صاحب الطابع والخزانة في شخص واحد كما كان الحال في زمن الوزير شاكر فقد كان قابضا على تينك الخطتين بيد من حديد وقد حفظ له التاريخ ذكر خالدا في مقام الاقتصاد والاحتفاظ بمداخل الدولة رغم دسائس اعدائه ومكائد اضداده وهو أول من وضع ميزانية قارة للدخل والخرج تضمنت جناية ملكية للمولى حسين باشا باي قدرها خمسة آلاف ريال في الشهر واليه ترجع مزية دفع الدين الذي ترتب يومئذ على الدولة بسبب سوء تصرف الوزير حسين خوجه باش مملوك وقدره ثلاثة ملايين الامر الذي اال بهذا الوزير للسجن وبيع مكاسبه لفائدة الدولة ومن ذلك خزائنه ككتبه المشهورة التي صارت بالتالي وقفا على طلبة العلم بجامعة الزيتونة فأرباب الوظائف العالية التي ذكرناها كانوا في الحقيقة هم الوزراء لان البايات لقرب عهدهم بحكم الدايات ونظام حكومتهم هو الديوان المركب من الباشا والباشي والداي والآغا والكاية كانوا يتحاشون عن اتخاذ أعوان لهم بعنوان وزراء بالعنوان الرسمي في اواسط القرن الماضي لسباسة لهم في ذلك نحو سلاطين آل عثمان ولما تأتى لهم اتخاذ الوزراء بالعنوان الرسمي في اواسط القرن

الماضي كانوا لا يتجاهرون بذلك في مخاطبتهم مع الباب العالي وأول من خلع هذا القيد هو المشير محمد الصادق باي عند توجيئه للوزير خير الدين في طلب فرمان الولاية اثر صعوده على العرش الحسيني في سنة ١٢٧٦ قال المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف عند ذكر هذا الحادث : قال لي (الباي) نقصت من مقام خير الدين حيث لم تصفه بوزير البحر فقلت له هذه عادتنا في مكاتب الدولة العلية فقال لي انه لم يتقدم ارسال وزير فقلت اني سلكت طريق الادب مع الحضرة السلطانية لان السلطنة تخاطب سيادتكم بالوزير واني للوزير ان يكون له وزير وفي مجاري العرف ان الوزير من خواص سلطنة الاستقلال فقال لي لم نحقر انفسنا ونحن في عين الناس عظماء وان قنصل الفرنسي يسلم لي الاستقلال الى ان قال وأمرني باعادة المكاتب فاعدتها بزيادة لفظ الوزير اهـ .

واعلم ان أول وزير سمي رسميا بهذا اللقب هو وزير العمالة مصطفى خزندار في عهد المشير أحمد باي الاول ولكن المؤرخين ومن هذا حذوهم من الكتاب وخاصة اهل الدولة واهل العلم كانوا يطلقون لقب الوزير على رجال البلاط ويعتوّنهم بذلك لان الوظائف المباشرة لها كانت مطابقة لحطة الوزارة في العرف بين الناس وممن اشتهر بذلك اللقب في اوائل العصر الحسيني على عهد المولى محمد الرشيد باي وأخيه المولى علي باي الوزير اسماعيل كاهية والوزير رجب خزندار والوزير مصطفى حفصه كاشتهار الوزير يوسف خوجه صاحب الطابع في ايام الباي حمودة باشا والوزير العربي زروق والوزير حسين باش مملوك والوزير شاكير صاحب الطابع والوزير سليمان كاهية والوزيرين الاخوين محمد ومحمد ابني محمد الاصم في دولة الباي حسين باشا بن محمود باي وءاخر تلك الطبقة من الوزراء بالصفة التي قرناها الوزير مصطفى صاحب الطابع صهر الباشا مصطفى باي . فلما ءالت الدولة لنوبة المشير أحمد باي وهو من علمت في حب الظهور والتعالى والتدرج في الحكم المطلق مع التغالي والطموح في مجاراة الدول ذات الرسوخ في المدنية وذلك رغم فقير هذه البلاد وعجزها في زمنه عن مذاهب الاسراف والتبذير الامر الذي ءال بها الى الافلاس في ءاخر ايامه رتب خطط الوزراء التي دخل عليها وءاضاف لها وزراء ءاخرين منهم وزير العمالة الذي تقدم ذكره وهذه الحطة تقابلها حطة وزير الداخلية في الاصطلاح الاروباوي ووزير البحر وكان يلقب قبل ذلك بأمين الترسخانة ووزير الحرب وكان هو صاحب الرغاية ووزير الخارجية وكان هو ترجمانه والواسطة بينه وبين القناصل المنتصين بتونس ومن هذه الحطة تولدت حطة مدير التشريفات في الدولة الصادقية ولكن بعنوان ءاخر قاصر على الترجمة وترتيب اساليب القبول في بعض المواكب ثم عزز طائفة الوزراء بالوزراء الاكبر وابقاه على وزارة العمالة والحق بهم الدولاتلي وهو نفسه الداي ولقبه بوزير التنفيذ فكان اصحاب الخطط الوزارية في دولة المشير احمد باي هم :

الوزير الأكبر - وزير العمالة - الحزندار - الباش كاتب - وزير الحرب - وزير البحر
وزير الخارجية - وزير التنفيذ

واتزعت من يومئذ الصبغة الوزارية من خطة صاحب الطابع ومن خطة الباش مملوك
واعلم ان اولئك الوزراء كانوا كلهم من طبقة المماليك حاشا الباش كاتب فانه كان من أهل العلم
ومن أبناء البيوت التونسية (١)

(١) كانوا ينتخبون صاحب هذه الخطة في الدور القديم من بين أهل العلم وكان الباش كاتب هو
الواسطة بين العلماء وبين الدولة وهذه الخطة عريقة في الدولة الحسينية وكانت موجودة ايضا في الدول
التي تقدمتها ولكنها تختلف عنها في التسمية فقط فكان الباش كاتب في عهد الدولة الحفصية هو رئيس
ديوان الانشاء وهذا اللقب كانوا ينعنون به في الدولة المرادية وفي اوائل الدولة الحسينية ايضا وكان من
وظائفه الرقابة على ضبط المجاني وحسابات الدولة وهذا هو الاصل في اقامة نائب عن وزير القلم في
هذا الزمان بادارة المال لتعقب حسابات العمال . اما الفضلاء الذين تولوا هذه الخطة في الدولة الحسينية
من اولها الى هذا الزمان فقد يسر الله لي جمع اسمائهم بعد عناء البحث الطويل واليك البيان :
ففي دولة المولى حسين بن علي تركي كان رئيس ديوان الانشاء والكتابة هو الشيخ الحاج
بلحسن السهيلي

وفي دولة الباشا علي باي الاول تولى تلك الخطة الشيخ عبد اللطيف السهيلي وقتل فتولاها بعده
الشيخ عبد الرحمن البقلوطي

وفي دولة المولى محمد الرشيد باي تولاهما الشيخ احمد بن محمد الاصرم
وفي دولة اخيه المولى علي باي الثاني عاد لها الشيخ عبد الرحمن البقلوطي
وفي دولة ابنه الباي حمودة باشا باشرها الشيخ عبد الرحمن المذكور وخلفه في الخطة الشيخ
الحاج حمودة بن عبد العزيز فالشيخ محمد بن حسين الدناوي فالشيخ محمد بن محمد الاصرم واستمر
على مباشرتها الى ان تولى مكانه اخوه الشيخ محمود الاصرم فكان هو الباش كاتب في دولة المولى
حسين باي الثاني

وفي دولة اخيه المولى مصطفى باي كان صاحب خطة الباش كاتب هو الشيخ محمد بن محمد الاصرم
وباشرها ايضا في اوائل دولة ابنه المشير الاول احمد باي وبقي على خطته مع الانقطاع عن مباشرتها
في بقية الدولة المذكورة وكذلك في مدة المشير الثاني محمد باي وتوفي في صدر دولة المشير الثالث
محمد الصادق باي سنة ١٢٧٧ وهذا الفاضل جمع بين عزة النفس وبين فصاحة القلم ورقة الادب ومن
شعره قصيدة فريدة تضمنت كثيرا من الرموز والاشارات لاحوال دولة متبوعه المشير احمد باي وهي
احدى خرائد الكثرة التي نسجت عليها عناكب النسيان لانها لم تخرج من بطون الدواوين لعالم
النشر فتظف منها ما به الحاجة هنا قلا عن كناش للكاتب الاديب المرحوم الشيخ حمودة تاج ومطلعها :

الصبر مفتاح لكل اياس فاصبر ولا تك للنصيحة ناسي

ومنها :

لهفي على ترشيش حتى قيل لي	وان الضنين بها وبالايناس
ما في وقوفك ساعة من باس	تقضي زمام الاربع الادراس
فانقض صبري والتجلد مطمعي	حريا على حال بغير قياس
فانجاب جنب الليل عن صبح الهدى	عن وجه احمد طيب الانقاس
احيي السرور وزال وجه الباس	وغدا الهناء لكل نادكاسي

وزير الخارجية الذي كان من أبناء الجنس الطلياني ولكنه كان في حكم المعاليك (١) ومن ذلك العهد اخذت تلك الخطط في التدرج نحو الصبغة الوزارية الحقيقية تبعاً لناموس التطور الطبيعي المستمد من التمدن الاروباوي الذي كان يزداد يوماً فيوماً بهذه السديار من وقت استيلاء فرنسا على الجزائر في سنة ١٢٤٦ فكانت الدولة التونسية في عهد المشير محمد الصادق باي قائمة على أركان متينة لها شبه من قريب بالوزارات في الدول المتقدمة حيث اقاموا بجانب كل وزير مستشاراً يعضده في المباشرة ورتبوا اقسام الخدمة واحدثوا خطة وزير القلم في سنة ١٢٨١ اضيفت

وتسوجت ترشيشنا بمليكمها وازدانت الدنيا بحسن لباس
واسود وجه عدوها حسداً لها وابيض وجه صديقها الوئاس

الى ان قال :

يا احمد الميمون في حركاته يا ابن المكارم يا ابا العباس
العدل اس للدوام مصيره والظلم ببيان بغير أساس
والنفس تأبى أن تضام حيلة فاكثل لها ما كاته للناس
والبيت لا يرسو بغير عمادة فاجمع اذا اوتاده بقياس
لا تصلح الدنيا ولا احوالها ما لم تكن أنت الطيب الاسي
واحذر مكائداً كل من صاحبه واعمل بما قد قيل في الخناس
اني سبرت الخلق طراً اصبحوا فوضى بلا كيل ولا مقياس

ولما التحق الشيخ محمد الاصرم بالدار الآخرة في سنة ١٢٧٧ كما سلف ذكره بقيت خطة الباش كاتب بحال شغور الى سنة ١٢٨١ وفيها تقدم للخطة عن جدارة واستحقاق العلامة الشيخ محمد العزيز بوعتور من خريجي جامع الزيتونة ومن بيوت المجد وهو اول من تولى خطة وزير القلم في السنة المذكورة أحدثها لأجله المشير محمد الصادق باي لجملة في منزلة واحدة مع بقية وزرائه لأن خطة الباش كاتب ادركها يومئذ الوهن والضعف بسبب ابتعاد صاحبها عن ساحة الدولة مدة تقرب من عشرين سنة فاصدر له الباشاي امراً بولايته باش كاتب وامراء اخر بولايته وزيراً للقلم ثم اضاف له وزارة المال ولقبه بعد ذلك بوزير الاستشارة ويعتقد كثير من اهل هذا العصر ان الشيخ احمد بن ابي الضياف تولى خطة الباش كاتب ووزارة القلم والحقيقة انه لم يتول الواحدة ولا الاخرى . نعم انه ترجع له مزية تهذيب اساليب ديوان الانشاء بالدولة لانه اول من امتلك بتونس كتاب نفح الطيب قالوا انه ابتاعه يومئذ بالف ريال ومائة ريال واستفاد منه وافاد وكان لقبه الرسمي كاتب سر الدولة واتفق له مباشرة خطة الباش كاتب بالنيابة في كامل المدة التي احتجب فيها صاحبها الشيخ محمد الاصرم لما كان عليه من حدة الطبع الامر الذي دعى سمو الباشاي للاعراض عنه ولكن المشير محمد الصادق باي تفضل عليه بلقب وزير وهذا اللقب بقي اسمه مقروناً به الى هذا الزمان . واما الاعيان الذين تقدموا لخطة الباش كاتب ووزارة القلم بعد الشيخ محمد العزيز بوعتور فقد ذكرنا اسماءهم بقائمة الوزراء في عصر الحماية

(١) هو أمير الامراء الكونت جوزاين رافو من بيوت المجد الطلياني التحق بالبلاط الحسيني في عهد المولى مصطفى باي وتدرج في المناصب العالية وقام بالمأموريات الهامة في دولة المشير احمد باي فكان وزيره للخارجية توفي بباريس في ٢ أكتوبر ١٨٦٢ ونقل جثمانه ودفن بتونس وخلفه في خطة الترجمة ابنه امير الامراء الكونت فيليكسن رافو وتوفي في ١٩ اشتهر ١٨٧٢

للباش كاتب ليكون في صعيد واحد مع وزراء الدولة فهما خططان اثنتان لا خطة واحدة جمعهما سمو الباي محمد الصادق لأول مرة في شخص كاتب سره الشيخ محمد العزيز بوعتور وأضاف له في سنة ١٢٩٠ لقب وزير الاستشارة وفيما بين ذلك قلده خطة وزير المالية في سنة ١٢٨٣ فكان وزيرا للمال بلا مال لأن صناديق الدولة كانت يومئذ أفرغ من فؤاد أم موسى كما تفضل بلقب الوزير على كاتب سر الدولة الشيخ أحمد بن أبي الضياف ومات هذا اللقب مع صاحبه في سنة ١٢٩٩ وأحدثوا تبعاً لذلك خطة كاتب سر الوزير الأكبر (١) نيطت بعهدة أمير الأمراء الشيخ محمد البكوش وفي سنة ١٢٨٦ أحدث الباي خطة الوزير المباشر وهي خطة لها شبه من قريب بخطة الكاتب العام في عهد الحماية وسنعود للكلام عليها قريباً ثم أحدث الباي لقب وزير الشورى بعنوان الوزير محمد خزندار وأضاف لقب وزير استشارة لمستشار المعارف حسين المملوك وكلفه مع ذلك بالنافعة وهي الاشغال العامة وجعل للوزير المباشر المتقدم ذكره وهو المرحوم خير الدين حق النظر على كافة الوزارات واليك نص الامر العلي (٢) الصادر في تسميته مع بيان سلطته ووظائفه :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله تعالى اعماله وبلغه من ثمرات النجاح ما يلهي الى من يقف على أمرنا هذا من أبناءنا امراء الامراء اعيان الوزراء وأمراء الالوية وأمراء الالايات وقائمي المقامات وأمناء الالايات والبنباشية وكافة الجنود العسكرية والقواد والمخازنية وسائر أولي الولايات فيما لنا من الجهات أصلح الله أحوال جميعهم وأجرى على نهج السداد جميع صنيعهم . اما بعد فانا بمقتضى أمرنا المؤرخ بيوم التاريخ المتضمن ما ظهر لنا من المصلحة وهي جعل الوزارة الكبرى مركبة من وزارة العمالة والخارجية والمال والنظارة على وزارتي الحرب والبحر اولينا الهمام المفخم نخبة الاعيان وعمدة أهل المجد والشان أمير الامراء الوزير ابننا خير الدين يباشر خدمة الوزارة الكبرى تحت رئاسة جناب وزيرنا الأكبر ويلقب في خطابه ومحاطباته بالوزير المباشر فليقم بخطة علما بمقدارها متصفا بما يحمد من جميل اثارها وعلى سائر رجال دولتنا اعانة ابننا المذكور على خدمته وتيسير أسباب نجاحها والله ولي اعاته وتوفيقه الى نهج النجاح وطريقه . وكتب في ١٥ شوال المبارك سنة ١٢٨٦ هـ

(١) خطة كاتب سر الوزير الأكبر في الدور القديم وقع الفاؤها عند ما نقض الوزير مصطفى خزندار يده من الوزارة الكبرى لأن خلفه في الخطة الوزير خير الدين أعاد ترتيب الوزارات على قواعد جديدة في سنة ١٢٩٢ وجعل كتابة السر من مشمولات خطة رئيس القسم الاول وهكذا استرسل الامر في مدة الوزراء الاولين في عهد الحماية الى ان تولى الوزارة الكبرى المرحوم ابو النخبة مصطفى دقزلي فاجبا تلك الخطة واسندها لكاهية رئيس القسم الاول وهو السيد مصطفى صفر شيخ المدينة الحالي

(٢) احتوت مكتبتنا ضمن ما لدينا من الوثائق التاريخية على عين المرسوم الملوكي الصادر بولاية الوزير خير الدين خطة الوزير المباشر

فكان للدولة التونسية في سنة ١٢٨٦ ثمانى وزارات منوطة بمن يأتي ذكرهم
 الوزير الأكبر - الوزير المباشر - وزير العمالة - وزير الخارجية - وزير القلم وباش
 كاتب - وزير المال - وزير الحرب - وزير البحر
 ويستفاد من كتاب صفوة الاعتبار ان اربعة من هذه الوزارات كانت يومئذ بيد الوزير مصطفى
 خزندار قال في صفحة ٢٣ من الجزء الثاني عند التعرض لذكر مرتبات هذا الوزير

١٤٠.٠٠٠	مرتبه على الوزارة الكبرى
٦٠.٠٠٠	مرتبه على وزارة العمالة
٦٠.٠٠٠	مرتبه على وزارة الخارجية
٦٠.٠٠٠	مرتبه على وزارة المال
٦٠.٠٠٠	مرتبه على نيشان ءال البيت الحسيني الذي هو حامل له
٣٨٠.٠٠٠	الجملة ريات

وهذا المقدار يساوي نحو المليون ونصف من الفرنكات بصرف هذا الزمان . ثم الغيت خطة
 الوزير المباشر بدسائس من كادهم امره بالبلاط الصادقي
 هذا ما يتعلق بنظام الوزراء قبل الحماية . وستحدث في العدد الاقبي ان شاء الله عن نظام الوزراء
 من عهد الحماية الى اليوم .
 محمد بن الحوجة

المعروف

المعروف هو الصفة التي رغب فيها رسول رب العالمين قال عليه الصلاة والسلام كل معروف
 صدقة وانما يختار له محله الذي هو اهل له . قال خالد بن صفوان : لا تصنع المعروف الى ثلاثة :
 الفاحش والثلثم والاحق فاما الفاحش فيقول : انما صنع هذا (٣) اتقاء لفحشي ، واما الاحق فلا
 يعرف المعروف فيشكره ، واما الثلثم فكالارض السبخة لا تشعر ولا تنمي . فاذا (٤) رايت السري
 فدع المعروف (٥) عنده واستحصد الشكر ، وانا لك الضامن .

الشرف الحسيني والحسيني

وجد بالقيروان من أواسط الدور الاغلبى

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد
احد اعيان العدول بمدينة القيروان

يوجد الى اليوم بمقبرة قريش المعروفة سابقا بالمقابر الغربية والآل بالحناح الاخضر قبران متلاصقان يعرفان الى اليوم بقبري الحسين عليهما عمود من الصخر الايض مكتوب عليه (١) بالخط الكوفي المحفورة حروفه الدال على انها كتبت في أواسط وأواخر الدور الاغلبى غير انه لا يوجد به تاريخ وفاة احد الاخيرين ومع ذلك فهو ادل دليل على ان وفاتهما كانت في اواخر المائة الثانية للهجرة وبكل تقدير لا يمكن ان تكون بعد المائتين والحسين لانهم لم يستعمل عندهم في ذلك العصر ذكر تاريخ الوفاة على القبور ولو لمشاهير الرجال مع شهرة تلك القبور وامكنتها وزيارة الناس لها الى اليوم وها هي قبور اشهر مشاهير الرجال موجودة الى اليوم ولا كتابة عليها كقبر ابراهيم بن الاغلب بن سالم التميمي اول ولاة بني الاغلب لبني العباس ولاة الرشيد العباسي اماراة افريقية سنة ١٨٤ ووفاته سنة ١٩٩ وقبرة بمقبرة باب نافع معروف الى اليوم مشهور عند جميع الناس حتى الصبيان وكذا يقال في قبر سحنون الذي لم يوضع عليه الى اليوم ما يشعر بوفاته عام ٢٤٠ مع شهرته النادرة المثال واعتناء الناس بزيارته الى اليوم

وكذا يقال في قبر ابنه محمد وحفيدة الذين اقام سؤدد العلم بدارهم مائة ونيفا وعشرين سنة الى غير ذلك من مشاهير العلماء والتابعين

وانما حب الناس عموما في مال البيت دعا الناس لتشهير هذين الحسين الصميمين فجعلوا هذا العنود على قبريهما والتوي به بال النبي صلى الله عليه وسلم الا كرمين وذكر خصائصهم الواردة في السنة ولا حاجة تدعوهم لذكر تاريخ الوفاة

وهذا لا يحملنا على اهمال معرفة وفاتهما ولو على سبيل التقريب والقياس وذلك بعدة طرق منها انا اذا عملنا بالقاعدة المعمول بها من كثير في مثل هذا الشأن - ونسبت لابن خلدون - وهي ان القرن اعني المائة ستة ثلاثة احيال ، وعددنا الآباء بين هذين الحفيدين وجدتهما سيدنا الحسن السبط رضي الله عنهم نجدهم من والدهما احمد لجدتهما الحسن السبط ستة آباء فيكونان موجودين في اواخر المائة الثانية من وفاة جدتهما الحسن السبط رضي الله عنهم

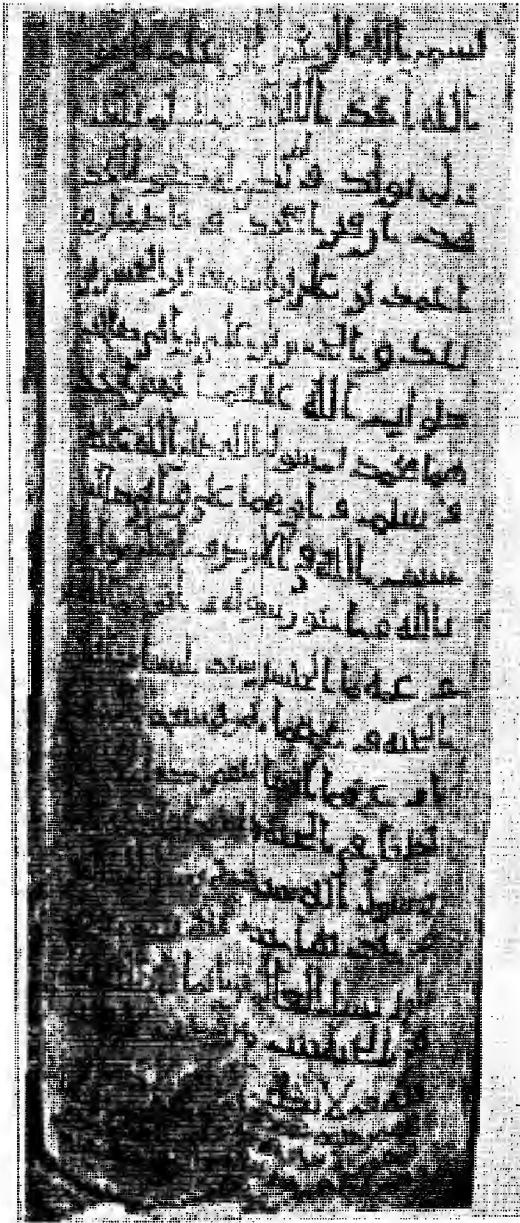
وهناك طريق آخر وهو طريق القياس وربما جاء مؤيدا ومدعما لما تقدم وهو ان التاريخ حكى لنا ان من الملوك الادريسيين بمراكش محمد (١) بن ادريس (٢) الاصغر بن ادريس (٣) الاكبر بن عبد الله (٤) بن الحسن (٥) المثنى بن الحسن (٦) السبط ولي عام وفاة والده ٢١٣ وتوفي عام ٢٢١ ومثله الشريف الحسيني المشهور بابن طباطبا وهو محمد (١) بن ابراهيم (٢) بن اسماعيل (٣) ابن ابراهيم (٤) بن الحسن (٥) بن الحسين (٦) بن علي بن ابي طالب الذي قدم على المهدي العباسي فاجازة باربعين الف دينار وباعه الناس وقتل بمكة سنة ١٦٩

فاقتضت هاته الاقيسة وهذا التقدير ان هذين الحسينين توفيا قبل عام ٢٥٠ للهجرة واما الشرف الحسيني بالقيروان والكلام على السادة وال عوالة فيستتبع هذا بحوله تعالى

مثال العمود الذي على قبري الحسين

بيان مارسم على العمود

- ١ - بسم الله الرحمن الرحيم قل هو
- ٢ - الله احد الله الصمد لم يلد
- ٣ - ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد
- ٤ - هذان قبري محمد وفاطمة ابني
- ٥ - احمد بن علي بن اسمعيل بن الحسن بن
- ٦ - ابي بكر بن الحسن بن علي بن ابي طالب
- ٧ - صلوات الله عليهم اجمعين حد
- ٨ - هما محمد رسول الله صلى الله عليه
- ٩ - وسلم وابوهما علي بن ابي طالب
- ١٠ - سيف الله في الارض واول من امن
- ١١ - بالله واخو رسوله وابوهما الحسن
- ١٢ - وعهما الحسين سيدا شباب اهل
- ١٣ - الجنة وعهما حمزة سيد الشهداء
- ١٤ - وعهما ايضا جعفر ذا الجناحين
- ١٥ - الطيار في الجنة وامهما فاطمة بنت
- ١٦ - رسول الله سيدة نساء العالمين
- ١٧ - وجدتهما خديجة بنت خويلد
- ١٨ - اول نساء العالمين ايماناً بالله لها
- ١٩ - في الجنة بيت من قصب لا صخب
- ٢٠ - فيه ولا نصب هولا صفوة
- ٢١ - الله من خلقه محمد فاهل بيته الطيبون
- الاخير
- ٢٢ - المتقون الابرار الذين اذهب الله عنهم الر
- ٢٣ - جس وطهرهم تطهيراً رضي الله عنهم اجمعين



(٧) ذكر الصلاة هنا عوض قوله وضي الله عنهم دلنا على ان الكتابة في هذا العمود تاريخاً متاخراً عن تاريخ وفاة هذين الاخوين وذلك لان الصلاة على علي وعاله انما حدثت من عهد العبيديين ويشعر هذا انما اتى ابو العباس الصنعاني اخو عبيد الله المهدي بجيشه لقتال زيادة الله بن الاغلب آخر ملوك بني الاغلب سنة ٣٩٦ وقر منة الاخير وحل بقصر ابراهيم بن احمد بن الاغلب بن قادة وجاءه اهل القيروان مسلمين عليه ولم يكن من بين علمائهم ابو عثمان سعيد بن محمد الغساني المعروف بابن اعداد المولود بالقيروان سنة ٢١٩ والمتوفى بها سنة ٣٠٢ ارسل اليه ابو العباس وما جاءه ناظرة في عدة مجالس قال له في اولها انتم تبغضون علياً يا اهل المدينة (يعني المالكية) فقال ابو عثمان علي مبغض علي لعلة الله والملائكة والناس اجمعين وكيف ابغض علياً وقد سمعت سحنون بن سعيد (شيخه الذي اخذ عنه) وهو امام اهل المدينة بالمغرب يقول علي بن ابي طالب امامي في ديني اهتدي بهديه واستن بسنته رجة الله عليه فقال ابو العباس بل صلوات الله عليه قال ابو عثمان فرفعت صوتي وقلت ان الصلاة في كلام العرب الدعاء وقلت قال الامشي تقول بنتي وقد قربت مكرت حلا يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا عليك مثل الذي صليت فافتنمي نوماً فان جنب الممرء مضطجعاً قال ابو عثمان ثم قلت نعم فصلى الله على علي بن ابي طالب والحسن والحسين واهل طاعة الله اجمعين من اهل السماوات والارضين الخ ما ذكره ابو العرب في طبقات علماء آفة يقية

الفتاوى والاحكام

ورد على ادارة المجلة الاسئلة الآتية وقد اجاب عنها العالم الفاضل الشيخ علي النيفر المدرس المالكي من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة :

س (١) - ما قولكم في امام جمعة تأخر عن الحضور بالجامع يوم الجمعة حتى ايس من حضوره الجماعة وقرب وقت العصر فقدموا من بينهم من صلى بهم الظهر لعدم من يحسن الخطبة منهم وبفراغهم من الصلاة جاء الامام فهل يؤدون معه صلاة الجمعة ام لا ؟

(الجواب) ان هؤلاء الجماعة معذورون في تركهم الجمعة وادائهم لها ظهرا حيث كاد يخرج وقت الجمعة الاختياري ولم يكن فيهم من يحسن الخطبة اذ من المعلوم ان الخطبتين شرط صحة في صلاة الجمعة قال خليل عاطفا على شروط صحة صلاة الجمعة ما نصه - وبخطبتين قبل الصلاة معد تسميه العرب خطبة اه - وحيث زال عذرهم بحضور من يحسن الخطبة وهو امامهم الراتب وجب عليهم اداء الجمعة معه ولو كان ذلك في وقتها الضروري الممتد الى الغروب لان وقت صلاة الجمعة هو وقت صلاة الظهر قال خليل ما نصه - او زال عذره - قال عبد الباقي في شرح هذه العبارة على طريقة المزج حسب عاداته ما نصه - (او زال) عمن صلى الظهر لعذر (عذره) ويدرك مع الامام ركعة فانها تجب عليه - اه

س (٢) - ما قولكم في واقعة حال صورتها ان هناك قرية لا تقام بها الجمعة يصلي اهلها الجمعة بقرية اخرى تبعد عنها نحو الاربعة اميال مات بعض اهل القرية الاولى يوم جمعة فرأى اهل قريته ان الاولى الاشتغال بمؤن تجهيزه ودفنه وان كان ذلك مؤديا بهم الى ترك صلاة الجمعة لانهم اذا أخرجوا ذلك الى ما بعد صلاة الجمعة تأخر امر الجنائزة الى ما بعد العصر وربما لم يفرغوا منه الا مع الغروب واراد امام قرية الجمعة تأخير امر الجنائزة الى ما بعد صلاة الجمعة ليتسنى الجمع بين الفضيلتين وتنازع الفريقان في ذلك فما وجه الصواب في هذه القضية

(الجواب) ان ما رآه اهل القرية من المبادرة بتجهيز الميت المؤدي الى تركهم صلاة الجمعة هو الحق سواء خيف على الميت التغير بسبب التأخير ام لم يخف عليه ذلك اما في الصورة الاولى فلقول حافظ المذهب ابن رشد - ومما يبيح التخلف (اي عن صلاة الجمعة) الاشتغال بجنائزة ميت ينظر في امرة اذا لم يجد من يكفنه وخشي عليه التغير ان اخره لصلاة الجمعة اه - اما في الصورة الثانية فلقول الامام ابن الحاج في المدخل (ويصلح ان يكون دليلا للصورة الاولى ايضا) ما نصه قد وردت

السنة ان من إكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه وكان بعض العلماء يحافظ على السنة اذا جاءوا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر اهله ان يخرجوا الى دفنه ويعلمهم ان الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة اهـ . قال العلامة الاجوري ما نصه - ظاهر المدخل ان السنة ما ذكر حيث دخلوا به وقت الخطبة وان لم يخش تغييره ولا خشي عليه الضياع اهـ فاذا كان تاخير دفن الميت بمقدار صلاة الجمعة بدعة يتحاشى عنها فتاخيرها الى الغروب اشد ابتداء خصوصا اذا اضمنا الى ذلك كله عدم وجوب صلاة الجمعة على اهل قرية الميت حيث كان بين قريتهم وقرية الجمعة مسافة لا يجب عليهم بها السعي لصلاة الجمعة

س (٣) ما قولكم في حادثة تشبه الحادثة قبل هذه غير ان قرية الميت تقام بها الجمعة والخطيب هو الغاسل والوقت عند الزوال ايها اولى للامام تقديم الجنازة وتاخير صلاة الجمعة الى وقت اصفرار الشمس ام تقديم صلاة الجمعة وتاخير الجنازة الى الاصفرار

(الجواب) ان السنة في الجنازة ان لا تاخر كما تقدم عن ابن الحاج في المدخل والامام يصلي الجمعة بالناس ويتولى غسل الميت غيره الا اذا لم يوجد من يحسنه سواه فهنا يبادر بغسل الميت وجوبا ان خشي على الميت التغير واستحبابا ان لم يخش تغييره ويؤم غيره في صلاة الجمعة الا اذا كان اهل القرية كلهم اميين فيصلونها ظهرا في آخر وقتها الاختياري ويبعدونها جمعة ان لم تغرب الشمس فان قدم الامام صلاة الجمعة على غسل الميت في هذه الصورة الاخيرة فليصل على الميت قبل الاصفرار او بعد الغروب لكراهة الصلاة على الميت بعد الاصفرار وحرمتها وقت الغروب والله اعلم
علي النيفر

حكم اخلاقية

قال ابو الحسن علي بن محمد الصفاني :

الحزم لسد الاراء . والغفلة اضر الاعداء . ومن قعد عن حليلته اقامته الشدائد . ومن نام عن عدوه انتهت المكائد . ومن سالم الناس سلم . ومن قدم الحزم غنم . ومن لزم الحلم لم يعدم السلم . ومن ضعف رايه قوي ضده . ومن ساء تدبيره اهلكه حيله . والغرة ثمرة الجهل . والتجربة مرآة العقل والصبر على الغصة يؤدي الى الفرصة . ومن استرشد غويا ظل . ومن استجده ضعيفا ذل . ومن ضل مشيرة قل نصيره . والاناة حسن . والتودد يمن . ومن نام عن نصرة وليه . اتبه بوطأة عدوه . ومن دام كسله خاب امله . والعجول مخطيء وان ملك . والمشد مصيب وان هلك . ومن بان عجزه . زال عزه . ومن استبد برايه خفت وطأته على اعدائه . والرفق مفتاح الرزق . ومن نظر في العواقب . سلم من النوائب .

الوعظ والحمد لله

تزكية النفس

خطبة منبرية للعالم الفاضل الشيخ الجيلاني
حمزة الامام بجامع مصطفى بالمهدية

الحمد لله الذي جعل قواعد الاسلام كلها وسائل لتزكية النفوس من الشرك والفساد، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له امرنا بتزكية نفوسنا لان في ذلك الفلاح والساد. واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله كان يحب الخير لجميع العباد، اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه السادة الامجاد، وسلم تسليما كثيرا. ايها الاخوان ان اعمال الخير اثر الايمان ولا يكون المرء مؤمنا الا اذا كان لاعتقاده الباطن اثر في عمله الظاهر اما من اكتفى من الاسلام باسمه، ومن الشرع برسمه، ثم لا يكون لذلك اثر في تزكية نفسه، فهو من المنافقين، وان صلى وصام وزعم انه من المسلمين، لان مخالفة الظاهر للباطن اية النفاق والمنافقون في الدرك الاسفل من النار، ولهم في الآخرة الحزني والعار. اني اعجب يا عباد الله اشد العجب لمن يعتني بتنظيف نعله وثوبه ولا يعتني بتنظيف قلبه وهو يعلم ان وسخ النعل والثوب لا يورثان في الآخرة عذابا، ولا يشددان على النفس حسابا، وان وسخ القلب بالحق والحسد والبغض يجعل القلب في خراب ويسود الصحيفة والكتاب ويجعل بين صاحبه وبين الله كثيف الحجاب. اني احب للمسلم ان يعتني بتنظيف جسمه وثوبه لان النظافة من الايمان والوسخ من الشيطان لكني لا احب للمسلم ان يوجه معظم عنايته لنظافة ظاهره واهمال باطنه لئلا يكون غاشا والغشاش ليس من المسلمين. ولا من اتباع النبي الناجين. ان من الناس من ترى بضاعته كلاما في كلام، ظاهرة سلام وباطنه خصام، يحسب ان شهادة لسانه وحركات جسمه بالصلاة وتحريك شفثيه بالتسبيح هي كل شيء في الاسلام او هي كافية ليحسب في عداد المتقين ونسي ان قواعد الاسلام كلها وسائل تؤدي الى غاية مثل هي تطهير النفوس من النفاق، والتجمل بمكارم الاخلاق. تاملوا عباد الله في قول الله عز وجل (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وقول النبي صلى الله عليه وسلم من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا تروا ان العبادة البدنية لا تقع موقعها من رضاء الله تعالى الملك الديان الا اذا ادت الى تزكية النفس من جميع

الموكلات والادراة . لما لها من الاثر البين والنفع الظاهر في مصالح البشر والدنو من مواطن الخير والبعء عن مواطن الشر لذلك قال بعض علمائنا المتقدمين (ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن اعراض الناس) وكما قلنا في الصلاة فكذلك في الزكاة فان المال شقيق الروح فمن جاد بماله على الفقير ابتغاء مرضاة ربه عظمت في عينه الحياة الباقية وصغرت الفانية واستار قلبه بنور الايمان واقام البرهان على صدق نسبته الى الاسلام واتباعه لاوامر الملك الديان وكذلك الحج فهو الدواء الاجتماعي لمرض الفرقة بين الامم ، ولتذكر يوم القيامة والعرض على محبي الرمم ، الذي بالاعادة للحياة حكم ، وبالجملة فانكم لا تجدون قاعدة من قواعد الدين الا كانت غايتها تزكية النفس وجعلها تقية طيبة لان الجنة طيبة لا يدخلها الا طيب ولهذا تقول لهم الملائكة (سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين) وقال تعالى (الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة) فكل هذه الآيات والاحاديث الشريفة صريحة في انه لا سبيل الى تزكية النفس الا سلوك طريق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لانه هو الموصل الى طريق الله قال تعالى (وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) فطريق الله منهج المؤمنين الصادقين والحصن الحصين للخائفين ، فمن سلك غيره اخطأ مراده ولاقى يوم الجزاء كل الهوان والبلاء الممين . فما بالكُم ايها المسلمون لا تتبهون وقد كونتم الحوادث بنيرانها كما ما بالكُم لا تحرصون على ان تكونوا عاملين صادقين مستقيمين كما امركم رب العالمين ما بالكُم اعرضتم عن تعاليم الدين واتبعت الشيطان اللعين فمن اكبر افات الامم يا عباد الله ان يهاون اهلها في امور دينهم فيبوءوا بالنكاح والحسران الممين وفي التنزيل من النذر ما لو قرع الاسماع الواعية لصد القلوب الجاحمة عن غوايتها ولرد النفوس النافرة الى هدايتها ، من ذلك قول الله عز وجل « أفأمن الذين مكروا السيئات ان يخسف الله بهم الارض او ياتهم العذاب من حيث لا يشعرون او ياخذهم في قلوبهم فمأهم بمعجزين او ياخذهم على تخوف فان ربكم لرؤوف رحيم » ان الاسف يملا اقتدتنا يا عباد الله في هذه السنين لانهار صرح الدين والاسى يفتت الاكباد لازدياد الفساد فاننا لا نعلم زمانا اجترأ فيه الناس على الباطل كهذا العصر الذي يسمونه عصر العلم والحضارة والنور وما هو في الحقيقة العصر الفسق والكذب والغش والزور والبهتان والتعلق والحيانة والتضليل وجميع انواع الفجور ، كأن الاختلاق ونقض العهد من خلال الخير التي يتنافس فيها المتنافسون . ويسارع اليها المؤمنون ، والله لولا ايماننا وبقيننا بان الله جل وعلا رفع البلاء العام والاستئصال التام لكننا اول المنتظرين للطوفان الذي لا عاصم منه او للطير الابايل التي ترمي الناس بحجارة من سجيل ذلك اتنا نرى المسلم كل يوم ضاربا بسيف الاعتداء في رقاب اخوانه المسلمين لا يألو جهدا في الاضرار بهم والنيل منهم ويزعم مع ذلك انه من المصلين وهو في الحقيقة من اكبر المنافقين بل ان ابليس خير من هؤلاء الكذابين الدجالين لان ابليس كان عاقلا وصادقا في قوله حين قال « رب بما

اغويتني لازين لهم في الارض ولا غوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين » فقد صرح بانه يزين للعباد ويغويهم ولم ينافق ولم يخادع ولم يكذب واعلم انه يستثنى منهم المخلصين . فالله الله عباد الله اتقوا الله وطهروا قلوبكم من جميع الاحقاد والاضغان وتذكروا هول الموقف وزفرات النيران واستعدوا اليوم تشيب فيه الولدان فالكيس الحكيم هو الذي يشمر عن ساعد الجد ويعد العدة لمواصلة السير والعدة هي الزاد في السفر ، فالمسافر بالزاد يبلغ مراده ويحصل ما أمله من وطر واليكم عباد الله عدة السفر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر

اولا - الاحسان في جميع الاعمال ومعنى الاحسان ان تراقب الله في جميع شؤونك كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك ومن راقب الله استحي ان يراه حيث نهاه او يفقده حيث امره ودعاه فان زلت قدمه استعفر لذنبه ومن يغفر الذنوب الا الله ثم عاد الى المراقبة فلا ياتيه الموت الا وقد اعد نفسه للرحيل زادة التقوى في هذه الدار فاذا مات دخل الجنة مع الابرار - ثانيا - الاخذ بالحلال وترك الحرام فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان الله طيب لا يقبل الا طيبا وان الله اعر المؤمنين بما امر به المرسلين فقال تعالى (يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا) ثم ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر يمد يده الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فاني يستجاب له - فمن اكبر الدواعي الى تزكية النفس الاخذ بالحلال في جميع الاحوال - ثالثا - ذكر الله (قال تعالى واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال) ولا تكن من الغافلين ففي الذكر حياة للقلوب وتزكية للنفوس وهو نعم الرفيق في وقت الضيق ، وفي القبر عند فقد الاهل والصديق ، فمن ذكر الله ذكر ومن هجره هجر

اسأل الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير ان يعيننا على طاعته ويغسل قلوبنا من جميع الاوساخ والادران ويحفظنا من معصيته وكيد الشيطان حتى نكون من الصالحين انه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير الا ان احسن ما تتشف به اذان المؤمنين كلام مولانا رب العالمين

اعوذ بالله من الشيطان الرجيم

ونفس وما سواها فلهما فجورها وتقواها قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها

عمر ابن الخطاب

كما يصفه صمصمة بن صوحان رضي الله عنهما .

قال معاوية بن ابي سفيان لصمصعة : صف لي عمر بن الخطاب ؟ فقال : كان عالما برعيته . عادلا في قضيته عاريا من الكبر . قبولا للعذر . سهل الحجاب . مصون الباب . متحررا للصواب . رفيقا بالضعيف غير محارب للقريب . ولا خاف للغيرب

كلمة حول

ولاية الشيخ محمد المختار بن محمود

مفتيا حنفيا بالديار التونسية

بعد ظهر يوم الخميس السابع عشر من شهر رمضان الماضي شرف الجنب العالي صاحب المملكة التونسية الحاضرة في موكبه الفخيم وبعد جلوسه على عرش الامارة بسراية المملكة مثل بين يديه العالم الجليل المدرس الشيخ محمد المختار بن محمود الذي ابلاغه شيخ المدينة امير الامراء سيدي مصطفى صفر في اليوم قبله استدعاء الملك الجليل بالحضور على الساعة الثانية بعد الزوال (كما هي السنة الجارية عند ارادة اسناد ولاية شرعية) وبعد ان قدم الشيخ فروض التحية والاجلال للحاضرة الشامخة العلية دام لها العز والتأييد . تقدم صاحب المعالي امير الامراء سيدي عبد الجليل الزاوش وزير العدلية نحو الشيخ وسار به الى غرفة خاصة حيث خلع عليه شعار الحطة

وتقدم بالشيخ امام الامير فاستوى الامير الجليل قائما مستقبلا فضيلة الشيخ وبعد تقديم فروض الطاعة واستواء الامير على كرسي المملكة اعلم صاحب الدولة المولى الوزير الاكبر امير الامراء سيدي الهادي الاخوة ان سيدنا ومولانا قلد الشيخ محمد المختار بن محمود خطة الفتيا على المذهب الحنفي يتولاها على بركة الله وتوفيقه متحليا بفضائلها ناهجا فيها منهج العلماء الاتقياء الازكيا امثاله فتقدم فضيلة الشيخ والقي بين يدي الملك خطابا بليغا مؤثرا (١) :

وعلى اثر الولاية وقع تنصيب فضيلة الشيخ بالمحكمة الشرعية حيث ذهب اليها يصاحبه جناب شيخ المدينة فتلقاه اصحاب الفضيلة شيوخ المجلس الشرعي بقاعة المجلس فابلق جناب شيخ المدينة الى فضيلة مولانا شيخ الاسلام سيدي محمد بن يوسف الولاية الصادرة من الملك فتلقاها فضيلته بكل حبور واجلس الشيخ في منصبه الشريف كمفتي خامس في الدائرة الحنفية . وقدم لفضيلته شيوخ المجلس اجملا تهنيتهم وتمنياتهم بهذه الولاية المباركة التي اسندت لمن هو جدير بها والشيخ بن محمود عرفه قراء المجلة من يوم تأسيسها رئيسا لتحريرها وعرفوه بابحائه القيمة ومقالاته التي دبجتها بيراة السيلة ، فلاقت من نفوسهم كل اكبار وتقدير ، الامر الذي ترك القراء يقدمون الى الادارة كل ثناء وتشجيع .

ولا غرو فان نفسا مثل نفس فضيلته انطبع فيها حب الخير العام الى اقصى حد . وهو لا يألو جهدا في الاصلاح كلما وجد اليه سبيلا ، فهو حفظه الله منذ نعومة اظفاره اشرأت نفسه الى الاصلاح

تجده باحثاً ومجدداً في سيرة عظماء الاسلام المصلحين حتى يسير على خطاهم ويقتدي بسيرتهم المثلى في الارتقاء بالمجتمع العلمي الخاص والمجتمع العام حسب المستطاع وكلها تهيأت الاسباب وساعدت الظروف فشارك في المؤسسات العامة والخاصة والجمعيات على اختلاف مشاربها . وتحاريره القيمة في المجالات والصحف السيارة ذات صبغة خاصة بما تفيض عليها نفسه الطاهرة الطموحة فهي المنهل العذب الذي يستقي منه الضمآن

ولقد عرف الناس الشيخ ابن محمود خطيباً ومحاضراً كما عرفوه محرراً ومدرساً وحاكماً في المجلس المختلط ، فعا من جمعية عليّة او اديبة الا ورغبت منه ان يساهم في انتاجها العلمي والادبي فاعتلى منابرها وحاضر الجمهور في اغراض هامة . وما صدى محاضراته التي القاها على منبر جمعية قدماء الصادقية عن (المرأة المسلمة) التي لاقت كل اعجاب من الحاضرين وقدرها الخاصة ايما تقدير عنا بعيد فالشيخ مشهود له من الكفاة بالباع الطويل والعبقريّة النادرة وحسن التوفيق والايمان الكامل لا تأخذه في الحق لومة لائم يجاهر بآرائه وينصاع للحق . يخاف الله ويخشاه . تقي نقي ذو محبائل وعلوهمة لا يعبأ بسفاسف الامور طموح الى المعالي ، منقطع للادب والعلم يدافع عن كرامة العلم والعلماء ، بلغ به اخلاصه لجامع الزيتونة والزيتونيين الى ابلاغ مدى ولا جرم فان الشيخ ولد في مهد زيتوني عليّ ونشأ تحتضنه الفضيلة ، وترعاه المروءة ولما شب واناشر صدره القراءان الذي حفظه عن ظهر قلب اضطرط في سلك تلامذة المعهد الزيتوني سنة ١٣٣٤

وتدرج في سلم مراتبه الى ان نال اعجاب شيوخه الجلسة قبل ان ينال شهادة المعهد الثانوية سنة ١٣٤١ ولما ارتقى الى مزاولة علوم التعليم العالي اقبل عليها بنفس النشاط الذي كان عليه قبل بل ابلاغ فاخذ التفسير عن شيخ الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف وشيخ الاسلام المالكي سيدي محمد الطاهر بن عاشور ادام الله النفع بهما . وحضر دروس المحلي على فضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط والمنعم الشيخ محمد بن القاضي ودلائل الاعجاز والمطول على فضيلة شيخ الاسلام المالكي وفضيلة الشيخ بلحسن النجار المفتي المالكي ، والدرر على الامام الشيخ محمد بيرم المفتي الحنفي والعلامة المنعم الشيخ عثمان بن الحوجه والحديث على الشيخ محمد العزيز جعيط والشيخ بلحسن النجار .

وفي سنة ١٣٤٤ ارتقى الى خطة التدريس من الرتبة الثانية وفي سنة ١٣٥١ ارتقى الى خطة التدريس من الرتبة الاولى وفي سنة ١٣٤٥ اسندت اليه خطة حاكم نائب بالمجلس المختلط العقاري وفي سنة ١٣٤٩ عين حاكماً رسمياً به ثم عين مدرساً بالمدرسة الصادقية .

ولقد زان كل المناصب التي تولاهها بجدارة واخلاص الامر الذي دعى الملك الاميل لانتخابه لخطة الافناء ذات المقام الاسمي لما يتوسم في حضرته من عظيم الجدارة ليقوم باعبائها احسن قيام ويشد عضد رجال المجلس الشرعي العلي انار الله بهم الحق ، واعز بهم الدين ، وحى شريعة رسوله على ممر الدهور والسنين . وقد تواردت على الشيخ قصائد التهاني من امهر الادباء ثبت منها القصيدة العصفاء التي هنأ بها العالم الفاضل الشيخ الطاهر القصار

هذا وان هيئة المجلة تقدم الى رئيس تحريرها مجددة له التهاني معتبطة بهذه الولاية المباركة التي ستهي للشيخ اسباباً عديدة للاصلاح الذي وطد نفسه عليه . وستزيد نشاطاً ايضاً على القيام بالمهمة العظيمة في رئاسة تحرير المجلة ادام الله النفع به .

خطبت فضيلت الشيخ المفتي

حمدا لمن أيد الشريعة المحمدية بالاتقياء من العلماء الاعلام . وابد الملة الحنيفة فلا يتطرقها خلل مدى الليالي والايام . فلم تزل بحفظ الله يستضاء بانوارها الساطعة . ويتهدى بنجومها اللامعة . ويستقى بغيوثها الهامة . وهي لخيري الدنيا والآخرة جامعة .

ويزيدها من الليالي جدة وتقادم الايام حسن شباب . والصلاة والسلام الاثمان على سيدنا محمد نخبه ولد عدنان . افصح من نطق بالضاد . وافضل من هدى الى طريق الحق والرشاد . الحاث على تبليغ شريعته حث الواجب . حيث قال ليبلغ الشاهد منكم الغائب . وعلى الآل والصحابة الاكرمين الذين شادوا الدين . واطهروا الحق اليقين . والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين)

اما بعد فان العدل اساس العمران . وبه تنتظم حياة البشر ويقضى على الظلم والعدوان . ولئلا ينزع الى الغداية نازع . جعل الله شريعة الاسلام خاتمة الشرائع . فكانت كفيلة بحفظ الحقوق البشرية وموضحة لوظيفة كل احد من الراعي والرعية .

وان اول شيء يشترط لتحقيق هاته المزية . وحفظ الحقوق المرعية . ان يمن الله تعالى على المملكة بان يكون اميرها جامعا بين التدين والاستقامة . وخوف الله وصون الكرامة . وهذا ما تحقق في هذا العصر السعيد على يدي جلالة ملكنا المؤيد بالنصر والتأييد . فقد كان هذا الملك الهمام . معجزة في سلسلة الملوك العظام . جمع الله له خصالا يندر اجتماعها في سواه . واحي على يديه من المكارم ما يكاد يندر لولاه . ولو لم يكن له الامزية الاهتمام بالحاجب العلمي حتى ائتمت ثماره . وتفياث قطوفه وتفتحت ازهاره . لكفاه شرفا وفخرا . ومثوبة عند الله وذخرا . هذا واني ليعجز لساني في هذا الموقف الرهيب . عن توفية حق الشكر لهذا الملك المعظم الذي لم يات له الزمان بطريب . على ما حقني به من عناية . واولاني من رعاية . باسنادة الي خطة لها من بين المناصب العلية شان واي شان وهي الافناء على مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله عنه . ولعمري انها لخطة شريفة وحلية منيفه . تولاه من قبلي علماء اعلام وايمه بررة كرام . فزانوها بالعلم الغزير . والتوفيق الذي يسهل معه كل امر عسير . وارجو من الله تعالى ان يوفقني للسير على سننهم القديم . والاهتداء الى صراطهم المستقيم . حتى اكون محققا لما يعلق علي من امل . وجامعا في التوفيق بين القول والعمل . ومن المصادفات التي اراها من بشائر الخير وهي جديرة بالذكر ان وافقت ولايتي يوم غزوة بدر التي هي اول غزوة وقعت في الاسلام . ومن بعدها توالى الغزوات واستمرت الفتوحات لنينا عليه الصلاة والسلام . فزحزح الشرك حتى رد خاسئا محسورا . واستمر لواء الاسلام ظافرا منصورا . والشيء قد يكتسب الشرف بالجوار . والله يفعل ما يشاء ويختار .

تهنئة

بخطه الافتاء

للعالم المدرس الشيخ الطاهر
القصار المدير السابق للمجلة

لکم بوظيفة الفتيا الهناء	تشيد به الصداقة والاخاء
وتنظمه يد الاشعار عقدا	فزائده المودة والوفاء
وينشره فم الاخلاص مسكا	يؤرجح من نواسمه الفضاء
ويبلغه لسان الود عهدا	ونعم العهد يكفه العفاء
وداد شيد الالباء منه	بناء لا يطاوله بناء
مصانعه بها الاخلاص افق	وظاهرة الوفاء به ذكاء
تظل قبابه السماء حبا	له في كل صالحة سناء
كذلك الود ان ما فار اصل	الم به من الفرع الرعاء
اخي يا حافظا عهدي وودي	بعصر عز فيه الاوفياء
تقبل خطة الفتيا عروسا	ترنحها الملاحاة والهباء
تهادى في الرياض قطاة واد	زهاما حوله حب وماء
ولاقت فوق صفته اليفا	فجلها لبهجته الحياء
الي ف قد زكا خلقا ونفسا	سجيته الحفاقة والذكاء

اللهم يا من امرتنا بالدعاء ووعدتنا بالاجابة وامرتنا بالاخلاص في العمل وان تكون اليك
الانابة امنن علينا ببقاء ملكنا الهمام وبهجة الليالي وزينة الايام . وأجر الخير على يديه . واجعل السداد
والصلاح في كل ما يقرره ويرثيه . حتى تكون بلادنا التونسية مضرب الامثال في التقدم والازهار
ما بين الممالك الاسلامية . وابده اللهم بال بيت الكرام . الغطارقة الصناديد من نسل حسين المقدم
حتى يكون شمسا وهم من حواليه بدور . يرثون المجد كابرا عن كابر ما تعاقبت الدهور . واجعل
له من وزرائه الحلة الكرام . سواعد متينة لتسيير الامور على غاية ما يرام . لا سيما وزيره الاكبر
الصادق قولاً وفعلًا . والكريم حسبا ونبلا . الذي له في تحقيق اغراض ملكنا المؤيد بالله انواع من
الاخلاص قلها حفظها الزمان لسواه . واختتم بالصالحات اعمالنا وحقق بفضلك ءاملنا . حتى تتحقق
الاغراض وتنجز الاماني . بحرمة القرءان العظيم والسبع المثاني .

محمد المختار ابن محمود

اذا مسك اليراعة ضاق ذرعا	كمي الحرب والبيض اللوه
وان خطب الجموع سمعت حقا	له في كل مشكدة مضاء
اديب بارع الآداب تعنو	لمورده المراسف والدلاء
بديع اللفظ خلاب المعاني	ولكن كلها دال وراء
انيس لا يعمل له حديث	جليس لا يعمل له ثواء
اصيل الراي ثبت ليس يلفي	له في ساحة الحق النواء
ولوع بالمفاخر والمعالي	عدواه الحماقة والرياء
مليء بالمعارف لبس ينبو	له سهم ولا يخبو. ضياء
تازر بالتقى طفلا وكهلا	وهل يلد العصاة الاتقياء
ومن ورث المفاخر عن اصول	بذكر خلالهم يسمو الثناء
سما يت ابن محمود بقطر	تعطر ماءه وصفاء الهواء
هو الخضر معلما رياض	واهلوها كرام ازكياء
مباركة منازلها نوام	تتأجها واسحبها سخاء
وراعيا ابو العباس ملك	لرفعة شأنه ينمى العلاء
فطب يا ايها المختار نفسا	يعيش لاعدائك به الهناء
وطل في مذهب النعمان صرحا	فيغشى امة الحق السناء
وخذها درة عصماء عزب	عن الشعرا وصين لها الهاء
ولم تكشف محاسنها لغيري	ومثلي من يزاح له الغطاء
وان كان الهنا في الختم حسنا	فلي من ذلك الغرض ابتداء

وصايا ثمينة

اربع لا يزول معها ملك : حفظ الدين واستكفاء الامين . وتقديم الحزم . وامضاء العزم
واربعة تدل على صحة الرأي : طول الفكر . وحفظ السر . وفرط الاجتهاد . وترك
الاستبداد

واربعة تولد المحبة : حسن البشر وبذل البر . وقصد الوفاق . وترك النفاق
واربعة من علامات الكرم : بذل الندى . وكف الاذى . وتعجيل المثوبة . وتأخير العقوبة
واربعة توصل الى اربعة : الصبر الى المحبوب . والجهد الى المطلوب . والزهد الى التقى .
والقناعة الى الغنى

النهضة العربية

في العصر الحاضر (٥)

بقلم امير البيان شكيب ارسلان

تمهيد

لقد تكلّمنا منذ ايام في النادي العربي عن نهضة العرب السياسية وسيرهم في طريق الانجاد فيما بينهم اقتداء بغيرهم من الامم اللائي كن مفككات مبشرات فما زلن يسعين في الانضمام الى ان اصبحن كلمة واحدة : ونحن نتكلم الآن عن نهضة العرب العلمية التي هي في الواقع أساس النهضة السياسية مختارين لهذه المحاضرة مكان المجمع العلمي الذي هو المنبر الطبيعي للمباحث العلمية . كما اخترنا النادي العربي منبرا للكلام عن الوحدة العربية التي هي من مباحثه . وانما كان الفرق بين الباحثين ان الواحد منهما سياسي صرف لا يجوز الخوض فيه الا بالمقدار الذي تسمح به المصلحة وان الآخر علمي بحث يقدر ان يستقصي فيه الباحث ما شاء دون ان يتعرض لمحدور او يعرض امته لضرر وهذه المناسبة اعلن اني آسف بل جد آسف من ان ارى بعض اخواننا معتقدين ان الانسان اذا حاضر في باب السياسة وجب عليه ان يفرغ جعبته من اولها الى آخرها وان يجهر بكل ما يدور في خلده كما لو حاضر في باب العلم فهذا لا شك مذهب من يسميه الافرنج « بالولد الهائل » ومن ليس في الواقع جديرا بأن يطرق باب السياسة اصلا بل بين هذا والسياسة ما بين المشرق والمغرب فنحن لا نرضى ان نكون من الاطفال الهالين ولا من الذين لا يعرفون الى اين يذهب الكلام بل نحن والله الحمد من امة اشتهرت بالرونة والدهاء وسرعة اللحظ وقد جاء في امثالها : اللبيب من الاشارة يفهم ولقد كان هاديا الاعظم صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها . ومنا الذي يقول :

ومن لم يصانع في امور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنهم

وقائل هذا البيت هو الذي قال فيه سيدنا عمر رضي الله عنه انه اشعر العرب لقوله ومن ومن . ثم ابدأ بالكلام عن نهضة العرب العلمية فاقول : منذ عشر سنوات (اي سنة ١٩٢٧) اقترح علي الطيب الذكر الاستاذ يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف التي انتهت اليها رئاسة المجلات العلمية ان اكتب الى المقتطف شيئا في موضوع النهضة الشرقية في هذه الخمسين سنة الاخيرة فكتب يومئذ فصلا ظهر في اجزاء المقتطف من تلك السنة وراق العلامة المشار اليه كثيرا وقد بدأته بما يلي : لا حاجة بنا الى القول بأن اجلي محاري هذه النهضة كان في العلم والتعليم . وعندي انه لا نهضة

(*) هذه المحاضرة التي القاها عطوفة امير البيان شكيب ارسلان في شهر اكتوبر سنة ١٩٣٧

بدار المجمع العلمي العربي بدمشق اهداها برسم المجلة الزيتونية صديقنا الاستاذ محمد تيسير ضيان الكيلاني صاحب جريدة الجزيرة الفيحاء فبادرنا بنشرها افادة لقرائنا الكرام

للأمم سوى النهضة العلمية فإذا وجدت هذه جاءت سائر النهضة من سياسية وعسكرية واجتماعية واقتصادية الخ ، اخذا بعضها برقاب بعض ، فإذا قلنا ان الشرق الأدنى نهض نهضة علمية كفيها تعديدا سائر مظاهر نهوضه ومعارض رقيه لأن العلم وحده هو المفتاح وبه وحده الدخول الى داخل البناء وكل نهضة لا يكون ظهرها العلم فما هي الا ساعة وتضمحل وقد يقال ان نهضة شرقنا هذه ضئيلة لا تستحق ان تذكر بالقياس الى معالي الامم الراقية واننا لا نبرح متخلفين بمساوف شاسعة عن امد اوروبا واميركا والبيان فلماذا نشغل انفسنا بما لا يشغل حيزا في التاريخ العام وعلى هذا نجواب انه ليس العلم متعلقا بالكم ل وحده ولا البحث موقوفا دائما على ما بهر النهى وبلغ سدرته المنتهى وانما العلم هو ما تناول الدرجات كلها الدنيا منها والقصوى والبحث هو الذي به توزن مقادير الاشياء وتحدد نسبة بعضها الى بعض ونسبها الى الوقت . ثم اننا اذا تحرينا الحقيقة وجدنا الشرق العربي قد اجتاز في هذه الخمسين سنة في طريق العلم والحضارة الحديثة ما لم يتبأ لاوروبا ان تجتازة قبلا في اطول جدا من هذا الرده من الدهر . وذلك انه من الطبيعي ان يسهل على المتأخر ما لا يسهل على المتقدم لان المتقدم قد يضطر ان يمهّد الطريق ويسير واما المتأخر فما عليه الا ان يلحقه ويسير على طريق من ذلك امامه .

محمد علي الكبير مؤسس النهضة

فالنهضة الشرقية العربية — نسميها بالعربية اخراجا لما سواها من نهضات الشرق كنهضة اليابان والصين في الشرق الأقصى ونهضة فارس والافغان والهند في الشرق الاوسط ونهضة الترك في الشرق الأدنى بحدائنا — قد بدأت في الواقع منذ اكثر من مائة سنة لعهد محمد علي عزير مصر فهو اول من لحظ الخطر الحائق بالشرق من جراء جموده على اساليب العمران القديمة وجعل نصب عينيه محاربات الغرب في اساليبه الجديدة

محمد علي هو المؤسس الحقيقي لهذه النهضة الشرقية العربية ليس بوادي النيل فحسب بل في البلاد التي تجاور هذا الوادي المبارك وفي مقدمتها سورية واول ما استنشق السوريون ريح الحضارة الحديثة انما كان في زمن محمد علي وفي زمن غزاة ولده ابراهيم باشا للشام ثم انكفأ ابراهيم باشا الى مصر سنة ١٨٤٠ وبقيت في سورية آثار الاتباء ونزعة التجدد وجد السوريون لا سيما اهل الساحل منهم يشدون اسباب المدينة الغربية لما رأوا فيها من القوة والرفاهية . وانس المرسلون والاميركيون هذا الاستعداد في اهل سورية فأسسوا في بيروت كليتهم الشهيرة التي كانت النبراس الاول التي استضاءت به سورية ولا يزال هذا النبراس يزهر في افاق الشرق الى يومنا هذا . ورأى امم اخرى (كالفرنسيين والالمان والاطليان والروس) ان ارض سورية قابلة جدا لبذور المعارف فبنوا فيها المدارس والكتاتيب

وكل ذلك كان يبدأ في بيروت نثر الشام البسام . ففي بيروت والحق يقال ابتزغ زرع العلم العصري واخرج شطاة ثم انبث في جميع الشامات ثم فيما جاورها واستغلض واستوى على سوقه يعجب حتى الزراع الاوروبيين انفسهم واضطرت الدولة العثمانية ان تفتح المكاتب الرشدية والاعدادية في سورية وان تقبل كثيرين من شبانها في مكاتبها العالية في القسطنطينية فتخرج فيها الوف من الناشئة منهم من تقلدوا مناصب ملكية او عدلية ومنهم من تعاطوا مهنة المحاماة ومنهم اطباء وصيادلة ومنهم ضباط نبغوا في الفنون العسكرية وامتازوا بين الاقران من ضباط العرب في العراق والسورية واليمن كلهم ممن تخرج في مكتب بانقادي في الاستانة وقد يزيدون على ثلاثة آلاف فيما يقال مع ان النهضة العلمية في مصر لم يكن الاصل فيها لا الكلية الاميركية ولا الكلية السيوحية في بيروت ولا مكاتب الدولة في الاستانة لا ينكر ان مصر كانت ميدانا لجياد القرائح السورية وان انبغ الذين تخرجوا في بيروت انما اظهروا واشتهروا وتعلقت قناديلهم بمصر هذا كما ان لمصر على الشام فضل تخريج عدد لا يحصى من ابناء هذه في العلوم اللغوية والشرعية بالجامع الازهر وتخريج عدد كبير من اطباء سورية بالقصر العيني فما زال كل من القطريين المصري والشامي يشد الواحد منهما الآخر في كل ضرب من ضروب الرقي العقلي وقلمها جذ في احدهما شيء الا سمعت رجع صداه في الآخر على ان النهضة الشرقية العربية وان كان قد ذر قرنهما منذ قرن فاكتر لم تسر هذا السير الحثيث الا في الخمسين سنة الاخيرة التي شهدها كاتب هذه الاحرف بجميع صفحاتها . وذلك لاني بدأت بالكتابة في الصحف وبمرافقة الحركة العلمية في سيرها منذ ٥٢ سنة متوالية في الحق اذا بان ادعي معرفة تاريخ هذه النهضة وما دخلت فيه من التطورات على قدر ما يستطيع خادم امين للعلم زاول عمله في مكافحة الجهل طوال مدة خمسين سنة دون ان يتخلف يوما واحدا

الصحافة

لا نزاع في ان الصحافة العربية قد كانت من اقوى عوامل هذه النهضة بما اثارته من الحركة الفكرية ونقلت من اخبار الغرب الناهض الى اهل الشرق النائم وقد كان بحسب معلوماتي وربما اكون مخطئا في بعضها - اول جريدة عربية صدرت في الشرق جريدة الوقائع المصرية بهد محمد علي ولكن بقيت سورية مدة طويلة لا تصدر فيها جريدة ويقال ان اول جريدة صدرت في بلادنا هي جريدة (حديقة الاخبار) انشأها خليل افندي الحوري من شعراء لبنان في وقته وذلك سنة ١٧٦٠ ثم اصدر المعلم بطرس البستاني الشهير نشرات وطنية في بيروت لذلك العهد . ولم يلبث ان نشر جريدة اسبوعية باسم اللجنة ثم جريدة يومية باسم اللجنة ثم مجلة شهرية باسم البستان وقد التزم هذه المادة في التسمية لمناسبتها مع اسمه « البستاني » وكذا اليسوعيون قد اصدروا في بيروت جريدة باسم البشير تغلب عليها المباحث الدينية الكاتولوكية ثم اصدر القس لويس المصاوني جريدة النحلة . واصدر

غيره جريدة اسمها النجاح . واصدر الاميركيون جريدة اسمها النشرة الاسبوعية . ثم تحرك المسلمون فاصدروا جريدة سموها ثمرات الفنون وكانت تصدر بإدارة الشيخ عبد القادر القبايني وقد تولى تحريرها في البداية العلامة الشيخ يوسف الاسير ثم خلفه عليها العلامة الشيخ ابراهيم الاحدب الطرابلسي وهذا كله كان بين ١٨٦٠ و ١٨٨٠ اي في مدة عشرين سنة فوجدت في بيروت في ذلك العهد عدة مطابع وصارت تطبع الكتب العربية بعد ان كان طبع الكتب العربية منحصر في مطبعة بولاق المصرية وغيرها من مطابع مصر وكانت قد صدرت في الاستانة في اثناء حرب القريم سنة ١٨٥٥ جريدة مرآة الاحوال وذلك بامر الدولة وتولى تحريرها رزق الله حسون الكاتب الشهير وقد وقعت الي عدة نسخ كانت باقية عندنا من تلك الجريدة فيها اخبار حرب القريم وغيرها من الاخبار ومما انذكره انه كان عند ذكرى خديوي مصر يلقيه سعادة عزيز مصر واطن ان جريدة مرآة الاحوال هذه هي الجريدة العربية الثانية بعد تقويم الوقائع المصرية وقد بقيت تصدر في عاصمة السلطنة العثمانية عدة سنوات الى ان فر رزق الله حسون من الاستانة الى اوروبا على اثر حادثة جرت معه وقيل فيها انه اختلس مالا للدولة فلاد بالفرار وكان احمد فارس الشدياق في باريس فقدم الى الاستانة وانشأ جريدة (الجوائب) المشهورة فكانت في وقتها اشهر جريدة عربية في العالم وكان لها مشتركون في جميع الاقطار الاسلامية ، نظرا لبراعة كاتبها احمد فارس المعداد من اكبر كتاب القرون الاخيرة وامام رزق الله حسون فبعد ان فر الى اوروبا نشر كتابا تحت عنوان « النفثات » نال فيه من الدولة العثمانية ومن صاحب الجوائب فاشار هذا الى كتاب النفثات بقوله : « كان حسون لصا وله سرقات انقلب لصا وله نفثات » واطنني غير محطىء اذا قلت انه لذلك العهد او بعده بقليل ظهرت جريدة في تونس اسمها « الرائد التونسي » وظهرت جريدة اخرى في مصر باسم وادي النيل ، وربما يكون قد صدر في مصر جرائد اخرى لم اسمع بها ولست محاولا في هاته العجالة الاحاطة باسماء جميع الجرائد العربية التي صدرت وتواريخ صدورها وانما اذكر اليوم اشهرها على سبيل التمثيل واقول انه لما انتشرت جريدة الجوائب بمكان احمد فارس من علم اللغة وبراعة الانشاء وسعة المدارك كانت عاملا قويا من عوامل النهضة العربية الادبية وصار صاحبها يطبع في الاستانة من نفائس الكتب العربية التي كانت محبولة والتي اطلع عليها في خزائن الكتب القسطنطينية ما اعجب به العالم العربي كله لا سيما انه نشرها بالطبع الجميل وربما كانت خدمته للثقافة العربية بهذه المطبوعات في الدرجة الثانية من خدمة مطبعة بولاق واني قد ادركت وانا ابن ثلاث عشرة سنة او اربع عشرة سنة عهد احمد فارس في اواخر عمره وكان لا يزال وقد بلغ من الكبر عتيا يخدم هذه اللغة الشريفة التي كان من اعلامها ومن شاء ان يعلم مدى براعة احمد فارس ومبلغ بلائه في سبيل اللغة العربية والوطن العربي فليراجع مجموعة كنز الرغائب في منتخبات الجوائب فبي كتاب يحتوي على سبعة مجلدات لا يمكن ان يستغني عنه من اراد الاطلاع على الحركة العلمية العربية والحركة السياسية العالمية بين ١٧٦٠ و ١٨٨٠ (يتبع)

الإشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠	معضاة من امين المال
” في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠	في المحاسبة بين القاضين
يخصم الربع للسلامة	والمخابرات المالية لا يكون الامعه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

ثمن الجزء فرنكات ٣

المجلد الثاني في تاريخ تونس

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها في عصرها من فلاسفة جليلين مع الزيتونيين في القرنين الثامن والتاسع

شهرية وستتها عشرة أشهر

ثمان النسخة ٣ فرنك

الجزء الثاني	تونس - في ذي الحجة الحرام ١٣٥٧ - فيفري ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	---	---------------

المطبعة التونسية - نهج سوق البلاط عدد ٥٧ - تونس

الصحيفة	الموضوع	صاحبه
٤٩	تفسير آيات من سورة البقرة	بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكى
		سيدي محمد الطاهر ابن عاشور
٥٣	الحديث - اليوم اكملت لكم دينكم	» صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد بن
		يوسف شيخ الاسلام الحنفي
٥٩	لا عزاء بعد ثلاث	» شيخ الإسلام المالكى
٦٢	التعاضد المتين	» الوزير الشيخ سيدي محمد الحجوي
٦٧	الوزراء التونسيون قبل الحماية وبعدها ...	» امير الامراء سيدي محمد بن الحونجه
٧٢	جامع الزيتونة يؤدي رسالة الدين الاسلامي	تصريح لامير اللواء سيدي حسن عبد
		الوهاب
٧٦	الحنال في الادب العربي	» الاديب الاستاذ احمد الوزير
٨٠	ايطاليا في طرابلس برقة	» الغيور احمد رازم الطرابلسي
٨٣	تهنئة بالعيد (قصيدة)	» شيخ الادباء العالم سيدي العربي الكبادي
٨٥	مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين	» التحرير
٨٧	الفهرس العام للمجلد الثاني	
٩٢	وزير ابن تونس	» »

الحمد لله الذي هدانا لهذا

مجله علمیة ادبیة اخلاقیة
تصانیف ابی سعید محمد بن سید جمال الدین السیوطی
شهریة و سنتها عشرة اشهر

الجزء الثاني تونس - في ذي الحجة الحرام ١٣٥٧ - فيفري ١٩٣٩ المجلد الثالث

القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ

من تفسير الامام الحجة الشيخ سيدي محمد
الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(ومما رزقناهم ينفقون) صلة ثالثة في وصف المتقين مما يحقق معنى التقوى وصدق الإيمان وهو بذل أعز الأشياء على النفس أعني المال في مرضاة الله تعالى لأن الإيمان لما كان مقرة القلب ومرتجه اللسان كان محتاجا إلى دلائل صدق صاحبه وهي عطاء الأعمال فمن ذلك التزامه بأثاره في الحضرة والغيبة الدال عليه - الذين يؤمنون بالغيب - ومن ذلك ملازمة أداء الصلوات لأنها دليل على تذكر المؤمن بجانب من آمن به ومن ذلك السجاء ببذل المال للفقراء الذين هم عباد من آمن به

والرزق ما يناله الانسان من موجودات هذا العالم التي يدفع بها ضرورته وحاجته وينال بها ملائمه سواء كانت من الاعدان أم من القيم وأشهر استعماله أو حقيقة بحسب ما رأيت من كلام العرب وموارد القرآن أنه حقيقة فيما يحصل من ذلك للانسان خاصة وأما إطلاقه على ما يتناوله الحيوان من المرعى والماء فهو على المجاز كما في قوله تعالى: وما من دابة في الارض الا على الله رزقها. فهو بمنزلة المجاز في قوله تعالى: وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم. والرزق شرعا عند اهل السنة كالرزق لغة اذ الاصل عدم النقل الا لدليل فيصدق اسم الرزق على الحلال والحرام لان صفة الحل والحرمه غير ملتفت اليها في مقام طلب الاتفاق وهي تختلف باختلاف احوال التشريع فقد يكون بعض الرزق حلالا في وقت ثم يصير حراما بعده مثل ثمن الخمر قبل تحريم التجارة فيه ومثل بعض صور الربا فالمقصود في الآية انهم ينفقون مما في أيديهم وحال المؤمن لا تحمل الا على الموافق شرعا. وخالفت المعتزلة في ذلك في جملة فروع مسألة خلق المفاسد والشرور وتقديرهما. وهذه المسألة أي مسألة الرزق من المسائل التي فرضت فيها المناظرة بين الاشاعرة والمعتزلة كمسألة الآجال ومسألة السعر. وتمسك المعتزلة في مسألة الرزق بادلة لا تنتج المطلوب. والاتفاق في اللغة اعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس وعلى الاهل والعيال من طعام ولباس وفي نفع النفس كالصدقة واريده هنا بثه في نفع الفقراء وأهل الحاجة وتسديد نوائب المسلمين بقرينة المدح واقراره بالايمان والصلاة فلا شك أنه هنا خصلة من خصال الايمان الكامل وما هي الا الاتفاق في سبيل الخير والمصالح العامة دون الاتفاق على النفس والعيال اذ لا يمدح أحد بانفاقه على نفسه وعياله لان ذلك مما تدعو اليه الحيلة فلا تحرض عليه الشريعة ومن المفسرين من أدخل الاتفاق على النفس والعيال في ذلك ولا وجه له .

وتقديم المجرور على عامله وهو ينفقون لمجرد الاهتمام بالرزق عند الناس فيكون في التقديم ايدان بانهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس فهو كقوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه. وفي الاتيان بمن التي هي للتبويض ايماء الى كون الاتفاق المطلوب شرعا اتفاق بعض المال لان الشريعة لم تكلف الناس حرجا وهذا البعض يقل ويتوفر بحسب احوال المنفقين فالواجب منه ما قدرت الشريعة نصبه ومقاديره وما زاد على الواجب لا يضبط. وفي التعبير بالمضارع في ينفقون اشارة الى تكرار ذلك منهم وان ذلك دائم وعادتهم .

(والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك) عطف على الذين يؤمنون بالغيب فانه بعد أن اخبر أن القرءان هدى للمتقين المبينين بانهم يؤمنون بالغيب ذكر فريقا اخر من المتقين وهم الذين آمنوا بما أنزل من الكتب قبل النبي صلى الله عليه وسلم ثم آمنوا به وهؤلاء هم مؤمنو أهل الكتاب مثل عبد الله بن سلام وهم قد دخلوا في جملة الذين يؤمنون بالغيب وقيمون الصلاة الخ

الا ان لهم خصلة اخرى اوجبت تخصيصهم بالذكر والتتويه بشأنهم تلك الخصلة هي انهم لم يسبق لهم كفر فكانوا معن آمن مرتين ولما كان قصد تخصيصهم بالذكر يستلزم عطفهم وكان العطف بدون تنبيه على انهم فريق اخر قد يوهم ان القرءان لا يهدي الا الذين يؤمنون بما انزل من قبله لان هذه خاتمة الصلوات فلا بد من تحققها مع الصلوات المتقدمة فلا يكون للذين آمنوا بعد الشرك حظ في هذا الشاء وكيف وفيهم خيرة المؤمنين من الصحابة دفع هذا الابهام باعادة الموصول ليؤذن بأن هؤلاء فريق اخر غير الفريق الذي اجريت عليهم الصفات الثلاث الاول وبذلك يتبين ان المراد بالموصول وصلاته الثلاث الماضية هم الذين آمنوا من المشركين من العرب لوجود المقابلة ويكون الموصولان للعهد وعلم ان الذين يؤمنون بما أنزل من قبلهم ايضا يؤمنون بالغيب وبقية الصلوة وينفقون عليها حاصلًا بدلالة تشبه فحوى الخطاب لانهم اجدر بذلك . والانزال جعل الشيء نازلًا والنزول هو الانتقال من علو الى سفلى وهو حقيقة في انتقال الذات وقد يطلق على انتقال الاوصاف تبعًا للذات التي تتصف بها فهو مجاز عقلي وبطلق الانزال ومادة اشتقاقه بوجه المجاز على معان راجعة الى تشبيه فعل النزول لاعتبار شرف ورفع معنوية قال تعالى : يا بني ادم قد أنزلنا عليك لباسا يوارى سوءاتكم . وقال وأنزل لكم من الانعام ثمانية ازواج . لان ذلك الخلق والتقدير لما كان من فعل الله جعل كأنه نازل من علو وشرف . وانزال الوحي الى الانبياء يكون على احد هذين المجازين لانه اما نازل تبعًا لنزول الملك ان كان بواسطة الملك فهو نزول معنى تبعًا لنزول الذات الحاملة له وما تنزل الا بامر ربك وان كان وحيا بلا واسطة الملك او كلاما من وراء حجاب فهو نزول معنوي لكونه بتكوين الله تعالى بوجه خاص فكان منتسبا لجانب رفيع الشأن .

واقول ان المراد بما أنزل قبل النبي عليه السلام وما أنزل اليه هما الشرائع التي سبق نزولها والمقدار الذي تحقق نزوله من شريعة الاسلام قبل نزول هذه الآية فان الشاء على المهتدين انما يكون بانهم حصل منهم ايمان بما نزل لا توقع ايمانهم بما سينزل لان ذلك لا يحتاج الى الذكر اذ من المعلوم ان الذي يؤمن بما أنزل يستمر ايمانه بكل ما ينزل على الرسول لان العناد وعدم الاطمئنان انما يكون في اول الامر فاذا زال بالايمان أمنوا من الارتداد وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب فالإيمان بما سينزل في المستقبل حاصل بفحوى الخطاب وهي الدلالة الاحرورية فلا حاجة الى دعوة تغليب الماضي على المستقبل في قوله تعالى أنزل على طريقة صاحب الكشف وعندي ان فائدة اناطة الايمان بالشيء المنزل من الله دون ان يقال والذين يؤمنون بك من اهل الكتاب الاشارة الى ان هؤلاء هم الذين لا يؤمنون بامور موهومة تصدهم عن اتباع الاسلام كقولهم ان التوراة لا تقبل النسخ وانه يجيء في اخر الزمان من عقب اسرائيل من يخلص بني اسرائيل من الاسر والعبودية ونحو ذلك من كل ما لم ينزل في الكتب السابقة ولكنه من الموضوعات او من فاسد

التأويلات ففيه تعريض بغلاة اليهود والنصارى الذين صدهم غلوهم في دينهم وقولهم على الله غير الحق عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم

(وبالآخرة هم يوقنون) الواو للعطف لذكر صلة مدح ثانية للذين يؤمنون بما أنزل الى النبي صلى الله عليه وسلم وبما أنزل من قبله وهي ايمانهم بالآخرة اي اعتقادهم بحياة ثانية بعد هذه الحياة وانما خص هذا الايمان بالذكر عند الثناء عليهم من بين بقية اوصافهم لانه ملائكة التقوى والحشية التي جعلوا من موصوفها لان هذه الاوصاف كلها جارية على ما أحمله الوصف بالمتقين على اختلاف مراتب التقوى فان اليقين بدار الثواب والعقاب هو الذي يوجب الحذر والفكرة فيما ينجي النفس من العقاب وينعمها بالثواب وذلك الذي ساقهم الى الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ولان هذا الايمان بالآخرة من مزايا اهل الكتاب . والايقان حصول اليقين في النفس واليقين هو العلم بالشيء عن نظر واستدلال او بعد شك سابق ولا يكون شك الا في امر ذي نظر . وقيل هو العلم الذي لا يقبل الاحتمال وقد يطلق على الظن القوي اطلاقا عرفيا حيث لا يخطر بالبال انه ظن ويشته بالعلم الجازم . وفي قوله تعالى بالآخرة هم يوقنون تقديم للمجرور الذي هو معمول يوقنون على عامله وهو تقديم لمجرد الاهتمام بالآخرة على ما اختاره العصام رحمه الله في حاشية تفسير البيضاوي وانا اختار ما ذهب اليه وارى ان في هذا التقديم تعريضا بالثناء على هؤلاء الموقنين بانهم ايقنوا باهم ما يوقن به المؤمن فليس التقديم مفيدا للاختصاص والحصر اذ لا يستقيم معنى الحصر هنا بان يكون المعنى انهم يوقنون بالآخرة دون غيرها وقد تكلف العلامة صاحب الكشف وشارحوه لافادة الحصر من هذا التقديم بما ليس مناسباً للثناء على الذين اتبعوا الاسلام من اهل الكتاب بيان ضلال كانوا فيه . وقوله هم يوقنون جاء بصيغة الجملة الاسمية التي خبرها فعل لقصد افادة قصر الافراد لان تقديم المسند اليه على الخبر الفعلي يفيد القصر غالبا وهذا القصر للرد على المشركين الذين يدعون انهم يوقنون بالآخرة فقد كان المشركون فريقين فريق لا يؤمن بالآخرة وهم الدهريون الوارد فيهم قوله تعالى: وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد أفتري على الله كذبا ام به جنة بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد . وغيره من آيات القرءان وفريق ءامنوا بالبعث والحشر مثل زهير في قوله يخاطب عبسا وذيبيان

يؤخر فيوضع في كتاب فيدخر ليوم الحساب او يعجل فينقم

وكان كثير من العرب يحبسون راحلة الميت الكريم عند قبره حتى تموت جوعا ويقولون انه يحشر راكبا عليها والا يحشر راجلا فقصد بيان ان يقين هؤلاء بالآخرة هو مساو لانكار البعث في عدم ترتب فائدة التقوى والاعتاظ به لانه ايقنوا بالآخرة ايقانا جملا لم يكسبهم تقوى واما المتبعون للحنيفية في ظنهم مثل أمية بن ابي الصلت وزيد بن عمرو بن نفيل فلم يلتفت اليهم لقلة عددهم او لانهم ملحقون باهل الكتاب لاخذهم عنهم كثيرا من شرائعهم المنسوبة الى ابراهيم عليه السلام وفي كلا التقديمين تعريض للمشركين الدهريين ونداء على انحطاط عقيدتهم .

الحديث الشريف

اليوم اكملت لكم دينكم

قال البخاري حدثني محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن قيس عن طارق بن شهاب قالت اليهود لعمر انكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً فقال عمر اني لاعلم حيث أنزلت وأين أنزلت وأين رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزلت يوم عرفة وأنا والله بعرفة قال سفيان واشك كان يوم الجمعة ام لا اليوم اكملت لكم دينكم

قد تقرر ان هذه الشريعة المباركة معصومة محفوظة من التحريف والتبديل لا تتغير احكامها باختلاف الزمان ولا بتعاقب الاحوال قال تعالى: لا تبدل لكلمات الله. وقال صلى الله عليه وسلم الحلال ما جرى على لساني الى يوم القيامة والحرام ما جرى على لساني الى يوم القيامة قال ابو اسحق الشاطبي من خواص هذه الشريعة الثبوت من غير زوال فلا تجد فيها بعد كمالها نسخاً ولا رفعاً لحكم من احكامها لا بحسب عموم المكلفين ولا خصوص بعضهم ولا بحسب زمان دون زمان ولا حال دون حال بل ما كان سبباً فهو ابدى لا يرتفع وما كان شرطاً فهو ابدى شرط وما كان واجباً فهو واجب ابدى او مندوباً فمندوب وهكذا جميع الاحكام فلا زوال لها ولا تبديل ولو فرض بقاء التكليف الى غير نهاية لكانت احكامها كذلك

ولما بايع الناس عمر بن عبد العزيز سعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايها الناس ليس بعد نبيكم نبي ولا بعد كتابكم كتاب ولا بعد سنتكم سنة ولا بعد امتكم امة الا وان الحلال ما احل الله في كتابه على لسان نبيه حلال الى يوم القيامة الا وان الحرام ما حرم الله في كتابه على لسان نبيه حرام الى يوم القيامة ومن كلامه الذي عني به العلماء وكان يعجب ما لكا جدا قوله: سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاية الامر بعده سنا لاخذها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في شيء خالفها من عمل بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاية الله ما تولى واصلا جهنم وساءت مصيراً والمراد بسنة الامر سنة الخلفاء الراشدين كما جاء مفسراً في حديث العرياض بن سارية رضي الله عنه مرفوعاً للنبي صلى الله عليه

هذا درس ختم الحديث الشريف الذي القاها صاحب الفضيلة العلم الهمام شيخ الاسلام الحنفي سيدي محمد بن يوسف ابقاه الله يوم ١٧ رمضان عام ١٣٥٧ بجامع حمودة باشا المرادي وقد حضره الامير الجليل سيدنا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ورجال دولته الفخام حسب عادته السنوية

وسلم عليكم بسنقي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور . وإنما قرن سنتهم بسنته لأنهم رضي الله عنهم فيما سنوه أما متبعون لسنة النبي صلى الله عليه وسلم وأما لما فهموه من سنه صلى الله عليه وسلم وإن كان على وجه يخفى على غيرهم لا ثالث لهما لذين الاحتمالين وبالجملة فاحكام هذه الشريعة بعد كمالها ابدية مستمرة في جميع الاحوال والاطوار وإن زاعم التبديل أو التجديد منحرف عن الحجة الى بنيات الطريق

ولقد تمالأت الأدلة على عصمة هذه الشريعة وحفظها تصريحاً وتلويحاً منها قوله تعالى : انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . نزلت هذه الآية رداً على قول المشركين يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون استهزاء وانكاراً للوحي صريحاً ولحفظه استلزماً فرد الله عليهم بان المنزل للذكر تحقيقاً على القطع والبات هو الله تعالى وأنه هو المتولي حفظه . لذاك ترى كلاً من طرفي أو جلتي الرد مقترنا أو مقترنة بأداة التوكيد المزدوج استقصاء في الرد عليهم من جهتي الصراحة والاستلزام وقطعاً لما خامر أوهامهم الفاسدة من الطمع في عدم الحفظ وطرو التغير . والسنة وإن لم تذكر فما هي الا وحي يوحى وهي مع ذلك مينة للكتاب ودائرة حوله فهي منه واليه ترجع في مواردنا ومعانيها كما قال تعالى وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم . والتبيين أما بالنص على المقصود أو بما يرشد الى ما يدل عليه بطريق الاجتهاد

وقد قيض الله تعالى لعموم الكتاب والسنة رجالاً احكموا اصولها وحرروا معانيها وفصولها وسادة يناضلون عن الدين بما أوتوا من الحكمة والعلم بموارد الشريعة ومداركها فمهما عارض في الدين من اهل الزيغ والاهواء معارض أو جادل بالشبه خصم مناhez غبروا في وجهه بالادلة القاطعة وذلك كله من حفظ الكتاب الذي لا ياتي به الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ومن اللطائف القراءات ما حكاها الشاطبي في المواقفات عن أبي عمرو الداني في طبقات القراء عن أبي الحسن المتأنيب قال كنت يوماً عند القاضي أبي اسحق اسماعيل بن اسحق فقبل له لم جاز التبديل على اهل التوراة ولم يجز على اهل القرآن فقال القاضي قال الله عز وجل في اهل التوراة بما استحفظوا من كتاب الله فكل الحفظ اليهم فجاز التبديل عليهم وقال في القرآن انا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون فلم يجز التبديل فمضيت الى أبي عبد الله المحاسبي فذكرت له الحكاية فقال ما سمعت كلاماً احسن من هذا اهـ .

وبمثل ذلك صرح صاحب الكشف في تأويل الآية فقال وهو حافظه في كل وقت بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وإنما استحفظها الربانيون والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القراء الى غير حفظه اهـ .

قلت وصاحب الكشف وإن كان متأخراً لكن التنبيه الى هذه اللطيفة الشريفة من الفريقين كفيهما

كان على وجه الاستباق او توارد الخواطر فان المرجع في استمدادها قوله تعالى فالله خير حفظا كما لا يخفى .

ومنها قوله تعالى: آلر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير . أحكمت آياته أي نظمت نظما رصينا محكما لا اخلال فيه لا من جهة اللفظ ولا من جهة المعنى ثم فصلت آياته فصولا سورة سورة أو آية آية أو فصلت بدلائل التوحيد وفوائد المواعظ والاخبار تشبيها لها بالعقد المفصل بفرائد الدثالي على طريق الاستعارة وثم للتراخي في الرتبة لان التفصيل بعد الاحكام او للتراخي في الاخبار اعتبارا ان انقضاء اللفظ الاول ينزله منزلة المتباعد على وزان الاشارة للنقض بصيغة البعد كما في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه وقوله من لدن حكيم خبير تقرير لاحكام الآيات وتفصيلها على اكمل ما ينبغي كما تشعر به صيغة المبالغة وهو صفة اخرى لكتاب او خبر بعد خبر وفي الكشف اوصلة لاحكمت وفصلت لان المعنى احكمها حكيم وفصلها خبير قال وفيه طباق حسن اي لف ونشر مرتب مبني كما ترى على تعلق الظرف بالفعلين معا على التوزيع لا على طريق التنازع وهو تاويل وحيه للغاية يعرفنا ان منع توارد العاملين على معمول واحد اغلبي او مخصوص بما لم يكن على التوزيع لتنزيل التوزيع معنى منزلة التفريق لفظا واتصال كل من القيدتين بعامله المتعلق به على ان تعليل المنع باجتماع مؤثرين ربما لا يسلم في الاحكام اللفظية والاعتبارات الاصطلاحية بل يحقق لنا قولهم في المثل اضعف من حجة نحوي ولا غرو فيما توخاه صاحب الكشف هنا فقد صرح في غير هذه الآية بان ذلك من باب الميل الى جانب المعنى وان العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا يينا وان كان على خلاف ظواهر الالفاظ

وليس المراد بالطباق المطابقة وهي المقابلة بين الاوصاف المتنافية كالحفة والثقل في حديث الكلمتين الحبيبتين الى الرحمن سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم ثم ان وصف الكتاب بكون آياته احكمها حكيم وفصلها خبير يشعر اشعارا جليا بحفظه وعدم تغييره

ومنها قوله تعالى الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما فنفي عن الكتاب العوج باخلال في اللفظ وتناف في المعنى او بانحراف عن الدعوة الى الحق واثبت كونه قيما اي مستقيما معتدلا لا إفراط فيه ولا تفريط او قيما بمصالح العباد وصفا له بالتكميل بعد وصفه بالكمال ولا شك أن وصف الكتاب بما يقتضي الكمال والتكميل يدل دلالة ظاهرة على الحفظ وعدم الزيادة والنقص كوصف الدين بالاكمال في آية الباب وهي قوله تعالى اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا

والمراد بالاكمال إكمال الاحكام أصولا وفروعا بالمنصوص عليه وكليات التشريع الراجعة الى ذلك الاصل العظيم الذي يعبر عنه علماء مصر والاندلس وشمال افريقيا بالمصلحة والمفسدة وعلماء

الشام والعراقين بالحسن والقبح لا بالمعنى المختلف فيه بل باحد المعنيين العقليين بالاتفاق أعني كون الفعل ملائماً او غير ملائم أو كونه صفة كمال أو نقص وذلك مساو لكونه مصلحة او مفسدة كما لا يخفى وتلك الكليات المستفادة من موارد الشريعة ومصادرها تتجلى أحكام غير المنصوص من الحوادث المتجددة بواسطة الاجتهاد المأذون فيه بالكتاب والسنة فبالمنصوص وكال الكليات وقواعد الاجتهاد حصل كمال احكام الدين كليه وجزئيه واندفع ما عسى ان يختلج ببعض الازدهان وهو ان من الوقائع ما لم يكن منصوصا عليه في الكتاب والسنة بل ما من حادثة الا ولها في الشريعة حكم اما منصوص او مقيس على المنصوص لا سائبة في الاسلام

والمراد باليوم الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كلفظ الآن وقيل يوم نزول الآية وهما متقاربان وربما استشكل تقييد الاكمال باليوم على المعنيين لانه يقتضي نقصان الدين الذي كان عليه المسلمون قبل ذلك اليوم وللمفسرين في الاحتراز عن هذا الاستشكل وجوه المختار منها ما ذكره القفال وحاصله بایضاح ان الدين المكلف به لم يكن ناقصا البتة بل هو كامل في كل وقت من مبدأ البعثة الى يوم نزول الآية غير أن كماله المذكور في الآية كمال حقيقي اذ لم ينزل بعد هذه الآية شيء من أحكام الحلال والحرام وفي اثناء البعثة كمال نسبي بحسب الزمان لوقوع التبريج في المشروعية على حسب الحوادث حكمة من الله وعلمها فمجموع الاحكام في كل وقت هو الدين كله في ذلك الوقت الى وقت نزول الآية ففيه تمت الاحكام التي اراد الله بقاءها ما دامت السماوات والارض وفي التخصيص على اكمال الدين مع مساق الامتنان تعريض بأن النبي صلى الله عليه وسلم بلغ جميع ما أمر بتبليغه ولم يكتم شيئا مما أمر بتبليغه وقالت عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها من زعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتم شيئا من الوحي فقد أعظم الفرية على الله والله يقول يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالاتي والله يعصمك من الناس . أي بلغ جميع ما أنزل اليك غير مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل اي وان لم تبلغ ما أنزل اليك فما بلغت ما ارسلت به . وظاهر اللفظ ان الجزاء هو الشرط اي وان لم تبلغ لم تبلغ وهما متحدان معنى كاتحاد المبتدأ والخبر في قول ابي النجم : انا ابو النجم وشعري شعري والتحقيق أن مضمون الشرط هو نفي تبليغ البعض ومضمون الجزاء هو نفي أصل التبليغ وهما متغايران في المعنى أي وان لم تبلغ بعض ما أنت مأمور بتبليغه ولو كلمة واحدة فما بلغت حيثئذ الرسالة ولا اديت شيئا منها وهذا التحقيق وان حصلت به المفارقة بين الشرط والجزاء لم يزل محل نظر وموضع تأمل من جهة انعقاد الجزاء وهو نفي اصل التبليغ بالشرط الذي هو عدم تبليغ البعض وترتبه عليه مع ان السلب الجزعي لا يستلزم السلب الكلي وبعبارة من ترك البعض لا يقال انه ترك الكل وفي ذلك نظر ان النظر الاول ان ترتب نفي اصل التبليغ على عدم تبليغ البعض حقيقي باعتبار

ان مجموع الرسالة شيء واحد فكتمان البعض في المستقبل يضيع ما أدى منها في الماضي كالصلاة اذا ترك بعض أركانها أو تخلف شرط من شروطها فانها تبطل من أصلها ولا يعتد بشيء مما أدى منها
النظر الثاني أن الترتب مجازي على وجه المبالغة بابرار الكلام في معرض التويبة بين كتمان
البعض وكتمان الكل في عدم الاداء أو المؤاخظة تهويلا لشغل كتمان البعض على شاكاة فكأنما قتل
الناس جميعا هكذا ينبغي تقرير كلام المفسرين في هذه الآية

وحكى القاضي ابو عبد الله المقرئ في الجزء الذي الفه في ترجمة شيوخه ومن اجتمع به في
رحلته انه لما نزل بظاهر قسطنطينة تلقاه رجل من الطلبة فسأله عن هذه الآية وان لم تفعل فما بلغت
رسالته فان ظاهرها ان الجزء هو الشرط وذلك غير مفيد واجابه بان المعنى وان لم تبلغ في المستقبل
لم ينفك تليفك في الماضي لارتباط اول الرسالة بآخرها كالصلاة ونحوها فعبّر بانتفاء ماهية التبليغ
عن انتفاء المقصود منه وهو تبليغ الجميع قال ثم اجتمعت بابن عبد السلام بجامع بوقير بتونس فسأله
عن ذلك فلم يزد على أن قال هذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله وقد علمتم ما قال الشيخ تقي الدين قال المقرئ وكلام تقي الدين لا يعطي
الجواب عن الآية اي لان ما قاله تقي الدين هو حصول المغايرة بتقدير قيد في كل من جملتي الشرط
والجزء أي فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما وشرعا ولا
شك ان هذا التقدير غير ميسور في الآية لذلك قال المقرئ ان كلام تقي الدين لا يعطي الجواب عن
الآية. ولعل ابن عبد السلام لم يرد خصوص التقدير الذي في الحديث بل اراد مجرد التنبيه على تقدير
قيد مناسب تحصل به المغايرة ايضا

وفي الحديث وجوه آخر منها أن التغاير في المعنى لا بتقدير قيد في جملة الجزء بل بالاحالة على
الوصف المفهوم من السياق والمعهود الذي استقر في النفوس اشعارا بان ذلك الوصف الذي به التغاير
من اللوازم الغنية عن التصريح اي فهجرته هي الهجرة المطلوبة او المعتد بها شرعا مثلا وشعري
المعهود الذي اشتهرت بلاغته اشتهاارا لا خفاء فيه ومنها ان الجزء المذكور جار على اقامة السبب مقام
المسبب الذي هو الجزء في الحقيقة والمعنى فهجرته مقبولة او مشروعة لانها لله ورسوله وكل من الوجهين
يمكن اجراؤه في الآية على ضعف لا يخفى على الناقد البصير

وتأمل ايها الباحث عن محاسن البيان ولطائف الاسلوب الحكيم ل ترى كيف ذكر الشرط في الآية
بغير عنوان الجزء فقيل وان لم تفعل بدل وان لم تبلغ اشعارا بالمغايرة في المعنى على ضرب من التاويل
هذا وقد أخرج البخاري هنا في كتاب التفسير الاثر المروي عن عمر رضي الله عنه بلفظ
قالت اليهود لعمر انكم تقرأون آية الخ وفي المغازي ان ناسا من اليهود وهاتان الروايتان متساويتان
وفي كتاب الايمان ان رجلا من اليهود قال لعمر رضي الله عنه آية في كتابكم تقرأونها لو علينا نزلت

لاتخذنا ذلك اليوم عيداً أي لعظمناه وجعلناه عيداً في كل سنة قال اي ءاية قال : اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً. قال عمر قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة

وهذا الرجل كما في كثير من الروايات هو كعب الاحبار واطلق عليه الوصف المذكور اما لان سؤاله كان قبل اسلامه فإنه أسلم في خلافة عمر أو على طريق المجاز باعتبار ما مضى والجمع بين رواية كون السائل واحداً ورواية كونه جماعة هو أن السائل في الواقع جماعة وتكلم كعب بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن غيره

ولا خلاف بين المحدثين في أن الوارد في الاثر ان يوم نزولها هو يوم عرفة أي في حجة الوداع سنة عشر وجمهور المحدثين على أنه يوم الجمعة وهو الصحيح الذي عليه غالب الروايات لا يقال ان الجواب بمعرفة الوقت والمكان لا يطابق السؤال عن جعل اليوم عيداً لانا نقول قد وقع التصريح في كثير من الروايات بان يوم نزولها يوم عيد وفي رواية وكلاهما بحمد الله لنا عيد وفي رواية بلفظ وهما لنا عيدان وفي رواية اخرى في يوم عيدين يوم الجمعة ويوم عرفة ولا يخفى ان الجواب بذلك ارقى مما يتطلبه السائل لتضمنه انها نزلت في يوم عيدين لا بجعل العباد بل بالوضع الشرعي وذلك من زيادة التفضيل لهذه الامة

وفي كلام بعضهم ان يوم عرفة يسمى عيداً باعتبار أنه يعقبه عيد الاضحى واستروح له بما في الصحيح شهراً عيداً لا يقصان رمضان وذو الحجة حيث سمي رمضان عيداً لانه يعقبه عيد الفطر وحينئذ ففي يوم نزول الآية ثلاثة اعياد كما قال الشاعر

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعه وجه الحبيب (ونحن نقول) وجه الامير ويوم العيد والجمعة وانما كان يوم الجمعة عيداً لاختصاصه باحكام ومزايا تنبئ عن تفضيله على سائر ايام الاسبوع اجلها الساعة التي يستجاب فيها الدعاء وفي تعيينها اقوال اصحابها او من اصحابها ما بين ان يجلس الامام على المنبر إلى ان تقضي الصلاة كما في صحيح مسلم عن ابي هريرة مرفوعاً وفي حديث آخر صححه الحاكم وغيره انها آخر ساعة من يوم الجمعة والظاهر انها ساعة لطيفة يختلف وقتها بالنسبة الى كل بلد وكل خطيب فان الشمس لا تتحرك في درجة الا وهي تطلع على قوم وتغيب عن الآخرين

وفي الحديث الحث في الدعاء على تحري مظان الاجابة من الاوقات الفاضلة والاحوال الشريفة كيوم عرفة ويوم الجمعة وشهر رمضان واثر الصلوات المكتوبة ونحو ذلك قال تعالى وبالسحار هم يستغفرون وفي الحديث ان الدعاء بين الآذان والاقامة لا يرد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما تاخير يدخر له وفي الحديث اذا سأل احدكم ربه فتعرب الاجابة فليقل الحمد لله الفتي بنعمته تتم الصالحات ،

لا عزاء بعد ثلاث

بقلم مولانا شيخ الاسلام المالكي ابقاه الله

تسير على اللسان أقوال تصادف هوى من الناس فتدفعهم الشهوة الى قبولها، ويتلقونها تلقى النفس للمحبوب غير مصغية الى عذولها، ثم تتسع بين العامة قديدا، ولا يتطلسون لها سندا، ولربما كانت من قبل ان تتعلق بها الاهواء، عاكفة في حجر الانزواء، وكذلك تراها اذا انصرفت عنها الاهواء، تذهب كما يذهب الغناء، ولقد يبلغ الغلو في بعض الاحوال فيكسو هذا القبول حلية مشذورة، اذ يجعل تلك الاقوال من السنة الماثورة، وبهذه العلة كثرت الاحاديث المشتهرة، التي نسبتها الى الرسول الكريم مستكثرة وفي عداد هذه الاقوال التي راجت كلمة « لا عزاء بعد ثلاث » تناقلها الناس وظنوها من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وفرعوا على هذه النسبة تفاريح واحكاما، ووقتوا المئات اوقاتا واياما وليس هذا القول من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم وشواهد الغلط في نسبته اليه واضحة سندا ومعنى، اما من جهة السند فهذا كلام لم ينسبه الى رسول الله ولا الى اصحابه احد اذ لا يوجد له ذكر فيما علنا من كتب الحديث المعدة لاجراحي الحديث الضعيف والتبني على الاحاديث الموضوعة بله كتب الصحيح والحسن

واما من جهة المعنى فهو غير مستقيم لان العزاء لغة هو الصبر فيصير المعنى لا صبر بعد ثلاث أي ليال وهذا معنى باطل لان الصبر بعد مضي ثلاث ليال اقرب الى الحصول منه عند حلول المصيبة او في اليوم الاول وهكذا ما زادت الايام كان الصبر امكنا واقرب وفي الحديث الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الصبر عند الصدمة الاولى » يعني الصبر الكدامل والا فالصبر مأمور به ومثاب عليه في كل وقت بقدر ما يحمل المصائب نفسه على دفع الجزع والحزن وبقدر ما له من جزع وحزن مدفوعين، فان قيل امل المراد بقوله لا عزاء بعد ثلاث اي لا ثواب على الصبر بعد ثلاث قلنا هذا لا يستقيم لانه يصير الكلام اغراء بالدوام على الحزن والجزع اذا فانت ثلاث الليالي قبل ان يحصل الصبر او بعرضه مع ان الحزن يعاود الحزين ولو بعد مدة طويلة ولا يملك له دفعا الا بمرعادة الصبر وقد عاود الحزن يعقوب عليه السلام بعد مدة طويلة كما حكى الله عنه بقوله وايضت عيناه من الحزن فهو كظيم - الى قوله - قال انما اشكو بشي وحزني الى الله، مع انه قد صبر عند الصدمة الاولى اذ قال حين اخبره اولاده بهلاك يوسف : فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، وقال حين اخبروه باسر بنيامين فصبر جميل عسى الله ان يأتيني بهم جميعا، فثبت ان المعنى المفسد من كلمة لا عزاء بعد ثلاث معنى باطل .

ولا يصح ان يكون النفي في قولهم لا عزاء بعد ثلاث مرادا به النهي مثل لا وتران في ليلة أي لا تعزوا ولي الميت بعد ثلاث أي النهي عن تذكره بواجب الصبر وترغيبه فيه بعد مرور ثلاث ليال على موت ميتة كما يتوهمه الناس فيسوقون هذا الكلام في هذا الغرض لانه لو كان ذلك المراد منه لقل « لا تعزية بعد ثلاث » لان الفعل الذي يدل على هذا المعنى هو عزى المشدد يقال عزاه أي جعله ذا عزاء أي صبر مثل سلى فيكون مصدره التعزية مثل التسلية ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية وبذلك يجزم بان لا تصح نسبة هذا الكلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان فساد المعنى من علامات الوضع فلو كان هذا الكلام قد روي حديثا لعلمنا أنه موضوع فكيف وهو لم يروه أحد وأما ما سرى هذا الكلام الى الاوهام فهو سوء النقل وقلة التمييز فان اصل هذا القول هو كلام مأثور عن الوزير يحيى بن خالد البرمكي انه قال « التعزية بعد ثلاث تجديد للمصيبة والتهنئة بعد ثلاث استخفاف بالمودة » وهو كلام نفيس مغزاه وجوب المبادرة بالتعزية والتهنئة لان في إيقاعهما بعد ذلك ادخال ضرر على أصحاب المصيبة أو ايدانا بقله الابتهاج بحصول النعمة لمن حصلت له وليس المراد ترك الامرين بعد ثلاث لان ذلك أشد جفاء فجاء بعض الضعفاء في الادب فحرف لفظ التعزية الى لفظ العزاء وقلب معنى التنبيه على الجفاء فصوره نهائما عبر عنه بصيغة نقي الجنس التي تستعمل في النهي يظن نفسه قد نجى به منحنى إيجاز الامثال وما عايف الاخبار الارواها . وقد توهم كثير من الناس في تونس بسبب هذا أن اقامة المئآت ثلاث أيام هو أمر من السنة أخذنا بمفهوم العدد في مقالة « لاعزاء بعد ثلاث » فجعلوه شاهدا شرعيا لبعض عوائدهم اقامة مأتم يوم الدفن والمأتم المسمى بالفرق الاول وهو ثالث يوم ليوم الدفن وابطلوا ما يسمى بالفرق الثاني الذي هو سادس يوم الدفن وما يسمى بالزيارة الذي هو نهاية الاسبوع الثاني ليوم الوفاة ومأتم الاربعين ومأتم غلق العام مع ان هذه العوائد مفعولها ومتروكها لاحظ لها في السنة وما هي الا من العوائد المبتدعة الجارية على احكام البدعة الخمسة وهم وان احسنوا فيما ابطلوه منها فانهم لم يصيبوا في اعتقاد ان ما استبقوه هو من السنة

هذا ولاكمال الفائدة في هذا الغرض نلم بالمقصد الشرعي في باب التعزية فان من مقاصد الشريعة ابطال ما كان عليه اهل الجاهلية من اظهار الحزن والجزع عند المصيبة ومن التظاهر به والمبالغة فيه والاعانة عليه ولذلك ورد الوعيد الشديد على النباحة وشق الجيوب ولطم الخدود وحشو التراب وورثاة الحال ، وحكمة هذا التشريع الجليل الذي انقرد به الاسلام أن حلول المصائب بالانسان من نواميس هذا العالم وهي من مكاره الدنيا فمن شأنها ان تغم النفس وتفسد المزاج فينشأ عن أعراضها ادواء كثيرة مضرتها على صحة البدن محققة ولذلك كان الجزاء عليها بالثواب الجزيل لان ما يصيب المؤمن من الرزايا يناله عليه الثواب حتى الشوكة يشاكها كما ورد في الصحيح فاذا راض المؤمن نفسه على الصبر

وتلقي المصيبة بالجلد خف معمولها في صحته ومزاجه وإذا بالغ في الحزن وعأوده قوي معمول المصيبة فاشتدت الاعراض المنهكة للبدن والمسلم مأمور بحفظ بدنه، على أن الجزع لا يخفف الرزية فكانت مضرة الحزن خالصة غير مشوبة بمصلحة فلذلك لم يكن في تربيته عذر وكانت مفسدته الخالصة قاتية بحكم التحريم ولم يرخص إلا في العذر الجلي منه كدمع العين وصعداء النفس وحرم ذير الجلي منه تحريماً شديداً كالنياحة والقول وهو دعوى الجاهلية، وفي الحديث الصحيح ليس منا من شق الحبوب ولطم الخدود ودعا بدعوى الجاهلية ولذلك كان من يجدد الحزن لأهل الميت شديداً مثل اللأء يسفن نساء الميت بالنياحة وبذكر محاسنه وتعظيم رزيته وبكس ذلك من خفف عن أهل الميت مصيبتهم. ففي سنن الترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود مرفوعاً من عزى مصاباً فله مثل أجره (وهذا الحديث غريب تفرد به علي بن عاصم عن محمد بن سوقة قال الترمذي وقد قم على علي بن عاصم وتكلم فيه لأجل هذا الحديث) وفي سنن ابن ماجه والترمذي عن محمد بن عمرو بن حزم مرفوعاً « ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة إلا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » وفي هذا التشريع حكمة أخرى عائدة إلى الخلق وهي الارتياض على تلقي المكارة برباطة جاش وجلادة حتى لا تذهب حلول المصائب بلب المسلم ولا تملك سائر قلبه فلا يهتدي للخلاص منها سبيلاً فذلك من سمو الاخلاق ولما كان الغالب في الجاهلية ظهور الحزن في النساء خض النساء بالنهي عن ذلك في أحاديث كثيرة لا رخصة في شيء منها شيء من مظاهر الحزن المتعلقة بالذات من فعل وقول سوى البكاء بلا صوت وفيها رخصة قليلة لما يتعلق باللباس في حديث النبي عن أضعف هذه الاحوال وهو لبس السواد وترك الزينة وهو ما روي في الموطأ وغيره لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً أي إذا كانت عدتها بالأشهر وأما الحامل فتحد مدة الحمل لأن عدتها وضع حملها وذلك سد للذريعة التزويج في العدة حفظاً لحق الميت في إثبات نسبه ورخص النبي صلى الله عليه وسلم في البكاء بلا صوت مدة ثلاثة أيام ففي كتاب أبي داود عن عبد الله بن جعفر أن رسول الله أمهل آل جعفر بن أبي طالب ثلاثاً إن ياتيهم ثم أتاهم فقال « لا تبكوا على أخي بعد اليوم » . وروي أن الحنساء جاءت المدينة حاجة فدخلت على عائشة رضي الله عنها وعلى الحنساء صدار من شعر أسود وهي حليقة الرأس فقالت لها عائشة اخناس قالت لييك يا امه قالت اتلبسين الصدار وقد نهى عنه في الاسلام فقالت لم اعلم بنهيه . وبهذا يعلم أن جميع ما يفعله بعض الناس من تجديد ذكر الاحزان على الاموات والتجمع للبكاء في الاعياد ونحوها من المحرمات شرعاً وكذلك الحزن الذي يزعمه العامة في يوم عاشوراء وما يليه حدادا على الحسين بن علي رضي الله عنهما

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجيوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة



لبنة التعاضد

تقدم في السؤال صدر هذا الكتاب ان في الشريعة الاسلامية اصولا وفروعا يظهر منها انها مبنية على ان الدين فوق العقل واخرى يظهر منها العكس . فقد يقول قائل انك لم تستوف الجواب ما دمت لم تبين ذلك فاقول

لم اقف في الشريعة الاسلامية على اصل ولا فرع بفي على الاصل الاول ولا الثاني نعم المسيحيون يزعمون ان الدين فوق العقل وذلك انهم قالوا بالتثليث والحلول والاتحاد واثبات البنوة والابوة للاله تعالى وتقدس . ومنعوا الناس ان يفكروا ان الارض كرية الشكل او تدور حول الشمس . وغير ذلك من عقائد واحكام لا تتوافق والعقل ولا العلم زعما منهم ان الكتاب المقدس نص عليها فمن لم يقل بها كفروه وحرقوه . ولما رأوا قيام البراهين الفاطقة على وحدانيته تعالى وانه كان ولا يزال قائما بنفسه قيوما بخلقه مستغنيا عن كل ما سواه قبل المسيح وانه وبعدهما ووقتهما وان كرية الارض امر محسوس الى غير ذلك من ادلة قامت ضد هم عقلا وحسا التجأوا الى القول بان الدين فوق العقل ظنا منهم ان مشكلات الدين المسيحي تنحل بدوس براهين العقل وتزييفها او بالاكل عدم الاعتراف بها . وهيئات ان حيش العقل مضمون له النصر فلا يهزم ولا يزيغ والعالم منذ كان لا طاقة له على مقاومته ولا الثورة عليه بل هو خاضع له اتم الخضوع . ولا سيما بعد نضوج العقل وتوطيد اركان الفلسفة في انحاء المعمورة . فأفكار العالم مهما تكنفت بالاوهم وصدئت بالخرافات : فانها بادنى تنبيه تسارع الى التثبث بالعقل وتجذب اليه بقوة مغناطيسية وتطأ على الراس لقوته القاهرة للوجود وللوجدان . اما المسلمون فانهم في حل من هذه الانقال المسيحية كلها

لان الدين هو الذي حرره فكرهم من حملها والدين متعاضد مع العقل والعلم اتم تعاضد لذلك لا يقولون بوقية الدين على العقل ولا فوقية العقل على الدين لان دينهم لم يكلفهم ان يعتقدوا ما لا يسلمه العقل الصحيح ولم يرض لهم التقليد ولنذكر بعض ما توهمه السائل من تلك الاصول والفروع فاقول :

١- يوههم ان الشرع مبني على ان الدين فوق العقل

اولا - لم اقف على ما يوههم ذلك من الاصول الا قول الملباء ان العقل لا يصل الى كنه الذات العلية وصفاتها السنية

والحقيقة ان الذات العلية وصفاتها السنية فوق (١) مستوى العقول . فليس للعقل سبيل الى كشف حقيقتها ، وحسبه الاعتراف بالعجز لكونه في عالم الكثافة . وهو نفسه خلق ضعيف معترف بعجزه عن الوصول الى ما هو فوق مستواه . والعقل لم يصل الى كل شيء بل لايزال عاجزا عن اشياء من علمه نفسه . بل ما جهله منه اعظم مما وصل اليه بمراحل شاسعة . فقد عجز عن حقيقة الروح وحقيقة نفسه . ومن عجز عن حقيقة نفسه فكيف يصل الى حقيقة خلقه . بل هناك اشياء من علمه هو يراها ويحسها او يشعر بها ولا يدري حقيقتها كالكهرباء فكيف يتطلع الى ما لا مطمع له فيه وليس من علمه . وفي الحقيقة لا يتوصل لمعرفة حقيقة الله الا بالعجز عنها كما قال ابو بكر الصديق العجز عن الادراك ادراك

وليس في قواعد العقل ما يحيل عجز العقل عن معرفة حقيقة الله وصفاته لكونه محجوبا عن ذلك كما انه محجوب عن كنه حقيقة السماء وما في النجوم وامور علوية بل امور سفلية في العالم الذي هو في مستواه ومن جنسه

ولكن العقل ايضا لا يحيل الوصول الى ذلك وبالجملة ليس هناك شيء اثبتته العقل ونفاه الدين او نفاه الدين واثبتته العقل فتعارضا فقدما الدين على العقل كما هو موضوع المقام بل هناك شيء لم يصل العقل اليه ووقف عنده حائرا وعذرة الدين في حيرته ولم يكلفه الوصول اليه

ثانيا - ومن الفروع قول علي كرم الله وجهه لو كان الدين بالعقل لكان اسفل الخف اولى بالمسح من اعلاه وقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه

وجوابه ان ليس هناك دليل عقلي او علمي يوجب علينا مسح اسفل الخف فجاء الدين بتمسح اعلاه وانما سيدنا علي يرشدنا الى ان الفروع الفقهية لا يتمسك فيها بالقياس مع وجود النص فالقياس حينئذ فاسد الوضع ؛ ذلك ان القياس على الوضوء اقتضى مسح اسفل الخف واعلاه والنص جاء باباحة الاختصار على اعلاه فقدما مقتضى النص على مقتضى القياس وكل منهما دليل شرعي غير ان القياس مركب من نقل وعقل .

ثالثا - قول ابي حنيفة لو قلت بالرأي لا وجبت الغسل من خروج البول المتفق على نجاسته

دون للمني المختلف فيه ولعلات فيه بالوضوء فقط ولاعطيت الذكر نصف ما يجب للأنثى في الارث لانها اضعف منه (٢)

وجوابه انه من نوع ما قبله ايضا وذلك انه قياس على منصوص عارضه نص فعمل بالنص والغني القياس .

ونجيب ابا حنيفة بان المني روعي فيه اللذة التي تعم البدن فوجب تعميم غسل البدن بخلاف البول الذي يتكرر في اليوم مرات .

وان الاشئ اعطيت النصف ارثا لمناسبة وظيفتها في المجتمع وهي الامومة اذ ليست مكلفة بالحرب ولا ان تقوم بنفقة الزوج ولا اولادها بل بالعكس كلف غيرها بنفقتها وذلك اقوى من اعتبار ضعفها .

رابعا - اعترض بعض المتفرنجين على حديث اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه ثم ليتزعه فان في احدى جناحيه داء وفي الاخرى شفاء فرد الحديث مع كونه في الصحيح بان الذباب يسقط على النجاسة فينقل ما فيها من جراثيم الامراض فكيف يغمس في الماء ثم يشرب مع ان الواجب طبا التحرز منه كليا .

وجوابه ان هذه فكرة طبية لم تتضح وان وجوب التحرز كليا لم يصل لحد ان يكون يقينيا بل الامتحان العلمي دل على ان في الذباب مادة سامة - يسميها الاطباء - بعد البكتريا - تقتل كثيرا من جراثيم الامراض فلا يبقى لها تأثير في جسم الانسان فاذا سقط الذباب في شراب او طعام والقي الجراثيم من اطرافه فاقرب مبيد لتلك الجراثيم هو مبيد البكتريا الذي يحمله في جوفه قريبا من احد جناحيه ؛ فاذا كان هناك داء فدواؤه قريب منه بغمسه كله ثم طرحه فذلك كاف لدفع ضرره هكذا قرر بعض الاطباء المصريين في محاضرة القاها بجمعية الهداية بمصر ونقلتها مجلة الاسلام في عدد ١٨ جمادى الاولى عام ١٣٥٥

واقول ايضا ان الحديث لم يوجب غمس الذباب مع الشرب . بل لو طرح الشراب كليا لما كان هناك وزر ؛ وانما هو سرف في ماء قد لا تكون له قيمة ؛ وانما الشارع براعي حال قلعة الماء في السفر والصحراء فارشدنا الى المران على الاقتصاد ودفع ما عسى ان يضطر اليه ؛ فالامر للارشاد ؛ بدليل علة الحكم المدلول عليها بقاء السببية فالعلة ليست تعبدية تقتضي الوجوب . وانما هي ارشاد لمن شاء الاقتصاد ودفع الداء بالدواء .

خامسا - ينبغي ان تنبه هنا الى ان ابن خلدون امام التاريخ والفلسفة قال في المقدمة في مواضع : اذا وجد من الوحي ما يتصادم مع العقل يلزم اتهام العقل والايمان بالوحي ه .

فاقول هذا من الامام تجويز عقلي واحتمال فكري ؛ ولم يات بمشال يتحقق فيه ذلك ؛ ولو فرض وجوده فلما ان نجد الوحي احاديا غير متواتر او متواترا ولكن دلالتة غير قطعية ، فهذا اذا صادم امرا عقليا يقينا دل الامتحنات العقلي على يقينيتة هو الذي حكم فيه السلف بالوقف او التفويض وحكم فيه بالتاويل المعتزلة واكثر الاشاعرة ؛ ولذلك اولوا ايات التشبيه واحاديث الصفات .

والسلف مع تفويضهم او وقفهم لا يردون ما دل عليه صريح العقل القطعي فهم مفوضون لا مقوضون . والدليل العقلي القطعي واجب التسليم عند الجميع غير متهم ؛ ولا اظن ابن خلدون يخالف هذا ؛ وانما محمل كلامه عندي على الدليل العقلي الذي لم يصل لحد القطع ولم يقم اختبار حسي على يقينيتة وهذا في مصاف الظنون بل هو ملغى لا اعتبار به امام النصوص الشرعية القطعية بل والظنية فلا يوهنها وهو متهم ساقط امامها .

اما تصادم قاطعين احدهما عقلي والاخر شرعي فهذا ما لا تجده اصلا كما سبق ولا يصح حمل كلام ابن خلدون عليه وان كان ظاهرة لانه مستحيل الوجود .

ما يوهم ان الشرع مبني على ان العقل فوق الدين

ان المعتزلة القائلين بالنحسب والتبسيح العقليين وكثيرا من الاشعرية مصرح بتقديم العقل على النقل اذا كانا قطعيين معا ، وممن صرح بذلك (١) ابو البقاء في اخر كتاباته قائلا يعتبر النقل من قبيل المشابه وينسب مثل هذا لامام الحرمين (٢) في الارشاد والغزالي ولهذه ابن العربي المعافري والامام الرازي واتباعهم . واحتجوا لذلك بان الاداة العقلية قطعية وان النصوص النقلية لا تفيد (٣) اليقين وتقدم لنا البحث في هذه المسالة والرد عليهم بما يكفي .

(١) فهو عكس ابن خلدون

(٢) قد شمع على هؤلاء الامام احمد ابن تيمية في كتابه موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول المطبوع بمصر بهامش كتابه منهاج السنة . ولقد سلف من صدر هذا التحرير اني لم اقف على من صنف في مسالة تعاضد العقل والعلم والدين ولقد اقامت ابحاث عم من صنف في ذلك نحو السنتين بعد ما نشرت جريدة السعادة المغربية اصل كتابي هذا ثم وقفت على نص كتاب ابن تيمية المذكور الاول في المكتبة الناصرية بسلا في ربيع النوي عام ١٣٥٦ ولقد وجدته مجموعا واسعا في مجلدات . ولكنه نحا غير المنحى الذي انتحيته اذ تتبع ادلة علماء الكلام في العقائد ينقضها بناء منه على انها تناقض الكتاب او السنة مع انه لم يظهر وجه التناقض الحقيقي بمعناه الفني وقد توافقنا والحمد لله في المبدأ الذي هو موافقة المعقول للمقول غير انه سلك طريق ابن خلدون في تقديم المنقول بل زاد - هو ولوطنيا فكانه نقض مبرمه وتبغى مراجعة كتابه ومقابلته مع هذه الرسالة قرب ساقية انقع من بحر ومقرض كتابه يقرئك السلام

(٣) هذه الحجة تبين منها ان النقل عندهم عن قبيل المظنون والقطعي يقدم على الظني باتفاق فيمكن ان نقول انهم لا يقدمون العقلي على النقل فالحلاف بيننا وبينهم في حال لانهم يرون ان حال النقل هو الظن فقط ونحن نرى انه قد يكون قطعيا فتأمل ذلك

كما اخذت منهم طريقة المعتزلة في التحمين والتفكيح العقليين . وهي مسألة طولية اشبع الاصوليون القول فيها بحثا وقتلوها نقدا ووسعوهم تشنيعا بانهم تحكموا على الله في دينه واحكامه ولكن كثير من الاشعرية وقعوا فيها وهم لا يشعرون .

كما وقع المعتزلة في معضلة اعظم وهي انهم مهما توهموا معارضة ما برهن نص شرعي ولو قطعيا وبين شبهة عقلية وقع في وهمهم انها قطعية نص على قطعيتها حكيم يواني او هندي مثلا من غير اختبار ولا امتحان علمي مدقق الا وقتلوه فقالوا بقطعيتها ونفذوا النص بالتاويل ولو بعيدا ان كان متواترا او بتجاهله وانكاره ان كان احادا ولو في اصح الصحيح وهنوا النصوص حيث زعموا انها لا تفيد يقينا بحال كما سبق وما كان ينبغي ذلك .

لذلك قالوا ان الله لا يرى حتى في الآخرة معتمدين على قول بعض الفلاسفة ان القديم لا يراه الا القديم ، ولا يسمع كلام القديم الا القديم ، وان الرؤية شرطها الابدون والجسمية والقرب الحسي وغير ذلك مما هو محال في حقه تعالى وهو معناد في المراتب الحادثة . لكننا نقول لهم الى الآن لم تقيموا دليلا قطعيا على ان القديم لا يراه الا القديم ولا يسمعه الا القديم . بربكم بينوا لنا من الذي سمع الشرائع والاوامر والنواهي . وماذا تعملون في قوله تعالى « انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون » فمقالكم هذا هادم للنبوات والاخبار عن الله وشرائعه اذا لم تكن مسموعة متلقاة منه تعالى اذ تصيرونها محل ارتياب ، كما ان ما شرطتموه في الرؤية لم تاتوا عليه ببرهان ، وليس في العقل ما يمنع رؤية الباري او من لم تتوفر فيه شروطكم ، وجريان العادة بها في الحادث لا يوجب القطع باشرطها في القديم ولا في الحادث اذ كثيرا ما نرى تخلف العادة ، وقياس القديم على الحادث فاسد وما انصفك من احالك على غائب .

وقالوا ايضا بنفي صفات المعاني كالقدرة والارادة والعلم والكلام والسمع والبصر اعتمادا منهم على ان القديم لا يتعدد وهي قاعدة اخذوها عن اهل الفلسفة زادوها تعميما فقالوا ولو موصوفا وصفة ، وما كان ينبغي لهم زيادة نعمة في طنبور الفلسفة .

اذ دليل نفي تعدد موصوف وصفة لا يصح ان يسمى دليلا فضلا عن ان يكون قطعيا والقرءان العظيم اثبت لله بعض صفات المعاني صريحا فقال : انزله بعلمه ، وقال : اني اصطفيتك على الناس برسالتي وبكلامي ، واثبت بعضها كناية وهي ابغ نحو قوله تعالى « يا ايت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر » وقوله « الم تر انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا » يتبع

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الوزراء التونسيون

قبل الحماية وبعدها

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة

(٢)

تكلّمنا في العدد السابق على نظام الوزراء قبل الحماية واما الوزراء يوم انتصاب الحماية في ١٢ ماي ١٨٨١ (١٣ جمادى الآخرة ١٢٩٨) فهم :

أمير الامراء مصطفى بن اسماعيل	الوزير الاكبر ووزير الخارجية ورئيس الكمسيون المالي
أمير الامراء محمد خزندار	وزير الشورى
أمير الامراء الشيخ عبد العزيز بوعتور	وزير القلم وباش كاتب ووزير الاستشارة
أمير الامراء سليم	وزير الحرب
أمير الامراء أحمد زروق	وزير البحر
أمير الامراء حسين	وزير الاستشارة ومستشار المعارف والنافعة
الشيخ محمود بوخرص	كاهية الباش كاتب (١)

ثم ظهرت في تلك الاثناء أحوال أوجبت إعفاء الوزير حسين من خطة وزير الاستشارة ومن مستشار قسم العلوم والمعاوف ومن المأمورية المنوطة بعهدته بإيطاليا وهي محاسبة ورثة القايد نسيم شمامة عن تصرف مورثهم في مالية الدولة التونسية (٢) بصفة قابض عام وكان ذلك في ٢١ رمضان ١٢٩٨ وزيد في النكابة به بعد ذلك فجردوه عن رتبة أمير الامراء في ٢٩ صفر ١٢٩٩ ولكن التونسيين من الخاصة والكافة ما زالوا ينعون بالوزير في محرراتهم ومحادثاتهم وبعضهم يجعل وقوع فصله عن خطه وامتيازاته بالدولة، وكان حسين هذا من المماليك القليلين الذين كانت لهم بضاعة في العلم (٣)

- (١) هذه الخطوة احدثت لاجله ولم تمنح لغيره قبله وبعده قالوا انه وقم احداثها لاجل باب المطامع في وجه من كان يتوقع منه المزاحمة للباش كاتب وتوفي الشيخ محمود بوخرص في سنة ١٣٠١
- (٢) يستفاد من عبارة مفكرات الوزير خير الدين التي قامت بتشرها في هذه الاثناء بحجة مشيخة قرطبة ان المال المتخلد بذمة القائد نسيم للدولة التونسية يبلغ العشرين مليوناً
- (٣) لدينا بعض وثائق تاريخية من انشائه وبخط يده تشهد برسوخ قدمه في الكتابة والخط

اكتسبها من مزاولته لعلوم العربية بمدرسة الهندسة احرية بباردو ثم بملازمة استاذة وصاحبه الشيخ محمود قابادو وبمجالسة العلماء من اصدقائه كالمرحوم الشيخ احمد بن الحوجة والمرحوم الشيخ سالم بوحاجب . وقد تضمن أحد كناشات اول هذين الشيخين قصيدة من انشائه في امتداح الوزير حسين عند رجوعه والوزير خير الدين من الاستانة مع الخلعة السلطانية المهداة لسمو الباي اثر ولايته الملك في سنة ١٢٧٦ ومما جاء فيها قوله :

علم تجمل بالديانة والتقوى وسداد رأي باهر برهانا
يسقي السلافة في كؤوس ييانه سحجان منها لم يزل نشوانا
ما تونس الخضراء الا روضة قد كان منها الروح والريحانا

وفي مستهل الدولة العلوية وقع ترتيب الخطط الوزارية على اسلوب جديد موافق لقاعدة الاحتساب والرقابة من السلطة العليا الفرنسية في تصرفات الوزراء التونسيين بالدولة فالغيت خطة وزير الشورى كما الغيت وزارة الحرب ووزارة البحر القديمتين وأبقيت خطة الوزير الأكبر وخطة الباش كاتب وزير القلم والاستشارة وأسندت الوزارة الخارجية للوزير المقيم وفقا لنص معاهدة باردو وتقلد الجنرال قائد الحيوش الفرنسية بالعمالة خطة وزير للبحرية بالدولة التونسية وفي مدة الوزير المقيم م . فلانندان اعطي لقب وزير البحر بالدولة التونسية للاميرال الوالي البحري بنزرت . ثم في سنة ١٣٣٨ وقع احداث خطة وزير العدلية التونسية بمساعي الوزير المقيم م . لوسيان سان دبر ذلك سياسة منه على وجه الترضية للفكر العام التونسي الذي كان متطلبا للتفريق بين السلط فكان الوزراء التونسيين من يومئذ ثلاثة : الوزير الأكبر - وزير العدلية - الباش كاتب وزير القلم والاستشارة - وبالتالي وجد للمرة الاولى في التاريخ التونسي لقب الوزير بالعنوان الشرفي فكان أمير الامراء السيد الطيب الجلولي وزير أكبر شرفيا عند استعفائه من الوزارة الكبرى في سنة ١٣٤٠ . وتكرر هذا اللقب بامناحه لغيره من الوزراء المحليين على التقاعد في هذه السنين القريبة وبديهي أن للوزير الأكبر حق الرئاسة على زميله التونسيين مع الامتياز بحمل نيشان البيت الحسيني وليس لغيره من ابناء البلاد ان يطمع في مد عتقه لتلك النيشان الرفيع الشأن وشذامناح غيره من الوزراء التونسيين نيشان العهد المرصع وهذه القاعدة لم تتخلف في عصر الحماية الا مرتين مرة في مدة المولى علي باي ومرة في سنة ١٣٤٥ على عهد المولى محمد الحبيب باي فقد تفضل به على صاحبنا المرحوم امير الامراء السيد الطاهر خير الدين في السنة المذكورة وبعد ان صار هذا الوزير الفقيد وزيرا شرفيا احسنت له البهولة الفرنسية بالنصف الاول من (اللجيون دونور) وكان من القدر المقدور أن وصول هذا الوسام العالي لتونس وافق يوم التحاق صاحبه بالدار الآخرة

هذا وللوزراء التونسيين على السواء حق العضوية بمجالس الوزراء وهذا المجلس ليس له قانون

صدر بتأسيسه وانما وجوده مستفاد من أمر ترتيب الميزانية التونسية الاولى في عهد الحماية جمعه الوزير المقيم م. كمبون برءاسته لأول مرة في سنة ١٣٠٠ ولم يكن للدولة التونسية مجلس وزراء في عهد الدور القديم وغاية ما هنالك أن سمو الباي كان يجمع مجلسا من أهل شورته في الامور الهامة وربما أضاف لهم بعض أهل العلم فقد أتيح للشيخ أحمد بن الحوجه وللشيخ مصطفى رضوان الحضور في مناسبات كثيرة بمجلس مشورة المشير محمد الصادق باي وكان المشير محمد باي لا يبت امرا عظيما في الشئون الخاصة بأهل العلم وما التحق بها الا بعد مراجعة صهره الشيخ محمد يرم الرابع وهو الذي أشار عليه بجعل نظام للبحاكم الشرعية ومنشور ترتيبها المعلق بديوان دار الشريعة من انشائه وبديهي ان أهل مشورة سمو الباي هم الوزراء ولكن الوزير الاكبر هو لسان صاحب العرش الحسيني وهو الواسطة بين سموه وبين الدولة وهو الذي بعده عرض الاوراق الرسمية على الطابع السعيد وقراءتها من حقوق الباش كاتب واليك اسماء الذوات الذين باشروا الوزارة الكبرى ووزارة العدلية ووزارة القلم في عصر الحماية من البداية الى هذا اليوم :

الوزارة الكبرى	سنة الولاية	وزارة العدلية	سنة الولاية	وزارة القلم	سنة الولاية
السادة		السادة		السادة	
محمد خزندار	١٢٩٨	الطاهر خير الدين	١٣٣٨	محمد العزيز بوعتور	١٢٨١
محمد العزيز بوعتور	١٣٠٠	علي السقاط	١٣٥٣	محمد الجلولي (١)	١٣٠٠
محمد الجلولي	١٣٢٥	سالم الصنادلي	١٣٥٤	يوسف جعيط	١٣٢٥
يوسف جعيط	١٣٢٦	عبد الحليل الزاوش	١٣٥٥	الطيب الجلولي	١٣٢٦
الطيب الجلولي	١٣٣٣			مصطفى دتقزلي (٢)	١٣٣٣
مصطفى دتقزلي	١٣٤٠			خليل بوحاجب	١٣٤٠
خليل بوحاجب	١٣٤٥			الهادي الاخوة	١٣٤٥
الهادي الاخوة	١٣٥٠			يونس حجوج	١٣٥٠
				علي السقاط	١٣٥٤
				عبد الحليل الزاوش ٣	١٣٥٤
				احمد بن الرايس	١٣٥٥

(١) هو اول من تولى خطة الباش كاتب من غير أهل الطبقة العلمية وقع اختياره من طبقة كبار العمال لانه ابلى البلاء الحسن بالاعانة على تمهيد الراحة بجهة صفاقس اثناء احتلال عساكر فرنسا لتونس ومن مزاياه السعي والحصول على تخفيض الغرامة الحربية المضروبة على صفاقس من عشرة الى ستة ملايين وعلى قياسه استمر في هذا الزمان انتخاب وزير القلم من طبقة كبار اصحاب الوظائف المخزنية

(٢) محرز على شهادة العالمية في اللغة الفرنسية

(٣) محرز على شهادة الليسانسية في الحقوق

واعلم ان الاعيان الذين تقدموا لخطّة الوزارة ابتداء من سنة ١٣٢٦ كلهم من خريجي المدارس العصرية وأغلبهم من قدماء تلامذة المدرسة الصادقية. ولقد صرح الوزير المقيم م. الابطيت عند حضور السيد مصطفى دقزلي لأول مرة بمجلس الوزراء أن معرفة اللغة الفرنسية ستكون في المستقبل هي القاعدة عند تسمية الوزراء التونسيين وهذا القيد هو الذي منع بعض كبار الموظفين ممن لا يحسنون الفرنسية من التقدم لخطّة الوزارة وكل ميسر لما خلق له

ثم اعلم ان الوزير محمد خزندار الذي هو أول من تولى الوزارة الكبرى بعد نصب الحماية لم يتقلب أحد أكثر منه في الوزارات بالدولة الحسينية منذ بدايتها الى هذا اليوم فقد باشر كل الوزارات عدا وزارة القلم فكان في أوقات مختلفة وزيرا أكبر ووزيرا للعمالة ووزيرا للخارجية ووزيرا للبحرية ووزيرا للبحرية ووزيرا للشورى وسفيرا في مأموريات جليلة لدى الباب العالي وبعض الدول الأوروبية وباشر مع ذلك رئاسة كمسيون المالية واشتهر بين أهل عصره بلقب قائد سوسة لما أبقى ببلاد الساحل من الذكر الجميل أثناء ولايته عليها بعد الايام المظلمة التي عرفها أهل الساحل أثناء نزول محلة احمد زروق بدبارهم وأما لقب الخزندار المضاف لاسمه فانه انجر له من متبوعه الوزير شاكير صاحب الطابع المباشر اذ كان لخطّة خزندار فغالب عليه لقب سيده شاكير ولقد داخله الحسد ضد تابعه وهو من صنّعه فحاول الفتك به لولا تأخير أجله وذلك هو سبب سقوط احدي رجليه وكان محبا في آل البيت الاطهار وتشرف بمصاهرتهم وخدم من الملوك المولى حسين باي الثاني والمولى مصطفى باي والمشير أحمد باي والمشير محمد باي والمشير محمد الصادق باي والمولى علي باي ومات في سنة ١٣٠٦ من دون عقب بعد أن أطل على التسعين ودفن بمقابر الاشراف بوصاية منه ولولا ذلك لكان مثواه بالتربة الملكية كأسلافه السابقين واللاحقين ولما تخلى عن الوزارة الكبرى في سنة ١٢٩٥ بعد ولايته الاولى (١) منحه سمو الباي جارية عمرية قدرها ستون الف ريال في العام

(١) تنقل هنا نص الظهير الصادر بولايته الوزارة الكبرى وهذا النص بعينه هو المعمول به نحو كل من يتولى الصدارة بتونس :

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي صاحب المملكة التونسية سدد الله أعماله وبلغه من غاية الخير ءاماله أما بعد فاتنا أصدرنا هذا الظهير والخطاب الذي هو بكل مكرمة أثير الى الخاصة والجمهور ليعلموا ان الصدر الهمام عضد دولتنا وبمين مملكتنا امير الامراء ابنا محمد لما تحققناه بالعيان من أمانته واصابته الغنيتين عن البرهان ونصيحتة المعتد بها في هذا الشأن قدمناه على بركة الله تعالى واولينا وزيرا اكبر بدولتنا التونسية يباشر سائر شئونها المعتادة وامورها على العادة وعلى من يقف على هذا الظهير الجليل من اهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية وابنائنا امراء الامراء اعيان الكبراء وامراء الالوية وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والينباشية وكافة الجنود العسكرية والقواد والمخازنية ان يعلموا ما لاننا المذكور من المفازر التي هو بها حقيق والمعالى التي هو بنبيلها خليك ونستوهب له من الله كمال الاعانة والتوفيق الى مناهج الرشاد ومحاسن كل طريق وكتب بسراية خلق الوادي في ١١ رجب ١٢٩٤ هـ

ولم يعط سلفه الوزير خير الدين أكثر من خمسين ألف ريال في السنة كانت جارية له الى حضور
أجله بالاستانة في سنة ١٣٠٧ (١)

واما طريقة تعيين من يدعوها حسن الحظ، الخط، الوزارة فان ذلك يقع باتفاق بين سمو الباي
المعظم وبين دولة الحماية واختيارهما في ذلك يكون رهين الظروف والاحوال ولقد اتفق مرة
تكرر المراجعة اياها عند اختيار بعض الوزراء في عهد المولى محمد الناصر باي فتدخل مسيو روا
كاتب الدولة العام وحصل الوفاق واتفق لبعضهم مداعناتهم للوزارة واطلوا عليها من نافذة السياسة فخابت
ءامالهم وذهبت مساعيهم ادراج الرياح وءآخرون سعوا لنوالها وتهاقوا وطاروا حول فانوسها كالفراش
فاحترقت اجنتهم ووقعوا في الحضيض والله در الشاعر حيث قال

على قدر الكساء امد رجلي وان طال الكساء امد اخرى

وبديهي أن خطة الوزير التونسي في عصر الحماية لا شبه لها بخطة سائنه في زمن الدور القديم فوزراء
الدور الماضي كانوا خاضعين للحكم المطلق وكان اكثرهم مفقود الزرية العلية ووزراء هذا العصر
أكثرهم من أهل الثقافة العصرية ونشأوا تحت جناح الحكم القانوني في دائرة العدالة والنظام والذي
رسم لهم خط السير هو الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور صاحب الواهب النادرة والرأي الحصيف
فقد بقي متربعا على منصة الوزارة الكبرى مدة ربع قرن وكان مع ذلك محرزا على صفتين حميدتين
قل ان يجتمعا في رأس واحد وهما ذكاء اياس وصبر أيوب قال م. ماز من أعضاء مجلس الشيوخ
في خطاب تاريخي القاه بتونس سنة ١٨٩٠ : « ان هذا الوزير جدير بالترأس على اية وزارة إروباوية »
باهيك انه قضى خمسة وعشرين عاما في الصدارة كان اثناءها من انصار أهل العلم ومثال الفضل والمروءة
والحذق والاستقامة وكان آخر عهده بالدنيا شهادة اخلاص منه لصاحب العرش الحسيني خطبها بيده
الفانية قبل وفاته بساعتين في غرة المحرم ١٣٢٥ وبعث بها للمولى محمد الناصر باي وكان مع ذلك صادق
الولاء للحماية لعله أن من معانيها طاعة متبوعه المعظم مع الاخلاص والرسوخ فيه لسدته العلية وللدولة
الفرنساوية ومن عرف قدر الناس عرف الناس قدره

محمد بن الخوجة

(١) عند ارتقائه لمسند الصدارة العظمى بالدولة العثمانية وجه تلغرافا لسمو الباي في الاعلام
بدلك وفي طلب ابقاء جرائته العمرية ونص التلغراف : قد شملتني عواطف الحضرة السلطانية باحالة
رتبة الصدارة الى هذا العبد العاجز وبتوقيقه تعلى وقعت المباشرة لأجراء امورها التي نحن موكلون
عليها ونرجو من الله تعالى الاعانة في الامور كلها كما نطلب من مكارم اخلاقكم ابقاء توجيهاكم السنية
حيث اني نعددها من أهم الامور وعلى كل حال النظر لسيدي وكتب في ١٠ حجة ١٢٩٥ هـ. قلت ان
من اهم الاسباب في ولايته الصدارة العظمى كتابه أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك لان السلطان
عبد الحميد خان لما وقف عليه أعجب به أيما اعجاب

جامع الزيتونة

يؤدي رسالة الدين الاسلامي منذ ١٢٤٣ عاماً

طرائف من حديث شائق لامير اللواء حسن حسني عبد الوهاب ممثل الشمال
الافريقي في مجمع اللغة العربية الملكي قد كان افضى بها لمحرر جريدة الجهاد الغراء

لا خلاف اننا في مصر - وبخاصة منا اولئك الذين يصلون انفسهم بالدراسات الازهرية عن طريق التعليم في الازهر ، او التحصيل فيه او الكتابة عنه - حقيقون ان تتأثر خطوات - الزيتونيين - الذين يقومون في الجانب الغربي من الشمال الافريقي على ما يقوم عليه الازهريون هنا من تعريف ثقافة الاسلام ، ومن قيادة الشعب قيادة دينية موفقة .

وما أحسب القراء اذ يستوعبون هذا الفصل بمنصرفين عنه وفي اطوائهم قليل او كثير من الاسف ، لانهم سينصرفون الى جمهرة من الطرائف التي تستطيع وحدها ان تهيء لهم ساعة ممتعة سارة يدركون فيها حقائق ما اعتقد انهم - كلهم - قد الموا بها من قبل ، لانها - فيما يخيل لي - اول ما يداع من نوعه في صحيفة في مصر

مفسر تونس

والواقع انه يطيب لي ان اعترف الآن بمصدر هذه الحقائق ، او هذه الطرائف ، فاقول انها بعض ما كان من احاديث تلقفتها من صاحب السعادة الاستاذ حسن حسني عبد الوهاب باشا امير اللواء وحاكم الاقليم الجنوبي في تونس ، وممثل الشمال الافريقي في مجمع اللغة العربية الملكي في القاهرة والحق ان عبد الوهاب باشا يؤدي مهمة السفير التونسي مرحلة اقامته على ضفاف النيل ، لانه يدعو لوطنه دعاية تضيء على المصريين اثواب التطلع اليه ، والتأمل فيه ، والرجل على هذا كله قد تخصص في التاريخ فهو يتحدث عن مراحل وطنه بلسانه الذرب وكأنه يطلق عقابها من كتاب منشور فهو اذن مصدر هذا الفصل الشائق الممتع .

قبل ان نعرف الازهر

اننا في مصر نتياً لاستقبال العيد - لفي الازهر بعد اعوام ، وما يضيره في قليل او كثير ان يكون في العالم الاسلامي مسجد آخر سبق الازهر الى ما اصبح على الزمن محض اختصاصه ، فاذا شاء المؤرخون للازهر ان يذكروا العوامل التي دفعت الفاطميين الى تشييد - الجامع الازهر - الى تزويده فيما بعد ذلك بالمجاورين يطلبون العلم ، فلا تثرى عليهم ان يذكروا - جامع الزيتونة - وان يقولوا عنه انه كان اقوى تلك العوامل واجزلها تأثيراً على الفاطميين ، ذلك ان - جامع الزيتونة - في تونس كان معروفاً قبل ان يستقيم على اديم القاهرة ظل الازهر الشريف

ففي عام ١١٤ هجرية - وكان العالم الاسلامي الا قليلا من شعوبه يخضع لحكم الامويين - ولي الامر على افريقيا - وهي مجموعة الدول القائمة في الشمال الافريقي - عبد الله بن الحبحاب بعد ان كان واليا على مصر باسم الامويين ايضا . . .

وكان - ابن الحبحاب - من اولئك الولاة الذين يعنون بالعلم عنايتهم بتوضيح الطابع العمراني على البلد الذي تنتهي مقاليد الحكم فيه اليهم . ومن هنا اخذ يخضع العاصمة الافريقية لمزاجه فزودها بكثير من اثار إنتاجه - وكان - جامع الزيتونة - اكثرها روعة وأجزلا خلودا

على مذهب مالك

وأخذ التونسيون المتشوفون الى علوم الدين ينفذون الى جامع الزيتونة من بابہ المتساق الى مقصوراته ذات العمدة القائمة تحت سقفه شواهد على دقة الفن بمد أن تأخذهم روعة مآذنته السامقة أخذوا يقتعدون اديم الجامع مستمعين الى دروس الفقه في مذهب مالك الذي بقي حتى الآن على عهده مذهب جمهور الشعب . وان كان المذهب الحنفي هو الذي يسعى في ظله عظمة الباي

وكان العالم الثبت - علي بن زياد التونسي - هو أول من عرف التونسيين بمذهب - الامام مالك - في الفقه لانه كان معاصرا له ولانه كان اعرف اهل حيله بكتاب - الموطأ - الذي يعتبر بحق اخضب ما انتجه الامام مالك العظيم . ولقد أقرأ ابن زياد كتاب الموطأ في الزيتونة (١)

اعلام نابهن

والحق ان جامع الزيتونة في مقدوره ان يزهو بعدد من الاسماء الكبار الضخام التي بقيت حتى الآن موضع اجلال الفاقهين علوم الدين واللغة والاجتماع والمنطق ، فاذا نحن تركنا - ابن زياد - لناخذ طريقنا الى من اعقبوه لكان من المتحتم علينا ان نذكر العالم الفقيه - محمد بن عبد السلام - صاحب الاثر الرائع في فقه مالك ، والامام محمد بن عرفة صاحب الاقوال الذائعة في هذا المذهب لانه أول من وضع حدود الفقه ، والعالم النحوي الجليل - ابن عصفور - الذي يطلق النجاة عليه - سيويه الاصغر - وابي داؤد سليمان الجربي الذي تعتبر كتبه في المنطق حجة يركن المناطق اليها مطمئنين

ابن خلدون

ومن حق - الزيتونة - ولا ريب ان تفاخر بانها الجامعة التي استطاعت ان تتجلب للعالم الاسلامي علما مؤرخا اجتماعيا رحالة ذائع الصيت في هذا كله ، ونعني به العلامة - ابن خلدون - ولقد حرص - الزيتونيين - على ذكره حرص الضنين فأنشأوا قبالة الجامع مدرسة اطلقوا عليها اسم - المدرسة الخلدونية - وجعلوا منها مظهرا جديدا من مظاهر التطور الدراسي الذي انتهت جامعة الزيتونة اليه

مكتبتان

بقيت مظاهر الحياة الاولى على جامع الزيتونة . تتحدث عنها تلك النقوش الكوفية التي تنتظم

القبة القائمة على رأس المحراب وهي نقوش خطية تحدث المتطلع اليها عن ائثار الاغالبية في طليعة القرن الثالث الهجري ، واذا كان اذاع قد خضع لطبيعة التجديد حيل بعد حيل ، فان هذا التجديد قد اصاره مزودا بمكتبتين رائعتين ، احدهما وقد انشأت منذ قرون - وتدعى المكتبة الاحمدية - تتألف من الوف الكتب التي وقفها عليها المقدس احمد باشا الاول ، وتغلب الكتب الخطية على هذه المكتبة ، وهي من القدرة الى حد لا يبيىء لها في غيرها نظائر واشباه وهنا عني القائمون على الزيتونة بامر المكتبة الاحمدية فيأولوا لها حشدا من الخزائن القائمة داخل الجامع واما المكتبة الثانية فانها تدعى - المكتبة العبدلية - وهي في تسميتها تنتسب الى مؤسسها - ابي عبد الله محمد الحفصي - احد امراء تونس من بني حفص وقد هيء لها مستقرها في واحد من اورقة - الزيتونة - حيث يقبل المتأدبون والطلاب اليها ليطالعوا فيها ما يحلو لهم من الكتب . . . التي لا تعار !

قلب المدينة

يتوسط جامع الزيتونة مدينة - تونس - وهو من المساجد المتأقنة المزهوة بما امتد على اديمها من البسط وما ثر على ذوائب عمدتها من ثريات الكهرباء . ويرى التونسيون من الحيل الاسلامي الاول حتى الآن في - الزيتونة - ما يراه المصريون في الازهر فهم يقدرونه حق قدره فيحيون فيه ليالي رمضان وما اليها من مواسم واعياد . وانهم لينزلون راضين عن كثير من المال الذي تنتج عقارات حبسوها عليه ووقفوها على القائمين بشعائره ومن هذه الاوقاف واليها سخاء الحكومة المطرد يؤدي جامع الزيتونة رسالته اداء لا خلاف على انه يغبط الذين يعنون باللغة والدين

سيدات نافعات

والى جانب « الزيتونة » تقوم طائفة من البنات الحديثة المزودة بالماء والكهرباء ليتخذها الطلاب « المجاورون » بيوتاً لهم وهي بنايات اقامها في شتى العهود جماعة السراة في تونس . وانه لمن مفاخر التونسيين حقا ان يكون منهم سيدات نافعات حريصات على البذل في سبيل العلم فقد شيدت احدهن - وهي من فضليات بني حمزة في مدينة المهدية - دارا جميلة جعلت منها مسكنا لعدد من طلاب الزيتونة

٣٧٠٠ طالبا

ينتسب الآن الى جامع الزيتونة سبعمائة وثلاثة آلاف طالب وهذا الجيش من الطلاب موزع على « الجامع » وعلى « المدرسة الحلدونية » وعلى طائفة من المساجد في - تونس وفي « القيروان » وفي غيرهما من المدن وهذا التوزيع صورة من صور المعاهد الاقليمية التي تتبع الجامع الازهر في مصر والدراسة في الجامع تقوم على الاسلوب الازهري القديم ولكنها في - الحلدونية - تتخذ لها اسلوب الازهر الحديث ومرآة هذه الدراسة سبعة اعوام في الزيتونة وثلاثة او اربعة اعوام في مساجد الاقاليم والشهادات التي تعطى من الزيتونة هي (التطويع) وهذه تعادل الكفاءة ، و (التميز) وهي تعادل البكالوريا (١)

شهاداا الجامع ثلاث الاهلية - والتحصيل - والعالمية

باسم الطلاب

وطلاب الزيتونة هم الذين تعود اليهم الكلية فيما يتصل بتعديل مناهج الدراسة، في ثلاثين عاما انشئت المدرسة الخلدونية لان الطلاب اخذوا يتطلعون الى عمل حاسم يوفر عليهم السعي في ظل منطق العصر الذي يعيشون فيه، ولما رأوا ان - الجامع - لن يكون مكانا لائقا للخطر الجغرافية او اللوحات الموضحة لعدد من العلوم الحديثة اخذوا يهتفون بانشاء مكان يدرسون فيه تلك العلوم واستجابت الحكومة التونسية النداء فانشأت هذه المدرسة لهم واثركل خمسة اعوام تمضي يعمد الطلاب الى حركة عملية يوضحون فيها آرائهم في المناهج، وما اليها مما يتصل بمصائرهم بعد ان يظفروا من دراستهم بما يريدون

حقوقهم

وعلى ان الحكومة التونسية تعترف بشهادات « الزيتونة » وتقر اصحابها على عديد من وظائف الدولة كالتدريس والقضاء فانها تمهد للمتخرجين في الزيتونة ما لم تمهد مثله حكومة مصر لعالم ازهري ذلك ان المتخرج في الزيتونة يستطيع ان ينظم نفسه في سلك الطلاب بمدرسة الحقوق

وزراء الدولة

واذا كان غير قليل من المصريين المتفوقين قد استهلوا مرحلتهم الدراسية الاولى في الازهر فان عديدا من الذين اصبحوا فيما بعد وزراء تونسيين قد استهلوا هم الآخرون عهدهم الدراسي في الزيتونة، بل انه يوجد من الذين اتموا تحصيلهم العلمي في - الزيتونة - رهط من قادة الشعب التونسي يحضرنا منهم الآن الشيخ ابراهيم الرياحي والشيخ احمد بن الخوجة والشيخ محمد الطاهر بن عاشور والشيخ محمد بن يوسف .

شيخ الزيتونة

وللزيتونة شيخ يقوم بمثل ما يقوم به شيخ الازهر في مصر، وله اعضاء من العلماء يعينونه على عمله الشاق ومكاته في بيته الحكم وفي بيئات الشعب هي مكانة الصدارة وشيخ الزيتونة الآن هو - الشيخ صالح الملقني -

الاجانب والمساجد

اما بعد فانه يطيب لنا، اخر الامر ان نسجل هنا ظاهرة لعل التونسيين هم الذين يتفردون بها وهي ان مساجدهم لا تفتح ابوابها للسائحين، فليس في مقدور أي اجنبي - غير مسلم - ان ينفذ اليها مهما يكن قدره وخطره . . . (١)

اما في القاهرة فاسألوا جيوش الاجانب الذين يعج بهم الازهر وملء ايديهم مصوراتهم يلتقطون بها ما يحلو لهم من الصور، ثم يجعلونها في مواطنهم موضع تندر، او زراية او ما يطيب لك ان تقول:

مندوب (الجهاد)

(١) ولم يشذ عن ذلك الا مساجد القيروان فهي تفتح للسواح وعلى الاخص جامع عقبة الذي له المقام الاسمي في نفوس المسلمين وعسى ان نرى الحكومة لا ترضى للاجانب ذلك في المستقبل

الخيال في الادب العربي

بقلم احمد المختار الوزير

١

تمهيد

نصدر هذه الحلقة الدراسية الثانية باستعراض جملة قصيرة جامعة تقتبسها تحصيلاً لحديثنا السالف في الحلقة الاولى التي خصصناها لدرس العاطفة في الادب العربي (١) فقد سبق ان قلنا ان العاطفة هي العنصر الاصيل لهذا الانتاج الذي نسميه الادب . بل هي اخطر عنصر يحتويه النص الادبي . اذ كلما قرأنا قطعة ادبية شعرية كانت ام نثرية . نشعر في دخيلة نفوسنا بثورة وجدانية . وتموج عاطفي . قد يكون طاغيا عنيفا وحادا قويا وقد يكون هينا ضعيفا سريع الركود والزوال . تلك حالنا في قراءة النصوص الادبية ودرسها . وانها لحال عجيبة تجعل لزاما علينا ونحن نعالج هذه البحوث النقدية . ان نسأل هذه الاسئلة كيف استطاع الاديب الشاعر والنائر ان يحرك في نفوسنا هذه الهزات العاطفية . السارة والمؤلمة ؟ وايضا ما الذي ساعده ومكنه من ذلك ؟

وقد يكون من حقنا ان تتعاضد في القاء هذا السؤال على كل صاحب فن من هذه الفنون المنعوتة بالجمال والطرافة . وبالظرف والابتكار . من حقنا ان نسأل المصور الماهر في صناعته كيف استأثر اعجابنا واستمالتنا الى النظر والتلهي بما عرضه على انظارنا فوق لوحه الحافل بالاصباغ والالوان المتجسمة الظل والضياء المظهرة حذقه البارع في محاكاة مظاهر الطبيعة ومشاهدها الماثلة امام بصره النافذ الى اعماق سرها العجيب ؟ وان نسأل الموسيقار المبدع في تأليف نغماته والحانه . من تلهكم التراجيع والاصداء . الصادحة الناطقة نطقا بليغ التعبير في كل همساته الضعيفة الخافتة وصرخاته العنيفة الحادة ؟ وقل مثل ذلك في النحت والعمارة . السنا نشعر دون شك ونحن في مقام النظر الى طرف من هذه الفنون نظرا فاحصا بشيء قليل أو كثير من اللذة المريحة والسرور الطافح بالبشر والرضا . او بالالم المعض والكآبة والنفور ؟ وهذا الشعور المختلف انما هو أثر من اثار ذلكم الاتفعال العاطفي الذي أيقظته في نفوسنا بواعث الفن ومثيراته وفواعله

فالسؤال الذي تتلقى به الانتاج الادبي من الشعر والنثر هو نفسه الذي تتلقى به كل انتاج فني مؤثر يملك الحس والشعور بقوة تأثيره . وتلاحق بواعثه . ومحرضاته المغرية الفاتنة . وهكذا نسأل من جديد كيف أثار الاديب . والموسيقار . والمصور . والناحت . مكنون المشاعر والعواطف في نفوس القراء والسامعين والنظار على اختلاف اهوائهم وتباين نزعاتهم وميولهم ورغائبهم .

ولو شئنا اختيار وضع آخر لهذا السؤال لكان لنا ان نقول : ان ميزة الفن العظمى وغايته السامية انما هي الالهام، والتأثير، ولكن ما مصدر ذلكم الالهام اللافت للناطق وما سبب ذلكم التأثير السحري العجيب، الذي يغني قلوبنا ببريق الوانه الحافظة، وانواره المشرقة، وتستبد تيارات فواعله المكتظة المتلاحقة بما في قرارة نفوسنا من المشاعر والعواطف ؟ نسأل هذا السؤال ولو أن الذاكرة تعيد للذهن في غير حرج او عناء بعضا من تلكم الاجابات الكثيرة المنوعة، التي جادت بها قرائح من كانوا يبذلون مدخر الجهد في اختيار أوضح تفسير وتأويل لحل ما في هذه القضية من الغموض، لابتعدنا كثيرا عن القصد، وانصرفنا انصرافا عن موضوعنا الذي توفرننا لدرسه وتحصيله

وخير لنا من كل ذلكم ان نكتفي بهذا الجواب الذي يقوم على أساس وطيد من قواعد علم النفس ارتاح اليه النقاد المحدثون، وليس ينكره النقاد المتقدمون، ولا من يسلكون سبيلهم في الدرس والنقد، وفي التعليل والتوجيه، وجوابنا هذا ربما كان ادعى الى ثقة الاعتقاد وسكينة الاطمئنان من كل جواب غيره، ولكن لا بد لنا قبل البدء في الاخذ بتأصيله وتفصيله، ان نمهد له بذكر كلمة وحيدة عن الفارق بين العلم والفن، تدنينا من القصد وتسهل علينا الاستفادة والنفع

العلم والفن

وايسر الفروق الظاهرة بين العلم والفن، هي هذه الفروق التي نعر عليها في فصول تعريف العلم، وفي مصطلح تعريف الفن

العلم

فالعلم ظاهرة عقلية تنشأ عن دوام البحث والتنقيب، وعن النظر الفاحص، والاستقصاء الشامل وعن التجربة والاختبار، واطراد الاسباب والعلل مع حدوث النتائج، الصادقة الثبوت، وغاية العلم فكرية تعليمية، ترمي الى تحديد المعاني، وكشف الحقائق الثابتة التي لا يختلف الناس في فهمها، والانتفاع بها، والتي تزود العقل البشري بما يزيل الجهالة وينفي الغباوة، ويشجع ويعين على استقبال الحوادث، وممارسة الحياة في غير ما فزع او اضطراب، ولغة العلم تعتمد دقة التصوير، وبساطة التعبير، ولها بقدر اتساع دائرة العلم اوضاع اصطلاحية خاصة، تنحصر دلالتها في حدود المعنى المراد، والحقيقة الواقعة.

الفن

اما الفن : فهو ثقل الاثر الذي يحدثه التأمل العميق، في مظاهر الطبيعة والحياة، وخفائها ما في هذا الوجود، من غيب النفوس واسرار القلوب، واظهاره في شكل مبتكر طريف فالفن كما ترون ظاهرة شعورية، تنشأ عن قوة الحس، واتباع الحاطرة، ووفرة الشعور ودقة للملاحظة.

وغايته الالهام التهديبي من طريق اثاره الوجدان . وبعث الشعور السامي . والاحساس النبيل .
والوسيلة الى ذلكم تختلف باختلاف الفنون . وان كانت في جملتها ترجع الى سبب واحد هو هذا
السبب الذي نحاول درسه وشرحه معتمدين في بحثنا على احدث نظريات علم النفس . وارهأ اعلام
النقد الادبي من المحدين الذين ما زلنا نتلقى عنهم انفع الدروس واصح البحوث . وما زلنا نستهدي
برشاد هديهم فيما نحن بسيله من درس هذه الاداب العربية التي نحاول مخلصين ان نبليغ بها المقام
المحمود . وأن نصل بها الى أبعد غاية في الرفعة والكمال .

تحصيل نظرية علم النفس

اما نظرية علم النفس في بيان الوسيلة التي يثير بها الفن هزات الشعور السارة . او المؤلمة .
فلنخص ذكرها فيما يلي . ثم تتبعها بما يوضحها ويفسر لها من الامثلة والشواهد التي تؤكد اننا صدق
النظرية من جهة . وتجدد نشاطنا ورغبتنا في الاستمتاع بلذة الفن من جهة أخرى .
وأمثل طريقة لتحصيل هذه النظرية أن نعرض بالدرس لطبيعة هؤلاء الذين نسهم بحق
عباقرة الفن . وعشاق الطبيعة المعاميد . من كل شاعر . وكاتب . وموسيقار ومصور . وناحت .
فاننا اذا ما تعرفنا بوجه صحيح بعض ما امتازوا به من الخصائص النفسية . والفكرية . أمكننا أن
ندرك من خلال ذلكم الوسيله التي يعتمدونها في التبليغ والالهام . وأثاره الحزن أو السرور وهكذا
نلم بعض الشيء بمعاني النبوغ . وما فيه من جهد وغناء .

الموسيقار

فالموسيقار كلف بهذه الاصوات الهاتقة والهمسات الناطقة . والصرخات الراغية . يطيل السمع
وتلطف ذاكرته الصوتية كل هذه النغمات الشاردة في فضاء الطبيعة ويعي ما يسمع من زقزقة
العصفور . ونوح الحمام . ودمدمة النحل . وحفيف الاوراق وتغريد البلابل . وخير الجداول .
يسمع جلجلة الرعود القاصفة ورجيها . ولولة الرياح العاصفة وترنيمها . يسمع عجيح البحار
الطاغية وضجيجها . وهبنة الانفاس وكل أنه وحنة وزفرة . يسمع هذه الاصوات وغيرها من
النغمات الشجية التي توقظها الطبيعة على أوتار خفية . ثم هو ما يزال يستذكرها . ويستعيدا . ما
يزال مشغولا بها ينقلها ويقلدها ويحاكيها . ولكنه يضيف اليها ويهذيها . ويلائم بينها ثم لا يلبث أن
يهتف بها صادحا مغنيا . فتخرج للناس معبرة عما في نفسه وقلبه وعقله .

المصور

كذلك المصور الخاذق يعنى عناية كاملة بهذه الاشباح والاطياف والهاكل . والادوية المترامية
السهول والوهاد . والظلال الساهمة في الفضاء الى أعالي السماء . يحب المروج والحقول والجنات اليانعات
ويهنئ الضحاري والبراري والغابات . وينظر بعينه وقلبه نظرة فاحصة منقبة عميقة متأثرة الى كل

هذه الالوان المتشاكلة، وغير المتشاكلة، والمتشابهة وغير المتشابهة، المرسومة على اجنحة الطيور ولفائف الزهور، وعلى سفوح الجبال حيث الجنادل والصخور، وعلى حاشية الافق المجلوة حيث يمتد الشفق الزاهي، وحيث تقيم الطبيعة محرابها القدسي من قوس قزح فتبدو للناظرين هالاته موشحة بالرائع الجميل من الالوان والاصباغ الخاطفة اللامعة، يصعد بصره الى قلب هذه القبة الزرقاء فيرى ما يتهادى في مسراها من نور النجوم السارية، والكواكب الساهرة، ويرى البدر في ليليه الحافلة بما يرسله على الكون الساكن تحت اجنحة الليل من شعاعه الباهر وضياءه الحائر، ثم لا يلبث ان يصوب نظره الى هذه البحيرة الساحية الساكنة، فيرى ما يرف على صفحتها اللامعة من الاطراف والاشباح المترقصة مع الظل في خفة ونشاط.

كذلكم يستجلى المصور كل هذه الالوان وقلما يراها ولا تتجسم معانيها وخيالاتها في فضاء روحه، وصفاء خاطره، ولمعان ذهنه، ففي البياض الباهت معاني الطهر، والصدق، والمحبة، والاخلاص وفي زرقة البنفسج معاني الذهول والرحمة والترقق الحادب، والعطف الشديد، وفي الاحمر المشوب لمحات القوة والعذاب، وفي الاسود الطامس ذكريات الاتراح والكآبة والحزن والياس الثقيل، ومن خاطره الحافل بخيالات هذه المظاهر والمعاني الواضحة، يستمد أشكال الصور، ويدغم ما شاء وشاء له الفن في تأليفها، وتنسيقها كل الابداع، وقلما ينقصه شيء ثم لا يجد له من مادة خياله الخصب ما يكمله به على خير وجه بداعة، وانسجاما، وفتنة وجمالا، وليس يرضى المصور الماهر أن يختار الجميل الذي يستحليه، والحسن الذي يرتضيه، من مناظر الطبيعة ومشاهدها ثم ينقله فوق لوحه، ولا يزيد اذ ان هبة الفن تسمو به وتنزع عمله عن أن يكون نسخا قاصرا، وقلما مجردا، وتدعوه ملحة الى الخلق والابداع والابتكار، (وربما نقل الجبال عن الطبيعة فلا يلبث أن ينسها نسفا ويدكها تبديلا وتغيرا في سبيل الاتقان والاجادة) .

فالمصور يلتقط بعينه من رسوم الطبيعة كل حسن وجميل، ثم يتصور « الجمال » في خياله، ويفتن في تكميله، ثم يتناول الريشة واللوح، ويبدل ما يبذله من الجهود في محاسن ما يستحضره في مسارح خياله، وما يتجلى بخاطره من تلكم المعاني القدسية البالغة نهاية الكمال في الفتنة والجمال، ولو كنت في مقام أطالب فيه، بالبرهان واستحضار الدليل على صدق هذه القضايا، لاخترت حديث « حيدو » ذلكم المصور الذي ملأ حديثه الدنيا وطبقت شهرته الافاق، اذ قال عن نفسه وكان يرسم الرسوم في كنيسة الراهب ميخائيل في رومة « وددت لو كان لي جناحا ملاك اطير بهما الى السماء، لارى رئيس الملائكة، واعود فأرسمه كما هو، واذ تعذر علي الصعود، والفيت البحث عن نظيره في هذه الدنيا من باب العبث الباطل، رجعت الى مخيلتي ومثال الجمال المتجلي فيها ورسمت ما رسمت، ولم ينقصني شيء... » (للبحث بقية) احمد المختار الوزير

ايطاليا في طرابلس برقة

الى الامة العربية والعالم الاسلامي بصفة عامة والى رجال الدين والعلماء
والخطباء منها خاصة ايطاليا تنتهك حرمة يسوت الله فتطرد
المضلين منها . وترغم الهيئة الشرعية على اعتناق الجنسية الايطالية

كان يوم الخميس الواقع في ١٨ فيفري الحالي يوم حزن في طرابلس اذ انتهكت فيه حرمة
المساجد. اذ عمدت حكومة الطليان الى جلب عدد من الالمانيين السواح في طرابلس يصحبهم جماعة
من الطليان ويصحب الجميع سليمان باشا قره ملى الى الفرجة على جامع الباشا وصادف ذلك فريضة
صلاة المغرب وكان المسلمون اذ ذاك متهيئون للصلاة فاطردهم الحاكم الايطالي وامرهم بان يصلوا
خارج الجامع وقد وقع ذلك بصفة لا يمكن لاحد ان يعارض فيها وذهب المصلون اشتاتا ودخل
الضيوف للجامع !! انظروا ايها المسلمون الى اي حد بلغ استهتار الطليان واستخفافهم بالاسلام والمسلمين
انظروا واسمعوا ايها العلماء ورجال الدين عواقب سكوتكم وجناية تكاسلكم على الاسلام
ان بقية أهالي طرابلس المسلمين المهاجرين سيعيشون مبغضين في مختلف الاقطار وسيعيش
الفريق الباقي منهم داخل طرابلس في أرضها لكن سيعتق الديانة المسيحية ويتمذهب بالفكرة الفاشيستي
لان الظروف والوسائل التي فذت في الاندلس كمحاكم التفتيش وغيرها هاهي تنفذ اليوم في اخوانكم
الطرابلسيين بل بصفة اشد وامر وان اختلفت الاسماء ففي الاندلس كان اذ ذاك في امكانهم الفرار
والهجرة اما في طرابلس اليوم فهذا مستحيل لا على طريقة قانونية ولا على طريقة لصوصية لما اتخذته
ايطاليا من الاحتياطات وفي الاندلس نصبت محاكم تفتيش يمكن معها التفكير سرا. اما في طرابلس
فقد جعل الطليان ضروريات الحياة للمسلم بعد سلبه من كل شيء غير ممكنة الا بالتجنيس والا فلا
رزق ولا معيشة ولا احترام على أن المسلم المتظاهر بالتدين في طرابلس أصبح كالكرة تتلاقفها ازجل
السيارات بارادة سائقها من الطليان بدون ان يهتم الفاعل بفريسته ولا تحيرة جنايته الشنيعة وكأنه
داس خنفساء لم يقع عليها نظرة بل يرى أنه داس عقربا مؤذية، لمن نشكوا هذا يا رب قد ببح الصوت
وققد النصير وعظمت البلوى واشتد الكرب . انا لله وانا اليه راجعون .

وامحمداه دينك أخذ في التقهر وتاباعك تخاذلوا وتكاسلوا فواطنهم اغتصبت وأملا كهم نهبت
وارواحهم زهقت واشلائهم تبعثرت ولغتهم احتقرت ولا يليبي بعضهم بعضا ولا ينجد أحدهم الآخر
انها حالة اسيفة ومصير محزن وتخاذل مشين

لما رأته حكومة الفاشيست من تمسك المسلمين بدينهم رغم ما اتخذته ايطاليا من التدابير عمدت

اخيرا الى الهيئة الشرعية تطالبها باتخاذ الجنسية الايطالية كما استدعت جميع العلماء والاعيان وطالبتهم بذلك وقد بلغنا ان بعض اعضاء المجلس الشرعي استقالوا من مناصبهم ولم يقبل احد بذلك الا ان الحكومة هددتهم تهديدا مرعبا ان لم يمتثلوا ويقال ان شخصية اقدمت على هذا الامر تحت عوامل التهديد والوعيد والانذار الصارم

ان قضية طرابلس برقة اليوم أصبحت قضية دينية بحته لانها قد اجتازت حدود السياسة وجميع الحقوق المدنية . أتعلون ايها المسلمون ما هو قصدنا الذي نطالب به . هو أننا نريد البقاء ضمن الامة العربية ولنا ذاتية وميزات والمحافظة على ديننا ولغتنا . والايطياليون يريدون محو ديننا من قلوبنا ومحقق لغتنا وصنع ارضا بالصيغة الايطالية الفاشيستي . فنحن جاهدنا لاجل ذلك ونجاهد بجميع الوسائل الى ان تلقى الله تعالى . وهم آخذون في تنفيذ اغراضهم فمحوا كل ما يقال له عربيا . وها هم الآن اجهزوا على الدين واللغة لمحوهما من قلوب اهلها وسيتوصلون الى ذلك ما لم يجدوا من الاسلام قوة ترجعهم عن غيهم ان كان توجد للاسلام قوة في هذا الوقت والا فعلى طرابلس وأهلها السلام وعلى بقية الشمال الافريقي انتظار دوره .

يا رجال الاسلام يا من تتعنون بالوحدة العربية والجامعة الاسلامية . فان لكم ارضا يقال لها طرابلس برقة هي من افريقيا في الوسط ومن العروبة في الصميم ومن الاسلام في الذروة قد سلبت من ايديكم واخذت ترسل لها ايطاليا افواج الجائعين ليمثلوا بطونهم الخاوية من خيراتها ويكسوا اجسامهم العارية من رزقها وليشتتوا العرب الذين هم اهلها ولكم فيها دين اسلامي اصبح محقرا مهانا فهو الآن في طريقه راجعا الى المدينة المنورة حيث قبر صاحبه صلى الله عليه وسلم فان لم تسرعوا الى تطمينه واثباته فهو راحل لا محالة . واتم المؤمنون عليه فاتقوا الله في واجبيكم . ولكم لغة عربية في طرابلس سيقضى عليها وتصبح في خبر كان .

(فاقم وجهك للدين القيم من قبل ان ياتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون) واحسرتاه على الاسلام والمسلمين تلقت طرابلس برقة ثلاث صدمات في ثلاثة اشهر متواليات - اعلان الحاقها بايطاليا رسميا وفرض التجنيس الفردي توطئة لازالة الاسلام من قلوب اهله وبعث عشرات الالاف من زعانف الطليان لاحلالهم محل المسلمين توطئة لاقرار خمسة ملايين منهم في ارضها حتى لا يمكن للعرب والمسلمين في المستقبل ان يقولوا بلادنا . يقع كل هذا في طرابلس برقة وفي تونس التي هي الهدف الاول لايطاليا بعد طرابلس في يوم من الايام هذه الداهية الدهماء والكارثة الكبرى وفي تونس ايمت بعضون المسلمين في المساجد وتجتمع حولهم العامة والخاصة فلم يخطر ببال احد منهم ان يلقي على مستمعيه كلمة في هذا السبيل يشرح لهم بها ما اصاب دينهم ووطنهم واخوانهم في طرابلس اسوة بزملائهم في الاقطار الشرقية وها انني اضع هنا نبذة من مقال نشره الاستاذ مصطفى حسني السباعي في مجلة الفتح . في موقف سوريا من كارثة فلسطين التي لا تقاس على كارثة طرابلس فيما اظن يقول الاستاذ مصطفى : وقصارى القول ان السوريين وقفوا من فلسطين موقفا مشرفا وهم يعطفون على جهادها عطفًا قويا عمليا ويتبعون اخبار الفطائع بألم عميق والفضل الاكبر في هذا الاهتمام يعود الى العلماء والخطباء اولاً والى الصحافة ثانياً . فلا تخلوا صحيفة من ذكر فلسطين والحث على تأييدها

بحرارة وإخلاص كما لا تخلو خطبة ولا درس في مسجد من الهاب الشعور الديني في نفوس العامة حتى صار ذكر فلسطين على لسان الخطيب أو المدرس كافيا لاستدرار العبرات وإثارة الشعور (ذكرنا هاته الكلمة لورود ذكر العلماء والخطباء فيها اما في تونس والمغرب كله فاذا استئينا المجلة الزيتونية والصحافة التونسية وصحيفة واحدة جزائرية هي البصائر ، التي قامت بقسط لا بأس به من واجبهافليس هناك حركة شعبية في الشعور العام فما انا نكتب اليهم النداءات ونشر اليهم ما يقع فلم يتجاسر احد من رجال الدين والعلم على رفع قلبه ليقول ليكم ليكم مع ان ساداتنا العلماء هم اعرف الناس بقوله تعالى (ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين ءاؤوا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض) ويقول (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) وقوله جل شأنه (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاؤوا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم) .

أ ترضون باستيلاء اعداء العرب والاسلام بصفة خاصة واعداء الانسانية بصفة عامة ان يستولوا على قطعة من ارضكم ويمحقوا فريقا من جنسكم ويعثوا بتقاليدكم ودينكم وانتم تنظرون ولا تتحركون وتسمعون فلا تجيبون وتنادون فلا تلبون وتعلمون فلا تعملون . ألم تعلموا ما وقع في طرابلس برقة وما هو واقع في اخوانكم هناك من الضغط والارهاق والاذلال والاحتقار . ابن اتم يا رؤساء الشريعة السمحة ويا خطباء المساجد الفصحاء ويا مدرسي العلوم يا ايها الاباء الروحانيون الآلاف من الشيعة الاسلامية ما هي حجتكم امام الله وما هو جوابكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم يسألكم عما فرطتم فيما امركم به . أ تقولون له انا خشينا سطوة الاعداء . الجواب : فلا تخافوهم وخافوني ان كنتم مؤمنين . ويقول لكم صلى الله عليه وسلم اني قلت لكم : (ما ترك قوم الجهاد الا عهم الله بالعذاب) ان ربكم الذي جعلكم خلفاء في الارض واختار لكم الاسلام دينا يريد منكم ان تكونوا عمليين مدافعين عن هذا الدين الحنيف وهو يناديكم لذلك بصريح العبارة في قوله جل وعلا « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله » « وجاهدوا في الله حق جهاده » . يا ورثة الانبياء ما كان في يوم من الايام الانبياء الذين انتم ورثتهم ينظرون الى الدين يهان واللغة تطرد من ربوعها واتباعهم ترغم على الردة كرها وهم ساكتون لا يتحركون بل كانوا دائما فاتحين مبشرين . فما انا نناديكم ونستصرخكم ايها المسلمون فتعاونوا معنا وانجدون وقوموا بما فرضه الله عليكم ولا تبخلوا بأموالكم وانفسكم وابدلوا كل نفس ونفيس في سبيل المحافظة على دينكم وارضكم وقوميتكم بكل ما اوتيتم من قوة وتستجدون عند الله الجزاء الحسن لانه لا يضع اجر المحسنين

انا حقا والله اليوم اصبحنا في الحالة التي وصفنا بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم (يوشك أن تتداعى عليكم الامم كما تتداعى الاكلة على قصعتها . فقال قائل أن من قلة نحن يومئذ قال صلى الله عليه وسلم لا بل انتم يومئذ كثيرون ولكنكم غثاء كغثاء السيل الحديث . وها نحن في هاته الحالة لم نستطع حتى دفع الاعتداءات المتوالية علينا في ديارنا ونستجد ببعضنا فلا نجد وننادي بعضنا فلا يلب احدنا اخلا وبلا لاسف مع ان مولانا الاعظم يقول للمسلم اخر المسلم لا يظلمه ولا يسلمه . ويقول من فرج عن مسلم كربه فرج الله عنه كربة من كبر يوم القيامة . وقال : المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص

يشد بعضه بعضا

احمد زارم الطرابلسي

رابع عيد الاضحى

الفريضة العصماء التي القاها شاعر البلاط الملوكي شيخ الادباء الاستاذ العربي الكبادي
بين يدي الحضرة العلية في موكب رابع عيد الاضحى تهئة للامير بالعيد السعيد

أعد ذكر سلع والحطيم وزمزم وشنف به أذن المشوق المتيم
وان جزت بالبيت العتيق قفل له الا انعم صباحا أيها البيت واسلم
فتأسيس ابراهيم يكفيه أنه زيارته فرض على كل مسلم
رعى الله ذباك المقام ومن به اقام واقصاه على كل مجرم
منازل وحي شرف الله ارضها وقرر في أرجائها خير موسم
الى مثلها شد المطي أخو الحجا ولم يلهه حب الرباب وتنعم
رأى طاعة الرحمن اربح متجر وزورة بيت الله أكبر مغنم
فلم تعتق أجفانه طيب الكرى ولم تكتحل بالغمض خوف التدم
اذا فاتها ما نال كل مشعر من القرب والقربى ومحو التائم
الا ليت شعري والحوادث شانها معاكسة الآمال من كل مغرم
أأبلغ هاتيك البقاع واجتلى محاسنها قبل الحمام المحتم
وادعو الى المولى الذي فيض كفه اعاد الى الحضراء عهد التنعم
فقد أصبحت في عهده جنة الدنيا ونالت به الآمال من غير مغرم
يحن لها من زارها وهو ان نأى يفارقها كرها فراق مقيم
وما ذاك الا العدل قد صان ربها فباتت ولا تخشى اغارة ملجم
فبالعدل تسيج المعالك كلها ومفخرها الاسنى ونيل التقدم
لذاك ترى العمران قد عم تونس وصير ذكرها كما الشهد في الفم
وفاض بها العرفان في كل بلدة ولو لاه لم تذكر ولم تتكلم
بفضل الذي ساس الامور بحكمة سياسة شهم للتدابير محكم
ملك حبا الله مجدا مؤثلا وخص علاه بالمقام المفخم
وقد أخاص التقوى الى الله ربه فلم يتصف يوما بظلم ومأثم
تخصص بالفعل الجميل وعمما بفضل جزيل فات حد التوهم

فلذ بحماه ان جفا الدهر واعتدى
مناقب لو نبال النجوم ضياؤها
وهل كابي العباس في الناس من له
سمعنا بمعن في السماحة والندى
فادهشنا ما حدث الناس عنهم
فلما اتى هذا الامير تيقنت
وما ذكروا من فضلهم بعض ما نرى

أحمد هذا العيد قد يعم الحمى
اتى بعد عيد الفطر يخال ناشرا
يصاحبه مستانسا هامر الحيا
تلفع في أيامه جو ارضنا
ترى الشمس تبدو تارة ثم تختفي
وقد لمع البرق الحفوق كانه
فطابت به اصالنا وغدونا
وغنت على غصن السرور طيوره

أمولاي هذا الوفد قد جاء مثليا
لتقبيل كف دأبها كفها الاذى
واظهار ما تخفي القلوب من الولا
فانتم مصابيح تنير لقاصد
وانك بحر يقذف الدر موجه
ومن قال ان القطر يحكيك لم يصب
فذلك يعطي عابسا ونوالكم
لقد زاد عيد النحر حسنا وبهجة
فما راعنا ما راع بالفطر قبله
لذلك اولته الولاء نفوسنا
قدم سالما للملك تكسوه عزة
لك الدهر مطواع بما انت راغب

ليلثم كفا انقذت كل معدم
برود التهاني والسرور المعمم
فيشفي فؤاد الخائف المتألم
بشوب من السحب الثقيلة أسحم
كحسنا بين الانجلا والتكتم
فؤاد جبان او كجذبة لهزم
وفزنا بحظ لم يكن بالمرجم
فجادت على اسماعنا بالترنم

تعود سعيها للجناب المعظم
عن البأس العاني حليف التبرم
يجو من الاخلاص والود مفعم
سبيل الهدى والحق دون تجمعم
لراج توخاه وليس بمرزم
ودعواه لم تنظر بغير التجهم
يقارنه للطف عذب التبسم
على الفطر في ظرف به الانس يحتمي
بما نال من علياكم من تألم
ولم يك فينا بالثقل المذمم
باحجام ذي عقل واقدام ضيغم
لسدتكم يرنو بالحافظ معظم

مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين

ان جمعية الحرمين الشريفين التي تعقد في كل عام جلسة عامة في احدى عواصم الشمال الافريقي الثلاث - تونس والجزائر والمغرب الاقصى - قد عقدت اجتماعها في هذا العام ببلاد التونسية . وبهذه المناسبة فقد احتفلت بلادنا احتفالا عظيماً بمناسبة قدوم الوفدين المغربي والجزائري اللذين اشتمل كل واحد منهما على نخبة من اعيان العلماء والفضلاء بالقطرين الشقيقين . وقد كان عدد القادمين في هذا العام اكثر من المعتاد . وكان الوفد المغربي تحت رئاسة فضيلة العلامة الجليل الشيخ سيدي محمد الحجوي وزير المعارف بالمغرب الاقصى ومعه اعيان من فقهاء المغرب الاجلاء . منهم الشيخ محمد العربي الناصري والشيخ احمد سكيرج (الشاعر المكثار) - وكان الوفد الجزائري تحت رئاسة الفاضل الماجد السيد بوعزيز بن قانه شيخ العرب بالقطر الجزائري ومعه نخبة من قضاة الجزائر وعلمائها ووجهائها - منهم الشيخ محمد بن ساسي قاضي قسنطينة والشيخ المولود بن الموهوب مفتيها (الذي بلغ الاسماع بواسطة المذيع) وكان بصحبة الجميع حضرة السيد قدور بن غبريط رئيس الجمعية وقد عقدت الجمعية جلستها الرسمية على الساعة العاشرة من صبيحة يوم الاثنين في ١٢ شوال وفي ٥ ديسامبر الفارطين في دار الباي في بيت الوزير الاكبر . تحت رئاسة صاحب الدولة جناب المولى الوزير الاكبر للدولة التونسية سيدي الهادي الاخوة . وبمحضر الوفدين المغربي والجزائري وجميع الاعضاء التونسيين وفي مقدمتهم اصحاب الفضيلة مشايخ المجلس الشرعي وهم شيخا الاسلام سيدي محمد بن يوسف وسيدي محمد الطاهر ابن عاشور والمشايخ المفتين سيدي محمد العزيز جعيط وسيدي بلحسن النجار وسيدي علي بن الخوجه وسيدي محمد المختار بن محمود والقاضي الحنفي سيدي محمد دامرحي والقاضي المالكي سيدي الطيب سياله .

وقد افتتح الجلسة جناب المولى الوزير الاكبر بخطاب بليغ رحب فيه بالضيوف الكرام . وتعرض لبعض اعمال الجمعية واثني على رئيسها الفاضل وختم خطابه بالدعاء لصاحبي الجلالة ملك تونس سيدنا احمد باشا باي وسليطان المغرب سيدي محمد بن يوسف - وبعد انتهائه وقف رئيس الجمعية جناب الوزير المفوض السيد قدور بن غبريط واعتذر عن القائه خطابه بنفسه واناب عنه الشيخ جعفر الناصري فلقى بالنيابة خطبة الرئيس وقد اشتملت على بيان تاريخ تأسيس هاته الجمعية والادوار التي قامت بها . ثم تعرض لتحديد موضوع الجمعية . فذكر انها لا دخل لها في احباس الحرمين الموجودة بالاقطار الثلاثة . وانها لا تصرف في شيء من اموال الاوقاف المذكورة . وانما سميت جمعية احباس الحرمين لانها تملك عقارا في مكة موقوفاعلى الحجاج وتنوي ان تملك عقارا مثله في المدينة

وبعد الانتهاء من الخطاب المذكور عرض الرئيس ميزانية الجمعية قبضا وصرفا . فكانت خلاصة ذلك - ان المداخيل (الصواير) فرنكاب ٤٠٩٠٠٠ » ٠٠ وان جملة المصاريف فرنكات ٤٨٣٤٠٠ » ٠٠ - وان جملة ما يصرف على جامع باريس من ارزاق للائمة والمؤذنين وما يتبع ذلك فرنكات ١٠٩٠٠٠ » ٠٠

ثم تعرض لبيان الاعمال التي يقوم بها جامع باريس لفائدة عموم المسلمين فهو زيادة على كونه يجمع شمل المسلمين عند اداء الصلوات لا سيما في يوم الجمعة - فانه يكفل الاموات ويتولى حفظهم وغسلهم وايصالهم الى مقرهم الاخير في المقبرة الاسلامية الكائنة في ضواحي باريس في جهة (بونيني) وان جملة الاموات الذين تولى امرهم الجامع اثناء عام ١٩٣٨ عددهم ١٨٠ منهم ١٤٠ من الجزائر و ٢٠ من المغاربة و ٢ من تونس و ٥ من مصر و ٣ من ايران و ٣ من السنغال و ٢ من العراق و ٣ من التونقان و ١ من تركيا و ١ من اذربيجان ثم تعرض للدروس التي تلقى بجامع اريس - وللإعانة التي قررتها الجمعية لتنشيط حركة التأليف بالاقطار الثلاثة - الى غير ذلك من الاعمال التي قامت بها الجمعية والتي تسعى لتوسيع نطاقها عندما تتسع ميزانيتها .

وبعد الانتهاء من ذلك الفت الشيخ محمد المختار بن محمود نظر الجمعية ورئيسها بالخصوص الى مسألة تنظيم باخرة الحجاج ووجوب الاعتناء بها حتى يكون الحجاج في راحة تامة اثناء سفرهم لبيت الله الحرام . وذلك لان الحجاج قد تشككوا في العام الماضي من المعاملة السيئة التي وقعت لهم على ظهر الباخرة سينايا . ومن الالاعاب الشديدة التي قاسوها . وابتدء في ذلك الشيخ محمد الحجوي والشيخ المولود ابن الموهوب وغيرهم من الحاضرين . فاجاب الرئيس عن ذلك بان الحلل الذي وقع في العام الماضي سيقع تداركه في هذا العام بحول الله وسيقع بذل الجهد في السهر على حفظ راحة الحجاج . وسيقع التفاهم مع ملتزم الباخرة في تطبيق ذلك . لا سيما والجمعية سترسل نائبا عنها مع الباخرة تكون وظيفته مراقبة معاملة الحجاج وابعاد الاذى عنهم . ووعد بان يحضر بنفسه عند خروج الحجاج من تونس وائر ذلك دخل الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني واهدى للضيوف نسجا من سفرة الازرق المسمى (النفحة الندية في الرحلة الاحمدية) والقي قصيدة في تحية المؤتمر . ثم انقضى الاجتماع . واخذت صورة للحاضرين في صحن دار الباي .

وقد وقعت عدة اقتبالات للضيوف الاجلاء من طرف اعيان التونسيين نخص بالذكر منها المائدة التي اعدتها جناب المولى الوزير الاكبر بنزل (دار زروق) بسيدي ابي سعيد والمائدة التي اعدتها فضيلة مولانا شيخ الاسلام المالكي سيدي محمد الطاهر ابن عاشور بسانيته في المرسى . والمائدة التي اعدتها جناب المقيم العام في السفارة الفرنسية والمائدة التي اعدتها سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية ومؤرخ المجلة الزيتونية في نزل (تونيزيا بلاص) والمائدة التي اعدتها امير الامراء سيدي محمد سعد الله مدير الاوقاف بمطعم بغداد

وقد لاحظنا ان قهاء تونس لم يشاركوا في هاته الاحتفالات التي اقيمت للضيوف الا الحفلة التي وقعت في دار شيخ الاسلام حيث استدعى لها بعضهم (لاكلهم) - واذا كان السبب في ذلك ظاهرا بالنسبة للحفلات التي اقيمت في الفنادق فما هو السبب بالنسبة للاحتفالات التي اقيمت في المحلات الخاصة ؟ وقد قضى الزائرون الكرام بعد ذلك اياما سافروا فيها لبعض الجهات بداخل المملكة . وتاملوا في معالمها . واقتنوا بمباهجها . ثم رجعوا بسلامة الله الى اوطانهم .

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي بن القاظمي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الاشتراك

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
معضاة من امين المال

محمد الشاذلي بن القاظمي

والمخابرات المالية لا تكون الا معه

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب

الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠

» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠

يخصم الربع للسلامة

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة الشهرية لآداب الشرق

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها دار النشر في تونس

المدير : محمد الشاذلي ابن القاضي

عدد ممتاز

خاص بالهجرة الكثرية

لعام ١٣٥٨

فهرس القءء

الجزء الثالث

المجلء الثالث

الصقفة	المقال	صاحبه
٨٨	ذكرى الهجرة	الشيخ محمد المختار بن محمود
٩١	الاحتفال بعيد الهجرة	مءبر المءلة
٩٣	المحاضرات الاسلامفة (كتاب)
٩٤	المقصد العظم من الهجرة	صاحب الفضفة الشفخ سفءف محمد الطاهر ابن
		عاشور شفخ الاسلام المالكف
٩٨	هجرة الصءابة الى الحبشة	العلامة الشفخ ابراهفم النفر المءرس بفءامع الزفءونة
١٠٤	بلاءه وحله صلى الله علفه وسلم
١٠٥	ابتلاء الرسول سنة الله فف المرسلفن	صاحب المءلة
١١٠	وصف الهجرة	الامام محمد بن اسماعفل البخارف
١١٤	هلال له ففمن (قصفءة)	للعالم الاءفب الشفخ محمد الناصر الصءام المءرس
		بءامع الزفءونة
١١٨	الهجرة النبوة مءءأ التاريخ الاسلامف	العلامة آلففل الشفخ سفءف محمد الحءوفف وزفر
		المعارف بالحكومة المفرفة
١٢٣	التارفخ بالهجرة الشرففة	العالم المؤرخ امفر الامراء سفءف محمد بن الحوءه
		مستشار الحكومة التونسفة
١٣٠	ذكرى الهجرة (قصفءة)	العالم المءرس الشفخ علف النفر
١٣٢	الآفآ الالهفة عءء الهجرة	العلامة الشفخ سفءف محمد البشفر النفر الاسءاء
		بءامع الزفءونة
١٣٦	عمارة البفء الحرام	امفر الامراء سفءف محمد بن الحوءه
١٤٢	التارفخ المءرسف (كتاب)
١٤٣	تهلل بالبشرى (قصفءة)	شفخ الاءباء الاسءاء العربف اكءاءف
١٤٥	المءفنة ءار الهجرة	الشفخ محمد الشاءلف ابن القاضف
١٥٥	ولافة عهد المملكة
١٥٦	الهجرة (خطبة منبرفة)	الخطفب الواعظ الشفخ الحفلافف حمزة
١٥٨	النبوغ التونسي

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدايقها المكيمة من بلاد سيدي جلال مع الزيتونة في المكنون
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الثالث	تونس - في محرم الحرام ١٣٥٨ - مارس ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاهني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ذكرى الهجرة

لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة

بقلم رئيس التحرير

ان من أهم الحوادث التاريخية التي كان لها أثر عظيم في شان الاسلام وانتشاره في مشارق الارض ومغاربها ؛ وتغلغله في الاقطار قاصبها ودانها، واشراقه اشراق الشمس التي لا يصدحها شيء عن الوصول الى كل مكان، حادث الهجرة : هجرة الرسول الاعظم خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان أول ظهور الاسلام في مكة أين مقر البيت الحرام ، ذلك البيت الذي شيده ابراهيم عليه الصلاة والسلام ، وأسس على التقوى من أول يوم ، فكان مثابة للناس وأمانا ؛ فقد اليه الامم من جميع اقطار الارض ، وتتقرب فيه الى الله على حسب اديانها ومبادئها ، فكان مقر أديان متناقضة ، وعوائد متباينة ، كما كان مقر عصبية مختلفة ، وقبائل متنوعة ، تعز كل واحدة بدينها ، وتباهى بقوتها وكثرة عددها

فاختار الله تعالى ان يكون مظهر الاسلام في ذلك الموضع الذي تطاحت فيه الاديان ، وتنوعت فيه المبادي ، وتشتت فيه الاغراض ؛ اذ ظهور الاسلام في مجتمع على هاته الحالة دليل واضح على ما للاسلام من قوة وماله من سلطان بحيث لا يبالي بتلك المظاهر المتنوعة لانه بقوته سيفضي عليها بعث الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فمكث زمنا يسيرا يهيء الاسباب لظهور دعوته والاصداح بكلمة الله ، ثم اذن له ، فصده بالامر ، وجاهر بالدعوة ، قتال الناس عليه ، واعدوا العدة لمقاومته ، لما علوه من ان هذا الدين الجديد الذي جاء به اليهم سيكون قضاء مبرما على ما الفوه من العقائد الضالة ، وهكذا الشان في كل من يضل عن سبيل الله ، فتأخذ العزة بالاثم ، ولا تجد الهداية الى قلبه من سبيل

ولم يقتصروا في مقاومته على الطرق المعقولة ؛ من المفاهمة والاحتجاج والمحاورة ، بل قاوموه صلى الله عليه وسلم بالفعل ، فترصدوا له في غدوة ورواحه ، واغروا به سفهاءهم والفلتاء منهم ، وءادوه بانواع من الاذيات لا يتح لها الا امثاله صلى الله عليه وسلم من اولي العزم ، فكانت يقارم ذلك بالحلم والصبر والجلد ، ويستعز على بث الدعوة التي كلغه الله بها ؛ مستخفا باعمالهم ، واثقا من نفسه ، عالما بان النصر سيكون بجانبه ، وهكذا شان المرسلين عليهم الصلاة والسلام ؛ في التجلد وقوة العزيمة ، وتحمل الشدائد واقتحام الاخطار .. (وكاين من نبي قتل معه زيون كثير فما وهنوا

لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين ، وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين)

ثم لما مضت أعوام على هاته الحالة ظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن بقاءه بمكة والمشركون على ما هم عليه من الكفر والعناد والمقاومة لا يمكن معه الوصول الى الغاية التي يسعى لتحقيقها ، فاستاذن من ربه سبحانه وتعالى في أمر الهجرة ، فهاجر الى المدينة ، ومعه أتباعه الذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه ، فوجد فيها انصارا اعزوه واعتزوا به ، وأكرموا من هاجر معه قطاب له فيها المقام وتبأت الأسباب لنشر كلمة الاسلام ، وقرت عينه عليه الصلاة والسلام وعند ذلك دخل الاسلام في طور جديد ، وتبأت أسباب الدعوة ، وتفرغ الرسول صلى الله عليه وسلم الى العمل العظيم الذي كلف به ، فتوالت الغزوات ، واستمرت الفتوحات ، ودكت معالم الشرك فارتجت ارتجاجا ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، ونفذت كلمة الله الى سائر الاسماع ، وانتشرت في جميع البقاع ، فذلك هو حادث الهجرة وتلك هي آثارها

ثم استمر الاسلام على النمو والانتشار ، حتى صارت دولة الاسلام أقوى الدول ، وحتى صارت مدينة الاسلام ارقى المدن ، وحتى صارت الامة الاسلامية هي مضرب الامثال في عدلها وقوة سلطاتها ؛ واستمر الحال على ذلك حينئذ من الدهر ؛ ثم دالت الدولة ؛ وضعفت الصولة ؛ وطراً على جسم الامة الاسلامية الاعتلال ؛ حتى كادت تصل الى الاضمحلال ، حيث تغلبت الاغراض ، وتشتت الجمع ، وتفرقت الكلمة ، وسادت الفوضى ، وصارت الامة الاسلامية اضعف الامم ، تساق بالعصى ، وتغزى وهي في غمر دارها ، وتعامل بانواع الخسف والهوان ، وتشج فلا يرئى لها احد ، وتقر ولا تستفيد من كثرة العدد

فهل يدوم الحال على ذلك ؟ وهل لمعالجة ما عليه المسلمون من سبيل ؟

اما دوام الحال فمعن المعال ، واما العلاج فهو سهل بسيط ، ذلك ان الرجل العاقل هو الذي يقارن بين ماضيه وحاضره ، ويبحث عن اسباب عزه عند ما كان عزيزا ، ويبحث عن اسباب ذله عند ما صار ذليلا ، فيدرك نفسه أسباب الخلل ، ويتدرع بالطرق الناجحة من وجوه العمل وان في حادث الهجرة عبرة لمن يعتبر ، ولا ينبغي أن يمر به الانسان كحادث يكفيه منه ان يعلمه ؛ بل يجب ان يقلبه ظاهرا وباطنا ، ويستخلص منه ما فيه من اسرار ، ثم يسعى للعمل على ذلك حتى يصل الى الغاية التي يقصدها ، والغرض الذي ينشده

وفي الهجرة عبر كثيرة ؛ ومغاز سامية ؛ لا تكفي مقالة لتعدادها . وانما تقتصر منها على ثلاثة

أمور . وهي : ١ - الاعتماد على الله ٢٠ - التضحية بالنفس ٣٠ - والعزيمة

الاعتماد على الله

فالاعتماد على الله . فهو سر النجاح في كل شيء ، لان الاعتماد على الله يكسب الانسان قوة وبإلها من قوة . فاذا تشبع الانسان به اقدم على العمل بنفس مطمئنة . وإيمان ثابت . لا يخف الا من الله . ولا يرهب الا من سطوته . واثقا من ان البشر لو اجمع انهم وجنهم على ان ينفعوه بشيء ، لم يكتبه الله له ام يقدروا عليه . ولو اجمع انهم وجنهم على ان يضرروه بشيء ، لم يقدره الله له لم يتمكنوا منه . فعند ذلك يزول عنه الجبن والخوف والاستكانة ويصير عزيزا قويا . مزديا بالحوادث والاحطار فهو اذا توجه توجهه الى الله . واذا اعتمد اعتمد على الله . لا يفت شيء في ساعده . ولا يصده صاد عن البلوغ الى مقاصده

التضحية بالنفس

واما التضحية بالنفس . فهي الامر الذي يجب على كل انسان يريد النجاح ان يروض نفسه عليه . لانها كلمة جامعة تشمل ارتكاب الاخطار . ومفارقة الديار . وتحمل الاكدار . وإيثار الغير بالمنفعة . وتجنب المطامع السافلة . والتجلى بجميع الكمالات والفضائل . واذا بلغك عن امة انها تريد النهوض فابحث عن اصحاب الزعامة فيها فان كانوا ممن يرضون بانفسهم في سبيل المصلحة العامة ، فترقب لها النجاح ، وان كانوا من اصحاب المطامع ومن الذين لا يرضون بان يؤثروا اذى . فاعلم ان طمعها في النهوض كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا

العزيمة

واما العزيمة فهي الشرط الذي لا بد منه في نجاح كل عمل . لان الانسان اذا اقدم على عمل وكان له عزم صادق في نجاحه يصل بحول الله الى غايته لا محالة . اذ صدق العزيمة هو الذي يذل به الانسان كل امر صعب يعترضه في طريقه . فلا تؤثر المصائب في عزمته . ولا تصده الاخطار عن البلوغ الى غايته .

والعزيمة قوة يعنها الله في الانسان فيضطامع باعباء الامور بنفس مطمئنة وعقيدة راسخة ، ولعظم أمرها مدح الله رسله عليهم الصلاة والسلام بانهم اصحاب العزم . اذ بدون عزيمة لا تنجح الاعمال . ولا يصل الناس الى ما يقصدونه من الآمال

فاذا أراد المسلمون ان يعتبروا بالهجرة . وان يسترجعوا محبا اضاعوه . وعزة فقدوها . فليكن اعتمادهم على الله . وليعودوا انفسهم على التضحية . ولينكن لهم عزيمة صادقة ، فعند ذلك يحصل لهم التأييد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويحق لهم ان يطعموا في النجاح ، ويترقبوا من ليلهم الذي طال امداه ان ينجلي بالاصباح .

محمد المختار بن محمود

الاحتفال بعيد الهجرة ❁

باسمك اللهم نبتدى مقالى ، ومنك نستمد الهداية والتوفيق ، وعليك الاعتماد فى الارشاد الى اقوم طريق ، صراطك المستقيم . صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
يا ايها السادة الاكارم

انكم حضرتم فى هذا الاحتفال البهيج . البهيج فى معناه ومغزاه . البهيج فى سعة مرماه ، وليتم صوت ضمائركم الطاهرة ، وقوسكم المفعمة اخلاصا ومحبة لصاحب الرسالة الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لتقيموا هذه الذكرى الخالدة ما دامت الارض والسموات ذكرى هجرة الرسول الامين وليس الاحتفال بالاعیاد والذكریات ، واستيحاء العبر المشرفة ، قضية مستحذنة لا يعلمها المسلمون وانما سرت اليهم كما يزعم ذلك من جهل الاسلام فخذت عليه محاسنه التي اصبحت عنده فى زوايا الاهمال ولو علم الناس ما شرعه الرسول من الاحتفال بذكرى نزول القرآن . وبعبارة بذكرى نزول الدين ، من كل عام فى شهر رمضان ، وكيف سنه الله لرسوله ، فبعث له الروح الامين ، يدارسه القرءان فى خصوص ذلك الشهر العظيم من كل عام . لادركوا أن ذلك من أوضاع الاسلام ، من قبل أن تخلق هذه المدينة باكثر من الف عام

أضف الى ذلك جواب عمر بن الخطاب لكعب الاحبار حين أورد عليه الايراد المشهور فى آية (اليوم اكملت لكم دينكم) وقال له لو ان هذه الآية نزلت علينا يعنى اليهود لاتخذنا ذلك اليوم يوم عيد يعنى نحتفل فيه بذكرى يوم كمال الدين . فاجابه ابن الخطاب بجواب من علم الشريعة ظاهرها وخفيها . وعلم أسرارها ومميزاتها . بان ذلك اليوم الذي نزلت فيه تلك الآية الشريفة . هو يوم عيد وذكرى بوضع آيى . وكفاه ذلك تشريفا وتعظيما . وضروري ان يتخذها المسلمون كما شرع لهم غاية ما هنالك ان المسلمين لما ضعفوا واقتبس من سواهم محاسنهم . صار يظن ان ذلك اغيهم وهم فيه تبع . ثم بعد ذلك يترددون هل نسير على خطى الغير ام نسير على نحو ما تركنا عليه آباؤنا . ان هذا لشيء عجاب

اما ذكرى الهجرة فيكفيها تنويه بهذا الحادث الخطير وتعظيما ان اتخذها المسلمون الاولون . من المهاجرين والانصار بارادة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مبدأ التاريخ الاسلامي وفي ذلك من الاشارة الى انها اخطر الحوادث واشرفها فى الاسلام . ضف الى ذلك ما فيها من تنبيه المسلمين على ممر العصور وتذكيرهم فى كل عام بعيد عز الاسلام .

❁ الخطاب الذي القاه مدير المجلة فى الاحتفال العظيم الذي اقامته جمعية الشبان المسلمين بقاعة المحاضرات بقصر الجميات مساء يوم الخميس ثالث المحرم .

الهجرة يا سادة . عبرة بالغة واثرة من آثار حياة الرسول المفعمة بالحوادث الجليلة وآية من الآيات البينات على مبلغ إيمان النبي الأمين . وإيمان أصحابه الغر الميامين والإيمان وحده هو الذي يبلغ الى أقصى حد الكمال البشري فعمق آمن الانسان وأن السعادة في الخلود الى الشهوة أو الى ما تنعم به النفس من أنواع الترف سعى لها سعيها الذي يوحيه له إيمانه . وكلها حاول غير ذلك استعصى عليه وان هو آمن وان السعادة في حياة التقشف والزهد والاعراض عن العالم بما فيه من نعيم أو حجوم أوحى اليه إيمانه العزلة وأراه العالم على صورة لا يتسنى له أن يحيي معها حياة التلذذ بنعيم الحياة . وان أحجد نفسه كل الاجهاد . ومتى آمن وأن العزة لله ولرسوله والمؤمنين . أوحى اليه إيمانه حياة العزة التي ارتضاها الله لرسوله والمؤمنين .

وبهذا الإيمان تحلى الرسول ومن هذا الإيمان عرف اصحاب الرسول . وهل بعد هذا الإيمان يلتفت الى وطن او ابن او عشيرة او مال وبالأحرى الى شيء من متاع الحياة اذا كان ملطخا بسمة الهوان ؟ وهل بعد هذا الإيمان ينظر الى رفاهية عيش اذا كان ملطخا بسمة الهوان ؟ وهل بعد هذا الإيمان ينظر الى زوج او صاحب اذا كان ملطخا بسمة الهوان ؟ كلا ان وحي الإيمان يا سادة شيء عظيم .

كان الرسول صلى الله عليه وسلم يعالج المسلمين ليكون منهم نفوساً مؤمنة بالإيمان الكامل . الإيمان الصادق . الإيمان بالحق . الإيمان بالعزة . الإيمان بالقوة حتى أصبح المسلمون مثال الحق والعزة والقوة . وعلى هذا الصراط السوي نشؤا في الاسلام فلا جرم اذا رأيتهم يسترخصون كل عظيم في عين غيرهم ويهجرون الاوطان وعز الاوطان ومنعة الاوطان ونعيم الاوطان وما اشتملت عليه الاوطان كما هجروا من قبل ما كان عليه الاولون من دين الاباء والاجداد والاعمام كل ذلك بالإيمان الذي أوحى اليهم الحق كما هو حق والعزة كما هي عزة والقوة كما هي قوة أجل ان الهجرة يا سادة تذكرنا بعظمة الثبات على المبدأ . تذكرنا بجلال الحق وأنه يعلم على القوة متى وجد نفوساً تؤمن بالحق ولا يصدها أي خطر لاطهار الحق . تذكرنا تلك المعركة الجبارة بين الهدى والضلال

تذكرنا ببطولة المرأة في الاسلام وبلائها في اعزاز هذا الدين البلاء الحسن (١)

تذكرنا ببطولة الصابرين وصدق عزيمة الرسول (اذا اخرجهم الذين كفروا ثاني اثنين

(١) اشارة الى ما قامت به السيدة اسماء ذات النبطاين ابنة الصاحب ابي بكر الصديق رضي الله عنهما من الاعمال الجليلة عند الهجرة وما قام به نساء الصحابة في اعزاز الدين

اذ هما في الغار . اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا . فانزل الله سكينته عليه . وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم)

حق يا سادة ان يقال ان الهجرة مبدأ عهد للانسانية جديد . لمع نبراسه من غار ثور . وشاع نوره من مسجد المدينة . وظهر صارمه في بطاح بدر . ورددت أنشودته الحماسية أصوات الفاتحين يوم فتح مكة وفي وادي اليرموك ويوم القادسية وحين اعتلوا على صور الشام . فمن هناك انبعث الخير يغمر اقطار المعمورة . ويحمل للعالم شريعة كلها أمن وعدل وسلام وحرية . كلها هدى ونور وشفاء لما في الصدور

فلا جرم ان يكون عيد الهجرة من أسمى الاعياد قدرا . وأنفعها ذكرى . تفيض على المسلمين في مشارق الارض ومغاربها الغبطة والمرح . وتامرهم بالسير في ذلك الطريق الذي عبد لهم يوم الهجرة الافخم . وعلى ضوء شرعهم الوضاح . الذي ما كسفت شمس هدايته . بل ضربت على الابصار غشاوة لو تنبه لذلك الغافلون

سادتي ينازعنا في هذه الساعة عاملان عظيمان . عامل السرور والابتهاج بهذا العيد الاوحد . وعامل الحسرة والاسى على ما فرطنا في جانب دين الله . على ما فرطنا من عز الاسلام . على ما فرطنا من الاستهانة بالمسؤولية الملقات على كل احد من افراد الامة المحمدية .

سادتي ان امر المسؤولية عظيم . وما دام المسلمون يلقي كل فرد منهم المسؤولية على عاتق غيره . كانه لا تبعه عليه كيف يكون العلاج .

سادتي ان صرح الاسلام اقيم على عواتق الامة بأسرها . فكيف ترومون اليوم أن ينهض به افراد من الامة . بل كلكم راع . وكلكم مسئول عن رعيته . ولا يصلح آخر هذا الامة الا بما صلح به اولها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المحاضرات الاسلامية

كانت وزارة الاوقاف المصرية اوكلت الى العالم الواعظ الشيخ محمد بن عبد الرحمن الحديدي مدير شؤون المساجد لوزارة الاوقاف ان يقوم بالقاء محاضرات دينية امام مذياع الحكومة المصرية فالقى فضيلته سلسلة محاضرات دينية اجتماعية تاريخية ادى بها اجمل عمل نحو الامة الاسلامية . ومن احسن ممن دعى الى الله وعمل صالحا وانا السبيل . وتعميما للنفع قد جمع حضرته مجموع المحاضرات التي القاها وادوعها في سفر واسماه « المحاضرات الاسلامية » وقد قامت جمعية الوعظ والدعوة الاسلامية ونجدة التقوى بمصر بطبعه ونشره

وقد اهدى البنا نسخة منه وبعد تصفحه الفيناة تضمن عشرين محاضرة كلها عيون حدثنا فيه عن اثر العقيدة في اصلاح المجتمع وبماذا نعرف الرجل المؤمن وعن نشوء الدعوة الاسلامية وكيف نهض الاسلام بالمجتمع كما حدثنا فيه عن شيء عظيم من حياة الرسول صلى الله عليه واصحابه الاكرمين الى غير ذلك من الابحاث الرائقة والحكم الجامعة

ونحن نثني على همة الشيخ العلمية مؤملين منه مزيد النور في هذا المضمار ولكتابه القيم ان ينتفع به المسلمون ويقدروه حق قدره

المقصد العظيم من الهجرة

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

ان في كل شأن من شؤون رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصها وعامها دلائل على أنه بمحل العناية من ربه تعالى تحقق معنى قوله تعالى « فانك بأعيننا » أي بمحل العناية منا (اذ حقيقة العين يستحيل إثباتها لله تعالى فتعين بحكم استعمال اللغة أن تكون العين في الآية مراداً منها لازم لازم حقيقتها وهو الاعتناء اللازم لمعنى المشايعة والمشايعه من لوازم النظر المراد من العين كما قال النابغة يخاطب النعمان بن المنذر :

رأيتك ترعاني بعين بصيرة وتبعث حراسا علي وناظرا)

ومن أعظم الشئون التي عرضت للرسول عليه السلام في رسالته شأن خروجه من وطنه في ذات الله تعالى وكان في ذلك الشأن من المقاصد الآلية العظيمة ما لا يحيط به غير علام الغيوب فلا جرم أن نعد منها ما بلغ اليه العلم والهمة الفهم في هذا الوقت القصير ، وعسى أن يكون في قلبه تنبيه كثير ، يفتح فهم الناقد البصير

الهجرة شئنة من أحوال الرسل فقد هاجر ابراهيم واوط وهود وصالح وموسى ويونس ولكل وجهة وكل على هيئة وتلك الشئنة هي التي أنبأت ورقة بن نوفل بأن محمداً عليه الصلاة والسلام سيسلك به ربه مسلك رسله « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا » كان ورقة بن نوفل القرشي المنتصر في الجاهلية قد توسم من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أن يخرج أو يخرج من وطنه ، ففسي صحيح البخاري (ان رسول الله لما ذهب اليه بآشارة خديجة رضي الله عنها وقص عليه رؤية الملك ونزول الوحي عليه في غار حراء قال له ورقة « هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى يا ليتني اكون حيا اذ يخرجك قومك ، قال رسول الله اوخرجني هم ، قال ورقة : نعم لم يأت احد بمثل ما جئت به الا عودي وان يدركني يومك انصرك نصرا مؤزرا)

كأن خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة نبذاً منه لاهل الشرك وسخطاً عليهم وتنزيهاً للدين عن البقاء بين أظهرهم واعلانا لسائر الناس بأن أمر هذا الدين ليس بالامر الهين فان الدعوة بالفعل مع القول أشد نفوذا الى النفوس من مجرد القول بحيث صارت الدعوة الاسلامية حادثاً مشاهداً ومتحدثاً به بعد أن كانت مسموعة لا غير ولذلك سمي هذا الخروج هجرة مشتقة من الهجر وهو قطع المعاشرة ولقد كانت باذن الله له بذلك حين تهيأت الاسباب التي أرادها الله تعالى كما أنبأ به

حديث الهجرة في الصحيح ان رسول الله قال لا يي بكر ان الله اذن لي في الهجرة ولم يكن ذلك الخروج فرارا وخشية من المشركين لان الله الذي عصمه منهم ثلاث عشرة سنة وهم يؤذونه بالقول ولا يقدمون على الحاق الضرر به قادر على اكمال عصمته منهم وخاصة بعد أن كثر اتباعه واعتزوا باقويائهم مثل عمر بن الخطاب وحزمة بن عبد المطلب، وقد علم رسول الله أنه اذا خرج من بين قومه يعدون خروجه غلبة معنوية عليهم فيحاولون منعه فلذلك رأى أن كتمان أمره أعون على مراد الله من خروجه ورأى الاختفاء بعد الخروج ثلاث ليال بغار ثور أقطع لطماعية المشركين في اللحاق به وأعجز لهم في طلبه ولذلك كان يسير الليل ويستريح النهار وتلك ايضا عادة العرب في سيرها في وقت الحر وقد كانت الهجرة في زمن الحر

الهجرة مفارقة الوطن على نية عدم الرجوع اليه وأسبابها تارة تكون للطمع في نفع يحصل للمهاجر في الموطن الذي ينتقل اليه وتارة من كراهية الإقامة في الوطن لعداء بين المهاجر وقومه أو لاذى لحقه منهم وتارة لنشر دعوة أو اظهار فضيلة أو استنصار على غزو أو غير ذلك فهي أخص من السفر ومن التغرب لان في السفر والتغرب أمل العود الى الوطن .

وايما كانت غايتها ومنفعتا فانها شديدة المضاضة على النفس لان في مفارقة الوطن مفارقة لعلق البقاع بالقلب مما شب فيه المرء وألفه ومفارقة قرابته وجيرانه وأحبته وقد قال ابو الطيب وأجاد .

لولا مفارقة الاجاب ما وجدت لهي المنايا الى ارواحنا سبلا (١)

وسماها القرآن فتنه في قوله تعالى (والفتنة اشد من القتل) قال المفسرون أراد اخراج المؤمنين من بلادهم مكة ثم ان أسمى غاية يفارق المرء لاجلها وطنه وأقوى سبب يحدث عنه الشقاق بين المرء وذويه هو الذب عن الاعتقاد اذا بلغ عناد المخالفين فيه الى حد تحجير اظهاره والمضايقة فيه ومحاولة الارغام على تركه والتظاهر بما يخالفه وان المرء ليضجر لو أغمضت عيناه أو سدت أذناه وما هم الا بعض مظاهر ادراكه فكيف به اذا سد عليه قلبه وعقله ورأيه وأن أسمى العقائد وأقدس الآراء عقيدة الدين لتعلقها بأشرف الموجودات ولتجردها عن الغايات المادية والمنافع العاجلة التي تلائم هناء المرء في عيشه ومسألة دهماء قومه اياه فالاعتقاد الديني اعتقاد محبوب لاجل كونه حقا بحتا ولاجل كونه يرضي خالق الخلق، وقد كانت الهجرة في الله للتمكن من تبليغ شرائعه، وكان الاذى في الله لاجل ذلك سنة من سنن المرسلين فما من رسول الا وقد أودى في الله وكذلك كثير من اصحاب الرسل أودوا وهاجروا معهم وبدونهم، ولما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم واتبعه من اتبعه من قريش

(١) لهي اسم جمع لهاة بفتح اللام وهي الخلق والمنايا جمع منية وهي الموت وقد جمعا باعتبار متعلقاتها وهي نفوس الاحياء واثبت للمنايا خلوقا لانه قدر تشبيها بسباع تنبثق الارواح على طريقة الاستعارة المكنية .

وتكاثروا وحاولوا اظهار دينهم بين مشركي أهل مكة لم يرض المشركون بذلك وكشروا للمسلمين عن أياب العدوان وأخذوا يؤذون المسلمين بصنوف من الاذى كانت تزداد يوما فيوما بمقدار رسوخ المسلمين في الاستمساك بدينهم وكان المسلمون صابرين على أذى المشركين حتى بلغ الصبر غايته أذن رسول الله في سنة خمس لطائفة من المؤمنين المستضعفين والمقصودين بخاصة الاذى بالخروج من مكة ولم يخرج رسول الله حينئذ لانه في منعة بعمة ابي طالب فقال لاصحابه لو خرجتم الى ارض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه أفخرج من المسلمين يومئذ ثلاثة وثمانون رجلا وتسع عشرة امرأة فتلك الهجرة الاولى . ثم لما اسلم الاوس والخزرج أذن الله لرسوله وللمؤمنين كلهم بالهجرة من مكة الى المدينة دار الاسلام . وقد قيل إن ذلك كان باقتراح من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ورجع مهاجرة الحبشة الى المدينة فكان حكم الهجرة من مكة واجبا على كل مسلم قال تعالى (والذين ءامنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق) ودام ذلك الحكم الى فتح مكة .

كم من حكمة لله تعالى فيما اشتمل عليه حادث الهجرة من الاحوال وكم من نعمة أسداها لعبده ورسوله في تلك الهجرة دل بها على أنه بمحل عنايته وأنه متمم نوره ولو كره الكافرون قال تعالى وكان فضل الله عليك عظيما

الحكمة الاولى صرفه ألباب قريش وحذقهم عن ان يفكروا في قطع دابر أمر الاسلام قبل ان يكثر أتباعه وينتدب له أنصاره وتشيته رأيهم في صده عن الخروج حتى مكنه الله منه وفي ذلك اليأس تهية لهم نحو الدخول في الاسلام .

الحكمة الثانية أن هيا له أن تكون هجرته الى يثرب ولم يكن ذلك في باله أول وهلة ففي الصحيح عن أبي موسى الاشعري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (رأيت في المنام أني أهاجر الى أرض بها نخل فذهب وهي الى أنها اليمامة أو هاجر فاذا هي المدينة يثرب) فكان من تيسير الله أن ساق اليه النفر الستة الاولين من الاوس الذين أسلموا من أهل يثرب فان موقع المدينة كان وسطا من أرض العرب فكان بلوغ دعوة الاسلام الى بلاد العرب بانتشار شعاعي وهذا أيسر عموما مما لو كانت دار الهجرة اليمامة أو هجر في الطرف الشرقي الشمالي من بلاد العرب

الحكمة الثالثة أن أهل يثرب كانوا أقرب قبائل العرب لقبول شريعة الاسلام فانهم وان كانوا قبل الاسلام مشركين يعبدون مناة وغيرها الا انهم لشدة مخالطتهم لليهود وهم أهل كتاب كانت اذانهم قد اعتادت معالي التوحيد والشرائع فكانت نفوسهم مرتاضة الى ذلك

الحكمة الرابعة أن الله جعل للمسلمين من أهمية موقع المدينة من بلاد العرب سلطانا على اعدائهم

من قريش أهل مكة فان قريشا كانوا تجارا وكانت لهم رحلة في الشتاء الى اليمن للتجارة واخرى في الصيف الى الشام سن لهم ذلك هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم وذلك هو المسمى بالايلاف (١) وكان مرورهم الى الشام على طريق المدينة من بطن عالج فلما صارت المدينة دار سلام وثبتت العداوة بين أهلها وبين قريش صارت قريش تهرب المرور على المدينة فانقطعت تجارتهم الى الشام وهي أهم تجارتهم وفي ذلك المعنى قال حسان بن ثابت مهددا لقريش

دعوا فلجات الشام قد حال دونها جلاذ كأفواه المخاض الاوارك (٢)

بأيدي رجال هاجروا نحو ربهم وانصاره حقا وأيدي الملائك

اذا سلكت للغور من بطن عالج فقولوا لها ليس الطريق هنالك

الحكمة الخامسة انتقال الاسلام من طور الى طور أكمل منه هو الذي كان مقدمة كماله المعلى عليه يوم حجة الوداع بقوله تعالى « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي »

مضت مدة إقامة رسول الله بمكة والاسلام حينئذ في طور كان فيه دينا مقتصر على إصلاح العقيدة وتهذيب نفوس أتباعه وتطهير أخلاقهم في خويصتهم ومجتمعهم ودعوة المشتركين الى الايمان بالله ورسله وما جاءوا به وتشهير فضائع أهل الشرك وضلالهم وسخافة رأيهم وذلك طور ابتداء الله به الاسلام لينشأ منشأ سائر الكائنات من طفولة الى شباب الى كهولة (كذلك لنبت به فؤادك) ولتهيئة قلوب المسلمين الى تلقي الشرائع وانتظام الجماعة فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة تطور الاسلام الى طوره الاشد فصار دينا وجامعة وشريعة وحكومة

الحكمة السادسة استقلال الاسلام وأمنه وإعلان العبادة فشرع الاذان وأقيمت الجمعة ونحو ذلك الحكمة السابعة تنظيم الجماعة في الاسلام من أول الهجرة بابتناء المساجد واقامة الائمة والقضاء ومشروعية المواساة بين المسلمين بالزكاة والصدقات وتنظيم قوانين العائلة من شرع تصحيح عقود الزوج وحقوق الزوجين والقرابة والمصاهرة الخ. وبالاستخلاف في تدبير الامور واقامة الاحكام في مغيب الرسول او في البعد عنه. وابتداء التشريع العام في أحكام المعاملات والجنايات ففسي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : انما نزل أول ما نزل من القرآن سورة من المفصل بين ذكر الجنة والنار حتى اذا تاب الى الاسلام نزل الحلال والحرام. الحكمة الثامنة تنظيم الدفاع عن الدين والامة بالنبيء لمقاومة المشركين من أهل مكة وأحلافهم اذا نوا ذلك وهم بوشك أن ينووه اذ هم من قبل قد ناووه الحكمة التاسعة ايجاد مال للمسلمين لاقامة مصالحهم وعدة لنوائهم مجتمعاً من الزكاة والوقوف ثم من المعانم والانفال. الحكمة العاشرة مخاطبة ملوك الارض ورؤساء الامم بالدعوة الى الدخول في دين الاسلام والاستقلال بالرأية الاسلامية. محمد الطاهر ابن عاشور

(١) الايلاف مصدر الف بمعنى الف الشيء وقد أشار اليه قوله تعالى لا يلاف قريش وكان ذلك من خصائص قريش قال مساور بن هند العبسي يهجو بني أسد ويكذبهم في دعواهم انهم من نسل أسد بن عبد العزى من قريش

زعمتم أن اخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلف

أولئك أومنوا جوعاً وخوفاً وقد جاءت بنوا اسد وخافوا

(٢) الاوارك التي تأكل الاراك فيجرح لها افواها فيسيل منها الدم

هجرة الصحابة الى الحبشة

بقلم العالم الشيخ ابراهيم النيفر المدرس
من الرتبة الاولى بجامعة الزيتونة

(ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين ءامنوا معه متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب)

سنة الله في الذين خلوا من الانبياء والمرسلين ، ومن تبعهم من المؤمنين ، يدعو الرسل قومهم الى الايمان ، وترك ما هم عليه من عبادة الاوثان ، واطراح ما افوهوا من منكرات وفسوق وعصيان ، يأمرهم بافراد الله بالعبادة ، ويرغبونهم في مكارم الاخلاق وفضائل الشيم ، فيعظم ذلك على قومهم ، ويعز عليهم ترك ما افوهوا ووجدوا عليه ءاباءهم ، ويعجزون عن مقارعة الحجة بالحجة والبرهان بمثله فيعمدون الى سلاح العاجز يشتمون ويسبون ، ويضربون ويوذون . ويتطاولون على من قدروا عليه من المؤمنين يعذبونهم تعذيبا في سبيل الله ، فيصبر المؤمنون على ذلك ويرون العذاب عذبا ، ويستطيون مرارة البلاء ، وهكذا الايمان اذا خالطت بشاشته القلوب وامترج باللحم والدم وصار عقيدة راسخة في النفس ، لا تزغزعا المحن ولا تؤثر فيها البلايا ، حتى يظهر الله دينه وينصر رسله ويعز المؤمنين .

سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا

لم يكن ليخرج سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن هذه السنة ولا أصحابه الاكرمون . أو ذي صلى الله عليه وسلم فصر صبر أولي العزم من الرسل ، ونكل قريش بمن ءامن من الصحابة تنكيلا بالضرب والتعذيب والقتل فما زاد ذلك النبي صلى الله عليه وسلم الا نباتا ، وما قابل الصحابة هذا الابتلاء الا ببجالة ، واضطروا الى الخروج من ديارهم ، والبعد عن أهلهم وترك أموالهم ، حتى نصرهم الله نصرا مبينا ، وردهم الى دورهم ودخلوا دخول الفاتحين

نزل جبريل الامين بالوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعلمه أن الله اختاره واصطفاه ليكون رسولا للناس عامة ، يدعوهم الى خير دين عرفه العالم ، وأن يبدأ بدعوة الناس سرا ، فقام بما أمر به وصار يعرض نفسه على الناس فرادى وبقي كذلك ثلاث سنين . دخل الناس فيها في الاسلام أرسلوا رجالا ونساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحديث به ، ثم أمره الله تعالى بالجهار بالدعوة والصدع بما أمر به حيث نزل عليه قوله تعالى « فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين » وقوله

تعالى « وأنذر عشيرتك الاقربين ، واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ، فان عصوك فقل إني بريء مما تعملون »

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يصلون في الشعاب يستخفون بصلاتهم من قومهم حتى اطلع عليهم قريش يوما وفي المسلمين سعد بن أبي وقاص وهم يصلون فعاثوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد رجلا من المشركين بلحي (١) بعير فشججه ، فكان أول دم اريق في الاسلام . لكن قريشا لم يبعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ولم يردوا عليه لانه وإن دعا الى التوحيد فلم يذكر الهتهم ولم يعيها ، فلما فعل ذلك ونزل عليه من القرآن ما فيه دم لها وتسفيه لاحلامهم ، عظم ذلك عليهم وأجمعوا على خلافه وعداوته ، فحذب (٢) عليه عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى صلى الله عليه وسلم على أمر ربه لا يرد عنه شيء

فلما رأى ذلك قريش مشى جماعة منهم الى ابي طالب وقالوا له يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب الهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضل آباءنا فما ان تكفه عنا وإما ان تخلي بيننا وبينه فردهم أبو طالب ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى صلى الله عليه وسلم يظهر دين الله ويدعو اليه ثم شري (٣) الامر بينه وبينهم وأكثر قريش من ذكره صلى الله عليه وسلم فذهبوا الى أبي طالب ثانيا فقالوا له : يا أبا طالب إنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب الهتنا حتى تكفه عنا أو تنازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم لكن لم يطب نفسا بخذلان النبي صلى الله عليه وسلم فخطبه في ذلك ، فقال له النبي : يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته ، فقال له أبو طالب : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت فوالله لأسلك أبدا ، فعرضوا على أبي طالب بعدئذ أن يأخذ عمارة بن الوليد ويسلم لهم النبي صلى الله عليه وسلم فغضب لذلك غضبا عظيما وامتنع فعاداه لذلك قريش وأشدت الامر بينه وبينهم . ووثب قريش على الذين أسلموا يعذبونهم ويقتنونهم عن دينهم . وكان أبو طالب يمنع النبي صلى الله عليه وسلم ودعا بني هاشم وبني عبد المطلب الى معونته على ذلك فاجابوه الا باله . وفي ذلك يقول ابو طالب في قصيدة طويلة منها :

لقد علموا أن ابنا لا مكذب لدينا ولا يعني بقول الاباطل

فاصبح فينا أحد في أرومة تقصر عنه سورة المتطاوّل

حدثت بنفسي دونه وحيتة ودافعت عنه بالذرا والكلالكل

فأيده رب العباد بنصره وأظهر ديننا حقه غير باطل

ومع ذلك فانه صلى الله عليه وسلم لم يسلم من أذى قريش فقد كانوا يغرون به سفهاءهم .

(١) اللحي : العظم الذي على الحد . (٢) حذب عليه : تمطف . (٣) شري الامر : كثر وزاد

حدث ابن إسحاق بسنده الى عبد الله بن عمرو بن العاص قال : اجتمع يوما قريش في الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل . سفه أعلامنا وشمم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب الهتنا . فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم النبي صلى الله عليهم وسلم واستلم الركن وطاف بالبيت فغمزوه (١) ببعض القول وتكرر ذلك ثلاث مرات . جاء من الغد فوثبوا اليه وثبة رجل واحد واحاطوا به يقولون له أنت الذي تقول كذا وكذا . فقال لهم : نعم . فأخذ رجل منهم بمجمع رداءه فقام أبو بكر دونه يقول لهم : أقتتلون رجلا أن يقول ربي الله ثم انصرفوا عنه

وقال ابن هشام : أشد ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش أنه خرج يوما فلم يلقيه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه فرجع عليه السلام الى منزله فتدنر من شدة ما أصابه فانزل الله : يا أيها المدثر قم فأندر . (وقيل ان سبب نزول الآية غير هذا)

ولما أسلم حمزة عرف قريش أنه عليه السلام عز وامتنع فكفوا عن بعض ما ينالون منه وقد أراد أبو جهل أن يقتله يوما وهو ساجد بحجر كبير فرأى ما رأى . رأى فحلا من الابل كاد أن يلتهمه فولى هاربا .

وكان أول من جهر بقراءة القرآن بمكة بعد النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود . فقد روي أنه وقف عند المقام فقرأ : بسم الله الرحمن الرحيم . الرحمن علم القرآن الخ فقاموا اليه يضربون وجهه فرجع للصحابة يقول لهم : ما كان اعداء الله أهون علي منهم الآن . ولما استمر المؤمنون على ثباتهم وثب قريش على ضعفائهم يعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر فما زادهم ذلك الا تصلبا في دين الله

هذا بلال بن رباح كان مملوكا لامية بن خلف وكان صادق الاسلام طاهر القلب فكان أمة يخرج به إذا حبت الظهيرة فيطرحه على ظهيرة في بطحاء مكة ويسأمر بالصخرة العظيمة توضع على صدره ليرتد عن دينه وهو مع ذلك صابر يقول : أحد أحد . حتى اشتراه أبو بكر وأعتقه وهذا عمار بن ياسر وأبو ذؤيب وأمه كان يخرجهم بنو مخزوم يعذبونهم برمضاء مكة فيمس بهم عليه السلام فيقول لهم صبراء ال ياسر موعدكم الجنة .

ولما رأى عليه السلام ما يصيب أصحابه من الأذى الذي لم ينله منه الا القليل لمكاته من ربه الذي سخر أبا طالب لحمايته ولم يكن صلى الله عليه وسلم يقدر على أن يمنعهم قال لهم : لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه . فخرج عندئذ جماعة من المسلمين الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراروا الى الله بدينهم فكانت أول هجرة

في الاسلام، وكان المهاجرون أحد عشر رجلاً وأربع نسوة وفي رواية عشرة رجال وخمس نسوة تسللوا لوإذا، منهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم ونزلوا بأرض الحبشة وأقاموا من ملكها أصحمة في خير جوار ثلاثة أشهر استراحوا فيها من أذى قريش وتمكنوا من إقامة دينهم والتجاهر بصلاتهم

وفي غيبة هؤلاء أسلم عمر بن الخطاب ودخل في الاسلام بالحمية التي كان يحاربه بها من قبل وأعلن إسلامه على رؤوس الملائم وقاتل قريشا في سبيله وصلى في الكعبة مع المسلمين وبذلك خفف قريش من أذى المسلمين لمكان عمر بن الخطاب من القوة والصلابة والشجاعة، فلما علم بذلك المهاجرون حنوا الى وطنهم وهم أقلية في دار غربة - وفي القلة وحشة - فرجعوا كلهم أو جلهم الى مكة، ولكن قريشا عادوا الى إيذاء المسلمين والى الامعان في عداوتهم أشد مما عرفوا من قبل، فعاد الى الحبشة منهم من عاد وبقي بمكة من بقي مستخفيا أو في جوار

وممن دخل في جوار : عثمان بن مضعون - دخل في جوار الوليد بن المغيرة لكنه رضي الله عنه لما رأى ما فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان لجوار الوليد ابن المغيرة قال : والله إن غدوي ورواحي ءامنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والاذى في الله لنقص كبير في نفسي ، فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له : يا ابا عبد شمس وفت دمتك ، قد رددت إليك جوارك . قال : لم يا ابن أخي لعله اذاك أحد من قومي . قال : لا ، ولكني أرضي بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره . قال الوليد : فانطلق الى المسجد فاردد علي جوارى . علانية كما أجزتكَ علانية . فانطلقا حتى أتيا المسجد فقال الوليد : هذا عثمان قد جاء يرد علي جوارى قال : صدق ، قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكنني أحببت ألا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره . ثم انصرف عثمان وليد بن ربيعة في مجلس من قريش ينشداهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل

فقال عثمان صدقت . فقال :

وكل نعيم لا محالة زائل

فقال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول . قال لبيد : يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليستكم متى حدث هذا فيكم . فقال رجل من القوم : إن هذا سفيه في سفاه معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله . فرد عليه عثمان وعظم الامر بينهما فقام اليه الرجل فلطم عينه فأصابها والوليد ابن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال له : أما والله يا ابن أخي إن كانت عينك عما أصابها لغنية لقد كنت في ذمة منيعة . فقال عثمان : والله إن عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس . فعرض عليه الوليد الرجوع الى الجواهر فأبى

ولما رأى قريش أن ما ينالون به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليس بحائل دون إقبال الناس على دين الله تفاوضوا في أمر جديد يصنعونه بهم واففقوا بعد ذلك على التعاقد فيما بينهم على مقاطعة بني هاشم وبني عبد المطلب مقاطعة تامة أو يسلموا النبي صلى الله عليه وسلم. وكتبوا كتابا علقوه في الكعبة تسجيلاً للزموا فيه أن لا ينكحهم ولا ينكحوا اليهم ولا يبيعوا ولا يبتاعوا منهم. ظانين أن هذه السياسة الجديدة سياسة التجويع ستكون أبلغ أثراً من الاذية. فانتحاز بسبب ذلك بنو هاشم وبنو عبد المطلب الى شعب أبي طالب مؤمنهم وكافرهم ما عدا أبا لهب. وعندئذ أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه ان يهاجروا للحبشة فهاجر منهم عدد كثير يبلغ ثلاثة وثلاثين رجلاً وثمانى عشرة امرأة منهم جعفر بن أبي طالب وزوجه وعبيد الله بن محجش وزوجه أم حبيب التي تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم عقب وفاة زوجها الذي مات في مهجرة بعث من يخطبها في الحبشة وزوجها النجاشي وبنى بها صلى الله عليه وسلم بعد عودتها بالمدينة. ثم لحق بهم من أسلم من الاشعرين الذين جاءوا من اليمن تحت رئاسة أبي موسى الاشعري

فلما رأى قريش أن المسلمين قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً اتهموا بينهم أن يبعثوا رجلين منهم الى النجاشي فيردهم عليهم ليفتنوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة وعمرا بن العاص وجمعوا لهما هدايا للنجاشي وبطارقه وهم وزراؤه. فلما علم بذلك أبو طالب بعث للنجاشي بآيات يحضه على حسن الجوار والدفع عنهم يقول في آخرها :

تعلم أبيت اللعن أنك ماجد كريم فلا يشقى لديك المجاني
تعلم بأن الله زادك بسطة وأسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة ينال الاعادي نفعها والاقارب

فلما قدم الرسولان أرض الحبشة سلما الى كل بطريق هديته قبل أن يكلما النجاشي وقال لـكل بطريق إنه قد لجأ الى بلد الملك منا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أئمت وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم فاذا كلمناه الملك فيهم فاشيروا عليه بأن يسلمهم الينا ولا يكلمهم فإن قومهم أعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لهما نعم. ثم قابلا الملك وقدا اليه الهدايا وخطابه في شأن المسلمين وأن يردهم. فقال له بطارقه : صدقاً أيها الملك ، قومهم أعلم بما عابوا عليهم فأسلمهم اليهما. فغضب النجاشي وقال : لاها الله ، قوم جاوروني في بلادي واختاروني على من سواي لا أسلمهم حتى أدعوهم فأسألهم عما يقول هذان في أمرهم ، فان كانوا كما يقولان أسلمتهم وإن كانوا على غير ذلك منعتهم منهما وأحسن جوارهم ما جاوروني. ثم أرسل الى المسلمين فلما جاءهم رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه.

قالوا : تقول والله : ما أمرنا به نبينا كأننا في ذلك ما هو كائن ، فلما حضروا بين يديه وعنده أسأفته قال لهم : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل ، فكلمه جعفر بن أبي طالب وقال له : أيها الملك كننا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبد ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وءابائنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام (١) فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، الى أن قال : فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك وأخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا ان لا نظلم عندك أيها الملك ، فقال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ، فقال له جعفر : نعم ، فقرأ عليه سورة مريم من أولها الى قوله تعالى : (فأشارت اليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا ، قال إني عبد الله ءاتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدي ولم يجعلني جبارا شقيا ، والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكى أسأفته وقال النجاشي : إن هذا والله الذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ، إنطلقا فوالله لا أسلمهم اليكما ، فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص : والله لآتينه غدا عنهم بما أستأصل به حضراءهم ، فعدا عليه من الغد وقال له : أيها الملك إنهم يقولون في عيسى بن مريم قولا عظيما ، فأرسل اليهم النجاشي ليسألهم فاجتمعوا وقرروا أن لا يقولوا الا ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخلوا عليه قال لهم : ماذا تقولون في عيسى بن مريم ، فقال جعفر بن أبي طالب : هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته القاها الى مريم العذراء البتول ، فضرب النجاشي يده الى الارض فأخذ منها عودا وخط به في الارض وقال وقد بلغت منه المسرة أكبر مبلغ : ليس بين دينكم وديننا أكثر من هذا الخط ، ثم قال للمسلمين : اذهبوا فأنتم شيوم (٢) بارضي من سبكم غرم ثلاث مرات ، ما أحب أن لي دبرا (٣) من ذهب وأني ءاذيت رجلا منكم ، فرجع الرسولان خائبين وأقام المسلمون خير مقام حتى هاجر صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة فأخذوا يرجعون شيئا فشيئا حتى السنة السابعة من الهجرة عند ما بعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر ابن أمية الضميري بكتاب الى النجاشي يقول فيه :

(١) انظر قوله والصيام والزكاة مع أنهما شرعنا بعد الهجرة (٢) شيوم : ءامنون بالحبشة . (٣) دبر - بالفتح والكسر - جبل بالحبشة

بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلام
أما بعد فاني أحمد اليك الله الذي لا إله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن
عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحبيبة فحملت بعيسى من روحه
ونفخه كما خلق آدم بيده . وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له والموالة على طاعته وأن تتبعني
وتوقن بالذي جاءني فاني رسول الله وإني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وقد بلغت ونصحت
فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى .

ويروى أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث اليه بكتاب آخر يطلب اليه رد من بقي من المسلمين
الذين أقاموا بالحبشة الى المدينة . فقبل النجاشي الرسول والكتابين بغاية الاحترام وأسلم هو وقال لعمر
إني أعلم والله أن عيسى بشر به ولكن أعواني بالحبشة قليل فانظر حتى أكثر الاعوان وألين القلوب .
وحيز للمسلمين سفينتين حملتاهم وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب ومعهم أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان
بعد أن مات زوجها . وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى عليه صلاة الغائب عند موته . ولما
قدم بقية مهاجري الحبشة فرح بهم أخوانهم المؤمنون فرحا شديدا وقام النبي صلى الله عليه وسلم لجعفر
وعاقه وقال له : لا أدري بأي شيء أنا أشد فرحا بليقائك أم بالنصر على خيبر . لان ذلك كان عقب فتح
خيبر .

ابراهيم النفير

بلاؤه وحلمه

صلى الله عليه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخفت في الله وما يخاف أحد ، ولقد أوديت في الله وما
يؤذي أحد ، ولقد أتت علي ثلاثون ما بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه
إبط بلال .

وقال أنس رضي الله عنه : كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ
الحاشية . فادركه أعرابي فجذبه بردائه جيزة شديدة ، فنظرت الى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه
وسلم وقد أثرت فيها حاشية الرداء من شدة جذته ، ثم قال الاعرابي : يا محمد مر لي من مال الله
الذي عندك ، فالتفت إليه فضحك ، ثم أمر له بمطاء .

ولما رجع من حنين جاءت الاعراب يسألونه حتى اضطروا الى شجرة ، فخطفت رداءه ،
فوقف صلى الله عليه وسلم وقال : أعطوني ردائي ، لو كان لي عدد هذه العصاة نعمما لقسمتها بينكم ،
ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا .

ابتلاء الرسول

صلى الله عليه وسلم سنة الله في المرسلين

يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك • وإن لم تفعل فما بلغت رسالته

والله يعصمك من الناس

كان عبد المطلب بن هاشم القرشي العظيم ، والعربي الصنم ، وجد الرسول الكريم ، طيب النفس كريم السجايا بسط اليد وهو مع ذلك سيد قريش وامامها في نسكها وزعيمها عند الخطوب تلك الزعامة التي نالها عن جدارة جده الاعلى قضي وورثها عنه اجداد عبد المطلب وانتهت الى عبد المطلب لم ينازعه منازع ولم يدانه قريب او بعيد وظل عبد المطلب مسموع الكلفة محبوبا في قومه معزز الجانب بما وجدوه فيه من كريم الصفات وبعد النظر والسعي الى الصالح العام الى ان هم بحضر زمزم المباركة تلك البئر التي اظهرها الله لام جده اسماعيل وطمستها جبرهم لما احست بالغلبة واضطرت لمفارقة مكة والحلاء عنها فعزم على حفر البئر التي ستسهل عليه القيام بوظيفته التي انتدب اليها وقد كانت له رفاة الحاج وسقايته بعد عمه المطلب فقام بها احسن قيام ولاقي في سقاية الحاج كل مشقة لفقدان الماء بمكة واستعان على الحفر بابنه الحارث الذي لم يكن له في ذلك الحين سواه ولما علت قريش من شاة عبد المطلب ما علت اقبل شيوخها وشبابها على البيت العتيق فافوا عبد المطلب ومعه ابنه وبايديهما السيوف والدروع وقطع الذهب التي دفنتها جبرهم في زمزم عند مبارحتها لمكة فنارت نائرة قريش لمن سيكون هذا الكنز الذي ظهر في ارض المسجد والمسجد حرم عام لا يتفوق فيه أحد على أحد

هنالك أحس عبد المطلب بضعف في جانبه ، وأشفق من قلة الولد ودعا ربه أن يرزقه أبناء يشدون أزره ويحمونه في الشدائد فعزم على التزوج ثانيا وتزوج من فاطمة ابنت عمر بن عائد المخزومي واستولدها ابا طالب وعبد الله والزبير وتزوج نائلة العمرية واستولدها العباس وضار وتزوج هالة بنت وهب واستولدها حمزة والمقوم وتزوج امة لبني الخزاعة استولدها ابا لهب وتزوج معنعة واستولدها الغيداق وبذلك تم له عشرة أبناء سوى النسوة اللاتي ولدن له وهن ستة صفية وأم حكيم وعاتكة وأميمة وأروى وبرة

اما حمزة فقد اسلم وحسن اسلامه وكان من المهاجرين الاكرمين واستشهد ببدر وحزن عليه رسول الله حزنا شديدا

واما العباس فكان له مع النبي ذلك الموقف المشهود يوم بيعة العقبة • وقد اختلفت الرواية في وقت اسلامه أكان ليلة العقبة ام بعد ذلك (ولم يسلم من أعمام الرسول سواهما وأسليت من عماته صفية أم الزبير بن العوام)

واما أبو طالب فهو الذي كفل النبي بعد موت عبد المطلب وقد كانت لابي طالب المواقف المشرفة في أعزاز جانب الرسول ومناصرتة والحيلولة دونه وقريش وحادث الصحيفة يدلنا على مبلغ عناية أبي طالب رأس الهاشميين بالنبي صلى الله عليه وسلم

وأبلغ ما يعبر عن ذلك قصيدته التي قال فيها

خليلي ما اذني لاول عاذل	بصفواء في حق ولا عند باطل (١)
ولما رايت القوم لاود عندهم	وقد قطعوا كل العربي والوسائل (٢)
وقد صارحونا بالعداوة والاذى	وقد طاوعوا امر العدو المزائل (٣)
صبرت لهم نفسي بسمراء سمحة	وابيض غضب من تراث المقاول (٤)
اعوذ برب الناس من كل طاعن	علينا بسوء او ملج بباطل

كذبتم وبيت الله نبى « محمدا »	ولما نطاعن دونه وتناضل (٥)
ونسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن ابائنا والحلائل (٦)

وما ترك قوم لا اباك سيدا	يحوط الذمار غير ذرب مواكل (٧)
وابيض يستسقي الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للارامل (٨)
يلوذ به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في رحمة وفواضل (٩)
حليم رشيد عادل غير طائش	يوالي إلها ليس عنه بغافل
لقد علموا ان ابتنا لا مكذب	لدينا ولا يعنى بقول الاباطل (١٠)
فأيده رب العباد بنصره	وأظهر دينا حقه غير ناضل (١١)

(١) بصفواء اي بمضغية اي لا اميل اذني لاول عاذل في حق ولا باطل (٢) القوم كفار قريش واراد بالعري اليهود مجازا والوسائل جمع وسيلة وهي ما يتقرب به (٣) صارحونا كاشفونا بالعداوة صريحا، والمزائل اسم فاعل من زايله اي فارقه وباينه وذلك اذا صرح بالعداوة (٤) صبرت حبست والسمراء القناة، سمحة اي لينتة وابيض غضب اي سيف قاطع والمقاول جمع مقول بكسر الميم وهو الرئيس اراد بهم آباءه (٥) نبى بالبناء للفعل اي تغلب وتقهر عليه وهو جواب القسم على تقدير لا النافية على حد (تالله تفتقروا) ولما نافية والمطاعنة المرافقة بالرماح والمناضلة الترافق بالسهم (٦) نسلمه اي نخذه عطف على نبى فيكون شريكه في النفي ونصرع ونذهل بالبناء للفعل والحلائل جمع حليلة وهي الزوجة . قال عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب لما اصاب يوم بدر انا احق بما قال ابو طالب كذبتم وبيت الله نبي محمد البتين (٧) ما استغماية تعجبية والذمار ما يجب على المرء ان يحمله . ويحوطه يرعاه والذرب البذي الاسيان والمواكل اسم فاعل من واكلت فلانا مواكلة اذا اتكلت عليه واتكل عليك (٨) وابيض عطف على سيدا الذي اراد به النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الكريم والتمال العماد والعصمة ما يعتصم به ويتمسك والارامل جمع أرملة وهي التي لا زوج لها وقال ابن السكيت الارامل المساكن رجالا كانوا او نساء (٩) الهلاك الفقراء (١٠) يعنى بالبناء للفعل من عنى بالشيء، اهتم به اي لا يهتم بالباطل (١١) الناضل الزائل المضحل ومنه فصل الشعر اي زال عنه الخضاية

فوالله لولا ان اجيء بسبة تجر على اشياخنا في القبائل (١)

لكننا اتبعناه على كل حالة من الدهر جدا غير قول التهازل

لعمري لقد كلفت وجدا (باحمد) واخوته دأب المحب المواصل (٢)

فلا زال في الدنيا جمالا لاهلها وزينا لمن ولاه ذب المشاكل (٣)

حدثت بنفسي دونه وحيته ودافعت عنه بالذرى والكلال كل (٤)

واما أبو جهل فهو الرجل الذي انتصب لمقاومة الدعوة التي جاء بها الرسول الامين ومقارعة

النبي لا بالحجة والدليل بل بالعنف والاذى قولاً وفعلاً

وبقدر اخلاص ابي طالب للنبي ومناصرته له كانت مقاومة أبي جهل أو أشد فخاصه العداء من

يوم أعلن الرسول فيه الدعوة لدين الله يوم نادى في قريش بكلمة التوحيد جهراً وصدع بما امره الله

به ونادى في الناس بشيراً ونذيراً

وظهرت بوادر خبئه في حادثة المقاطعة واعلان الصحيفة وذلك سنة سبع من النبوة - ٦١٧ م .

حيث كان ناسج بردها وناوى قومه وسل نفسه من عشيرته وارضى ان يكون زعيم المشقين

الضالين . وابتدع لقريش المقاومة السلبية ظناً منه أن ذلك سيحميهم على ترك النبي وشانه . ويتخلى

أبو طالب عنه وبذلك يتمكن مما هو عازم عليه من المكر والغدر

ولما فشل في هذه السياسة التي عادت عليه ومن لف لفه بالفشل والحية عمد الى التشهير بالكذب

على الرسول ورميه بكل تقصية افتراء عليه ليوهن الدعوة ويضل العرب عامة وقريشا على الخصوص .

وجعل عيوناً يترصدون النبي صلى الله عليه وسلم في غدوة ورواحه وحيثما ارتحل وأين نزل .

فيتابعه في أسفاره ويسبقه الى المجتمعات لينشر ترهاته الضالة بين القبائل وفي المجتمعات حتى لا يجد

الرسول اذناً صاغية لسماع ما سيتلوه عليهم من الذكر الحكيم لما يعلمه أنهم اذا سمعوا القرآن آمنوا به

فيقوم هو حائلاً لا يترك من يجتمع بالرسول ويحذرهم تحذيراً .

واستمروا على طريقته في المقاومة السلبية بهذا النوع من التضييل الى ان مات أبو طالب (٥)

(١) السبة العار وتجرب بفتح الجيم من جر عليهم خبريرة اي حتى جنابة وفي القبائل اي بين القبائل

(٢) اراد باخونه اولاده جعفر وعقيل وعلي جعلهم إخوانه لانه كان متبناً له (٣) الذب الدفع (٤)

حدثت تعطفت والذرى جمع ذروة اعلى الشيء والكلال كل جمع لكل بمعنى الصدر

(٥) توفي أبو طالب بعد النبوة بعشر سنين وقبل الهجرة بثلاث سنين وقد بلغ من العمر نحو

ثمانين سنة . وبعد وفاته بثلاثة أيام توفيت خديجة زوج النبي رضي الله عنها ولها من العمر خمس

وستون سنة . وقد عاشت رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعاً وعشرين سنة وستة اشهر وايدته في

الدعوة بكل ما لها من قوة ومال سيما عند المقاطعة فقد أنقذت هي وأبو طالب المال الكثير . فكان

لوفاتها ردة أسي وسمي ذلك العام بعام الحزن

فحسب أبو لهب كما سماه القرآن انه قادر على تنفيذ خطته الاولى فانبرم للنبي ولكن الله عصمه من الناس فاني لابي لهب وأبي جهل وأمثالهما أن ينالوا من رسوله وحبيه وصفيه ما يريدون فدبروا المكائد وأجهدوا انفسهم في النيل منه والحاق الاذى به، وتحمل صلى الله عليه وسلم كل ما دبره له بعزم صادق وايمان لا تزغره الرواسي الشائعات . وهو في كل يوم يزداد قوة والاسلام يزداد انتشارا رغم أنف أبي جهل وحزبه . وأعيتهم الحيل فلم يجدوا سبيلا لاطفاء نوره والله متم نوره ولو كره الكافرون

ولكن حرت سنة الله في رساله والمقرين من خواص عباده أن يتلهم ليزدادوا قوة وايمانا ويكونوا أعظم قدوة لمن يروم السعادة لنفسه وللناس أجمعين

فهذا الامام مسلم يحدثنا في صحيحه من طريق عياض بن خمار المجاشعي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس ذات يوم فقال في خطبته الا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا . كل مال نحلته عبدا حلال (١) واني خلقت عبادي حنفاء كلهم (٢) وانهم أتتهم الشياطين فاجتالهم عن دينهم (٣) وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا . وأن الله نظر الى أهل الارض فمقتهم (٤) الا بقايا من أهل الكتاب (٥) وقال إنما بعثتك لا بتليك وأبتي بك . وانزلت عليك كتابا (٦) لا يغسله الماء (٧) تقرؤه نائما ويقظان (٨) الى ان قال : استخرجهم (٩) كما استخرجوك وأغزهم نغزك (١٠) وأتفق فسنفق عليك . وابتعث جيشا نبعث خمسة مثله (١١) وقاتل بمن اطاعك من عسائك قال : وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق . ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم . وعفيف متعفف . قال وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر (١٢) له الذين هم فيكم سبع لا يتقون أهلا ولا مالا (١٣) والحائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق الاخانة (١٤) ورجل لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك . وذكر البخل أو الكذب والشنطير (١٦) الفاحش

(١) أي ما اعطيته عبدا فهو مال حلال له وهو رد على المشركين فيما اخلوه لانفسهم وما حرموه من السائبة والوصيلة والبحيرة والحامى الى غير ذلك . (٢) أي مؤمنين واخذ عليهم العهد بذلك كما يشير اليه قوله تعالى : قال الست بربكم قالوا بلى . أي نعم انت ربنا . (٣) أي استخفوه عن دينهم وازالوهم عما كانوا عليه وساقوهم معهم الى الباطل . (٤) أي بغضهم بسبب ما غيروا . (٥) أي أهل الاديان السماوية الذين بقوا متمسكين بدينهم الحق من غير تبديل الى بعثة النبي . (٦) أي القرآن . (٧) كناية عن حفظ الله له لا يتطرقه التبديل ولا التغيير على معر الزمان . (٨) أي في سائر الحالات (٩) أي قريش . (١٠) أي نعينك (١١) أي من الملائكة مسومين . وذلك الأمر بعد فرض الجهاد وغزوة بدر الذي نصره الله فيها . (١٢) أي لا عقل له يزبره ويمنعه من الكفر والمحارم (١٣) أي ضعفاء العقول فلا يسمعون في تحصيل نفع يرجع الى الدين أو الدنيا لا يبالون بما يكونون عليه من كفر أو غيره أو حرام أو حلال فهم مع الناس وهم في الواقع كالانعام بل هم أضل سبيلا . (١٤) لا يخفي اي لا يظهر . وهو من الاضداد يستعمل في الستر والظهور (١٥) الفاحش السيء الخلق

فهذا الحديث القدسي بما تضمنه من التعاليم السامية قد تضمن ايضا أن من متمعات البعثة الابتلاء. وكذلك شأن الانبياء والمرسلين من قبل

فهذا نوح قد ابتلاه ربه فكان من الصابرين. ونجاه الله وأهله من الكرب العظيم. وهذا ابراهيم عليه السلام ابتلاه ربه بنار نمرود بن كنعان التي سلبه الله منها وكانت بردا وسلاما على ابراهيم

وهذا أيوب (إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الرحمين ، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين)

وهذا لوط وصالح وثمود وموسى ويوسف وعيسى كل وقع له الابتلاء فما زادهم الا إيمانا وتشبثا لما قاموا به من الدعوة لدين الله وبذلك نالوا المقام الاسمى ووصفهم الله في محكم التنزيل بأنهم أولو العزم

وعلى غرارهم كان الرسول الامين فيما لاقاه من قومه المشركين وفي مقدمتهم أبو جهل فمما زالوا يترصدون به صلى الله عليه وسلم الفرص للإيقاع به

فهذا أبو جهل فرعون هذه الامة (١) وأصحابه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وأمية بن خلف وعقبة ابن أبي معيط وعمارة بن الوليد يتآمرون في بيت الندوة ثم يخرج أبو جهل في رفقة أصحابه ويحضرون عند المسجد الحرام يترصدون مقدم النبي صلى الله عليه وسلم فأبصروه مسرعا الى البيت العتيق فتغامزوا يشير بعضهم الى بعض حتى اذا حضر صلى الله عليه وسلم وأخذ مكانه من الركن وشرع في صلاته أسر بعضهم الى بعض أيكم يجيء بسلي جزور بني فلان الذي نحروه أمس فيضعه على ظهر محمد إذا سجد. فانبعث عقبة بن أبي معيط مسرعا فجاء به. وترص حتى اذا سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه على ظهره المقدس بين كتفيه الشريفتين . وجعلوا يضحكون ويستهزئون تشفيا بما أغاضهم. وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ساجدا لا يرفع رأسه حتى أقبلت فاطمة البتول فطرحته عن ظهره صلى الله عليه وسلم ما وضعه ذلك الشقي (٢)

وليس ذلك كل ما لاقى صلى الله عليه وسلم بل نقلت لنا كتب السنة الشيء الكثير وأعظم إداة في نظر الصحابة لحقت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قریش ذلك الموقف الذي وقفه عقبة بن أبي معيط من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي وحضره أبو بدر فألفاه ممسكا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وضع الحثيث ثوبه في عنقه الشريف وقد خنقه به خنقا شديدا فأخذ أبو بكر بمنكب عقبة ودفعه عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله . اعتبارا بما عزم عليه عقبة من الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم والغدر به وهو في الصلاة (٣)

ولما أعيته الحيل وأدركوا ما بلغ إليه أمر الاسلام من المنعة بعدبيعة العقبة عقدوا ذلك الاجتماع الرهيب في دار الندوة الذي أسفر عن مؤامرة تشترك فيها بطون قریش كلها وينفذ الخطة شابها العتيد كما يزعمون وتقوم الدية مقام القتال لو طالبهم آل هاشم وثارت ثائرتهم إن قتلوا رسول الله ولكن الله خيب ظنونهم فذهبت ادراج الرياح وأوحى الى نبيه ما يبتوه له من المكسر وذلك قوله تعالى : وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين . وعصمه الله وذلك قوله تعالى : والله يعصمك من الناس . وأذن له في الهجرة ونصره عليهم وذلك قوله تعالى الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا.

محمد الشاذلي ابن القاضي

(١) ذلك الاسم أطلقه عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رآه صريحا في قلب بدر (٢) حديث رواه الشيخان وغيرهما من أصحاب السنن . (٣) الحديث رواه البخاري وغيره

وصف هجرة النبي صلى الله عليه وسلم الى المدينة

من قلم الامام محمد بن اسماعيل البخاري

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ بُكَيْرٍ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ عَنْ عُقَيْلٍ قَالَ ابْنُ شِهَابٍ فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الرَّبِيعِ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : لَمْ أَثْقُلْ أَبُوتِي قطْ إِلَّا وَهَمًا يَدِينَانِ الْبَدِينَ (أي الاسلام) وَلَمْ يَمُرَّ عَلَيْنَا يَوْمٌ إِلَّا يَأْتِينَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَرَفِي النَّهَارِ بِكَرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ فَلَمَّا ابْتُلِيَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ مَهَاجِرًا نَحْوَ أَرْضِ الْكَبْشَةِ حَتَّى بَلَغَ بَرَكَ (١) الْعِمَادَ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغْنَةِ وَهُوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ (٢) . فَقَالَ : أَيُّنَ تَرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ . فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : أَخْرِجْنِي قَوْمِي فَأُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي . فَقَالَ ابْنُ الدَّغْنَةِ : فَإِنَّ مِثْلَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ وَلَا يَخْرُجُ إِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ (٣) وَتَصِلُ الرَّحِمَ وَتَحْمِلُ الْكُلَّ (٤) وَتَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَأَمَّا لَكَ جَارٌ (٥) أَرْجِعْ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ بِبَلَدِكَ . فَرَجَعَ وَارْتَحَلَ مَعَ ابْنِ الدَّغْنَةِ . فَطَافَ ابْنُ الدَّغْنَةِ عَشِيَّةً فِي أَشْرَافِ قُرَيْشٍ فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لَا يَخْرُجُ مِثْلَهُ وَلَا يَخْرُجُ . انْخَرِجُوا رَجُلًا يَكْسِبُ الْمَعْدُومَ وَيَصِلُ الرَّحِمَ وَيَحْمِلُ الْكُلَّ وَيَقْرِي الضَّيْفَ وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ . فَلَمْ تُكَذِّبْ قُرَيْشٌ بِجَوَارِ ابْنِ الدَّغْنَةِ . وَقَالُوا لِابْنِ الدَّغْنَةِ . مَرُّ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَلْيَصِلْ فِيهَا وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ وَلَا يُؤْذِنَا بِذَلِكَ . وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِهِ فَإِنَّا نَحْشَى أَنْ يَقْشِرَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا . فَقَالَ ذَلِكَ ابْنُ الدَّغْنَةِ لِأَبِي بَكْرٍ فَلَيْتَ أَبُو بَكْرٍ بِذَلِكَ يَعْبُدُ رَبَّهُ فِي دَارِهِ وَلَا يَسْتَعْلِنُ بِصَلَاتِهِ وَلَا يَقْرَأُ فِي غَيْرِ دَارِهِ ثُمَّ بَدَأَ لِأَبِي بَكْرٍ فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِقِنَاءِ (٦) دَارِهِ وَكَانَ يُصَلِّي فِيهِ وَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَيَنْقُذُ (٧) عَلَيْهِمْ نِسَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَأَبْنَاءَهُمْ وَهُمْ يَعْجَبُونَ مِنْهُ وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَجُلًا بَكَّاءً لَا يَمْلِكُ عَيْنَيْهِ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ - فَأَفْزَعَ ذَلِكَ أَشْرَافَ قُرَيْشٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَأَرْسَلُوا إِلَى ابْنِ الدَّغْنَةِ فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ فَقَالُوا إِنَّا كُنَّا أَجْرًا أَبَا بَكْرٍ بِجَوَارِكَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَقَدْ جَاوَزَ ذَلِكَ فَأَبْتَنَى مَسْجِدًا بِقِنَاءِ دَارِهِ فَأَعْلَنَ بِالصَّلَاةِ وَالْقِرَاءَةِ فِيهِ وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَقْشِرَ نِسَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا فَأَمْسَهُ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْصِرَ عَلَى أَنْ يَعْبُدَ رَبَّهُ فِي دَارِهِ فَعَلْ وَإِنْ أَبَى إِلَّا أَنْ يُعْلَنَ بِذَلِكَ فَسَلِّمْ أَنْ يَرُدَّ إِلَيْكَ ذِمَّتُكَ . فَإِنَّا قَدْ كَرِهْنَا

(١) هو موضع بارض اليمين . والغمداد موضع على خمس ليال من مكة الى حجة اليمين (٢)

قبيلة من بني الهون (٣) وفي رواية المعدم (٤) هو ما يثقل حمله من القيام بشئون العيال ونحوه (٥) اي محير امع من يؤدبك . (٦) السعة حول الدار (٧) يتساقطون عليه

أَنْ نُخْفِرَكَ (١) وَلَسْنَا مُقَرَّبِينَ لِأَبِي بَكْرٍ لِاسْتِعْلَانِ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَتَى ابْنُ الدَّغْنَةِ إِلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: قَدْ عَلِمْتُ النَّبِيَّ عَقَدْتَ لَكَ عَلَيْهِ فَإِنَّمَا أَنْ تَقْتَصِرَ عَلَى ذَلِكَ وَإِنَّمَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيَّ ذِمَّتِي فَإِنِّي لَا أَحِبُّ أَنْ تَسْمَعَ الْعَرَبُ أَنِّي أَخْفَرْتُ فِي رَجُلٍ عَقَدْتَ لَهُ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَإِنِّي أُرِدُّ إِلَيْكَ جَوَارِكَ وَأَرْضِي بِجَوَارِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ - وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمُسْلِمِينَ إِلَيَّ أُرَيْتُ دَارَ هِجْرَتِكُمْ ذَاتَ نَخْلٍ بَيْنَ لَابَتَيْنِ وَهُمَا الْحَرَنَانِ. فَهَاجَرَ مَنْ هَاجَرَ قَبْلَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعَ عَائِشَةُ مِنْ كَانَ هَاجَرَ بِأَرْضِ الْخَبْزَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَجَهَّزَ أَبُو بَكْرٍ قَبْلَ الْمَدِينَةِ (٢) فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى رِسْلِكَ (٣) فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يُؤَدَّنَ لِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَهَلْ تَرْجُو ذَلِكَ بِأَيِّ أَنتَ (٤) قَالَ نَعَمْ فَحَبَسَ أَبُو بَكْرٍ نَفْسَهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) لِيُصْحَبَهُ وَعَلَفَ رَاحِلَتَيْنِ - كَانَتَا عِنْدَهُ - وَرَقَى السَّمُرَ (٦) أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ قَالَ عُرْوَةُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَبَيْنَمَا نَحْنُ يَوْمًا جُلُوسٌ فِي بَيْتِ أَبِي بَكْرٍ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ (٧) قُلْ قَائِلٌ لِأَبِي بَكْرٍ: هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُتَقَبِّعًا (٨) - فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ يَأْتِينِي فِيهَا - فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَدَاءُ لِمَا بِي وَأَتِي وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا أَمْرٌ. قَالَتْ عَائِشَةُ فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنَ لَهُ فَدَخَلَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي بَكْرٍ أَخْرِجْ مِنْ عِنْدِكَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ إِنَّمَا هُمْ أَهْلُكَ بِأَيِّ أَنتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قُلْ: فَإِنِّي قَدْ أَدْنَى لِي فِي الْخُرُوجِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: الصَّحَابَةُ بِأَيِّ أَنتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: نَعَمْ. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَخُذْ بِأَيِّ أَنتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِحْدَى رَاحِلَتَيَّ هَاتَيْنِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بِالْثَمَنِ. قَالَتْ: عَائِشَةُ فَجَهَّزْنَاهُمَا احْتِ (٩) الْجَهَازَ وَصَنَعْنَا لَهُمَا سَفَرَةً فِي جِرَابٍ فَقَطَعْتُ أَسْمَاءُ يَدَ أَبِي بَكْرٍ قِطْعَةً مِنْ نِطَاقِهَا (١٠) فَزَيَّنْتُ بِهِ عَلَى فَمِ الْجِرَابِ - فَبِذَلِكَ سَمِيَتْ ذَاتُ النِّطَاقِ (١١) قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ حَقَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ بَعَارَ فِي جَبَلٍ ثَوْرٍ فَكَمْنَا فِيهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ غُلَامٌ شَابٌّ نَقِيفٌ (١٢) لَقِيَ (١٣) فَيَذَلِجُ (١٤) مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ فَيُصْبِحُ مَعَ قُرَيْشٍ بِمَكَّةَ كَبَائِتٍ فَلَا يَسْمَعُ أَمْرًا يُكْتَادَانِ بِهِ (١٥) إِلَّا وَاعَاهُ حَتَّى يَأْتِيَهُمَا بِخَبَرِ ذَلِكَ حِينَ يَخْطُلُ الظَّلَامُ وَيَرْتَمِي عَلَيْهِمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ مُنَحَّةً (١٦) مِنْ غَنَمٍ فَيَرِيحُهُمَا عَلَيْهِمَا حِينَ تَذْهَبُ سَاعَةٌ مِنَ الْعِشَاءِ

(١) أي تنقض عهده (٢) أي قاصدا الرحيل اليها (٣) أي مهلك (٤) أي أفديك باي (٥) أي منعها من الهجرة (٦) شجر الطلح (٧) أي في أول وقت حرارة الشمس (٨) أي مغطيا رأسه (٩) من الحث وهو الاسراع (١٠) هو ازار فيه تسكة تلبسه النساء (١١) وفي رواية ذات النطاقين لأنها بعد ان قطعت من نطاقها شقت المقتطوع الى قطعتين (١٢) معتدل القامة (١٣) سريع الفهم (١٤) أدليج سار في اول الليل وأدليج بتشديد الدال سار من آخره (١٥) أي يطلب المكر بهما (١٦) أي قطعه

فَسَيِّمَانِ فِي رَسُولِ وَهُوَ ابْنُ مِثْلِهِمَا وَرَضِيْقِيهَا (١) حَتَّى يَنْعَقَ (٢) بِهَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ يَغْلِسُ بِفَعْلٍ ذَلِكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثِ . وَاسْتَأْجَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّبِيلِ وَهُوَ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَبْدِ بْنِ هَادِيَا خَرَبْنَا - وَأَخْرَجْتُ الْمَاهِرُ بِالْهَدَايَةِ - قَدْ غَمَسَ حُلْمًا فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلِ السَّهْمِيِّ وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ فَأَمْنَاهُ فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا وَوَاعَدَاهُ غَارًا ثَوْرٍ بَعْدَ ثَلَاثِ لَيَالٍ بِرَاحِلَتَيْهِمَا عِنَبَجَ ثَلَاثَ . وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ وَالِدَيْلُ فَأَخَذَ بِهِمْ طَرِيقَ السَّاحِلِ * قَالَ ابْنُ شَهَابٍ وَأَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَالِكِ الدَّمَلَجِيِّ وَهُوَ ابْنُ أُخِي سُرَاقَةَ بْنُ مَالِكِ بْنِ جُعْشُمٍ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ سَمِعَ سُرَاقَةَ بْنَ جُعْشُمٍ يَقُولُ جَاءَنَا رَسُولُ كُفَّارِ قُرَيْشٍ يَجْعَلُونَ فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ ذِيَّةً كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ فَتَاهُ أَوْ أُسْرَةٍ فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنِي مُدَلِجٍ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقَالَ : يَا سُرَاقَةَ إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ أَنَا أَسْوَدَةَ (٣) بِالسَّاحِلِ أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ . قَالَ سُرَاقَةُ فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فَلَانًا وَفَلَانًا انْطَلَقُوا بِأَعْيُنِنَا يَبْتَغُونَ ضَالَّةَ لَهُمْ ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَدَخَلْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي وَهِيَ مِنْ وِراءِ أَكْمَةِ (٤) فَخَجَسَهَا عَلَيَّ وَأَخَذْتُ رُحْجِي فَخَرَجْتُ بِهِ مِنْ طَهْرِ الْبَيْتِ فَحَطَّطْتُ (٥) بِرُجْجِهِ (٦) الْأَرْضَ وَخَفَضْتُ عَلَيْهِ حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَوَكَبْتُهَا فَرَفَعْتُهَا تَقَرَّبَ بِي حَتَّى دَنَوْتُ مِنْهُمْ فَعَثَرْتُ بِي فَرَسِي فَخَرَرْتُ عَنْهَا (٧) فَقُمْتُ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى كِنَانَتِي فَاسْتَخَرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا أَصْرَهُمْ أَمْ لَا فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَوَكَبْتُ فَرَسِي وَخَفَضْتُ الْأَزْلَامَ تَقَرَّبَ بِي (٨) حَتَّى إِذَا سَمِعْتُ قِرَاءَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ لَا يَلْتَفِتُ وَأَبُو بَكْرٍ يَكْثُرُ الْأَلْفَاتِ سَاحَتْ (٩) يَدَا فَرَسِي فِي الْأَرْضِ حَتَّى بَلَغَتَا الرُّكْبَتَيْنِ فَخَرَرْتُ عَنْهَا ثُمَّ زَجَرْتُهَا فَخَفَضْتُ فَلَمْ تَكُدْ تَخْرُجْ يَدَيَّهَا فَلَمَّا اسْتَوَتْ قَانِمَةٌ إِذَا لِأَثَرِ يَدَيْهَا غُثَانٌ (١٠) سَاطِعٌ فِي السَّمَاءِ مِثْلُ الدَّخَانِ فَاسْتَقْسَمْتُ بِالْأَزْلَامِ فَخَرَجَ الَّذِي أَكْرَهُ فَنَادَيْتُهُمْ بِالْأَمَانِ فَوْقُوا فَوَكَبْتُ فَرَسِي حَتَّى جِئْتُهُمْ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ مِنْ أَحْبَسَ عَنْهُمْ أَنْ سَيَطْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقُلْتُ لَهُ إِنْ قَوْمُكَ قَدْ جَعَلُوا فِيكَ الدِّيَّةَ وَأَخْبَرْتُهُمْ أَخْبَارَ مَا يُرِيدُ النَّاسُ بِهِمْ وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمُ الزَّادَ وَالْمَتَاعَ فَلَمْ يَزَالِي (١١) وَلَمْ يَسْأَلَانِي إِلَّا أَنْ قَالَ أَخْفِ عَنَّا فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَكْتُبَ لِي كِتَابَ أَمْنٍ فَأَمَرَ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ فَكَتَبَ فِي رُقْعَةٍ مِنْ

(١) هو اللبن الذي جعل فيه الحجارة المضخمة لتزول وخامته . وقيل هي الناقة الحلوبة (٢) اي يصبح بها (٣) اي اشخاصا (٤) هي الرابية المرتفعة عن الارض (٥) اي سكنت (٦) هي الحديدة التي في اسفل الرمح (٧) اي سقطت عنها (٨) من التقريب وهو السير دون العدو وقوق العادة (٩) اي غاصت (١٠) هو الدخان من غير نار (١١) اي لم ياخذوا مني

أَدِيم (١) ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ ابْنُ شِهَابٍ : فَأَخْبَرَنِي عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَفِيَ الزُّبَيْرِي رُكْبَ مِنْ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا تِجَارًا قَافِلِينَ مِنَ الشَّامِ فَكَسَا الزُّبَيْرُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبَا بَكْرَ ثِيَابَ بَيَاضٍ . وَسَمِعَ الْمُسْلِمُونَ بِالْمَدِينَةِ مَخْرَجَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ مَكَّةَ فَكَانُوا يُغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ إِلَى الْحَرَّةِ فَيَنْتَظِرُونَهُ حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرَّ الظَّهِيرَةِ فَانْقَلَبُوا يَوْمًا بَعْدَ مَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ فَلَمَّا أَوُوا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنْ يَهُودٍ عَلَى أَطْبَعِ (٢) مِنْ أَطَابِهَا لِأَمْرِ يُنْظَرُ إِلَيْهِ فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّنِينَ يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ أَنْ قَالَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ يَا مُعَاشرَ الْعَرَبِ هَذَا جَدُّكُمْ السَّنِي تَنْتَظِرُونَ فَتَارَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّلَاحِ فَتَلَقَّوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَطْهَرُ الْحَرَّةَ فَعَدَلَ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ فِي بَيْتِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ . وَذَلِكَ يَوْمَ الْأَتْنَيْنِ مِنْ شَهْرِ رَجَبِ الْأَوَّلِ . فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ لِلنَّاسِ وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَامِتًا فَطَفِقَ مَنْ جَاءَ مِنَ الْأَنْصَارِ مَعَهُ لَمْ يَرِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَيِّي أَبَا بَكْرٍ حَتَّى أَصَابَتْ الشَّمْسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى ظَلَّلَ عَلَيْهِ بِرِدَائِهِ فَعَرَفَ النَّاسُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِنْدَ ذَلِكَ فَلَبِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَيْتِ عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً وَأَسَسَ الْمَسْجِدَ الَّذِي أُسِّسَ عَلَى النَّقْوَى . وَصَلَّى فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ رَكِبَ رَاحِلَتَهُ فَسَارَ يَمْشِي مَعَهُ النَّاسُ حَتَّى بَرَكْتَ عِنْدَ مَسْجِدِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْمَدِينَةِ وَهُوَ يَصْلِي فِيهِ يَوْمَئِذٍ (أَيَ يَوْمَ الرِّوَايَةِ) رَجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ . وَكَانَ (أَيَ عِنْدَ مَقْدَمِ النَّبِيِّ) مُرَبِّدًا لِلتَّمَرِ لِسَهْلٍ وَسَهْلٍ غُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي حَجَرٍ أَشْعَدَ بْنِ زُرَّارَةَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَرَكْتَ بِهِ رَاحِلَتَهُ هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْمَنْزِلُ ثُمَّ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْغُلَامَيْنِ فَسَاوَمَهُمَا بِالْمُرَبِّدِ لِيَتَّخِذَهُ مَسْجِدًا فَقَالَا بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُمَا هَبَةً حَتَّى ابْتَاعَهُ مِنْهُمَا ثُمَّ بَنَاهُ مَسْجِدًا وَطَفِقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبَنَ فِي بُيَانِهِ وَيَقُولُ وَهُوَ يَنْقُلُ اللَّبَنَ :

هَذَا أَحْمَالٌ لَا حِمَالُ خَيْبَرُ * هَذَا أَبَرُّ رَبَّنَا وَأَطْهَرُ

وَيَقُولُ : اللَّهُمَّ إِنَّ الْأَجْرَ أَجْرُ الْآخِرَةِ * فَأَرْحِمِ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرَةَ

فَتَمَثَّلَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَعْرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَمْ يَسْمَعْ لِي : قَالَ ابْنُ شِهَابٍ وَلَمْ يَبْلُغْنَا

فِي الْأَحَادِيثِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَمَثَّلَ بِبَيْتِ شَعْرِ تَامٍ غَيْرِ هَذَا الْبَيْتِ

(مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبَخَارِيُّ) *

هلال له يمن وفيه مآرب

نشبت هنا القصيدة الفريدة التي تضمنت وصف الهجرة
النبوية من نظم العالم الاديب الشيخ محمد الناصر
الصدام المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

هلال له يمن وفيه مآرب	بدا مشرقا تنجاب عنه الغياهب
ألم يأن للإسلام منك المطالب	الا يا هلالا لاح بالافق طالعا
يجدد ذكراها الزمان المناسب	وفي هجرة المختار للكون عبرة
وللشرك طغيان وللظلم جانب	نبي أتى والكون في غمراته
وفي نبيا الكهان بالغيب راغب	وفي العرب العرباء للشعر سطوة
غياهب جهل ضاعفتها غياهب	ومن سيء الاخلاق والغي والعدا
وادمان غارات لهم فتحارب	عتو واعراض ووأد وجراءة
وأعجزهم عن سورة منه حاجب	فصبحهم من محكم الذكر منزل
له في تفاصيل الغيوب العجائب	كتاب به وعظ وعلم وحكمة
لتثبت قلب هياتها المواهب	يجيء به الروح الامين منجما
وضاقت عليهم في الجدال المذاهب	ولما رأوا من أمره كل خارق
وأف رسول الله لا شك غالب	وبان لهم ما فيه تسفيه حلهم
وما هو بالساهي وما هو كاذب	وأن الذي وافى به الصدق والهدى
يؤيدها إحساسهم والتجارب	أصروا عنادا جاحدين حقائقا
فما منهم الا عن الرشد ناكب	وقاموا بإيذاء النبي وصحبه
وتبت يدا من لم تعنه المكاسب (١)	رموه رموا بالذل في عقر دارهم
أفانين يأبأها الحجي والتقارب (٢)	وجاءوا من التعذيب والهجو والبذي

(١) فيه تخصيص لابي لهب بعد دخوله في العموم السابق مع الإشارة الى ما نزل في حقه من كتاب الله تعالى - (٢) المراد منه القرابة وكفى بها حرمة لكف الاذى ومن الاذية التي تأبأها القرابة ايضا ما كانوا عليه من الركون الى اللغو عند ما كان يأتيهم صلى الله عليه وسلم تاليا لما انزل عليه وذلك قوله سبحانه (وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغفلون) ولما للقرابة من الآداب المرعية والحرمان لئله تعالى التذكير بها في قوله تعالى (قل لا أسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى)

فما انتج التعذيب الا تجلدا
ولكن أبى الهادي اهانة قومه
فرخص للأصحاب في هجرة بها
ودام على المعتاد لله داعيا
وكيف يراع القلب بعد سكونه
قل الله ثم اترك على الخوض خائضا
ثبات وتأيد وفرط تيقن
الى أن أتاه الاذن في خير هجرة
فهب الى الصديق عن غير موعد
وكانت قریش قد أحست بأنه
وتلك التي تبدي سفاهة رأيهم
ومن بعد شورى (خيب الله فالها)
رأوا أيسر الامرين قتل محمد
لكي يحفظوا من عزهم بمعاته
فسار بجوف الليل تلقاء يثرب
ورافقه الصديق يتدر الاذى
فناده لا تحزن (هـ) لنا الله ثالث
وسرعان ما باض الحمام وبادرت
هنا لك باء القوم بالحزبي والاسى
فخقلوا لادراك الرسول تطلبا
ولما أتوا للغار وهو مظنة
فقالوا علام تقتحمه ونسجه
وتشيت ايمان به الشرك خائب (٣)
وأن يستديم الشر من هو جالب
أزيل العنا والبؤس واعتز جانب
بفارغ صبر لم ترعه النوائب
لانس قد ارتاحت اليه القوالب
ودر لاعبا يلهمه ما هو لاعب (٤)
بأن اله العرش للنصر واهب
بها شعشع الاسلام والكفر ذاهب
لاعداد ما تجتاز معه السباب
عسى أن به يوما تخف النجائب
وتنقض منها في قریش المصائب
وأخذ ورد ترتييه الاكالب
يقوم به من كل شعب الاعارب
ولا يدركن الثار من هو طالب
وهم حوله والله واق وحاجب
الى غار ثور وهو حيران ناصب
الا ان حزب الله بالله غالب
لنسج بديع الصنع ثم العناكب
وشاغت وجوه قد عراها التقاطب
وشدت لهم في ذا المهم الركائب
سما لهم يأس وضائق مذهب
كثيف السدى ما مبه الدهر ناقب

هذا هو المعنى المراد والله أعلم لا كما عليه أغلب التفاسير من ان الآية آمرة باكرام آل بيته صلى الله عليه وسلم حسبما بسطنا ذلك مدلا في كتابتنا على هاته الآية

(٣) نسج هذا البيت على منوال قوله تعالى (فما زادهم الا ايمانا وتشيتا) الآية

(٤) فيه تضمين الحديث الوارد في كتب السير ونصه على ما في المواهب اللدنية حيث قال وفي الصحيح عن انس قال ابو بكر يا رسول الله لو ان احدهم نظر الى قدميه لراآنا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ظنك باثنين الله ثالثهما وفي التنزيل (ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا)

وعادوا الى أم القرى عود خيبة
فقالوا لمن يأتي به خير مغنم
وبعد ثلاث من ليال قد انقضت
أُتيح له الافراج والامن ناحيا
فمرا على تلك الخزاعية (١) التي
فقال لها هات أحلبنها لعلي
فدرت لهم لبنا كفى كل حاضر
ولما أتى زوج (٢) الخزاعية انبرى
فقلت له ذا در عجفاك مسها
فقال لها هذا الذي ألحق الأذى
ولو أنني أبصرته لاتبعته
وقد كان أن المدلجي سراقا
فأسرع يعدو خلف أكرم مرسل
ولما أتى الركب السعيد وشاقه
عرا مهرة داء العشار فراعته
الى أن هوت منه اليدان وساختا
هنالك وافاة من الرأي رشده
وبان له نور الرسول وصدقه
فناداهم بالامن والنصح مخلصا
وعاد الى أم القرى رادعا لمن
ومن بعد ذا اجتاز الرسول وصحبه
فقال له امنحنا من الدر شربة
فقال يمين الله ما في التي ترى
ولكن هنا عندي (٤) عناق قد انقضت

كما خسىء الشيطان يرميه ثاقب
له من كرام النوق حمر نجائب
على مكته بالغار وهو يراقب
وسار يمين الله يقفوه صاحب
خوى ضرع عجفاها فما هي حال
أصيب بإذن الله ما أنا صائب
وعاودها در من الضرع شاخب
يسألها عما رأى وهو عاجب
فتى يده فيها من اليمن جالب
قريش به والله ما هو كاذب
وما أنا عن رشد بدا بعد ناكب
أتاه من الانباء ما هو راغب
وللخيل انجاد لمن هو راكب
منال وأغراه بذلك التقارب
وأنهضه زجرا وسار يواظب
بصلب أديم طينه الدهر لازب
وفي كل ذي لب من الرشد ثائب
وأنه سيف الله والله ضارب
وقال لهم إني الى الله تائب
يرى انه لا شك بالظفر آيب
بعبد رعت اغنامه وهو لاذب (٣)
فقد أعوزتنا في الطريق المشارب
حلوب بها در فما أنا حال
على حملها عام وهما هي ناضب

(١) اسمها عاتكة وكنيتها ام معبد بنت خالد الخزاعية اه مواهب

(٢) لم يذكر اسمه في المواهب واقتصر على كنيته ابي معبد

(٣) اسم فاعل من لذّب بالمكان اذا اقام به اه قاموس

(٤) العناق كسحاب الاتى من اولاد العنز اه قاموس

فقال اطلبنها ثم باشر حلبها
فأسلم ذا الراعي وقال تيقنا
ولما دنى من نحو طيبة ركبته (١)
وكان بها بعض اليهود قد اعتلى
ترأى له نور الرسول وصحبه
فنادى بأعلى الصوت اوسا وخزرجا
فخفوا للملقى خير من وطىء الشرا
وحل قباء في بني عوف الاولى
ودام بهم (٢) بضعا وعشرين ليلة
وأسس عن تقوى بها مسجدا (٣) له
وبارحمهم سعييا لطيفة مرخيا
فقام له الانصار حذو ديارهم
هلم رسول الله تأولمنعة
فقال لهم لا تمسكوها فانها
فمرت توالي بالطريق التفاتها
الى أن أتت دار النجار ففركت
فألقت اذا منها الجران (٥) وأرزمت (٦)
فنازلها في ذي المنازل قائلا
وضاءت به أرجاء طيبة وازدهت
وأشرف ربات الخدور بمدحة
الا مرحبا ذا البدر أقبل مشرقا
وتقرن بالدف العزوف ترنما
فينا له من يوم أغر محجل
ففي كل قلب حل أعماقه الهدى

ثلاثا قدرت وارتوى منه شارب
سوى الواحد الديان لاشيء واجب
وبانت لهم أطامها والمسارب
لينظر في أمر له ويراقب
وزال سراپ دونه الركب حاجب
الا سعدتم وافى تقلد النجائب
سراعا وكل تابع ومصاحب
حظوا بمرام اتجته الرغائب
بأرغد عيش واستطيت مشارب
مزية سبق فاقتفت المحارب
زمام قلوص (٤) وهو جذلان راكب
وكلهم داع وفي الخير راغب
وركن قوي لا يبروم المحارب
لقد أمرت والامر هاد وجاذب
لمبركها الميمون وهي توائب
وقد جذبتها بالعراص الجواذب
ليفهم مغزى فعلها من يراقب
الاها هنا النزول السعيد المناسب
وقد عمها بشر وعزز جانب
يردها عند القدم الكواعب
تحف به من كل أوب الكواكب
ويكل بفرط البشر جذلان لاعب
الى مثله تصبو العلا والمواكب
لواعيج شوق جمرها الدهر لاهب

(١) جمع اطم وهو الحصن

(٢) هو اثنتان وعشرون ليلة اه مواهب

(٣) هذا المسجد هو مسجد قباء وهو اول مسجد بني في الاسلام وهو المراد في قوله تعالى
(المسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب
المطهرين) وبقاء هذه بينها وبين المسجد النبوي بالمدينة فرسخ

(٤) القلوص من الابل الشابة او الباقية على السير او اول ما يركب من اناثها الى ان تنثي ثم
هي ناقة والناقة الطويلة القوائم خاص بالاناث اه قاموس

(٥) الجران بكسر الجيم وفتح الراء باطن العنق اه مواهب

(٦) أرزمت الناقة اذا صوتت من غير ان تفتح فاها اه مواهب

الهجرة النبوية

مبدأ التاريخ الاسلامي

بقلم صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سيدي محمد
الحجوي وزير المعارف بالحكومة المغربية

ان الهجرة اذا وردت على لسان المحدثين وعلماء السير تطلق على هجرتين هجرة المسلمين من مكة الى أرض الحبشة وهجرتهم من مكة الى المدينة المنورة والاولى كانت قبل الثانية بنحو سبع أو ثمان سنين اذا كانت في السنة الخامسة من مبعثه عليه السلام وعند الاطلاق في العرف العامي تنصرف الى الثانية واليه ينسب تاريخ المسلمين العربي القمري في اقصى الشرق والغرب فمبدأ تاريخنا من اليوم الذي هجر فيه النبي صلى الله عليه وسلم ورفيقه ابو بكر الصديق مكة الى المدينة ، وهو اليوم ١٦ من شهر يولييه من سنة ٦٢٢ ميلادية اذا قلنا ان الهجرة كانت يوم الجمعة في المحرم ويرجحه جعل عمر والصحابة المجمعين حوله المحرم اول شهور السنة الهجرية ولا مانع يمنعه من جعله ربيع الاول النبوي لو كانت الهجرة فيه كما قيل له وهذا الاخير قول ابن اسحاق وغيره . فاذا قلنا بقول ابن عباس انها كانت يوم الاثنين يكون موافقا لليوم التاسع عشر من يولية

ان لاكثر الامم القديمة في المعمور تواريخ تؤرخ بها حفظا للنظام والحقوق ومعرفة اوقات الوقائع التي لا تتم معرفتها الا ببيان اوقاتها ، فللصين تاريخ وللاليود تاريخ وللأمم المسيحية تاريخ وللإسلام تاريخ .

وفي كل نفس من طموح ونجدة	عوامل عزم لا تقل القواضب
رويدك لا تياس لطول سباتهم	فرب سبات هب منه المثالب (١)
ورب منام كان للعقل منتجا	جماما فحطت غن علاه الثواقب
أما قد (٢) أتى حين من الدهر لم يكن	به المرء مذكورا وها هو صاحب
ومن سنن الاحيال قبل نهوضها	رسوب وبعد الطين تصفو المشارب
فهبوا بني الاسلام للمجد هبة	تزول بها أوصابكم والغياب
وكونوا كما (٣) قال الرسول لبيك	اذا ما اشتكى عضو تداعى المصاحب
وعواما نظوى في ضمن أروع هجرة	لقد أفعمتها من علاه المناقب
ففي سوقها الذكرى وفي العمل المنى	فيروي حديث الحمد عنها العواقب

(١) المثالب بضم الميم اسم فاعل بمعنى المقاتل قاله في لسان العرب (٢) فيه تضمين لقوله تعالى (هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا) (٣) تضمين لحديث الصحيح المؤمن للمؤمن كالبيان المرصوص يشد بعضه بعضا الحديث

وكل منها يجعل أهم جواده مبدأ لتاريخه فالمسيحيون من ولادة المسيح والمسلمون من يوم الهجرة النبوية .

كان العرب في جاهليتهم يؤرخون بأهم الوقائع من حروب وغيرها فاهل المدينة كانوا يؤرخون بعام حرب بعاث واهل مكة يؤرخون بعام الفيل الذي هجم فيه أبرهة قائد الحبشة على مكة ونجاها الله منه . فقلة الحضارة والمدينة التي أدتهم الى الامية وجهل التاريخ لم يكن لهم تاريخ مدون يحفظون به مجدهم وتجتمع عليه كلمتهم فاذا جاءت واقعة ثانية نسوا الاولى وصاروا يؤرخون بهذه وهكذا دواليك كلما تجددت قضية أنست ما قبلها وكل امة لم يكن لها مجد مدون ولا تاريخ ترجع اليه فهي في عداد الهمل والمهمل .

فلما جاء الاسلام وحضارته والدين القويم ومدنيته فكر سيدنا عمر بن الخطاب فيما يضبط به التاريخ ويكون مرجعا لتوقيت الاوامر والنواهي والكتب والمناشير حين ورد عليه كتاب بعض عماله مؤرخا بشعبان فقال أي شعبان هذا هل الذي في عامنا او الذي قبله بسنة او سنتين . فكر في هذا الامر الهام مثل تفكيره في احداث نظام لعدلية الدولة ونظام ماليتها واصدر بذلك مناشير التي لم تزل بموصها محفوظة الى الآن فجمع الصحابة وشاورهم كالعادة عنده في مهام الامور فاتفق الرأي على ان يكون تاريخنا الذي نؤرخ به الى الآن مبتدأ من عام الهجرة النبوية التي هاجر فيها النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وهي الهجرة الثانية . (١)

لاي شيء اختاروا الهجرة دون الولادة النبوية او الوفاة او غزوة بدر التي اعتر بها الاسلام او فتح مكة مثلاً ؟

الجواب - لم يختاروا الولادة النبوية لامور فيما أظن :

١ - ان يتعدوا عن تقليد النصارى والتشبه بهم . وان يتكبروا لانفسهم ما هو كالعنوان على استقلال الفكر وبعد النظر

٢ - ان يعملوا بمقتضى الاشارة النبوية في الحديث الشريف الصحيح لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح ابن مريم فكان عمر ومن معه يتعد عن كل ما يؤدي لذلك او يشعر به خوف ان تقع الامة فيما وقع فيه المسيحيون من تأليه المسيح

٣ - ان الولادة النبوية مؤرخة بعام الفيل وفيه اختلاف . ولم تكن الوقائع مضبوطة قبل الاسلام لمكان الجاهلية . وكان عمر يتجنب الجدل وما فيه اختلاف ويحب بناء المهمات على اليقين دون الخيال اما الوفاة النبوية فقد كان وقتها محققا مضبوطا ولكنهم تجنبوها لامور فيما اظن ايضا

١ - لعلمهم رأوا انها رزء عظيم على الاسلام فتكون رمزا للاسى والحزن فتجنبوا ان يجعلوها تاريخهم منها تناسيا للذكريات الفاجعة

(١) كان الشيخ اعتبر الهجرة الاولى والثانية الى الحبشة هجرة واحدة لاتحاد المهجر وانما تكررت

٢ - لم يستحسنوا فصل تاريخهم عن حياة النبي كلها بل احبوا ان يكون صدر تاريخ الاسلام حياة زاهرة لنبية الكريم عليه السلام وتكون هي تاجاً وهاجاً فوق رأسه

٣ - عملوا فيها ايضا بحديث لا تطروني

واما واقعة بدر وفتح مكة فانهما مع أهميتهما لا تكونان كأهمية الهجرة كما نبينه بل هما امران جزئيان بالنسبة للهجرة النبوية وما ظهرت مزيتهما الا بالهجرة وايضا فيهما ذكريات يتألم بهما من اصابوا فيهما واسلخوا هم أو أولادهم

نعم اختاروا الهجرة مع ما فيها من الذكريات الفاجعة لامور سبعة فيما ظهر لي

١ - قصدوا تثبيت هذه الذكرى الفاجعة في اذهان الامم الاسلامية ليعلموا ما قاساه النبي صلى الله عليه وسلم والسابقون الاولون من اصحابه من شدائد واضطهادات وإهانات تندك لها الجبال الشم ويجف لها اليم . وهم ثابتون على مبدئهم القويم ودينهم المستقيم

فاننا في مشارق الارض ومغاربها مهما أرخنا بالتاريخ الهجري الا وتذكرنا الهجرة واهوالها وما نتج لنا عن صبرهم على لاوائها من خير وعز وشرف ونعيم فثبت كسباتهم ونصبر كصبرهم ونعمل كعملهم ثباتاً وتحملاً

٢ - الهجرة كانت اول فتح في الاسلام باعتبار عاقبتها المحموده . فان الاسلام لما كان بمكة كان في حضن الباطل وحجرة اذ كان سجيناً مضغوطاً مغلوباً تحت رحمة الشرك في مكة ونهايك بلاء من يكون تحت رحمة عدو جاهل جائر فالمسلمون كانوا لا يقدرّون على الجهر بافكارهم ولا بتوحيد خالقهم وتلقيه لا ولا لادهم ولا يقدرّون على قراءة القرآن ذي المبادي والاخلاق العالية . فان ابا بكر الصديق هاجر هجرته الاولى من مكة الى الحبشة فلقى في طريقه ابن الدغنة فردّه الى مكة في جواره وقال له مثلك لا يخرج من وطنه فشرط عليه كفار مكة ان لا يعلن الدعوة ولا يجهر بالقرآن لئلا يسمعه النساء والصبيان وان لا يدعو احداً للدخول في الدين فقبل الشرط لكنه لم يصبر على الاستعباد فبنى مسجداً بباب داره واصبح يصلي ويقرأ القرآن جهراً فأرسل اهل مكة لابن الدغنة وتشكوا اليه بان نساءهم وصبيانهم يفتشون بسمع القرآن فجاء وطلب منه الكف عن ذلك والا فسح عقد الحماية فاختار ابو بكر فسح عقد الحماية عن شعم وشرف معتمداً على حماية الله متوكلاً عليه صابراً محتسباً فعادوا وشدوا الحناق عليه وبالغوا في اذيته واهاته

ولقد قاطع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم وحصروه في شعب ابي طالب من شعاب مكة هو وقرابته المسلم منهم والكافر من بني هاشم وبني المطلب الذين ابوا من إسلامه اليهم ليقتلوه ويجبسوه الا بالهب عمه ومكروا بهم المكر المبرم وقطموا عنهم مواد الحياة ان تصل اليهم وكتبوا البراءة والمقاطعة معهم في صحيفة وعلقوها بالكعبة معلنين فيها قطع المعاملة معهم ببيع او ابتاع او إنكاح حتى

جعل الله لهم فرجا وخرجوا من الحصار في حالة ضنك وشدة وكان ذلك سنة سبع أو ثمان من المبعث وبقوا في الحصار سنتين أو ثلاثا وفي سنة خمس أو ست قبلها قد احتفى النبي صلعم بدار الارقم ابن ابي الارقم بالصفاء المقابلة للهروبة بمكة مدة شهر هو وجميع من كان مسلما معه وكانوا تسعة وثلاثين يعلمهم القرآن والدين فكان الاسلام محصورا في هذه النقطة الضيقة لا يملك من سعة الكرة الارضية غير هذه الدار حتى اسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب عند ذلك تقلدا سيفيهما وخرجاه به الى الكعبة قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله وظهر بعد الاستخفاء وذلك في السنة السابعة قبل الهجرة وهي السادسة من النبوة ومن هذه النقطة الدقيقة التي كان الاسلام محصورا فيها انتشر النور على الكرة الارضية ثم ان هذا الظهور لم يتم معه الامر وانما كان تخفيفا في الجملة . فلم ينزل المكر الشركي محيطا بالمسلمين بل الضغط والاهانة والتعذيب فقد اخذوا بلالا وربطوه على حجارة مكة في ظهيرتها التي لا تقل عن الجحيم وعذبوه ليرجع للكفر فلم يرجع حتى فداه ابوبكر بالمال فاشتراه منهم . واعتقه واخذوا عمار بن ياسر ووالده وامه العجوز الهرمة وعذبوهم باكثر من ذلك وجاء ابو جهل وادخل حرته في فرج هذه العجوز وهي تعذب فاسلمت الروح وكانت اول من استشهد في الاسلام وتعدى مكرهم الى نفس النبي صلى الله عليه وسلم بعد موت عمه ابي طالب الذي كان يدافع عنه قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين وكذلك زوجه خديجة التي كانت خير ردة له عليه السلام فقد لبىه عقبة ابن ابي معيط بثوبه حتى خنقه فجاء ابوبكر ومنعه منه وهو يقول اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وجاء ابو جهل وطرح النبي صلى الله عليه وسلم على الارض ووطىء برجله على عاتقه

ولما بلغ الاذى بالنبي صلى الله عليه وسلم هذا المبلغ واكثر منه خرج الى الطائف يعرض نفسه على قبيلة ثقيف ليحموه فينال حرته في نشر دينه وبلغ رسالة ربه فردوه اقبح رد وسلطوا عليه صيانهم وعييدهم يضربونه بالحجارة حتى ادموا عراقيه ورجع الى مكة في جوار المطعم بن عدي وذلك سنة عشر من المبعث ثم صار يعرض نفسه على القبائل العربية ايام موسم الحج في الاشهر الحرم التي يكون فيها السلم ولا يقتدرون على الوصول اليه

عند ذلك هيا الله له الانتصار الاوس والخزرج من اهل المدينة فوعده النصر في العقبة الاولى عقبة منى وكان ذلك بعد نحو عشر سنين من المبعث ثم وقعت منهم بيعة العقبة الثانية في السنة التي تليها ثم بيعة العقبة الثالثة في السنة بعدها .

ولما رأى قريش ظهور علامات نهوض الدين الاسلامي زادوا في التضييق على الرسول ومن معه واثمروا على قتله فاعلمه الله بذلك وأمره بالهجرة فهاجر محتفيا من مكة الى المدينة هو وصاحبه ابوبكر الصديق في قصة معلومة في السير بعد ما قاسى ثلاث عشرة سنة او خمس عشرة سنة من الشدائد اهو الا هو ومن اسلم معه تشيب الصبي وتهرمه

ولما ان هاجر هياً الله له الانصار لنصرة الدين ومن لحق به من المهاجرين من امكنه اللحوق وأفلت من حبس المشركين وضعفهم فعند ذلك تمكن من نشر الدين وتبليغ الرسالة وظهور المبادي العالية للعالم فلماذا قلت ان الهجرة كانت فتحاً للإسلام في احق ما يؤرخ به ويؤيد رأينا هذا القرآن قال تعالى الا تنصروه فقد نصره الله اذا أخرجه الذين كفروا الآية فصدر الآية وعجزها يدلان ان الهجرة كانت نصراً وتأييداً واعلاء لكلمة الله وحطاً لكلمة الكفر وذلك مما لا يمتري فيه مسلم

٣ - الاسلام له اطوار الطور الاول كونه جنينا في بطن مكة الثاني خروجه للحياة العامة وانتقاله لطور الظهور للهلا وهذا الطور بلغه بالهجرة وبسببها انتشر في العالم

٤ - الهجرة بها تدرب المسلمون على التضحية بالمال والاولاد والنفس حيث هجروا ديارهم واموالهم واهلهم حبا في مبادئهم والامم لا تتحرر الا بالتضحية قال الله تعالى : قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم وأموال اقترتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله الآية .

٥ - بالهجرة استيقن الرسول من رسوخ ايمان اصحابه وانهم صادقون في وعودهم حيث امتثلوا الامر وهاجروا معه وتركوا كل شيء لهم في مكة وصاروا فقراء كما وصفهم الله بقوله الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون . ولا يمكن للرسول ان ينظم امر الدعوة ويضرب نظام الشرع الاسلامي ما لم يستيقن ايمان الاعوان والاصحاب الذين يقومون بما عهد اليهم اتم قيام عن اخلاص واقطاع . والنظام حياة الامم

٦ - الهجرة فرقت بين الحق والباطل كما قال عمر اذ بها صار للإسلام صولة وامكنه حمل السلاح على اعدائه وصار مسلحا بعد ما كان أعزل وصار قوة بعد ما كان ضعفا

٧ - بالهجرة أصبح الاسلام له شريعة ذات احكام عملية فرعية يعدل بها في الاحكام اذكر بعدها نزول الاحكام من حرام وحلال وما نزل قبلها فغالبة في العقائد . والشريعة هي نظام المجتمع الاسلامي النظام العسكري والمالي والعائلي وكل الانظمة الاجتماعية والدينية وانظمة مظاهر الحياة كلها وهي الرابطة التي حققت وحدة الاسلام وبنيت الحقوق وصانت العدل من الحيف والتلاشي ولا حقيقة لحياة امة دون العدل والنظام

الرباط في ٣ محرم سنة ١٣٥٨

محمد الحجوي الثعالبي الجعفري

تنبيه

قد برز مع الجزء الثاني من هذا المجلد الفهرس العام للمجلد الثاني وقد غفل عنه كثير من القراء فلذا وجب التنبيه وقد اتصل به جميع المشتركين صحيفة الجزء . فالمراد ضمنه للمجلد المختص به

التاريخ بالهجرة الشريفة

وموسم رأس العام

بقلم العالم المؤرخ أمير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

عند انبلاج صبح اليوم الاول من محرم الجاري استقبل المسلمون في مشارق الارض ومغاريها عاما هجريًا جديدًا وهو عام ثمانية وخمسين وثلاثمائة والفر عرف الله خيرته فذلك اليوم المبارك جدير بأن يلفت بذكره أنظار عامة المتلفطين بكلمة التوحيد نحو صاحب الهجرة الشريفة الا وهو سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذي بعثه الله الى الخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا.

أما المقصود من هذا التحرير فهو الامام بحديث الهجرة النبوية من حيث اتخاذها مبدأ للتاريخ بالنسبة لعامة المسلمين . ذلك أن الامم كانت في الزمن المتقدم على البعثة المحمدية تؤرخ بحوادث الازمان وأولها بدء الخليقة بعد هبوط ادم عليه السلام وهذا التاريخ مستفاد في زعمهم من التوراة المكتوبة باليونانية وقد قدروه بستة آلاف سنة ومائتين وست عشرة سنة قبل الهجرة وهو قول المؤرخين وخالفهم فيه الفلكيون حيث قالوا ان بين هبوط ادم والهجرة خمسة آلاف وسبعمائة وتسع وستين سنة والقولان مخالفان لما جاء في نسخة التوراة السريانية وهذه بدورها مخالفة لنسخة التوراة العبرانية فالتاريخ بمبدأ الحقيقة ضرب من الرجم بالغيب لا سيما وان علم طبقات الارض وهو من العلوم الحديثة التي حفت من أجلها الاقلام وجف مداد المحابر قضى على مثل هاتيك المزاعم بالدليل والحجة . والمقام لا يقتضي الاطناب لانه بعدنا عن المقصود انما تعرضت له بطريق الاشارة المجردة توطئة لتسجيل بعض التواريخ المشهورة في أقدم العهود كالتاريخ بطوفان نوح عليه السلام وبينه وبين الهجرة ثلاثة آلاف وتسعمائة واربع وتسعون سنة على اختيار المؤرخين ودونه بنحو مائتين وسبعين سنة على اختيار الفلكيين وهم المنجمون في اصطلاح الاقدمين . قال في عيون المعارف : انهم بعد الطوفان أرخوا بنار ابراهيم عليه السلام ولما تفرق بنوه من بعده أرخ بنو اسحق بنار ابراهيم الى زمن يوسف ومن يوسف الى مبعث موسى ومن موسى الى ملك سليمان عليهم السلام ثم أرخوا بما كان من الكوائن ثم بخروج اليهود الى التيه (بكسر التاء المشددة وبفتحة مع سكون الياء - معناه الكبرياء) ثم أرخوا بخراب بيت المقدس ، واما بنو اسماعيل عليه السلام فأرخوا ببناء الكعبة المشرفة وداموا كذلك الى أن تفرقوا فأرخوا بعد ذلك بما اشتهر بينهم من الوقائع الهامة كيوم الفجار وحرب البسوس وسيل العرم وعام الفيل وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشرين من نيسان ٥٧١ للميلاد

وأما النصارى فقد كانوا يؤرخون أيضا بحوادث أزمانهم وهي كثيرة من أشهرها غلبة الاسكندر على الفرس واستقر تاريخهم في ميلاد عيسى عليه السلام ، والفرس وهم أرقى الامم في الزمن القديم

كانوا يؤرخون بملوكهم وءآخر تاريخ لهم هلكة (يزدجرد) وقس على ذلك ما حفظه التاريخ من أسماء بقية الشعوب والامم البائدة والباقية فكل أمة كان لها تاريخ تؤرخ به كالاشوريين والكلدان والاقباط والانباط وغير ذلك مما لا يدخل تحت حصر. وهذا يغنينا عن الاشارة لكون أهل الصين والهنود من اسقاع الشرق الاقصى يدعون اقضاء عشرات الالوف من السنين على تاريخهم ومن اراد زيادة البسط فعليه بالرجوع لخطط المقريري. ولنضرب صفحا عن كل ذلك لنقول أن التاريخين القديمين اللذين لهما علاقة في هذا الزمان باهل تونس هما التاريخ المسيحي ونحن في عامه التاسع والثلاثين بعد تسعمائة والف وتاريخ اليهود وهم في عامه التاسع والتسعين وستمائة وخمسة الاف. هذا وقد اختلف المؤرخون والفلكيون في مدة الزمان الواقع بين تاريخ الميلاد وبين الهجرة الشريفة ولكلا الشقين أقوال واتقال والشيء الذي إعتمده كتاب التاريخ ودرجوا عليه في هذا الزمان هو أن الهجرة النبوية كانت في اليوم الموافق لسادس عشر تموز وهو اسم شهر يوليه في السريانية من سنة اثنتين وعشرين وستمائة للميلاد وهذا اليوم يوافق الجمعة في حساب الايام قال بعض العلماء أن الهجرة كانت بالجمعة ولكنه قول شاذ وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج مهاجرا يوم الاثنين وقيل كان خروجه من مكة المكرمة يوم الخميس وقال في المثل الكامل : ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الى المدينة المنورة بعد أن صلى الجمعة بمسجد قبا - وقبا من احواز دار الهجرة - وكان الانصار محيطين به وهم متقلدون سيوفهم فسر أهل المدينة أيما سرور وقد خرج للملاقاة فيمن خرج النساء والصبيان والولائد يشدن :

أشرق البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داع
أيها المبعوث فينا	جئت بالامر المطاع

وللايات بقية لم يذكرها صاحب المثل الكامل تنقلها هنا ترحيبا بدخوله للمدينة عليه السلام :

صل يا رب عليه	ما دعا الله داعي
اقبل البدر علينا	واختفت منه البدور
مثل وجهك ما رأينا	قط يا وجه السرور
انت شمس أنت بدر	أنت نور فوق نور
انت والله يا محمد	أنت مفتاح الصدور
وأنا بك غيث	حل في كل البقاع
وجب الشكر علينا	ما دعا الله داعي
يا إمام المرسلين	يا شفيع المذنبين

أرسلك مولى الموالي رحمة للعالمين
 قال رب فادخلوها بسلام ءامين
 مرحبا أهلا وسهلا بك يا بدر تجلى
 أشرقت شمس المعاني قد بدا وجهك يجلى
 وانجلي بك الظلام من سقم حرمك وولى
 يا إلهي بالمشفع صاحب القدر المرفع
 لا تخب يا إلهي كل من حضر ويسمع (١)

قلت هذا الكلام الموزون ينسبونه للطيبات الصالحات بنات النجار رضي الله عنهن وبنو النجار هم اخوال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حبة أيه يعني أخوال عبد الله بن عبد المطلب واختلف العلماء فيمن وضع التاريخ الهجري فبعض المحدثين روى بسنده الى ابن شهاب ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة في شهر ربيع الاول أمر بالتاريخ وعلى هذا القول يكون ابتداء التاريخ الهجري في عام الهجرة ولكن هذه الرواية يخالفها المشهور بين جمهور العلماء وهو أن ابتداء التاريخ بالهجرة كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال الحافظ الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي من اعلام المائة السادسة : دفع الى صمصك محله شعبان قال عمر شعبان هذا الذي مضى أو الذي هو أو الذي نحن فيه ثم جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ضعوا للناس شيئا يعرفونه فقال قائل اكتبوا تاريخ الفرس كلها قام ملك طرح ما كان قبله فاجتمع رايهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه أقام بالمدينة عشر سنين فكتب التاريخ على هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال سعيد بن المسيب : أول من كتب التاريخ عمر رضوان الله عليه لسنتين ونصف من خلافته فكتب لست عشرة من المحرم بمشورة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه وقال غيره من الرواة : أن عمر كتب التاريخ في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة فكتبه من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة، وقال القلقشندي في صبح الاعشى بالنقل عن ذخيرة الكتاب : لما أراد عمر التاريخ جمع الناس للمشورة فقال بعضهم تؤرخ بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم بل بوفاته وقال بعضهم بل بهجرته من مكة الى المدينة لأنها أول ظهور الاسلام وقوته فصوبه عمر واجتمع رأيهم عليه، ثم قال وكان وقوع ذلك في اليوم الثاني عشر من شباط (اي فراير) سنة ثمانمائة واثنين وثمانين لذي القرنين، ونقطة الاتفاق بين أصحاب تلك الاقوال المختلفة التي ذكرناها هي ان قائلها وغيرهم ممن لم نذكره أجمعوا على أن عمر رضي الله عنه لما وضع التاريخ الهجري رده لليوم الاول من محرم بمعنى أنه ابتداء حساب التاريخ لا من يوم استقر قراره على وضعه بل من مستهل المحرم الواقع في عام الوضع مع اعتبار المدة التي مضت قبل ذلك من يوم

(١) يظهر للقاري أن بقية الآيات فاقدة للروح العربية فلعلها من نظم بعض المتأخرين ذيل بها الاصل (المجلة)

الهجرة الشريفة الى غرة محرم عام الوضع وعلى مقتضى تلك النتيجة الثابتة الصحيحة جرى عمل المسلمين من عهد عمر بن الخطاب الى هذا الزمان وسيبقى ان شاء الله كذلك ما بقي الدهر .
 واذا كانت وضع التاريخ الهجري وقع سنة ست عشرة بعد الهجرة فلتعلم أن وضع التاريخ المسيحي لم يقع الا بعد الميلاد بنحو اربعة قرون وقد رأيت فيما تقدم الاضطراب الذي تناول تاريخ اليهود قبل استقراره فيما هو عليه اليوم

هذه خلاصة القول في وضع التاريخ الهجري بالنقل عن المسانيد الصحيحة وبقي لنا الكلام على يوم راس العام أهو موسم أم لا ؟ وسرعان ما نقول إنه ليس بموسم شرعي والمواسم الشرعية معروفة وهي عاشوراء وليلة القدر واتفق جمهور العلماء على انها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان . ولفظ رمضان اذا قصد به شهر الصيام لا بد من تقديم لفظ شهر قبله ومثله الربيعان الاول والآخر ولا يقال ربيع الثاني لانه ليس لهما ذلك وكذلك الجماديان الاولى والآخره وهذا الخروج عن الموضوع جاءت به القافية . فلنعد لما كنا بصدد نقول ان بقية المواسم الشرعية هي يوم عرفه . والجبل عرفات . ويوما الفطر والاضحى ولك ان تقول النحر . واختلفوا في ليلة المعراج من رجب وفي ليلة نصف شعبان هل هما موسمان شرعيان ام لا ولا خلاف في أن موسم المولد الشريف ليس بموسم شرعي اتفاقا لانه حدث في اوائل المائة السابعة وانما تلبست به صبغة المواسم في هذه الديار وفي غيرها من بلاد الاسلام من اجل العادات والسنن المباركة التي قضت بالحاقه بالمواسم العظمى تنوينا بقدر . واشهار الذكره اما يوم راس العام الهجري وان هو ليس بموسم في أصله فقد تقرر اعتباره في البلاط الحسيني منذ نحو مائة سنة كموسم رسمي صاروا يحتفلون به وقيمون له موكبا خاصا بدار الامارة ولكنه دون موكب المولد والعيد . وهذه المواسم الثلاثة صار اعتبارها مع موسم عاشوراء اعتيادا قانونية بتونس يتمتع بعطلتها كل المتوظفين والمستخدمين بالمصالح العمومية حتى الذين لا يدينون بدين الاسلام واعلم ان موسم راس العام بتونس بدأ ضئيلا ثم تدرج في مدارج الفخامة والظهور الى أن بلغ للحد الذي هو عليه الآن وحديثه هو ما قصه عليك : ففي الدولة المرادية وما قبلها كانت المواسم هذه الديار هي المواسم الشرعية والمولد النبوي وكان لهم مع ذلك موسم ربيعي نسبة لربيع الزمان لا لربيع الشهور يقيمونه في شهر مائة وصفه المؤرخ ابن ابي دينار وصفا حسنا وهذا الموسم بقي له اثر بتونس الى الازمان المتأخرة ولعله انقرض تماما في هذا العهد . وكان عامة السكان من أهل المدن يستقبلون العام الجديد في اقتتاحه باكل بعض الحلويات واشهرها عندهم المقروض لا يغفون بغيره عنه بديلا فقد حكى في المؤنس باسناده لغيره قوله : عجت لمن في بيته المقروض كيف ينام الليل . وكان الطعام الذي لا يتخلفون عن اكله يوم رأس العام هو الملوخية يفعلون ذلك تفاؤلا بالخير لما في خضرتها من الرجاء وحسن الامل وهي لم تكن معروفة عند العرب قبل المائة الرابعة . قالوا ان الاطباء وصفوها للعز لدين الله عند

نزوله بمصر حيث لم يوافق طقسها فدبروا له قانونا من العلاج في جلته ورق الملوخية وكان اسمها يومئذ الملوكية فوجد لها نفعاً في التبريد والترطيب وعوفي من الامساك الذي كان به فتبرك بها وسار من ذلك الحين ذكرها وانتشرت في البلاد . هذا حديثها والهدية فيه على غيري لاني ناقل لا مبتكر .
 بيد أن هذا التعريف يدعوني للإشارة لقول من يقول ان لفظ ملوخية ربما كان مقتبسا من الملوخوليا في اليونانية وهي الموافقة لكلمة ميلانكلي في الفرنسية ومعناها قريب من السوداء . ولم يتعرض لها الشيخ داود في التذكرة بأكثر من قوله : ملوخيا ويقال ملوكيا من الحبازي . ومهما كان الحال فعادة أكل الملوخية بالديار التونسية يوم رأس العام مضت عليه القرون بحيث أنك لا تجد بيتاً أهليا بشهيرات المدن التونسية غنيا عنها في مستهل كل عام جديد وما زالت الامهات عالقات بها وحريصات على عدم اغفالها والعادة طبيعة خاسمة في الانسان . هذا ومن المقرر المعلوم أن البيوت التونسية وعلى رأسها البيت الحسيني الرفيع العماد وءاله هم السادة القادة لاهل البلاد ومن أشهرهم ذكر او اوفرهم فخرا المشير الاول أحمد باي فهذا الامير هو الذي سن موسما لرأس العام بالتوسيع فيه على حاشيته وأهل قرابته حيث افترض بميزانية دولته ترسيم اعتماد مالي خاص بذلك اليوم وكان هذا المال في البداية قدره خمسمائة ريال من مضروب سكة الفضة وكان صرف الريال الفضي في ذلك الزمان خمسة ريالات الا انه لم يشترط في ذلك المال أن يكون بضرب العام الجديد بل كان يكتفي بتوزيع قطع جديدة من ضرب أي عام كان حتى اذا استقرت تلك العادة ورسخت بين أهل السراية الملكية فكرة الفرح والازدهاء والاحتفال برأس العام توسعوا في ذلك بطبيعة الحال . وكل حي نام . الى أن تلبس ذلك اليوم بالصبغة الموسمية بين أهل الدولة بوجه عام . ولما استوى المشير الثاني محمد باي على العرش الحسيني ابتداء من حيث انتهى سلفه فقرر سنة توزيع المسكوك ذهباً وفضة من ضرب العام الجديد ورتب لذلك موكبا رسميا ينتصب فيه لقبول التهاني من ءال بيته ورجال دولته ، وعلى قياس صنيع هذا الباي جرى عمل اخيه المشير الثالث محمد الصادق باي بزيادة عناية وتقخيم في مظهر الموكب المنعقد يوم رأس العام حيث كان ينتصب له بقصر باردو واتفق له ذات مرة حضور هذا الموكب السنوي بكسوة الانكشارية التي اتخذها عام ١٢٨١ فكان رأسه متوجا بعمامة من الحرير المقصب زادته مهابة وجلالا ومثله كان لباس وزرائه وأهل دولته . سمعت من الوزير المرحوم السيد الطاهر خير الدين انه كان لديه رسم ذات والدته بالزي المتحدث عنه .

ولما تولى المقدس المبرور المولى علي باي الثالث أريكة الملك الحسيني نسج على منوال أسلافه الاكرمين فعقد لمهدة أول موكب لرأس العام في غرفة المحرم سنة ١٣٠٠ بقصر المرسى المعمور وممن حضر هذا الموكب يومئذ حسب ما وقفت عليه بالرائد التونسي العلامة الشيخ أحمد بن الحوجة شيخ الاسلام فأجلسه سمو المولى الامير ليمينه وسمع منه في ذلك الموكب المشهود قصيدته التي يقول في مطلعها :

تهل وجه الملك بالطلعة الغرا ودار السرور الصرف في الاكؤس البشرى ولم يزل المولى علي باي متحفظا باجراء هذا الموكب في اوقانه الى اخر ساعاته غير أنه لما أدركه الهرم في السنوات الاخيرة من عمره كان لا يحضر هذا الموكب الا الوزراء وكبار أهل الدائرة الملكية وفي مدة أخلافه المقدسين المولى محمد الهادي باي والمولى محمد الناصر باي والمولى محمد الحبيب باي كان الاحتفال ليوم رأس العام من أفخر مواكبهم سوى أنهم لا يلبسون فيه كسوة التشريفية الكبرى قياسا على أسلافهم في الزمن الماضي . ويكون انعقاد هذا الموكب بالسراية التي يسكنها

الامير حسب فصول العام يعني اما بقصر الشتاء واما بقصر الصيف حسب الظروف والاحوال اما سلوك حضرة ولي النعم سيدنا ومو نا أحمد باشا باي نصر الله وجهه فقد جاء معزز ومؤيدا لسلوك اسلافه المقدسين بزيادة التوسع منه أطال الله عمره في الانعام والاحسان لمن حول سدة من أهل الرفعة والشان ومن تكلم الملاحظات والتوجهات ان سموه الملوكي يتحف بمناسبة يوم رأس العام جناب وزيره الاكبر بهدية سنوية زيادة على .سكوك الذهب والفضة وهي عادة سنها البايات السابقون وعادات الملوك ملوك العادات .ومن العادة أيضا أن صاحب العرش الحسيني بعد أن يتلقى فروض الولاء والطاعة والتهاني يوم العام الجديد . من آل بيته ورجال دولته وأهل دائرته وحاشيته يزوره بعد ذلك في وقت خاص .مثل الدولة الحامية بتونس لتهنئة حضرته العلية أصالة عن نفسه ونيابة عن فخامة رئيس الجمهورية .ومن البديهي أن ألسن الشعراء تتسابق يوم هذا الموسم المبارك نحو ساحة المولى الامير لالقاء غرر البديع من قصائد المديح على شريف أسماعه ويكون افتتاح هذا المهرجان بترتيل بعض آيات الذكر الحكيم بالصوت الرخيم وسموة يشمل الجميع .واسع عطائه وفضله .

وقد جرت عادة الملوك الحسينيين ان يفتتحوا العام الجديد بمظاهر البشر والتفاؤل بالخير فيجعلون احكامهم واوامرهم ونواهيهم قاصرة يوم رأس العام على ما فيه البشرى والسرور كالولايات الدينية والتوقيع بالعفو والصفح الجميل عن المجرمين وفيه يتولى صاحب العرش الحسيني امضاء حسابات وكيل الدار الكريمة ويشرف بذاته على توزيع ريعها على مستحقيه من آل بيته الكريم في موكب مهيب يحضره الوزراء وامراء الامراء ومدير الشئون وهذه الاحباس انجرت لهم من اسلافهم الاكرمين وكان تناولها التلاشي في مدة وزارة مصطفى بن اسماعيل فجمع شتاتها في اوائل هذا القرن المولى علي باي الثالث قدس سره ورتب نظامها على اسلوب حكيم . ومن مجموع ما تقدم تبضح جليا رسوخ موسم رأس العام الذي يذكرنا يوم الهجرة الشريفة فيا لها من منقبة منيفة كتبها يد الاقدار بمداد الذهب في صحيفة حسنات البيت الحسيني لان الملوك الحسينيين هم الذين سنوها بين أهل هذه الديار وأحكموا تنظيمها وانتظامها حول الاعصار بما سبقي لهم جميل الذكر الى اخر الادهار ونختم هذه النبذة بطرفتين احدهما لا تخلو من فائدة .والاخرى جاءت على حد قولهم : ما

بعد إذا زائدة، فالأولى هو أنك إذا أردت الموافقة بين السنين الهجرية والمسيحية طردا وعكسا فعليك أن كان المقصود تحويل عام هجري لما يقابله في التاريخ المسيحي أن تطرح من ذلك العام الهجري الجزء الثالث والثلاثين منه وان تضيف للبقية عدد ٦٢٢ تكون الجملة هي السنة الميلادية المطلوبة وان كان العكس فابدأ بطرح عدد ٦٢٢ من السنة المسيحية ثم اضع للبقية الجزء الثاني والثلاثين منها تكون الجملة هي السنة الهجرية المطلوبة وهذه القاعدة لا تتخلف ما دام واحد نصف الاثنين واما الطرف الثانية فانها نتيجة احصائية تكلفتها لضبط مبتدأ قرن هجري كامل ووقع اختياري على القرن الثالث عشر فكانت تلك النتيجة بالضبط الصحيح ما نذكره : وافق كل من أيام الاحد والثلاثاء والخميس مدخل خمس عشرة عاما ووافق كل من ايام السبت والاثنين والاربعاء مدخل أربع عشرة عاما ووافق يوم الجمعة مدخل ثلاث عشرة عاما فقط والجملة مائة .

وعلي ذكر ايام الاسبوع نلحق بتينك الطرفين طرفة ثالثة وهذه فيها فائدة لمن لا يعرف جموع هاتيك الايام :

فالسبت يجمع على اسبت وسبوت - والاحد يجمع على اءاحاد وأحدان - والاثنين لا جمع له لانه مثنى فاذا تكلفنا ايجاد جمع له قلنا الاثنين - والثلاثاء بالمد ويقال الثلاثاء بالضم ايضا يجمع على ثلاثاوات قاله في مختار الصحاح - والاربعاء بالمد ويقال ايضا الاربعاء بفتح الباء يجمع على اربعاوات قاله في مختار الصحاح وقال في القاموس المحيط الاربعاء مثلث الباء وهما اربعاان والجمع اربعات - والخميس يجمع على اخمساء واخسة والخميس ايضا الحيس - والجمعة بالضم ومثلها الجمعة بسكون الميم وهما جمعتان والجمع جمع وجمعات وما مضى فات وكل ما هو فاتات

محمد بن الحوجه

تنبيه

بناء على تواني بعض الوكلاء للمجلة في تقديم حساباتهم سواء في القطر التونسي أو في الجزائر والمغرب فقد قررت ادارة المجلة قطع ارسال المجلة اليهم

وعليه فالادارة تطلب من الجهات التي لا تصل اليها المجلة وكلاء امناء ليتمكنوا ان تعتمد عليهم

في المستقبل

وتعذر لاهل تلك الجهات عن قطع ارسال المجلة لذلك السبب

ذكرى الهجرة النبوية

على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

من القلائد الغالية والدرر العالية للشاعر الكبير
الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة العاشر

من افق مكة نور الحق قد وضحا
دين به نزل الروح الامين على
لما بدا كعمود الصبح منباجا
وانبت في جنبات الكون كمر على
كان الانام على عوجاء مدرجهم
حادوا عن الرشدي قول وفي عمل
حتى اذا المنقذ الهادي اطل دنيا
وحط اسر واغلال بعثته
محمد خاتم الارسل جاء بها
دعا اليه السدي ام القرى فنة
جارت قريش عن القصد السوي وقد
دعاهم للتي فيها سعادتهم
فما استجابوا له الا بمعصية
وكافوة عن الحسن بكل اذى
والخير او ضده منب بصاحبه
جفوة جهلا وصدوا كل مقبس
ثم استجاب له من يشرب اسد
وباعوه على أن ينصروه ويؤو
فهاجر الفر صحب المصطفى زمرا
قوم إلى الله قد باعوا نفوسهم
ساروا تباعا فلاقوا كل تكرمة
هناك اوجس اهل الشرك خيفة أن
فاجمعوا امرهم كي يطفئوا حسدا

ثم اتجى يثريا فجرا فساد ضحى
طه فجلى اباطيل الورى ومحا
يروق منظره الوضاح من لمحا
ليل الاباطيل ذي الاغساق فانتضحا
حدا بهم للردى حادي الهوى ونجا
نالوا الشقاء به والتعس والترحا
نهج الرشاد لمن يتقفوه وافححا
عن الورى طالما من ثقلها رزحا
شرية كسنا الاصباح حين ضحا
كم قد بغت وعصت من عيها النصحا
شامت هنالك باب الرشيد منفتحا
دينا ودنيا بقول الفحم الفصححا
وغادروا نصحه نسيا ومطرحا
وكل ذي عمل رهن به اجترحا
كما الاناء بما يحويه قد رشحا
منه وكادوا واذا من به انتضحا
غير ميامين كل للهدى كدحا
وه ومن عن سبيل الغي قد جمحا
إلى المدينة حيث الدين قد صرحا
بحسب ذي الود ان يهدي لهم مدحا
من معشر لا يفهم مدح من مدح
يدال للدين منهم واصطلوا برحا
نور الاله قلاهم ربهم ولحا

فاظهر الله ما قد اضمرة فما
 اوحى الاله بما قد بيتوه الى
 وآذن الله خير الخلق ان له
 وانهم سوف تغدو دار هجرته
 فسار عن مكة مغنبا مبتثسا
 بثوم طيبة فاهتزت له طربا
 فياله سفرا فيه الغاية من
 فكم بدا خارق اثناء بهر ال
 سل عن نباه حى البطحاء اذ حشرت
 حفوا بيت رسول الله وهو به
 فسار عنهم بمرأى منهم ومضى
 وما أحسوا به الا وقد بعدت
 وسائل غار ثور حين لاذ به
 فلم يروه وهم على كذب
 رأوا بياض نرج العنكبوت وور
 واسأل سراقه حين اشتد خلف رسو
 يعلو جوادا به ساخت قوائمه
 وما نجا منه الا بعد توبته
 الى سوى تلك مما ذاع مخبره
 وحين وافى رسول الله طيبة واح
 الفاهم في ارتقاب نحو طلعتة
 فيا لها ساعة ما كان اسعدها
 ويا لطيبة دار اليمى ان بها ال
 بها قد انتشرت في الكون دعوته
 وأقبل الناس افواجا تدبى له
 ودالت الدولة الميمون طالها
 وسارت الريح شهرا عرفها عبق
 فيا لها هجرة ما كان ايمنها

لمتجر جدوا فيه رما ربها
 رسوله وبما كادوا فما نبجا
 في كسبه ما يهز المهتدى فرحا
 فليرتحل حيث امر القوم قد رحا
 وفارقه المال والاهلين واطرحا
 واقر للدين ثغر بعد ما كلبها
 ذي العرش بان وعرف اللطف قد نفحا
 معقول اعجازه حقا وكم سنجها
 له العدا معشرا للسلام ما جنجا
 وكأس مكرهم بالغدر قد طفحها
 من بعد ما الترب في هاماتهم طرعا
 منه الخطا فاشنوا عن بيته طلعا (١)
 وأتبعوه وكل حمدة لفحها
 غادين للبحث عنه فيه او روحا (٢)
 قاء رؤما فظنوا انه نزحا
 ل الله يعدو فلم يبلغ لما طمحا
 غدا هم به جرما لقد قبحا
 وبعد ما صدره نحو الهدى انشرا
 وصح بين رواة القوم واتضح
 ستف الصحاب به تاهت به مرعا
 كل تقلد رسم الحرب واتشحا
 بمنلها الدهر يوما قلها سمحا
 لاسلام قد نال مما رام مقترحا
 فشاهد الحق منها من قد التمحا (٣)
 سيان من قد تدانى او قد انتزحا
 على قریش له لكنه صفحا
 بنصرة وهزار السعد قد صدحا
 ويا لها محنا قد اعقت منها

علي النيفر

(١) جمع طليح وهو المصاب بالاعياء

(٢) جمع رائح (٣) اي ذهب ببصرة على حد قول ابي الطيب انا الذي نظر الاعمى الى ادبي

الآيات الالهية

في الهجرة المحمدية

بقلم الأستاذ التحرير الشيخ محمد البشير النيفر
أحد الاساتذة الاعلام بجامعة الزيتونة الاعظم

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير
المشاكرين الآية (٣٠) من سورة الانفال

الا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه
لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى
وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم الآية (٤) من سورة التوبة

جئت عناية الله بعبدنا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم اصطفا له رسالاته . وأيده بآياته ، وأعلى
على الكلم كلماته ، وذلك فضل الله يخضع به من يشاء من عباده ، على وفق حكمته ومراده .

مكر الذين كفروا بالرسول صلى الله عليه وسلم فمكر الله والله خير الماكرين ، ونصره على
قلة الاولياء وكثرة الاعداء « إذ أخرجه الله خير الناصرين ، فبارك الذي صدق وعده ، ونصر
عبده ، وله الحمد والشكر وحده .

إن المؤمن لتنزل السكينة على قلبه ، ويزداد إيمانا بربه ، كلما تلا آيات الله وذكر نعمه السابقة ،
في تأييد رسول الله وخاتم النبيين ، وإظهار دينه على كل دين ، وفي هجرته صلى الله عليه وسلم من
مكة المكرمة ، إلى المدينة المنورة ، نظير عظيم ، من مظاهر التأييد الالهي الحكيم

« عناية الله بالرسول صلى الله عليه وسلم إذ مكر
الذين كفروا والآيات التي تقدمت الهجرة »

ذكرت آيات الانفال الثلاثون الرسول عليه الصلاة والسلام بنعمة الله عليه إذ مكر به
الذين كفروا ليثبتوه أو يقتلوه أو يخرجوه

والانبات الشد بالوثاق والارهاق بالقيد . والحبس المانع من لقاء الناس . والقتل معروف . وقد

دبروا له تدبيراً ، لا يكون ضرره فيهم كبيراً ، والاخراج النفي من الوطن

ويروي كثير من أهل التفسير بالمأثور أن أبا طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما يأتكم بك قومك ؟ قال يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني . فقال من أخبرك بهذا ؟

قال ربي . قال نعم الرب ربك فاستوص به خيراً . قال أنا أستوصي به ؟ بل هو يستوصي بي فنزلت :
وإذ يمكر بك الذين كفروا الآية

ولكن قفى الحافظ ابن كثير على أثر هذه الرواية بقوله : وذكر أبي طالب في هذا غريب جدا بل منكر لان هذه الآية مدنية ، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الاستعمار والمشاورة على الاثبات أو القتل أو النفي إنما كان ليلة الهجرة سواء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجتروا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه اه كلامه

وتكلف بعض حذاق المفسرين بتصحيح هذه الرواية ودفع ما فيها من غرابة وإنكار لذكر أبي طالب قال : ويجوز أن يكونوا قد تحدثوا به قبل إجماعه وإرادة الشروع فيه الذي وقع بعد موت أبي طالب فبلغه فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه اه وفي النفس منه شيء

قال الحافظ ابن كثير : وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان بن جثيم بن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك يا بنية ؟ فقالت يا أبت ومالي لا أبكي وهؤلاء الملاء من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومائة الثالثة الاخرى لو قد رأوك لقاموا فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عزف نصيبه من دمك فقال يا بنية انتي بوضوء فتوضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا ها هو ذا فطأطأوا رؤسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم قبضة من تراب فحصبهم بها وقال شأهت الوجوه فما أصاب رجلا منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً ثم قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة اه

وفي هذا من الآيات الالهية طأطأة رؤسهم وسقوط رقابهم بين أيديهم لما رأوا الرسول صلى الله عليه وسلم وما كان من موت من وقعت عليهم الحصيات يوم بدر كافراً وكل هذا مما تقدم خروج الرسول صلى الله عليه وسلم

وقريب من هذه الرواية ما روي عن ابن إسحاق من طريق يونس بن بكير أن الرسول صلى الله عليه وسلم أقام ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى برده أخضر ففعل ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم وهم على بابه وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رؤسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وهو يقرأ يس والقرآن الحكيم إلى قوله فاغشيناهم فهم لا يبصرون ، وقال الحافظ ابو بكر البيهقي روي عن عكرمة ما يؤيد هذا

وفي هذا من الآيات إطلاع الله رسوله صلى الله عليه وسلم على ما أريد به وأخذ الله بأبصار المشركين

« الآيات الالهية عند الهجرة »

نطقت الآية ٤٠ من سورة التوبة ان الله نصر رسوله صلى الله عليه وسلم اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين وأنزل السكينة عليه او على ابي بكر على اختلاف المفسرين وأيده بجود لم تر وفي كتب الحديث والسيرة من الآيات الخوارج ما يتجلى به النصر والتأييد اللذان نطقت فيهما الآية الكريمة

١ - ففي قصة سراقه لما خرج في طلب النبي صلى الله عليه وسلم وهي عند البخاري في حديث الهجرة المطول : حتى اذا سمعت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وأبو بكر يكسر الالتفات ساخت يدا فرسي في الارض حتى بلغنا الركبتين فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت فلم تكدر تخرج يديها فلما استوت قائمة اذا لائريديها عثان ساطع في السماء مثل الدخان فأستقسمت بالالزام فخرج الذي أكره فناديتهم بالامان فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ووقع في نفسي حين لقيت ما لقيت من الحبس عنهم ان سيظهر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ وفي حديث أنس وهو الثامن عشر من أحاديث باب الهجرة في صحيح البخاري ايضا : فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم فقال اللهم اصصره فصصره فرسه

٢ - وفي حديث أسماء بنت ابي بكر عند الطبراني : وخرجت قریش حين فقدوها في ابتغائهما وجعلوا في النبي صلى الله عليه وسلم مائة ناقه وطافوا في جبال مكة حتى انتهوا الى الجبل الذي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر يا رسول الله ان هذا الرجل ليرانا وكان مواجبه فقال كلا ان ملائكة تسترنا بأجنحتهم فجلس ذلك الرجل يبول مواجبه الغار فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان يرانا ما فعل هذا

وما في هذه الرواية يفسر ما جاء في الآية الكريمة : وأيده بجود لم تروها فقد ذهب جماعة من المفسرين أنهم الملائكة ومنهم الامام الحليل محيي السنة البغوي قال في تفسير هذه الآية : وهم الملائكة نزلوا يصرفون وجوه الكفار وأبصارهم عن رؤيته وقيل القوا الرعب في قلوب الكفار حتى رجعوا اه وأقول لا مانع من الجمع بينهما ويؤيد ما في حديث أسماء عند الطبراني من صرف الله الابصار عن الرسول صلى الله عليه وسلم وصاحبه رضي الله عنه حديث الصحيحين أن أبا بكر قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم ونحن في الغار : لو أن أحدهم نظر الى قدميه لابصرنا تحت قدميه قال فقال يا أبا بكر : ما ظنك باثنين الله ثالثهما

والحديث يفسر ما في الآية الشريفة : اذ يقول لصاحبه لا تحزن أن الله معنا ويتصل بها قوله تعالى : فأنزل الله سكينة عليه وقد أخرج ابن أبي حاتم وابو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في دلائل النبوة وابن عساكر في تاريخه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله فأنزل الله سكينة عليه قال علي ابي بكر لان النبي صلى الله عليه وسلم لم تنزل السكينة معه

وأخرج نحوه الخطيب في تاريخه عن حبيب بن ابي ثلفة
 وذهب جماعة الى ان الذي أنزل الله عليه السكينة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى كلتا الطريقتين
 فانزال الله السكينة من آياته البالغة

٣- وفي حديث ابن عباس باسناد حسن عند احمد : فلما اصبحوا ورأوا عليا رد الله مكرهم فقالوا
 اين صاحبك هذا ؟ قال لا ادري فاقترضوا أثره فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا الجبل فمروا
 بالغار فرأوا على بابہ نسيج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسيج العنكبوت على بابہ
 وروى البزار مسندا وغيره أن الله أمر العنكبوت فسجعت على فم الغار وأرسل حمامتين
 وحشيتين فوقعتا على وجهه فصد به المشركين . عنه ويروى أنه نبت في فمه شجرة صغيرة تسمى شجرة
 الرا وهي شجرة مقدار القامة

« تشكك محمد حسين هيكل في الآيات الثلاث : نسيج العنكبوت والحمامتين والشجرة » جاء في
 الفصل العاشر من كتابه : حياة محمد « صلى الله عليه وسلم » ص ٢٠٨ ما نصه : نسيج العنكبوت
 والحمامتان والشجرة تلك هي المعجزة التي تقص كتب السيرة في أمر الاختفاء بغار ثور ووجه المعجزة
 فيها ان هذه الاشياء لم تكن موجودة حتى اذا لجأ النبيء وصاحبه الى الغار أسرع العنكبوت الى
 نسيج بيتها تستر به من في الغار عن الاعين وجاءت الحمامتان فباضتا عند بابہ ونمت الشجرة ولم تكن
 نامية وفي هذه المعجزة يقول المستشرق درمنجم :

هذه الامور الثلاثة هي وحدها المعجزة التي يقص التاريخ الاسلامي الجد : نسيج عنكبوت
 وهوي حمامة ونبات شجرة وهي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في ارض الله نظائر « على ان هذه المعجزة
 لم ترد في سيرة ابن هشام اه كلام هيكل بنصه
 « تقد كلامه »

ان في كلام هذا المؤلف لمجالا للنقد من وجوه

(١) قوله نسيج العنكبوت والحمامتان والشجرة تلك هي المعجزة التي تقص كتب السيرة في
 أمر الاختفاء بغار ثور الخ والحق ان ثم غيرها

(٢) اقراره قول درمنجم في الآيات الثلاث : هي أعاجيب ثلاث لها كل يوم في ارض الله
 نظائر « وما هي بالتي لها نظير فان اجتماعها لم نسمع نبئها الا في قصة الهجرة ولانه قد جاء في نسيج
 العنكبوت ان أمية قال فيه وقد قال المشركون ندخل الغار : ما أربكم فيه « أي الغار » وعليه من
 نسيج العنكبوت ما أرى أنه من قبل ان يولد محمد أي لان مثله لا يكون الا مدة طويلة وروي في
 الشجرة أنها كانت مقدار القامة لها زهر « وهل ان المؤلف ان تطول الشجرة بمقدار قامة ويكون لها
 زهر » في زمن قصير وليس من المؤلف ان يقع الحمام على فم الغار وهو مأهول ولذا قالت قریش :
 لو كان فيه أحد لما كان هناك الحمام

عمارة البيت الحرام

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء
سيدي محمد بن الخوجه

وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل
ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم

افتتاح الكلام بهذه الآية الشريفة يغنينا عن البحث والنظر في مختلف الروايات المتعلقة بالبيت الحرام قبل زمن ابراهيم عليه السلام فالبيت الحرام وان شئت قلت الكعبة المشرفة التي يقصدها المسلمون من كل فج عميق قياما بالحج الذي هو احد اركان دين الاسلام بناها سيدنا ابراهيم الخليل صلوات الله عليه كما هو صريح الآية المتقدمة وكان المساعد له على بنائها ابنه سيدنا اسماعيل عليه السلام واسماعيل هو جد الجنس العربي وهو كايه ابراهيم من ذرية سام بن نوح . قال المحققون من ائمة الدين واقطاب الملة لما امر الله ابراهيم ببناء البيت الحرام قال ابراهيم لابنه : يا اسماعيل ان الله امرني بامر . قال فاصنع ما امر ربك . قال : وتعيني ؟ قال : قال فان الله امرني ان ابني هنا بيتا . و اشار الى اكمة مرتفعة بارض حمراء واقعة هنالك . وعند ذلك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يحيى بالحجارة وابراهيم يبني حتى ارتفع البناء ووضع ابراهيم الحجر الاسود بمكانه من جدار البيت وسياتي الكلام على خبر هذا الحجر الاسود حول القرون التالية ولما تمت هذه العمارة الاولى للبيت المحرم جعل له ابراهيم باين ملاصقين للارض احدهما يفتح للشرق والآخر في سمته يفتح للغرب وسنعود للكلام على هذا الباب الغربي الذي لا وجود له في هذا الزمان ولم يجعل ابراهيم للميت سقفا كما لم يجعل لبابه ابوابا تفتح وتغلق وكان هذا البيت المبارك اول بيت وضع للعبادة كما قصه علينا القرآن في آية : إن أول بيت وضع للناس للذي بمكة مباركا وهدى للعالمين . وقد بناء ابراهيم بشكل مربع

ودر منجم هذا يلقي بذور الشك في آيات الرسول صلى الله عليه وسلم تدرعا به الى التشكيك في رسالته وله كلام كثير في نينالو أخذ به المؤمن لبطل ايمانه وفي كتاب الوحي المحمدي جملة منه فراجع (٣) ان عدم ورود هؤلاء الآيات الثلاث في سيرة ابن هشام لا يوهن أمرها وقد أثبتنا غير من رجال السير

والطريقة المرتضاة في النقد في مثل هذا تتبع الروايات من حجة أسانيدھا والتعديل على ما لا علة فيه والتوقف فيما دخلته العامة لاوزنها بميزان دو منجم وردھا اذ لم يروھا ابن هشام في سيرته والسلام على من استمسك بعروة الاسلام وقدر قدر الرسول عليه الصلاة والسلام

محمد البشير النيفر

جعل زواياها متجهة نحو الجهات الأربع لمقاومة الرياح وهي هندسة عصرية توفق لها ابراهيم قبل زماننا هذا بنحو اربعة آلاف عام. وليس في الاستطاعة ضبط ذلك بالتدقيق لان المؤرخين والحساب على خلاف فيه كخلافهم بالنسبة لزمن نزول الوحي على ابراهيم ومنهم من اعتمد في تقوله على ما ورد في التوراة ومنها استفادوا ان الوحي نزل على ابراهيم عند دخوله لارض كنعان في حدود سنة ٢٠٥٥ قبل الميلاد وبإضافة هذا العدد لما بعد الميلاد من السنين تكون الجملة ٣٩٤٤ عاما بالحساب الشمسي ولك ان تقول ٤٠٦٢ سنة بالحساب القمري فالمدة الفاصلة بيننا وبين ابينا ابراهيم باثني كعبة الاسلام وهو لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما تقدرها على وجه التقريب باربعة آلاف عام - وقد ذكرنا فيما تقدم ان اسماعيل عليه السلام هو الذي اعان اباه على بناء البيت الحرام واسماعيل هذا هو الذي نبع تحت قدمه ماء زمزم كما في القصة المعروفة المتفق عليها بين جمهور علماء الاسلام فمن الواجب علينا ان نعتقد بصحتها كاعتقادنا بصحة وجود بئر زمزم وما والاها من الصفا والمروة حيث كانت هاجرام اسماعيل تهول في طلب الماء لابنها العطشان حتى اذا يثست منه وعادت لاسماعيل وجده يلم بيديه الماء المتنبع من الارض - وماء زمزم لما شرب له -

هذا البيت الحرام بناه ابراهيم في زمن كان الشرك فيه باسطا جناحه على امة الكلدان منهم من كان يعبد الاوثان التي كان يصنعها لهم اازر ابو ابراهيم كما في آية : وإذ قال ابراهيم لايه اازر اتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ظلال مبين. ومنهم من كان يعبد النجوم وهم اهل مذهب الصابئة قال تعالى حكاية عن ابراهيم : فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي الى آخر الآيات الثلاث قال القرطبي ان من الصابئة من كان يزعم ان الشمس إله كل إله وقال المسعودي في مروج الذهب ان من الصابئة من كان يعتقد ان الكعبة بيت لمعبودهم زحل وانها باقية ببقائه على مرور الدهور وكرور العصور وعن الصابئة اخذ العرب علم النجوم ونبغوا فيه لححد استنباط علم الانواء الذي يفخر به الاروباويون ويعدونه من العلوم العصرية واسمه عندهم علم المتيور لحيا فهو علم قديم عرفه العرب قبل اروبا بازمان. وكان الصابئة يحترمون هيكل الكعبة ويقدمونه كاحترامه وتقديسه من اهل الاديان الاخرى في ذلك الزمان وفلا فقد اثبت التاريخ ان الكعبة كانت العرب وغيرهم من الامم يحجونها من قبل ظهور الاسلام بنحو سبعة وعشرين قرنا لا فرق في ذلك بين وثنيهم ويهودهم ونصاراهم يدللك عليه تكريمها في زعمهم بالاصنام والصور منها صورة مريم وابنها المسيح عليه السلام فلما جاء الاسلام امر النبي صلى الله عليه وسلم بإزالة ذلك كله عند فتح مكة المشرقة في السنة الثامنة للهجرة وما زالت الكعبة على بناء ابراهيم واسماعيل الى ان جدد بناءها العماليق ثم جرهم على ارجح الاقوال وجرهم هم اخوال بني اسماعيل ولكن ابن خلدون قال ان عمارة الكعبة على يد العماليق متأخرة عن عمارة جرهم اياها ثم قال : واستمر الحال على ذلك والناس يهرعون اليها من كل أفق من

جميع اهل الخليفة لا من بني اسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا او نأى فقد نقل ابن التباينة كانت تحج البيت وتعظمه وان تبعها كساها الملا والوصايل وامر بتطيرها وجعل لها مفتاحا (ومنه يستفاد جعل مصاريع الابوابها في هذه العمارة) ونقل ايضا ان الفرس كانت تحج البيت العتيق وتقرّب اليه وان غزالي الذهب اللذين وجدتهما عبد المطلب حين احتقر زمزم (اي جددها وهذبا والا فهي موجودة من قبل) كانا من قرابينهم اه

قلت ان ذكر هذين الغزالين يدعوني للاشارة لكنوز الكعبة المشرفة فقد كان العرب وغيرهم يتقربون اليها بالذئور والهدايا الثمينة من ذهب وحجارة كريمة قال في كتاب العبر : وقد وجد النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة في الحب الذي كان بجوف الكعبة سبعين الف أوقية من الذهب مما كان الملوك يهدون للبيت فيها الف الف دينار مكررة مرتين بمائتي قطار وزنا الى ان قال واقام ذلك المال هنالك الى ان كانت فتنة الافطس وهو الحسن بن الحسين بن علي بن علي زين العابدين سنة تسعة وتسعين ومائة فاخذ ما في خزائنها وقال ما تصنع الكعبة بهذا المال موضوعا فيها لا يتفجع به نحن احق به نستعين به على حربنا واخرجه وتصرف فيه وبطلت الذخيرة من الكعبة من يومئذ اه كلام ابن خلدون

والعمارة الرابعة للكعبة المشرفة وقعت في القرن الثاني قبل الهجرة على يد قصي بن كلاب الجد الخامس للنبي صلى الله عليه وسلم قال في كتاب منزل الوحي : ولم تذكر المراجع المختلفة ان احدا تولى تشييد الكعبة بعد قصي وقبل ان تبنيها قريش قبيل البعثة النبوية الا ما رواه تقي الدين الفاسي في كتاب شفاء الغرام ان عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم بناها ولكنه شك في صحة هذه الرواية لما اصاب جدران الكعبة من الوهن بعد موت عبد المطلب بعشرين سنة او نحوها وعبد المطلب هذا هو القائل لتلك الكلمة الخالدة « انا رب الابل والبيت رب يحميه » في حديثه مع ابراهيم (١) الاشرم الذي جاء لهدم الكعبة عام الفيل وفيه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم عشرين من نيسان سنة ٥٧١ هـ لليلاد. قالوا ان هذا الفيل كان اسمه محمودا (٢) وانه كلما حاولوه للتقدم نحو الكعبة للاجهاز على جدارها بنابه القوي المتين تعاصى عن ذلك وبرك في الارض واذا ساقوه نحو الجهة المعاكسة للكعبة سعى اليها مهرولا الى ان ضجر ابرهة وحزبه وعادوا من حيث أتوا وكان مصيرهم ما قصه علينا القرآن في سورة ابايل

(١) لفظ ابرهة في اللغة الحبشية يقابله لفظ ابراهيم في العربية

(٢) كان بقارة اسيا في الزمن القديم البعيد نوع من الفيل اسمه مموت (Mammouth) اقترض جنسه ولكنه بقي له ذكر في كتب حياة الحيوان فلعل لفظ محمود الذي سمي العرب به فيل ابرهة محرف عن لفظ مموت الذي اشرنا اليه

والعمارة الخامسة للبيت الحرام قام بها قريش وشارك فيها النبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعثه الله نورا وهدى للعالمين . قال في كتاب الجامع اللطيف للشيخ المخزومي من علماء مكة في القرن الحادي عشر : وسبب بناء قريش للبيت هو ان امرأة ذهبت تجمر الكعبة فطارت شرارات من بجمرتها (١) فاحترقت كسوتها وكانت ركاما بعضها فوق بعض (٢) فحصل في الاحجار تصدع ووهن ثم تواتل السيول بعد ذلك فجاء سيل عظيم فدخل البيت فازداد تصدع الجدران ففزع لذلك قريش فزعا شديدا وهابوا هدمها وخافوا ان مسوها ينزل عليهم العذاب فينما هم على تلك الحال يشاورون اذ اقبلت سفينة من الروم حتى اذا كانت بمحل يقال له الشعية وهو يومئذ ساحل مكة قبل جدة إنكسرت ثم قال وبلغ ذلك قريشا فقصدوها واشتروا خشبها واذنوا لاهلها ان يدخلوا مكة فيبيعوا ما معهم من المتاع حتى ان لا يعشروهم (٣) وكانوا قبل ذلك يعشرون من دخلها من تجار الروم وكان الروم ايضا تعشر قريشا اذا دخلوا بلادهم وكان في السفينة نجار بناء (Architecte) اسمه باقوم وهو الذي بنا الكعبة لقريش كما روي عن سفيان بن عيينه اه . كلام المخزومي . وقال ياقوت في معجم البلدان : وكان بمكة رجل قبضي نجار فسوى لهم ذلك وبنوها . وفي ابن خلدون ما يؤيد حكاية انكسار السفينة بجدة حيث قال : وانكسرت سفينة بساحل جدة فاشتروا خشبها للسقف وكانت جدرانه فوق القامة فجعلوها ثمانية عشر ذراعا وكان الباب لاصقا بالارض فجعلوه فوق القامة لثلا تدخله السيول وقصرت بهم النفقة فقصروا عن قواعده وتركوا منه ستة اذرع وشبرا اداروها بجدار قصير يطاف من ورائه وهو الحجر وبقي البيت على هذا البناء الى ان تحصن ابن الزبير بمكة حين دعا لنفسه وزحفت اليه جيوش يزيد بن معاوية اه . كلام ابن خلدون

واتفق المؤرخون على كون قريش لما انتهوا لوضع الحجر الاسود اختصموا واراد كل قوم منهم ان يمتاز على البقية بمفخرة وضعه في محله وتفاقم الامر بينهم حتى تواعدوا للقتال ثم تحاجزوا وتناصفوا على ان يجعلوا اول طالع يطلع من باب المسجد حكما يقضي بينهم فكان هو رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحتكموا اليه فقال : هلموا ثوبا فاوتي به فوضع الحجر فيه ثم قلل لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ليرفعوا حتى اذا رفعة الى موضعه اخذ النبي صلى الله عليه وسلم الحجر بيده

(١) المجرمة هي التي تسمى مبخرة في اصطلاح اهل تونس وتستعمل لاحراق طوايع العنبر والعود القماري ولفظ قماري نسبة لجزر القمر بالمحيط الهندي

(٢) قوله ركاما يفهم منه انهم كانوا يضعون الاكسية الجديدة فوق الاكسية القديمة خلافا لما جرى به عمل هذا الزمان من نزع ستور الكعبة القديمة في وقفة كل عام وتوزيع بعض قطع منها على وجـ الهدية ويبيع البقية لئلا تدنس البيت

(٣) اعرف مصداق قولهم شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد ناسخ

الكريمة فوضعه بالركن الذي كان فيه وبسبب هذا التدبير السديد والسياسة الرشيدة كفاهم رسول الله شر فتنه وقتال

ثم جاء الاسلام وبعث الله محمدا للخلق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فحج بالناس وطاف بالبيت العتيق بعد ان رد مفاتيح الكعبة لسدنتها من الشبية حيث دفعها لعثمان بن طلحة عند نزول الآية : « ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى اهلها » (١) والتحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الاعلى وبقيت مفاتيح الكعبة بيد سدنتها الهشييين حتى هذا الزمان يتوارثونها خلفا عن سلف وكانت العمارة السادسة للبيت الحرام عند ولاية عبد الله بن الزبير امير المكة فسير اليزيد بن معاوية عساكره بقيادة الحصين بن نمير لقتال ابن الزبير بمكة فالتجأ ابن الزبير الى المسجد الحرام فرماه الحصين بالمنجنقات فاصابت بعض مقذوفاتها الكعبة المشرفة فهدمتها واحرقت كسوتها مع بعض اخشابها ثم هلك اليزيد فرأى عبد الله بن الزبير تجديد عمارة الكعبة على قواعد ابراهيم يعني بضم حجر اسماعيل لبناء البيت كما كان في زمن ابراهيم مستندا في ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم لعائشة : لولا ان قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ولجعلت له باين شرقا وغربا . قال ولي الدين بن خلدون : فكشف ابن الزبير عن اساس ابراهيم عليه السلام وجمع الوجوه والا كابر حتى عاينوه ثم سال عن مقطع الحجارة الاول فجمع منها ما احتاج اليه ثم شرع في البناء على اساس ابراهيم - اي بادخال حجر اسماعيل في البيت - ورفع جدران الكعبة سبعا وعشرين ذراعا وجعل لها باين لاصقين بالارض كما ورد في الصحيح وفرشها وازرها بالرخام وصاغ لها المفاتيح وصفائح الابواب من الذهب ثم طيها بالمسك والعنبر داخلا وخارجا وكساها بالدباج وكان انتهاء هذه العمارة في رجب سنة ٦٤ للهجرة . فلما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان سير الحجاج بن يوسف الثقفي لقتال ابن الزبير امير مكة فحاصره بها ورماه بالمنجنق الى ان استشهد رضي الله عنه في سنة ٧٣ ودخل الحجاج مكة فولاه عليها عبد الملك وامره ان يعيد بناء الكعبة كما بنتها قريش - اي كما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم - فهدم الحجاج ما اضاف ابن الزبير من حجر اسماعيل للكعبة وقدره ستة اذرع وشير وسد بابها الغربي ورفع الباب الشرقي يصعد اليه بدرج - كما في هذا الزمان - ولم يغير من باقيها شيئا ثم كبس ارضها بالحجارة التي فصلت عنها اهـ .

(١) لما دفع رسول الله مفاتيح الكعبة لعثمان بن طلحة قال له : خذها خالدة تالدة لا ينزعها منكم الا ظالم . يا عثمان ان الله أستمأنكم على بيته فكلوا مما يصل اليكم من هذا البيت بالمعروف اهـ . قال الشيخ محمد قويسم : علم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس تهادي بني شبية لذلك قال لهم كلوا وعلى قياسه الفتوحات لصاحب الزاوية فانه يأكل منها اذا كان بالمعروف اهـ . من سمط اللال المنجلة : هذا قياس مع عدم وجود العلة في الفرع فهو قياس مع وجد الفارق كالفرق بين المسجد والزاوية .

فهذه العمارة السابعة لم تتناول البيت الحرام كله بل جداره الشمالي الواقع بحجر اسماعيل وبه قبرة وقبر امه هاجر على اشهر الاقوال - وقد اختلف المسلمون من بعد : افتركون الكعبة كما بناها الحجاج ام يعيدونها الى بناء ابن الزبير استنادا الى حديث عائشة ام المؤمنين حتى اذا تولى الخلافة هارون الرشيد سال مالكا في هدم الكعبة وردّها الى قواعد ابراهيم فقال مالك : يا امير المؤمنين لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك لا يشاء احد ان يهدمها الا هدمها فتركها الرشيد كما هي عليه وبقيت هكذا محاطة بالاجلال والتعظيم من عامة المسلمين الى ان ابتلى الله الحرم الامين بعادية ابي طاهر القرمطي في وقفة عام ٣١٧ حيث اقتلع بضلاله وطغيانه الحجر الاسود من موقعه واخذة عنده طمعا في تحويل وجهه الناس عن الكعبة الى بلدة الذي سماه دار البحر . وعمل سيفه في رقاب الحجاج الى ان هلك نحو ثلاثين الفا من الطائفين والعاكفين والركع السجود . ثم اعيد الحجر لمكانه بعد عشرين سنة ولكنه كان مهشما بسبب ما ناله من ضرب الدبوس حين القع فمتنوة بسيور من الفضة ما زالت محدقة به لهذا اليوم واتفق في سنة ٤١٤ لرجل زنديق ان تقدم يوم النقيير الاول نحو الحجر الاسود كانه يريد تقيله فلما بلغه ضربه بدبوس ضربا عنيفا وقال الى متي يعبد هذا الحجر الاسود فهجم عليه العامة وقتلوه جزاء وفاقا - ودام البيت الحرام بعد هذه الحادثة على حالة كماله واستقامته شؤنه واحواله لا يزيد المسلمون على ان يشدوا من بنائه غير ما يعتريه الوهن كما وقع في المائة السابعة ثم في زمن السلطان سليمان خان الاول حيث جدد سقف البيت لتداعيه بفتوى من شيخ الاسلام ابي السعود في سنة ٩٥٩ ثم اعيد تجديد بعضه مرة اخرى في سنة ١٠٢١ على عهد السلطان احمد خان الاول ولما كانت سنة ١٠٤٠ هطل بمكة مطر عظيم دام يومين كاملين ودخل السيل للكعبة فوهن بناؤها الذي انقضت عليه نحو العشرة قرون وسقط بعض جدرانها هنالك انزعج الناس وزلزلوا زلزالا شديدا وتشاوروا في امر الكعبة وما يصنعون بها وانعقد الاجماع على المبادرة بعمارتها وترامى بنا الكعبة وما اصابها الى وافاق الاسلام فشدوا اليها الرحال وكان في مقدمة الساعين لعمارتها الامير محمد باشا الالباني والي مصر فاوفد اليها المهندسين والمعلمين وباشر الجميع تجديد عمارتها على الوجه الاتم الاشمل فكانت هذه العمارة هي الثامنة والاخيرة وما حدث بعدها كان من قبيل الاصلاح المجرد كالذي اجرته والدّة السلطان مصطفى خان الثاني سنة ١١٠٩ كما يستفاد ذلك من عبارة ايات منقوشة على باب التوبة بالحرم الامين وهذا اخر اصلاح حفظ ذكره التاريخ

ومن توابع البيت الحرام ميزاب الرحمة وهو من عمل الحجاج جعله من نحاس فعوضه السلطان سليمان خان بأخر من الفضة الموشاة بالمينا الزرقاء تتخللها نقوش ذهبية وفي سنة ١٢٧٣ ارسل السلطان عبد المجيد خان لكعبة المشرفة ميزابا من الذهب وهو الموجود بها الآن واخذ الميزاب القديم لحفظه بدار الآثار المباركة بالاستانة

بقي علي الامام بحديث كسوة الكعبة فقد اثبت التاريخ انها كانت مكسوة قبل الاسلام وقد تقدمت الاشارة لذلك فيما اسلفنا كما ثبت في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم كساها الثياب اليمانية وبه اقتدى الخلفاء الراشدون فكسوها بالقباطي وعلى قياسهم جرى عمل بني امية حتى اذا عالت الخلافة لعبد الله المأمون كساها الديباج الاحمر يوم التروية والقباطي يوم هلال رجب والديباج الايض في السابع والعشرين من رمضان والمأمون هو الذي جعل كسوها فرضا كل عام اللهم اجزل ثوابه . ولما كان زمن الناصر العباسي كساها السواد من الحرير وظلت كذلك الى هذا اليوم بيد ان الملك الصالح اسماعيل بن الناصر محمد بن قلاوون وقف على كسوة الكعبة ثلاث قري بالقلبوية من اعمال مصر وهذه الاوقاف عززها السلطان سليمان خان بعثها في مديرية الشرقية بمصر ولا تزال هذه الكسوة المباركة تصنع في مصر حتى اليوم وترسل الى مكة المشرفة في المحمل المعروف ولم تتخلف هذه العادة المحمودة الا بضعة سنين في الازمنة القربية لدواعي استثنائية اثارها خلاف سياسي بين حكومتي مصر والحجاز وبفضل الله وبركة نبيه المختار وحرمة البيت الحرام حصل التفاهم والتقارب بين الجانبين بعد ذلك فعادت المياه لمجاريها في سنة ١٣٥٥ ولقد نشرت الجرائد في السنة بعدها صورة ميزانية الحكومة المصرية فاذا بها مبلغ ست الاف جنيه مصرية لصنع كسوة الكعبة المشرفة وهذا المبلغ يتجاوز المليون ونصف مليون بحساب عملة الفرنك التونسي . والكسوة المتحدث عنها عبارة عن ثمانية استار سود من نسيج الابريسم المختلط بالحرير موشاة بكلمة التوحيد مع حزام موشى بالذهب يجعلونه فوقها محيطا بالبيت وستار خاص بباب الكعبة واه اخر خاص بمقام ابراهيم ومن دخله كان امانا ونختم هذه النبذة التاريخية بكلمة عبد المطلب : ان للبيت ربا يحميه .

محمد بن الحوجة.

التاريخ المدرسي

اتصلنا من الاممي النقيب الشيخ محمد الصادق عمار المحرز على شهادة الاهلية بجامع الزيتونة بكتابه (التاريخ المدرسي) الذي الفه لتلامذة المدارس فالفيناه جزءا قد اشتمل على تاريخ صدر الاسلام افتتحه بمقدمات تضمنت الكلام على خلاصة من تاريخ العرب القديم . وسلك فيه طريقة حسنة في تلخيص الحوادث مع التعميمات المفيدة للتلامذة وخلاصات حسنة الجمع . وقد حلاه بامثلة متعددة تعين على الضبط . بأسلوب سهل التناول يستفيد منه المطالع ايما فائدة مع الاختصار المحمود ونحن نشني على همة مؤلفه الذي علمنا منه الطموح للمعالي ونعلم انه سيلاتي تالفه هذا كل تشجيع وتقدير

تهلل بالبشرى حين هلاله

من نظم الشاعر الكبير شيخ
الادباء الشيخ العربي الكبادي

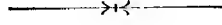
هو العام لاحت للعيون بشائره	وطابت مجانيه وقاحت أزاهره
تهلل بالبشرى حين هلاله	فما أحد الا تملاه ناظره
أتى وغواني الانس حول ركابه	فيا حبذا أسماؤه وتماضره
يقول لسان الحال منه لحائف	تقلص ظل كنت قبل تحاذره
ولست كعام قد مضى في سبيله	وبانت لاهل الخافقين مناكه
ولكنني وافيتكم أحمل الهنا	وعيشا سعيدا يشكر الله شاكه
وأمننا على الارواح من كل حادث	به الطرف رعبا تستهل محاجره
بفضل تدابير الذين عليهم	لقد عقدت من ذا الزمان خناصره
فقد أبعدوا ما افزع الناس نزله	برأي حفيف يقر الشر باقره
فنب يا أخا الادراك للانس وامتدح	مليكا تجلت في الزمان مفاخره
علا قدره فوق النجوم شهامة	وقد أدهشت لب اللبيب مئاثره
فلا شر إلا وهو طاويه رأفة	ولا خير إلا وهو للناس ناشره
وكم من بيوت للصلاة تشيدت	بتشييده والدين أثلج خاطره
وكل كسير قد أهبط جناحه	فإحسانه عند الشدائد جابره
يرى واجب الاملاك أن يحرسوا الحمى	لذلك يقضي ليله وهو ساهره
يدبر أمر الملك حتى إذا بدا	له صالح يرضاه قام يبادره
مخافة فوت او لتعجيل نعمة	ترقبها ذو حاجة لا تفادره
فيا من به تاهت أريكة تونس	وقد بادرتها بالجميل بوادره
أعدت بأعوام حكمت بحكمة	إلى أهل هذا القطر ما الصدق ذا كره
فمرت كأيام ولم يشعروا بها	كطيف خيال مر بالطرف عابره
وإن زمانا أنت بحر سماحه	موارده محودة ومصادره

القت هذه القصيدة الغراء على مسامع الحضرة العلية دام عزها وعلاها في موكب راس العام
الهجري المنعقد بقصر حمام الانف العامر يوم الثلاثاء غرة المحرم سنة ١٣٥٨ جعله الله عام يمن واسعاد
على المجالس على العرش الحسيني الرفيع العماد . وعلى كافة المسلمين

فعشرة أعوام لتسويجك انقضت
 لذا طلب الاقوام أضعاف ضعفها
 تسابق أهل الشعر للمدح والدعا
 وقديمموا المدياع كي يبلغ الصدى
 ولست أبالي أن أقول بأنهم
 بأنك ملك آمر في ديارهم
 فأنت الذي صورت للناس صورة
 وأنت الذي أحييت للقطر مجده
 تجلت به تلك الشمائل فبانجلت
 ومن عدلكم بين الرعية في القضا
 فزارته من كل الطوائف زمرة
 ليقتبسوا من نوره الساطع الضيا
 فمن شكروا كان الثناء جزاءهم
 ففي الغرب قوم يلهجون بذكره
 وما ذاك إلا من سماح مملك
 فلا قول إلا ما به فاه ناطقا
 أأحمد هذا العام وإفأك مقبلا
 فقد نلت ما لا يدرك العقل كنهه
 ولو كانت الاشجار أقلام كاتب
 وما أنبت هذي البسيطة كلها
 وحاول إحصاء الذي قد وهبته
 تجاوزت قدر المدح فخرا وسؤدا
 رزقنا بفضل الحب فيكم سعادة
 أقر لكم بالفضل كل موفق
 فدمتم لعرش الملك بدرا بأفقه
 وبينيك عام سوف تطويه سالما
 إلى غاية الازمان في حلة العلا
 فقد أخبر الاسعاد عنه بأنه

بها وصلت من كل مجد أواصرة
 إلى ملك جلت وطابت سرائره
 وما قصرت في ذا السيل شواعره
 إلى كل صقع يطلب الخبر ساهره
 يودون من قلب لكم سار سائره
 تقودهم نحو الهدى وتتاصرة
 من المجد أحيت له هو باصره
 فلم يبق في الاقطار قطر يفاحره
 فضائله الغرا وراقت مناظره
 بواطنه طابت وطابت ظواهره
 ومن زين بالعرفان يكشر زائره
 معارف جاءت للزمان تسيره
 ومن كفروا فالفضل ينميه كافره
 وفي الشرق بالاعظام قد طار طائره
 تعالت معاليه وطابت عناصره
 ولا شعر إلا ما به فاه شاعره
 تنزف لكم بالطيبات بشائره
 وسيقت لكم من كل خير نوادره
 وكانت بحار الارض طرا محابره
 مهارقه مصفوفة ودفاتره
 من الله اعيالا من الفضل باهره
 ولو أنه عذب المقال وزاخره
 فكيف بمن تختاره وتعاشره
 وأكبركم من باهر المجد كابره
 ومن رame بالكيده جدك قاهره
 ومستقبلا من مثله ما يؤازره
 تصاحبكم من كل لطف عشائره
 أوائله محمودة وأواخره

المدينة دار الهجرة



المدينة المنورة إحدى ولايات الحجاز من العصر القديم وعاصمة المملكة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعصر أبي بكر وعمر وأول خلافة علي رضي الله عنهم وهي في شمالي مكة تبعد عنها بنحو ٥٠٠ ميلا

ولها أسماء متعددة بلغت حد الكثرة أوصلها بعضهم إلى نيف وتسعين اسما أشهرها قبل الهجرة يشرب كما حكاه القراءان عنهم في آية ! وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا وأشهرها بعد الهجرة الشريفة - المدينة، وبذلك جاء في قوله تعالى : يقولون لنن رجعا إلى المدينة ليخرجن الاعز منها الأذل

وقال الامام النووي لا يعرف في البلاد أكثر اسما منها ومن مكة، عمرها العرب من العهد القديم وربما لا نكون مصيبين إذا حاولنا ان نثبت تاريخ عمارتها بالضبط، وغاية ما يمكن البحث فيه هو معرفة القبائل التي أقامت فيها وتداولت عليها في مختلف العصور القديمة والحوادث التي حدثت فيها ومنه يمكن لنا ان ندرك على ضوء تلك الحوادث بعض الشيء عن تاريخها

يذكر النسابون من العرب أن نسب العرب عموما ينتهي إلى سام وهو أحد أولاد نوح عليه السلام الذين نجوا معه من الطوفان، ومنه انحدروا إلى أحيال وطبقات، ومن الجيل الأول بعد الطوفان عاد وثمود وطسم وجديث، وهذا الجيل انطمست آثاره وعميت أخباره إلا النزر القليل الذي لا تمكن به للوصول إلى حقيقة تاريخية صحيحة عن حياة تلك الشعوب البائدة سوى ما قصه علينا القراءان من أمرها مما قصده القراءان من القصص مما دلنا على أنهم قد كانت لهم حضارة ومدنية فعمروا المدن وسكنوا القصور واسسوا المصانع، وعاشوا عيشة الترف مما أشار إليه القراءان في آية إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وآية : أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبارين ونحو ذلك من الآيات،

وأما ما يذكره أصحاب التواريخ فلبحث فيه مجال وهو مع ذلك محاط بالغموض والاضطراب ولنا الآن في مقام تقديمه وتمحيص الصحيح منه،

وأما الجيل الثاني فيشمل من أتى بعدهم معن قرب من نسبهم كحمير وكهلان وأشعر وعمرو وعاملة وجرهم والعمالة

ومن هذا الجبل تنفتح لنا صحيفة من تاريخ العرب القدماء وان كانت لا تشفي غليلا لكنها تمكننا من الوصول الى بعض حقائق فيما نروم الوصول اليه من تاريخ المدينة
فالمؤرخون كادوا يتفقون على أن جرهم والعمالة من السلالات العربية كانت منازلهم بأرض الحجاز. (١) واتصلت جرهم بأمة إسماعيل عليه السلام وأقامت حولها منازلها لما تفجرت زمزم ثم استحکم الاتصال بعد المصاهرة وتزوج إسماعيل امرأة من جرهم (٢) ثم بالتالي بناء إبراهيم الكعبة وأذانه في الناس بالحج إليها. فأصبح الحرم وجواره منازل إسماعيل وأصهار إسماعيل وكانوا يقيمون بأعلى مكة. وقد جاورهم العمالة من بعد وأقاموا منازلهم بأسفلها. وكانت ولاية مكة بيد جرهم لمصاهرتهم وقرابتهم من مؤسس الحرم

وقد حدثت بين جرهم والعمالة حوادث وحروب انتهت بانجلاء العمالة وخروجهم من الحرم فذهب قوم نحو أرض الشام ومنها الى مصر. ونزل قوم بمكان مدينة يشرب فاقاموا هنالك منازلهم. وقد ذكر ابن خلدون وغيره ان مؤسس المدينة. (يشرب بن مهائل) من العمالة ثم غزا هم بنوا اسرائيل وانتزعوا ما كان تحت يد العمالة من البلاد كيشرب وخيبر واحتللت انسابهم ببقايا العماليق ومن يومئذ دخلت اليهودية الحجاز ومن أعقابهم بنو النضير وبنو قينقاع
وقد زاحمهم في أرض يشرب قوم من الازد القحطانيين نزحوا من أرض اليمن مع من خرج منها ومنهم تفرعت قبيلتا الاوس والخزرج فهما من أصل قحطاني يعني، ولم يتجاسروا في أول امرهم على الإقامة داخل المدينة. ولما اشتد ساعدتهم وطاب لهم المقام أنقوا حياة المزارع كما سئموا من طغيان السكان الاصليين عليهم فحدثت بينهم حروب كانت بينهم سجالا واضطروهم لان يفسحوا لهم المجال ليسكنوا معهم كما اضطرو اليهود العماليق من قبل ان ينزلوا في ديارهم. والملك دائما لذي الشوكة منهما حتى سادت الاوس والخزرج عليهم.

وهذا البرواية التي جمعناها تشير الى ان تأسيس المدينة كان من الجبل الثاني من العماليق على الخصوص. وهنالك رواية تشير الى أن العماليق حافظوا على اتصالهم بالجبل الاول وأن شاعرهم يتغنى بمجد يشرب وأنها من أقدم بلاد العرب عمارة بل هم نزلوا بها قبل تاريخ عاد وتبع. وينقل الروايات عنه قوله

فلو نطقت يوما قباء لحبرت باننا نزلنا قبل عاد وتبع

وأطأ منا عالية مشمخرة تلوح فتتعي من يعادي ويمنع

والذي نستخلصه بعد أن أهل المدينة عند الهجرة لم يكونوا من ولد إسماعيل وانما هم يرجعون

(١) وقد قطن العمالة أولا بتهامة ثم تفرقوا ونزل حي منهم بأرض الحجاز
(٢) يذكر غير واحد من المؤرخين أن إسماعيل تزوج من دغلة بنت مضاض سيد جرهم

الى أصلين أحدهما عربي قح من أصل قحطاني وهم الاوس والخزرج (١) كانوا في جاهلية وكان نزوحهم من اليمن والاصل الآخر اختلطت فيه الانساب من العرب والاسرائيليين فتولد عنه فرع عربي يدين باليهودية، ثم يبقى لنا التحير بعد ذلك من جراء اختلاف الروايات المتقدمة فلو صحت رواية البينين تكون المدينة قد خطت قبل مكة، فهي صريحة بان عمارتها كانت قبل نزول عاد (٢) واما الرواية الاولى فانها تقول ان العمالة (٣) عمروا يشرب بعد اجلائهم من أرض مكة التي كانوا يقيمون بها، ومن هنا جاء التعارض وتعسر التوفيق.

يبقى النظر في تاريخ نزوح الاوس والخزرج اليها ذكر ابن هشام في السيرة أن عمرو بن عامر جد الاوس والخزرج - خرج من اليمن قبل سيل العرم، فيحدث عن أبي زيد الانصاري أن عمرا رأى جرذا يحفر في سد مأرب، فأدرك أنه لا بقاء للسد فتشاهم شرا واعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه ان يقوم اليه ابنه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به أبوه فقال عمرو : لا أقيم ببلد لطم وحبى فيه أصغر ولدي، وعرض أمواله - أي للبيع - فقال أشراف من اشراف اليمن اغتتموا غصبة عمرو فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده، الى ان قال ابن هشام في روايته ونزلت الاوس والخزرج يشرب

ثم أرسل الله تعالى على السد سيل فهدمه فيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم : لقد كان لكم في سبا في مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم - والعرم السد وواحدته عرمة - وانشدوا لاعشى ميمون من قصيدة قال فيها :

وفي ذلك للمؤتسي أسوة ومأرب غفى عليها العرم
رخام بنته لهم حمير إذا جاء موارده لم يرم
فأروى الزروع وأعناها على سعة مأوهم اذ قسم
فصاروا أيادي ما يقدر من منه على شرب طفل فطم

فهذه القصة تفيدنا أن أصل الاوس والخزرج نزحوا من اليمن قبل سيل العرم غير أنها لا تثبت لنا انهم نزلوا يشرب قبل سيل العرم لان عمرا وبنيه قصدوا بلد (عك) ونزلوا بها وجرت

(١) قبيلتان سميتا باسمي جديهما الاوس والخزرج ابني حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ابن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن عبد الله بن الازد بن القوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبأ، اه من المعارف لابن قتيبة، واهما قبيلة (٢) وهم من الحيل الاول (٣) وهم من الحيل الثاني

حروب ثم ارتحلوا عنها ونزلوا بالمدينة. ومنها جاء الغموض في تاريخ نزول الاوس والخزرج المدينة ايضا.

هذا وأن الاوس والخزرج لما استقر بأيديهم أمر المدينة وما حولها دخل بينهم التنافس وحدثت بينهم حروب اشهرها حرب بغاث التي دامت ردحاً من الزمن زادت في تشتت كلمتهم الى أن ظهر رسول الله بمكة ودعى للاسلام نفراً منهم وفدوا للحج سنة ثلاث قبل الهجرة وتمت بيعة العقبة الاولى ووعدوه خيراً قائلين لعل الله يجمع بك كلمتهم وقد تم ذلك وعقبها الثانية في السنة التي تليها والثالثة قبل الهجرة بشهر وبضعة ايام وهي البيعة الكبرى التي عقبها الاذن للرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة فهاجر اليها باليمن والبركة

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض المدينة واستقبله أهلها عرج بهم الى قباء ونزل في بني عمرو بن عوف وأسس مسجد قباء وصلى فيه الجمعة. وقد اختلفت آراء العلماء في مشروعية الجمعة أكانت قبل الهجرة أم بعدها واستدل من يقول بالثاني بأنه لم ينقل أن النبي صلاها في مكة ولا ان المهاجرين من أصحابه الى الحبشة صلوا هناك مع توفر الدواعي على النقل وقد نقلوا لنا صلاته بقباء واستدل من يقول بالاول ان آيتها مكية. ومسجد قباء هو أول مسجد أسسه الرسول صلى الله عليه وسلم وليس هو أول مسجد أسس في الاسلام على الاطلاق بل سبقه المسجد الذي أقامه ابو بكر في فناء داره لما منعه قريش من الجهر بصلاته في الكعبة ودخل في حوار ابن الدغنة

ثم بعث صلى الله عليه وسلم الى أخواله من بني النجار فحضرُوا عنده بقباء واعلمهم بدخوله الى المدينة وسار على ناقته وأبو بكر ردفه وبنو النجار حوله متقلدين سيوفهم يترنمون بالابناشيد حتى دخل المدينة فلقية أهلها بكل فرح وإبتهاج وكلما مر على حي من أحياء المدينة عرض عليه أهل الحي أن ينزل عندهم ويلحون في الطلب ويمسكون زمام الناقة فيخاطبهم صلى الله عليه وسلم في رفق (دعواها فانها مأذونة) حتى بلغ الى حي بني النجار فبركت في مربد (١) تمر تجاة دار أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه فقال رسول الله (هذا ان شاء الله المنزل. اللهم انزلنا منزلاً مباركاً وانت خير المنزلين) ودخل دار أبي أيوب وطاب له المقام. وتجلت مظاهر رأفته صلى الله عليه وسلم بالمؤمنين حين عرض عليه أبو أيوب أن يصعد الطاق العلوي ويتخذ منزلاً له فاعتذر بحصول المشقة على إتيان المسلمين الذين يهدون لزيارته. وذلك مصداق قوله تعالى : بالمؤمنين رؤوف رحيم.

ثم سأل صلى الله عليه وسلم عن مبرك الناقة ولمن هو فأعلموه انه لسهل وسهل اليتيمين من ذوي قرابته فارسل في طلبهما وساومهما فيه فقال الغلامان بل نهبه لك يا رسول الله فأصر صلى الله عليه وسلم على رأيه الاول حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير. كما جاء في بعض الروايات. ثم أعلم صني الله عليه وسلم أصحابه بعزمه على بناء المسجد النبوي

المسجد النبوي

أسرع المهاجرون والانصار لنداء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا وينقلون الحجارة واللبن وساهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في نقل الحجارة واللبن معهم . وذلك شانه صلى الله عليه وسلم يتقدمهم في كل أمر فيه إقامة صرح الاسلام

وأقاموا أساسه من الحجارة وبنوا جدرانه باللبن وجعلت عمدة من جذوع النخل وسقفه من الجريد واتخذوا له ثلاثة أبواب ورحبة فسيحة ولم يتخذ له محراب وانما جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلته اولا الى بيت المقدس وصلى الى هذه القبلة سبعة عشر شهرا . ثم تحول مستقبلا المسجد الحرام لما نزل عليه قوله تعالى : قد نرى قلبك وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام . وكان مفتوح أحد أبوابه الى الجهة الجنوبية . وقد سدد بعد تحويل القبلة وفتح بدله باب يقابله في الجهة الشمالية وبقي حائط القبلة الاولى مكانا لاهل الصفة .

مساحة الحرم في عهد النبي

يروى لنا ابن فضل الله العمري في مسالك الابصار عن خارجة بن زياد احد فقهاء المدينة السبعة انه قال . بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده سبعين ذراعا في ستين ذراعا او ازيد . فلما كان عثمان زاد فيه . جعل طوله مائة وستين ذراعا وعرضه مائة وخمسين . وجعل ابوابه ستة كما كانت في زمن عمر . وامتدت الزيادة الى ان دخلت بيوت امهات المؤمنين فيه . ومنها حجرة عائشة وهي التي دفن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبا رضي الله عنهما فبنوا على القبر حيطانا مرتفعة مستديرة حوله لكلا يظهر في المسجد فيصلي اليه العوام . ويؤدي الى المحذور الذي نهى عنه الرسول صلى الله عليه وسلم من اتخاذ المساجد على القبور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين . حروفهما حتى التقيا . كل ذلك حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر الشريف . ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها « ولولا ذلك أبرز قبره غير أنه خشي ان يتخذ مسجدا » . اهـ

ولم تكن بالمسجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم مثذنة ولا في عهد الخلفاء بعده وانما كان يؤذن على اسطوانة بدار عبد الله بن عمر . وكان بلال رضي الله عنه يرتقي اليها على سبعة أقتاب (١)

تجديد عمارة المسجد وما دخله من الزيادات

أول ما احدث في المسجد الزيادة التي زادها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد رجوعه من فتح خيبر وذلك في مفتتح سنة سبع من الهجرة وكانت الزيادة من الجهات الثلاث الشرق والغرب والشمال فاصبح مربعا طول ضلعه مائة ذراع بعد ان كان مستطيلا طوله سبعون ذراعا وعرضه ستون

(١) القتب الاكف على قدر سنام بعير

وثاني عمارة حدثت في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فزاد فيه من الجهة الجنوبية نحو عشرة أذرع ومن الجهة الغربية عشرين ذراعا ومن الشمالية عشرة أذرع . ودخلت في هذه الزيادة دار العباس بن عبد المطلب عم الرسول صلى الله عليه وسلم

وزاد في ابوابه فصارت ستة بعد أن كانت ثلاثة باين في الجهة الشرقية ومثلها في الجهة الغربية ومثل ذلك من الجهة الشمالية . وكانت هذه العمارة من نحو سابقتها في البناء والسقوف والعمد وثالث عمارة كانت في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه فزاد فيه من الجهات الأربع فشمكت هذه الزيادة الجهة القبليّة وتغير بذلك جدار القبلة

واستقر الامر على هذه الزيادة التي من جهة القبلة فلم يطرأ عليها تغيير بعد ذلك وجعل عمده من الحجارة التي ادخل فيها عمدا من الحديد المسلح بالرصاص وجعل سقفه من ساج . وجعل ابوابه ستة كما هي بعد عمارة عمر .

واتخذ عثمان مقصورة صغيرة على مصلاة في المسجد من لبن وفي حائطها كوة ينظر الناس منها الى الامام وجعل ارضها مرتفعة عن سطح المسجد نحو ذراعين

روي البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال ان المسجد كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم مبنيا باللبن ، وسقفه الجريد ، وعمده خشب النخل فلم يزد فيه ابوبكر شيئا . وزاد فيه عمر وبناء على بنيانه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم باللبن والجريد . واعاد عمده خشبا . ثم غيره عثمان . فزاد فيه زيادة كبيرة وبني جداره بالحجارة المقوشة والقصة وجعل عمده من حجارة متقوشة وسقفه بالساج .

ورابع عمارة كانت في عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الرابع الاموي أشرف عليها عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز ودامت عمارة المسجد من سنة ٨٨ هـ الى سنة ٩١ هـ فزاد من جهاته الثلاث الشمالية والشرقية والغربية وأدخل في المسجد حجر أمهات المؤمنين التي كانت في جنوبي المسجد وشماله واقتطع جزءا من حجرة عائشة رضي الله عنها أدخل في المسجد ايضا من جهة الروضة الشريفة وأقام بناء على الحجرة الشريفة وجعل بناء خميسا ليغير شكل الكعبة الشريفة .

وأقام جدرانها بالحجارة واتخذ له أعمدة من الحجارة المسلحة بالحديد والرصاص . وزخرف حيطانه بالفسيفساء والمرمر واتخذ سقفه من لوح الساج وحلاه بالذهب الوهاج كما نقشت اطراف أساطينه المشدود عليها السقف بالذهب أيضا . وأحدث له أربعة مآذن في زوايا الاربعة ثم هدمت احداها وبقي ثلاثة فجاءت هذه العمارة آية في الفن المعماري . بيد أنها أخرجت المسجد عن بساطته التي كان عليها من عهد تاسيسه . وذلك تابع للعصر الذي عليه الناس في حياتهم فتلك مظاهرهم التي ما كانوا يعنون بها مثل عنايتهم باقامة هيكل الاسلام وهذه مظاهر تمت بعد أن تفتحت أمام المسلمين زخارف

الحياة الدنيا. وإذا كان المرء يرى في حياته الخاصة ومنزله وسائر عمارات بلده أنها بلغت شأوا عظيما في الزخرف والتنميق يعيب على نفسه إذا كان معبده الذي هو أعز شيء عنده لم تشمله يد العناية وهذه قضية عامة في سائر العصور وعلى اختلاف الامم وسنة متبعة لا يأتيها التبديل ما دام الانسان انسانا وقد أصبح أهل الآثار يستدلون على حضارة الامة برسوم عماراتها فنظر الناس الى الحياة يختلف وبحسب هذا الاختلاف في الانظار يأتي الاختلاف في النظريات. ومن هنا نعلم كيف سكت عمر بعد أن أنكر على معاوية ما ألفاه عليه من العظمة الملكية لما أجابه معاوية بذلك الجواب الذي لا يصدر الا من مثل معاوية القائد العظيم والسياسي المحنك : إننا في أرض عهد فيها الناس مثل هذه الحياة . ولا تستقيم دولة اذا لم تكن لها مثل هذه المظاهر . فأدرك الخليفة ما يشير اليه معاوية . وتحرى رضي الله عنه كعادته في جوابه قائلا : لا أمرك ولا أناك. ومن هنا نعلم كيف فهم الخليفة وعامله الاسلام . وبعد انظارهم في الحياة العامة والى أي مدى يلزم أن يرمي المسلمون في تكوين حياتهم الخاصة والعامة أما من لا يمعن النظر فيذكر قصة إبان بن عثمان مع خليفة المسلمين الوليد الاموي . لما حضر الى المدينة عام تمام عمارة المسجد فدخل المسجد وأعجب به وأخذ ينظر الى جدرانه وسقفه ونقوشه وجمل شكله حتى اذا ما أتم النظر التفت الى إبان بن عثمان وقال : أين بناؤنا من بنائكم ؟

فقال إبان : بنيناه بناء المساجد . وبنيتموه بناء الكنائس .

فهذا الجواب نتناوله من أوجه متعددة . أولا هو جواب واعظ علم من حال مخاطبه أن نفسه ربما دخلها شيء يلزم أن تذكر حتى تتطهر منه

ثانيا أن هذا التطاول أمر لا يقره الاسلام فجاء الجواب على أبلغ اسلوب في الرد

ثالثا ان المقام المحمود الذي يغبط عليه المرء اذا كان عمله منزها من الرياء والتفاخر والا أصبح

المباح محذورا في حقه ولذا كان الجواب فيه رمز الى سوء المصير

رابعا ان إبان قايى بين النظر الذي نظره الخليفة عثمان عندما عزم على العمارة والنظر الذي

نظره هذا الخليفة . ذلك كان الباعث له على العمارة مصلحة المسلمين لما رأي ان المسجد لم يبق يسع

أهل المدينة فعمره وأدخل عليه من التحسينات ما لم يكن موجودا فيه في أيامه الاولى لكن

ذلك لم يغير من مقصده العظيم . وهذا كان الباعث له فيما ظهر لإبان هو التعميق والاتبان بشيء لم

يأت به اصحاب الرسول . فقبح إبان صنيعه وأنه لم يبلغ مدى أحدهم او نصيفه

خامسا ان إبان ربما أنكر على الوليد مبالغته في التعميق بالذهب الذي ما جعل في رأيه ليصرف

في مثل ذلك . وانه سن سنة لو اتبعت ربما تؤدي لضعف الدولة اذا لم تقدر الامور حق قدرها .

وبالفعل قد وقع ذلك وبذل الذهب الوهاج في تزويق القصور عوض اقامة الحصون

أما اتقان العمارة بالالوجه التي تبلغ اليها الامة من الحضارة فلا احسب انه مما يستحق الجدل .

وان كثر فيه النزاع . ويكفي في الحجة على صحته ما قام به الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يعأ بمن رأى خلاف رأيه بعد ما استوثق من أهل الشورى فيما أقدم عليه

زيادات العباسيين

وخامس عمارة كانت في عهد الخليفة العباسي المهدي بدأ البناء سنة ١٦١ هـ . وكان الفراغ منه سنة ١٦٥ هـ . فزاد فيه من الجهة الشمالية فقط وجدد المقصورة من ساج ونزل بارضها حتى استوت مع سطح أرض المسجد

سادس عمارة كانت بأمر الخليفة المأمون سنة ٢٠٢ هـ واتقن بناءه ونقش على رخامة جعلت على أحد جدرانها (وهذا ما أمر به عبد الله المأمون) في كلام كثير يطول بنا إثباته . وفي سنة ٢٧٦ هـ أحدث الناصر لدين الله بصحن المسجد غرفة أقام عليها قبة لتحفظ بها الذخائر والآثار التي بالمسجد وفي ليلة الجمعة أول رمضان من سنة ٦٥٤ هـ . ترك أحد السدنة مصباحا بالمسجد موقودا فسقطت منه جذوة نار التهمت ما وقعت عليه وامتدت النار الى جميع المسجد . وقد حاول أهل المدينة إطفاء الحريق فطغى عليهم . وكان ذلك في خلافة المستعصم بالله . فأمر الخليفة بترميم ما تصدع من بنيان المسجد وأرسل من بغداد العمال وهي سابع عمار وقد شارك فيها الملك المظفر صاحب اليمن

عمارات المسجد في عهد ملوك مصر

ولما صار أمر الحرمين بإشارة ملوك مصر كانت عمارة المسجد تابعة للدولة المصرية وفي سنة ٧٠٥ هـ أمر الملك الناصر بن قلاوون بتجديد سقف رحبة المسجد من الجهة الشرقية والغربية ولم يمس المسجد وأحدثت له مأذنة رابعة . وفي سنة ٧٢٩ هـ . زاد هذا الملك رواقين وضمهما للرواق القبلي مما يلي صحن المسجد . وأصلح ما لحقهما من الخلل في عهد الأشرف سنة ٨٣١ هـ وجدد في سنة ٨٥٣ هـ سقف الروضة وبعض سقف أخرى تداعت للسقوط

وهذه الإصلاحات كلها لم تحدث تغييرا في المسجد ولذا جمعناها ولم نعدنا عمارة مستقلة وثامن عمارة كانت في سنة ٨٧٩ هـ شملت قصما عظيما من جدر المسجد وعمدة وسقفه ومأذنه وذلك بإشارة ملك مصر قايتباي

وتاسع عمارة كانت سنة ٨٨٦ هـ بأمر ملك مصر الأشرف قايتباي وشمل هذا الترميم غالب المسجد وأحدث قبة على سطح الحجرة النبوية . وزاد مأذنة خامسة وجاءت عمارته في هذه المرة على ابدع صورة في الاتقان والزخرفة

عمارات المسجد في عهد السلاطين من آل عثمان

ولما آلت الخلافة الى آل عثمان شملت عناية سلاطينهم الميامين الحرمين الشريفين فكانت عاشر عمارة هي التي قام بها السلطان سليم في سنة ٩٨٠ هـ وأحدث قبة غربي المنبر النبوي .

وحادي عشر عمارة قام بها السلطان محمود في سنة ١٢٣٣ أقام فيها القبة الشريفة
وثاني عشر عمارة قام بها السلطان عبد المجيد بدئت في سنة ١٢٦٥ هـ. وانتهت في سنة ١٢٧٧ وقد
شملت غالب المسجد وأدخلوا عليه من الزخرف الشيء الكثير حتى عدت هذه العمارة افخر عمارة في
تاريخ المسجد النبوي الشريف . وكتب على جدرانه آيات من سورة الفتح واسماء الله الحسنى واسماء
النبي وابيات من قصيدة البردة كانت غاية في الفن والجمال .

وبقي المسجد على هذه العمارة الى اليوم سوى بعض اصلاحات شملت المحراب الاصلي والمحرام
الذي اقامه السلطان سليمان فرميا في عام ١٣٣٦ هـ كما رمت ارض المسجد في عهد الحكومة السعودية
القائمة الآن بشؤون الحرمين الشريفين وذلك عام ١٣٤٧ . وفي هذه السنوات الاخيرة علمنا ان
الحكومة المصرية جادة في احداث اصلاحات في هذا العهد الاخير . وقد اجملت الكلام على عمارات
المسجد النبوي لان استقصاء جميع ما حدث واستحدث فيه لا يسعه مقال

افضيلة مسجد الرسول

اخرج البخاري وغيره من اصحاب السنن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : صلاة في مسجدي
هذا افضل من الف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام قال الامام النووي وبمقتضى هذا الحديث
ينبغي للمصلي ان يعتني بالمحافظة على الصلاة فيما كان في زمانه صلى الله عليه وسلم فان الحديث انما
يتناول ما كان في زمانه . لانه هو الذي حصلت الاشارة اليه وقال الامام العيني لا شك ان جميع المسجد
الموجود الآن يسمى مسجده صلى الله عليه وسلم وقد اتفقت الاشارة على شيء واحد فلم تلغ التسمية
فتحصل المضاعفة المذكورة في الحديث فيما زيد فيه

فان ترى ان النووي عمل بالاشارة والعيني عمل بالتسمية كأن وجه ما ذكره النووي انه جعل
الاشارة لخصوص البقعة الموجودة يومئذ فلم تدخل فيها الزيادة ولا بد في دخولها من دليل . وقد يجاب
بان ذكر الاشارة ليس لتخصيص البقعة بل لدفع ان يتوهم غير المسجد المدني من بقية المساجد التي
تنسب اليه صلى الله عليه وسلم والله اعلم

المنبر النبوي

اول ما خطب صلى الله عليه وسلم في المسجد لم يستند على شيء . ثم أخذ جذعا يعتمد عليه اذا
طال به المقام . ثم أخذ له منبر من الطرفاء له درجات ثلاث فخطب عليه صلى الله عليه وسلم . وقد
جاءت الروايات في كتب الصحيح ان الجذع حن الى رسول الله لما تنحنى عنه حتى وضع صلى الله عليه
وسلم يده الشريفة فسكن وقد روي انه دفن بالمسجد بين المصلي والمنبر

وخطب على منبر الرسول أبو بكر وعمر وعثمان وكساة عثمان بالثياب ثم خطب عليه علي . وفي خلافة
معاوية زاد فيه مروان عامله على المدينة ست درجات من اسفله . وكان الخطباء يقفون على السابعة وهي

اولى درجات المنبر النبوي وجدهه المظفر ملك اليمن لما اشتعلت النار في المسجد عام ٦٥٤ . ثم غير بمنبر ارسله الظاهر بيبرس ملك مصر عام ٦٥٦ . ثم استبدل بمنبر ارسله الظاهر بن قوق سنة ٧٩٧ ثم استبدل بمنبر ارسله المؤيد عام ٨٢٠ واحترق هذا في عام ٨٨٦ فقام أهل المدينة بمنبرا مكانه من الآخر . ثم غير هذا بمنبر من الرخام بعث به قايتباي عام ٨٨٨

ولما آلت الخلافة الى آل عثمان أرسل السلطان مراد منبرا من الرخام عام ٩٩٨ وأمر بالاول فقل الى مسجد قباء . ولهذا المنبر باب واثنان عشرة درجة ثلاث منها خارج بابه وتسع داخله . وقد جاء آية في الابداع ليس له نظير حتى عد من اعاجيب الفن المعماري

المساحة التي كانت بين مصلى

الرسول والمنبر والقبر

واذا علمنا ان مسجد الرسول لم يكن فيه محراب في عهد الرسول وانما اتخذ صلى الله عليه وسلم امام الحائط الذي من جهة القبلة مصلى له يقف فيه عندما يؤم المسلمين . وكان في أول تأسيس المسجد جعل جذعا من النخل يعتلي عليه عند الخطبة . ثم اتخذ له منبر . وجعل المنبر في موضع يبعد على مصلاة باربعة عشر ذراعا وشبرا . ثم لما انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرقيق الاعلى ودفن بحجرة عائشة رضي الله عنها . صار ما بين المنبر والقبر ثلاثة وخمسين ذراعا وشبرا وهي الروضة

مساجد المدينة في صدر الاسلام

روى ابو داود والدارقطني من طريق بكير : ان مساجد المدينة تسعة سوى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم . كلهم يصلون بأذان بلال وبهذا نعلم ان مساجد المدينة تعددت من عهده صلى الله عليه وسلم . غير انهم يجتمعون في مسجد الرسول لصلاة الجمعة . ولا تقام في غيره

بيوت النبي في المدينة

قال في مسالك الابصار عن السهيلي : كانت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة تسعة بعضها من حجارة مرضومة بعضها على بعض . وبعضها من جريد مطين بالطين وسقف جميعها من الجريدها وروى الحافظ الذهبي ان اول بيت اتخذ (صلى الله عليه وسلم) في المدينة لزوجته سودة . ولما بنى بعائشة رضي الله عنها في شوال سنة اثنتين للهجرة اتخذ لها حجرة . واحسب ان بقية الحجرات بناها في اوقات مختلفة والله اعلم اهـ .

وروى ان بيتا سودة وعائشة كانتا بجانب المسجد من الجهة الشرقية . واما بيوت بقية امهات المؤمنين فانها أقيمت في جانبي المسجد مفصولة عنه بطريق

وروى البخاري في تاريخه ان باب بيته صلى الله عليه وسلم كان يقرع بالانفاير يعني انه لم يتخذ له حلق .

ولاية عهد المملكة

لما اجاب داعي ربه المنعم المبرور رفيع الشان سيدي محمود العادل باي ولي عهد المملكة التونسية قدس الله روحه اسندت ولاية العهد الجلييلة الى سمو المرفع شانه الراسخ على دعائم العز بنيانه الامير سيدي محمد الطاهر باي في موكب عظيم حضره رفقاء الشان الامراء الكرام والوزراء الفخام ورجال البلاط الملوكي حسب التقاليد الموروثة في البيت الحسيني الرفيع العماد . فتقلد الخطة الجلييلة من يد سيدنا ومولانا الامير الحليل ابقاه الله كما انعم عليه برتبة امير الامراء ووشح صدره الكريم بشريط عهد الامان والمجلة ترفع على كاهل الاحترام تانها الى سمو ولي عهد المملكة الحليل وتدعوه له بدوام العز والهناء في كنف ورعاية الحضرة العلية الشامخة دام لها العز والتأييد

ثم دخلت هذه الحجرة التي كرمها الله وشرفها برسوله ونزول الوحي في عموم المسجد في زيادة الوليد فكتب لها الفضل أولا وآخرا .

فصل المدينة

ان الله تعالى لما اذن لرسوله بالهجرة من مكة استبدله حرما آمنا مكنه فيه من ارسال نور النبوة الى العالم . وقد منح سبحانه من الفضائل والمزايا مدينة الرسول بمثل ما منح جده ابراهيم في مكة فكما جعل من عهد ابراهيم مكة حرما آمنا كذلك جعل المدينة حرما آمنا اخرج البخاري في صحيحه من طرق متعددة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : المدينة حرم من كذا الى كذا لا يقطع شجرها ولا يحدث فيها حدث . من أحدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وفي رواية ابي هريرة قال : حرم ما بين لابي المدينة على لساني

والاحاديث الدالة على فضل المدينة لا يسعنا الآن ذكرها فنقتصر على ما اوردنا . ونختتم كلمتنا بما قال القاضي عياض في مدينة الرسول : وجدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل . وتردد بها جبريل وميكائيل ، وعرجت منها الملائكة والروح ، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح ، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ، واتشتر عنها من دين الله وسنة رسوله ما اتشتر . مدارس آيات ومساجد جماعات وصلوات . ومشاعر المسلمين . ومواقف سيد المرسلين . ومتبوا خاتم النبيين ، حيث انفجر لحن النبوة . واين فاض عباها . ومواطن مهبط الرسالة . واول أرض مس جلد المصطفى تراها - ان تعظم عرصاتها ، وتنهم نقحاتها . وتقبل ربوعها وجدرانها

بجمل الشكر والثناء

الهجرة

بقلم الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة الخطيب
بجامع مصطفى حمزة بالمهدية

الحمد لله الذي اذن لرسوله بالهجرة من مكة المكرمة الى المدينة المنورة دار الامن والسلام
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له اذن بالهجرة انتصارا لدينه واحتفاظا بالحق ان يضيع بين
اعداء الدين اللثام. واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله استجاب لامر ربه فبشر وانذر وقام
بعمامته احسن قيام. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه السادة الاعلام وسلم
تسلما كثيرا. ايها الاخوان يحتفل المسلمون في هذا الشهر المبارك بالهجرة المحمدية. في جميع الاقطار
الاسلامية. فلا يكاد يظهر شهر الله المحرم حتى ترى الامة الاسلامية تحركت لاحياء ليلته بصنوف
العبادات وعمران المساجد بالاذكار والصلوات. واکرام الفقراء واغاثة المعوزين وبذل الصدقات كل
ذلك لادخال السرور على نفوس المسلمين بطلعة هذا الرسول الامين. الذي انقذ العالم من الشرك
والجور والظلم والعدوان المبين. وسلك باهله مسلك السعادة فكان النصر حليفه وحليف المؤمنين
(هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) جادلوه
بالباطل فاقتنعهم بقوة الحق. رغبوه في زينة الحياة. من ملك ومال وجمال فاعرض عن غيهم ولم يركن
الى قولهم. فلما يسوا منه عمدوا الى ابدائه ومقاطعته وقتله وكادوا يفعلون لولا ان عين الله ترمق ما
يكيدون. والله يكتب ما يبيتون. (واذ يمعركم الذين كفروا ليشتكوا او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون
ويمكر الله والله خير الماكرين) ما كان الله ليدع نبيه صلى الله عليه وسلم فريسة لمن طغى وظلم وجار
واعتدى فلوحي اليه بان يعد العدة للهجرة من مكة الى المدينة. ولا يخفاكم يا عباد الله ان هجرة النبي
صلى الله عليه وسلم وصحبه لم تكن هينة عليهم ولم ياجتئهم اليها الا المحافظة على العقيدة والدين. ولولا
ذلك ما كانوا من مكة مهاجرين. ولا عنها راحلين. ولغيرها متحولين. وهب من السهل على النفس يا
عباد الله هجرة مسقط الرأس والرحيل عن البلد الذي درج المرء فيه ايام صغره وطابت له الحياة فيه
ايام كبره الى بلد ليس له بوطن. وليس له فيه اهل ولا ختن. وهناك في طيبة غرس نور الايمان. فاتم
غرسه وتم نور الله في جميع الاكوان. وفي ليلة الهجرة نام علي في فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه ابوبكر الصديق رضي الله عنه وله من العمر ثلاث
وخسون سنة فسارا قاصدين غار ثور وهو على خمسة اميال من مكة ولكن شبان قريش كانوا في تلك
الليلة عازمين على قتل النبي صلى الله عليه وسلم حتى انهم تسلقوا الجدار ليهبطوا الى الدار ولكن منعهم
من ذلك صراخ النساء فرجعوا وتربصوا وما كان اشد دهشتهم حين رأوا علي بن ابي طالب يخرج
من البيت واذا به هو النائم فسألوه اين محمد اين محمد فاجابهم بلا ادري ! فكان الجواب كالتعاقبة
عليهم. فتباحوا ماذا يعملون وقالوا من يأت برأس محمد فله مائة من الابل. ففرق غالهم يبحثون عنه
نحو يومين. ثم رجعوا بخفي حنين. وقد ورد ان الله القدير سخر العنكبوت فكانت تسج على باب
الغار. الذي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ابوبكر الصديق ذلك ليطل المغوار. والفارس الكرار.
حتى انهم لما مروا على الغار يفتشون عنه قال بعضهم لبعض هذا الغار اقدم من ميلاد عيسى عليه السلام
وفي ذلك يقول بعض الشعراء مفضلا العنكبوت على دود الحرير

ودود القزائف نسجت حريرا ويحمل لبسه في كل شيء

فان العنكبوت اجل منها بما نسجت على غار النبيء

وبعد ثلاثة ايام خرجا من الغار ووليا وجههما نحو المدينة المنورة وبينهما هما في الطريق ظهر فارس خلفهم. ذلك الفارس هو سراقه بن مالك فخاف ابوبكر فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم بصره الى السماء يدعوه ربه ليحفظهما من الذي اتى. فساخت اقدام الفرس وكادت الارض تنبلع سراقه وفرسه فاستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم. فرحمه النبيء وهو الرؤف الرحيم، وعاهده ان يعود الى مكة ويضلل المشركين. فدعاه النبيء صلى الله عليه وسلم وبشرة بانه سيكون من المسلمين

وقد حقق الله خبر النبي صلى الله عليه وسلم فاسلم سراقه وحسن اسلامه وكان له شان يذكر في عهد عمر بن الخطاب امير المؤمنين وبعد مضي اثني عشر يوما ظهر نور المصطفى وبان وانتشر الخبر في كل مكان وقد وصلا الى المدينة المنورة بفضل الله وامينين سالمين تلحظهما العناية الالهية ويتمتعان بالكرامة الربانية فخرج الرجال والنساء والاطفال لرؤية الحبيب وللدلالة على التكريم والترحيب فعم الفرح المدينة كلها وغمرها النور وحسدها جميع البلدان لانه شرف ارضها سيدنا محمد سيد الاكوان وكان النساء يرددن النشيد الذي بلغ عنان السماء

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع
ايها المبعوث فينا جئت بالامر المطاع

واستقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار هجرته عشر سنوات كلها حافلة بجلال الاعمال مزدهرة بفعل الاصحاب الابطال ثم بعد ذلك شرع في الغزوات ولم يمض الا ثمان سنين حتى فتحت مكة وطهرت من الشرك والضلال المين وفي السنة العاشرة من الهجرة حج رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع ومعه مائة الف من اصحابه الذين ورثوا الملك من بعده بالايمان والثبات على المبدأ واليقين لا بالمسكنة والتكالب على لذات الحياة وهدم شعائر الدين (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون ان في هذا لبلاغا لقوم عابدين وما ارسلناك الا رحمة للعالمين)

عباد الله ان كنتم تريدون عزا في بلادكم وهناء في عيشكم وسعادة في حياتين فعليكم بالمحافظة على دينكم فقد تجلى لكم في هذه الخطبة ما قاساه النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه من اذى المشركين حتى اضطر ان يخرج من بلده وبلد ابائه واجداده منذ العهد القديم كل ذلك ليحافظ على دين الله القويم فنهيا لمن حفظ نفسه من الحرام ووصل رحمه وواسى الفقراء والايام واعان المتكويين واغاث الملهوفين .

فأدبنا ادم ما يجب عليك لربك واهلك وامتك تنل اجر العالمين وكن ممن يغسل ذنبه بدمعه ولا تكن من الغافلين وفكر فيما رواه البخاري ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني يا رسول الله على عمل اعمله يدينني من الجنة ويباعدني من النار فقال تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل ذا رحمك فلما ادبر الرجل قال صلى الله عليه وسلم ان تمسك بما امر به دخل الجنة .

وقفنا الله جميعا لطاعته وشملنا بلطفه وعفوه وهدانا لما فيه رشدنا وجعل هذه السنة فاتحة خير لجميع المسلمين انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير الا ان احسن ما تشنف به اذان المؤمنين كلام مولانا رب العالمين (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم) الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم (سورة التوبة)

النبوغ التونسي

اهدى الينا الحكيم العبقري السيد الصادق الملولي اطروحته التي قدمها للمجمع الطبي بباريز ونال عليها الاستحسان التام والاجازة في مباشرة هاته المهنة الشريفة وبعد الاطلاع على ترجمتها وجدنا الحكيم تناول البحث في اطروحته عن انتشار مرض الزهري بالبلاد التونسية وقد اشتملت على جزءين مهمين . اما الجزء الاول فقد تكلم فيه على هذا المرض من الوجهة الطبية فذكر تاريخ هذا المرض المخيف وكيفية انتشاره بالبلاد التونسية ثم بين طرق مقاومة هذا المرض وما اعدته الحكومة لتخفيف وطأته وحتم كلامه في هذا القسم بوجوب تكثير المستشفيات وتنظيم مصحات عديدة داخل المملكة حتى لا يفتك هذا الداء العضال بسكان المملكة . واما الجزء الثاني فتكلم فيه الحكيم على هذا المرض من الوجهة الاجتماعية مبينا ان اسباب تفشي هذا المرض الشقاء والتعاسة المخيمان على بعض الطبقات بسبب الفقر المحيط بها اذ الغالب في غذاء الفقير ولباسه ومسكنه لا تراعى فيها الوسائل الصحية وكل هذا مدعاة لانتشار هذا المرض المخيف . ثم تفشي الجهل بين غالب الطبقات الذي من نتائجه عدم معرفة اوجه التوقي من الامراض ثم ختم اطروحته بذكر الوسائل التي يجب اتخاذها لوقاية الامة التونسية من هذا الداء الفتاك فابدى نظريات قيمة وآراء صائبة مما دل على غزير علمه وكال عقله وراقي فكره وفي حياته العلية ما يجعل الآمال في نفع بلاده تعلق عليه

والحكيم الملولي من بيت مساجد عرف والده الشيخ محمد الملولي في الاوساط الزيتونية بالعفة والاخلاص للعلم كما عرف في الاوساط التجارية بمساهمته في الحركة الاقتصادية باوفر نصيف وقد نشأ الحكيم في احضان العفة والمروءة وبعد ما أتم تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه سافر للديار الفرنسية واضطر في مدارسها الثانوية حتى حصل على شهادة البكلوريا ثم انضم للكلية الطبية بباريز فدرس فن الطب بهمة لا تعرف الملل وعزم ثابت لم يعثره كلل فكان محل اعجاب اساتذته وأقرانه ثم شارك في مناظرة تخوله مباشرة المرضى بالمستشفيات وتسمى (بالاكسترن) وهي تستدعي مجهودا خاصا ومعلومات زائدة فحاز قصب السبق فيها واهلته للدخول الى غالب مستشفيات باريز فكرع من حياضها ورجع الى وطنه معلوء الوطاب بعد ما نال لقب حكيم . والمجلة تهنى الحكيم وعائلته بالمجدة بهذا النجاح الباهر وتتمنى له التوفيق والسداد في اعماله حتى يعم نفعه جميع بني وطنه فيستفيدون من مواهب هذا الحكيم النظاسي البارع كما تمنى لشبابنا التونسي المتحفز للكمال النسيج على منواله في سائر ابواب المعرفة لترفع تونس رأسها بين الامم مفخرة بابنائها التابعين ورجالها العاملين

جدول الخطأ والصواب

صواب	خطأ	بطر	صحيفة
تشتت	تشتت	١٣	٨٨
فصدع	فصدع	١٦	٨٨
ظاهراً	ظاهراً	٢٤	٨٩
وفي ذلك اشارة	وفي ذلك من الاشادة	٢٣	٩١
ججيم	ججيم	٧	٩٢
بما	بما	١٨	٩٣
حتى اذا بلغ	حتى بلغ	٣	٩٦
فخرج	أخرج	٦	٩٦
الهجرة	الهيرة		٩٧
اسلام	سلام	٣	٩٧
الجمعة	الجمعه	١٧	٩٧
الزواج	الزواج	٢٠	٩٧
النيفر	النيفر	١٤	١٠٤
بعد	بمد	٢٧	١٠٥
لبنى	أمة لبني	٢١	١٠٥
بأحد	ببدر	٢٤	١٠٥
يعني	يعني	٢٧	١٠٦
تقصية	تقصية	١٦	١٠٧
دبروه	دبره	٤	١٠٨
جانب	جالب	٩	١١٦
دنا	دنى	٣	١٢٣
إذ	إذا	٧	١١٨
به	له	١٢	١١٨
غيا	عيا	٢٤	١٣٠
وآذوا	وآذوا	٢٠	١٣٠
مدحا	مدح	٢٥	١٣٠
التعويل	التعديل	٢٤	١٣٦
ألقيت	القت	٢٥	١٤٣
من	ان	٢٧	١٤٧
ذاك	ذلك	١٨	١٤٣
استقر	ستقر	٣	١٤٨
النبوة	النبوة	١٢	١٥٥
	لح	٢٣	١٥٥
فضل	فصل	١١	١٥٥

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصداقها ما لم يكن من هذا الذي يسمى بـ «الزيتون» في الزيتون
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الرابع	تونس - في صفر الخير ١٣٥٨ - افريل ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	---------------------------------------	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاهضي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن ميمون

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

المقال	الصحيفة	صاحبه
١٦٠ تفسير آي من سورة البقرة		بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
١٦٤ باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر		« المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي
١٧٣ الوقف في الاسلام		« صاحب الفضيلة شيخ الاسلام الحنفي الشيخ محمد بن يوسف
١٧٧ التعاضد المتين		« العلامة الشيخ محمد الحجوي
١٨٠ تاريخ القضاء الشرعي		« العلامة المؤرخ امير الامراء السيد محمد ابن الخوجة
١٨٤ بعثة خير الدين باشا الى الاستانة		« المبرز في الحقوق الاستاذ محمد صالح مزالي
١٨٩ الخيال في الادب العربي		« الاستاذ احمد المختار الوزير
١٩٤ معارضات قصيدة عامر ابن هشام
١٩٤ معارضة الشيخ الورغي
١٩٥ معارضة الوزير ابن ابي الضياف
١٩٧ معارضة الشيخ الباجي المسعودي
١٩٩ الخطوط الكوفية وادوارها بالقيروان ...		« العالم الشيخ محمد طراد
٢٠٠ بحوث تونسية		« موظف فرنسي كبير
٢٠٤ حول البحوث التونسية		« مدرس كبير

الاشترك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 يخضم الربع للسلامة
 وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
 ممضاة من امين المال
 محمد الهادي بن القاضي
 والمخازن المالية لا تكون الا مع

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصلاؤها مع الحياة العلمية والأدبية والثقافية
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الرابع	تونس - في صفر الخير ١٣٥٨ - افريل ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	---------------------------------------	---------------

صاحب المجلة والمدير :

عبد الشاذل بن القايني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالسديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * إِنَّ
الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ

من تفسير العلامة الهمام الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

أولئك على هدى من ربهم - الإشارة الى المتقين الذين أجرى عليهم من الصفات ما تقدم والاصل في الإشارة ان تعود الى ذات مشاهدة معينة الا ان العرب قد يخرجون بها عن الاصل فتعود الى ذات مستحضرة من الكلام بعد ان يجري من صفاتها واحوالها ما ينزلها منزلة الحاضر في ذهن المتكلم والسامع فان السامع اذا وعى تلك الصفات وكانت مهمة في بابها او غريبة في خير او ضده تآقت نفسه الى مشاهدة الموصوفين بها فيلوح المتكلم الى انه علم توقان نفس السامع لمشاهدة المتحدث عنه فيحاول احضاره له ويتخيل انه احضره حتى انه يشير اليه فيوميء بتلك الإشارة الى انه لا اوضح في تشخصه ولا اغنى في مشاهدته من تعرف تلك الصفات فتكفي الإشارة اليها ونظيره في غير باب الإشارة قول الشاعر : (واني من القوم الذين هم هم)

اي الذين يخبر عنهم بنفس اسمهم المخبر عنه هذا اصل الاستعمال في ايراد الإشارة بعد ذكر صفات مع عدم حضور المشار اليه ثم انهم قد يتبعون اسم الإشارة الوارد بعد تلك الاوصاف بأحكام فيدل ذلك على ان منشأ تلك الاحكام هو تلك الصفات المتقدمة على اسم الإشارة لانها لما كانت هي طريق الاستحضار بالإشارة لاهل تلك الصفات قامت الصفات مقام الذوات المشار اليها فكما ان الاحكام الواردة بعد اسماء الذوات تفيد انها ثابتة للتسميات فكذلك الاحكام الواردة بعد ما هو للصفات تفيد انها ثبتت للصفات فقوله اولئك على هدى من ربهم بمنزلة ان تقول ان تلك الاوصاف هي سبب تمكنهم من هدي ربهم اياهم ونظيره قول حاتم الطائي

وله صعلوك يساور همه ويمضي على الاحداث والدمر مقدما

فتى طلبات لا يرى الحمص ترحة ولا شعبة ان نالها عد مغنما
الى ان قال :

فذلك ان يهلك فحسنى ثناؤه وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما (١)

فقوله اولئك على هدى ، جملة مستأنفة وهذا التقدير اظهر معنى وانسب بلاغة واسعد باستعمال اسم الاشارة في مثل هاته المواضع لانه اظهر في كون الاشارة لقصد التنويه بتلك الصفات المشار اليها ولما يرد بعد اسم الاشارة من الحكم الناشيء عنها وهذا لا يحصل الا بجعل اسم الاشارة مبتدأ اول في صدر جملة استئناف .

وقوله على هدى من ربهم ، تمثيل لحالهم بأن شبهت هيئة تمكنهم من الهدى وثباتهم عليه والسير في طريق الخيرات بهيئة الراكب في الاعتلاء على المركوب والتمكن من تصرفه والقدرة على اراضته فشبهت حالتهم المنتزعة من متعدد بتلك الحالة المنتزعة من متعدد تشبيها ضمنيا دلت عليه كلمة على المفيدة للاستعلاء لان الاستعلاء اقوى انواع تمكن شيء من شيء ووجه دلالتها على ان المستعلى عليه مركوب دون ان يكون كرسي او مسطبة مثلا لان ذلك هو الذي تسبق اليه افهامهم عند سماع ما يدل على الاستعلاء اذ المركوب هو اكثر انواع استعلائهم فهو الحاضر في اذهانهم ولذلك نراهم حين يصرحون بالمشبه به او يرمزون اليه ما يذكرون الا المركوب وعلاقته فيقولون جعل الغواية مركبا وامتطى الجمل وفي المقامات وربما اقتعد غارب الاعتراب وركب متن عمياء ويخبط خبط عشواء قال النابغة بهجو عامر ابن الطفيل الغنوي

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

فتكون كلمة « على » هنا بعض المركب الدال على الهيئة المشبه بها على وجه الايجاز والتقدير اولئك على مطية الهدى فهي تمثيلية تصريحية الا ان المصريح به بعض المركب الدال لاجمعه وانما نكر هدى ولم يعرف باللام لمساواة التعريف التنكير هنا اذ لو عرف لكان التعريف تعريف الجنس فرجح التنكير تمهيدا لوصفه بانه من عند ربهم ولان التنكير يفيد بالقرينة في مقام المدح انه ما يراد منه الافراد ولا النوعية فتعين قصد التعظيم على حد قول ابن خراش الهذلي (٢)

(١) الصعلوك بضم الصاد اصله الفقير ويطلق على المتلصص لان الفقر بدعوة الى التلصص لانهم ما كانوا يرضون باكتساب ينافي الشجاعة ويكسب المذلة كالسرقة والسؤال فحاتم يمدح الصعلوك الذي لا يقتصر على التلصص بل يكون بشجاعته عدة لقومه عند الحاجة

(٢) ابو خراش بكسر الحاء اسمه خويلد بن مرة الهذلي والخراش سمة تجعل للبعير فهو محروش كان هذا الشاعر فارسا عداء يعدو على قدميه فيسبق الخيل ، أدرك الجاهلية واسلم وله صحة وتوفى في زمن عمر رضي الله عنه ، والبيت من ابيات رثى بها خالد بن زهير الهذلي من سادة هذيل . وقوله فلا ، قسم وهو تأكيد كانه يقول لا اقسم ثم يقسم ايذانا بعظم شأن المقسم به وان الجالف به يخشى

فلا وإني الطير المربة في الضحى على خالد لقد وقعت على لحم

أي على لحم عظيم بقرينة المدح

وأولئك هم المفلحون - مرجع الإشارة الثانية عين مرجع الأولى ووجه تكرير اسم الإشارة التنبيه على أن كلتا الاثنتين جدرة بالاعتناء والتنويه فلا تذكر احدهما تبعاً للآخرى بل تخص بجملته وإشارة خاصة ليكون اشتهارهم بذلك اشتهاراً بكلتا الجملتين وانهم ممن يقال فيه كلا القولين وقوله هم المفلحون - الضمير للفصل والتعريف في المفلحون لا جنس وهو الاظهر اذ لا معهود هنا بحسب ظاهر الحال بل المقصود افادة أن هؤلاء مفلحون وتعريف المسند بلام الجنس اذا حمل على مسند اليه معرف افاد الاختصاص فيكون ضمير الفصل لمجرد تأكيد النسبة أي تأكيد الاختصاص والفلاح الفوز وصلاح الحال فيكون في احوال الدنيا واحوال الآخرة والمراد به في اصطلاح الدين الفوز بالنجاة من العذاب في الآخرة والفعل منه افلح أي صار ذا فلاح وانما اشتق منه الفعل بواسطة الهمزة الدالة على الصيرورة لانه لا يقع حدثاً قائماً بالذات بل هو جنس تحف افراده بمن قدرت له - قال في الكشف انظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين ببئيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهي ذكر اسم الإشارة وتكريره وتعريف المفلحين وتوسيط ضمير الفصل بينه وبين أولئك ليصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا

(ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم) هذا انتقال من الثناء على هذا الكتاب ووصف هديه واثار ذلك الهدي في الذين اهتموا به والثناء عليهم الراجع الى الثناء على الكتاب لان كمال الثناء انما يظهر اذا تحققت اثار الصفة التي استحق بها الثناء ولما كان الضد بالضد يقدر انتقال للكلام على حال الذين لم يحصل لهم الاهتداء فعنى عليهم حالهم وسجل ان حرمانهم من الاهتداء بهديه انما كان من تلقاء انفسهم اذ نبوا بها عن ذلك فما كانوا من الذين يفكرون في عاقبة امورهم ويحذرون

الحث فيهم بان لا يحلف . ولفظ الاب هنا مقحم على عادتهم في تعظيم المحلوف به ان يقولوا بابيك لانه حلف به وبابيه في المعنى . والمربة المقيمة من لرب بالمكان اقام وقوله وقعت خطاب للطير وهو التفات وفي البيت تنويه بالبيت اذ حلف بالطير الذي اكلت لحمه لان ذلك اكسبها عظمة وشرافاً ودليل على عظم شأنه انه تردد في الحلف بطيرة ثم حلف بابيها وهذه الرواية في البيت في غاية البلاغة ونقل عن الزمخشري انه كان اذا انشده يقول ما افصحك يا بيت المربة . وذكر التفنيز في شرح الكشف ان الموجود في ديوان الهذليين برواية اخرى وهي

لعمر ابي الطير المربة بالضحى على خالد لقد عكفن على لحم

على ان لعمر ابي قسم الشاعر بابيه والطير مرفوع مبتدأ وخبره قوله عكفن الخ وهو من العكوف وهو الملازمة ولا يخفى ان هاته الرواية تقيت معنى كمال التعظيم الثابت للمهرني بمدح الطير الآكلة للحم على ان في هاته الرواية تكرير غير حسن وهو الجمع بين المربة وعكفن وبعضهم يذكر في لفظ الآية هنا وجوها فاسدة .

سوء العواقب فلم يكونوا من المتقين وكان سواء عندهم الانذار وعدمه فلم يتلقوا الانذار بالتأمل بل كان سواء والعدم عندهم وقد قرن في هذه الآيات فريقان فريق صمم على الكفر والعناد والمراد بهم هنا المشركون كما هو غالب اصطلاح القرءان في لفظ الذين كفروا وفريق اظهر الايمان خداعا وهم المنافقون المشار اليهم بقوله تعالى ومن الناس من يقول ءامنا بالله . وانما قطعت هاته الجملة عن التي قبلها لان بينهما كمال الانقطاع اذ الجمل السابقة لذكر الهدى والمهتدين وهذه لذكر الضالين فينبهما كمال الانقطاع لاجل التضاد وصدرت الجملة بان التي من شأنها التأكيد ورد الشك اما بمجرد الاهتمام بالخبر من غير قصد الى دفع شك لان الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم واللامة وهو خطاب انفس بحيث لم يسبق شك في وقوعه . وحجيء ان للاهتمام كثير في الكلام وهو في القرءان كثير وقد تكون ان هنا لرد الشك على اصلها بتخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر لان حرص النبي على هداية الكافرين تجعله يطمع في نفع الانذار لهم وحاله كحال من شك في نفع الانذار او لان السامعين من المسلمين لما اجري على الكتاب الثناء ببلوغ الدرجة القصوى في الهداية يطمعون ان تؤثر هدايته في الكافرين المعرضين فجعلوا كالذين يشكون في ان يكون الانذار وعدمه سواء فاخرج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر ونزل غير الشاك منزلة الشاك . والكفر بالضم اخفاء النعمة والفتح المستمر مطلقا وهو مشتق من كفر اذا ستر ولما كان انكار الخالق وانكار كماله وانكار ما جاءت به رسله ضربا من كفران نعمته اطلق عليه اسم الكفر وغلب استعماله في هذا المعنى والموصول ياتي لما تاتي له اللام فاما ان يكون هنا لتعريف العهد مرادا منه قوم معهودون كابي جهل والوليد بن المغيرة وهذا بعيد لعدم انحصارهم واما ان يكون لتعريف الجنس اي جنس من ثبت له الكفر على ان المراد من الكفر ابلغ انواعه بقرينة مقابلته بالذين يؤمنون بالغيب والذين يؤمنون بما انزل فالمراد كافرون عرفوا بالكبيرة في الكفر والدوام عليه حتي صار الكفر هو حالتهم التي لا يعرفون الا بها فجعل صلة للموصول لتعريف بهم فيكون الفعل قد افاد قوة الكفر ولا بدع في ذلك اذ الفعل لما كان مدلوله نكرة كان صالحا لان يراد به ما يراد بالتذكير والحاصل انه ليس المراد من قوله الذين كفروا هنا ما اريد منه في نحو قوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ونحو قوله تعالى وقال الذين كفروا للذين ءامنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه . لان من اولئك من انتقل من الكفر الى الاسلام بعد ان كان اشد الناس على المسلمين مثل ابي سفيان . وقوله سواء عليهم آذنتهم ام لم تنذرهم . سواء فيه اسم بمعنى الاستواء فهو اسم مصدر دل على ذلك لسزوم افرادة وتذكيرة مع اختلاف موصوفاته ومخبراته فاذا اخبر به او وصف كان ذلك كالمصدر في ان المراد به معنى اسم الفاعل لقصد المبالغة . وقد قيل ان سواء اسم بمعنى المثل فيكون التزام افرادة وتذكيرة لان المثلية لا تتعدد وان تعدد موصوفها تقول هم رجال سواء لزيد بمعنى مثل لزيد . وانما عي سواء بعلی هنا وفي غير موضع ولم يعلق بعند ونحوها للاشارة الى تمكن الاستواء عند المتكلم وانه لا مصرف له عنه ولا تردد له فيه (لا يؤمنون) الاظهر ان هذه الجملة مسوقة لتقرير معنى الجملة التي قبلها وهي سواء عليهم آذنتهم الخ مستانفة ولذلك فصلت وليست تأكيدا للجملة الاولى ولا يانا ولا بدلا ولا حالا من ضمير عليهم ولا خبرا لان قيل بجميع ذلك .

الحديث الشريف

« باب » ما ينهى عن التحاسد والتدابير

وقوله تعالى : ومن شر حاسد اذا حسد (من صحيح البخاري)

حدثنا ابو اليمان اخبرنا سعيد عن الزهري قال حدثني انس ابن مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام *

قد تقرر في الشريعة المطهرة حث الشارع على جلب المودة بين المسلمين وتالف أرواحهم وقلوبهم على الوجه المتين كما اشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، وقد بين الشارع ما يحفظ هذا البنيان وما يفضي به الى التداعي والامتهان ومن أعظم الاصول المتكفلة بهذا الغرض هذا الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم : لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا - الحديث ، والتباغض تفاعل من البغض وهو خلاف المحبة وأصل التفاعل أن يكون بين اثنين وقد يكون من واحد كما تقرر في العربية وهو المراد هنا في الافعال الثلاثة ، والتدابير كما في شرح مسلم للنووي المعادة وقيل المقاطعة كما في العمدة وقال إمام دار الهجرة : لا أحسب التدابير الا الاعراض عن السلام يدبر عنه بوجهه ، والتحاسد من الحسد وهو كما فسره الغزالي في الاحياء كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم عليه اه ، قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثامن والخمسين بعد المائتين : والحسد حسدان احدهما تمنى زوال النعمة وتحولها للحاسد ، ثانيهما تمنى زوال النعمة من غير طلب حصولها للحاسد وهو شر الحسدين لانه طلب المفسدة الصرفة من غير معارض عادي ولا طبعي ، وهو حرام بالكتاب والسنة والاجماع ، فاما الكتاب فقوله سبحانه وتعالى : أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله ، وقوله سبحانه وتعالى : ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، أي لا تتمنوا زواله لان قرينة النهي دلت على حذف المضاف ، وأما السنة فحديث الباب وغيره ، وأما الاجماع فقد أجمعت الامة على تحريمه اه ، ومن أدلة تحريمه في التنزيل قوله جل عظمته : ومن شر حاسد اذا حسد ، قال القاضي

* هذا درس من دروس ختم الحديث الشريف التي كان قام بها العلامة المقدس الشيخ الشاذلي ابن القاضي بجامع حمودة باشا المرادي

البيضاوي وتبعه مفتي السلطنة أبو السعود في التفسير معنى قوله سبحانه وتعالى : اذا حسد. إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه بترتيب مقدمات الشر ومبادي الاضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً اه. قال الشهاب القنوي في حواشيه. أوله بما ذكر ليندفع اشكال في الآية وهو ان قوله سبحانه وتعالى اذا حسد. مع قوله ومن شر حاسد. خال عن الفائدة بحسب الظاهر وحاصل الدفع ان فائدة التقييد بهي ان ضرر الحسد قبل اظهار الحاسد إياه إنما يجيق بالحاسد لان الحاسد يحصل له الغم في الدنيا بسرور المحسود اه. وهل يأثم بذلك حتى يستحق العقاب ؟ قال الغزالي في الاحياء هو محل اجتهد فقد ذهب ذاهبون الى أنه لا يأثم بمجرد محبة زوال النعمة عن المحسود اذالم يظهر الحسد على جوارحه قال والاظهر انه اذا لم يظهر الحسد على جوارحه فأما مع فعل للقلب هو ميله عن تلك المحبة ومقت نفسه عاها بمحض العقل حتى يود أنه تكون له حيلة في إزالة تلك المحبة أولاً فان كان الاول فهو معفو عنه قطعاً لانه لا يدخل تحت الاختيار أكثر من ذلك وإن كان الثاني فالظاهر أنه لا يخلو عن إثم بقدر قوة تلك المحبة وضعفها. نعم هذا النوع ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل معصية بينه وبين الله سبحانه وتعالى. والدليل على هذا ظواهر الآيات والاخبار قال سبحانه وتعالى : ان تمسسكم حسنة تسؤهم. وقال سبحانه وتعالى : ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء. ومن الاخبار حديث الباب وغيره فانها تدل بظواهرها على أن كل حاسد آثم ويبعد من حيث المعنى أن يعفى عن العبد في إرادته مساءة مسلم واشتمال قلبه على ذلك من غير ميل قلبه عن تلك الارادة وكراهته لها اه. قلت لعل ما ذهب اليه القوم مبني على ما هو المقرر في الاصول والكلام من أنه لا تكليف إلا بفعل ومجرد المحبة المذكورة من غير انضمام شيء آخر اليها من الافعال ليس بفعل المكلف لانها من الامور الباطنية الراجعة الى الكيفيات النفسانية ولا تكليف بها من حيث هي وما ذهب اليه الغزالي مبني على ذلك أيضاً الا ان الاثم المترتب ليس على مجرد تلك المحبة المذكورة بل على ترك فعل النفس وهو ميل قلبه عن تلك المحبة وهو فعل من أفعال النفس ولما لم يفعل ذلك فقد ترك ما هو مطلوب منه وبتركه ذلك كان آثماً. وسياقي لهذا زيادة تحرير إن شاء الله تعالى. وعلى هذا فيحصل التوفيق ويكون الخلاف لفظياً فان قلت معنى قوله جل جلاله ومن شر حاسد إذا حسد مستفاد من قوله سبحانه وتعالى أول السورة من شر ما خلق فانه عام في كل ما يستعاذ منه فما فائدة الاستعاذة بعده من الحسد ؟ قلت الفائدة كما ذكره الرازي في التفسير هي التنبيه على أن الحسد من أعظم أنواع الشرور اه. وبؤيده ما نقله صاحب روح البيان عن الحسين بن الفضل رحمه الله تعالى أن الله سبحانه وتعالى ذكر الشرور في هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخطر الطبائع كما قاله ابن عباس رضي الله عنهما اه. ولاجل خبثه قال الغزالي هو من الامراض القلبية ولا دواء لها الا العلم والعمل فاما العلم النافع في ذلك فهو أن يعرف الحاسد أن الحسد ضرر عليه في الدين والدنيا وانه لا ضرر على المحسود في الدين والدنيا بل ينتفع به فيهما

ومهما عرف الحاسد ذلك فارق الحسد. أما كونه ضررا عليه في الدين فإن فيه كراهة نعمة الله التي قسمها بين عباده وعدم نصيحتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم كافي البخاري: الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم. وأما كونه ضررا عليه في الدنيا فإن الحاسد يتالم بحسده ويتعذب به. وأما أنه لا ضرر على المحسود في الدين والدنيا فواضح لأن النعمة لا تزول عنه بحسد الحاسد بل ما قدره الله سبحانه وتعالى فلا بد وأن يدوم إلى أجل معلوم. وأما أنه يتنفع به فيهما فواضح أيضا. أما منفعته في الدين فهو أنه مظلوم من جهة الحاسد. وأما منفعته في الدنيا فهو أن أهم غرضه أن يرى حاسده معذبا بعذاب الحساد لا عذاب أعظم من عذابه. وأما العمل فهو أن يحكم الحسد فكل ما يتقاضاه الحسد من قول أو فعل فينبغي أن يكلف نفسه نقيضه فإن بعثه الحسد على التقدم في المحسود كلف لسانه المدح له والثناء عليه وإن بعثه على كف الأنعام عليه كلف نفسه الزيادة في الأنعام عليه وهكذا ثم إن الحسد يقابله الغبطة قال شهاب الدين القرافي في الفرق الثامن والخمسين بعد المائتين الغبطة تعني حصول مثل نعمة الغير من غير تعرض لطلب زوالها عن صاحبها وهي مباحة لعدم تعلقها بمفسدة البتة وقد يعبر عنها بلفظ الحسد قال صلى الله عليه وسلم لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل والنهار. أي لا غبطة إلا في هاتين إحداهما فإن قلت ما قرره الشهاب القرافي من أن الغبطة مباحة فقط حيث اقتصر عليه مع أن المقام للبيان ينافية ما قرره الغزالي في الإحياء من أنها تكون واجبة ومندوبة ومباحة فاما الواجبة ففيها إذا كانت نعمة الغير دينية واجبة كالصلاة والزكاة ونحوهما فإنه يجب عليه أن يتعنى مثلها لنفسه حتى يكون مثل ذلك الغير لأنه إذا لم يجب ذلك يكون راضيا بالمعصية وذلك حرام. وأما المندوبة ففيها إذا كانت نعمة الغير دينية غير واجبة كفضائل الأعمال من انفاق المال في المكارم والصدقات وأما المباحة ففيها إذا كانت نعمة الغير نعمة يتسنى بها على وجه مباح وكل ذلك يرجع إلى إرادة مساواته له والحق به في النعمة وليس فيه كراهة تلك النعمة إحداهما قلت لا تنافي بينهما لأن الشهاب القرافي لم يرد بالاباحة التخيير بين الفعل والتترك الذي هو أحد معنيين للاباحة بل أراد بالاباحة الإذن وعدم الحرج في الفعل وهو المعنى الثاني لها كما قرره هو بنفسه في شرح المحصول قال: وهو شامل للواجب والمندوب والمباح بالمعنى الأول والمكروه. قرره أبو إسحاق الشاطبي في الموافقات حيث قال: المباح يطلق باطلاقين من حيث هو مخير فيه بين الفعل والتترك ومن حيث يقال لا حرج فيه إحداهما. وقوله صلى الله عليه وسلم لا تباعضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا. نهي عن التباعد والتحاسد والتدابير وليس المراد خصوص التفاعل كما تقدم وقد تقرر في الأصول أن النهي عن الشيء يقتضي عدم حسنه بمعنى أن النهي عنه متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا بحكم الشارع وعدم الحسن على قسمين أما لذاته وضعًا كالظلم وهو التعدي على الغير من غير وجه شرعي ومن هذا القسم النهي عنه في التباعد

والتدابير والتحاسد فان المنهي عنه في التباغض والتدابير ما يسبقهما من الاهواء المضلة الموجهة لهما والمنهي عنه في التحاسد ما يترتب عليه من البغي والظلم بالجوارح كما يأتي تحريره او شرعا كبيع الحر فان الشرع جعل محل البيع المال المتقوم حال العقد لتحصل الفائدة والحر ليس بعال وحكم هذا القسم بفردية عدم المشروعية مطلقا لا باصله ولا بوصفه وهو البطلان كما تقرر في الاصول . واما لغيره بمعنى ان عدم حسنه لامر خارج عنه وهذا الامر الخارج اما وصف لازم كالبيع بالشرط الذي لا يقتضيه العقد فان النهي عنه لامر خارج وهو ما فارق العقد من الشرط وهو وصف لازم له لا ينفك عنه ومن هذا النوع النهي عن جميع الافعال الشرعية الخالي عن القرينة الدالة على ان النهي عنه لعدم الحسن لذاته او لغيره والمقرون بالقرينة الدالة على ان النهي عنه لعدم الحسن لغيره وحكمه عدم المشروعية بوصفه والمشروعية باصله وهو الفساد عندنا . واما مجاور كالصلاة في الارض المغصوبة فان النهي عنها لامر خارج مجاور لها وهو شغل المكان من حيث انه تعد على ملك المغصوب منه وهو ليس بوصف لازم بل يمكن انفكاكه بان ياذن مالكه له في الحال او ينتقل اليه ملك الارض في الحال بهبة ونحوها وحكم هذا النوع الكراهة التحريمية اجماعا بيننا وبين الشافعية كما صرح به صدر الشريعة في التوضيح . وخالفونا فيما قبله فقالوا ان النهي عن الافعال الشرعية يقتضي عدم الحسن لذاته وحكمه عدم المشروعية مطلقا لا باصله ولا بوصفه وهو البطلان . وخالفت الحنابلة في الجميع فقالوا ان النهي عن الشرعيات للوصف او للمجاور يقتضي عدم الحسن لذاته وحكمه عدم المشروعية مطلقا لا باصله ولا بوصفه وهو البطلان وبناء على ما تقرر فنحن قلنا بصحة اصل العقد الذي فيه شرط لا يقتضيه العقد دون وصفه ويترتب عليه انه اذا قبض المشتري المعقود عليه ملكه لصحة اصل العقد لتوفر اركانه من العاقدين والمعقود عليه وشروط انعقاده من الاهلية ونحوها فكان اصل العقد سالما لا فساد فيه الا ان ملكه له ليس مباحا شرعا حتى انه يلزم كل واحد من متعاقديه فسخه ما دام لم يتعذر الفسخ والقاضي اذا اطلع عليه فسخه ما لم يتعذر أيضا أما إذا تعذر بأن وقفه وقفا صحيحا أو وهبه وسلمه للموهوب له فإنه يلزم العقد ويتقرر الملك الاصلي ويلزمه التوبة لارتكابه عدم المباح . وقالت الشافعية والحنابلة بفساد أصل العقد ووصفه حتى إن المشتري إذا قبضه لم يملكه أصلا ضرورة أن ملكه له إنما هو بالعقد ولا عقد أصلا فلا يترتب عليه الملك فلا ينفذ شيء من تصرفات المشتري فيه . ولما خالفت الحنابلة في مسألة المجاور أيضا قالوا ببطلان الصلاة في الارض المغصوبة وبطلان الرضوء بالماء المغصوب على ما نقله شهاب الدين القرافي في الفرق السبعين بناء على ان النهي عندهم يعتمد للمفاسد في أصل الماهية فمهما ورد نهي من الشارع أبطلوا ذلك التصرف سواء كان من العبادات أو المعاملات لفساد نفس الماهية المنهي عنها فكانت معدومة شرعا فلا تترتب آثارها . استدلت الحنفية بدليلين كما في مختصر ابن الحاجب الاصولي أحدهما

ان النهي لو لم يدل على الصحة لكان المنهي عنه غير الشرعي. قال العضد في بيانه واللازم باطل أما الملازمة فلان المنهي عنه إذا لم يكن صحيحا لم يكن شرعا معتبرا لان الشرعي المعتبر هو الصحيح وأما بطلان اللازم أعني كون المنهي عنه غير الشرعي فلانا نعلم ان المنهي عنه في صوم يوم النحر والصلاة في الاوقات المكروهة انما هو الصوم والصلاة الشرعيين لا الامساك والدعاء وأجاب عنه ابن الحاجب في المختصر بمنع ان الشرعي هو المعتبر شرعا. قال العضد بل الشرعي هو ما يسميه الشارع بذلك الاسم وهو الصورة المعينة سواء كانت صحيحة أو لا كما يقال صلاة صحيحة وصلاة فاسدة والدليل عليه قوله صلى الله عليه وسلم دعى الصلاة أيام أقرئك. وصلاة الخائض لا تصح أصلا لا بأصلها ولا بوصفها اتفاقا اه قال الفاضل الابهري في حواشي العضد وحاصل الجواب ان الحنفية ان أرادوا بالشرعي المعتبر شرعا كما وقع التقييد به في الاستدلال فالملازمة صحيحة وقولهم اللازم باطل ممنوع فانا نلتزم ان المنهي عنه غير المعتبر شرعا وإنما هو ما يسميه الشارع بذلك الاسم سواء كان معتبرا أم لا وإن أرادوا بالشرعي ما يسميه الشارع بذلك الاسم سواء كان صحيحا أو لا فالملازمة ممنوعة لانه لا يلزم من كون النهي لا يدل على صحة أصل المنهي عنه أن يكون المنهي عنه غير الذي يسميه الشارع بالاسم المعين اه وأجاب عن المنع المذكور المحقق الفنري في فصول البدائع بأن المراد بالشرعي هو المعتبر شرعا ولا يصح إرادة المعنى الآخر حتى يقع منع طلان اللازم والدليل عليه انه لو كان المراد بالشرعي ما يسميه الشارع بالاسم المعين سواء كان صحيحا أو لا لكان المنهي عنه هو مجرد الصورة مطلقا فيكون مجرد الصورة هو المعتبر في الثواب بقصد اجتنابه والعقاب بارتكابه وليس كذلك قطعا لان الصورة بدون شرائطها كصورة الصلاة بدون النية واستقبال القبلة وغيرهما وكصورة البيع بدون شرائط انعقاده من أهلية المتعاقدين ونحوه عبث لا يترتب عليه ثواب ذلك الفعل المعد له شرعا ولا عقابه لان مفسدة النهي انما هي في الاتيان بالمقيد بقبوده المعتبرة فيه لا بمجرد صورته وإلا لزم أن يكون كل أحد مثابا بترك صور المناهي وإن لم تنعقد أسبابها وشرائط انعقادها وليس كذلك أجماعا فتعين أن المنهي عنه في الافعال الشرعية هو الشرعي المعتبر لا ما يسمى به مطلقا. وما استند اليه العضد من الحديث حيث دل على أن المنهي عنه فيه ليس بصحيح لا بأصله ولا بوصفه اجماعا لا يدل له لان النهي هنا مجاز عن النفي اه قال السيد الشريف في حواشي التلويح للدليل الذي دل على ذلك وهو اشتراط الطهارة عن الحيض وغيرها في الصلاة الثابت بالنص على وفق القياس والكلام في النهي إذا كان على حقيقته فلم يكن عدم صحة الاصل والوصف من حيث كونه نهيا عن امر شرعي بل من حيث كونه نفيا له وهو معنى النسخ ومثله قوله تعالى ولا تتكلموا ما تكلموا به من النساء والنهي عن بيع المضامين والملاقيح وما كان نحو ذلك

ثانيهما ان النهي عنه لو لم يكن صحيحا لكان ممتنعا فلا يمنع عنه لان المنع عن الممتنع عبث وهو

محال قال سعد الدين التفتازاني في التلويح وتحقيقه ان المنهي عنه يجب ان يكون ممكن الوجود متصورا بحيث لو اقدم عليه يوجد حتى يكون العبد مبتلى بين ان يقدم على الفعل فيعاقب وبين أن يكف عنه قصدا فيثاب فيكون كل من الاثبات والترك مضافا الى اختياره ولولم يكن ممكنا لكان عدم وقوع المنهي عنه لعدم امكانه وامتناعه في نفسه لا لامتناع العبد عنه باختياره فلا يثاب عليه لان النهي حينئذ يصير نسخا وهو غير النسخ فان النسخ لبيان ان الفعل لم يبق متصور الوجود شرعا كالتوجه الى بيت المقدس ونحوه واذا قلنا انه ممتنع شرعا فورود النهي عنه مع كونه ممتنعا شرعا عبث وهو محال . واجاب عنه ابن الحاجب في المختصر بمنع كونه عبثا وتفصيله كما في العضد ان النهي لا يكون عبثا مع القول بانه ممتنع الوقوع الا لو كان امتناعه بغير النهي كما قالوا في تحصيل الحاصل انه اذا كان حاصل هذا التحصيل لم يكن عبثا كذلك هنا تقول ان امتناعه بهذا المنع فلا يكون عبثا . واجاب عن المنع المذكور السيد الشريف في حواشي التلويح بان القول بذلك ينفي الاختيار ويعدم الابتلاء لانه اذا كان ممتنعا فهذا النهي لا يكون وجوده في المستقبل متصورا شرعا اذ صورة الشرعي لا يكون الا بمشروعيته واذا فاتت مشروعيته امتنع وجوده الشرعي لا محالة فبطل الاختيار وسقط الابتلاء فعاد على موضوعه بالنقض لان النهي ابتلاء واخبار كالا ممر . واجاب عن الاستدلال المذكور الامام الغزالي في المستصفى بتسليم انه لا بد من امكان المنهي عنه بعد النهي لكن نمنع انه لا بد من الامكان الشرعي بل الامكان اللغوي كاف . وكون المأمورات مثل الصلاة والصوم والبيع مستعملة في معانيها الشرعية والمنهيات في المعاني اللغوية فانما ذلك للعرف الطاري بين اهل الشرع في المأمورات وما وجدنا ذلك العرف في المنهيات فبقيت على معانيها اللغوية اه واجاب عنه صدر الشريعة في التوضيح بان امكان المعنى اللغوي لا يكفي بل لا بد من امكان المعنى الشرعي لان المعنى اللغوي الذي هو مجرد القول مثلا في البيع وهو بيع واشترت من غير اعتبار الربط الشرعي بينهما المحصل لمعنى شرعي وهو البيع الذي يترتب عليه اثره من الملك ونحوه لا يوجب الفسدة التي نهى عن الفعل لاجلها فان المعنى اللغوي لا فساد فيه حتى ينهى عنه . قال في التلويح ونحن نقطع بان الحائض انما نهيت عما سماه الشارع صوما وصلاة لا عن نفس الامساك والدعاء اه

وقال المحقق ملا خسرو في مرآت الاصول : والمتعارف ان كل فعل نهى عنه فانما يعتبر امكانه بالنظر الى ما ينسب اليه من الحس والعقل والشرع فاذا كان الناهي الشارع وجب ان يكون المنهي عنه شرعا فوجب امكانه شرعا حتى لا يعد عبثا اه

واستدل الشافعية رضي الله عنهم بدليلين احدهما ان المنهي عنه لو كان صحيحا لكان مشروعا واللازم باطل لان اقل درجات المشروعية الاباحة وهي متفية اجماعا بيننا وبينكم لعدم صحة اجتماعها مع النهي ضرورة ان المنهي عنه حرام فلا يكون مباحا فلا يكون مشروعا فالقول بانه صحيح غير مشروع جمع بين متنافيين . واجاب عنه اصحابنا كصدر الشريعة وغيره بانهم ان ارادوا انه يلزم من

القول بصحة اصل المنهي عنه القول بعشرعية الاصل والوصف فالملازمة ممنوعة لانه لا يلزم من كون اصل الماهية صحيحا ان يكون هو ووصفه مشروعين وان ارادوا انه يلزم من صحة الاصل مشروعيته فقط لا مشروعيته ووصفه فالملازمة مسلمة وبطلان اللازم ممنوع لان الذي قلنا بصحته اصله والذي قلنا بعدم مشروعيته وعدم اباحته وصفه فلا تنافي بين القول بالصحة والقول بعدم المشروعية لعدم تواردهما على محل واحد. وقال صدر الشريعة فنحن نقول بصحته لا باباحته والاثار من الملك ونحوه مترتب على الصحة اه قال المحقق مالا خسرو في مرءات الاصول : والمشروعات تحتل هذا المعنى كالا حرام فان المحرم اذا أفسد حجه قبل الوقوف بعرفة يفسد احرامه ويجب عليه المضي في اعمال الحج حتى لو ارتكب بعد ذلك محظورا يجب عليه الجزاء وهو دليل بقاء المشروعية والا لما وجب عليه الجزاء ويجب عليه القضاء من قابل وهو دليل الفساد والا لما وجب عليه القضاء للمشروعية وعدم الاباحة من حيثين مختلفتين للمشروعية بالنظر للاصل وعدم الاباحة بالنظر للوصف اه ثانيهما ان النهي حقيقة في اقتضاء عدم الحسن لذاته كالامر في كونه حقيقة في اقتضاء الحسن لذاته فكما ان المأمور به يكون حسنا لذاته الا لدليل يدل على خلافه كذلك المنهي عنه يكون غير حسن لذاته الا لدليل يدل على خلافه بناء على ان المطلق يتناول الكامل

وحاصله ان مقتضى النهي حقيقة هو عدم الحسن الكامل وهو ما كان عدم حسنه لذاته وعدم الحسن لغيره قاصر وليس هو المقتضى حقيقة والعدول عن المقتضى الحقيقي الى المقتضى المجازي بلا موجب لا وجه له . واجاب عنه صدر الشريعة في التوضيح بان كمال المقتضى الذي هو عدم الحسن لذاته غير ممكن اعتباره هنا لانه لو اعتبر كاملا لبطل مقتضيه وهو النهي حيث لا يبقى على حاله فانه يكون حينئذ نسخا لمعنى النهي ولا يجوز اخراج الشيء عن معناه الحقيقي الا لدليل فاعتبار المقتضى المجازي مع بقاء اصل معنى النهي على حقيقته هو الواجب وما ذكروا من مسألة الامر فهو كما قالوا لان الكمال هناك يحقق معنى الامر ويقرره اه

وحاصله كما في التلويح ان النهي يقتضي عدم الحسن والمنهي عنه يقتضي الامكان ولا بد من رعاية الامرين وذلك بان يحمل عدم الحسن الذي هو مقتضى النهي على عدم الحسن لغيره وهو لا ينافي الصحة والامكان فيكون في ذلك محافظة على مقتضى النهي وهو عدم الحسن وعلى المقتضى وهو النهي بان لا يكون نهيًا عن غير الممكن وهو المستحيل بخلاف ما اذا حمل عدم الحسن الذي هو مقتضى النهي على عدم الحسن لذاته وحكم ببطلان المنهي عنه فانه يلزم اسقاط النهي واخراجه عن معناه الذي وضع له من الاختبار والابتلاء وجعله لغوا عبثا ولا يخفى ان ذلك امر محال

وقوله صلى الله عليه وسلم وكونوا عباد الله اخوانا امر بان يكونوا اخوانا لانهم مستوون في كونهم عباد الله وملتهم ملة واحدة فوجب عليهم ان يكونوا اخوانا . فان قلت الامر بان يكونوا

اخوانا كالنهي السابق عن التباض والتحاسد والتدابير امر بما لا يطاق ونهي عما لا يطاق وذلك لان هذه صفات قلبية لا دخل لقدرة العبد فيها اما كون الشخص يكون اخا لغيره فهذا من حيث ذاته لا قدرة له عليه لانه ليس بفعل له لا جاري ولا قلبي وكل ما ليس بفعل له لا قدرة له عليه فلا يصح التكليف به فهو نظير قوله صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . واما البغض والحسد والتدابير فهي من الصفات القلبية كما صرح به الغزالي في الاحياء وقد تقرر ان صفات القلوب لا قدرة للانسان على اثباتها ولا على نفيها . ففي الحديث جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها . وحيث كان امر الصفات القلبية التي لا قدرة للانسان على دفعها بالتكليف لدفعها او اثباتها تكليف بما لا يطاق وهو وان جاز عقلا كما تقرر في الوصول الا انه لم يجز شرعا كما صرح به ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات فما معنى التكليف بهذه الاشياء امرا ونهيا حتى يترتب على ذلك الثواب والعقاب ؟

قلت قرر ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات انه اذا ظهر من الشارع في باديء الرأي القصد الى التكليف بما لا يدخل تحت قدرة العبد فذلك راجع في التحقيق الى سوابقه او لواحقه او قرائنه . فقول سبجانه وتعلي « فلا تموتن الا وانتم مسلمون » وقوله صلى الله عليه وسلم كن عبد الله المقتول ولا تكن عبد الله القاتل . وقوله صلى الله عليه وسلم لا تمت وانت ظالم . ليس المطلوب منها الا ما يدخل تحت القدرة وهو الاسلام والكف عن القتل وترك الظلم . فان الاوصاف التي طبع عليها الانسان كالشهوة الى الطعام والشراب لا يطلب برفعها ولا ما غرز في الجيلة منها فانه من تكليف ما لا يطاق ومنله لا يقصد الشارع طلبا له ولا نهيا عنه ولكن يطلب قهر النفس على الجنوح واثيل الى ما لا يحل وارسالها بقدر الاعتدال في ما يحل فيكون التكليف بها راجعا الى ما ينشأ من الافعال من جهة تلك الاوصاف وهو داخل تحت كسب المكلف اه وبناء على هذا فكون المخاطبين مأمورين بان يكونوا اخوانا ومنهين عن البغض والتدابير والحسد فانما هو باعتبار ما يسبق ذلك او يلحقه فان الامر بما ذكر انما هو امر بالمعاملة والمعاشرة التي تكون على وجه معاملة الاخوان ومعاشرتهم في المودة والرفق والشفقة والملاطفة والتعاون في الخير مع صفاء القلوب والنصيحة بكل حال كما قرره النووي في شرح مسلم والنهي عن البغض انما هو نهي عن الاهواء المضلة الموجهة له . قال الغزالي في الاحياء : وذلك مثل الممارات والمضادة في المقاصد والغدر والهزل بالغير والتعير وغير ذلك . والنهي عن الحسد نهي عما يلحقه من البغي والظلم بالجوارح من اللسان وغيره ولذا قال صلى الله عليه وسلم اذا حسدت فلا تبغ الحديث . ثم قال ابو اسحاق الشاطبي : ان الصفات القلبية على قسمين منها ما كان نتيجة عمل كالعلم والحب فان تحصيل العلم بالنظر المتقدم عليه وتحصيل الحب بالنظر في نعم المنعم وكثرة احسانه للمنعم عليه ومثل هذه الصفات يتعلق بها الثواب والعقاب من حيث انها مسببات عن اسباب مكتسبة . ولا

يقال كيف يثاب أو يعاقب على ما لم يفعل . لانا نقول ان الثواب والعقاب انما ترتب في الحقيقة على ما فعله وتعاطاه لا على ما لم يفعله لكن الفعل يعتبر شرعا بما يكون ناشئا عنه من المصالح او المفساد ومنها ما كان فطريا أي جبليا طبع عليه الانسان وذلك مثل الشجاعة والجهن والاناة والعجلة ومثل هذه الصفات يتبعها بلا بد افعال اكتسابية فالتكليف بها تكليف بالافعال الناشئة عنها لا بما نشأت عنه تلك الافعال من تلك الصفات فالثواب والعقاب على تلك الصفات من حيث تلك الافعال لا من حيث ذاتها لان الثواب والعقاب لا يتعلقان بما هو غير مقدور للمكلف . وما ورد في الشريعة من تعلق الحب والبغض بها كقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب الشجاعة ولو على قتل حية . وقوله صلى الله عليه وسلم : ان الله يحب معالي الاخلاق ويكره سفاسفها ونحو ذلك فذلك من حيث متعلقاتها من الافعال فان الحب والبغض اما راجعان الى صفات الافعال على رأي قوم ومعناها الانعام والانتقام . واما راجعان الى صفات الذات كإرادة الانعام والانتقام على رأي آخرين . وعلى كلا الوجهين فهما راجعان للانعام والانتقام . وهما عين الثواب والعقاب . فيكون تعلقهما بهذه الاوصاف من حيث متعلقاتها التي هي افعال اكتسابية

والعطف في قوله : وكونوا عباد الله اخوانا من باب عطف اللزوم . لانه يلزم من نهيم عن الامور المذكورة امرهم باضدادها . ويجمع ذلك قوله : وكونوا عباد الله اخوانا . وصرح به لزيادة الاهتمام بعقد المودة بين المسلمين

وقوله صلى الله عليه وسلم : ولا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاثة أيام : قال النووي : في شرح مسلم قال العلماء في هذا الحديث تحريم الهجر بين المسلمين اكثر من ثلاثة ايام واباحتها في الثلاثة . والاول بنص الحديث والثاني بمفهومه على مذهب من يحتج بالمفهوم . قالوا وانما عفى عن الهجر في الثلاثة ليذهب ذلك العارض . قال في الارشاد وذلك لان الغالب ان ما جبل عليه الانسان من الغضب ونحوه يزول عن المؤمن او يقل بعد الثلاثة بخلافه فيها

واما على مذهب من لا يحتج بذلك فليس في الحديث دلالة على اباحة الهجر في الثلاثة قال الابي في شرح مسلم : فيكون حكم الهجر في الثلاثة مسكوتا عنه فيطلب في الشرع اه قلت لم أر من نقل من شراح الحديث ولا من اصحابنا في كتبهم نصا في اباحة الهجر في الثلاثة وحيثئذ فنرجع الى قاعدة هل الاصل في الاشياء الاباحة او التحريم او التوقف ؟ قال في الاشباه : ذهب الشافعي الى ان الاصل في الاشياء الاباحة حتى يدل الدليل على عدم الاباحة . قال الامام النسفي في شرحه للنار : وهو مذهب بعض الحنيفة ومنهم الكرخي . وذهب بعض اصحاب الحديث الى ان الاصل فيها الحظر ونسب هذا القول الى ابي حنيفة . وذهب اصحابنا الى ان الاصل فيها التوقف بمعنى

الفتاوى والاحكام

الوقف في الاسلام

بقلم الاستاذ العلامة الهمام سيدي محمد
ابن يوسف شيخ الاسلام الحنفي

أصل الوقف بنوعيه الخيري والاهلي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم روى الامام الخصاص بسنده الى سعد بن معاذ ان اول حبس في الاسلام صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسنده الى المسور بن رفاعه عن ابن كعب انه قال اول صدقة كانت في الاسلام وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لابن كعب الناس يقولون صدقة عمر اول . فقال قتل مخيريق باحد على راس اثنين وثلاثين شهرا من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) واوصى ان أصبت فاموالي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقبضها رسول الله صلى الله عليه وسلم وتصدق بها . وهذا قبل ما تصدق به عمر وانما تصدق عمر بشمع (٢) حين رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر سنة سبع من الهجرة . وبروايته عن محمد بن بشر بن حميد عن أبيه قال سمعت عمر بن عبد العزيز في خلافته يقول سمعت بالمدينة

أنه لا بد من حكم لكذا لم تقف عليه بالعقل .

وقال صاحب الهداية في فصل الحداد : ان الإباحة اصل . ويظهر اثر الخلاف في المسكوت عنه اهـ
وحيث لا نص في المسألة تجري على هذا الخلاف كما لا يخفى

ثم انه اختلف فيما تنقطع به الهجرة . فقال اكثر العلماء ان الهجرة تزول بمجرد السلام ورده . وبه قال مالك في رواية عنه ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم المروي في صحيح البخاري وغيره : لا يحل لرجل ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام . وقال أحمد بن حنبل وابن قاسم لا يبرأ من الهجرة الا بعودة الى الحال التي كان عليها اولاً وفي قوله اخاه اشعار بالعلية ومفهومه انه ان خالف هذه الشريطة وقطع هذه الرابطة جاز هجرانه فوق ثلاثة . فان هجرة اهل الاهواء والبدع دائمة على مر الاوقات مالم تظهر التوبة والرجوع الى الحق . وصرح الطبري بجواز هجرة اهل المعاصي وهم الفساق

والتقييد بالمسلم في الخطاب لانه هو الذي يقبل الخطاب ويستفيع به بخلاف الكافر فانه لا يتفيع به اصلاً ما دام على الكفر . وهذا شامل لكل خطاب فيشمل خطاب الدعاء المأمور به في قوله سبحانه وتعالى : ادعوني أستجب لكم . اهـ

(١) في السنة الثالثة (٢) الارض التي اصاها من خيبر كما ياتي عن صحيح البخاري

والناس بها يومئذ كثير من مشيخة المهاجرين والانصار ان حوايط رسول الله صلى الله عليه وسلم السبعة التي وقف (١) من اموال مخيريق ثم دعا بتعمر منها وقال كتب الي ابو بكر بن حزم ان هذا التمر من العنق (٢) الذي كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل منه وبسندة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث صفايا وكانت بنو النضير حبسا لنوائبه وكانت فدك لابن السبيل وكانت خيبر قد جزأها ثلاثة اجزاء جزء للمسلمين وجزء كان ينفق منه على اهله فان فضل منه رده على فقراء المهاجرين (٣) اهـ . وفي هذه الاخبار وامثالها ملاح من النظر ومواهب الاجتهاد منها عدم اشتراط الحوز وجواز الوقف على النفس وجواز ولاية الواقف كما هو قول ابي يوسف في المسائل الثلاث

اما وقف سيدنا عمر رضي الله عنه ففي صحيح البخاري من كتاب الشروط بسندة الى ابن عمر رضي الله عنهما ان عمر بن الخطاب اصاب ارضا بخيبر (٤) فأثنى النبي صلى الله عليه وسلم ليستامره فيها فقال يا رسول الله : اني اصبت ارضا بخيبر لم اصب مالا قط انفس عندي منه بما تأمرني به . قال ان شئت حبست اصلها وتصدق بها . قال فتصدق بها عمر لا تباع ولا توهب ولا تورث وتصدق بها في الفقراء والقريب وفي الرقاب وفي سبيل الله وابن السبيل والضيف لا جناح عن وليها ان يأكل منها بالمعروف ويطعم غير متأكل . وفي رواية ويطعم صديقا . ورواه ايضا في كتاب الوصايا بعدة اسانيد في بعضها فقال عليه الصلاة والسلام تصدق باصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث ولكن تنفق ثمرته

وفي هذا الحديث دليل لابي يوسف على عدم اشتراط الحوز وروى الخصاص بسندة الى سالم بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن عمر انه كان يأكل من صدقته ثمع وفيه دليل لابي يوسف في الوقف على النفس

وقد كتب عمر رضي الله عنه في خلافته كتاب صدقته كما رواه ابو داود من طريق يحيى بن سعيد ورواه الخصاص بسندة الى جابر بن عبد الله قال لما كتب عمر ابن الخطاب صدقته دعا نفرا من المهاجرين والانصار فاحضرهم ذلك واشهدهم عليه فانتشر خبرها قال جابر فما اعلم احدا كان له مال من المهاجرين والانصار الا حبس مالا من ماله صدقة مؤبدة لا تشتري ابدا

وقد جاءت الآثار تترى في اوقاف الصحابة رضي الله عنهم من ذلك صدقة ابي بكر الصديق رضي الله عنه فانه حبس رباعا كانت بمكة لا يعلم انها ورثت عنه وكان يسكنها من حضر من ولده وولد ولده ونسله . وعثمان بن عفان رضي الله عنه وقف ماله بخيبر على ابنه إبان . وعلي ابن ابي طالب رضي الله عنه تصدق ببنع . وكان علي بن الحسين يأكل من ثمرها . والزيير بن العوام رضي الله عنه حبس دارة على بنيه . وغائشة أم المؤمنين رضي الله عنها حبست دارا السكنى فلان وكذا حبست من امهات

(١) اي وقفها بحذف المفعول (٢) بالفتح النخلة (٣) وهو الجزء الثالث (٤) وهي ثمنع

المؤمنين حفصه وأم حبيبته وصفيه رضي الله عنهم . وحبس معاذ بن جبل رضي الله عنه الدار التي تعرف بدار الانصار . وزيد بن ثابت وخالد بن الوليد وسعد بن عباد وغيرهم من المهاجرين والانصار رضي الله عنهم اجمعين

أما ما روي عن الزهري ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لولا أني ذكرت صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم لرجعت فيها فإنه إنما يدل على أن الوقف عنده جائز غير لازم لا على أنه غير جائز أصلا لان قوله لولا اني ذكرت صدقي لرسول الله صلى الله عليه وسلم صريح في أن المانع من الرجوع هو محبة الاستمرار على ما ذكره للنبي صلى الله عليه وسلم ولو كان غير جائز لم يمتنع من الرجوع

وبالحيلة فإن اصل الوقف ثابت بالسنة قولاً وفعلاً وعليه عمل جم غفير من الصحابة وناهيك بالخلفاء الراشدين رضي الله عنهم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وبعده . ومن ثم لم يختلف أئمة الدين وعلماء الشريعة ولم يرد عن واحد منهم في رواية صحيحة وعبرة صريحة أنه ليس بجائز وإنما اختلفوا فيما وراء الجواز على حسب ما ترجح عند كل مجتهد من المعاني المستفادة من الاحاديث والآثار

فقال ابو حنيفة الوقف جائز غير لازم ولا يزول به ملك الواقف فيساع ويوهب ويورث واستدل على ذلك بأمر أحدها حديث لا حبس عن فرائض الله بناء على أنه لبيان أن الحبس لا يمنع الفرائض لانه غير لازم ولا يزول به ملك الواقف فيورث بعد موت الواقف على حسب الفريضة الشرعية . ثانيها قول القاضي شريح وهو من كبار التابعين جاء محمد (صلى الله عليه وسلم) ببيع الحبيس . الدال صريحا على عدم اللزوم بناء على أن مقصود شريح الإشارة الى ان شريعة من قبلنا جاءت بلزوم الحبس وشريعتنا جاءت بعدم اللزوم كما يشعر بذلك التعبير بالمجيء . ثالثها أن أوقاف الصحابة لا دلالة فيها على اللزوم لأنها إنما لم تورث ولم يقلل بيعها لان ما كان منها في زمان النبي عليه السلام احتمل أنه وقع قبل نزول آية الفرائض وما كان بعده احتمل ان ورثتهم أمضوها بالاجازة ومما يستدل به للامام أيضا ما رواه الزهري من ارادة سيدنا عمر رضي الله عنه الرجوع في صدقته لولا أنه ذكرها للنبي صلى الله عليه وسلم كما قدمناه انفا

نعم استثنى أبو حنيفة من عدم اللزوم صورتين صورة صدور الحكم باللزوم ممن يرى ذلك لان الحكم رافع للخلاف . وصورة ما إذا أخرجه مخرج الوصية كأن يقول إذا فقدت وقفت داري على كذا مثلا لانه في الحقيقة وصية فينفذ نفوذها بالموت هذه خلاصة مذهب أبي حنيفة ومجموع أدلته وقال جمهور الأئمة ومنهم ابو يوسف ومحمد الوقف بنوعيه جائز ولازم يزول به ملك الواقف بمجرد الصيغة عند أي يوسف وبسليمه للتولي عند محمد فلا يساع ولا يوهب ولا يورث

واستدل الامامان أبو يوسف ومحمد بامور احدهما قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمر كما في بعض طرق البخاري تصدق بأصله لا يباع ولا يوهب ولا يورث كما تقدم . ثانياً اشترط الصحابة في أوقافهم عدم البيع والارث كما سلف نقله ولم ينقل رجوعهم عنها ولا ارثها وذلك دليل اللزوم ، واحتمال التقدم أو إجازة الورثة الذي تمسك به أبو حنيفة لا دليل عليه . ثالثاً ان حديث لا حبس عن فرائض الله لا ينافي لزوم الوقف لانه لبيان مخالفة ما كانت عليه الجاهلية من السائبة والوصيلة ونحوهما لا لبيان أن الوقف لا يمنع الفرائض وأنه يورث ولو كان كذلك لكأن الصدقة بل الهبة بل الوصية مثله فان الجميع حبس عن الفرائض عاقبة عن الميراث . وكذلك قول شريح بيان لمخالفة الجاهلية لا لعدم اللزوم على أن الحديث رواه الشعبي موقوفاً عن علي رضي الله عنه ، ورواه الدارقطني بسند فيه عبد الله ابن لهيعة عن اخيه وهما ضعيفان وأيضاً فان الآية الفرائض كما قال الحافظ ابن حجر مقدمة على أمر النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بالوقف لان الامر كان بعد خيبر سنة سبع

وها هنا نقف بالباحث عن ماثرات الخلاف بين المجتهدين ليتأمل ساعة في منزع كل من الفريقين في حديث لا حبس عن فرائض الله وفي قول شريح جاء محمد ببيع الحبيس وكل منهما بجوهرة واحد فترجح عند أبي حنيفة احتمال الدلالة على نفي اللزوم وصحة الحديث وترجح عند الامامين احتمال الدلالة على مخالفة ما كانت عليه الجاهلية من السائبة والوصيلة ونفي ذلك في الاسلام وضعف الحديث وهذه نقطة من يم واسع الاطراف في مدارك الخلاف . والمرجح هو قول الجمهور لان الاحاديث والآثار متظافرة عليه قولاً وفعلًا من صاحب الشريعة صلوات الله عليه وعملاً من أصحابه رضوان الله عليهم وبه العمل في سائر الامصار وإنما اختلف المجتهدون في بعض شروط الوقف شرعاً ومدلولات نصوص الواقفين بحسب ما ترجح عند كل واحد من المعاني المستفادة من الاحاديث ومن النصوص مما يسعه اللفظ وطريق الاجتهاد ، والسلام .

(سؤال)

الى فضيلة الامام شيخ الاسلام المالكي ينشر على صفحات مجلتنا الفيحاء ادام الله النفع بها ليجيبنا عنه فضيلته :

يروى بعض الرواة ان اول من كتب الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها (آدم) عليه السلام قبل موته بثلاثمائة سنة ، كتبها في طين وطبخه ، فلما اصاب الارض الفرق وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فاصاب (اسماعيل) عليه السلام الكتاب العربي وروي ان (ابن عباس) رضي الله عنه يقول : اول من وضع الكتاب العربي (اسماعيل) عليه السلام ، وضعه على لفظه ومنطقه

ويذكر بعض المؤرخين ان اهل اليمن كان لسانهم حميرياً واليه تنسب لغتهم فيقال لغة حمير وقد كثر اللجاج في هذه العصور المتأخرة بعد الاكتشافات الانثوية فمن الناس من يقول ان اللسان الحميري هو من اللهجات العربية ، ومنهم من يقول انه اخو العربية تفرع من السامية اصالة ، والرجاء امانة اللسان عن صبح الحقيقة ليعلم الناس الغث من السمين ، واتم المرجع الذي يلتجأ اليه ، وبيان يشفي ما في الصدور ، ويزيل الالتباس

(.....)

التعاضد المتين

بين العقل والعالم والدين

بقلم العلامة الحجة الشيخ سيدي محمد
الحجوي وزير المعارف بالسلطنة المغربية

ما اختلفت فيه طوائف الاسلام كيف يمتثل

غير خفي ان أكثر الخلاف بين الطوائف الاسلامية منشؤه أن زعيما يرى رأيا فلسفيا يتحل له دليلا شرعيا متمسكا بما فيه من عموم أو إطلاق أو إجمال يعتقد اتباعه فيصير لهم يقينا يقاتلون عليه وعقيدة يحملون رايها ويصير لدى متأخريهم كأنه ديانة بشرية ورسول غير انهم يتجنبون ادعاء الاستقلال واسم ديانة واسم الرسول تقية من سيف الاسلام وهكذا يرى ضد ذلك مخالفة كما وقع بين المعتزلة والجبورية وبين الرافضة والخوارج في مسائل خلق الافعال وصفات العالي وغير ذلك وما كان سبيله هذا فتحن في حل من وجوب اعتقاده والعقائد لا تكون تقليدا للزعماء الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا والذي يجب على المسلمين اعتقاده هو ما صرح به الكتاب أو السنة القطعيان أو وقع عليه اجماع صريح كما اننا لا نكفر من اعتقد منهم شيئا من ذلك اذ هم من الكفر فروا ولنا ملء الحرية في النظر والبحث عن الدليل الصحيح . لذلك اقول انني لا اجراً ان اصف الله الا بوصف وصف به نفسه في كتاب او سنة متواترة مع الصراحة فيها او اجمع عليه المسلمون اجماعا صريحا قوليا لا ادعائيا . كما انني لا انفي عن الله من الصفات على سبيل التعيين الا ما كان ذلك سبيله وكل ما لم يثبت او ينفي بهذه الطريق فنسكل أمره الى الله سبحانه مقوضين . فواصف الله (١)

(١) كذلك صفات النبي توقيفية ما سمع منها بطريق يقيني قال وما لا فلا لان صفات الرسل من جملة المعتقدات وسبيل المعتقدات هو اليقين حكى الاجماع على ذلك الغزالي ونقله ابن القيم والزرقاني في شرح الموطا فليس لكل من ظهر له وصف ظنه كمالا للنبي وصفه به وان لم يرد معتمدا قول البوصيري

دع ما ادعته النصاري في نبهم * واحكم بما شئت فيه مدحا واحتكم
فليست البردة كتابا منزلا وانما جرت على قاعدة الشعراء في المدح فليس لنا ان نتخذها
برهانا قطعيا بل علينا البحث عن دليلها . فمن يصف النبي صلى الله عليه وسلم بان العوالم في
طي قبضته وان الله فرض له التصرف في مملكته - وهو قول طائفة ضالة تسمى المفوضية كما في كتاب
مقالات الاسلاميين للاشعري - فذلك في عهده ومطالب بدليل قطعي كمن نسب اليه العلم الاحاطي
كعلم الله تعالى مع ان القرآن ناطق بخلافه والسنة طافحة بضده فالواجب على اهل العلم ان يعلموا
ان صفات النبيين من جملة المعتقدات التي لا تثبت الا بدليل سمعي يقيني وما سوى ذلك منبوء .
وقد اشبعت القول في ذلك في كتابي (برهان الحق في الفرق بين الخالق والخلق) واشبعت القول
في المسألة الاخيرة في تاليف في الرد على التجموعتي الذي نسب للنبي صلى الله عليه وسلم علما احاطيا
كعلم الله

تعلّى توقيفية على القرآن أو السنة المتواترة لا يستقل العقل بها ثم ان كل ما كان بهذه الطريق اثباتا أو نفيا لا تجده قط متعارضا مع ما دلت عليه العقول دلالة قطع ويقين بحال .

فلسنا نستطلع الغيب ولا نصف الله بما توهمه الفلاسفة وصفا له زاعمين قيام ادلة عقلية على ذلك اثباتا ولا نفيا . نعم اثبات وجوده تعالى والوحيته و وحدانيته وحكمته دلت الشواهد العقلية والحسية التي هي مصنوعاته على ذلك دلالة مشاهدة وايدها القرآن والسنة والاجماع .

فليس الحق سبحانه شرعة لكل وارد : كيّفه الخاطر والوارد ولا مما تصل اليه أو هامهم أو تكيفه عقولهم . فالفلسفي الذي يصور إلها بعقله كالوثن الذي يصور وثنا بيده ، وانما تفقه الفلاسفة قياس للغائب على الشاهد الحادث . ورجم بالغيب . لكن المقام اعلى . والجناب أسمى . والحق أبلج . ولسان القاصر لجلج . فقد وصف نفسه في كتابه بالجبار المتكبر . وقال يضل من يشاء . وقال يخادعون الله وهو خادعهم . وذلك في المخلوقين ليس بكمال . قال تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار . فنحن برآء اليه ان نصفه على سبيل التعيين الا بما وصف به نفسه . نعم نصفه بوصف عام وهو كل كمال يليق بجلال الآله الحق . وننزهه عن كل نقص . ليس كمثل شيء . وهو السميع البصير . فمن اثبت له الالتذاذ أو الذوق أو الشم قياسا على الخلق لكونه كالا فيهم . أو نفى عنه صفات المعاني كالعلم والكلام والسمع والبصر زاعما قيام الدليل القاطع العقلي على الاثبات والنفي فليس بشيء . وادلتهم واهية وفكرتهم واهمة وهي تقليد للفلاسفة فقط وفي نظري ان فلسفة الآلهيات عند اليونان أو غيرهم انما هي احتمالات أوجبها جهلهم بالنبوات فاصبحوا يستوحون عقولهم التي ليست لها طائرات تحلق حول ما ليس من عالمهم فضلوا وضل تبعاء لهم معتزلة الاسلام ومن نحى نحوهم . والله يقول : أنزله بعلمه . كما نبرأ من تمحل بعض المحدثين وجودهم حيث قالوا : انه متكلم اذا شاء بكلام ذي حروف واصوات . ومقام ذي العزة والجبروت اجل واكمل عن ان تصل اليه العقول المففصة في عالم ضيق . عقول محتاجة الى كثير من النضوج لا يتم الا في ملايين من السنين

أنى للسماك في قعر البحر والجنين في بطن الام والنطفة في الصلب ان تحقق العلوم الفلكية وتدقق المسائل الطبيعية فضلا عن الاستبداد بمعرفة الصفات الآلهية والتهجم على استنباطها قياسا على المخلوقين ❁

عجبا كيف غفل الفلاسفة عن عجزهم عن الوصول لحقائق الكون البسيطة وهم منه وهو مخلوق مثلهم حتى اختلفوا في علم الهيئة وتبين جهلهم في كثير من الفروض والتقديرات التي قدروها . وهو علم تدرك اصوله بالبصر والحساب المدقق . عجزوا عن الاتفاق فيه واختلفوا فيه اختلافا منتشرا واصبح متأخرهم يضحك من متقدمهم بل تبين في بعض مسائله اصابة المتقدم وخطأ المتأخرين وان تعجب فعجب من كون كل طائفة تدعي ان مذهبها يقين قامت عليه البراهين ثم يتبين

الخطا الصراح ، هذا في علم هو اوثق معلومات الفلاسفة . فيالله وبالحال من ضعف عمول لم تحسن تصور ما تراه ويعينها البصر والآلات على تصوره . فكيف يمكننا ان تقلدهم في دعواهم الوصول الى كنه من يزعمون هم انفسهم انه لا تمكن رؤيته .

كلا ان الانسان مجبول على الانانية وعلى الدعوى العريضة انه ذو حول وطول ومعرفة كاملة توصله الى فهم كل شيء وهو في بحر الجهالة تائه . لقد ضيعوا وقتا نفيسا طويلا في علم الآليات فجلبوا مقتهم بأنانيتهم وواقفوا العالم معهم في ارتباك وجدال .

كل الطوائف الاسلامية من معتزلة ورافضة وغيرهم ياتي زعيمها بفكرة عقلية يتلقفها عن الفلاسفة او عن عقله ويتحلل لها دليلا شرعيا كما سبق فياتي اتباعه فيمنونها بخلاصة البيان خطايات وشعريات يصيرونها براهين ، ويدعون ان مذهبهم الحق الواضح ، والنور الفاضح ، والقطعي الذي ليس بعده يقين يناهضه ، وكل طائفة تدغي صراحة النصوص لجانبها والاجماع الصريح والتواتر الذي لا امتراء فيه . ثم اذا نقد الناقد البصير الغير المتحيز وعرضها على محك النظر وجدها كسراب بقيعة يحسبه الظمان ماء وليس هو شيئا .

لقد احتدم الجدال في خلق الافعال وتمائل الاجسام وبقاء الاعراض وانتقالها وهل هناك خلاء ؟ وفي وجود الجوهر الفرد ، وكون الموجود منحطرا في الجسم والعرض او هناك ما يسمى بالمجردات الى غير ذلك ولم يحصلوا على طائل . ولو انهم اتخذوا هذه المسائل وسائل لما وضعت له من كشف حقائق الكون لخدموا العلم خدمة حلي . ولكنهم اغفلوا ذلك وراموا التوصل بها الى المكون قابعدوا النجمة ووقعوا في متاهة ومجاهل حارت فيها افكار المتقدمين وجرف سيلهم المتأخرين .

ضيعوا اوقاتا نفيسة في جدالات عقدوا لها مجالس ومؤتمرات لو صرفوها في تحسين حال العلم والمجتمع لكان انفع . وذلك بترقية المدارك والاكتشاف والاختراع في العلوم الطبية والكيميائية والميكانيك والفلاحة والصناعة وكل نافع نفعا حقيقيا بل وفي العلوم الادارية لادارة الممالك الاسلامية الواسعة والمنتشرة من المشرق الى المغرب والتي اخلت باحتلال ادارتها واضاعة روابطها التي كانت أمتن رابطة بالعدل والعلم والتهديب والشورى ضد الاستبداد والتي يدفع بها عادية الظلم والاختلال الذي انهك دول الاسلام وجعلها في اخر صف بعد ما كانت في أوله بسبب اضاعتهم لوصايا القراءان الذي يحضهم على النظر في احوال الملكوت والممالك الارضية ولكنها السياسة كانت وراءهم تحركهم وتحرضهم وتجعل اتجاههم نحو الافكار العقيمة تشغلهم بها وبشخصياتهم عن المصالح العامة قبل ان يشغلوا بها فيغلوا ايديها بالباطشة العاشمة الانيمة . ولعل هذا سبب قللة الاختراع والاكتشاف في الاسلام . ثم نزيد تأكيدا لما قررناه قبل . وان كل ما اختلفت فيه الطوائف الاسلامية واصبح بعضهم يكفر بعضا ويدعى ان مذهبه هو البرهان العقلي اليقيني وغيره لا يسلم بذلك فنحن في حل من وجوب اعتقاده ولنا ملء الحرية في البحث عن الدليل من الكتاب والسنة اذ ليس علينا الاعتقاد ما وصف الله به نفسه في قرآن او سنة متواترة على ظاهرة مع كمال التنزيه .

(البقية بصحيفة ٣٥)

التأني

القضاء الشرعي

بقلم العالم المؤرخ أمير الامراء سيدي
محمد بن الحوجه مستشار الحكومة

اعلم أن راس الخطط الشرعية في الاسلام هي القضاء وأول من باشره معاذ بن جبل الذي كان بلسان النبوة أعلم الناس بالحلال والحرام فقد ثبت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه قاضيا الى الجند باليمن يعلم الناس القرآن ويقضي بينهم بالحق وكان ذلك عام فتح مكة المكرمة سنة ثمان للهجرة وجاء في كتاب التخريج والاستيعاب لابن عبد البر أن الخليفة الاول سيدنا ابا بكر الصديق عهد بالقضاء سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقال له : اقض بين الناس فاني في شغل . يعني في شغل بالنظر في مصالح المسلمين . والرواية التي اجمع عليها المؤرخون هو ان اول قاض في الاسلام اولاه الخليفة الثاني سيدنا الفاروق . قال ابن خلدون في المقدمة : وكان الخلفاء في صدر الاسلام يباشرونه « اي القضاء » بانفسهم ولا يجعلون القضاء الى من سواهم وأول من دفعه الى غيره وفوضه فيه عمر رضي الله عنه فولى ابا الدرداء معه بالمدينة وولى شريحا بالبصرة وولى ابا موسى الاشعري بالكوفة وكتب له في ذلك كتابه المشهور (١) الذي يدور عليه أحكام القضاة وهي مستوفاة فيه يقول : اما بعد فان القضاء فريضة محكمة وستة متبعة فافهم اذا ادي اليك فانه لا ينفع تكلم يحق لا نفاذ له ، وآس بين الناس في وجهك ومجلسك وعبدك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك ، البينة على من ادعى واليمين على من انكر والصالح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا ، ولا يمنع قضاء قضية أمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق فان الحق قديم ومراجعة الحق خير من التعمادي في الباطل ، الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك مما ليس في كتاب ولا سنة ، ثم اعراف الامثال والاشباه وقس الامور بنظائرها ، واجعل لمن ادعى حقا غائبا او بينة امدا ينتهي

(١) اتفق لي ترجمة هذا الكتاب لللسان الفرنسي في مدة الوزير المقيم الاسبق مسيو ريني ملي فلما اطلع عليه هذا الوزير وكان من المجاهرين بحب الاسلام واهله اعجب به ايما اعجاب وضمه لجموعة النصوص الفقهية والوثائق التاريخية والترانيب الادارية التي نشرها في كتاب جامع اشتمل على سائر النظم التونسية في عصر الحماية الفرنسية

اليه فان أحضر بيته أخذت له بحقه والا استحلت القضية عليه فان ذلك انفى للشك واحلى للعماء ،
المسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجلودا في حد او مجربا عليه شهادة زور او ظنينا في نسب او ولآء
فان الله سبحانه عفا عن الايمان ودرأ بالبينات ، وإيالك والقلق والضجر والتأفف بالخصوم فان
استقرار الحق في مواطن الحق يعظم الله به الاجر ويحسن به الذكر والسلام اهـ

ومما تقدم يتضح ان ثاني الخلفاء الراشدين ولى معه قاضيا بالمدينة للنظر في احوال المسلمين كما
وجه بقاضيين لاطراف المملكة الاسلامية اسوة بالنبي صلى الله عليه وسلم. ويستفاد مما ذكرنا قاعدة
شرعية أصلية وهو جواز انتصاب قاض للحكم بين الناس في نفس البلد الذي فيه الامير وقد جوزوا
ذلك لا ترفعا منهم عن مباشرة عامة الناس بل لاشتغالهم بامور السياسة العامة وما يلتحق بها من جهاد
وقتوحات وسد الثغور وحماية البيضة على ان اناة الخليفة للقاضي كانت في بداية امرها قاصرة على
النظر في بعض الاحوال دون سواها حتى إنه وجد في الدولة العباسية قضاة يحكمون فيما دون المائتي
درهم بما يشابه خطة قاضي الصلح الفرنساوي وحاكم الناحية التونسي لهذا الزمان من بعض الوجوه
وانما وقع التوسع في خطة القاضي بعد ذلك على التدريج بحسب اشتغال الامراء والملوك بالمهام الكبرى
الى أن استقر القضاء اخر الامر على الجمع بين السلطة الشرعية القضائية من فصل وحكم ونظر في
اموال المحجور عليهم من محانين ومفلسين ويتامى وسفهاء وفي وصايا المسلمين ووقوفهم وتزويج الايامى
عند فقدان الاولياء والنظر في مصالح الطرقات العامة والابنية وتصفح الشهود والامناء والنواب وبين النظر
في المظالم التي هي وظيفة مستمدة من سلطة الامير ، على ان خطة القضاء لحقت شأوا اسمى وابعد
من ذلك على عهد الدولة الاموية بالاندلس والدولة العبيدية بافريقية فقد أوكلوا لامانة قضاتهم النظر
في شؤون الحسبة العامة وهي وظيفة دينية من باب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض
على القائم بامور المسلمين فيتخذ اعوانا على ذلك ويبحث بمن المنكرات ويعزر ويؤدب على قدرها ويحمل
الناس على المصالح العامة في المدينة مثل منع المضايقة في الطرقات ومنع الجمالين واهل السفن من
الاجحاف في الحمل والحكم على المباني المتداعية للسقوط بهدمها وازالة ما يتوقع من ضررها على السابلة
والضرب على يد المعلمين في المكاتب ومعامل الصنائع في ضرب الصبيان فوق التريفة المشروعة التي
يحصل بها تأديبهم وحماية الحيوانات الالهية وزجر ارباب الدواب عن تحميلها فوق طاقتها أو ضربها
فوق اللازم وبيعها عليهم قسرا اذا لم يتقوا الحيوانية فيها فجمعوا بذلك للقاضي القسم الثاني من مقصد
الشرعية الذي هو حفظ الاداب زيادة على القسم الاول الذي هو حماية الحقوق

وكان العصر الحفصي بتونس أكثر العصور احتراماً واعتباراً للسلطة الشرعية حتى إنهم أضافوا
لخطة القاضي مهمة النظر في شؤون السكة واستخلاص عيار الذهب والفضة فكان لقضاتهم طوابع
يضعونها على المصوغات علامة على سلامة ذوقها من الغش وتقرير الغاية التي وقف عندها السبك مثلاً

يفعل اليوم اهل البلاد المتمدنة - وهذا زيادة على ما كان للقاضي من حق النظر على الشهود وتتبع سيرتهم وتوقيفهم عند حد خطة العدالة وتعزيرهم بالتوقيف عن المباشرة موقتا او نهائيا وطلب معاقبتهم من السلطان عند ارتكابهم للتدليس والزور - وقد قال سيدنا عمر ان الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن - ولم يستثن على القضاة في كل الدول الاسلامية الا مسائل القصاص والقود وما اشبه فيحكمون فيها ويتوقف تنفيذ حكمهم على الامير وتلك سنة عمرية تحفظا على الدماء .

وكانت علاقة القاضي بالدولة شديدة كعلاقة الوزير حتى ان الملوك كانوا يتخيرون قضاتهم اثر قبولهم للبيعة ليكون القاضي علقا بالامير ومن اهل سياسته . وقد اولى المامون القاضي احمد بن داود الذي كان على رأيه في مسألة القول بخلق القرآن . وفي بعض الاحايين كان الملوك يجمعون لقضاتهم بين خطة الوزارة وبين خطة القضاء بل وبينه وبين قيادة الجيش فقد كان اسد بن الفرات من أئمة المذهب الحنفي قائدا للجيش الفاتح لصقلية حيث جاهد ومات سنة ٢١٣ وكان ابن عاصم من فقهاء المذهب المالكي قاضيا ووزيرا بغرناطة . على ان الملوك كانوا في الكثير يجدون في انفسهم على القضاة فيسرون لهم العداوة ويترصون بهم الدائرة للايقاع بهم وربما استعانوا عليهم بالقوة والمال لاسقاط منزلاتهم واعتبارهم في عيوب الامة فيشيعون عليهم اخذ الرشوة ليهيج غضب العامة عليهم فيتخذونها فرصة للانتقام منهم وهكذا فعل اسد الدولة ابن مرداس سنة ٤١٥ ولنا في حديث شيخ الاسلام احمد بن تيمية وامتهانه على يد الوزير الجديد وفيما ارتكبه السلطان الحفصي محمد المستنصر بن ابي زكريا مع العالم المحدث ابي عبد الله محمد بن الابار القضاعي حيث سجنه وعذبه ثم امر بقتله قطعاً قطعاً وحرق جثمانه مع تأليفه وكتبه ما يغني عن ذكر امثلة اخرى في مقام انتقام الامراء من العلماء .

اما القضاة بافريقية اي بالديار التونسية فقد قال في معالم الايمان ان اول قاض بافريقية هو ابو الحليم عبد الرحمن بن رافع التنوخي من فضلاء التابعين ولاة موسى بن نصير قضاء القيروان سنة ٨٠ للهجرة وهو احد العشرة من التابعين الذين اوفدهم الخليفة عمر بن عبد العزيز لتفقيه اهل الآفاق بافريقية ومنه تسلسل القضاء بالقيروان الى ان تولاه الامام سحنون صاحب المدونة وسحنون هو الذي احدث مقصورة خاصة بجلوس القاضي حال انتصابه للحكم وهو اول من اتخذ اعوانا وجعل جرائتهم من بيت مال المسلمين وكان يستدعي المطلوب ببطاقة ولا يرسل له عوناً واتخذ كتابا في مجلس الحكم وضبط اساليب المرافعة بما عليه عمل قضاة تونس في هذا الزمان ومن سحنون انتقل القضاء لائمة اخرين من فقهاء القيروان فالمهدية فتونس فكان قاضي الجماعة مقره حاضرة تونس في اوائل المائة السابعة لاستقرار الدولة الحفصية بها وكان القضاة بتونس قبل ذلك يرجع امرهم لقاضي القضاء بالقيروان او لائم بالمهدية بعدها . ولما بويع بالخلافة للسلطان محمد المستنصر بالله الحفصي في سنة ٦٥٧ اعتنى بخطة القضاء اعتناء لم يعرف قبله فجعل اربعة من القضاة بتونس : قاضي الاهلة

وقاضي الانكحة وقاضي المعاملات وقاضي الجماعة وهو المسمى بقاضي القضاة وزاد بعد ذلك قاض آخر يلقب بقاضي الفريضة وهذه الخطط الشرعية التي عفت رسوم معظمها كان اقرارها في ازمان مختلفة فقاضي الاهلة كان موجودا في زمن الباي حمودة باشا الحسيني وقاضيا الانكحة والمعاملات اندمجا ضمن خطة قاضي الجماعة وقاضي الفريضة الغيت خطته في اوائل هذا القرن وءاخر من تولاها الشيخ الطاهر القصار المتوفى سنة ١٣١٤

واول من تلقب بقاضي القضاة في الاسلام هو الامام ابو يوسف صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان قاله ابن الاثير في كتاب الانساب .

ويستفاد من التواريخ التونسية ان الدولة الحفصية كما اسلفنا كان لها قدم سبق في الاهتمام بالقضاء والى سلاطينها ترجع مزية تعزيز خطة القاضي بالمفتي للمسترشدين فنصبوا من اهل العلم بالمسجد الجامع من مفتي الناس وبفقههم في الدين فكان الامام محمد بن عرفه الورغي مفتيا بجامع الزيتونة في (١) المائة الثامنة وكانت الفتوى في الصدر الاول يقوم بها كل من ءانس من نفسه علما وتقوى وغلق هذا الباب سدا للذريعة في المائة الرابعة وصار الانتصاب للفتوى بين الناس يتوقف على تقويض من الامير وكان جلوس المفتي للاقتاء بالمسجد الجامع كما اسلفنا ولم تفصل الفتيا عن الجامع الا في اواخر المائة الثامنة فكان حال العلم في المائة التاسعة في ادبار والدولة في تراجع وشباب الحفصيين أقل نجمه والهرم استحكم فيهم بتاصل الفتنة في ربوعهم وتوالي فتوحات العدو من الاسبانيول فيهم وما اشرف القرن التاسع على اعقابه حتى كاد ان ينقطع العلم من تونس لولا ان تداركها الله بالفتح الاسلامي على يد الوزير سنان باشا في سنة ٩٨١ وكان المذهب المالكي يومئذ هو المذهب السائد بأفريقية من عهد المعز ابن باديس الذي حل الناس على التمدد به وترك ما سواه من المذاهب انتفاء شر البدعة بظهور مذهب الشيعة في المائة الحامسة وكان المذهب الحنفي قبل ذلك هو اظهر المذاهب بأفريقية فيما حكاه القاضي ابن خلكان وغيره من المؤرخين ، فلما انتصبت الدولة العثمانية بتونس في اواخر المائة العاشرة اقام الترك بمنصب الاحكام الشرعية قاضيا حنفيا ياتون به من بلادهم ثم يبدلونه بعد ثلاث سنين بقاض جديد من الاتراك - وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يبدل قضاة بعد اجل معلوم كعامين او نحو ذلك - وقال في بعض التواريخ التونسية ان متولي القضاء في مدة السلطان الحفصي ابي عمرو عثمان بن محمد ابن ابي فارس عبدالعزيز كان لا يبقى في خطة القضاء بجهة اكثر من ثلاث سنين ثم ينتقل بجهة اخرى الى ان يتصدى لقضاء الحاضرة ثم يتصدر للفتوى والشورى بين الناس . وعبارة الشورى في استعمالهم اذاك تدلنا على وجه تسمية المفتي الاول المالكي بكبير اهل الشورى الى عهد متأخرة . الى هنا انتهى بنا الكلام في هذا الدور الاول من تاريخ القضاء الشرعي بتونس وسنتحدث في الاعداد القابلة ان شاء الله على التطورات التي تتواتر بعد ازدواج السلطة الشرعية ابتداء من تاريخ قيام المذهب الحنفي الى هذا الزمان وكل ءات قريب .

محمد بن الحوجه

(١) يسر الله لي في هذه الايام اتمام تاليف اسميته تاريخ معالم التوحيد في القديم وفي الجديد تضمن شتى الاخبار في موضوع الكلام على اهل الفتوى بجوامع تونس على عهد الدولة الحفصية وهو الآن تحت الطبع وسيظهر قريبا ان شاء الله

صلة تونس بالدولة العلية

صفحة من تاريخ تونس

بعثة خير الدين للاستانة

(*)

في سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم (الدكتور) في الحقوق امير
الامراء سيدي محمد صالح مزالي عامل بنزرت

في الثاني عشر من ماي سنة ١٨٨١ الموافق للثالث عشر من جمادى الثانية سنة ١٢٩٨ تمت مهادنة القصر السعيد بامضاء المولى المشير الثالث محمد الصادق باي والجنرال بريار مفوض الجمهورية الفرنسية وبمقتضاها انتصبت حماية فرنسا على المملكة التونسية - فعمما اشتملت عليه من الشروط ما جاء في الفصل السادس منها ان نواب فرانس في الاقطار الاجنبية من سفراء وقناصل مكلفون بحماية المصالح التونسية والاشخاص التابعين للايالة - بحيث إن ممثلي الدولة الحامية المستقرين في مختلف الامصار يصح اعتبارهم في آن واحد بصفة نواب دائمين لدولة سمو الباي دام له العز والبقاء اما قبل الحماية فلم يعتمد ملوك تونس إفاد من يمثلهم بصفة مستمرة لدى الدول الاجنبية بل كانوا يقتصرون على تشكيل بعثات إستثنائية كلما دعت الحاجة لذلك منتخين أفرادها من رجال البلاط تارة وأخرى من علماء الدين مثل الشيخ المحقق سيدي ابراهيم الرياحي الذي أوفده حمودة باشا للمغرب الأقصى ثم المولى احمد باي الى الاستانة

وممن زان البعثات التونسية في القرن الاخير الوزير خير الدين الناصح الامين - توجه اولاً للديار الباريزية سنة ١٢٠٧ للدفاع عن مصالح تونس لدى اللجنة المكلفة من طرف الحكم نابليون الثالث - بالنظر في الخلافات الواقعة بين الايالة ومحمود بن عياد - فأظهر من الحزم والاجتهاد ما قمع به المساعي الاثيمة التي كانت ترمي إلى استلاب الاموال التونسية وبالرغم عن تمسك محمود بن عياد بالجنسية الفرنسية ومحاولته على تجنيس الوزير مصطفى خزندار نفسه تمكن نائب سمو الباي من استصدار حكم بخفض خمسة وخمسين مليوناً « ريبالات » يدعي ابن عياد انه سبقه على حساب الدولة التونسية وجبره أيضاً على أداء أربعة وثلاثين مليوناً للصندوق التونسي

هذا الموضوع طالما تشوقت له النفوس متطلعة عما ادته سفارة الوزير خير الدين لدى الباب العالي والمهمات التي قام بها بين حكومة الباي والباب العالي سيما وقد ضعفت الصلة التي تربط تونس بالدولة العلية على عهد المشير احمد باشا الاول وهل كانت سفارات خير الدين القصد منها اعتراف الحضرة العلية بالسيادة العثمانية على الديار التونسية ؟ ذلك ما ستحدثنا عنه هذه الوثائق التاريخية الثمينة

ثم تكرر توجيه هذا الوزير الخطير من طرف الحكومة التونسية في مناسبات مختلفة لدى ممثلك - المانيا وفرنسا وانقلترا وايطاليا والنمسا والسويد وهولندا او الدنمرك وبلجيكا ولا شك ان ما شاهدته في سفراته العديدة وما اكتسبه اثناءها من التحنك والخبرة هو الذي أهله لتأليف كتابه المشهور « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك »

ومن أهم ما أنيط بعهدة خير الدين من المأموريات السياسية التفاهم مع رجال الدولة العلية العثمانية في شأن ضبط العلائق بينها وبين الدولة التونسية وتقرير ما حصل عليه آل البيت الحسيني المعمور من الاستقلال النسبي مع اثبات ما لهم على العرش التونسي من حق الوراثة خلد الله ملكهم مدا العصور وأسعد البلاد بعزهم - فتوجه الوزير خير الدين للاستانة مرتين في هذا الغرض الاولى سنة ١٢٨١ والثانية سنة ١٢٨٨ ولما رجع ظافرا غانما اقبله المولى الصادق باي بكل حفاوة وأجزل عطاءه ومما تفضل به عليه جارية عمرية قدرها خمسون الف ريال وهنشير « النفيسة » المشهور زيادة عما قلده من الاوسمة المرصعة . واليك بعض الوثائق المتعلقة بهاتين البعثتين :

« ١ »

تعيين خير الدين للبعثة الاولى

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

(الطابع السعيد)

من عبد الله سبحانه المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه المشير محمد الصادق باشا باي سد الله تعالى أعماله وبلغه أماله الى الهمام المفخم امير الامراء الوزير ابننا خير الدين ادام الله تعالى حفظه وأجزل من السعادة حظه اما بعد فاننا بمقتضى ما نتحققه من صدقك وامانتك وكفاءتك وجهناك للابواب العلية السلطانية العثمانية اعز الله تعالى نصرها وادام فخرها للكلام فيما يؤكده اصول عادتنا المألوفة المعروفة الآن وما تنفصل به مع الدولة العلية في ذلك بالكتابة فهو ماض في حقنا فوضنا لك في ذلك التفويض التام بحيث لم نستثن عليك في ذلك فصلا من فصول التفويض ولا معنى من معانيه واقمنك فيما ذكر مقام انفسنا تفويضا تاما عرفنا قدره والتمنا به والله اسأل لكم التوفيق والامداد وبلوغ الامل والاسعاد وكتب اواسط ١٦ جمادى الثانية من سنة ١٢٨١ احدى وثمانين ومائتين والف (وباسفله بخطه الشريف) صح من المشير محمد الصادق باشا باي

« ٢ »

التعريف بالوزير لدى الباب العالي

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الوزارة العظمى الصائبة المرمي والرتبة الشاحنة الشما وزارة الركن المنيح الاحمى فؤاد الدولة

وقطب مدارها والمجلي بميادين فخارها والحافظ لصولتها وءاثارها في سائر اوطارها ونازح اقطارها
 الصدر الاعظم المشير السيد محمد فؤاد باشا جميع الله تعالى بأرائه شمل اهل التوحيد حتى يستوي في
 جمى الخلافة منهم القريب والبعيد، اما بعد السلام المؤدى لحق المقام فقد كنا انهيئنا لجنايبكم الرفيع ورود
 كتابكم العظيم الوفادة الكثير الافادة الموضح لطرق الخير واسباب السعادة ومعه من المواهب السلطانية
 والفواضل الخاقانية ما قابلناه بما استطعنا من واجب الشكر كامثالها التي لا ينسى لها ذكر واجتمعنا
 مرارا بنخبة اقرانه لنباهة شأنه الدال على حسن اختياركم وسديد انظاركم المؤتمن على اسراركم
 السيد حيدر افندي وبلغ لنا عن وزارتك السامية مارعيناه وبعين البصيرة لحظناه ولقد احسن التقرير
 واوضح التفسير فيما كلفتموه بتبليغه الينا وشرح لنا مقصودكم من المصلحة التي افصح لنا عن رغبتكم
 فيها، والذي قرره لوزارتكم التي تلين الصعاب وتدينها وتغرس اصول السياسة وتجنّبها لتنال الملة من
 ثمراتها اقصى امانها، ان للعبد الفقير بفضل السلطنة العلية وعوائدها المرعية خدمة يرثها الخلف عن
 السلف على عادات معتبرة واصول مشهورة مقررة اقتضاها حال وضع هذه الايالة المخصوص التي لا
 تشابهها غيرها لاسباب يغني ظهورها عن الشرح وجري عمل السلاطين العظماء على تقريرها وصانوا
 فضلمهم عن تغييرها واشتهر علم ذلك في الجهات حيلًا بعد حيل وعلى ذلك التقرير اعتمادنا ونحن
 بهذه النعمة قانعون حامدون شاكرون وعلى طاعة الخلافة ماثرون وقد اقتضى الحال الذي بلغ
 عليه للدولة العلية والسلطنة الخاقانية تأكيد هذه العادة المقررة من السلاطين السادة القادة
 وكرم الخلافة يقتضي الزيادة لا النقصان على كل حال وفي كل اثناء تقوية للعصبة
 الاسلامية وان كانت على كل حال معتصمة بالسلطنة العلية محمية بيدها العلية القوية وحقوقها
 المعتمدة المرعية ولما كان المكتوب لا يتحمل استقصاء الفروع اوفدنا الى بابكم وعلي جنابكم مقام ابني
 الهمام المفخم الوزير امير الامراء خير الدين وادعنا لصدقه واماتته مارحونا تشريفه بالاصغاء اليه
 فيما يبلغه لجنايبكم عنا والله اسأل التوفيق والاسعاد ببلوغ المراد وهو حفظ الملة الاسلامية بكل قطر
 وبلاذ بقاء سلطان السلاطين واعانة وزيره المنزل من الدولة منزلة الفؤاد والسلام من معظم قدركم
 الفقير الى ربه تعالى المشير عبده محمد الصادق باشا بابي وفقه الله تعالى وكتب واسط ١٦ جمادى الثانية
 من سنة ١٢٨١ احدى وثمانين ومائتين والف (وباسفله الطابع السعيد)

« ٣ »

مكتوب موجه من الوزير الاكبر مصطفى خزنسدار
 الى الوزير خير الدين بتاريخ يوم الاحد الثاني عشر من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهمام المفخم امير الامراء الوزير السيد خير الدين حرسه الله تعالى السلام عليكم وبعد فانه

بلغنا مع الفابور الانكليزي كتابكم المؤرخ بيوم الجمعة ٢٧ من الشهر المنصرم وكتابكم المؤرخ بموافاه وقبل ذلك بلغنا التلغراف الذي وجهتموه على طريق كاليري وعلينا ما ذكرتموه كله وشكرنا الله تعالى على عافيتكم وبلوغكم لاسلامبول على خير وعرضنا ذلك على الحضرة العلية وسر مولانا دام عزه وعلا بما شرحتموه من عافيتكم وعلم ايد الله تعالى اعطاء الدولة بقدمكم وثناء الوزيرين عن السيرة واستغرابهما لما وقع حين سفركم وقبل هذا وجهنا لمالطة مكتوبا اولاً مع فابور انكليز لتعذر سفر الباجي بسبب احتياجه للاصلاح ومكتوبا ثانياً لها مع الفابور الباجي وكلاهما يصلانكم على يد الوكيل كما عرفتمونا واعلناكم فيهما بما عندنا من الاخبار والاحوال من حين سفركم لتاريخهما ونرجو انهما وصلا اليكم الآن الخ (١)

« ٤ »

تعريب مكتوب باللغة التركية من الصدر الاعظم للهولى الصادق باي
مؤرخ « في ١٠ كانون اول » الموافق للثالث والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله - المبعوث في هذه الوجهة صحة سعادة خير الدين باشا من المكتوب المشيري شاكر الآثار والاتفاقات السلطانية في خصوص الوقائع المكدره الاخيرة التي وقعت في ايالة تونس المحمية (٢) ومؤيدا لعبوديتكم وخصوصيتكم البهية مع مكتوبكم المرسل الى هذا المخلص المثني على ذاتكم العلية قد قدماهما للعتبة السنية الخاقانية وصارا معلومين عند حضرته الملوكية خلده الله على سرير شوكرته وجعله زينة لاريكة عدالته وخلافته التي هي مرجع الانام وملجأ الاسلام بحرمة حبيبته الاكرم عليه السلام مدى الدهور والاعوام فانه متخلق بفضل الله بالسجايا التي تستجلب وتستدعى دائماً رفاهية حال البرية من تبعة دولته العلية فلذلك يريد ويؤمل سعادة الحال واستراحة البال على الدوام والاستمرار لذاتكم وللمتتبعين الى سلسلتكم العلية وللعباد الذين حسن ادارتهم مودوع بيد حضرتكم السامية وانه ايد الله بعد تأثر وتأسف من ظهور ذلك الاختلال قد صار مسرورا من زواله والله الحمد على وجه السهولة في المدة الاخيرة كما انس من تعظيمكم قدر قيمة همته العلية ومسايعه المصروفة السنية في اندفاع هذه الحادثة الفجيعة. ثم ان السلطنة السنية مرادها الحقيقي ومقصودها القطعي على الوجه المحرر عبارة عما يستوجب بقاء الاستراحة في تونس وارتقاء عمرائها وتأسيس بناء الراحة والامن بها يوما

(١) بقية المكتوب وهو طويل الذيل تعرض لمواضيع شتى لا فائدة في نقلها هنا - كما ان المكتوب الموجه لمالطة موجود لدينا مع غيره من صادرات الوزير الاكبر الا ان الاستغناء عن نشره لا يخل بتفهم المسالة المبسوطة هنا

(٢) هذه اشارة الى نورة ابن غداهم والى قدوم حيدر أفندي مبعوث السلطان إذ أتى باعانة مالية قدرها مليون فرنك وكان قنومه مع قطعة من الاسطول التركي الذي التقى هنا بعدة اساطيل اروباية

فيوما لاهاليها وتبعتها ولاجل تمام حصول هذا الغرض الذي هو راجع وعائد اليها لا تتقطع عنها الهمة والاعانة في وقت من الاوقات والدليل الجديد العلني على صدق هذا المدعى رافعا ودافعا لما عسى ان يتوهم تقوية الامتيازات القديمة على وجه التجديد رسما وهي الخطبة والسكة يكون كل منهما باسم السلطان كما كانا في القديم لكونهما علامة علينية لارتباط اىالة تونس التي هي من الاجزاء المنتمعة للممالك العثمانية ارتباطا شرعيا بمقام الخلافة الاسلامية، والصنحق شكله ولونه المخصوص به الآن باقيا على حاله والمعاملات الارتباطية الجارية مع طرف الدولة العلية الى هذا الوقت تكون مرعية وجارية كما كانت وعلى بقاء هذه الامور ودوامها يكون امر الولاية على طريق الوراثية مخصوصا بسلسلتكم العالية كما كان وتكون انتم مستقلا بالتصرف في الولايات الشرعية والسياسية والعسكرية وفي العزل بمقتضى القوانين الموافقة للعدل وفي الادارة الداخلية لتلك الايالة موافقة للشرع العزيز ومطابقة للقوانين العدلية التي هي كافية لتأمين الانفس والاموال والاعراض وموافقة لمقتضيات الوقت والزمان ومرخصا في المعاملات المعلومة مع الدول المتحابة كما كان ولذلك للمتولي ان يبعث ويطلب الفرمان العالي ويعطى له على العادة، هذا ومهما وقع الاستدعاء والطلب من جنابكم السامي لصدور الامر العالي والفرمان الخاقاني فيما ذكر من الامور كلها المقررة اعلا يصدر لكم حسبما صدر الاذن العالي بذلك وبحسب المامورية تسارعنا لبيان هذا الحال لجنابكم بكل سرور يكون معلومكم ذلك وباطلاعكم على هذا المكتوب الدال على الخصوصية وبما يقرره لجنابكم خير الدين باشا شفاها يبين لكم ان نية السلطنة العلية منحصرة في الاصلاح والتأييد لايالة تونس ولذا تمكم السامية ومقصورة على تخليص الرابطة القديمة والتابعة الممتازة بمقر الخلافة العلية ومنع ما يوجب دخول الحلل والتنافر ويحصل لكم الحزم واليقين بها ولا اشتباه في انكم تستجلبون دائما محاسن انظار حضرة سلطان الاسلام التي توجب سلامة الدارين وتستوجب ذكر الخير لحضرتكم مدى الاعوام فلذلك اكتبنا بتحرير هذا القدر ورفعنا دعاءكم الى محل الاستجابة فليكن ما كتبناه رهين علمكم العالي والامر كله لمن له الامر

ادخال اللغة الايرانية في المعاهد العلمية الدينية بالازهر الشريف

قررت مشيخة الازهر ادخال اللغة الايرانية في برامج التعليم كلغة شرقية تقع دراستها في معاهد التعليم الثانوية في جملة اللغات التي تدرس بجامعة الازهر والقراء على علم ان قانون اصلاح التعليم بالازهر من جملة فصوله فصل يتعلق بدراسة اللغات الحية وآخر يتعلق بدراسة بعض اللغات الشرقية وعلى الاخص ما يتصل منها باللغة العربية وبالفعل تدرس الآن عدة لغات شرقية وغربية وها قد زيد على المقرر منها اللغة الايرانية، وللصاهرة بين العائلتين المالكيتين العلوية والبهلوية تأثير على القرار الذي اتخذه اخير فان هذه المصاهرة احدثت تأثيرا عظيما في حياة المملكتين الاجتماعية والسياسية وحتى العلمية وبمثل ذلك تستحكم العلاقات ويجتنى النفع العميم

الخيال

في الادب العربي

- ٢ -

بقلم الاديب الفاضل الشيخ احمد بن المختار الوزير المتطوع
بجامع الزيتونة والمدرس بمدرسة ترشيح المعلمين

الشاعر

والشاعر المصور بقصائد شعره خلجات القلوب في الفرح والترح. والذي يمتدحه وشعوره الى من باتوا يتقبلون في اعطاف النعيم. ويمرحون في ظلال الحظوظ المقبلة بالخيرات والبركات. والى من باتوا هالكة اجسادهم. فانية ارواحهم. كسيرة اجنحتهم. من اولئك الفقراء الذين تكشف لهم دنيا ايامهم عن وجه كالح عابس. واطفار تقطر من دمائهم. وانياب تنهش قلوبهم وكبودهم. في غير ما شفقة او رفق. والى من باتوا في لب الاحقاد. وتقم الضغائن. يتوثبون للفتك. متعطش ظمؤهم اللهيء الى الدماء المسفوكه. فما يزالون من شر تناكرهم. ولجاجة خصامهم وتناحرهم في نكادة عيش وهم واصب. والى من باتوا في وادي الحب الامين وقد تآلفت ارواحهم وتعاقت. وطفحت بخمرة منعشة من لذة الفرح قلوبهم. فرفرفت وحلقت

يمتد حس الشاعر وشعوره الى هذا والى غيره من حوادث الحياة المستجدة مع الليالي والايام. ويستنطقها مستلهما. فينطق امامه. ما ظهر منها وما استتر. وما غاب في طي الزمان وما حضر. باوضح عبرة بالغة. واجل غظة صادقة. يعيها حس وشعوره. ويحيط بها ويحافظ عليها. ثم ما يزال ينظر اليها نظرات فاحصة ملؤها السكينة. والهدوء. ويتفرس جوانبها تفرس المعن اليقظ. حتى لكأنها من ذخر تجاربه في حياته الخاصة التي كان يتلقاها. ويسير في محافل دروبها مع غيره من سائر الاحياء. وكذلك يصف «روسكن» المصور والشاعر. فيدلنا بوصفه الدقيق. على انهما من خلق اليق الشبه مشيل الفطرة قريب الموهبة. اذ يقول (ان كلا من الشاعر والمصور. يلتقط في ذاكرته كل ما رأى او سمع طول حياته. ويحفظه بالدقة التامة. كما تحفظ الاشياء في المخازن. فالشاعر لا ينسى أنفه الانعام التي كاف نصت اليها في باكورة عمره. والمصور لا ينسى ارق طيات الثوب. واشكال الالوان والاحجار. وفي هذه المعارف المتنوعة. التي هي غير محدودة يميم - الخيال - فيستخرج منها في اي وقت شاء مجموعات من

الاراء والاغراض ، والصور المتناسبة ، المنسقة ، الدقيقة ، واخيرا هذا البيان الفني العجيب (وايسر ما نستطيع استخلاصه من كل ما تقدم لنا من قول هو ان نعتبر الخيال اصلا يقوم عليه الفن في جملته فالجهة الاولى للفن هي ان يكون هذا القاب الموهوب راغبا ، تائق النزعات ، متوثب الطموح ، مجدا كل الجهد في طلب الحقائق ، وتحصيلها ، والمحافظة عليها ، واستبقائها حية مجسدة ، في ذخيرة الذاكرة ، ومسارح الخيال

والجهة الاخرى هي محاولة اظهار تلكم الحقائق في نسق بديع مبتكر طريف ، فيه من الجمال والفائدة ، والتأثير ، ما يكفي لجعل الطبيعة ، ولا شيء يفوقها في بهجتها وجمالها وسحرها وخلابتها ، غير الفن ، يقول - افلاطون - (اذا قارنت بين رجل هو كما صيرته الطبيعة وآخر صار كما صيرها الفن ، ظهر لك صنع الطبيعة ، أقل جمالا ، وانقص كالا ، وذلك لان الفن اكثر اتقانا واحكاما) واقول ولان آثار الفن مصطبغة بلون خيالي نلمح في شعاعه الزاهر نزعة النفس البشرية الراغبة في الكمال ، الطامحة الى السمو ، وهذا دون شك يجعل الفن في مقام فوق مقام الطبيعة ، وما فيها من الكائنات .

ففوس اولئك النوابع الذين ولدوا على فطرة الفن الراسخة ، والذين زودهم القدر باقدس المواهب ، هي اشبه شيء بالاناء فيه مادة ملونة ، تحل فيه الاشياء فتصطبغ بذلك ، فاذا ما برزت للوجود ثانية ، برزت على اصلها الاصيل ، وعلى هذا اللون الخاطف الجديد .

وهكذا يرى الاديب الشاعر ، ويسمع ما في الحياة ، والوجود ، وما في الطبيعة من الصور والمظاهر ، فلا يقنع بما يكتنزه في ذاكرته الواعية الحافظة ، بل تراه ، وكأنك به في سكونية ذهوله ، واحلام يقظته ، يغوص الى قرار سحيق الاغوار من اعماق تلكم الاسرار ، ليستخرج من اصدافها المغلقة ، ما شاء من معاني الجمال ، والعبرة ، وليصور منها ما شاء بعد ذلك من الهياكل التي يغمرها ما يعج في جنبات ارجائها من زكي النفحات الحاملة ، والاعطار الفائحة .

كذلكم يتصور الشاعر ما يصور من المشاهد والمناظر ، فلا يتناول المادة في جمودها وخرسها ، بل تجد لتلك العبقرية الفنية روحا تبعث في اصلاب الجأمة الاخرس ، والساكن الصامت ، من كل شيء فاذا هو ينسلخ من صفة الجمود ، ويخرج عن طور الخرس والصمت ، الى الحركة ، والعمل ، والقول ، والافصاح .

واذا شئتم فاستمعوا لابن الرومي يصف الروضة الاريضة ، وقد تهبأت لتوديع الشمس الغاربة ، يقول ، من قصيدة الباسق .

اذا رنقت شمس الاصيل ونفضت	على الافق الغربي ورسا مذعذعا
وودعت الدنيا لتقضي نحبها	وشول باقي عمرها فتشعشعا
ولاحظت النوار وهي مريضة	وقد وضعت خذا الى الارض اضرعا

كما لاحظت عواذة عين مدنف توجع من اوصابه ما توجعا
وظلت عيون النور تخضل بالندى كما اغرورقت عين الشجي لتدعما
يداعينها صورا اليها روانيا ويلحظن الحاظا من الشجو خشعا
وبين اغضاء الفراق عليهما كانهما خلا صفاء تودعا
وقد ضربت في خضرة الارض صفرة من الشمس فاخضر اخضرارا مشععا
واذكي نسيم الارض ريعان ظله وغنى مغني الطير فيه مسجعا

ألسنا في الفردوس ؟ ألسنا نشعر ونحس بحركة ونشاط. وبيان وافصاح ؟ ألسنا نرى في ظلال هذا الوصف روحانية، تعرف الطرب والقصف، والضحك، والبكاء، والحزن الكئيب، والفرح العائز النشوة ؟ ألسنا نرى خشوع الجلال وبأس القنوط ووحشة اليبين وهول التوديع ؟ ألسنا نرى كل هذا في هذه الدموع الحائرة المتعلقة باهداب الزهور والنوار، وفي هذه الشمس الغاربة، تعاني المرض الهالك، اذ تداعت الى السقوط، واحتت في ضراعة الانكسار. وذهول الاعضاء لتضع خدحا على الارض. وفي هذه النظرات العاطفة، التي تمتد قصيرة الملح لتشهد وفاء الروضة يتجلى في ارووع معانيه واتم صورة ؟

ثم أليس من الحق ان نقول بعد هذا كله، اذا كان المصور قد استطاع ان يتسامى في عرض مناحي الجمال، وان يبدع كل الابداع في تأليف الوانه وتنسيقها، وان يفتن في تجويد هذا العرض الى حد بعيد، وبذلكم تمكن من اثارة الاحاسيس، والعواطف في نفوس النظار، فان الاديب قد تمكن ايضا من ذلكم معتمدا نفس الوسيلة المرفهة النافذة ؟ وهل غير الخيال، جعل هذا الوصف قويا في جدته وطرافته، آخذا بجماله وسحره ؟

الخيال

فالخيال عنصر له خطرة واهميته في حياة الفن. ولا اتردد اذا ما قلت له اعظم خطر في حياة البشر، فهو نبع السلوان، وفيض المسرات. وهو مسرح الآمال وهو النور الذي بلعلة إشراقه، ووضاعة سائه، ترى الانتظار الطامحة قدسية المثل العالية، هو الذي اوجد الحضارة وخطر بها على معبر العصور من القديم الغابر الى الجديد الحاضر - لولا ما افتن كاتب ولا ترنم شاعر - ولولا ما صدم الوتر بمستعذب النغمات والالخان، ولا استحلت صور الهياكل، وبهيج المناظر عينان. يقول الاستاذ « ولتون » من مشاهير علماء النفس الانجليز في حديثه عن منزلة الخيال في رقي النوع الانساني، (ان رقي النوع الانساني من الفه الى يائه يرجع الى شيئين هما : تخيل امور خير من تلك التي في محيط يشتنا. وبذل الجهود في سبيل ابرازها الى عالم الحقيقة، وما الكنوز التي ورثناها عن الماضي

الا صور مجسمة للخيال سواء في ذلك العلوم، والفنون، والآداب، والموسيقى، والقانون، والانظمة الاجتماعية، والاخلاق، والعقائد الدينية، اذ من المستحيل ان يتصور الانسان ما هو اعلى منه منزلة بدون خيال)

الى هنا وقد اوضحنا وجه الصلة الوثيقة بين هذا العنصر النفسي الذي بوحى الهامه وشعلة ضيائه بخلقه وابتكاره، بجدته وطرافته، قوي الانسان على حل الكثير من هذه الاسرار المهمة في مظاهر الكون، ومشاهد الطبيعة، وتعايير الحياة، وهذا العنصر النفسي العجيب استطاع الانسان أن يقف وقفة العابد الناسك في محراب الجمال قريباً من عرش الجلالة، من قدس الرب، من الله الذي لا أول له ولا آخر له، (وإننا في حبنا للجمال لمحبون عابدون لذلكم الوجود الكامل المطلق الذي لا حد له ولا نهاية،

ولعل بهذه المقدمات أوشكت أن أثبت في نفوسكم شيئاً، وأن أزيل من نفوسكم شيئاً آخر. أوشكت أن أثبت في نفوسكم صدق النظرية التي يذكر علم النفس في بيان الوسيلة التي يعتمدها الفن والادب في إثارة ما ينبعث في النفوس من تيارات العواطف وهزات الشعور، وأوشكت أن أزيل من نفوسكم ما كنا نفهمه في القديم من كلمة الخيال، فالكثير من الناس على انه ضرب من اللهو العابث، والزخرف الذي لاشي وراء لعلته وبريقه من الحقيقة والصدق، وأكثر من هؤلاء من كانوا يفهمون من كلمة الخيال الشعري بوجه الخصوص، ذلكم التكلف والاعتساف في صيد الخواطر النائية، ونظم الاستعارات، والتشبيهات القلقة الضاربة الى ابعد حد في الغرابة، والشذوذ، وتقييدها بخيوط النظم، ولها، ونشرها على اوضاع مختلفة متعاطلة،

فكأن الخيال في نظر هؤلاء أن يعمن الشاعر في طلب ما يستحيل حضوره في ذهن الامن طريق الوهم الباطل، والبهرج الذي لا ينم عن أصل ولا ينسب إلى أصل، وما كان يفيدنا الخيال، لو كان حقاً ما يفهم هؤلاء المبطلون ؟

ومهما يكن من شيء فالذي يتحصل لنا من كل ما تقدم، ان الادب كالفن يقوم على اصلين لابد منهما، أولهما قدرة الاديب على تعرف الاشياء كما هي، واكتناهاها والتقصي في فهمها، وثانيهما عرضها عرضاً قوياً طريفاً، يستفز كوامن النفس بما فيه من بداعة وجدة مغرية، يقول الاستاذ - فكتور كوزن - (الخيالي يعوزة الحقيقي ليكون حياً، والحقيقي يعوزة الخيالي ليكون حياً)، فالانسان لا يفترقان اذ كل منهما تتمتع للآخر، والجمال فكرة مستقلة بذاتها وان تكن لا ترى فانها تحس ويشعر بها) اجل الجمال فكرة مستقلة، وهذه الفكرة المستقلة انما يكملها ويجليها الخيال، واذن فالخيال هو العنصر النفسي القوي اللازم لتكميل الفن وابرازه في اشكاله والوانه، ونسوق مثالا لهذا الفن الكامل في

احمد للمختار الوزير

حديثنا المقبل

التعاضد المتين « ٩ »

(تابع لصحيفة ٢١)

ثم لسنّا ممن يجزأ على نصوص الشريعة بالتأويل والحال انه لا قاطع يوجب التأويل ولو كان قاطع ما اختلفوا فيه فالتجروء على التأويل لغير دليل قطعي هو ما نعاه القرآن على من نزلت بهم المثلاث . وحيرة تلك الطوائف في اختلافها مع ان كل طائفة ما كانت تقصد الا الوصول الى الحق تجعلنا نحجم عن تأويل النصوص خوف افسادها وان الاولى بنا هو الوقف . ثم عدم الحزم بالتأويل اذا استند لدليل ظني . وهكذا نقول الآن عند ما ظهرت مخترعات ومكتشفات فإننا نحجم عن الجراءة على تأويل النصوص بما يطابقها الا اذا ظهر بالتجربة العلمية القطيعة والامتحان الفني اليقيني انها ليست فكرة قابلة للتغير مع تغير الزمان والكشف عن مخترعات اخرى .

اما اذا كان هناك ادنى احتمال لتغير الانظار وتحول الافكار مرة اخرى وكان الامتحان ليس يقينيا حسيا . فالواجب هو ترك النصوص على ظاهرها تهيبا لحرمة الشريعة نعم يمكننا ان نقول ان هذه النظرية يمكن ان ينطبق النص عليها من غير ان نجزم بانها مراد الله خوف ان تقع في الكذب على الله . ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . ثم اذا لم تثبت تلك النظرية وظهر فسادها نجونا من الجناية على القرآن بحمله على معنى لا يصح . كما جنى من طبق عليه انبساط الارض وكون الشمس تدور حولها وان الارض هي مركز الافلاك وانها ثابتة لا تتحرك الى امثال هذا من كوف الارض فوق قرن ثور وان الثور على الماء والماء على الهواء ونحو هذا من افكار اسرايلية لا ثبات لها في كتاب صريح ولا حديث صحيح بل خرافات خيالية وكل من طبق القرآن على امثال هذا وشرحه به فقد جنى جناية كبرى اوقعته في ضلال ميين .

فالقرءان شريعة عامة وأبدية فيجب على المفسر ان يكون دائما يستحضر هذا المبدأ وان لا يفسر القرآن الا بما هو ظاهره الا اذا قام دليل قاطع على التأويل . ومن هذا الباب من يفسره بالاشارة ويحملة من انواع المعاني الخيالية ما هو بعيد منه فكل ذلك خطر في الدين والى الضلال اقرب الا اذا قامت قرينة على ذلك

قال سعد الدين : النصوص على ظاهرها والعدول عنها الى معان يدعيها الباطنية او غيرهم الحاد . كما يجب على المفسر ان يكون مستحضرا العظمة القرآن وانه منزل من حضرة القدس لهداية الخلق فكلم من رأي كان قطعيا يقينيا عند من يراه فتين انه محض خيال وكم من فكرة كانوا يعدونها ومما وشادة فاصبحت كلمة اجماع . فالمسلم الخالص المخلص بيده برنامج عظيم للحياتين هو القرآن الكريم

قصيدة عامر ابن هشام

3

ولست صاحب ظرف ان مررت على (والعبدليات) تحكي في تضمنها
وما مقيم لدى الاياب بـ (سكرة)
ولو وقفت (بقمرت) التي جمعت
ومل (لشوبة) وقت العشي اذا
وانظر الى (القصر) والاخرى تناظرة
والطير تصدح في حافاتها زمرا
ورح لـ (رادس) العليا وقبتها
حق اذا ما قضيت البعض من وطر
فاركض الى ضحوة (المركاض) وانس بـ
واحضر عشية باب البحر مغبطا
اما ترنجة (فهي البرء لو سلمت
وارجع الى البيت من (باب المنارة) او
وطف من (البركة) المعمور (جامعها)
واخش الجمار لدى (بير الحجار) اذا
وان خرجت الى (روض السعود)
تلك المنازل لا (الزهرا) (وقرطبة)
فعد سوائها ان امكنتك وان
ولا تصد غير ساجي الطرف ذا حور
واستمع السعد من عند الجواد به
ولا تقل كيف يدنو ما أمله

(مرسى) الظريف ولم تنزل الى حين
ضرائرا جئن في غنج وتزيين
على القلاية الغرا بمغبوب
شطوطها بين مرعى الضب والنون
ماج الاصيل بها بين البساتين
مثل البيادق طافت بالفرازين
جموع عجم ات بعض الدواوين
بين الفرادس تبدو مثل شاهين
ورمت ايقاع فرض بعد مسنوف
سها ما كان عندك من وحي الشباطين
فربما نفست عن كرب محزون
ساحاتها الفسح من لسع الثعابين
(باب الحديد) الى سوق الرياحين
الى (الرباع) الى ركن (القرسطون)
سعت منها الى (حمام زرقون)
فقف كما عرفت وبت في (درب زيتون)
كلا لعمري ولا غيطون (حيرون)
تعسرت فاستعن من مثل بركون
فانت في غير هذا غير ماذون
واستغن ان نلته عن مال (قارون)
فان مغزاك بين الكاف والنون

والشيخ الوزير الكاتب ابي العباس احمد ابن ابي الضياف
حين كان في اسطامبول مشوقا الى تونس سنة ١٢٥٨

نسيم تونس حياني ويحييني
لا أغرو ان تاه قلبي في محبتها
اذ وجهتي لارض لا تلاثمني
قاسى فؤادي اهوالا يذوب بها
بالله يا نسمة ان جئت تونس قف

والطيب منه اذا ما تهت يهيني
فأصل نشأته من ذلك الطين
وحبذا امرها يزكوا ويرضي
اعود بالله من همز الشياطين
وانشر سلاما لها من قلب محزون

واستفتح النور من (طود المنارة) اذ
 ترى مراسي حلق الواد زيتتها
 فانظر مدافعه واعرف عساكره
 ونزه العين في تلك البقاع وطف
 واسرع الى قشلة القنديل ان بها
 طوابر الاسد في آجامها ربضوا
 زادوا لاقدامهم ترتيب حريمهم
 ان الحنايا كنوع من وقوفهم
 قادوا الصواعق في سهل وفي جبل
 واستنطقوها اذا حنوا لغماتها
 وسرح الطرف في قصر الامارة من
 مرصع بنظام فاق نظمهم
 غيل الملوك ومأوى كل ذي شرف
 ديوان كتابها ديوان حسابها
 وغيرهم من جموع طاب نشرهم
 قاموا بخدمة مولاها وطاعته
 مدار عصبتهم مأمور سيدهم
 واعطف على قشلة الفرسان تبصرها
 عقبانها من ظهور الخيل قد نبثوا
 تطير للباس في الهيجا حياهم
 واستحضر العيش بالخضر وساكنها
 اصل العلوم ومأوى الصالحين بها
 أنس الغريب بها ينسى موطنه
 ومتع النفس من مرأى محاسنها
 واغبر الى القشلة الكبرى بعسكرها
 غاضوا محاربهم عزوا محاربهم
 وادخل مساجدها واذ كر محامدها
 والجامع الاعظم اجمع من فرائدها

يبدو لمنظرك (الباحي) على حين
 شوامخ السفن كالطير الميامين
 في البر والبحر حازوا خير تمكين
 على الحصون ومأوى عسكر الدين
 سمط المدافع في زي الثعابين
 ان فاه أمرهم لبوه في الحين
 واتقنوا نظمهم من غير تخمين
 لا مثل نخل لمجنى العراحين
 طاروا بانقالها مثل الشواهين
 اصواتها عندهم رجع التلاحين
 ارجائها اذ بدا في كل تلوين
 سلك الجواهر في تلك الاساطين
 بقاعة شرفت اهل الدواوين
 ديوان قوادها اهل القوائين
 طيب الرياض بانواع الرياحين
 فلن ترى خطوة في غير ماذون
 فيما يصرف من صعب ومن لين
 تلهفت وتردت بالبساتين
 مثل الجذور تنقت من افانين
 فاعجب من الجرد تجري بالموازين
 واسعد باتيانها من باب سعدون
 ومركز الدين من فرض ومسنون
 وموضع اليسر من عيش المساكين
 وانظر مئائر من شم عرائين
 وانظم من الدر في نسق الاساطين
 زانوا بصولتهم كل الميامين
 وصف معاهدها وصف المجانين
 ما يقتني لثغور الخرد العين

قد زانه احمد ذاك المشير ومن	به الايالة في عز وتمكين
كتائب الكتب اهداها وقد عجزت	عنها الملوك ولا هموا بتخمين
قوى بتسييرها تايد عسكرة	اذ مرجع الكل في التحقيق للدين
يا حسننها وهي بحر في خزائنها	يغنيك جوهرها عن جوهر الصين
وكم له من فعال لا عداد لها	تبقى مع الدهر شجوا للبلاعين
لا زال يلبس والتايد يصحبه	ملابس العز مع تاج السلاطين
ما قال صب من الاشواق في قلق	نسيم تونس حياتي ويحييني

والشيخ الاديب الكاتب الرئيس ابي عبد الله محمد الباجي السعودي مسيرا
للاشيخ الوزير الكاتب ابي العباس احمد ابن ابي الضياف تغمدهما الله بواسع رحمته

حي نسيمك حتى كاد يحييني	يا تونس الانس والسلام والدين
سرى عليلا وأومى بالسلام الى	مضى بجبك ناي الدار مغبون
فجدني الشوق واستولى على جلدي	وصرت اخفيه حتى كاد يخفيني
وبت في حرق والطرف في ارق	والنوم اعصيه احيانا ويعصيني
سقى ربي تونس الحضرا وساكنها	سحب من الغيث ترضيهم وترضيني
ولا أذاقني الرحمن فرقتها	فانه موجب ضعفي وتوهيني
ربيع الاماني ومأوى كل ذي ادب	ومكنس للمهي والحرد العين
منشى شبابي واترابي ومرضعتي	ندي السرور الذي ما زال يرويني
قم يا نديم نباكر روضها سحرا	فالسعد قابلنا من باب سعدون
اهدى الربيع لنا ظرفا وتكرمة	نسيم انفاسه ضمن الرياحين
اما ترى اعين الازهار غامزة	للهو والقضب للافراح تدعوني
ساعد اخاك الى (اريانة) فيها	روض توشى بوردي ونسرين
واغنم بها نفس الاسحار مصطبحا	من خرة عتقت في دير عبيدون
ومل ل (شطراته) عند الغبوق وقف	واطلب بها ما تشا يأتيك في الحين
و (جعفر) لاذوت اغصانه وسقت	ثغور ازهاره بنت الزراحين
ظل ظليل وماء كالسلاف على	رجع النواعر ربات التلاحين
وارتد لنفسك في (رواد) منزلة	واخلع عذارك فيها خلع مامون
واحمل الى شاطئ المرسى (وقتها)	خمر مشعشة من خمر برزين
وواصل الانس وارفل في ملابسه	وانزع به الكاس واشربها وسقيني

وسرح الطرف مرتاحا ومبتهجا
والغيد تمرح والغزلان تسبح ما
تلف العذول عذيرا في خلعتها
واسلك الى (شامخ الباجي) وترتبه
حتى اذا ما بلغت الحد من طرب
فاسرع الى (حلق واديا) وشمه ترى
ترى به الفلك بالابراج محدقة
تزينت بصفوف من مدافعها
وسل (ابالحية) ذاك المجاهد عن
وادخل الى القشلة الكبرى فان بها
اسد العساكر في أجم السلاح جنوا
في سورة الصف من احوالهم مثل
واركض إلى قشلة الفرسان تلف بها
تحكي قواضهم لمع البروق دجي
وفي فنى قشلة القنديل اسد شرا
الحزم والصبر والادعان دأهم
وان وصلت إلى (قصر الخلافة) قل
يا قبة العدل يا دار الامارة يا
لا زلت تخلد في عز وتكرمة
فيا منازل ذي فتك وذي نسك
انت المنازل حقا لا منازل من
ما شاد ذكرك قبلي من يقول بها
حنوت. حنو أبي العباس احمد في
فخري وذخري واستاذي الشير ومن
مثنى الوزارة من سيف ومن قلم
يدوم في العز فذا لابسا أبدا

في خضرة البحر حينا والبساتين
في البرضب ولا في البحر من نون
اد حسنها ناب عن نصب البراهين
واسأل هناك عطاء غير ممنون
وأبت للجد بعد اللهو والدين
ما خلدته يد الشم العرائين
مثل البيادق طافت بالفرازين
سود فواغر امثال الثعابين
فعاله في اعاديه المداعين
جندا مفاخرهم بالمجد تغريني
لنصر سلطانهم والقطر والدين
لا زال سعدهم في حرز ياسين
قوما كراما على غر ميامين
من كل غضب بماء النصر مسنون
قد تاجروا الله تجرا غير مغبون
في حسن سمت بوعد النصر مقرون
حييت حيث. يا مأوى السلاطين
ملجأ لكل غريب الدار مسكين
لسادة العصر ارباب الدواوين
ويا معالم تلحين وتأذين
يقول ياهبة من نحو دارين
باشر سمودك ليس الوقت بالدون
نسيم تونس حياني ويحييني
وجدي به في تجاوب الشرايين
ومنصب غير محتاج لتيسين
سمادة من الاله الكاف والنون



الخطوط الكوفية

وتاريخ ادوارها بالقيروان

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد

كان الخط الكوفي اولاً مهملة جميع حروفه لا اعجام فيها أي لا نقط وهذا في دور النبوة والخلفاء الراشدين وما قبله . ومنه كتاب النبي صلى الله عليه وسلم للقوقس الذي عثر عليه أخيراً بدير بعض الاقباط بمصر وأخذت صورته بالفوتوغرافيا، ثم لما اتسعت الفتوحات الاسلامية واحتلّت عناصر الاسلام ووقع اللحن والتحريف وحل محل الاعراب الذي كان سليقياً عند جميع العرب وخيف تسريه للقرآن العظيم وقراءة المصحف الشريف ووقع ما هو مقرر في سبب وضع علم النحو . جعلت علامات الاعراب نقطا محررات توضع على الحرف الاخير موضع الاشكال التي توضع على الحروف اليوم، فالضم نقطة حمراء توضع في السطر حذو آخر حرف من الكلمة مثاله قبل . - بعد . واذا كان تنويناً أي ضمّين توضع نقطة أخرى ثانية فوق الاولى مثل قتال : من قوله تعالى قتال : فيه وكفر : والنصب نقطة حمراء أيضاً فوق الحرف كقوله عند الله * والحذف نقطة حمراء أيضاً أسفل الحرف كلفظ الجلالة في قولك عند الله * وهذا يوجد في كثير من بقايا أوراق بعض المصاحف العتيقة المحفوظة بمكتبة الجامع الاعظم بالقيروان* . والاغرب أن العبدري ذكر في رحلته أنه أطلع على مصحف بهاته المكتبة قيل له إنه المصحف الذي بعثه سيدنا عثمان لاهل افرقية . وبينه بقوله في ورقاته : طوله شبران وعرضه ثلاثة أشبار . واليوم توجد أوراق بالمكتبة بهاته الكيفية وهاته المساحة وعلى هذا النمط فلا يبعد أن تكون هاته الأوراق من هذا المصحف بعينه . ثم استعمل إعجام الحروف التي كانت سابقاً مهملة لكنها استعملت في صورة أشكال صغيرة فوق الحرف وبأسفله . وجعل للقاء شكلتان وللفاء شكل واحد فوقهما . وفي هذه الالوان الذي هو الدور الصنهاجي توجد أيضاً هاته الاشكال بصفة اعراب وبقون الحروف كلها مهملة لا نقط بها . وهذا يطبقه الراعي في مصحف فاطمة حاضرة باديس الموجود بقايا من أوراقه بهاته المكتبة . هذا ما يتعلق بكتابة المصاحف بهذا الخط الكوفي أما الخطوط التي تنسخ بها الكتب العلمية وأوراق دواوين الحكومة وسائر الكتابات العمومية . فكلها مهملة لا إعجام فيها ولا شكل . ودام ذلك على هاته الحالة حتى الدور العبيدي والصنهاجي . أما الكتابة بالنقش على الصخور بالخط الكوفي فهي من أول الامر إلى أن اقتطع استعمال الخط الكوفي حروفه كلها مهملة . لكن في الدور الاغلبية كان يحفر الحروف في الصخر ودام حتى لاواخر الدور الاغلبية أي لما قبل المائتين والخمسين من الهجرة وما يقرب من ذلك . ثم في أواخر الدور الاغلبية إلى انقراض استعمال الخط الكوفي كانت الاحرف كلها بارزة ولا يوجد حرف بصفة حفر ثم صار يتأق في جمالها حيث كان لها سوق خاص وهو سوق النقاطين اليوم الموجود بالنهج الكبير بالقيروان وفي الدور الصنهاجي أدخلوا عليه تحسيناً يأخذ بمجامع القلوب وهو جعله في وسط أغصان ازاھر كالكتابة الموحودة إلى اليوم في الالواح التي على بيت المعز ابن باديس بجامع القيروان . وعلى كثير من مشاهد قبور الجناح الاخضر لمشاهير الرجال والعلماء .

بحوث تونسية

تعليم الاهليين

أبرز موظف عال فرنسي ممتاز بالذكاء وجودة القريحة رسالة تحت هذا العنوان جمع فيها ما كان كُتبه في فصول متفرقة بمجلة « لجنة افريقيا الفرنسية » في عامي ١٩٣٧ و ١٩٣٨ فتعرض في هذه الرسالة للإدارة المركزية ولرجال السلطة الأهلية وكيفية سير الرقابة الفرنسية التي اقتضتها الحماية وللحريات العمومية ولتعليم الاهليين ولتطور النظام العقاري البري وللإصلاحات الادارية التي أنجزت في سنة ١٩٣٨ على عهد المقيم السالف م. أرمان قيون

ونحن نحس في هذه المجلة أن تترجم بعض فقرات من القسم الذي عنوانه « تعليم الاهليين » حتى يتبين منها قراءنا الكرام فكر المؤلف في هذا الموضوع الهام

فمن جملة ما قاله : إن برنامج الصادقية الشبيه ببرنامج المدارس الاسلامية بالمغرب يرفع التلامذة لمستوى من الثقافة الفرنسية قريب من مستوى البكالوريا ويهيم ثقافة عربية تضارع ثقافة جامع الزيتونة بيد أن هناك فرقاً بين تثقف خريجي الليسي وبين الصادقين فالاولون يميلون في الغالب الى التحرر من كل القيود بينما الثانون يبقون متمسكين أكثر من الآخرين بعقيدتهم

أما الذي يتفق فيه الطرفان فهو ان تعليمنا ينمي فيهما إحساساً ملها حاداً للغاية ويمكننا أن نشاهد بأن قادة الحركة الدستورية قد كونهم تعليمنا الثانوي وإذا فكرنا بأننا اليوم نعطي هذا التعليم لآلاف وستمائة أهلي « في جملة ٦٥٠٠ تلميذ بالمعاهد الثانوية » جاز لنا أن نخشى إقلا ب أركان الدستور في يوم قريب حيشاً عرمرما

ثم قال : ينتقد الفكر الاسلامي العام علينا جعل الثقافة العربية ذات قسمة ضيزى في التعليم الابتدائي وعدم جعل اللغة العربية من جملة المواد الجبرية في امتحان الشهادة الابتدائية

وإذا شئنا أن نبحث عن أحد أسباب نمو المدارس القرآنية العصرية بسرعة التي تخصص للتعليم العربي والاسلامي المقام الاول وللتعليم الفرنسي المقام الثاني وجدناه في ضعف المواد العربية في تعليمنا الابتدائي وفي لائكته

وفيما يخص عدم انتشار التعليم كما يجب قال : « على الرغم من المجهود الذي بذلناه لتوسيع نطاق التعليم بالإيالة التونسية لا يزال الجانب الاوفر من الشعب غارقاً في لجة الجهالة فمن ٣٠٠٠٠٠ من التونسيين الذين هم في سن الدراسة لا يزالون التعليم في مدارسنا الابتدائية إلا ٤٢٠٠٠ طفل من أطفال الاهليين ولا يغشى المدارس القرآنية العصرية إلا بضعة آلاف فقط

على ان الصحافة الاهلية لم تنفك تنتقد علينا ترك خمسة أسداس السكان في خضم الجهالة والامية وبذلك تبدى نحونا في ثوب المنكر للجميل . فهل هي تجهل ان مصر وهي البلاد التي تستسقي منها تلك الصحافة مثولها وأقيستها لم تستطع أن تنشر التعليم أكثر مما استطاعته هذه البلاد وان الامية فيها متفشية أكثر مما هي متفشية في تونس

وقال في خصوص المدارس القرائية : « إن هذه المدارس هي مدارس حرة انشئت بسعي من بعض المحسنين لكنها لا تقوم اليوم في الواقع ونفس الامر إلا بفضل الاعانات التي تمنحها اياها الحكومة وهي إعانات نمت مقاديرها بسخاء تام استجابة لضغط القسم الاهلي من المجلس الكبير وهذه الاعانات قد اغرت بدون شك ارباب الشهادات العلمية الذين يريدون تكوين مرتزق لهم باحداث مدارس من ذلك النوع . وذلك هو احد اسباب تكاثر ذلك الضرب من المدارس ومن اسباب انتشارها ايضا هو انها لما كانت غير خاضعة الا لرقابة خفيفة فانها يمكن ان تتالف منها وسيلة طيبة للغاية لنشر المبادي الملية من اجل ذلك نرى ان ننشر المدارس القرائية هو من دواعي الاهتمام المستمرة للدستورين ..

واذا كان التعليم القرائي العصري يحظى بعطف المليون التونسيين فانه يلاقي معارضة عنيفة في الاوساط البيداغوجية والماصونية التي ترى فيه - ولها الف حق في ذلك - حائلا دون صبغ الايالة التونسية بالصبغة اللائكية وهذه اللائكية هي التي يؤمل منها مثلها كالف يؤمل فيما سبق بواسطة التنصير التوصل لمزج العنصرين او على الاقل تقريب مسافة الحلف بينهما .

ولقد لاحظ الماسوف عليه الكولونيل ماري انشاء مسامرة قام بها ان الشرق العربي يتقرب الى النظم العصرية بدون جنوح لللائكية بخلاف تركيا فان اساس نظمها العصرية هو اللائكية . وليست مهمة المدارس القرائية العصرية في الواقع الا حفظ العقيدة الاسلامية مع التوفيق بينها وبين العلوم الحديثة . ولن تؤول في آخر الامر الا لتوسيع الشقة التي تفصل بين العالم اللاتيني وبين العالم العربي . وقال المؤلف في خصوص الجامع الاعظم ما مفاده ان حركة النهضة العربية قد شملت ايضا ذلك المعهد الديني وتناولتها مثل جامعتنا العلمية في القرون الوسطى المراكز بين القدماء والمحدثين ثم قال ينبغي قطع دابر النزعة التي ترمي تدريجيا لادخال جامع الزيتونة ضمن المؤسسات الدولية وذلك لسببين اولهما اجتناب النفقة الباهظة التي تترتب على ذلك بالميزان وثانيا لحفظ سمعة ذلك المعهد الديني . ضرورة ان العلماء الذين اعمتهم الارباح المادية التي قد يجنونها من مبرورتهم موظفين قد غاب عنهم ما يحق بهم من نقصان في نفوذهم حين يخضعون لادارة هي لائكية بطبيعة الاحوال وتسير تحت رقابة فرانسا .

وليس بمتعتمكين اساتذة الزيتونة في آن واحد من استقلالهم الفكري ومن عيشة يسر وذلك بتنظيم تلك الجامعة على مثال مؤسسة ذات فائدة عامة تنجر لها اعانات من الاوقاف ومن الدولة

وتباشر التصرف في مداخيلها وإدارة شئونها مستخدمين بنفسها وهذا هو نفس النظام الجاري به العمل في الجامع الأزهر . . .

وأردف ذلك بقوله « لو يتم لاساتذة الجامع الأعظم مرادهم من نيل مرتباتهم من محضات ميزان التعليم الدولي اذن لن يبق لهم الا المطالبة باعتبار التعليم الذي يمنحونه هو التعليم الوحيد القانوني في مملكة اسلامية تاريخيين لفرانسا مهمة القيام بمدارسها اللائكية والفرنسوية على نفقة ميزانها الامبراطوري . . . »

« لقد كان التعليم بتونس قبل انتصاب الحماية ضليل الانتشار ضعيفه ، وكانت اساليبه بالية غثقة تهدي بالتعليم القرآنية خاصة وبفضل فرانسا قد اقيمت مدارس عصرية ذات ثقافة لاتينية ازاء الكتاتيب والمعهد الزيتوني وقد اقبل الاهالي على هاته المدارس زرافات ، لكن رغم كون الاساليب التي يتلقاها الاهالي بمدارسنا ممتازة عن اساليب التعليم القرآني فانها لم تتمكن من القضاء على هذا التعليم قضاء نهائيا . بل الامر بعكس ذلك ضرورة ان هذا التعليم بدافع مزاحمة التعليم الغربي اياه قد اخذ يسعى جهد المستطاع في التعود باساليب الحياة العصرية فهل يدرك هاته الغاية ؟

لا نظن ذلك رغم المجهود العظيم الذي بذاته الامم الشرقية للبقاء على مدنيها بارجاعها لعنفوان شبابها وادخال عناصر جديدة عليها ورغم المجهود العظيم الذي بذلته ايضا هاته الامم لانشاء مصطلحات علمية والفاظ جديدة قد ابقى الاسلام باب الاجتهاد موصدا طيلة قرون عديدة فكيف يمكن ان يفتح بدافع قوة الناشئات المسلية التي يدفعها للقيام برد الفعل شعورها بالانحطاط اكثر مما يدفعها لذلك ما يخالجها من مباد نزاعة الى التكوين والانشاء .

ان الثقافة العربية اذا ما وقع تجديدها فانها لا تستطيع ان تستقي قواعدها العلمية الا من المصادر الغربية وبذلك لا يسعها الا ان تكون مدينة بالفضل للثقافة اللاتينية

ويلوح لنا ان حركة تجديد الثقافة الاسلامية ليست الا عاملا من عوامل الدفاع وحفظ الذات وهي ضرب من ضروب المقاومة الروحية التي لا تستطيع الا تاخير الاجل الذي تجرف فيه الشعوب العربية حتما في تيار المادة والمبادي الواقعية الغربية . على ان الثقافة المقتبسة من تعاليم ديكرات الباعثة للفكرة النقدية هي التي تستطيع وحدها ان تحقق لتكلم الشعوب مستقبلا في العالم العصري

بقي لنا ان نعرف هل من مصلحة فرانسا تعجيل هذا الانبعاث ام من مصلحتها بعكس ذلك تشييط انكماش المحتمين بها في الاثواب الحريية للفلسفة الشرقية

ان استبقاء الثقافة القرآنية العتيقة التي تمتاز فيها الروحانيات بالزمنيات ولو كانت مصطبغة بالصبغة العصرية من شأنها ان تبقي بين الفرنسي وبين البربري المستعرب بالشمال الافريقي حاجز الاسلام . غير ان اختلاف اساليب التفكير لا يكون حتما من العوائق دون ارتباط اواصر المودة ، بل انه قد يسهل اسباب العلائق الحسنة اذا كانت الطبائع متممة لبعضها بعضا مثلما هو الشأن هنا . لان ميل الافريقي للخيال لا يمكنه ان يستغني عن نشاطنا الواقعي

ان الخطر هو ان يكون من نتيجة ادخال الاساليب العصرية على الثقافة الاسلامية فض ذلك الرباط من المصلحة بايها المحتمين بنا انهم بلغوا درجة النضوج العلمي . واذا كان المليون المسلمون

هم اشد الناس تنشيطا لحركة التجديد الموما اليها فهل ليس ذلك الا لكونهم يؤملون من ذلك فائدة مزدوجة : فالمتعلم العصري سيكون أداة لمبادي التحرير السياسي بينما التعليم القرآني الذي سيمتزج به من شأنه ان يقيي الافكار في جو من التعصب الديني وجنوح لاخذ ثمار الحروب الصليبية لذلك فاننا نتساءل عند ما تصور في آن واحد ماضي امية الشمال الافريقي التي تلقت ثقافة لاتينية وكذلك افاق مستقبلها البعيد هل ليس من اللائق لخلود امبراطوريتنا ان نعطل بل نعرقل حركة الرجوع الى الموارد الاسلامية المجددة بتوسيع نطاق تعليمنا اللأثكي واللاتيني شيئا فشيئا الم يكن الامل الوحيد في جعل ابناء هذه الملة متعلقين بنا تعلقا عميقا محصورا في تكوين صلة تعاطف حقيقي بيننا وبينهم من الوجهتين الفكرية والمعنوية ؛ لكن سياسة التعليم اللاتيني والاندماج الثقافي تستدعي ايجاد موارد ارتزاق للمحرزين على الشهادات العليا الذين تكونوا بمدارسنا واغترفوا من مناهلنا والا فانهم سيصبحون نواة حنق الامة التونسية على فرانس الكريمة المحسنة سيما وان هؤلاء الشبان يعتبرون شهادتهم كاداة تكسبهم حقا صريحا .

وانا نرى اننا اتينا في مشروعا الاستعماري الماضي هفوة كبيرة لكوننا ساعدنا على تطور الشعوب الاهلية ونمو ما اوتوه من مواهب خارج دائرة تقاليدها بدون ان نتحقق من كونهم سيجدون شغلا بمجرد ما يتم تكوينهم الثقافي ، وقد وهبناهم الحريات العامة بدون ان ننظر هل من الممكن تمكينهم ايضا من البرلمان الذي هو من مستلزمات هاته الحريات واننا نسرف اسرافا في نشر التعليم بدون التفات الى عدد المناصب المحدودة المفتوحة في وجه تلاميذنا الاهليين

وفوق ذلك اذارات فرانسالزاما عليها ان ترمي لتكوين اندماج ينمو شيئا فشيئا نحو تقرب عناصر امبراطوريتها من بعضها بعضا فلا يظهر من المتعذر ايجاد مجال للعمل لارباب الشهادات العليا من التونسيين الممتازين خارج بلدانهم في الاقطار الافريقية المتاخرة بالنسبة لغيرها او بام الوطن . اذ بواسطة مزج العناصر الجديدة المتكونة منها الامبراطورية الفرنسية بعائلتنا الفرنسية العتيقة تكون « وطنية امبراطورية » على انه لا يكفي تعليم الاهليين بممتلكاتنا باللغة الفرنسية بل ينبغي ان نكون فيهم قلبا فرنسيا ، وهذا ليس بالصعب اذا أردنا ان نتجشم ما ينتج عن ذلك من المشاق ، ولهذا الغاية يجب الا يتماذى طلبة شمال افريقيا بكليتاتنا على العيش كجالية اجنبية منقطعين عن العائلة الفرنسية او حائقين مع بعضهم بعضا . ينبغي ان نعدد بتونس وباريس الاتصال بين هذه الشبيبة وشبيبتنا ونفتح لها ابواب بيوتنا ونحدث لها نواحيا للدعاية والتهديب . ان الحوادث الاخيرة التي شجرت بتونس مثل التي وقعت بالمغرب او بمصر او بسوريا قد كشفت النقاب عن الدور المهم الذي تقوم به الشبيبة في الحركات السياسية بتلكم الشعوب التي هي بصدد اجتياز ازمة تطور . ومن المحقق ان الزجر يستطيع ان يهدىء موقتا الهيجان الشعبي لكن لنكن متحققين ان النار لا تزال كامنة في ادمغة الطلبة . فعلينا ان نبذل كل جهودنا لنجلب اليها تلك الشبيبة ولنستحوذ على عطفها ثم ياتي اخلاصها لنا فيما بعد من تلقاء نفسها . ولا ننسى ان رجال الزعامة العريقة من ذوي البيوتات القديمة يتقلص ظلمهم بسرعة يوما فيوما امام النخب المثقفة ، فالطلبة اليوم هم رؤساء الغد ، فاما ان يكونوا خصوما لنا او معاضدين لمشروعنا

« عن النهضة الغراء »

حول البحوث التونسية

لقد عودتنا حوادث هذه الشهور ان تبغتنا شركات الاخبار ووسائل الاذاعة بحوادث عالمية ومفاجآت غريبة لا تخطر على بال عظماء السياسة وأصحاب الافكار والاراء، حتى توطدت قفوسنا على تلقي ما يجد من الحوادث والفت أسماعنا العجائب والغرائب، نترقب ظهور الجرائد اليومية الصباحية والمسابية مطعمين انا سنجد فيها ما لم نكن نتوقعه ولا يدخل تحت حساب

ولقد طلعت علينا النهضة الغراء في يومي (١٤) و (١٥) من شهر افريل بمقاليين افتتاحيين تحت عنوان « بحوث تونسية » ترجمتهما عن مجلة افرنسية قالت انها لموظف عال افرنسي ولقد الفت نظرنا هذا العنوان لتعلقه ببلادنا العزيزة التي هي إحدى مشاكل اليوم المتعددة وظننا اولاً ان هذا الموظف العالي يعالج مسألة سياسية ومشكلة من المشاكل العامة الدولية لكن ما اتينا على المقالين حتى علمنا ان الرجل انما يعالج مسألة فنية وهي مسألة التعليم، وبما ان هذا الموضوع يهمنا بصفة خاصة لا سيما وفيه الحديث عن جامع الزيتونة قرأنا الفصلين باهتمام شديد، وما انتهينا منهما حتى تمكنا العجب واستولت علينا الدهشة، وقلنا :

كل يوم تبدي صروف الليالي خلقاً من أي سعيد غريباً

موظف عال افرنسي ممتاز بالذكاء وجودة القريحة يطعن المسلمين طعنة نجلاء في قلوبهم يحقر تعليمهم ويزدري كتابهم ويحط من قيمة علمائهم ويظهر ما يمكنه ضميره من البغض لهم في قالب نصيحة ويجهر بدعوة الحكومة الى محو اللغة العربية والدين الاسلامي والسعي في ادماج المسلمين في العائلة الفرنسية وإدخالهم في بودقتها وطبعهم بطابعها قلباً وقلبا

يجهر بكل ذلك موظف فرنساوي في تونس المسلمة التي على رأسها امير مسلم شديد التمسك بدينه ولغته وله وزراء مسلمون لهم مثل ذلك الاحساس وحكومة الحماية تعترف لها بذاتها وتلتزم باحترام لغتها ودينها بل وعوائدها، ولكن هي السياسة ما دخلت في شيء الا افسدته، تدخل في التعليم فتفسده، وتدخل في اللغة فتفسدها، وتدخل في الدين فتفسده، فأعود بالله من السياسة وما تصرف منها، تكلم هذا الموظف العالي اولاً على التعليم بالصادقية والليسي وقارن بينهما وفضل الثاني على الاول بطرف حقي لانه تعليم لائكي بخلاف التعليم الصادقي لانه يبقو خريجه على معتقدهم، ثم ذكر ان الذين يتلقون التعليم الثانوي من المسلمين الف وستمائة ضمن (٦٥٠٠) وقد استعظم هذا العدد على قلته وخشي ان يصير جيشاً عرمرماً، ولولا ان السياسة أثرت على هذا الموظف الكبير لما خشي من انتشار العلم بين التونسيين، وما عهدنا قط ان العلم يكون خطراً على أحد، وانما الجهل وحده هو الذي يكون سبب الشر والبلاء.

ثم ذكر هذا الموظف ان الفكر العام الاسلامي ينتقد القسمة الضيزى بين اللغة العربية والفرنسية وعدم اعطاء الاولى ما تستحقه من العناية . ولكنه لم يجب عن هذا الانتقاد . ولربما كان لسان الحال أفصح من لسان المقال .

ثم أعترف بقلة عدد المتعلمين وانتشار الجهل والامية في خسة اسداس الاطفال (وهو الخطر الحقيقي) ولكنه اعتذر عن ذلك بأن مصر رغم انتشار العلوم بها وصيرورتها مركز الثقافة العربية لم تنزل الامية فيها متفشية اكثر مما هي متفشية في تونس .

ونحن نجيبه عن ذلك بانه اخطأ خطأ مبينا فان التعليم الابتدائي بمصر قد انتشر انتشارا عظيما حتى صار اجباريا او كاد . وتلامذة المعاهد الثانوية ذكورا واناثا يعدون بعشرات الالوف او ازيد والمعاهد العليا والكليات منبثة في البلاد تدرس فيها جميع العلوم والفنون . وليس اليوم الذي تزول فيه الامية عن بلاد الكنانة ويغيب شبح الجهل عنها ببعيد . ولعل هذا الموظف السامي لا يعرف شيئا من احوال البلاد المصرية ولا يقرأ جرائدها ولم يطلع على احصائها ولم يشعر بانها خضت خطوات فسيحة سريعة في مضمار العرفان .

ولقد اعترف جنابه بتفاهة التعليم الدولي المعطى للتونسيين واستشهد بالارقام . فمن بين (٣٠٠٠٠٠) مسلم في سن التعليم لا يوجد به الا (٢٠٠٠) فقط والبقية غارقون في لجة الجهالة . ولكنه مع ذلك عظم عليه ان يرى المدارس القرآنية مفتحة الابواب بها بضعة آلاف من الاطفال يتعلمون اللغتين الا ان اللغة العربية لها النصيب الاوفر . فهو يرى ان بقاء هؤلاء في لجة الجهالة خير من تعليمهم على طريقة يرى انها خطر على السياسة . واستدل على خطر هذا النوع من التعليم السني بلاقي معارضة عنيفة في الاوساط البيداغوجية والمناصونية لانه حائل دون صبغ الايالة بالصبغة اللائكية بان الدستوريين مهتمون دائما بهذا النوع من التعليم لانه وسيلة طيبة لنشر المبادي الملية .

انا لنعجب والله ان يصدر مثل هذا من موظف عال . وانا لشارحون له سبب تعلق الامة بهذا النوع من التعليم . ان عموم التونسيين يطلبون فتح المدارس القرآنية العصرية لسببين فقط . احدهما ضيق المدارس الدولية عن ايواء ابنائنا وبقاء الاكثرية الساحقة منهم يجوبون الطرقات يتلقون فيها أسوأ الاخلاق ويتعلمون المنكرات حتى اذا ما شبوا كانوا بلية هذه الامة ومصيتها العظمى يعمرسون السجون ويكونون قذى في عين هذا الشعب المسكين .

ثانيهما ما للغة آباءنا وديننا من الحظ المنقوص في المدارس الابتدائية الدولية ومعاملتها بالدون وما نابها في القسمة الضيزى .

وما كانت المدارس القرآنية العصرية في وقت من الاوقات وسيلة طيبة لنشر المبادي الملية . او ليست المدارس المذكورة خاضعة لادارة المعارف داخلة تحت مراقبتها معشلة لاوامرها . ولم يكن

زعماء الدستور اليوم من خريجها . فما تخرجوا الا من مدارس الدولة بتونس ومدارس فرنسا في التي كوتهم وطورتهم ونفخت فيهم من روحها .

ولقد صرح اخيرا (وانا لشكرة على هذه الصراحة) بان الخوف الاعظم من تضائل اللائكية ورسوخ العقيدة الاسلامية في قلوب التونسيين بسبب هذه المدارس وذلك سبب بعد الشقة بين العالمين اللاتيني والعربي . ولكننا نقول له : ان الشعب التونسي شعب مسلم منذ ثلاثة عشر قرنا ولغته هي العربية وانه رغم اختلاف عناصره التي تكون منها فانه لا يشعر الا بانه عضو من العالم العربي الاسلامي المنتشر في جميع اقطار الارض وهو لا يريد ان يتحول عن ذلك في مستقبل الزمان الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وتمسكه بأهداب دينه ولغته وقوميته لا يكون حائلا بينه وبين التطلع نحو الرقي والسير نحو المدنية الحقيقية والحضارة . وتاريخنا المجيد على ذلك اعظم شاهد . فلا يكن في صدره حرج من ذلك ولا يحزن علينا . وليعلم أن للعلم رحما أقوى وأمتن من رحم القرابة وان انتشار المعارف لا يزيد الامم الا قربا من بعضها . ولا يوسع شقة الخلاف الفاصلة بين الاديان المختلفة الا الجهل . ثم انتقل الموظف العالي الى الحديث عن جامع الزيتونة وأساتذته فظهر الدفاع عن سمعتهم والحرص على المحافظة على كرامتهم واحترام الشعب لهم . ولذلك فهو لا يرضى لهم ان يلتحقوا بموظفي الحكومة وأن ينالوا ما ينالونه من المنح والغرامات والامتيازات وان ذلك ينقص من تعظيم الامة لهم لانهم اذا صاروا موظفين التحقوا حتما بالادارة اللائكية المناقبة لصفهم الدينية وخشي ان وقع ذلك ان يصير جامع الزيتونة يوما ما المدرسة الوحيدة العربية . وذكر ان حب المادة أعمى بصائر المدرسين وصيرهم يركضون وراءها .

ونحن نقول له : ان المدرسين لم تعم بصائرهم المادة ولا طمست على قلوبهم ولكنهم يا جناب الموظف الكبير قوم كسائر البشر ياكلون الطعام ويمشون في الاسواق وليسوا من نوع الملائكة الذين هم ارواح مجردة لا ياكلون ولا يشربون ولا يلبسون ولم يكونوا يوما من الرهبان المنقطعين عن هذا العالم ومدينته ولا من غلاة المتصوفة الذين زهدوا في الدنيا وزينتها . وهم في ذلك عاملون بسنة نبهم صلى الله عليه وسلم ومتأثرون بتعاليم الكتاب المقدس القرآن . فنبهم عليه السلام قد اخذ شيئا من عرض هذه الدنيا ولم ينقص ذلك من عالي مرتبته وكان من اكسر دعائه عليه السلام : ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . واذا كان الله قد خلق لبني آدم ما في الارض جميعا . وقال : قل من جرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق فعلمنا لا نأكل الرقاق ونلبس الرقيق وهل يريد الناس منا ان تنازل لهم عن دنياهم ويتنازلوا لنا عن آخرتنا . لا بل اتنا نريد ان نقاسمهم دنياهم ويقاسمونا آخرتنا . واذا كانت غلاة الصوفية ينفرون الناس من الدنيا فليس ذلك هو التصوف الحقيقي . ومن اطلع على التاريخ علم ان العلماء قديما وحديثا كانوا يأخذون من الحكومات ارزاقا تكفيهم القيام باود حياتهم . فهذا نظام الملك وزير السلاطنة ألب

ارسلان المتوفى سنة ٤٨٥ الذي أنشأ المدارس الكثيرة في بغداد واصهبان ونيسابور والشام وخراسان والعراقيين كان ينفق عليها كل سنة ستمائة ألف دينار أغلبها لاساتذتها وهم من كبار العلماء الاتقياء بل من الصوفية ومن أشهرهم أبو القاسم الدبوسي وأبو حامد الغزالي والشاشي والسهروودي وأبو اسحاق الشيرازي وغيرهم ممن لا نحصى لهم عدا. وكانوا يتناولون المرتبات الطائلة من يد الحكومة وما علينا ان ذلك نقص من مقدارهم أو حط من قيمتهم وما لنا نذهب بعيدا فهؤلاء الحكماء الشرعيون بتونس يأخذون ما يأخذ الموظفون من منج وغرامات حتى الاعانة العائلية ومنحة السكنى وما سمعنا ان الناس ازدروا بهم لذلك

وأما قوله إنهم اذا صاروا موظفين دخلوا تحت النفوذ اللائكي وذلك لا يليق بهم فتجيبه عنه بأن المدرسين اذا صاروا موظفين لا يكونون تحت النفوذ اللائكي بل يكونون موظفين كسائر الموظفين التونسيين المسلمين الخاضعين للحكومة ورئيسها الامير المسلم الذي دين حكومته الرسمي الاسلام ولسانه العربي أحد اللسانين الرسميين. وما علينا قبل اليوم أن تونس تعيش تحت نظام لائكي لا يعترف بالاديان ولا يخضع للتعاليم الروحية

ثم إن أسمعنا قد ملت والله من القول بأن التعليم بجامع الزيتونة تعليم ديني بحت ليس للحكومة أن تقوم به ولا أن تعترف به رسميا ولا تعترف بحق القائمين به فهذا خيال شعري لا يؤيده الواقع ولا تقره فلسفة ديكرت. فلقد قلنا وأعدنا القول المرة بعد المرة ان العلوم التي تدرس بالزيتونة نيف وثلاثون علما منها ما هو ديني بحت ومنها علوم دنيوية لغوية وادبية ورياضية وغير ذلك. فحسبى ان لا نسمع بعد هذا ما محجته طباعنا ونبت عنه أسمعنا من كلام فارغ يراد به تخدير أعصانا وإيأسنا من تحقيق مطالبنا

إن مطالبنا يا جناب الموظف الكبير لهي مطالب مشروعة لا بد أن يأتي عليها يوم تحل فيه محل التنفيذ وقد أعترف بصحتها أهل العقد والحل فانتا لا تطلب مستجيلا ولا تقول الا حقا ما ذا نطلب ؟

إننا نطلب أن تكون مرتباتنا كمرتبات زملائنا في معاهد التعليم المماثلة لمعهدنا العظيم فإن من العار ان يكون مرتب النساخ في الادارات اكثر من مرتب مدرس من الطبقة الاولى بالزيتونة. ونطلب منحنا غرامة غلاء المعاش التي يأخذها حتى شواش الادارات والوقيتون نظرا لارتفاع اسعار المعاش على جميع الناس فكيف يعقل ان نبقى محرومين منها مع ان المعاش قد ارتفع ارتفاعا فاحشا ونحن نعيش كما يعيش الناس. ونطلب منحنا غرامة السكنى التي يأخذها جميع الموظفين ايضا حتى الوقيتونيون ونحن نسكن كما يسكنون واسعار الكراء مرتفعة جدا لا تتحملها مرتباتنا

ونطلب الاعانة العائلية التي نالها جميع الموظفين وهي اعانة على التكاليف العائلية لمن له اولاد أو ليس لنا اولاد كبقية الموظفين يطالبوننا بالمأكل والملبس

فهل هذه مطالب مشطّة ؟ كلا والله . ما طلبنا إلا ما أخذنا غيرنا من أمثالنا ومن هم دوننا رتبة فما هذا الاجحاف بحقوق أهل جامع الزيتونة وما هذه المعاملة الشاذة ؟
ثم تأسف الموظف العالي من عدم القضاء على التعليم القرآني الذي أخذ يتسامى نحو مسيطرة الحياة العصرية ويبدل جهد المستطاع في سبيل مزاحمة التعليم الاخر نجي . وتساءل بعد ذلك هل يدرك هذا التعليم القرآني غايته من المزاحمة والحياة ؟ وأجاب بانه لا يظن ذلك رغم المجهود العظيم الذي تبذله الامم الشرقية للابقاء على مدينتها بارجاعها لعنفوان شبابها وادخال عناصر جديدة عليها بانشاء مصطلحات علمية والفاظ حديثة . وعلل ذلك ببقاء الاجتهاد موحد الابواب وأنه يصعب حله بقوة الناشئة الاسلامية

ونحن نقول له : إننا نجيبك عن هذا السؤال ونحقق لك أن التعليم القرآني الديني وإن تضاعف في اول الامر بسبب الصدمة قد أخذ في استجماع قوته ونشاطه واستعاد ما كان له من فتوة وأخذ يتطور مع الزمان ويزاحم غيره دفاعا عن حياته عملا بقاءة تنازع البقاء . وهذه المدارس القرآنية العصرية لا تزال كل عام في ازدياد والمسلمون مقبلون عليها إقبالا عظيما مع أنها ليست بحجانية وتلامذة جامع الزيتونة قد تضاعفوا في بحر عشرين سنة خمس مرات حتى فتحت له فروع جديدة رغم المعاكسات التي يلاقها خريجه . وقد تطورت أساليب التعليم به وستزيد تطورا وتقدما
فهل هذه يا جناب الموظف السامي علامات موت ؟ كلا والله بل هي حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة

وليس لفلسفة ديكرات ولا غيره قدرة على زعزعة تعاليم القرآن والسنة النبوية وإن القرآن لا يزيد مع العلم الا رسوخا وثباتا في قلوب اهله . سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم . والاسلام خالد خلود الجبال

وأما نصيحته لفرنسا بأن من مصلحتها القضاء على التعاليم القرآنية لتقريب الشقة بين الفرنسيين والبرابرة زاعما ان بقاءها من شأنه أن يبقّي الافكار في جو من التعصب الديني وجنوح لاخذ ثمار الحروب الصليبية .

ولكننا نقول له إنه قد غش دولته في هذه النصيحة ونحمد الله تعالى ان كبار الفرنسيين من اهل الحل والعقد بهذه البلاد لا يرون رأيه . وليعلم ان التعليم القرآني لا يوسع الشقة بين الشيعين . فالقرآن لا يأمر ببغض المخالفين وعدم معاملتهم بالحسنى وعدم القسط اليهم بل يأمر ببر غير المسلمين ومحادلتهم بالتي هي أحسن واحترام دماءهم واموالهم واعراضهم . ونقول له مع ذلك إنه هو وأمثاله ممن ينشرون على الصحف السيارة امثال هذه المقالات هم الذين يوسعون الشقة بين الفريقين ويؤثرون بأقوالهم هذه اثرا سيئا جدا في نفوس المسلمين . ولولا أنهم يعلمون ان هذا الموظف إنما يعبر عن رأيه لا عن رأى الحكومة لاهلهم الامر . ولكن لهم ثقة تامة باصحاب المناصب العالية الذين لا تخفى على مداركهم سخافة هذه الاراء . وإذا كنا نعتقد صحة قول الله تعالى : إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون . ونعلم أن جناب سمو أميرنا المعظم ابقاه الله لا يرضى بشيء من ذلك لقوة إيمانه وصلابته في الحق فلا نخاف من هذه الدسائس المصورة بصورة نصائح

يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا ان يتم نوره . (مدرس)

جدول الاصلاح والخطأ

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١٦١	١٢	مسطبه	ممعطبه
١٩٣	١٠	تجعلہ	يجعله
١٦٤	١١	رسول صلى الله	رسول الله صلى الله
١٦٩	٢٢	مرءات	مرءآة
١٧١	٨	تكليف	تكليفا
١٧١	١٣	فلا تموتن	ولا تموتن
١٨٠	٩	سيدنا	لسيدنا
١٨٠	٢٠	قضية	قضيته
١٨٢	٧	ابن داود	ابن دواد
١٨٣	١	قاض	قاضيا
١٨٣	١٠	الورغي	الورغمي
١٩٣	٨	القطعية	القطعية
١٩٥	٣	الاياب	الاييا
١٩٥	٨	الفرادس	الفراديس
١٩٥	١٠	وانس بها	وانس بها *
١٩٥	١٦	المعود فقف	المعود فقف *
١٩٧	١٠	والسلام	والاسلام
٢٠٠	٢٢	لائكته	لائكته
٢٠٣	٢٥	نواحي	نواحي
٢٠٧	١٨	واياسنا	واياسنا

اصلاح خطأ بالعدد الثالث

١٠٩	٨	وصالح وثمود	وصالح اخو ثمود
-----	---	-------------	----------------

تتميم

اتصلنا من الحجة الامام الشيخ عبد الحي الكتاني مقال في نشأة الجمعيات الخيرية والملاحية في الاسلام ضاق نطاق هذا العدد عن نشره ونشر غيره من التجارير والاجوبة عن الاسئلة التي وجهت الى المجلة فنعتذر لاصحابها الافاضل وموعدنا عددنا المقبل ان شاء الله

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية الزيتونية
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الخامس	تونس - في ربيع الاول ١٣٥٨ - ماي ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--------------------------------------	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثانى بجامع حمودة باشا

رئيس قلم التحرير :

محمد المنحاز بن محمود

المفتي الحنفى
بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

العدد	المقال	صاحبه
٢١٠	خطاب القي في حفلة جمعية الشبان المسلمين	بقلم الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة
٢١٣	بمولد الرسول صلى الله عليه وسلم	» صاحب الفضيلة مولانا شيخ الاسلام
٢١٨	تفسير آيات من سورة البقرة	الملكلي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
٢٢٤	ختم الحديث الشريف	للعالم الامام مولانا شيخ الاسلام الحنفي
٢٣٢	التقوى وحسن الخلق ختم	الشيخ محمد بن يوسف
٢٣٦	الملاحى الخيريه في الاسلام	بقلم المنعم المبرور شيخ الشيوخ الشيخ
٢٤٠	تفصيل وبيان	الطاهر ابن عاشور الاواهى المفتي الملكلي
٢٤٢	القضاء الشرعي (٢)	كان ، برد الله ثراه
٢٤٨	بعثة خير الدين للاستانة	» العلامة الحجة التحرير الشيخ محمد
٢٥١	تهنئة الامير الجليل بعيد المولد الشريف	الحجوي وزير المعارف بالحكومة
	ومدح الرسول الاعظم عليه الصلاة والسلام	الشريفة المغربية
	(قصدة)	» العلامة الحافظ المولى محمد عبدالحى الكتاني
		» العالم المدرس الشيخ علي النيفر
		» العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
		ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية
		» العالم امير الامراء الاستاذ محمد صالح
		مزالي عامل بنزرت

الاستيراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 يخضم الربع للسلامة

وصولات الاشتراك لا تتم الا اذا كانت
 ممضاة من امين المال
 محمد الهادي بن القاضي
 والمخاربات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية الزيتونية
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء الخامس	تونس - في ربيع الاول ١٣٥٨ - ماي ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--------------------------------------	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن القايني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦٠٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

تجد باسم مدير المجلة بمحل الادارة



لقد جاءكم رسول

من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

في مثل هذه الشهر المبارك منذ اربعة عشر قرنا ونيف - طمع نور قدسي في افق الرحمة الربانية بين يدي هلال وضاء لا عهد للانسانية بنوره المين . بيد أنه نور معنوي لا تدركه الابصار وطلع هلاله في سماء أشرف بقعة من بقاع الارض حيث الكعبة بيت الله الحرام . ونادى داعي البشارة في عالم الملكوت مخاطبا اهل السماوات والارض لقد جاءكم من الله نور الهداية ونبراس المعرفة والحجة الدامغة والمرشد المعين . هاهي ذا الاقدار تضع منار الحق في مفترق الطرق لهداية السالكين . هاهي آمنة بنت وهب بن عبد مناف أرملة عبد الله بن عبد المطالب زعيم قريش وسيدهم . قد ولدت سيد العالمين . ذلك الذي ستدين لعظمته العروش . وتعنوا له الصوالج والتيجان . ويفك عن البشر اصرهم والاعلال التي كانت في أعناقهم . ويقيم للانسانية معقل النجاة وارتفع صوت في الارحاء مناديا :

أي بني الانسان ما لقافلة البشر نخطئة الطريق عادمة الدليل سيطرت عليها الوثنية فأعدمتهما الرشاد . ما لهذا الجهل السائد يقيد العقول بعقال من فولاذ . ويجعل الدهماء مستعبدين وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ؟

ما لهذه الدولة البيزنطية يطفى جابرتها يستعلون اثما وعدوانا . ويقيدون العقول ويتحكمون في القلوب ويغفرون من دون الله ؟

ما لهؤلاء الاكاسرة يحكمون الشهوة . ويعيثون في الارض فسادا . لا يمنهم قانون . ولا يكبح جراح نفوسهم المتمردة وازع ؟

ما لاولئك الهنود وهذا الوباء الاخلاقي الذي عصف بالفضيلة ففسدها نسفا . وهذه الاباحية الساحقة الحسيسة ؟

ما لاولئك الصينيين يحكمون المادة فتقذف بهم في هاوية الضلال والعار ؟

الخطاب الذي القاه صاحب المجلة في الاحتفال الذي اقامته جمعية الشبان المسلمين بذكرى المولد الشريف

ما لاولئك الا فارقة وهذه البربرية التي طغت عليهم فأفقدتهم العز والسلطان والجاه ؟
 ما هؤلاء الاحباش وقد تشجعت نفوسهم واستأسدت فلم تقنع بالحيوان حتى مدوا أيديهم الضارية
 لبني الانسان

ما لابناء الفراعنة يعتلون في الارض ويطغون طغيانا عظيما ؟
 ما لهذه الجزيرة العربية المباركة تفقد دينها القويم . الذي وصاه به ابراهيم . ومن خلف ابراهيم
 من النبيئين ؟

ما لاولئك الاوزاع والهمج من مختلف الشعوب تطغى عليهم الحيوانية . فلا يفهمون الحق . ولا
 تسموا لهم نفوس ؟ رباة . رحمتك وسعت كل شيء . فارحم اهل الارض وابعث في الناس رسولا
 يهديهم صراطك المستقيم . فقد ضلوا ضلالا عظيما يعلمهم الحكمة . ويروض نفوسهم على العدل والحق
 الذي ترضاه للخلق أجمعين لا جرم اذا اجاب الرحمن الرحيم صوت الانسانية المسترحم
 (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم)
 ذلك بعض ما كان عليه المجتمع الانساني إياها السادة

يثن من وجع امراضه الفتاكة . وتتصاعد من نفسه زفرات تتصاعد الى السماء بذلك الصدا المفزع .
 ويتوسد جثمانه المخاطر ويضطجع على اديم اشتعلت في ارجائه نيران الفتن المضنية ويرتدي بلحاف
 الخزي والعار فلا ايمان ولا عدل ولا حق . ولا طهر ولا عفاف . ولا أمن ولا سلام فكانت البشرية
 في أشد الحاجة الى رسول امين . ومصلح عظيم ومجدد أقوم يأتي على فترة من الرسل لاتقاذ العالم .
 رسول من انفسكم تعرفونه وتتحققون مكاتته فيكم فلقد جرت سنة الله في المرسلين ان يكونوا
 في شرف من قومهم . وكذلك كان سيدنا محمد بن عبد الله في شرف من قومه بل من الناس كافة .
 يتصل نسبه الشريف باعرق قبيلة في قبائل العرب وأزكى الناس سؤددا ومجدا . كما نطق بذلك
 حديث الترمذي قال سول الله صلى الله عليه وسلم . ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسماعيل .
 واصطفى من ولد اسماعيل كنانة . واصطفى من كنانة قريشا . واصطفى من قريش بني هاشم . واصطفاني
 من بني هاشم . فهو صلى الله عليه وسلم خيار من خيار من خيار من خيار . هيا تعالى له شرف النسب
 حتى برز خلاصة كاملة . من أصول أمجاد . وعشيرة رجالها صناديد . اساد وطهرة من سفاح الجاهلية .
 وعوائدها المنكرة . فاتحدر من اصلااب اطهار . وبرز نورة من (آمنة) في احسن تكوين بعد اقتران
 صحيح . وكذلك سلسلة النسب الشريف . فهذا ابن الكلبي النسابة الحخير . يكتب للنبي . صلى الله
 وسلم خمسمائة ام فلا نجد فيها سفاحا ولا شيئا مما كانت عليه الجاهلية غير النكاح .

وينشأ صلى الله عليه وسلم نشأة سؤدد وشرف يحتضنه العفاف . ويرتضع من لبان الروءة والصلاح
 ويؤدبه ربه تأديب ملك كريم . فيظهر عليه كل خلق عظيم . ويخلق بأخلاق المرسلين . حتى يكون
 قدوة للناس أجمعين . ويتقبلوا منه رسالة ربه ويصدقوه تصديق الاكرمين .

ويؤهله لرعاية البشر كافة بما ميزه من العاطفة السامية فيعز عليه أن يرى الناس في شقاء أو يقعوا في عنت . أو تصيبهم مشقة . أو ضيق . وتتطلع الانفس لسير هذه العظمة المكنون . فلا تهدي لذلك . واني لهم ان يعلموا انه الرسول الذي سيصدق بالحق . ويكشف عن ظلمة الاباطيل المخيمة على الانسانية . فلها كمل من عمره اربعون سنة بعثه الله بشيرا ونذيرا وانزل عليه القرآن الكريم . فخطب به الناس كافة وأحاطهم بسياج الشريعة السمحة . التي تكلفت للبشر بالسعادة . وكشفت لهم عن الحق الذي لا مرأ فيه . وجاءهم بالدين القويم . والعالم السامية . التي كتب الله لها الخلود على مر الايام والعصور فقام بأعباء الرسالة أحسن قيام . وسمت تعاليم رسالته في أفق الحياة الاجتماعية . وسطع نور العقيدة نبراسا وضاء اهتدي به الى الصراط الحميد

فهو الرسول الذي علم العقيدة المثلى

وهو الذي علم البشر الحق كما هو حق وعلمهم قاعدة المساواة في الحقوق .

وهو الذي أعطى الرجل حقه والمرأة حقها

وهو الذي قعد أصول التشريع العامة

وهو الذي كون الدولة التي تحفظ للشعوب مصالحهم في الحياة وبعد الحياة وأسس قواعدها المحكمة الترضيع . وهو الذي حول أنظار العالم الى أنواع من الحياة لم يكن لهم بها عهد من قبل وهو الذي كون من نفوس المسلمين مادة هي اكسير الحياة لمن يتطلب حياة السعادة وهو التضحية هو الذي أقام من نفوس المسلمين التي كانت متمردة أقام منها هيكل عظيم يتحرك بارادة رجل واحد . وجعل قلوبهم على قلب رجل واحد

وهو الذي صان الفرد من عادية الفرد . وصان العائلة من ظلم رئيسها . والامة من طغيان راعيها

وهو الذي جعل نظام الامة أساسه الشورى

وهو الذي سن النظم المالية حتى لا يكون المال دولة في أيدي الاغنياء

وهو الذي رمز للعلم والمعرفة والقيام بالواجب . وعلم المسلمين التضحية في سبيل الحق الاعلى

أيها المستمعون هذه طرف من تعاليم الرسول الكريم والسراج المنير . من كان بالؤمنين رؤوفا رحيما . تضيء في نفوسكم أنوار رسالته وتبعث في اعضائكم النشاط للقيام بأعبائها

فهل أنتم مدركون ذلك القبس من النور ؟

نعم تلك هي الشعلة الوضاءة التي بقيت في نفوس المسلمين وهي المهرم الذي تحتاج اليه نفوسهم عساها ان تجد الطبيب المداوي

ربي ان نور الهداية يكاد يحتجب عن الابصار وها هو العالم يتمخض عن حوادث عظام . فاهد أمة رسولك الذي تحتفل بمولده في هذه الليلة العظمى هداية سرمدية حتى يسيروا على غرار من سبقهم من الصالحين انك نعم المجيب

محمد الشاذلي ابن القاضي

القرآن الكريم

خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَمَى أَبْصَارَهُمْ
غُشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَمِنَ النَّاسِ مَن
يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ

من تفسير العلامة الهمام فضيلة الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة) هذه الجملة جارية مجرى التعليل
للحكم السابق في قوله تعالى سواء عليهم آذنتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وبيان لاسبه في الواقع ليدفع
بذلك تعجب المتعجبين من استواء الانذار وعدمه عندهم ومن عدم نفوذ الايمان الى نفوسهم مع وضوح
دلائله فاذا علموا ان على قلوبهم ختما وعلى اسماعهم وان على ابصارهم غشاوة علموا سبب ذلك كله
وبطل العجب . ولكون هذه الجملة واقعة موقع التعليل قطعت ولم تعطف ، والختم السد على الاناء
والغلق على الكتاب بطين ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم وقد كانت
العرب تختم على قوارير الخمر ليصلحها انجاس الهواء عنها وتسلم من الاقدار في مدة تعتيقها . واما تسمية
البلوغ لآخر الشيء ختما فلان ذلك الموضع او ذلك الوقت هو ظرف وضع الختم فسمى به مجازا وليس
الختم على القلوب والاسماع ولا الغشاوة على الابصار هنا حقيقة كما توهمه بعض ظاهرية المفسرين فيما
نقله ابن عطية بل ذلك جار على طريقة المجاز بان جعل قلوبهم في عدم نفوذ الايمان والحق والارشاد
اليها وجعل اسماعهم في استنكاكها عن سماع الآيات والنذر وجعل اعينهم في عدم الانتفاع بما ترى من
المعجزات والدلائل الكونية كأنها محتوم عليها ومغشى دونها على طريقة الاستعارة بتشبيه عدم وصول النفع
الى العقول والاسماع بالختم وتشبيه عدم وصول التأمل الى الابصار بالغشاوة وكلاهما استعارة تحقيقية
الا أن المشبه محقق عقلا لا حسا وليس ذلك باستعارة تمثيلية اذ ليست للقلوب والاسماع والابصار في
هذه الحالة هيئة مشاهدة حتى تشبه هيئة اخرى وقد قررنا الكشف ومتابوعه بما فيه بعد وتكلف ينبر
عنه الذوق فلا اطيل بتقريره وتزييفه

وانما افرد السمع لانه اريد منه المصدر الدال على الجنس اذ لا يطلق على الآذان سمع الا ترى انه جمع لما ذكر الآذان في قوله يجعلون اصابعهم في آذانهم وقوله وفي آذاننا وقر فلما عبر بالسمع افرد لانه مصدر بخلاف القلوب والابصار فان القلوب متعددة والابصار جمع بصر الذي هو اسم لا مصدر ويمكن تقدير محذوف اي وعلى حواس سمعهم أو جوارح سمعهم، وقد لاح لي انه قد تكون في افراد السمع لطيفة روعيت من جملة بلاغة القراء وهي ان القلوب كانت متفاوتة واشغالها بالفكر في حال الايمان والدين مختلفا باختلاف وضوح الادلة والكثرة والقلّة وتلقي انواع كثيرة من الايات فلكل عقل حظه من الادراك . وكانت الابصار ايضا متفاوتة تتعلق بالمرئيات التي فيها دلائل الوجدانية في الافاق وفي انفسهم والتي فيها دلالة المعجزات والعبر والمواعظ فلكل بصر حظه من الالتفات الى الآيات فلما اختلفت انواع ما تتعلقان به جمعنا واما الاسماع فانما كانت تتعلق بسمع ما يلقي اليها من الدعوة فلما اتحد تعلقها بالمسموعات جعلت سمعا واحدا ، وجملة وعلى سمعهم معطوفة على قوله على قلوبهم باعادة العامل لزيادة التاكيد حتى يكون المعطوف مقصودا لان على مؤذنة بالمعلق فكأن ختم كرر مرتين على ما جزم به في الكشف وفيه ملاحظة كون الاسماع مقصودة بالحثم اذ ليس العطف كالتصريح بالعامل . وليس قوله وعلى سمعهم خبرا مقدما لغشاوة لان الاسماع لا تناسبها الغشاوة وانما يناسبها السد الا ترى الى قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة وفي آذانهم وقر ويجعلون اصابعهم في آذانهم . وتقول العرب استك سمعه ولان تقديم قوله وعلى ابصارهم على قوله غشاوة دليل على انه هو الخبر لان التقديم لتصحيح الابتداء بالنكرة قلو كان قوله وعلى سمعهم هو الخبر لاستغني بتقديم احدهما وابقى الاخر على الاصل من التأخير فليل وعلى سمعهم غشاوة وعلى ابصارهم وفي تقديم السمع على البصر في واقعه من القراءان دليل على انه افضل فائدة لصاحبه من البصر كما ينه الفخر رحمه الله

(ولهم عذاب عظيم) العذاب الالم وقد قيل ان اصله الاعذاب مصدر اعذب اذا أزال العذوبة لان العذاب يزيل حلاوة العيش فصيح منه اسم مصدر يحذف الهمزة وهو اسم موضوع للالم بدون ملاحظة اشتقاق من العذوبة اذ ليس يلزم . صير الكلمة الى نظيرتها في الحروف ووصفه العذاب بالعظيم دليل على ان تنكيره ليس للتعظيم بل لمجرد النوعية والقصد من الوصف الدلالة على تعظيمه صراحة لان التنكير وان كان صالحا للدلالة على التعظيم لكنه ليس نصا في تلك الدلالة

(ومن الناس من يقول ءامنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين) الواو لعطف طائفة من الجمل على طائفة مسوق كل منهما لغرض المناسبة بلين الغرضين فلا يتطلب في مثله الا المناسبة بين الغرضين لا المناسبة بين كل جملة واخرى من كلا الغرضين قاله التفتراني في شرح الكشف ونقله السيد ونوه به فقال انه اصل عظيم في باب العطف لم يتنبه له كثيرون فاشكل عليهم الامر في مواضع

شئى واصله ماخوذ من قول الكشاف « وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة » فافاد بالتشبيه ان ذلك ليس من عطف الجملة قال المحقق عبد الحكيم وهذا مما اهماله السكاكي وتفرد به صاحب الكشاف . وانا اقول ان الآيات السابقة لما انتقل فيها من الثناء على القرءان بذكر المهتدين به بنوعهم الذين يؤمنون بما انزل اليك الى آخر ما تقدم وانتقل من الثناء عليهم الى ذكر اضدادهم وهم الكافرون الذين اريد بهم الذين اشركوا بالصراحة كان السامع قد ظن ان الذين اظهروا الايمان قد دخلوا في قوله الذين يؤمنون بالغيب فلم يكن سائلا عن قسم آخر فهم الذين اظهروا الايمان وابطنوا الشرك او غيره المعبر عنهم بالمنافقين الذين هم المراد من الناس هنا بدليل قوله في عطف احوالهم واذا لقوا الذين ءامنوا قالوا ءامنا الآية لان هذا القسم لغرابة امره لا يخطر بالبال وجوده فنانسب ان يذكر امره للسامعين ولذلك جاء بهذا الجملة معطوفة بالواو اذ ليست الجملة المتقدمة بمقتضية لها بخلاف جملة ان الذين كفروا سواء عليهم اذ ترك عطفها على ما قبلها لان ذكر مضمونها بعد مضمون التي قبلها كان مترقبا فكان السامع كالسائل عنه فجاء الفصل للاستيناف البياني . وقوله من الناس خبر مقدم لا محالة وقد يترأى ان الاخبار بمثله قليل الجدوى لانه اذا كان المبتدا دالا على ذات او معنى لا يكون الا من احوال الناس يكون الاخبار عن المبتدا بانه من الناس او في الناس غير مجد بخلاف قولك الحضر من الناس اي لا من الملائكة فان الفائدة ظاهرة لانه قد يظن انه من الملائكة فبنا ان نوجه الاخبار بقولهم من الناس في نحو الآية ونحو قول أحد اصحابنا الاعزة يذكر خطة القضاء

في الناس من القى قلاذتها الى خلف فحرم ما ابتغى واباحا

ان القصد الى اخفاء المخبر عنه كما تقول قال هذا رجل وذلك عند ما يكون الحديث يكسب دما او نقصا ولذلك التزم تقديمه في مثل هذا التركيب لان في تقديمه تنبيها للسامع على عجب ما سيذكر ولو اخر لكان موقعه زائدا لحصول العلم بان ما ذكره المتكلم لا يقع الا من انسان . وقد قيل ان موقع من الناس مؤذن بالتعجب وان اصل الخبر افاد ان فاعل هذا الفعل من الناس لئلا يظنه المخاطب من غير الناس لشناعة الفعل وهذا بعيد عن المقصود لانه لو كان كما قال لم يكن لتقديم الخبر فائدة بل كان تأخيرة اولى ليتقرر الامر الذي يوهم ان مدلول المبتدا ليس من الناس فهذا توجيه هذا الاستعمال . وذلك حيث لا يكون لظاهر الاخبار بكون المتحدث عنه من افراد الناس كبير فائدة فان كان المقصود افادة ذلك حيث يجهله المخاطب كقولك من رجال بعض القبائل من يبرقع وجهه او حيث ينزل المخاطب منزلة الجاهل كقول عبد الله بن الزبير (بفتح الزاي)

وفي الناس ان رثت جبالك واصل وفي الارض عن دار القلى متحول

اذا كان حال المخاطب حال من يظن ان المتكلم لا يجد من يصله ان قطعه هو وكقول دريد بن الصمة

وما انا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية ارشد

اذ كان حال المخاطب حال من يظنه من قوم غير قومه

فلذلك طلب منه مخالفة حالهم فذكر من الناس ونحوه في مثل هذا وارد على اصل الاخبار هذا ما لاح لي في نكتة هذا الاستعمال وارجو ان يكون من مواهب الكبير المتعال وللكاتبين على الكشف وتفسير البيضاوي وجوه في بيان فائدة مثل هذا التركيب تنكبوا فيها عن الحادة ولم يميظوا القناع عن وجه الفائدة وقد اشار اليها العلامة عبد الحكيم في حاشية التفسير وتقديم الخبر هنا للتشويق الى المبتدا لمعرفة الفريق المتحدث عنه واذا تقرر ان قوله تعالى من الناس مودن بان المتحدث عنهم لهم قصة حقيق صاحبها بالاخفاء اذ لا يستر ذكرهم الا لان حالهم من الشناعة بحيث يستحي المتكلم ان يصرح بموصوفها وفي ذلك من تحقيق شان النفاق ومذمته امر كبير وارد على طريقة العرب فوردت في شانهم هنا ثلاث عشرة آية متتابعة نعي عليهم فيها خبثهم ومكرهم وسوء عواقبهم وسفه احلامهم وجهالهم واردف ذلك كله بتحقيق وتهكم وتمثيل حالهم في اشنع الصور وهم احرياء بذلك فان الحصلة التي تدربوا فيها تجمع مذام كثيرة اذ النفاق يجمع الكذب والجبن والمكيدة وافسن الراي والبله وفساد التريبة والطمع واضاعة العمر وزوال الثقة وعداوة الاصحاب واضمحلال الفضيلة . اما الكذب فظاهر واما الجبن فلانه لولا لا لما دعاه داع الى مخالفة ظاهر فعله لما يظنه . واما المكيدة فلانه يحمل على اتقاء الاطلاع عليه بكل ما يمكن . واما افن الراي فلان ذلك دليل على الشعور بضعف العقل حتى سلك سبيل اخفاء رايه . واما البله فالجهل بان ذلك لا يطول تمشيه . واما فساد التريبة فلان طبع النفاق اخفاء الصفات المذمومة والصفات المذمومة اذالم تظهر لا يمكن للمربي ولا للصديق ولا لعموم الناس تغييرها على صاحبها فتبقى كما هي وتزيد تمكننا بطول الزمان حتى تصير ملكة يتعذر زوالها . واما الطمع فلان غالب احوال النفاق يكون للرغبة في حصول النفع . واما اضاعة العمر فلان العقل ينصرف الى تدبير احوال النفاق وما يلزم اجراؤه مع الناس وما الحيلة لاختفاء ذلك وفي ذلك صرف الذهن عن الشغل بما يجدي . واما زوال الثقة فلان الناس ان اطلعوا عليه ساء ظنهم فلا يثقون بشيء يقع منه ولو حقا . واما عداوة الاصحاب فكذلك لانهم اذا علموا ان ذلك خلق صاحبه خشوا غدره فحذروه فادى ذلك الى عداوته . واما اضمحلال الفضيلة فنتيجة ذلك كله . وقد اشار قوله تعالى وما هم بمؤمنين الى الكذب وقوله يخادعون الى المكيدة والجبن وقوله وما يخادعون الا انفسهم الى افن الراي وقوله وما يشعرون الى البله وقوله في قلوبهم مرض الى نقص التريبة وقوله فرادهم الله مرضا الى دوام ذلك وتزايد مع الزمان . وقوله قالوا انما نحن مصلحون الى اضاعة العمر في غير المقصود وقوله قالوا انا معكم مؤكدا بان الى قلة ثقة اصحابهم فيهم . وقوله فما ربحت تجارتهم الى ان امرهم لم يحظ بالقبول عند اصحابهم وقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون الى

اضمحلال الفضيلة منهم وسيجيء تفصيل لهذا وجمع عند قوله تعالى في قلوبهم مرض، والثاني اصله اناس على اصح الاقوال بدليل ظهور ذلك في قول عبيد بن الابرس الاسدي يخاطب امرأ القيس ان المنايا يطلع من على الاناس الآمنينا

وبدليل قولهم في مرادفه انس واناسي وكل ذلك مشتق من الانس بضم الهمزة فحذفت همزته تخفيفا وحذف الهمزة للتخفيف شائع كما قالوا الوقة في الوقفة وهي الزبدة . وقد التزم حذف همزة انس عند دخول ال عليه غالبا . وهو اسم جمع لانسان وقيل انه جمع وهو من المجموع التي جاءت على وزن فعال بضم الفاء مثل ظوار جمع ظير ورخال جمع رخل وهي الانثى الصغيرة من الضان ووزن فعال قليل في المجموع في كلام العرب وقد اولع ائمة اللغة بجمع ما ورد منه فذكرها ابن خالويه في كتاب ليس وابن السكيت وابن بري وقد عد المتقدمون منها ثمانية جمعها ثلاثة ابيات تنسب للزمخشري والصحيح انها لصدر الافاضل ثم الحق كثير اللغويين بتلك الثمان كلمات اخر حتى انهيت الى اربعة وعشرين جمعا ذكرها الشهاب الحفاحي في شرح الدرر فعليكم بمراجعتة وقد قيل ان ما جاء بهذا الوزن اسماء جموع وكلام الكشف يؤذن به

والتعريف في الناس للجنس على الاصح لان ما علمه فيما تقدم من استعماله في كلامهم يؤيد ارادة الجنس . ويجوز ان يكون التعريف للعهد والمعهود هم الناس المتقدم ذكرهم في قوله ان الذين كفروا او الناس الذين يهدمهم النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في هذا الشأن وهم الكفرة وعلى كل تقدير فالمذكور بقوله ومن الناس من يقول الخ قسم ثالث مقابل للقسمين المتقدمين للتمايز بين الجميع بأشهر الصفات وان كان بين البعض والجميع صفات متفقة في الجملة فلا يشتبه وجه جعل المناققين قسيما للكافرين مع انهم منهم لان المراد التقسيم بالصفات المخصصة

وانما اقتصر القرآن على قولهم ءامنا بالله وباليوم الآخر مع انهم أظهروا الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم ايضا قصدا للايجاز في الاخبار لان الاول هو مبدأ الاعتقادات كلها لان من لم يؤمن بالصانع لا يصل الى الايمان بما بعد ذلك اذ هو الاصل كما هو مقرر في كتب علم الكلام وبه صلاح الاعتقاد الذي هو اصل العمل . والثاني هو الباعث والوازع في الاعمال كلها وبه صلاح الحال العملي وعندي ان وجه الاختصار على ذلك انه حكاية لكلامهم فهم الذين اقتصروا فيما اظهروه من الايمان على قولهم ءامنا بالله وباليوم الآخر لغاؤهم في الكفر فلا يستطيعون ان يذكروا الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم كراهية لهذا الاعتراف فيقتصرون على ذكر الله وباليوم الآخر وهم يوهمون بذلك ان كلامهم اكتفاء في ظاهرة وما هو الا محافظة على كفرهم باطنا لان اكثر المناققين وقادتهم كانوا من اليهود فنبه القراء ان على ما قصدوا تمويهه

وفي التعبير بلفظ يقول في مثل هذا المقام ايماء الى ان ذلك قول غير مطابق للواقع لان الخبر المحكي عن الغير اذا لم يكن المقصود ذكره نصه بحروفه وحكي بلفظ يقول او مأ ذلك الى انه غير مطابق

الحديث الشريف

باب

قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً (*)

أخرج البخاري من طريق جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطيت خمساً لم يعطهن نبيء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، فأما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي الغنائم ، وكان النبيء يبعث الى قومه خاصة وبعث الى الناس كافة ، وأعطيت الشفاعة .

هذا الحديث الشريف مما اشتهر بين ائمة الحديث ورواته اشتهاراً بلغ مبلغ التواتر بل قال السيوطي انه متواتر وقد تضمن خمس خصائص مما اختص به صلى الله عليه وسلم دون سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام

الخصوصية الاولى النصر بالرعب اي الخوف يقذفه الله في قلوب اعدائه من غير اسباب تقتضي ذلك عادة قال تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب . وقال وقذف في قلوبهم الرعب . والتقييد

لاعتقاده وأن المتكلم يكذبه في ذلك ففيه تمهيد لقوله وما هم بمؤمنين . وقوله وما هم بمؤمنين حيي . فيه بالجملة الاسمية المنفية ولم يحيى على وزان قولهم ءامنا بان يقال وما ءامنوا لانهم لما اثبتوا الايمان لانفسهم كان الايمان بالماضي اشمل حالاً لاقتضائه تحقق الايمان فيما مضى بالصراحة ودوامه بالالتزام لان الاصل ان لا يتغير الاعتقاد بلا موجب كيف والدين هو هو ولما اريد بقي الايمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بله الاستقبال فكان قوله وما هم بمؤمنين دالاً على انتفائه عنهم في الحال وهو يستلزم انتفاءه في الماضي بالاولى . ولان الجملة الفعلية تدل على الاهتمام بشان الفعل دون الفاعل فهم لما رأوا المسلمين يتطلبون ايمانهم قالوا ءامنا والجملة الاسمية تدل على الاهتمام بشان الفاعل اي ان القائمين ءامنا لم يقع منهم ايمان فالاهتمام بالمسند اليه في جملة النفي تسجيل على كذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملة الفعلية والاسمية وهو مصدق لقاعدة افادة التقديم الاهتمام مطلقاً وان اهملوا التنبيه على جريان هذه القاعدة في الفرق بين الجملة الفعلية والاسمية في كتب المعاني و اشار اليه صاحب الكشف هنا بكلام دقيق الدلالة

(*) درس الحديث الشريف الذي ختم به مولانا العلامة الهمام شيخ الاسلام الحنفي الشيخ محمد بن يوسف ابقاه الله بجامع حمودة باشاً في رمضان عام ١٣٥٦ وحضرة جلالة الملك سيدنا احمد باشا باي وآل البيت الحسيني العظام ووزراؤه الفخام ورجال دولته الكرام

بمسيرة الشهر للبالغة فيعم الشهر وما دونه تشهد بذلك رواية عمرو بن شعيب ونصرت على العدو بالرعب ولو كان بيني وبينهم مسيرة شهر

الخصوصية الثانية جعل الارض له ولائته مسجدا وطهورا وهذه الخصوصية مجموع امرين احدهما جعل الارض كلها مسجدا اي محلا للسجود او مكانا للصلاة الا ما قام فيه الدليل على الكراهة او عدم الصحة وقد بين صلى الله عليه وسلم وجه الخصوصية بقوله وايا رجل من امتي ادر كته الصلاة فليصل اي بخلاف من كان قبلنا فانما ايجت لهم الصلاة في اما كن مخصوصة كالبيع والصوامع وقد جاء ذلك صريحا في رواية عمرو بن شعيب وكان من قبلي انما كانوا يصلون في كنائسهم. وفيما اخرجه البزار من رواية ابن عباس ولم يكن من الانبياء احد يصلي حتى يبلغ محرابه. ثانيهما جعل الارض له ولائته طهورا اي مطهرة يتطهر بها من الحدث كما يتطهر بالماء بيان لرخصة التيمم الذي جاء التنزيل بمشروعيته ببركة ءال ابي بكر

ففي صحيح البخاري حدثنا عبد الله بن يوسف قال اخبرنا مالك عن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره حتى اذا كنا ما لبيداء او بذات الجيش انقطع عقدي فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على التماسه وأقام الناس معه وليسوا على ماء وليس معهم ماء فأتى الناس الى ابي بكر الصديق فقلوا الا ترى ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء فجاء ابو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم واضع راسه على فخذي قد نام فقال حبست رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس ليسوا على ماء وليس معهم ماء قالت فعاتبني ابو بكر وقال ما شاء الله ان يقول وجعل يطعنني بيده في خصرتي فلا يمنعي من التحرك الا مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على فخذي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اصبح على غير ماء فانزل الله آية التيمم فقيموا. فقال أسيد بن الحضير ما هذه باول بركاتكم يا ءال ابي بكر. فبعثنا البعير الذي كنت عليه فاصبنا العقد تحته

وفي الحديث دليل على صحة نسبة الفعل للمتنسب لقول الناس الا ترى ما صنعت عائشة اقامت برسول الله صلى الله عليه وسلم

وانظر ايها الباحث عن اسرار البلاغة ولطائفها الى قول عائشة رضي الله عنها فعاتبني ابو بكر ولم تقل اي لان وصف الابوة المقتضي للحنو غير مناسب لمقام العتاب والتأديب بالفعل فانزلته منزلة الاجنبي وعبرت بالكنية المشعرة بنوع ما من التعظيم اداء لحق الابوة فوفت المقام حق من الوجهتين الشرعية والادبية وذلك من كمال بلاغتها وكم لها في مثل ذلك من نظير

اخرج البخاري عن عبيد بن اسماعيل عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاعلم اذا كنت عني راضية واذا كنت علي غضبي. قالت: فقلت من أين تعرف ذلك فقال: اما اذا كنت عني راضية تقولين لا ورب محمد واذا كنت غضبي قلت لا ورب ابراهيم. فقلت: اجل يا

رسول الله ما أهجر الا اسمك. فتأمل حياك الله في قولها لا ورب ابراهيم فان التخصيص بسيدنا ابراهيم عليه السلام لاظهار التلطف وشدة التعلق بالنبي صلى عليه وسلم ولو في تلك الحال لان النبي صلى الله عليه وسلم اولى الناس بابراهيم عليه السلام اي أحصهم به واقربهم منه قال تعالى ان اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي. فذكر من هو به اولى اجدر بمقتضى الحال واولى ثم اعطف ببصرك الى قولها ما أهجر الا اسمك لترى ما فيه من كمال الاحتراس والمحافظة كما لا يخفى وقد اعاد البخاري حديث عائشة في التيمم من رواية عروة بن هشام وفيه ان عائشة استعارت القلادة من اختها اسماء رضي الله عنها وان الناس ادركتهم الصلاة فصلوا بغير وضوء. وترجم له بقوله باب اذا لم يجد ماء ولا ترابا. وانما اعادة تلك الترجمة لامرين احدهما دفع التعارض بين الروایتين في نسبة القلادة بان اضافها في الرواية الاولى لعائشة من اضافة الشيء للمستعير لكونه في يده وتصرفه وفي الرواية الثانية لاسماء من اضافه الشيء لما لكة. ثانيهما بيان الفقه الذي استنبطه من هذه الرواية وهو ان فاقد الطهورين يصلي ولا يعيد لان القوم صلوا من غير طهارة بالماء قبل نزول آية التيمم ولم ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ولا امرهم بالاعادة. ولان فقد التراب بعد مشروعية التيمم بمثابة فقد الماء قبل مشروعيته. وذلك كدأبه الذي امتاز به هذا التأليف المبارك حتى اشتهر ان فقه البخاري في تراجم ابوابه بيد ان طائفة منها جاءت تطارحنا لا على طريق الصراحة بل على طريق الرمز والاشارة فكانت عزيزة المنال

اعني فحول العلم حول رموزما ابداه في الابواب من اسرار

ومن ثم قيل ان شرح تراجمه لم يزل دينا على الامة فلا غرو اذا قلنا ان جامع محمد ابن اسماعيل من الغريب المصنف في الاحكام الشرعية بمداركها الاجتهادية وبهذا النموذج اللطيف يتبين ان اعادة الاحاديث فيه ليست لمجرد التكرار بل لبيان الاسرار ومعاني الآثار ويرحم الله القائل

قالوا المكرر فيه قلت المكرر أحلى

وللمجتهدين في فاقد الطهورين اقوال يصلي. او يشبه بالمصلي ويعيد. لا يصلي ويعيد. يصلي ولا يعيد.

وهو قول البخاري وجهور المحدثين. وهو ظاهر الحديث من رواية عروة بن هشام

وسواء قلنا ان التيمم رخصة أو عزيمة فهو لما فيه من التيسر ورفع الحرج كسائر الرخص

التي هي صدقات وهدايا من الله تعالى لعباده رحمة منه وفضلا فينبغي للعبد ان يتقبل هدية مولاه

بواجب الشكر وغاية الاجلال والتعظيم قال تعالى يا ايها الذين ءامنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم

واشكروا لله. وقال يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا. وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه

وسلم قال في قصر الصلاة للمسافر انها صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته. الى غير ذلك من

الايات والاحاديث ومن الهدايا الثمينة الوعد بالنواب الجزيل على العمل القليل كالتسبيح بالكلمتين

الحبيبتين سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

وفي حديث حذيفة عند مسلم وجعلت لنا الارض كلها مسجدا وجعلت لنا تربتها طهورا . وبه استدل الشافعي واحمد على تخصيص الارض في حديث جابر الذي رواه البخاري بالتراب فلا يجوز التيمع عندهما بغير التراب من اجزاء الارض خلافا لابي حنيفة ومالك واجاب القرطبي وابن الهمام بان حديث حذيفة غير مخصص لان التخصيص اخراج بعض افراد العام من الحكم ولم يخرج حديث حذيفة شيئا وانما ذكر فيه بعض افراد العام بحكم العام كقوله تعالى : فيهما فاكهة ونخل ورمان . وذكر فرد من العام بحكم العام لا ينافي حكم العام حتى يكون مخصصا . هذه خلاصة الجواب ولعلك تقول ان عنيت بعدم المناقاة عدما من جهة المنطوق فمسلم لان حكم الفرد هو حكم العام وان عنيت من جهة المفهوم فلا لان الاقتصار على ذلك الفرد يفهم منه بطريق المخالفة نفي الحكم عما عداه وبذلك يتحقق الاخراج الذي هو التخصيص وعسى ان يكون ذلك مدحظ الامامين فالجواب ان هذا انما يتم اذا جوزنا تخصيص المنطوق بالمفهوم كيف والمنطوق مقدم على المفهوم وايضا فان لفظ التربة لقب ولم يقل بمفهوم اللقب الا الدقاق وبعض الاصوليين .

الخصوصية الثالثة احوال الغنائم وكان ذلك في غزوة بدر وفيها نزل قوله تعالى فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا كما في الصحيح ولم تحل لاحد من الأمم الماضية بل كانوا يجمعونها وتأتي نار تاكلها قال في الفتح وذلك في غير النساء والصبيان .

الخصوصية الرابعة عموم الرسالة للناس كافة وكان النبي . يبعث الى قومه خاصة وهو صلى الله عليه وسلم مبعوث لجميع الامم والشريعة التي جاء بها ناسخة لجميع الشرائع قبلها غير مقصورة على امته او طائفة دون اخرى تظافرت على ذلك الايات الصريحة والاحاديث الصحيحة قال تعالى : وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا . وقال : قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا . وقد اجمعت الامة اجماعا قطعا على ان المراد بهاتين الايتين مدلولهما اللغوي من غير تخصيص ولا تاويل ووردت السنة بذلك كحديث الباب ونحوه وكتب صلى الله عليه وسلم للملوك زمانه يدعوهم واممهم الى الاسلام ولا يشكل على ذلك ان سيدنا نوحا عليه السلام كان مبعوثا بعد الطوفان الى جميع اهل الارض وهم اصحاب السفينة الذين امنوا به وقبل الطوفان ايضا لدعائه على جميع اهل الارض بقوله رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . لوجوه ذكرها العلماء احسبنا عندي ان اهل الارض قبل الطوفان وبعده هم قومه للتخصيص على ذلك في آيات انا ارسلنا نوحا الى قومه . ولقد ارسلنا نوحا الى قومه . فبعثته عليه السلام في ذاتها خاصة لكونها الى قومه وفي الصورة عامة لعدم وجود غيرهم في الحالتين

الخصوصية الخامسة الشفاعة والمراد بها هنا الشفاعة التي هي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وهي ثلاث الاولى الشفاعة العظمى لا راحة للناس من هول الموقف وتقديمهم للحساب وهذه الشفاعة

لم يخالف فيها احد لا من المعتزلة ولا من غيرهم لتوارد الاحاديث الصحيحة البالغة مبلغ التواتر ومقامها هو المقام المحمود الذي يحمده فيه الاولون والآخرون واليه الاشارة بقوله تعالى ومن الليل فتعجب به نافلة لك عسى ان يعثك ربك مقاما محمودا. وقد اجمع المفسرون على انه مقام الشفاعة وفي البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة. الثانية الشفاعة في ادخال سبعين الفا الى الجنة بغير حساب فقد ورد في الصحيح يدخل الجنة من أمتي سبعون الفا بغير حساب. وفي أخر حديث الشيخين عن أبي هريرة فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي يا رب أمتي. فيقال يا محمد ادخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن من أبواب الجنة الثالثة الشفاعة لمن دخل النار من المذنبين واخراج من كان في قلبه منقال ذرة من ايمان وقد جاءت الاحاديث بذلك ترى فلا عبرة بانكار المعتزلة والخواارج بناء على اصلهم الفاسد. وله صلى الله عليه وسلم شفاعات اخرى في رفع الدرجات وغير ذلك مما وردت به الاحاديث والاناير. هذا وليس تقييد الخصائص في حديث الباب بعدد الخمس مقتضيا لنفي الزيادة عليها بطريق مفهوم المخالفة لان المفهوم هنا معطل لا اثر له فقد جاءت الايات والاحاديث ناطقة باختصاصه صلى الله عليه وسلم بخصائص كثيرة اخرى كالكوثر والمقام المحمود ولواء الحمد والوسيلة وغير ذلك بالغة كما قال النيسابوري الى ستين ومن الاصول المقررة ان المنطوق مقدم على المفهوم على ان مفهوم المخالفة بجميع انواعه ومفهوم العدد بالخصوص من مجاري الخلاف بين ائمة الاجتهاد وقد اشتهر عن الحنفية القول بعدم اعتباره والتحقيق ان كلمة المتقدمين اختلفت في اعتباره ثبوتا ونفيا والذي تداوله المتأخرون انه غير معتبر في الادلة الشرعية لاحتمال ان يكون التقيد باحد الاشياء الدالة على المخالفة لفائدة اخرى غير تقي الحكم عن المسكوت ومعتبر في كلام الناس الجاري على مقتضى عرفهم في الاستعمال ككلام ارباب التصنيف ونصوص الاوقاف ونحو ذلك ومن ثم افتى كثير من الفقهاء بان اقتصار الواقف على رجوع نصيب من مات عن غير- ولد لمشاركه في الطبقة يدل بطريق المخالفة على رجوع نصيب من مات عن ولد لولده لان نصوص الاوقاف من جملة كلام الناس وهو ما عول عليه شيوخنا في الفتوى والقضاء وجري به عملنا الى هذا اليوم. وربما اشكل ذلك من وجهين الوجه الاول ان المعتبر في مفهوم المخالفة هو التقييد اي نفي حكم المنطوق عن المسكوت لا ثبوت ضد الحكم للمسكوت بمفهوم في السائمة زكاة نفي الزكاة عن غير السائمة لا ثبوت الحرمة او الكراهة مثلا في غير السائمة وعلى وزانه تكون المخالفة في كلام الواقف عدم رجوع نصيب من مات عن ولد للمشارك الذي هو التقييد لا رجوعه للولد بالخصوص الذي هو ضد حكم المنطوق. الوجه الثاني قد تقرر ان نص الواقف ككس الشارع فكيف ساغ اعتبار اصل المخالفة في النصوص الواقفية الملحقة بالنصوص الشرعية والذي يظهر في الجواب عن الوجه الاول ان المعروف من كلام الواقفين الجارية به اقلام الموثقين في مثل ذلك هو ان المقصود من التقييد بمن مات عن غير ولد هو رجوع نصيب الميت عن ولد لولد

لا مجرد نفي رجوعه للإشراك والمعروف عرفا كالمشروط نضا وبذلك يتجلى ان المخالفة قد تكون على الضد وان اعتبار النقيض فيها ليس كليا بل هي على ضربين لغوية مبنية على النقيض بحسب الوضع وعرفية مبنية على الضد بحسب العرف . وعن الوجه الثاني باب الفقهاء صرحوا بان لفظ الواقف والموصي والخالف والناذر وكل عاقد يحمل على عرفه ولغته التي يتكلم بها فلا غرابة اذا ذهبنا الى تخصيص الكلية القائلة نص المواقف كنص الشارع بما ليس له عرف في الاستعمال والعرف مكان من الاهمية والاعتبار في فصول كثيرة وفروع شتى من الاحكام

والعرف في الشرع له اعتبار لذا عليه الحكم قد يدار

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم خصوصيات امته عموما واصحابه خصوصا فانها من كمال تفضيله ومرجعها اليه

ما أنزل الرحمن أو ينزل من رحمة تخلص أو تشمل

الا وصلة المصطفى عبده مختارة بنيه المرسل

وللصحابة رضي الله عنهم خصوصيات كثيرة فمن خصوصيات ابي بكر رضي الله عنه مرافقته للنبي صلى الله عليه وسلم في الهجرة ومؤانسته له في الغار واعظم بها من خصوصية وسد الابواب الشارعة الى المسجد الا باب ابي بكر ففي البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يبقين في المسجد باب الاسد الا باب ابي بكر . ومن خصوصيات سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فرار الشيطان منه . في صحيح البخاري عن سعد ابن ابي وقاص قال استاذن عمر بن الخطاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر بن الخطاب فمن يبادرن الحجاب فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر اضحكك الله سنك يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب فقال عمر فانت احد ان يهن يا رسول الله ثم قال عمر يا عدوات انفسهن اتهنني ولا تهن رسول الله فقلن نعم انت افض واغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط الا سلك فجا غير فحك . ومن خصوصيات سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه تزوجه بكريمتي النبي صلى الله عليه وسلم سيدتنا رقية ثم سيدتنا ام كلثوم واستحياء الملائكة منه كما في حديث مسلم وغيره . ومن خصوصيات سيدنا علي كرم الله وجهه اخاء النبي له عند ما اخى النبي صلى الله عليه وسلم بين اصحابه . وفي البخاري انه قال لعلي اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى وزاد مسلم الا انه لا نبي بعدي . ومن خصوصيات غير الخلفاء الراشدين من الصحابة خصوصية خزيمة ابن ثابت رضي الله عنه وهي جعل شهادته بشهادة رجلين

التقوى وحسن الخلق

عن ابي ذر ومعاذ بن جبل - رضي الله عنهما -
ان رسول الله صلى عليه وسلم قال : اتق الله حثما
كنت ، واتبع السيئة الحسنة تمحها ،
وخالف الناس بخلق حسن . (وراه البخاري)

الشرح : بقلم العلامة التحرير الحجة شيخ شيوخ
الفتوى المنعم المبرور الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور *

هذا الحديث الشريف من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم . فقد اشتمل على نهاية الايجاز
وما يقرب من حد الاعجاز فانه مع قلة الفاظه وغذوبة نظمه جمع صلى الله عليه وسلم ما يلزم الانسان في دار
التكليف من اداء حقوق الخالق ومعاملة المخلوق وذلك مدار كلية التكليف كما لا يخفى . والخطاب
وان كان لجزئية استعماله يقتضي قصر الحكم على المواجه به لكنه يعم كل مكلف صالح للخطاب عموما
حقيقيا على ما هو طريقة الحنبلة المنسوبة اليهم في المستصفي اذ كل مكلف موجه له الخطاب القراءاني
الذي هو عنوان الحكم التكليفي والمبلغ الاول الرسول صلوات الله عليه ثم المتأهل لذلك من
الصحابة وعلماء الامة الواردة فيهم : علماء أمي كانباء بني اسرائيل
و (اتق) امر من الاتقاء افتعال من الوقاية التي هي في اللغة فرط الصيانة وشدة الاحتراس

ففي حديث ابي داود وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابي فرسا واستبعه ليعطيه
التمن فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم وتاخر الاعرابي فطفق رجال يساومونه بالفرس ولا يشعرون
بان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ابتاعه حتى زادوا على ثمنه فقال الاعرابي للنبي صلى الله عليه
وسلم ان كنت مبتاعا لهذا الفرس فابتعه والا بعته فقال له النبي صلى الله عليه وسلم او ليس قد ابتعته منك
فجحد الاعرابي وقال له هلم شاهدا فجعل من حضر من المسلمين يقولون للاعرابي ويدك ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا يقول الا الحق فجاء خزيمة بن ثابت فقال انا اشهد انك بعته فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم كيف تشهد ولم تكن معنا فقال انا صدقتك فيما جئت به افلا اصدقك على هذا
الاعرابي فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين ولم يكن في الاسلام من تعدل
شهادته شهادة رجلين غير خزيمة وكان يلقب بذئ الشهادتين . ومنها خصوصية سعد ابن ابي وقاص
باجابة الدعاء اخرج الترمذي والحاكم وصححه من طريق قيس بن سعد ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اللهم استجب لسعد دعاءه فكان لا يدعو بشيء الا استجيب له وكانت له دعوات كثيرة مستجابة
اللهم استجب دعاءنا وحقق بفضلك رجاءنا

درس الحديث الذي ختم به فضيلة الشيخ في مسجد مدرسة حوانيت عاشور في رمضان

المكاره ومن مرس واق اذا كان يقي أدنى شيء يصيبه ، ومن الصيغة بذلك المعنى قول الشاعر :

فالقت قناعا دونه الشمس واتقت باحسن موصولين كف ومعصم

ومنه قول النابغة :

سقط النصف ولم ترد اسقاطه فتناولته واتقتننا باليد

ومواقع استعمال الصيغة كاليتين تقتضي ارادة التكلف والاتخاذ كما هو احد استعمالات افتعل وهو المفهوم من كلام اهل اللغة قال اسراغب : التقوى هي جعل النفس في وقاية مما يخاف ، وظاهر قول صاحب الكشف في تفسير المتني انه اسم فاعل من قولهم وقلا فاتقى ان الصيغة للمطاوعة ، وتبعه القاضي عليه ، وقرره حواشيه فتكفلوا للمطاوعة وجها مع بعده في نفسه يوجب التاويل في تعلق التكليف بالتقوى بصرفه الى التكليف بتحصيل اسباب القبول والا للمطاوعة انفعال ولا تكليف الا بفعل كما قرر في الاصول ، وعلى المختار فيها جاء تفسيرها من لسان اهل الشريعة فقالوا : هي حفظ النفس عن كل ما يؤثم ، وسأل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أيها عنها ، فقال : هل أخذت طريقا ذا شوك ؟ فقال نعم ، قال : فما عملت فيه ؟ قال : شمريت وحذرت ، قال : فذلك التقوى ، ولقد أجاد رضي الله عنه في تمثيل معقولها بالمحسوس المفيد انها التحذر والصون من الوقوع في المخالفات ، وقد احسن الغاية ابن المعتز في عقد ذلك نظما حيث قال :

خل الذنوب صغيرها * وكبيرها ذاك التقى واصنع كما شئت فوق ار * ض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرة * ان الجبال من الحصى

ثم نظم ابن المعتز مبني على ان ترك الصفات من مفهوم التقوى في عرف الشرع ، واليه ذهب طائفة من المحدثين واهل السنة متمسكين بان فرط الصيانة الذي هو أصل التقوى يقتضي التخلي عن الصفات ، وبحديث : لا يبلغ احد ان يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس ، اخرجه الترمذي وابن ماجة

ومذهب الجمهور انه لا يشترط في المتقي شرعا اجتناب الصفات وحجتهم واضحة فان الصفات قلما ينجو منها احد ومنهم من لا يسبق الى اسم المتقي بعد الانبياء غيرهم كالضحابة والتابعين ومن بعدهم من السلف الصالح والتمسك بالحقيقة اللغوية غير معتبر في الحقائق العرفية لكثرة التغاير بين الاصطلاحين بل ما كان تعدد الحقائق الا باعتبار التغاير ، على ان الشهاب في حواشي القاضي انكر زياد لفظ الفرط وقال المذكور في كتب اللغة تفسيرها بالحفظ والصيانة وما ذكره من الزيادة زيادة ، وعن الحديث بانه مسوق لبيان الكمال في الحقيقة بسند لزوم خروج من بنياء وفيه نظر ، وبان حمله على ظاهرة يوجب خروج غير المتورع عن التقوى لان ترك ما لا بأس به حذرا من الوقوع فيما به البأس هو الورع ولا قائل بذلك من الفريقين فوجب تاويله على كلا القولين ، على ان الحديث يحمل

يحمل ومن وقع في الشبهات وقع في المحرمات المراد به التنبيه على شدة الحذر وعدم التساهل ، فمعنى حتى يدع ما لا بأس به - الخ - حتى يكون على غاية الحذر من الوقوع في المحرمات بان يكون متيقضا حازما غير متساهل بالامور ، ونحن نقول ان ذلك معتبر في مفهوم التقوى كما لا يخفى وبؤيده ان التهاون بالصغائر والتساهل فيها يصيرانها كبيرة كما صرحوا به واليه أشار ابن المعتز في ثالث أبياته ولك باعتبار هذا ان ترجع بالخلاف الى الوفاق والله اعلم

ثم الواجب من التقوى المأمور به في غير ما آية صون العبد نفسه عن وعيد مخالفة الخالق بفعل المستطاع من المأمورات واجتناب المنهيات وذلك هو مقام عبوديته وهو المراد بالحق في قوله جل اسمه (يا ايها الذي آمنوا اتقوا الله حق تقاته) قال القاضي : اي حق تقواه وما يجب منها وهو استقرار الوسع في القيام بالواجب والاجتناب عن المحارم ، كقوله فاتقوا الله ما استطعتم . اهـ .

ومن البين ان فعل المأمور به وترك المنهي عنه لا يكون تقوى الا بملاحظة الامر والنهي وخوف الوعيد . يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم في حديث مسلم عن ابي هريرة : التقوى ها هنا ويشير الى صدره ثلاثا أي عمادها الذي هو الخوف في القلب ، أخذه علي رضي الله عنه فقال حين سئل عن التقوى : هي الخوف من الجليل . والعمل بالتنزيل . والقناعة بالقليل . والاستعداد ليوم الرحيل . ومن حديث ان التقوى اتقاء وعيد المخالفة تعددت انواعها بتعدد المأمورات والمنهيات وقبلت التفاضل في نفسها وفي التنزيل (وسيجنبها الاتقى) بصيغة التفضيل اي الذي اتقى الشرك والمعاصي . وكانت التقوى في كل شيء التزام العبودية الخاصة به من امر ونهي

قال اكثر المفسرين : ان عوف بن مالك الاشجعي أسر المشركون ابنا له يسمى سالما فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى الفاقة وقال ان العدو اسر ابني وحزعت الام فما تأمرنا ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : اتق الله واصبر وأمرك وإياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فعاد لبيته وقال لامرأته ما قال له صلى الله عليه وسلم فقالت نعم ما أمرنا به فجعلنا يقولان وغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وكانت اربعة آلاف شاة وجاء بها الى أبيه . فنزل قوله تعالى (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب)

وقوله في الحديث : حيثما كنت . لافادة تعميم الامكنة أي في كل مكان كنت فيه . والمراد من ذلك التنبيه على ملازمة التقوى على كل حال واختار عنوان المكان لما ان الغالب على الانسان التستر بمكان الانفراد حال التلبس بالمخالفة لغلبة الجهالة عليه إذ ذاك حتى يغفل عن احاطة علمه تعالى بكل مكان والله در بعضهم حيث يقول : اذا أردت ان تعصي الله فاعصه حيث لا يراك . ومن ثم عظم شأن الخلوة وكانت خاتمة خصال السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه معبرا عنه بقوله عليه السلام : ورجل ذكر

الله خاليا ففاضت عيناه

قوله صلى الله عليه وسلم : وأتبع السيئة الحسنة تمحها بفتح همزة أتبع بمعنى ان تفعل بعدها بقرب كما هو ظاهر الاتباع ، وأل في السيئة والحسنة جنسية وظاهر ذلك ارادة السيئة بما يشمل الصغيرة والكبيرة ويراد من الحسنة ما يشمل التوبة وغيرها من أفعال البر . فالساني يكفر الاول من السيئات والاول يكفر الثاني منها . وظاهر لفظ المحو كلفظ الاذهاب في قوله جل اسمه (ان الحسنات يذهبن السيئات) أنها تزال من صحف الكاتبين . وهو مدلول قوله جل اسمه (يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده ام الكتاب) وحاصل معنى هذه الجملة الشريفة أن السيئة اذا أتبت بحسنة محيت ، وتقصيله كما أشرنا اليه ان السيئة اذا كانت صغيرة محتها الحسنة التابعة كيفما كانت واذا كانت كبيرة كانت محوها بحسنة مخصوصة هي التوبة ، والمراد السيئات التي هي من غير حقوق العباد فلا تكفر الا بالاستحلال واعلم أن تقسيم الذنوب الى كبائر وصغائر مذهب جمهور المتكلمين وعليه تدل آيات الكتاب المجيد كقوله تعالى (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقوله (وكرة اليكم الكفر والفسوق والعصيان) فالفسوق الكبائر والعصيان الصغائر والالزم التكرار . ومناط التقسيم ذات الفعل وما فيها من المفسدة دون الالتفات الى مخالفة الله فانها بالنظر الى ذلك على حد واحد وهي شبهة من نفى الصغائر

وعلى مذهب الجمهور اختلاف في تمييز الكبائر من الصغائر اختلافاً أفضى الى عدم الاعتماد فيه على محصل فمهم من سلك طريق العد على اختلاف في القلة والكثرة ومنهم من سلك طريق الضبط بما ورد فيه الوعيد بالنار أو ترتب عليه حد فهو الكبيرة . وكل ذلك لا يفيد تمييزاً كما يعلم بمراجعة ما للعلماء في ذلك من الاقاويل وجنح شهاب الدين القرافي الى التمييز بعظم المفسدة وحقارتها فقال في التاسع والعشرين والمائتين من قواعد : الصغيرة في المعاصي ليس من جهة من عصي بها بل من جهة المفسدة الكثائفة في ذلك الفعل فالكبيرة ما عظمت مفسدتها ورتب المفسدات مختلفة فأدنى رتب المفسدات تترتب عليها الكراهة ثم كلها عظمت المفسدة ارتفعت الكراهة حتى تكون أعلى رتب الصغائر تليها أدنى رتب الكبائر ثم تترقى رتب الكبائر بعظم المفسدة حتى تكون أعلى رتب الكبائر يليها الكفر اهـ . وقدم فيه ابن الشاط بان النظر الى مقادير المفسدات في ضبط الصغائر والكبائر لا يصح لانه بناء على قواعد المعتزلة ، ثم انه رجوع الى عدم التمييز لجهلنا بمقادير المفسدات وعدم وصولنا الى العلم بحقيقته اهـ .

قلت أما الاول فبين الفساد فان بناء الشريعة المطهرة على اعتبار المصالح والمفاسد أمر معلوم أئتمته الاستقراء لها كما وقع التصريح به في أول كتاب المقاصد من الموافقات ، والخلاف بين أهل السنة والمعتزلة انما هو في الوجوب وعدمه وكون العقل يتوصل الى المصلحة فيعلم الامر والى المفسدة فيعلم النهي أو لا يدرك ذلك الا بعد ورود الامر والنهي بالاولين قال المعتزلة وبالثانين قال أهل السنة .

وأما الثاني فهو وإن كان متجه الظاهر إذ يقال لا يعلم من النبي الوجود المفسدة وأما اعتبار مقدارها فقد لا يدرك كونه عظيماً أو حقيراً لكنه مدفوع بالالتفات إلى مقصد الشرائع وحفظ كلياتها فإذا تبين ما قصد الشارع حفظه تبينت رتب المفاسد ومقاديرها بالنسبة إلى الحلل اللاحق لذلك المحفوظ وقد شرح ذلك بما لا مطمع للنفس ورواه خبر هذه الأمة أبو حامد الغازي فقال في كتاب التوبة من الأحياء: لنا سبيل كلي يمكننا أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق وأما أعيانها فنعرفه بالظن والتقريب وبيانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعاً أن مقصود الشرائع كلها سياقة الخلق إلى جوار الله وسعادة لقاءه وأنه لا وصول لذلك إلا بمعرفة الله ومعرفة صفاته رسله وكتبه واليه الإشارة بقوله تعالى (وما خلقت الأنس والجن إلا ليعبدون) أي ليكونوا عبيداً ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فهذا هو المقصد الأقصى بعبئة الأنبياء ولكن لا يتم هذا إلا بالحياة الدنيا وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا مقصوداً تبعاً للدين ووسيلة إليه وحفظ الحياة الدنيا منوط بحفظ النفوس والأموال فكل ما يسد باب معرفة الله فهو أكبر الكبائر ويليهِ ما يسد حياة النفوس ويليهِ ما يسد باب المعاش التي بها حياة النفوس . فحصل من هذا أن الكبائر على ثلاثة مراتب الرتبة الأولى ما يمنع من معرفة الله ورسوله وهو الكفر فلا كبيرة فوقه وتتلوهُ مراتب البدء المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله وشرائعه وأوامره ونواهيه ومراتب ذلك كثيرة وتفاوتها بحسب تفاوت الحلل اللاحق بها إلى حفظ الكلي الذي هو المعرفة بحق الربوبية وبحق العبودية . الرتبة الثانية حفظ النفوس قتل النفس مباشرة من الكبائر وكذلك ما يقضي إلى انعدام الحياة حقيقة أو حكماً كإهلاك الأدراك بالمسكرات . الرتبة الثالثة حفظ الأموال على أربابها إذ بقاء الحياة عادة فكل ما يقضي إلى ضياعها على أربابها كالسرقة بنصائها مخل بحفظ ذلك الأصل فيكون ذا مفسدة عظيمة ويكون كبيرة . اهـ بتصرف فيه

وهو الضابط الذي لا يشذ عنه فرد عند أعمال النظر ومراعاة تلك المقاصد ومعرفة ما يوجب الإخلال بها من غيره الذي هو مناط انظار الجهادية النقاد . ولا مزية في تطرق الخلاف إلى بعض منها فإن ذلك شأن الاجتهادات المشروع رحمة للإمامة . وبهذا البيان الذي هو من غزل أبي حامد الرقيق اتجه كلام الشهاب واندفع عنه ذلك الأشكال . ومن كان ذا نباهة وتقفن وغذي بلبان التحرير يتيقن أن ذلك الضابط لحجة الإسلام مستنبط من جملة حديث المجلس فإن مضمون الجملة الأولى القيام بحق الربوبية وواجب العبودية الذي هو المقصد الأول من التشريع كما قرره ومضمون الجملة الثانية إفادة كيفية جبر ما تقتضيه البشرية غير المعصومة من بعض الحلل في القيام بواجب الأولى . فهما جملتان لتحقيق القيام بالواجب الأول أصالة وجبراً وبقي القيام بالواجب الثاني المتعلق بالحياة الدنيا إليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الجملة الثالثة (وخالف الناس

بخلق حسن) خالق الناس عاشرهم بالخلق الحسن كذا في القاموس . وعليه فذكر المتعلق لزيادة البيان والايضاح . والناس عام لليؤمن والكافر فان للكافر حقوقا في المعاملات معروفة في الشرع بسطها الشهاب القرافي في التاسع عشر والمائة من قواعده . وخلاصتها منع الموالاة والتودد المصرح بهما في قوله جل أسمه : يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة . ومنع كل ما يفضي الى اظهار سلطانه على المسلمين وتعظيم رتبته عليهم . أما برهم بغير ذلك من الرفق بهم ولين القول لهم من غير مذلة وكل حق يحسن من الاعلى مع الاسفل ان يفعله ومن العدو مع عدوه اذا قصد مكارم الاخلاق فهذا لا منع فيه بل هو من المطلوب كما دلت عليه نصوص الشريعة وكفى قوله تعالى : لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم ان الله يحب المقسطين . انتهى ملخص كلام الشهاب . وفي الجامع الصغير من طرق عديدة : اذا تاكرم كبرهم قوم فاكرمهم . وفي شرحه للناوي : تعميم الحكم في الكافر والفاسق اذا كان كريم قومه مستدلا على ذلك بعنوان الحديث والعدول عن عنوان العلم او الدين وبأن معاملته بغير ما آتاه الله من الرتبة ابتلاء منه يجزى الى مفاسد منهي عنها قال وقد غلط في هذا الباب كثير غفلة عن تدبير الله في خلقه وجودا على ظاهر قوله تعالى : ومن بين الله فعاله من مكرم . وما دروا ان السنة شرحت ذلك وبينته أحسن بيان فموضع طلبة إهانة الكافر والفاسق الامن من حصول مفسدة ذلك وقد كان صلى الله عليه وسلم يتواضع لا كابر كفار قریش ويكرمهم ويرفع منزلتهم .

وهنا بحث من تنمة هذا يجب التنبيه له وهو ما حدث في معاشرتنا الناس ومكارمهم من الآداب المستحدثة فربما أنكر ذلك من لا تضلع له في أصول الشريعة بسبب انها لم تكن في زمنه صلى الله عليه وسلم ولا في زمن السلف الصالح بعده ويراها لذلك بدعة مذمومة لما فيها من مخالفة السلف وتحرير ذلك ما ذكره الشهاب في التاسع والستين والمائتين من قواعده حيث قال : اعلم ان الذي يباح في مكارمة الناس قسمان . الاول ما وردت به نصوص الشريعة من افشاء السلام واطعام الطعام وتشميت العاطس والمصافحة عند الملاقاة وغير ذلك مما هو مبسوط في كتب الفروع - الثاني ما لم يرد به نص ولا كان في السلف الصالح لانعدام سببه عندهم وقد حدث سببه الآن المعتبر شرعا فتعين فعله لحدوث سببه لانه شرع مستأنف اذ تاخير وقوع الحكم لتأخر سببه لا يكون شرعا جديدا وهذا القسم هو ما في زماننا من القيام للاعيان واحياء الرأس لهم والمخاطبة بالالقب المؤذنة بالرفعة والمكاتبه بالنعوت الدالة على العظمة كالباب العالي والمجلس السامي والجناب المرفع وغير ذلك . فهذا كله لم يكن في السلف الصالح ونحن اليوم مامورون به مع كونه بدعة والسبب في ذلك ان ترك ذلك في زماننا بوقع في النفوس فتقع الشحنة والقطيعة المنهي عنها بحديث لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله اخوانا . فهذا الحديث قاض بان كل ما يؤدي الى تلك الافعال منهي عنه

وترك ما اعتيد في زماننا من المكارمات يؤدي اليها فوجب تركه وارتكاب المعتاد. وتلك المكارمات المستحدثة كانت في حيز الكراهة دون التحريم فلما صار تركها موجبا للمقاطعة المحرمة لزم دفعه كما هو قاعدة الشرع يقدم ترك المحرم اذا تعارض المكروه والمحرم. قال وقد حضرت يوما عند الشيخ عز الدين ابن عبد السلام رحمه الله وكان لا تأخذه في الله لومة لائم قدمت اليه فتيا فيها : ما تقول أئمة الدين وفقهم الله تعالى في القيام الذي احده اهل زماننا مع انه لم يكن في السلف. هل يجوز ام يحرم ؟

فكتب رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تباغضوا ولا تحاسدوا. الحديث . وترك القيام في هذا الوقت يقضي إلى المقاطعة والمدابرة فلو قيل بوجوبه ما كان بعيدا. هذا نص فتواه ثم قال الشهاب فعلى هذا القانون يجري هذا القسم بشرط أن لا يسمح محرما ولا يترك واجبا فلو علم أنه لا يرضى المعامل إلا بفعل المحرم لم يجز إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

والخلق بضمين هو في الاصل ملكة نفسانية تصدر عنها الافعال بسهولة فإن صدرت عنها الافعال الحميدة فهي الخلق الحسن والا فصد ذلك. ثم إن هذه الملكة لما كانت هيئة للنفس لا يتعلق بها التكليف لذاتها إذ ليست من الفعل في شيء نعم يتعلق التكليف بالاسباب المحصلة لها الراجعة إلى التصبر وحمل النفس على تحمل الضيم ومكابدة الازى والعفو وغير ذلك فبتعمرن النفس على الصفات الجميلة والاداب الممدوحة وتعودها ذلك تحصل تلك الملكة فتتشأ عنها تلك الصفات بعد بسهولة بعد أن كانت شاقة في تحصيلها ويرجع السبب مسببا وهو مناط التكليف والمدح والذم. وبماينا علم أن الخلق الحسن الذي هو مناط المدح والثناء مكتسب بريضة النفس والتأديب ومن ثم كان خلقه الله صلى الله عليه وسلم أشرف خلق حسن كما شهد له بذلك تعالى في قوله: وإنا لعل خلق عظيم. حيث كان تأديبه آليا ورياضته قرآنية كما قالت الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما : كان خلقه القرآن قال الامام السهروردي في عوارف المعارف : في كلامها رضي الله عنها سر غامض وذلك أن النفوس البشرية مجبولة على طباع غضبية وبهيمية وسبعية والله بعظيم عنايته نزع حظ الشيطان منه الذي هو شر الاولى فبقيت نفسه الزكية مبقاة فيها أمهات تلك الصفات فتتزل الآيات لقمعها عند تحركها واضطرابها تأديبا له صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى : كذلك لنثبت به فؤادك. فعند كل اضطراب تنزل آية لمصالح سنية يسكن بها. كما وقع في أحد إذ شج صلى الله عليه وسلم فقال كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم إلى ربهم. فأنزله الله تعالى : ليس لك من الامر شيء فلبس قلبه لباس الاضطراب . ورجع بعد الاضطراب الى القرار فلما توزعت الآيات بحسب الاوقات صفت الاخلاق النبوية بالقرآن. إنتهى كلامه النفيس .

فأخلاقه صلى الله عليه وسلم ربانية بالتأديب الرباني والعناية الاحدية لا بريضة نفسانية وتكسب طبعي كما يكون لغيرة ولذلك لا يدرك شاو خلقه صلى الله عليه وسلم فافهمه

وفي المفهم (١) الخلق المحمود اجالا ان تكون مع غيرك على نفسك فتتصف منها ولا تتصف لها، وتفصيلا : العفو، والحلم، والجود، والصبر، والرحمة، ولين الجانب، وتحمل الاذى، اء وجماع ذلك قوله جل اسمه : الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والخلق الحسن محمود في كل أمة يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : بعثت لا تمم مكارم الاخلاق، فانه صريح في سبقيتها في الامم السابقة غير ان الشريعة المطهرة جمعت ما تفرق منها واحكمته على وجه لا مطمع فيه من غيرها ولقد كانت الامة الامية من العرب يسابقون الى نيل تلك الصفات ويناضلون عنها وكفى احدهم شرفا ان يعد من اصحاب تلك الخلال حتى قال السموءل ابن عاديا حكيم شعرائهم :

اذا المرء لم يندس من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل
وان هولم يحمل على النفس ضميها فليس الى حسن الثناء سبيل
ومن كلام حكماء اليونان قول سقراط الحكيم : الحكمة حسن الخلق

وقال ارسطو : بلين الكلام تدوم المودة في الصدور، ويخفض الجناح تتم الامور، وبسعة الاخلاق يطيب العيش ويكمل السرور، وكتب الى الاسكندر الارذال ينقادون بالخوف، والاخير بالحياء فاستعمل في الاولى البطش وفي الثانية الاحسان، وليكن غضبك لا شديدا ولا ضعيفا فان ذلك من اخلاق السباع وهذا من اخلاق الصبيان : واذا اعطاك الله ما تحبه من الظفر فافعل ما احب الله من العفو، اه

واعلم ان مدار اعتبار تلك الصفات ان تكون منبعثة من صفاء الباطن واخلاص الطوية كما يقتضيه اعتبار الملكة فيها، اما اذا كانت بحسب الظاهر فقط فهو التخلق المذموم، واياه يعني من يقول :

يا ايها المتحلي غير شيمته ان التخلق يأتي دونه الخلق
وقال محمد بن هاني مادحا

غني بما في الطبع عن مستفاده له كرم الاخلاق دون التكرم
وعنوان الحقيقة ظهور السرور والبشر عند التلبس بتلك الصفات فان الظواهر عنوان البواطن
ومن هنا لما سئل سلام ابن ابي مطيع عن حسن الخلق انشأ يقول :

تراه اذ ما جئته مهللا كانك تعطيه الذي انت سائله
فلم يعتبر الاحسان من حسن الخلق الا مع التهلل والبشرى الدالين على طيب الباطن
وقد اجاد ابن الرومي مفصحا بطريقة سلام مع بيان الدليل فقال :

وقل من ضمنك خيرا طويته الا وفي وجهه للبشر عنوان
تلقاه وهو مع الاحسان معتذر وقد يسيء مسيء وهو منان
اذا تيممك العاني فكوكه سعد ومرعاه في واديك سعدان
أحيى بك الله هذا الخلق كلهم فانت روح وهذا الخلق جثمان
والله اعلم

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

« ١٠ »

بقلم العلامة الحجة الشيخ محمد الحجوي
وزير المعارف بالسلطنة المغربية

هل الاسلام دين العقل ؟

هذه المقالة نسبها بعض المؤلفين الى رجل مصر ومصلحها وفيلسوفها محمد عبده وحملها على غير محملها فيجب ان اشرحها بما يليق بمقام الشيخ المصلح وان لم اقف على سياق كلامه حتى اجزم بالمراد منه ، ان ظني بالشيخ وما اعهد من لهجة ما وقفت عليه من كتاباته ان معناها ان الاسلام دين يوافق العقل ولا يناقضه بحال في اصوله وفروعه ويؤيد هذا المعنى ما اسلفناه وليس المراد انه شريعة عقلية بشرية ليست بوحى الاهي فهذا المعنى لا يقصده مسلم لانه كفر صراح ، كما انه لا يقصد بها ان الشرع مفتقر الى العقل يرشده في كل شيء ، وانه لولاه ما اهتدى ، كلامهم كلا فالشرع مستقل غير مفتقر وانما العقل ناصرة وعاضدة ومعينه كما سبق

كما انه لا يريد ما قاله المعتزلة وغيرهم من ان قواعد العقل مقدمة على نصوص الشرع عند التعارض ، كذلك لا يريد ما قاله المعتزلة من التحسين والتقبيح العقليين وان العقل مستقل بالاحكام يهتدى بفطرته الى عللها والى حكم تلك العلل البديعة والى الثواب والعقاب ويهتدى بفطرته الى اليوم الآخر والى المسؤولية امام الله من غير توقف على الشرع ، فاني احاشي جناب الشيخ عن ارادة هذه المعاني وان احتملها اللفظ ، اذ ورود الشرع يكون عبئا على هذا الاخير

❖ ذيل ❖

رد طعن مصطفى كمال على النبوات

من جملة ما اشتمل عليه كتاب مصطفى كمال قوله طاعنا في النبوات ان احدا من الانبياء لم يوح اليه برسالة تساعدنا على اختراع آلة من آلات استكشاف الكهرباء ، او البواخر ، او الطيارات ، او التلفون اللاسلكي ، او مبادي طب تساعدنا على مقاومة السرطان او السل الخ . وانا نجيبه عن استعجال ولا نوسع المجال ، وسأقوم بواجب عيني حيث لم اقف الى الآن على من وقف موقف

النضال معه فاقول ان وظيف الانبياء تعليمي تهذيبي احساني تشييري تنظيمي للاجتماع البشري موطن لايجاد ما كان مفقودا في وقتهم واممهم من اتقان نظام المجتمع العام ودفع الشرور عن هذا العالم الانساني المحفوف بالمخاطر من التغالب والتكالب ، والغيلة والاضطهاد والقوضى وتكميل النوع الانساني بالاداب والتفكير المنتج والقاح افكاره بالاخلاق العالية ومبادي العلوم التي كانت مفقودة وهي التي رقت افكار العالم ومداركه واوصلته الى ضالتكم المنشودة الى هذه المخترعات التي اتم بها معجبون .

ودونك القراء العظيم طالعه وتدبره تجده هو الذي حرر الافكار من رق التقليد والتقييد . وفكك عنه اصار الاسر والتجميد . واطلق عنان التفكير للاكتشاف والاختراع واظهار مواهب الابداع . وهو الذي اثار حركة العقول وقيد كل شيء بالمعروف والمعقول . والقراء ان هو الذي ازال القيود وسلاسل العبودية من عنق العقل بل جعل له هيمنة وجلالا . وصيره طليقا يتفكر في خلق السموات والارض بل جعله ملكا حاكما في المملكة الواسعة تتسابق حياده في ميدان الابتكار لتظهر مواهبها وتاتينا بطرائف الفوائد ، حتى امتلات بها الموائد ، ثم انكم تعترفون ان سنة الكون ليست طفرة بل هو التدرج والتطور في المراحل الطبيعية التي لا بد من اجتيازها على ما تقتضيه سنن الكون ونواميس الوجود ولكل شيء ابانه ولا يكون الا في الوقت الذي قدر له

فأول نضوج الافكار بدأ بالنبات والنضج لا يكون في لحظة ولا بد له من زمان محدود يقضيه طلعه فيجتازة تدريجيا اذ فكر الانسان مقهور تحت نواميس الكون التي اقتضتها الحكمة الالهية وله عمر طبيعي ينمو فيه بالتجارب والاستفادة عنها واستنتاج المعلومات منها فهو كالمعدن والنبات والحيوان كل له عمر طبيعي ينضج فيه ويستكمل قوته حتى ان بعض المعادن يقضي في اجتياز عمره الطبيعي مئين من السنين ليم فيها نضجها ، وفكر الانسان كذلك لم يتم نضجه الا بالمراحل التي قد اجتازها في ازمان النوات وبعدها على سنة كونية بتقدير عزيز عليم

وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم قطع مرحلة كبرى زادته نضجا واسرع السير فيها الى عالم الكمال حيث تعبدت له طريق سوي بعلوم اديبة نشأت عنها علوم رياضية (١) والقراء ان فيه كثير من الاشارات الى العلوم الرياضية وقواعدها وبعض الطبيعيات ايضا المتضمن ذلك للتشويق اليها بل والحض عليها وعملا بذلك التشويق القراء اني تمهدت العلوم الطبيعية التي لولاها ما امكن لعجلات الفكر أن تسرع

(١) فقد حض على علم التاريخ بقوله فاقصص القصص لعلمهم يتذكرون وفي قوله لعلمهم يتذكرون اشارة الى فلسفته وحض على الجغرافية بقوله قل سيروا في الارض فانظروا وحض على علم الهيئة والفلك والنجوم بقوله انظروا ما ذا في السموات والارض وفيها حض على طبقات الارض بل وعلم المعدن والنبات اذ النظر الذي يحض عليه القراء ان ليس مطلق النظر السطحي الغير الثمر ويدعو الى علم التشريح والطب والطبيعة بقوله وفي انفسكم افلا تبصرون الى غير هذا (محور)

المسير وتبلغ المراد من تلك المخترعات والمكتشفات ، وعلى كل حال فان ايات ظهور المخترعات لا بد ان يتقدمه وقت طويل ينضج فيه الفكر وهو زمن النبوات ، وحين جاء الابان جاءت تلك المخترعات التي لولا تمهيد النبوات لم تكن ممكنة ولا متيسرة

ثانيا ليس من المعقول ولا من المستحسن ان يكون المعلم المذهب : حقوقيا ، طبيا ، صيدليا ، صناعا ، ميكانيكا ، مهندسا ، اداريا ، منظما ، جامعاً لكل الوظائف ، يباشرها في ان واحد ومن غير تدريج .

هب انه كذلك على خرق العادة المناسب للنبوة ، فليس يستطيع ان يخلق تلاميذ تكون لهم قدرة على تلقي هذه العلوم والصنائع في ان واحد تعليماً نهائياً لم يسبقه تعليم ابتدائي ينضج به الفكر الانساني ، فان ذلك يخالف سنة الكون المبني على نواميس خاصة وحركة فلكية مشددة . فالنبوات علمت العالم تعليماً تمهيدياً ابتدائياً لهذه العلوم التي انت معجب بها . ثم بعد اطلاق الفكر صارت تلك المعارف تنمو الى ان بلغت لما ترى ولا تزال تنمو وستبلغ الى ما هو اعجب بما يناسب الوقت الاتي والاحوال المقبلة

ثالثاً اوجاء نبي بها قبل تهذيب النوع باداب النبوة لكانت محض ضرر وخطر رابعاً لسنا على يقين من ملاءمة هذه المخترعات لوظيفة النبوة ونحن نرى ماذا وقع من موبقات واتلافات للنوع الانساني بسبب الحرب العالمية الماضية ، واطن انه لو بعث بها نبي ثم وقعت تلك الحرب المشؤمة على الانسانية ذات المجزرة الكبرى التي انتحرت فيها الانسانية بيد الاختراع والاكتشاف والتي تصدعت بها اركان المدنية . وظهرت بها ثمرة تلك المخترعات التي اهتبلتم بها . لارتد اتباعه اجمعون اکتعون ، ولما بقي لرسالته اثر ، لان فائدة الرسالة ترقية النوع الانساني ادبياً قبل ارتقائه مادياً وتشديد دعائم العمران على اساس السوء والمرحمة والتعاون وعطف الانسانية والتعاون ووصلة البر والاحسان ، ولم تكن قط رسالة مبنية على الهدم والفتك والافساد والحرب والدمار ولا تكون

ولقد شاهد العالم مشهداً لم يشهده حيل سابق قط من التناحر وفساد الاخلاق واضطراب الافكار وتباغض الاقطار . وتباعد الانظار ، والتكالب على الاضرار ، والتوثب على كل ما ليس بمشروع . ودك كل قانون سماوي او موضوع ، وانحطاط الهمم ، وخراب النظم وشيوع الفساد في الارض وخرق كل اجماع طبيعي ، وافساد كل اصلاح اجتماعي . وكشف قناع كل حياء ؛ وتسلب الاقوياء على الضعفاء . وانتزاع الرحمة من كل ضمير . ولو اجال الانسان نظره في ما هو السبب الاقوى لتنوع هذه الانواع من الدواهي المخرية لما وجد لذلك من سبب اقوى من هذه المخترعات وما نشأ عنها من المنافسات في هدم اركان المدنية والانسانية . فهك يمكن مع هذه المشاهدة ان يقال ان

العالم اسعد حالا مع هذا الترقى في علم المادة . بل البشر ابقى حالا على وجه العموم من حاله قبل ظهور هذه المخترعات . وان العداوة بين الاجناس لم تصل قط من الشدة في غابر الدهر الى هذه الدرجة التي حصلت بهذه المخترعات . وان القصد من النبوات هو سعادة العالم حالا ومثالا لا شقاؤه وان المخترعين انفسهم قد شعروا بهذا الخطر الذي نشأ عن اختراعهم واستكشافهم وتبريرا لعملهم يجيبون عن هذه المعضلة باجابة واهية . ومما احباب به المخترع الكبير في العصر الحاضر ماركوني الايطالي مخترع الراديو ان هذا الشقاء راجع لكون الترقى العلمي لا يسير بتناسب مع سير المدنية الاخلاقية بحيث ان الانسانية لم تستوف حقها من المدنية بالنسبة لما ادر كته في ميدان الاختراع والاكتشاف . وضرب لذلك مثلا بطفل تمكن من سيارة سباق سريعة ليلعب بها فانه يقع في الخطر فحالتنا بالنسبة للمخترعات الحديثة كحالة الطفل فاننا لم نواصل بعد الى سائر طرق استعمال اختراعاتنا وزعم انه لولا هذا الاختلال في التناسب لكان الترقى العصري وسيلة لسعادة الانسانية ثم قال ومن الصعب ان تعتبر الغازات الحارقة ووسائل التدمير والحرب من سعادة البشر ولكن ما حصل في ميدان الصناعة من اختراع آلات زاد في راحة البشر وسمح لكثير من الناس ان يتمتعوا بحياة لم يكن في استطاعتهم ان يتمتعوا بها من قبل واحباب عما وقع من مشاكل العمال والبطالة بما يطول . وكل هذا من قبيل الحيال في نظري . والواقع المشاهد ان مشاكل العالم تكاثرت بسبب افساد الاموال في تلكم المخترعات وما من اختراع الا ويعقبه ارقى منه فيفسد المال الذي ذهب في الاول فضخمت الميزانيات وافقرت الامم وكثرت البطالات بل المجاعات . واما ما يتمتع به الاغنياء وارباب رؤوس الاموال من النعيم فذلك كله نعيم فردي ويسرع زواله . وما امله ماركوني من التمدن الادبي فذلك كله تحقق انه خيال ، وان ظهور المخترعات افسد اسس الاداب الانسانية وزاد في تكالب البشر وصيرده عاصيا متمردا على كل ادب ورحمة وانسانية فالمخترعات العصرية المادية اذا استثنينا المخترعات الطبية والجراحية وامثالها مما لا سبيل لاستعماله في التدمير كان وبالا على الانسانية وعلى الآداب الحقيقية التي جاءت بها النبوات . لعمرى كيف يمكن ان تكون وظيفة نبي او يظهرها الله على يدرسول الله مبعوث للرحمة كلا ثم كلا الف الف مرة وان كانت الحقيقة مرة: فتلكم المخترعات والمكتشفات التي اهتبل بها مصطفى كمال ونبالدين واساء المرسلين لا تتلائم ووظيفة النبي الحقيقي بحال لان اهم وظيفة يؤديه الرسول برسالاته هو ايجاد روابط متينة نزيهة بين افراد النوع الانساني وامعه وشعوبه مبنية على العطف والرحمة والحب والارتفاق وانتشال الانسانية المعذبة من سفالة الاخلاق والفتك والتخريب والاستعباد وصيانة الدماء والاعراض والاموال التي جاءت هذه المخترعات لاستباحتها وانتهاك حرمتها مخالفة لما جاءت له النبوات من تثبيت دعائم العدل والانصاف والتسامح ونشر الوئام الحقيقي والاخاء الذي لا تدجيل فيه وصقل الافكار بصيقل العلم الصحيح وتحريرها من كل ضغط وارهاق .

الملاحى الخيرية الاسلامية (*)

في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية

بقلم العلامة الجليل الحافظ المولى
محمد عبد الحى الكتاني دام نفعه

لا يخفى أن اقامة ملاحى للبائسين وأصحاب العاهات والزمنى من اعظم آثار الحضارة ودلائل الرقى ومهما وجد هذا العطف الانساني من الاصحاء على الضعفاء ومن الاغنياء على الفقراء فذلك امارة التهذيب النفساني والتفكير الايماني والعاطفة الشريفة وقد اشتهر عند كثير من المؤرخين وغيرهم أن أول من اتخذ المستشفيات صدر الاسلام الوليد بن عبد الملك ويذكرون انه اقام في دمشق مستشفى للمجنومين لان لواء دمشق على ما قالوا خاصة دفع مرض الجذام عن اهلها فلا يصيهم الا في النادر واذا دخله هناك غريب عن البلد تنكسر عنه عاديته او يتوقف سيرة في الجسد، وفي التاريخ المظفري: وفي سنة ثمان وثمانين أمر الوليد بن عبد الملك بعمل المارستان لعلاج المرضى وهو أول من فعل ذلك وجعل فيه الاطباء وأجرى فيه الانفاق وأمر بحبس المجنومين لئلا يخرجوا وأجرى عليهم الانفاق وعلى العميان، والحال ان الامام الحافظ أبا الحسن الخزاعي التلمساني بوب في كتابه تخريج الدلالات السمعية فقال: الباب الخامس في المارستان، قال: وفيه ثلاثة فصول، الفصل الاول في معناه واتخاذها وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ثم ذكر: ان مسلما خرج عن عائشة انها قالت: أصيب سعد يوم الخندق رملا رجل من قرش فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم خيمة في المسجد يعود عن قريب. وقال ابن إسحاق في السيرة: كان رسول الله عليه السلام قد جعل سعد بن معاذ في خيمة

وبعبارة أخصر وضع نظام للمجتمع او تجديده يتلاءم مع العقل والحكمة والاختيار غير مفروض على الناس بالجبر والقوة العسكرية الغاشمة الاثيمة التي تأيدت بهذه المخترعات والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم.

هذا وانني بغاية الاسف مضطرا ان اصرح بحقيقة راهنة، وهي ان هذه المخترعات وان دممناها من حيث انها ضد الانسانية والرحمة وحقوق الضعيف ومصالح الاجتماع، فانه يجب اقتناؤها والاخذ بها من حيث الدفاع عن البيضة ومقابلة الشر بالشر كما قال الصديق رضي الله عنه قاتلهم بما قاتلوك به ومن هنا نشأت مشكلة المشكلات التي لا حل لها وهي (سلم، وتسليح) وكل من المبدأين مناقض للآخر فنحن معها كما قيل.

جعلت الدنيا لنا فتنة والحمد لله على ذلك
قد أجمع الناس على ذمها وما نرى منهم لها تاركا (يتبع)

(*) دعا الى تاخير هذا المقال العالي عن عدد سبق تحضير مواد ذلك العدد واليوم نبادر بتحلية هذا العدد به شاكرين فضل صاحبه الشريف العلامة ومستريدين من فيوضه على هذه المجلة

لامرأة من أسلم يقال لها ربيعة قال ابن عبد البر في ترجمتها من الاستيعاب : وكانت امرأة تداوى الجرحى وتحسب نفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين وكان رسول الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق اجعلوه في بيت ربيعة حتى أعوده من قريب . وقد ذكر البلاذري أن عمر بن الخطاب مر عند مقدمه الحجابية من أرض دمشق بقوم مجنومين من النصارى فأمر أن يعطوا الصدقات وأن يجري عليهم الوقف . ووقف عثمان ابن عفان محلة سلوان في ربط القدس على ضعفاء البلد . فعلى هذا الوليد بن عبد الملك هو أول من اشتهر عند من ذكر ذلك بالاهتمام بالمرضى والزمنى وتوسع في التوسيع عليهم اتباعا لظروف الفتح ولذا قالوا إنه أعطى لكل مقعد خادما ولكل أعمى قائدا .

وفي سنة ١٧٢ أمر المهدي العباسي أن يجرى على المجنومين وأهل السجون في جميع الافاق ، وبذلك عرفت أن القوم كانوا يخضون المجنومين بأماكن خاصة لئلا تسري العدوى منهم الى غيرهم . ويظهر مما ذكره الرحالة ابن بطوطة في رحلته ان سلطانات المغرب أبا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الموحدى كتب الى السلطان نور الدين الشهير ينبهه على أن يبني مارستانا للبرضى من الغرباء ويحبس عليه الاوقاف ويبني الزوايا بالطرق ه إن فكرة بناء المارستانات كانت فكرة ذائعة في زمن السلطان يوسف المذكور بالمغرب وكانت وفاته سنة ٥٠٨ هـ ومن المستحيل أن يأمر غيره بما لم يقم به هو في بلاده . وعلى طريق يوسف المذكور جرى ولده السلطان يعقوب المنصور الموحدى المتوفى عام ٥٩٥ هـ ففي ترجمته من روض القرطاس لابن أبي زرع أنه بنى المارستانات للبرضى والمجانين الخ . قال : وأجرى الاتفاق على أهل المارستانات والجذمي والعميان في جميع عمله وبنى الصوامع والقناطر والحباب للهاء في البرية واتخذ عليها المنازل وبنى المنازل من سوس الاقصى إلى سويقة بني مصكود وكانت أيامه زينة الدهر وشر فالاهل الاسلام . وفي ترجمته من المعجب في تلخيص أخبار المغرب للشيخ عبد الواحد بن علي المراكشي أنه بنى بمر اكش مارستانا قال : ما اظن أن في الدنيا مثله وذلك انه تخير ساحة فسيحة في أعدل موضع في البلد وأمر البنائين بإتقانه على أحسن الوجوه فأتقنوا فيه من النقوش البديعة والزخاريف المحكمة ما زاد على الاقتراح وأمر أن يفرس فيه مع ذلك من جميع الاشجار والمشمومات والماكولات وأجرى فيه مياه كثيرة تدور على جميع البيوت زيادة على أربع برك في وسط أحداها رخام أبيض ثم أمر له من الفرش الثمينة من أنواع الصوف والكتان والحريز والاديم وغيرها بما يزيد على الوصف ويأتي فوق النعت وأجرى له ثلاثين دينارا في كل يوم برسم الطعام وما يتفق عليه خاصة خارجا عما جلب اليه من الادوية وأقام فيه من الصيادلة ليعمل الاشربة والادهان والاكحال وأعد فيه للبرضى ثياب ليل ونهار للنوم من جهاز الصيف والشتاء فاذا نقه المريض فان كان فقيرا أمر له عند خروجه بمال يعيش به ريشما يشتغل وإن كان غنيا

دفع له ماله وتركه وسيله ولم يقصره على الفقراء دون الاغنياء بل كل من مرض بمراکش من غريب حمل اليه وعولج إلى أن يستريح أو يموت . وكان في كل جمعة بعد صلاته يركب ويدخل ويعود المرضى ويسأل عن أهل كل بيت بقوله كيف حالكم وكيف القومة عليكم إلى غير ذلك من السؤال ثم يخرج ولم يزل مستمرا على هذه الحالة إلى أن مات رحمه الله هـ ١٩١ طبع مصر . وقد قال عن هذا المارستان صاحب الاستبصار في عجائب الامصار : ومن بركاته وضع دار فرج في شرقي الجامع المكرم وهو مارستان المرضى يدخل العليل فيها فيعاين ما أعد فيه من المنازل والمياه والرياحين والاطعمة الشبيهة والاشربة القوية ويطعمها ويشربها فتعشه من حينه بقدرة الله تعالى هـ

وهذا المارستان العظيم الشان من الملاحية التي أكل عليها الدهر وشرب ودخلت تحت خبر كان ألا ان في عشرة السبعين وتسعمائة انشأ السلطان الغالب بالله السعدي المتوفي عام ٩٨١ بمراکش المارستان الذي قال عنه الافرائي ظهر نفعه وأوقف عليه أوقافا عظيمة هـ ومحلّه اليوم بحومة الطالعة قرب السجن وقد اتخذ اليوم سجنا للنساء ومغتسلا للغرباء والمساكين وهذا حال الدهر الخؤون فسبحان مغير الاحول من حال الى حال

ولا شك ان هذا العمل من يعقوب المنصور يعد في صدر أعماله الموفقة وهو مما يكتب به الفخر التليد للغرب والمغاربة بحروف كالجبال تعلو وتطول بطول درن وتدوم بدوامه وهذا غير عجيب عن يعقوب المنصور وذويه في باب الاعمال الخيرية والمشاريع العامة من جهادية وعمرانية وعلية فهو يتيمة عقد الدولة الموحدية ولا أشكال وربما يستقل مصروفه الطعامي الذي اخدده بثلاثين دينار يوميا ولكن عند من يجهل مقدار الدينار الذهبي على عهد الموحدين فانه كان لهم دينار كبير وزنا وعملا على ان اتمان الحاجيات في ذلك الزمان غيرها في هذا الزمان وإذا أردت الايضاح فقس ما كان يأتي به الدينار منذ خمسين سنة وما يأتي به اليوم يظهر لك الفرق ويتضح لك الحال جليا فافهم فأن الدرهم الشرعي كان في أول هذا القرن ربما يكفي لمصروف العائلة تقريبا وهكذا قس الى زمن الموحدين فكيف بالدينار

وما ذهبت دولة الموحدين بخيرها الكثير وشرها القليل حتى برقت بارقة الدولة المرينية ذات الحضارة والنضارة والتأسيات العمرانية والعلية بما أربى على عمل السابقين ففي ترجمة السلطان أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني المتوفي سنة ٦٨٥ هـ ذين شالة أنه لما استقام له الامر بنى المارستانات للمرضى والمجانين وأجرى عليهم النفقات وجميع ما يحتاجونه من الاغذية والاشربة ورتب لهم الاطباء لتفقد أحوالهم كل يوم غدوة وعشية وأجرى على الكلك المرتبات والنفقات من بيت المال وكذا فعل بالجذمي والعمي والفقراء ورتب لهم مالا معلوما يقبضونه في كل شهر من جزية اليهود كما بنى المدارس لطلبة العلم ووقف عليها الاوقاف وأجرى عليهم بها المرتبات كل ذلك ابتغاء ثواب الله نفعه الله بقصده انظر القرطاس والاستقصا ص ٣٢ ج ٢

وقال الحافظ أبو عبد الله ابن مرزوق في المسند الصحيح الحسن ، في مئثر أبي الحسن المريني إنه جدد المارستان بفاس وغيره وكان له به أعظم إعثناء وابو الحسن هذا هو الذي يقول عنه ابن الخطيب في رقم الحلل

باني المباني النخبة الشريفة	بمقتضى همته المنيفة
وتارك المدارس الظريفة	شاهدة بأنه الخليفة
وقاطع الدهر بغير لهو	في مجلس معظم أو هو
أما لتدبير وعلم يدرس	أو لبلاد من عدو تحرس
أو لا يباد في عباد تفرس	أو لنواب ورضا يلتمس
أو نسخ قرآن وعرض حزب	أو عدة معدة لحرب

وقد أحيى سبيله من بعده ولده السلطان أبو عنان المتوفى سنة ٧٥٩ والولد سر أبيه وذكر ابن بطوطة في رحلته ان السلطان أبا عنان المريني قد بنى في جميع بلاد المغرب مارستانات ولعل من منه المارستان الذي ذكره : ابن الخطيب في كتابه نقاضة الجراب فيمن جمعني معه الاغتراب حين دخل لآسفى عام ٧٦١ قال . وفي هذه البلدة المدرسة والمارستان وعليها نقحة من قبول الله قال وتردد إلي بها صاحب السوق ومقيم رسم المارستان الشيخ أبو الضياء منير بن احمد الهاشمي الجزيري أما مارستان فاس الذي بجوار سوق العطارين وسوق الحناء فهو مارستان خاص اليوم بالحمقى والمعتهوين ويغلب على ظني أنه من تأسيسات بني مرين وسمي باب الفرج تفاؤلا بأن يحصل الفرج لمن يحل به وقد سبق عن صاحب الاستبصار إطلاق باب فرج على مارستان مراکش في زمن الموحدين ويوجد في كثير من جهات افريقيا مواضع أوقفت لمثل هذا الغرض أطلقوا عليها فرج كما في الجزائر وغيرها

وأول من حفظ لنا التاريخ إسمه من نظار المارستان الذي بفاس العالم الصالح أبو فارس عبد العزيز ابن محمد القروي (بتقديم الرأى على الواو) الفاسي أحد شيوخ العلم بفاس المتوفى سنة ٧٥٠ وهو صاحب التقيد على المدونة المنسوب لابي الحسن الصغير كما في مفتاح الشفا لانه كان أكبر أصحابه كما في إنباج القلوب وهو مترجم في درة الحجال وجذوة الاقتباس وكفاية المحتاج ونيل الابتهاج وغيرها من كتب الرجال وقد ذكره الشيخ بناني في حواشي الزرقاني على المختصو في باب الجائز عند قول الشيخ خليل أونسي معه أن عبد العزيز القروي المذكور كان ناظرا على المارستان بفاس يتولى تجهيز الموتى بيده وقد جيء ذات يوم بعيت غريب فلما أراد غسله وجد معه بضاعة من الفضة

فيؤخذ من هذه القضية ان هذا المارستان بفاس كان قبل ستمائة وست سنوات له ناظر وهو العالم الصالح المذكور وترجم في الجذوة لمحمد بن قاسم بن أبي بكر القرشي المالقي الغرناطي فقال كان ليبيا لودعيا جامعالحصال من خط وكتابة ونظم وشطرنج ثم تولى النظر على المارستان بمدينة فاس في ربيع ٢ عام ٧٥٤ ثم أرخ وفاته سنة ٧٥٧ فهاذا يدل على أنهم كانوا يختارون لنظارة أحباس المارستان أهل العلم والادب والنبل

وفي جغرافية ابن الوزان الفاسي المعروف بليون الافريقي ما يفيد انه كان توظف وهو صغير عدلا بالمستشفى الكبير بفاس عدة سنين باجرة عينها وكان ذلك في أيام الدولة الوطاسية التي يعبر عنها هو بالدولة المرينية لانها من اصل واحد . وضم من كلام ابن الوزان المذكور انه كانت بفاس على عهد أول القرن العاشر الهجري عدة مستشفيات وانها كانت نهاية في الرونق والاتقان وكل غريب دخل المدينة له ان يقيم بهذه المستشفيات ثلاثة ايام وتوجد خارج المدينة عدة مستشفيات لا تقل اتقاناً

تفصيل وبيان

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

كانت نشرت في هذه المباركة أجوبة عن أسئلة ثلاث وردت عليها وذلك في عددها الاول من مجلدتها الثالث بصحيفة ٣٥ وحيث وقع إطلاق يجب تقييده في السؤال الاول واجمال ينبغي بيانه في السؤالين التاليين فقد رأيت إعادة الاسئلة مع أجوبتها مفصلة مينة واليك هي س (١) ما قولكم في إمام جمعة تأخر عن الحضور بالجامع يوم الجمعة حتى أيس من حضوره الجماعة وقرب وقت العصر فقدموا من بينهم من صلى بهم الظهر لعدم من يحسن الخطبة منهم وبفراغهم من الصلاة جاء الامام فهل يؤدون معه صلاة الجمعة أم لا ؟

(الجواب) إن هؤلاء الجماعة معذورون في تركهم الجمعة وأدائهم لها ظهر حيث كاد يخرج وقت الجمعة الاختياري ولم يكن فيهم من يحسن الخطبة إذ من المعلوم أن الخطبتين شرط في صلاة الجمعة صحة وجوبا. أما الصحة فهو بمعنى أن الجمعة لا تصح بدونها، وأما وجوبا فلأنه إذا لم يوجد في الجماعة من يحسنهما بشرطهما وهو كونهما عربيتين سقط وجوب الجمعة عنهم قال الشيخ عبد الباقي ما نصه فإن لم يعرف الخطيب عربية لم تجب اه وقال الشيخ عليش في شرحه على المختصر ما نصه فإن لم يوجد فيهم من يحسنهما عربيتين فلا تجب الجمعة عليهم ثم قال فالقدرة على الخطبتين من شروط وجوب الجمعة اه ولا ينتظرون الامام إلى دخول وقت العصر على مذهب ابن القاسم لأن الجمعة كالظهر لا يجوز تأخيرها عن وقتها الاختياري إلا لعذر مبيح نعم لما جاء إمامهم وقد صلوا الظهر فانهم يصلون معه الجمعة إن لم يدخل وقت العصر لتبين إستعجالهم بالظهر أما إن دخل وقت العصر فانهم يعيدونها معه بنية الجمعة تنفلا لا وجوبا حيث سقط فرضهم بفعل ما وجب عليهم أما الامام فلا تجزئه إلا إذا كان معه جماعة غيرهم لم يصلوا تستقل بهم الجمعة

س (٢) ما قولكم في واقعة حال صورتها أن هناك قرية لا تقام بها الجمعة يصلي أهلها الجمعة في قرية أخرى تبعد عنها نحو الاربعة أميال مات بعض أهل القرية الاولى يوم جمعة فرأى أهل قرية ان الاولى

عن التي بداخلها قال وكان لها قبل مداخيل وافرة ولكن أيام حروب ابي سعيد المريني افقرتها وذلك ان السلطان ابا سعيد عثمان بن ابي العباس بن ابي سالم المريني المتوفى سنة ٨٢٣ احتاج الى المال و اشار عليه شيطان ببيع اوقاف هذه الملاحية فعارضته الامة اشد معارضة ووقفت في وجه ما يريد فاجابها احد وزرائه بقوله ان هذه الملاحية نفسها واوقافها من صدقات اجداد الامير وحيث ذلك كذلك فللهلك ان يفوت هذه الاوقاف ويصرفها في مصالح الملك فاذا انتهت الازمة اعاد شراء الاملاك فبعت هذه الاوقاف ماسوفا عليها وكانت عاقبة السلطان خيرا فمات مقتولا داخل قصره. ولم ترجع المستشفيات الى حالها (يتبع)

الاشتغال بمؤون تجهيزه ودفنه وإن كان ذلك مؤديا بهم الى ترك صلاة الجمعة لانهم إذا أخروا ذلك الى ما بعد صلاة الجمعة تأخير أمر الجنازة إلى ما بعد العصر وربما لم يفرغوا منه إلا بعد الغروب وأراد إمام قرية الجمعة تأخير أمر الجنازة إلى ما بعد صلاة الجمعة ليتسنى الجمع بين الفضيلتين وتنازع الفريقان في ذلك فما وجه الصواب في هذه القضية ؟

(الجواب) ان ما رآه اهل القرية من المبادرة بتجهيز الميت وان ادى القائم به الى ترك صلاة الجمعة هو الحق سواء خيف على الميت التغير بسبب التأخير ام لم يخف عليه ذلك اما في الصورة الاولى فلقول حافظ المذهب ابن رشد - ومما يبيح التخلف (اي عن صلاة الجمعة) الاشتغال بجنازة ميت ينظر في امره اذا لم يجد من يكفنه وخشي عليه التغير ان اخره لصلاة الجمعة اهـ - واما في الصورة الثانية فلقول الامام ابن الحاج في المدخل وهو المعتمد كما قاله غير واحد ما نصه قد وردت السنة ان من اكرام الميت تعجيل الصلاة عليه ودفنه وكان بعض العلماء يحافظ على السنة اذا جاؤا بالميت الى المسجد صلى عليه قبل الخطبة ويأمر اهله (١) ان يخرجوا الى دفنه ويعلمهم ان الجمعة ساقطة عنهم ان لم يدركوها بعد دفنه فجزاه الله خيرا عن نفسه على محافظته على السنة والتنبيه على البدعة اه قال العلامة الاحموري ما نصه ظاهر المدخل ان السنة ما ذكر حيث دخلوا به وقت الخطبة وان لم يخش تغيره ولا خشي عليه الضياع اه فاذا كان تأخير دفن الميت بمقدار صلاة الجمعة بدعة يتحاشى عنها فتأخيرها الى الغروب اشد ابتداء كل هذا بالنسبة للقائمين بامر الميت . خصوصا اذا اضعفنا الى ذلك كله عدم وجوب صلاة الجمعة على اهل قرية الميت حيث كان بين قريتهم وقرية الجمعة مسافة لا يجب عليهم معها السعي لصلاة الجمعة

س (٣) ما قولكم في حادثة تشبه الحادثة قبل هذه غير ان قرية الميت تقام بها الجمعة والخطيب هو الفاسل والوقت عند الزوال ايها اولى للامام تقديم الجنازة وتأخير صلاة الجمعة الى وقت اصفرار الشمس ام تقديم صلاة الجمعة وتأخير الجنازة الى الاصفرار

(الجواب) ان السنة في الجنازة ان لا تأخر كما تقدم عن ابن الحاج في المدخل والامام يصلي الجمعة بالناس ويتولى غسل الميت غيره الا اذا لم يوجد من يحسنه سواه فهاهنا يبادر بغسل الميت وجوبا ان خشي على الميت التغير واستحبابا ان لم يخش تغيره ويؤم غيره في صلاة الجمعة الا اذا كان اهل القرية كلهم اميين لا يحسنون الخطبة فيصلونها ظهرا في آخر وقتها الاختياري ويعيدونها جمعة تنفلا مع الامام وتجزئه هو اذا كان معه جماعة غيرهم لم يصلوا تستقبل بهم الجمعة وذلك ما لم تقرب الشمس فان قدم الامام صلاة الجمعة على غسل الميت في الصورة الاخيرة فليصل على الميت قبل الاصفرار او بعد الغروب لكرهه الصلاة على الميت بعد الاصفرار وحرمتها وقت الغروب والله اعلم

علي النيفر

(١) يظهر من التعليل بالمحافظة على السنة ان التقييد بالاهل خرج مخرج الغالب والمراد من يقوم بدفن الميت وان لم يكن من اهله اه محجب

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

القضاء الشرعي

« ٢ »

نستأنف حديث القضاء الشرعي بتونس من حيث انتهائه في العدد الماضي فنقول لما دخلت الايالة التونسية في طاعة آل عثمان اواخر المائة العاشرة عاد المذهب الحنفي للظهور واخذ مركزه في المقدمة لانه كان مذهب ولاية الامر ولا زال كذلك الى هذا الزمان فامراء الدولة المرادية كانوا من الاحناف وآل البيت الحسيني خلد الله ملكهم من نسل الترك والترك امة حنفية حنيفة وبديهي ان الترك اتخذوا لهم قاضيا من اهل مذهبهم عند اخذهم مقاليد الامور بايديهم كانوا يأتون به من اسلامبول ثم يبدلونه بعد ثلاث سنين بقاض آخر من بلادهم وهلم جرا وكان سيدنا عمر يبدل قضاة بعد اجل معلوم كعامين او نحو ذلك وهكذا كانوا في الدولة الحفصية فان متولي القضاء في مدة السلطان ابي عمرو عثمان لا يبق في خطة القضاء بجهة معينة اكثر من ثلاث سنين ثم ينتقل لغيرها الى ان يتصدى للقضاء الحاضرة ثم يتصدى للفتوى والشورى بين الناس وما وقع لفظ الشورى في الاسماع تراتح لذكره النفوس وتمول لاعطر بعد عروس . قال الشيخ محمد يرم الثاني في شرح رسالة المفتين : اول المفتين بتونس على المذهب الحنفي هو الشهير برمضان افندي وقد كان قدم اليها من الروم (اي بلاد الترك) بوظيفة القضاء على العادة ايام يوسف داي التي كان بدؤها عام تسعة عشر بعد الالف فلما استوفى مدته ورام ان يعود اليها منعه ذلك الداي وقلده الفتوى اهقلت اول قاض حنفي انتصب عند الفتح العثماني فيما حكاه المؤرخ حسين خوجة في بشائر اهل الايمان هو المولى حسين افندي الحنفي . عينة لحطة القضاء الوزير سنان باشا في جملة الانظمة التي وضعها عند ترتيب ديوان الحكم في سنة ٩٨١ وبعد ان اتم مدته قام مقامه قاض تركي . اخر لمدة ثلاثة سنين وهلم جرا الى ان االت خطة القضاء للمولى علي افندي من فقهاء الترك وكان اصله من الجزائر قال في بشائر اهل الايمان : انه جاء من اصطنبول الى تونس بوظيفة القضاء فطلب نائباً (مالكي) فلم تطب نفسه بنائب من علماء الوقت الا بالشيخ ساسي نوني (كان موجودا على راس الالف) فطلبه للنيابة فابى فرأوده فامتنع فقال له اخر مرة ان لم تتول النيابة لامتنع بقتلك على مذهبك فلما سمع مقالته لم يسعه الا الامتناع فتولى النيابة المذكورة اه وهكذا استرسل الحال بولايه قاض جديد من الترك عند شعور الحطة بانتهاء مدة متوليها الى ان تولاها الشيخ محمد قسار خوجه الخ تولاها الشيخ محمد قسار خوجة المشهور برناز ومعنى برناز-

ذو الانف الطويل في اللسان التركي (والعامة يسمونه خشمون في تونس) وبرناز هذا كان من ابناء تونس وابوه من رجال الفتح العثماني فكان هو اول قاض حنفي تونسي عدل به اذ ذاك عن استدعاء قاض من الترك ومات الشيخ برناز قتيلا سنة ١٠٨٤ فيما حكاة صاحب كتاب بشارت اهل الايمان، على انهم لم يجعلوها قاعدة مطردة، الا ابتداء من مدة الباشا علي باي الاول باشا فانه انما تكون ولاية قاضي الحضرة بغير اختياره وتعلل بان اغلب سكان البلاد من العرب لا يحسنون اللغة التركية فهم لا يفهمون ما يقوله القاضي التركي ولا هو بدوره يفهم ما يقولون ولا هو عليم باخلاقهم واحوالهم ومعرفة ذلك من شروط القاضي فمقد ذلك فوض له الباب العالي باختيار القاضي من العلماء الحنفية بتونس فكان اول قاض حنفي تولى القضاء بها باختيار الباي هو الفقيه الشيخ احمد الطرودي في سنة ١١٥٧ ثم الحق به قاض على المذهب المالكي الزكي ولم يكن قبل ذلك للجماعة المالكية سوى نائب قاض ينفذ عنه احكامه القاضي الحنفي واول من تولى نيابة القضاء المالكي على عهد حكومة الانراك هو الشيخ ساسي نويينة كما سبقت الاشارة لذلك واسترسلت مباشرته لهذه النيابة في الدولة المرادية وممن تولاها بعده في العصر الحسيني الشيخ احمد الرصاع وابنه الشيخ قاسم وحفيده الشيخ حمودة باشرؤا نيابة القضاء المالكي على عهد المولى حسين بن علي وباشرها بعدهم الشيخ حمودة الريكي وكانت ولايته سنة ١١٥٥ واول من تولى قضاء المذهب المالكي بالاستقلال هو الشيخ محمد سعادة (١) كان قاضيا مالكيًا بتونس في وقت

ترجم له في بشارت اهل الايمان ونوه بقدره ونقل شيئا كثيرا من اخباره ورحلته وترجم له باوسع من ذلك في كتاب مسامرات الظريف ونقل نقفا من ادبه وقال انه تقدم للقضاء ثم للفتوى ثم لرئاسة اهل الشورى يعني كبيرا للمفتين على المذهب المالكي وقال ان الباشا علي باي امتحنه بالعزل من جميع خططه وسماها له واحدة واحدة فقال له الشيخ سعادة بقي عندي وظيف آخر لم تعزلني منه فقال له الباشا ما هو فقال له الشيخ وظيفه العلم الذي في صدري وبعد مدة اعاد عليه جميع وظائفه - قلت كان فقها ادبيا ناظما نائرا له باع طويل في التاريخ من ذلك اخبار دولة المولى حسين بن علي وابنه المولى محمد الرشيد باي ومن اجلها وضع كتابه المسمى قرة العين تضمن ارجوزة تربو على المائتي بيت في معنى الصادح والباغم في الحكم والامثال وكان مرجع اهل العلم في الفتوى يدلك عليه هذه الايات التي خاطبه بها العلامة الاديب الشيخ احمد العصفوري في نازلة في العمرى أفتى فيها شيوخ العلم وطلب منه الافتاء فيها :

ارى المفتين قد وضعوا خطوطا بفتياهم لنا حصلت افادة
وما زبرت يداه الشيخ حتى نراها مثل واسطة القلادة
لقد سبقت سعادتنا يقينا اذا ختمت بخط من سعادة

وقد اجابه عن سؤاله بما يشفي الغليل من ذلك قوله

تاملت السؤال وما علاه من العمرى المسطرة المفادة
وما زبر الشيوخ امام رقعي ويمناه لسائلهم افادة
فالفيت الجميع اجاد فيما اجاب به واغنى عن زيادة

له حاشية على شرح الاشعوني سماها تقرير المسالك وله نظم بديع في مناسك الحج وله غير ذلك توفي رحمه الله سنة ١١٧١

واحد مع الشيخ أحمد الطرودي قاضي الحنفية على عهد الباشا علي باي الاول كما اسلفنا فيكون النظام الشرعي المزدوج الموجود لهذا الزمان ارتكز اساسه المتين في العقد السادس من القرن الثاني عشر ويكون قد انتضى عليه قرنان كاملان فهو نظام باركت عليه يد الدهر بمسحة الخلود، على ان وجود قاضيين من مذهبين مختلفين للحكم في وقت واحد ببلد واحد كان موجودا بالقيروان في عصر الاغالبية فان الامير زيادة الله ابراهيم بن الاغلب استقضى في وقت واحد ابا محرز الكناني من ائمة المالكية واسد ابن الفرات من ائمة الحنفية وقد نقل القاضي الشيخ محمد سعادة المتقدم ذكره ان الامام ابن عرفة افتى بجواز تولية قاضيين ببلد واحد على ان يخص كل واحد منهما بناحية من البلد او نوع من الحكم فيه لان هذه الولاية (اي القضاء) يصح فيها التخصيص والتججير ولو استثنى في ولايته ان لا يحكم على رجل معين صح ذلك اه قلت وازيدك اخرى وهو انه وجد بمصر في سنة ٦٦٣ على عهد الملك الظاهر بيبرس اربعة قضاة كلا منهم متمذهب بمذهب .

هذا وكان لجانب كل من القاضي الحنفي والقاضي المالكي ولجانب نائب القضاة ايضا مفت من اهل مذهبه يرجع اليه عند الاقتضاء فكان اول مفت على المذهب الحنفي بعد الفتح العثماني الشيخ رمضان افندي واول مفت مالكي الشيخ سالم النفاقي مؤسس مجد البيت النفاقي (١) وكان جلوسهم بدار الباشا التي اقام على انقاضها الوزير مصطفى بن اسماعيل في سنة ١٢٩٦ داره بتونس وبمكانها اليوم مدرسة البنات المسلمات الواقعة بهج الباشا وهذا النهج اطلق عليه المجلس البلدي اذاك اسم نهج المصطفية نسبة لاسم الوزير السالف الذكر فذهبت هذه التسمية الجائرة ادراج الرياح ولم يحفل بها احد وبقي نهج الباشا على تسميته كما كان وكان انعقاد مجلس الشيوخ للحكم صباح الخميس من كل اسبوع وهي سنة حفصية قررتها الدولة المرادية وجرى بمثلها العمل في الدولة الحسينية الى سنة ١٢٥١ وفيها اقيم شيخ اسلام للجماعة المالكية اتماما للتسوية المعنوية بعد التسوية الحسية الموجودة من قبل بين علماء المذهبين الشقيقين والغني لقب الباش مفتي بتونس وبطل استعمال العنوان الجليل المتلبس بلقب كبير اهل الشورى الذي مضت عليه القرون واذاك تقرر انعقاد المجلسين كل منهما بانفرادة فاحتفظوا بيوم الخميس للسادة الحنفية كما في القديم وعينوا يوم الاثنين لاجتماع السادة المالكية. واول عهد باجتماع القاضي والمفتي في مجلس واحد وهو مجلس الحكم كان في زمن الدولة المرادية وفي مدة مراد باي الثالث الذي تولى الحكم في سنة ١١١٠ اضافوا للمفتي الحنفي وهو الشيخ عبد الكريم درغوث مفتيا

(١) من اشهرهم واوسعهم عارضة في العلم المفتي الشيخ علي النفاقي قال في مسامرات الظريف انه اتى بخط شريف من دار الخلافة في تنفيذ حكم كل من القاضي والمفتي من غير ان يسال واحد منهما عن خص المسالة بعد ان كانت العادة ان الخصم يسال كل عالم ويطلعه على المسالة وله ان يعارض بها القاضي او المفتي في مجلس حكمه وبذلك حصل للشيخ صيت عظيم وتوفى في طريق الحج سنة ١٠٤٩ هـ

ثانياً حنفياً فكان هو الشيخ علي الصوفي وسنعود للكلام عليه عند التعريف بمسند مشيخة الاسلام الجليّة ثم توسعوا بالزيادة في عدد المفتين الحنفيين فكانوا اربعة ثم خمسة في اواسط القرن الماضي وكانت الفتوى في الدولة الحفصية بدرجتين فتوى بالنص والكتاب المسطور وهي الدرجة الاولى وفتوى بالنص والقول المنشور (الشفاهي) وهي الدرجة الثانية فالغيت هذه وابقيت الاخرى للجميع (١) وعلى ذلك القياس كان العمل بالنسبة لاهل المذهب المالكي فقد كان لهم من المفاقي مئتي وثلاث ورباع قال في مسامرات الطريف انهم كانوا ثمانية في الدولة المرادية وزيادة على ذلك فان قاضي المحلة في الدولتين الحفصية والمرادية كان من فقهاء المالكية ومنهم ايضا كان قاضي باردو في الدولة الحسنية وباردو كان موجودا في المائة السابعة وما بعدها بعنوان دور وبساتين ومنتزهات لبني حفص سكنه بعدهم المراديون بالعنوان المذكور فلما افضت الولاية للولي حسين بن علي اتخذ دار ملك ونصب به قاضيا مالكيّا كما اسلفنا وكان هؤلاء القضاة هم المترشحون لقضاء الجماعة بتونس وتبعاً لذلك كان قاضي الفريضة من المالكية ايضا وكان يجلس بيت المال وبيت المال كانوا يسمونه بيت الحساب على عهد الدولة الحفصية فيما حكاه الفقيه الزركشي مما يدل وانه كان لهم ديوان منتظم الاحوال لضبط حساباتهم وكان القائم على راس هذا الديوان وزير المال ويسمونه في مصطلحهم صاحب الاشغال ويكتب عليه شاهد لقبه شاهد التنفيذ وفي كتاب ابتسام الغروس لما توفي ولي الله سيدي احمد بن عروس تولى جنازته صاحب الاشغال بامر السلطان محمد المنتصر الحفصي ، وعلى قياس قاضي الفريضة كان قاضي الاهلة وما مازالت احكام الرؤية حتى في هذا الزمان جارية على قواعد مذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه لان لان ازدواج الحكم بما انزل الله في حالة وجود مذهبين قائمين في وقت واحد ببلد واحد قاد اهل الامر والنهي للبحث عن ابسر الطرق لاقامة قسطاس الشريعة بين الناس

وكاهم من رسول الله ملتئم غر فاف من البحر اورشفا من الديم

لذلك جعلوا النظر في بعض المسائل الشرعية من علائق المذهب المالكي كما جرى بمثله العمل في بعض المسائل الاخرى التي خضوها بالمذهب الحنفي كالتحايس التي يكفي في انعقادها قولك حبست على ما افنى به الامام ابو يوسف رضي الله عنه وهذا اقصى درجات اليسر اذ يتم المقصود منه بكلمة واحدة

ولا يوجد في زماننا هذا ادنى ميز او شبه ميز بين قاضي المذهبين فهما اخوان في الله شقيقان في العالم مستويان في الخطوة والحظوظ متحدان في الحقوق والواجبات حصل بينهما هذا التساوي

(١) هي الفتوى بمشهور المذهب حتى اذا اختلف الشيوخ في الراي كان الامير حكما بينهم يعني بترجيح شق على شق بصفته قاضي القضاة التي هي من حقوقه الشرعية

الحق كحصوله بين بقية شيوخ المذهبين في عهد المشير احمد باي الاول سنة ١٢٥٦ الى ذلك يشير شيخ الشيوخ وطود الرسوخ ابو اسحاق ابراهيم الرباحي بقوله

جری لبن من ندي احمد فارتوى به حفي في الاخاء ومالكي

واكد الباي هذه المنقبة الخالدة بالاذن للقاضي المالكية يومئذ وهو صديقه الشيخ محمد بن سلامة باتخاذ طابع له كقاضي الحنفية . نعم ان الوزير خير الدين اجري في اواخر القرن الماضي جناية استثنائية لشيخ الاسلام واخرى بنحو نصفها للقاضي المالكي ولكن ذلك كان في مقابلة مشاركتهما في خدمات خصوصية اثناء انجازة لمشروع الاصلاح الذي قام به يومئذ لفائدة البلاد التونسية على ان كافة شيوخ المجلسين كانوا في ذلك الزمان وقبله متمنعين بمنح استثنائية كثيرة منها تزويد من يتقدم منهم للخطبة الشريفة بفرس وسرج لركوبه ولقد رايت في كنفاش الشيخ الجداد الباي بعث له « بفرس هشوش وحكة نشوق بعطر الفشوش » (١) ولما راج سوق العربات وهي الكروسة (٢) صارت الدولة تسعفهم بعربة لركوبهم فقد رايت في بعض التقايد ان الباي احسن بثلاثة آلاف وستمائة ريال للقاضي الشيخ الطاهر النيفر بعنوان كروسة لركوبه في عام ١٢٩١ وكانوا يعطونهم الجوخ (الملف) اللازم لكسائهم والعلف اللازم لدوابهم وكان من يلتحق منهم بالدار الاخرة تتولى الدولة القيام بشئون مآتمه تنويها بشانه واحتراما لمنصبه الشرعي فكان مصروف جناية المفتي الشيخ علي العفيف في رجب ١٢٩٢ ريالات ٢٤٨٠ على يد شيخ المدينة . فان قلت ان سلطة القاضي الشرعية كانت شاملة جامعة في القرون المتقدمة وهاهي اليوم باتت منحصرة في قانون الاحوال الشخصية وفي نوازل الاستحقاق بين الرايا قلنا ان هذا التجريد لم يكن من عمل اهل حيل واحد بل هو نتيجة تطورات كثيرة في احيال متتابعة افضت بنا لما نحن عليه ومن المعلوم ان سفينة الدهر تجري في مجاري المشيئة فحسبنا الدعاء بان يكون مرساها على ساحل السلامة ومهما كان الحال فقد بقي للقاضي الشرعي ولشيوخ الفتوى زيادة على وظائفهم القضائية مهمتهم الدينية وهذه والله الحمد لازالت في قرار مكين واسعة المدا سميعة النداء ملتحفة برداء التعظيم والاحلال معتزة بالسودد والكمال وسنوفيها حقها ان شاء الله في العدد القابل مع التعريف بمسندي مشيخة الاسلام وعلاقة اهل العلم باهل الدولة ونختم كلامي اليوم بسررد اسماء المذهبين الذين تسنموا ذروة القضاء الشرعي بتونس في بحر المائتي سنة المتصلتين بعامنا الحاضر مع بيان تاريخ الولاية والحمد لله في البداية والنهاية

(١) هذه الحكمة كانت مرصعة بالحجارة الكريمة والشيخ الجدد كان زاهدا في دنياه ورده الحديث واكمله ما حضر فدفعها لزوجته وهذه باعته واشترت بثمانها دارا بجبل المنار

(٢) لفظ معرب من Carrozza في اللغة الطليانية . قال في المونس ان ظهور الكروسة بتونس كان على عهد الدولة المرادية حيي بها (من اروبا) لركوب حمودة باشا المرادي

القضاة المالكية	القضاة الحنفية
الشيخ أحمد الطرودي تولى سنة ١١٥٧	الشيخ أحمد الطرودي تولى سنة ١١٥٧
» يوسف القفال » ١١٦١	» يوسف القفال » ١١٦١
» محمد الوافي المثلوني » ١١٧٠	» مصطفى الطرودي » ١١٦٧
» محمد الكافي » ١١٧١	» علي الجري بن عمر » ١١٧١
» إبراهيم المزاج » ١١٧٢	» عمر بوشناق » ١١٧٢
» سعيد الشيبوني » ١١٧٥	» خليل خوجه » ١١٧٧
» محمد سويسى » ١١٩٩	» مراد بوسيكه » ١١٨٠
» محمد الطوبى » ١٢٠٤	» محمد قارة باطاق » ١١٩٠
» عمر المحجوب » ١٢١٧	» محمد يرم الثانى » ١١٩٢
» اسماعيل التميمي » ١٢٢١	» حسونه الترجمان » ١١٩٣
» أحمد بوخريص » ١٢٣٠	» محمد يرم الثانى (مرة ثانية) » ١١٩٤
» اسماعيل التميمي مرة ثانية » ١٢٣٠	» حسين برناز » ١٢١٥
» سالم المحجوب » ١٢٣٤	» أحمد بن الخوجه الاول » ١٢١٩
» الشاذلي بن المؤدب » ١٢٤١	» مصطفى دقزلي » ١٢٢٩
» البحري بن عبد الستار » ١٢٤٢	» علي الدرويش » ١٢٣٢
» محمد السنوسي بن منيه » ١٢٥٤	» محمد بن الخوجه » ١٢٥١
» محمد بن سلامه » ١٢٥٥	» محمود بن باكير » ١٢٥٩
» محمد البناء » ١٢٦١	» مصطفى يرم » ١٢٦٢
» محمد النيفر » ١٢٦٣	» أحمد بن الخوجه الثانى » ١٢٧٧
» الطاهر بن عاشور الاول » ١٢٦٧	» حسن بن الخوجه » ١٢٧٩
» صالح النيفر » ١٢٧٧	» محمد البارودي » ١٢٨٥
» محمد النيفر » ١٢٨٠	» محمد بن مصطفى يرم » ١٢٩٠
» الطاهر النيفر » ١٢٩٠	» محمود يرم » ١٣٠٩
» الطيب النيفر » ١٣١١	» اسماعيل الصفايحي » ١٣١٥
» محمد القصار » ١٣٢٥	» محمود بن محمود » ١٣٢٥
» الطاهر بن عاشور الثانى » ١٣٣١	» محمد بن القاضي » ١٣٣١
» الصادق النيفر » ١٣٤١	» محمد رضوان » ١٣٣٥
» صالح المالقي » ١٣٤٧	» الطيب يرم » ١٣٤٩
» الطيب سياله » ١٣٥٢	» محمد دامرجي » ١٣٥١

صلة تونس بالدولة العلية

صفحة من تاريخ تونس

بعثت خير الدين للاستانة

في سنتي ١٢٨١-١٢٨٨

« ٢ »

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ٥ »

مكتوب من الوزير الاكبر مصطفى خزندار

الى الوزير خير الدين مؤرخ بيوم الاحد في ٢٠ رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهمام المفخم الوزير امير الامراء وعمدة اعيان الكبراء السيد خير الدين ادام الله تعالى حراسته وحفظه اما بعد السلام التام عليكم ورحمة الله تعالى فان مكتوبكم المؤرخ بيوم الثلاثاء سابع شهر التاريخ بلغنا وكذلك مكتوبكم الخصوصي وكذلك ما الحقتموه بالبطاقة من تعيين يوم مقابلة مولانا السلطان وعلينا جميع ما تضمنته وشكرنا الله تعالى اولاً على عافيتكم ثم على ما حصل لكم من العناية والاکرام وسر مولانا ايد الله تعالى بجميع ذلك وقد كاتبناكم قبل هذا بما يغني عن الاعادة والواصل لكم صحة هذا مكتوب من دار اولانجي لئانها باسلامبول ليكون لكم (كريدي) بمائتي الف فرنك تاخذها هناك اذا لزمكم ذلك الخ
(لا يهم موضوعنا نقل البقية)

هذا ما بلغ اليه جهد المقل من البحث والتحري في ضبط اسماء البعض من هؤلاء الشيوخ ولا سيما اهل الطبقة الاولى الذين تولوا القضاء في اواسط القرن الثاني عشر اذ من المحتمل ان تواريخ واسماء بضعة نفر منهم غير مطابقة للواقع وكان من العسير علينا تحرير ذلك كما هو الحال في اسم الشيخ الثالث في السلسلة المالكية لاني سمعت من بعض شيوخ المذهب من يشك في صحة نسبه ويقول ان لقبه ربما كان القاضي لا الكافي كما اني لست على يقين من صحة اسم الشيخ الخامس في تلك السلسلة وهو الشيخ الشيوبي اذ لم نجد له ذكر فيما ادينا من كتب التراجم التونسية وهي قليلة جدا بالنسبة للقرنين الحادي عشر والثاني عشر

سقى لحد من بانوا وقد ضاجعوا الثرى غمام الرضى حتى يرى روضة خضرا

وعامل من لم يأت به اجل بلطف له في هذه الدار والاخرى

محمد بن الحوجة

« ٦ »

مقتبس من مكتوب صادر من المستشار محمد البكوش

بتاريخ الثامن والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله - سيدي ومعتدي بعد اهداء السلام وتقيل الايدي الكرام واداء ما يجب من الاجلال والاعظام.....

اما اخبار تونس الدارجة في شان وجهه السيادة فانها مسرة للغاية والشكر لله تعالى وشائع عند الاجانب واهل البلاد ان الاكرام الذي حصل للسيادة لم يحصل لاحد الا لاسماعيل باشا مصر... .

« ٧ »

نص مكتوب من المؤرخ الاكتب احمد بن ابي الضياف

حرر يوم الثلاثاء في ٢٨ رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله - وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سيدي وسندي والعروة الوثقى التي علق بها يدي الوزير امير الامراء سيدي خير الدين ادام الله اجلاله وحرس كماله اما بعد السلام المديد لحق المقام بالسؤال عن احوالكم لازالت ان شاء الله طوع وامالكم ونحن والشكر لله بخير وعافية لا يخضنا الا الاجتماع بكم في اسعد الاوقات على احسن الحالات وقد كتبناكم قبل هذا بما نرجو وصوله لجنابكم وسرنا مكتوبكم المؤرخ في اواسط رجب لا سيما ما في طرته بخطكم حيث قلتم ان ظاهرا الامور على ما يسر مولانا ويرضيه وفرحنا بذلك كثيرا واخبركم ان امير الامراء سيدي علي باي سافر بالمحلة يوم الخميس في ١٧ رجب في مشهد عظيم وموكب فخيم والسيد رستم بمحلته الى وطن الكاف ونواجع ونيفة وان الشقي علي بن غداهم نكت الامان وجمع شردمة من الاوغاد اغار بهم على محلة السيد رستم عند رحولها فردهم الله على اعقابهم وشنت المدفع شعلهم ومات منهم نحو الاربعين ونجى ابن غداهم براس طمرة ولجام وخفي موضعه وقطعت نيته وكفى الله المؤمنين القتال والسيد احمد زروق لم يزل بالساحل واسركم ان اخباركم بتونس تعطر الارحاء وتقوي الرجاء والله ولي اعانتكم وهو المسئول ان يجمعنا بكم في اسعد الاوقات والسلام من كاتبها على جناح عجل احمد بن ابي الضياف (وبطرته) ومات من محلة السيد رستم نفر واحد فقط والظاهر ان محلة الباي تقصد اعراب ونيفة الآن والسلام

« ٨ »

مقتبس من مكتوب صادر من الوزير الاكبر مصطفى خزندار

بتاريخ الثامن والعشرين من رجب سنة ١٢٨١

الحمد لله وصلى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهام المفعم امير الامراء الوزير السيد خير الدين حرسه الله تعالى السلام عليكم وبعد فان

كتاييكم المؤرخين في ١٥ شهر التاريخ بلغا إلينا وعلمناهما ويوم التاريخ اجنابكم عنهما بمكتوبين مؤرخين بالتاريخ حاصلهما ان مولانا دام عزه وعلاء علم مقابلتكم للجناب الفخيم السلطاني وللوزراء واستحسن ايده الله تعالى الطريق الذي سلكتموه وسر ايده الله تعالى بحسن المقابلة التي ذكرتموها
.....
(لا حاجة لنا هنا ببقية المكتوب)

« ٩ »

نص الجواب الصادر من المولى الصادق باي

الى الصدر الاعظم المشير السيد محمد قزاد باشا مؤرخ في ذي القعدة سنة ١٢٨١

الحمد لله - اما بعد التحية المناسبة لرتبتكم العلية وفخامتكم التي هي عن الشرح غنية فانه بلغ اعظم قدركم العالي الكتاب العظيم الوفادة الكثير الافادة المتضمن لبيان الخير وطرق السعادة فانشرح لمراءه قزادي ورايته من اثار صدق نيقي المؤسسة على صدق نية اناي واجداي وتعرفت منه ما ملاء العين احسانا والقلب استحسانا وافاض المسرة سرا واعلانا وحسبته من نتائج عمري والايات الدالة بفضل السلطنة العلية على فخري حيث تضمن رضى السلطنة العلية على العبد الفقير واحله بالنساء على سيرته المحل الاثير وافادة تقرير عاداته المعروفة المقررة المألوفة وشرح لنا الهمام المفخيم الوزير امير الامراء ابتنا خير الدين ما شاهده من الاعتناء الذي جنابكم اهله ومكانتكم العلية محله مع ما اتصل بذلك من الالتفات اليه من حضرة سلطنة الاسلام العلية وتشريفها له بما هو معهود من مكارمها السنية عنايات سلطانية جارية على ما نعهده نحن وءاباؤنا من الخلافة العلية والفخامة العثمانية اذ لم تنزل اثارها متواردة واللسن والقلوب على معرفة قدرها متعاضدة فقد شاهدنا عيانا اثار مرضاتها التي افصح بها الكتاب الكريم المتلقى بالاحلال والتكريم لانا لا نشك في ان ذلك اصل الاسباب التي اعانت على رفع ما عرض من التخخير في الوقت القليل بالعمل السير واعتناؤها الرفيع العالي واعانتها المدعمة للسابق بالتالي وعنايتها بالعبد الفقير حيث تفضلت على وزيره الاكبر بنيشان الافتخار المرموق بعين الاحلال في سائر الاقطار التي تتوجه اليه الاطماع وتفتخر به الاشخاص والبقاع اذ من المقرر المعلوم المسموع ان العناية بالتابع عناية بالمتبوع خلد الله تعالى لهذه الخلافة الاسلامية سلطانه وبصرها للخير ولعانها وعمر بما يرضها ازمانها وجعل التاييدات الالهية اعوانها ولا غرابة في اعتناء سلطنة الاسلام الحامية للانام بما يعود عليهم بصلاخ الامور ورعاية حال الخاصة والجمهور اذ ظهور الفضل من موضعه عادة مألوفة واشراق النور من مطلعته سنة معروفة وما هذا بول اعتناء تعرفناه وتعودنا به والفناء فظالما تواردت علينا من السلطنة العلية النعم وتناسقت وتبارت الافكار في معرفة مقاديرها وتساقت نعم يقصر عن اداء شكرها لساني ولذلك اوكلت الجزاء عليها لمن يعلم سري واعلاني غير اني اجعلها ملهج لساني ونصب عياني ونرجو ان لا تزال متواردة الامداد على ممر الاماد غير منحصرة بعد ولا منتبهة الى حدواني على يقين من أن جنابكم العالي من اعظم اسباب هاته النعم التي يقصر عن بيان قدرها لساني القلم اذ باب السلطنة هو الوزير وذلك هو المقطوع به عن كالكم الشهير ومقامكم الكبير وان لساني يردد شكر مزاياكم المتكاثرة ومحامدكم المتواترة فلا زالت كمالاتكم واضحة الاشراق وسياستكم زينة

تهنئة الأمير احمد

الملك المعظم

بمولد الرسول احمد صلى الله عليه وسلم

يا مولد شرفت به عدنان	وتعطرت بأريجہ الاكوان
بشرى لنا بوجوده ووروده	سرت بها الاجفان والآذان
بمحمد سر الوجود ونوره	صلى عليه الخالق الرحمن
إرساله والفضل لله به	للعالمين هداية وأمان
في عام مولده وقاية مكة	والفيل عنها رد والحباش
فهم ويت حجيهم حاقت بهم	بين الانام مهانة وهوان (١)
بركاته درت بها حليلة	ولام معبد في العجاف لبان (٢)
ويرى بليل ما يرى بنهاره	وسيات خلف والوراء عيان
وإذا غفا والنوم من طبع الحيا	قفؤاده حال العكرى يقظان

الافاق ومما ننهيہ الى جنابكم الرفيع انه عند ما يقتضي الحال الذي لا يمكن بمقتضى ما يعلمه جنابكم الرفيع ترك الالتفات اليه بحال طلب ما عرفنا جنابكم العالي بان الاذن العلي السلطاني ادام الله تعالى تاييده صدر به نطلب ان تشرقنا باصداره والمرغوب من همتمكم العاية ومكانتكم السنية انهاء حمدنا وشكرنا للاعتاب السلطانية على ما املنا من اعتنائها واعانتها ووجدنا على نحو ما تعودنا به وعهدنا ودعائنا لها بالامداد وطول الامداد ومشا برتنا على ما تقرر بوزارتكم التي تقرب الصعاب وتدنيها وتغرس اصول السياسة وتجنينا وهو جلب مرضاة سلطنة الاسلام وعصمة الانام ومحافظتنا على اعتبار منها الجسام والدعاء لها بدوام العز وحماية الاسلام ودمتم . . .

(يتبع) محمد الصالح مزالي

(١) بيت عبادة الحبشة في اليمن اراد الاحباش جعلها حجا عوض مكة ودعواها الناس فقعدها فيها عربي نكاية بهم وذلك ما حلهم على هدم مكة واستصحاب الفيل لها
(٢) حليلة السعدية مرضعته صلى الله عليه وسلم وأم معبد امرأة مترجلة تطعم وتسقي المسافرين بين مكة والمدينة طلب منها صلى الله عليه وسلم عند هجرته بيع ما يقتاتون به فاعتذرت بفقد ذلك فمسح بيده الشريفة على ضرع شاة هزيلة هناك فدرت وحلبها ثلاثا حتى روي الجميع وترك منه لابي معبد المتغيب في رعي الشياه

لولا ما عبد الآله حقيقة بل ما درى الانسان ما الايمان
لما دعا الاقوام للدين السوي لباه شكرا أنسهم والجان
أتباعه سعدت به دنياهم ولهم بأخرى الفوز والغفران
يحظى ويرضى مادم لمحمد من فيضه ومؤمل ظمئان
مدح النبي جزاؤه لمحبه ولتابعيه الروح والرضوان
شكرا لخالقنا ببعث محمد وبما أشار بفتحه عثمان (١)
ساوت شريعة أحمد بين الورى فسمت لها الاجناس والالوان (٢)
والنافرون من الهدى نقد القضا فيهم وحال الاغبياء الكفران
فالخلق خمسهم هدوا وسواهم لو بشروا فهديم إمكان (٣)



ميلاد أحمد ياء (١٢) شهر ربيعه وسما به في كافه (٢٠) نيسان (٤)
فالشمس ترسم عيده بشهورها حتى يكون لها بذلك شان
والعام والايام من شمس الضيا لما لكوكب أرضنا الدوران
والبدر يكمل كل شهر دورة وجميعها عام له حسابان
لو أنصف الحساب مولد أحمد جعلوه في (١٢) ياء الشهور وزانوا (٥)
والشمس قدر عامها وفصولها ومواسم والسعد والدبران
لكنهم عشرين افريل نسوا والمرء عافة علمه النسيان
ان الذي لم يرع في اعماله هذا وذاك حسابيه نقصان
فصيامنا وزكاتنا ووقوفنا حيا لها من شمسنا ازمان
والشمس قد خضت بها صلواتنا ومن التخصص يظهر البرهان

(١) سيدنا عثمان ابن عفان الخليفة الثالث أرسل أخاه من الرضاع عبد الله بن ابي سرح لفتح
افريقية عام ٢٧ هـ ولولا لكات افريقية الان محبوبية همجية
(٢) ليس في الاسلام فرق بين العربي والعجمي والابيض والاسود على خلاف ما عرفت به
بعض الدول الراقية في التمدن حتى إن الاسود لا يجالسهم ولا يساويهم الى غير ذلك من النعرة الجنسية
والنسبية

(٣) المسلمون ثلاثمائة مليون والعالم البشري خمسة عشر مائة مليون
(٤) مولده صلى الله عليه وسلم بالحساب الشمسي في أفريل ٢٠ من عام الفيل
(٥) لما كان القمر في كل شهر يطوف بالارض مرة فمن الصواب انه كلما بلغ الحساب ١٢ يوما
من كل شهر يكون ذلك اليوم ذكرى لميلاده صلى الله عليه وسلم

لمحمد خير الفصول ربيعها وإليه في خير البقاع مكان (١)
 إن الربيع إذا الزهور تعطرت ومتى يحين النخل والرمان
 فبطيه كانت ولادته وفي جني الثمار بطيبة الهجران
 بهلال شهر ربيع ترحاله وقبا بثلمينه له الايات (٢)
 حلت عدالة احمد بقبا كما في الاعتدال الشمس والميزان (٣)
 في يوم طيب (٢١) واعتدال خريفه بنا المصلى للهدى اعلان
 صلى برانوناء اول جمعة بطريقه وخطابه رنان (٤)
 بلغ المدينة يوم ثاني عشرة فشدت به النسوان والصبيان
 فيها القرار لناقة مأمورة يا حبذا الانصار والضياف
 فسراة يشرب بايعوا لهجانه وحفاة مكة كيدهم خذلان
 لا يستوي غمر يهم بقتله وموفق بلقائه نشوان
 في مكة تجري الشعائر خفية وصلاة يشرب جهرة وأذان
 * * *
 ذي هجرة قد وافقت ميلاده شهرا وعدا فالوفاق يسان
 إن المحرم مثله يناير رسمته غرة عامها الازدهان (٥)
 فطليعة الايام منه عدادها ضمن المواسم امرها استحسان
 والاشعري ورئيسه لم يدريا هل قام بل او قدمضى شعبان (٦)

(١) ميلاده وبلوغه للمدينة مهاجرا صلى الله عليه وسلم في ١٢ ربيع ١ بالحساب الشمسي ميلاده في ربيع الازهار الشمسي أي في ٢٠ افريل وهجرته في ربيع الثمار أي في سبتمبر والاعتدال الخريفي وكانت العرب تسمي الخريف ربيعا
 (٢) سافر صلى الله عليه وسلم من غار ثور بمكة يوم الاثنين غرة ربيع الاول وحل في قبا ثامنه وبنى من الغد ٢١ سبتمبر مسجد التقوى والشمس قد حلت ببرج الميزان وهو الاعتدال الخريفي
 (٣) من الاتفاق الحسن ان حلول نوره وعدالته صلى الله عليه وسلم في قبا وبناء اول مسجد في الاسلام كان في زمن الاعتدال وحلول الشمس ببرج الميزان
 (٤) رانوناء كعاشوراء صلى في مسجدتها صلى الله عليه وسلم الجمعة في طريقه بين قبا والمدينة ولما بلغ المدينة تلقته النساء والصبيان وكانت على السطوح المخدرات ينشدن طلع البدر علينا . . . الخ الايات الثلاثة
 (٥) اول العام المسيحي يناير والميلاد قبله بسبعة أيام اي في ٢٥ ديسمبر - كما ان الهجرة في ربيع الاول وابتداء الحساب من المحرم غرة العام العربي اي قبلها بشهرين وایام - فالول العامين موسم عربي (والهجرة والميلاد الحقيقيان موسمان دينيان)
 (٦) توقف سيدنا عمر في شعبان برسم وقال هل هو الماضي او القابل وخاطبه عامله ابو موسى الاشعري في كون الكتب التي ترد اليه لا يدري منها عام الشهر الذي بها (شعبان)

فتشاوروا والهرمزاني مقالاه
وأشار في حرب المدينة قبله
جعلوا المحرم للحساب بداية
فتأسس التاريخ سابع عشرة
عدد بهي (١٧) جاء عد أميرنا
نعم الملوك السالفون وانما
في ضبط أحوال الزمان بيان (١)
بالحفر رابع هجرة سليمان
من هجرة كانت هي الفرقان (٢)
والفضل للفاروق والادعان
من ءاله بهما الوري جذلان
مرعى ولكن فاقه السعدان

يا مولدان تجمعا في شهرنا
هذان عيدان ورؤية أحمد
ثلاثة الاعياد عام حظوظنا
فيلى التعلق بالرسول قلوبنا
والى الامير ثناؤنا من عطفه
لكما مديح المصطفى إمعان (٣)
ورضاه عيد ثالث هتان
ولكل أمر مقتض وأوان
والى المديح لساننا وبنان
والحي يملك حسه الاحسان

بالمولد الاسنى حراسة تونس
أيظن ذاك الشخص ان بلادنا
كلا سيلقى من دفاع رجالنا
ما كل أحمد ملك زوغو ولا
خابت مطامع من يحارب تونس
ان السيادة لا تكون لغيرنا
فالتابون بارض تونس سادة
لا يستريح بها العباد فلان (٤)
وحماها الاحباش والالبان
ما في القديم تجرع الاسبان
ساوى شيوخ ملوكنا الشبان
هب أن ناصره الزعيم هيان
وبنا انمحي الفندال والرومان (٥)
وهم على طول المدى السكان

(١) جمع سيدنا عمر الصحابة لما يضبط به الوقت فشرح الهرمزان الفارسي طريقة التاريخ عندهم
واهل فارس لهم حضارة عريقة وتقدم في نظام الحياة - كما اشار سلمان الفارسي عام الاحزاب بحفر
الحندي حول المدينة سنة اربع
(٢) عمل سيدنا عمر برأي سيدنا علي كرم الله وجهه وجعل الهجرة مبدأ التاريخ الاسلامي واعتبر
الحساب من المحرم مبدأ الشهور القمرية عند العرب
(٣) عشرون افريل صادفت غرة ربيع الاول في هذا العام فاجتمع الميلادان الشمسي والقمرى
في شهر ربيع الاول وفي العام القابل ١٣٥٩ هـ ١٩٤٠ م يكون الميلادان في يوم واحد
(٤) في المولد الشريف زالت المخاوف من الهجوم المتوقع على المملكة من الجنوب - والاسبان
خرجوا من شواطئ تونس ٩٨١
(٥) الرومان أجداد الطليان انقرضوا من افريقية سنة ٤٣٤، وزال الفندال اجداد الامان منها ٥٣٣

جنس عزيز لا تلين قناته وحروبه للمعتدين عوان
فقضى من الآلاف خمسا زابضا والناس ناس والزمان زمان (١)
هذا من التاريخ ما علموا به ولقد محى ما قبله الطوفان

ابناء حام مازجوا افريقشا في قطرنا فتزايد العمران (٢)
حتى تجدد من عتيق ترائهم لما أتى لفتحهم حسان (٣)
وتتابع السيادة بعد جهاده نعم الشعار العزم والقرءان
خضعت الى الحلفاء افريقية وتمهدت بملوكها الاركان
فالاغلبى متغلب ولبأسه والاله هرون وشارلمان (٤)
وزيادة الله الجري لفتوحه أسد البحار العالم الطعان (٥)
ولآل فاطمة منابر طنجة والقيروان والحققت أسوان (٦)
فبصر عاصمة بناها جوهر ونما بها في الازهر العرفان
وتلتهم صنهاجة ومعزها لكن أذل جيوشه العربان (٧)
لبس السواد وظن بغداد الدوا بينا العليل فراشه زغوان
اين العراق من المعز وصبرة ومؤمل نصر البعيد يهان
قد غره شرح الشباب وملكه وعلومه وجنوده السودان
واذا بنو حفص تطول مدتهم فبدولة الاتراك جاء سنان (٨)

- (١) من الطوفان الى الآن ٣٣٢ هـ
(٢) امتزاج العرب ابناء سام بالبربر ابناء حام
(٣) حسان ابن النعمان فاتح قرطاجنة قدم افريقية عام ٧٨
(٤) الاغلبة من ١٨٤ - ٢٩٦
(٥) زيادة الله باي جامع القيروان على الحالة الراهنة غزا صقلية عام ٢١٢ وامير الجيش اسد ابن الفراء قاضي القيروان
(٦) الفاطميون بافريقية من ٢٩٦ - ٣٦١ وفتحوا مصر ٣٥٨ واسسوا القاهرة والازهر
(٧) الصنهاجيون بافريقية من ٣٦١ - ٥٥٥ غلبه العرب الهلايون على المملكة في اواسط القرن الخامس وعاتوا فيها فسادا سلطتهم عليه مصر لما قطع الدعاء للفاطمين اولياء نعمته ودعا للعباسيين ولبس هو ورجال دولته الثياب السود التي هي شعار العباسيين الذين عجزوا عن افريقية واسلخوا لحد الاغلبة او اخر المائة الثانية فكيف وهم في اواسط القرن الرابع على اضعف حالة والفاطميون يلتهمون ممالك دولتهم من اطرافها
(٨) الحفصيون - ٦٠٣ - ٩٨١ والمراديون من عام ١٠٢٢ - ١١١٣ والحسينيون من عام ١١١٧ وابوكال كنية الامير الجليل

وبنوا ممراد فخرهم حمودة وإلى الحسين وفرعه التيجان

فأبو كمال في السداد مقوقس
ووزيره سبط الرسول محمد
وبعضه شيخا الشريعة طاهر
بهما علا صرح العلوم بتونس
بهما يفاخر باينا لمغارب
فالباي احمد تونس جمعت به
فربيعة مرناسق في قصر الهنا
لنسيمه وشميمه ورياضه
واذا ترى المرسى وقصر أميرها
فاق الملوك السالفين شهامة
ساووا بحور الشعر وهي جميعها

والشعر تاريخ ومرآة بها
عرفت مكانته الملوك فقربوا
فعلا به كعب لكعب واجتنى
درر لشاعر وردغة في جدكم
فهم الحماية لجدكم في كفافه
شب الحين على الشجاعة والندى
واخلاصهم ارث لكم من جدكم
لي في مزايا احمد وجدوده
والشعر غصت بحوره فنفسها
من مثل أحمد في الملوك سياسة
او شابه الهادي الوزير مكارما
والناس نبت فيه عطر فائح
وكذا الملوك غضنفر كأمرنا
وزرأؤهم فالأخوة الهادي وفا
إن المواسم كالولاية مراتب
فاهنا بمولد أحديا أحمد

محمد المقداد الورتقاني

(١) شيخنا الاسلام العليان سيدي محمد ابن يوسف للمذهب الحنفي وسيدي محمد الطاهر ابن عاشور للمذهب المالكي

(٢) عدد الامراء الحسينيين ستة عشر اميرا

اصلاح اغلاط مطبعية في الجزء الثالث

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٩٦	٦	افخرج	فخرج
»	٢٧	معالي	معاني
٩٧	٣	دار سلام	دار اسلام
»	١٢	المشركين	المشركين
»	١٦	طوره الاشد	طور الاشد
»	١٨	والقضاء	والقضاة
»	٢٠	الزوج	الزواج
»	٢٢	بين	فيها
»	٣٣	الاوراك	الاوارك



ديوان الورغي

في العدد المقبل نشر القطعة الاولى من ديوان الشيخ الورغي ان شاء الله فنافقت
اليه الانظار وسنتابع نشره الى التمام نسال الله الاعانة والتوفيق

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها المجتهدون فلا تفرق بين العلم والدين
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء السادس	تونس - في ربيع الثاني ١٣٥٨ - جوان ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--	---------------

صاحب المجلة والمدير :

بجبال شاذلي بن القايني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

تورد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

فهرس العدد

الجزء السادس

المجلد الثالث

العدد	المقال	صاحبه
٢٥٨	الامة الاسلامية تنشأ الاصلاح	محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب المجلة
٢٦١	تفسير آية من سورة البقرة	العلامة الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٢٦٤	كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة	المنعم المبرور الشيخ صالح النيفر الباش مفتي المالكي
٢٧٢	خطر الادينية على الاسلام	العلامة الهام الشيخ محمد الحجوي وزير معارف الحكومة الشريفة المغربية
٢٧٦	الملاحى الخيرية	العلامة المولى محمد عبد الحى الكتاني
٢٧٩	القضاء الشرعي	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجة مستشار الحكومة
٢٨٧	بعثة خير الدين للاستانة	امير الامراء الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت
٢٩٢	الشرف الحسيني بالقيروان وآل عوانة	المؤرخ الاعدل الشيخ محمد طراد
٢٩٣	حول مقال لا عزاء بعد ثلاث
٢٩٣	جواب مولانا شيخ الاسلام
٢٩٥	الخيال في الادب العربي	الاديب الاستاذ أحمد المختار الوزير
٢٩٧	صفحة من الادب التونسي في القديم (قصيدتان)	الشيخ محمد بن عبد الله السنوسي
٢٩٧	الاولى	الشيخ محمد بن سعيد
٢٩٨	الثانية	
	القطعة الاولى من ديوان الشيخ محمد الورغي	نشرة (المجلة الزيتونية)

الاشتراك

الادارة نهج البشار رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 يخضم الربع للسلامة
 وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
 معضأة من امين المال
 محمد الهادي بن القاضي
 والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها جامعة الزيتونة في تونس
شهرية وستة أشهر

الجزء السادس	تونس - في ربيع الثاني ١٣٥٨ - جوان ١٩٣٩	المجلد الثالث
--------------	--	---------------

صاحب المجلة والمدير:

نجيب الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بإدارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير:

محمد المحسن بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمن العدد ٣ فرنكات



الامة الاسلامية

تنشد الاصلاح

ان هذه الامة المباركة قد حفظ الله لها ميزتها وعلو مقامها بما أنزل على رسوله الامين من آيات الذكر الحكيم المتضمنة لسعادة الدارين فالقرآن هو النور الذي يشع ويهدي المسالين الى اقوم السبل ويبلغهم الى أسمى المقاصد ويدركون به السعادة التي هي مطمح انظار البشر من يوم الخلق فاذا كانت الشريعة الاسلامية وتعاليم القراءان هي التي رفعت مستوى شعوب قد أدركها الهوان والعطب في العصور الاولى فهو على الدوام المرهم الناجع لعلل الامم في الحاضر كما سلفها مما أصابها في تلك العصور المظلمة. واذا كان الناس اكثر ما يسلبون للامور التي يقع عليها حسهم فهذا التاريخ الاسلامي حافل بالحوادث العظام وشاهد على مبلغ تاثير الاسلام الزكي في تطور الشعوب والنهوض بها من كبوتها واخراجها لعالم الحقيقة رافعة الرأس متوجة باكليل الهداية حتى أضل المسلمون المثل الاسمي الذي يقتدى به وسار الناس على غرارهم اينما كانوا وحيثما حلوا

ولكن المسالين اخذتهم العزة بالاثم وخلدوا الى شهواتهم واستبدلوا الهداية بالغواية فابدل الله عزهم ذلا وامنهم خوفا فاصبحوا عالة على المجتمع يتكففون ويبتز الناس خيراتهم من أيديهم وهم صاغرون قد دأمتهم الخطوب من كل جانب وهم لا يشعرون فلما فتحوا أبصارهم وجدوا نفوسهم مكبلين بوثاق الذل والعار واستحكم الخمول من نفوسهم فلم يترك لهم ان يحركوا ساكنا وتتابع عليهم صروف الليالي وحوادث الدهر تنههم من سباتهم وتناديهم بصوت أشد من الرعد الصاحب قد علمه من في السماوات والارض أن تنهوا فالويل لكم ان دمتم على سباتكم القديم

وتحركت العواطف وتشققت الاجفان تنظر الى ما حولها فلم تجد ما تركت عليه العالم يوم كان في قبضة يمينها زمامه هنالك أيقنت ان الخطب شديد فنضت عن نفسها رداء النوم ورامت ان تهض من مضجعتها تبحث عن سبب لتعاق به وتستعين به في الدخول الى هذا المعترك الزاخر الصاحب

فوجدته متنكباً لها أم يحفل بخطواتها التي تخطوها في سيرها البطيء شان كل من مسح عن اجفانه غشاء النعاس والنوم ما زال يعاودة وتحن اليه اجفانه فهو يحط من قواه وهو يظن انها مداعبة النسيم باغصان الورد الناعمة

اجل ها هي الامة الاسلامية قد ادركت ان ذلك الغرور الذي يمليه عليها الخيال يجب ان تبعد عنه وعلمت انها حالة يجب عليها ان تستبدلها بخير منها وطفقت تبحث عن الادوية لعلاج ما اصابها من وهن وتفحص عن وسائل تقدم الشعوب لنجارتها في هذا السباق الحيوي والامل يملأ ما بين جوانبها

فكانت نهضة طيبة في ذاتها طيبة فيما تعلقه عليها من عز وسؤدد وشرف ولكن القوس خالطها من الانحراف عن سبيل الرشاد ما خالطها، والاخلاق اضحت موبوءة من تاثيرات بعضها يرجع الى تلك الغفلة التي صحبتها عند ما كانت فاقدة الشعور الصحيح وبعضها يرجع الى ما حيك لها من الدسائس او ما عليه غيرها من المفاسد ولما كانت تروم محاربة الغير تسارعت اليها مساويه قبل محاسنه وبما أن الشباب اشد تأثراً وسرعان ما يغمره السيل لقلته تجاربه كان تسرب تلك المساوي اليه أقرب وهو عن رد مفعولها اضعف بل ربما وقع في شراكها وهو لا يعلم انه زج بنفسه في معاطب ربما كانت عليه وبالا اشد مما رام التملص منه. وبهذا تعين علينا أن نبحت في أمرين عظيمين أولهما العلل التي اصابت المسلمين وعلى الاخص شبابنا الذي هو معقد الآمال حتى نعلم بعد ذلك طريق العلاج. والثاني ما هي الادواء التي تصلح مجتمعنا وتدفع عنه او تخفف شيئاً فشيئاً ما ألم به من العلل وتكون سليمة من الغش لا انها تصلح عضواً وتنهك قوى عضو آخر يبقى معه جسم الامة عليلاً ولا تكون حينئذ هذه المعالجة ناجحة الذي هو المطلوب بل ان من الادوية ما يحدث امراضاً لبعض الاعضاء يكون خطرها اشد من خطر المرض الذي نروم معالجته فمعالجة امراض الامة امر له خطره وله شأنه العظيم وليس كل حكيم في مقدوره ان يصف طرق العلاج والحكيم الماهر هو الذي يقدر ان يكون علاجه مراعى فيه دائماً الحذر من الاصابة الطارئة على جسم الامة العليل ويحيطها بسياج الوقاية حتى تسلم مما اصابها ولا يتطرق الحلل الى ناحية اخرى ربما يكون خطرها اشد وحينئذ يبقى جسم الامة عليلاً ولو تظاهر الهيكل بالقوة والسلامة

واذا شكى رجال هذه الامة في العصر الماضي مما اصاب الامة وما وصفناه اولاً من الحمول والسبات والمرض الفتاك والامة لم تشعر بما اصابها. فتحن نشكو اليوم مع ذلك من العلل الطارئة من مفعول سوء المعالجة لهذا قلنا ان الامة يلزمها ان تبحث عن امرين عظيمين اسباب السقوط والعلل التي انهكت جسمها حتى اضحي عليلاً لم يبق في استطاعه ان يضرب بسهم صائب في الحياة ثم بعد معرفة العلل يلزمها ان تتخير طرق المعالجة والمراهم التي تقعها محقق ولا خطر فيها.

وكافي بسائل يلقى سؤاله متحيراً متوجعاً وهو يقول ألهذا الوقت وانتم تبحثون عن العلل وتبحثون عما يزيلها وقافلة البشر ممن سواكم دائمة السير لم تصدها هذه الفلسفة المبنية على التخوف وكل ذلك منشأه علل نفوسكم المتأصلة التي ما فتئت تسيطر عليها هواجس نفوسكم العلية. وما دامت هذه الافكار مخيمة عليكم ومسيطر على مشاعركم وتأثرة بها نفوسكم فخطاكم لم تفارق مكانها الاول ولو انكم تحسبون ان تبديل الخطا وحده هو الذي يوصل الى الغاية كلا بل انتم تبدلون الخطا في مكان واحد وهذا لا يسمى سيرا لا في عرف الناس الماديين ولا عند من ينظر الى ما وراء المادة والجواب ان الامم والشعوب مهما كانت عليه من الرقي او الانحطاط هي دائماً تبحث عن الرقي والكمال وتدفع عن نفسها ما اصابها او ربما يصيبها من العلل والفساد ورجال الاصلاح وعلماء النفس وقفوا حياتهم على ذلك يعالجون المريض ويحيطون السليم بسياج الوقاية وأي أمة أو شعب لم يسلم من علة أو علل وانما يختلف ذلك قلة وكثرة وشدة وضعفاً

والامة الاسلامية قد مرت بها أدوار مختلفة فمر بها دور عدم الشعور بالمرض والعلل حتى كثرت الاوجاع وعلت الاصوات بالشكوى ثم جاء دور البحث عن العلل ولكنها كانت متعددة فبحث رجالها عن العلل علة ثم أخرى وكلها تفتنوا الى نوع منها الا وصفوا دواء وطرق معالجة ذلك الداء وليس في كل مرة يوفق الحكيم وليس كل معالج حكيم لهذا تكرر البحث وها هي اليوم في بعض ادوار الشفاء اذا وفق حكماءها وأخلصوا وقدرت الامة على الصبر على شدة وطأة المعالجة وانقادت لما يوصف لها. وما أصعب الانقياد والتسليم. وحسن منها استعمال الادوية النافعة التي يصفها لها المصلحون فما هي هذه العلل التي اصاب جسم الامة فأوهنته !

وكيف تكون بعد ذلك طرق العلاج الناجحة ؟

ليس الجواب عن ذلك في متناول كل احد . ولا ان الامر بهذه البساطة يمكن وصفه في جملة او جملتين . وأرجو من الله تعالى التوفيق في معالجة هذا الموضوع بعض المعالجة والذي أتناوله بالبحث ! ولا هو ما يدور على اللسان من أن العلة التي اصاب الامة هو تكبها عن تعاليم الاسلام ودواؤها الناجح هو رجوعها الى الاسلام الصحيح

هذا كلام حسن وحسن جدا ولكن أرى الناس قد فسروا كل بما وصل اليه فهمه فوقعوا في بعض الاخطاء التي قد نشأ عنها اختلاف كبير كانت عاقبته عدم الوصول الى النتيجة الحاسمة

فمن الناس من فهم من ذلك ان الاسلام قد جاء بشريعة بعضها يرجع الى عبادة الله تعالى وبعضها يرجع الى كيفية معاملات الناس مع بعضهم فمتى رجع المسلمون للعمل بما سلموا مما اصابهم .

ووقف ذلك الفريق عند هذا الحد (البقعة على صفحة ١٩)

التفسير القرآن الكريم

يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا
يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ

للعلمامة الامام مولانا شيخ الاسلام
الملكبي الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور

جملة يخادعون بيان ليقول لانهم حين قالوا ذلك قالوه في حال عدم كونه كما قالوا فكان قولهم على حال الخداع فتكون حالا مبنية ووجه عدم اقترانها بالواو ظاهر لانها اما بيان احوال مفتوحة بالمضارع والخداع مصدر خادع اذا فاعل الخدع والخدع هو فعل او قول يوهم انه على وفق هوى مصدره وهو يكرهه او لا يعتقدده ولكن يقصد به تحسينه وترويجه على الغير ليغيره عن حالة هو فيها او يصرفه عن أمر يوشك أن يفعله تقول العرب خدع الضب اذا اوهم حارشه انه يحاول الخروج من الجهة التي ادخل فيها الحارش يده حتى لا يرقبه الحارش لعلمه انه اخذه لا محالة ثم يخرج الضب من النافق . والخداع فعل مذموم الا في الحرب والانخداع تمشي حيلة المخادع بالكسر على المخادع بالفتح وهو مذموم ايضا لانه من البله واما اظهار الانخداع من الفطن للحيلة اذا كانت غير مضرة فذلك من الكرم والحلم قال الفرزدق :

استمطروا من قريش كل منخدع ان الكريم اذا خادعته انخدع

وفي الحديث المؤمن غر كريم أي من صفاته الصفح والتغاضي حتى يظن أنه غر ولذلك عقبه بكريم لدفع الغرية المؤذنة بالبله فان الايمان يزيد الفطنة لان اصول اعتقاده مبنية على نذ كل ما من شأنه تضليل الراي وطمس البصيرة الا ترى الى قوله والسعيد من وعظ بغيره مع قوله لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وكأها تنادي على ان المؤمن لا يليق به البله

وأما معنى المؤمن غر كريم فهو ان المؤمن لما زكت نفسه من ضمائر الشرور زال خطورها بباله وحمل احوال الناس على مثل حاله فعرضت له حالة استئمان تشبه الغرية قال ذو الرمة

تلك الفتاة التي علقها عرضا ان الحليم وذا الاسلام يختلب

فاعتذر عن سرعة تعلقه بها واختلاها عقله بكرم عقله وصحة اسلامه فان كل ذلك من اسباب جودة الراي ورقة القلب فلا عجب ان يكون سريع التأثر من حسنها

ومعنى صدور الخداع من جانبهم للمؤمنين ظاهر وأما مخادعتهم الله تعالى المقتضية أن المناقين قصدوا التمويه على الله تعالى مع أن ذلك لم يقصدوه ولا يقصده عاقل يعرف أن الله مطلع على الضمائر والمقتضي أن الله يعاملهم بخداع وكذلك صدور الخداع من جانب المؤمنين للمناققين كما هو مقتضى صيغة المفاعلة مع أن ذلك من مذموم الفعل لا يليق اسناده إلى الله تعالى ولا يليق بالمؤمنين فعله يوجب تأويلا في معنى المفاعلة الدال عليه صيغة يخادعون أو في فاعله المقدر من الجانب الآخر وهو المفعول المصرح به فاما التأويل في يخادعون فعلى وجوه : أحدها أن مفعول خداع لا يلزم أن يكون مقصودا للخداع بالكسر إذ قد يقصد خداع أحد فيصاف غيره كما إذا خداع أحد وكيل أحد في مال فيقال له أنت تخادع فلانا وفلانا تعني الوكيل وموكله فهم قصدوا خداع المؤمنين لأنهم يكذبون أن يكون الاسلام من عند الله فلما كانت مخادعتهم المؤمنين لاجل الدين كان خداعهم راجعا لشارع ذلك الدين . ومعنى خداع الله تعالى والمؤمنين إياهم إغضاء المؤمنين عن تواددهم وفلتات السهم وكبوات أفعالهم وهفواتهم الدال جميعها على تفاهتهم حتى لم يزالوا يعاملونهم معاملة المؤمنين فان ذلك لما كان من المؤمنين باذن الرسول صلى الله عليه وسلم حتى أقدم نبي من استأذنه في أن يقتل عبد الله بن أبي بن سلول كان ذلك الصنيع باذن الله فكان مرجعه إلى الله كما رجع إليه خداعهم للمؤمنين وهو تأويل في المخادعة من جانبها كل بما يلائمه

الثاني ما ذكره صاحب الكشف أن يخادعون استعارة تمثيلية تشبيها للهيئة الخاصة من معاملتهم للمؤمنين ولدين الله ومن معاملة الله إياهم في الاملاء لهم والابقاء عليهم ومعاملة المؤمنين إياهم في اجراء أحكام المسلمين عليهم هيئة فعل المتخادعين وهو وجه بليغ

الثالث ان يكون خادع بمعنى خدع أي غير مقصود به حصول الفعل من الجانبين للمبالغة وهذا انما يدفع الاشكال عن اسناد صدور الخداع من الله والمؤمنين مع تنزيه الله والمؤمنين عنه ولا يدفع اشكال صدور الخداع من المناقين لله تعالى

وأما التأويل في فاعل يخادعون المقدر وهو المفعول أيضا فبان يجعل المراد أنهم يخادعون رسول الله فالاسناد إلى الله تعالى إما على طريقة المجاز العقلي لاجل الملازمة بين الرسول ومرسله . وإما مجاز بالحذف للمضاف فلا يكون مرادهم خداع الله حقيقة ويبقى أن يكون رسول الله مخدوعا منهم ومخادعا لهم

ولا مانع من مخادعة الرسول والمؤمنين للمناققين لأنها جزء لهم على خداعهم فهو كخداع في الحرب فهذا يدفع الاشكال عن قصدهم مخادعة الله تعالى فضلا عن اسناد المخادعة لله تعالى إياهم لأنها لا تكون الا في مقابلة خداعهم إياه وقد علمت أنه منتف على طريقة المجاز

ولم يقرأها أحد من القراء الا بلفظ يخادعون الا باحيوة قراها يخدعون بناء على الوجه الثالث في الجواب

وقوله وما يخادعون الا انفسهم حال ثانية من الضمير في يخادعون الاول أي هم يخادعون الله والذين آمنوا في حال ان خداعهم مقصور على ذواتهم لا يرجع شيء منه الى الله والذين آمنوا فيتعين ان الخداع في قوله وما يخادعون عين الخداع المتقدم في قوله يخادعون الله فيرد اشكال صحة حصر الخداع على انفسهم مع اثبات مخادعتهم الله تعالى والمؤمنين . وقد اجاب صاحب الكشف بما حاصله ان المخادعة الثانية مستعملة في لازم معنى المخادعة الاولى وهو الضرر فانها قد استعملت اولا في مطلق المعاملة الشبيهة بالخداع وهي معاملة الماكر المستخف فاطلق عليها لفظ المخادعة استعارة ثم اطلقت ثانيا واريد منها لازم معنى الاستعارة وهو الضرر لان الذي يعامل بالماكر والاستخفاف يتصدى للانتقام من معاملة فلا يعدم قدرة او غرة من صاحبه فيضرة ضررا فصار حصول الضرر للمعامل امرا عرفيا لازما لمعاملته وبذلك صح استعمال يخادع في هذا المعنى مجازا او كناية وهو من بناء المجاز على المجاز لان المخادعة اطلقت اولا استعارة ثم نزلت منزلة الحقيقة فاستعملت مجازا في لازم المعنى المستعار له فالمعنى وما يضررون الا انفسهم

واما احتمال ان يكون يخادعون الثاني اطلق بمعنى غير المعنى الذي في يخادعون الاول فعمما لا يرتضيه سياق الكلام البليغ لانه يصير بمنزلة الاستخدام وهو لا يحسن في مثل هذا المقام ويجوز بقاء يخادعون الثاني على نحو ما فسر به يخادعون الاول من كونه استعارة للمعاملة الشبيهة بفعل الجانبين المتخادعين بناء على ما شاع في وجدان الناس من الاحساس بان الخواطر التي تدعو الى ارتكاب ما تسوء عواقبه انها فعل نفس هي مغايرة للعقل وهي التي تسول للانسان الخير مرة والشر اخرى وهو شيء بني على الحكمة الاخلاقية لاحداث العداوة بين المرء وبين خواطره الشريرة بجعلها واردة عليه من جهة غير ذاته بل من النفس حتى يتأهب لمقارعتها وعصيان امرها ولو انتسب اليه لما رأى من سبيل الى مدافعتها قال عترو بن معديكرب :

فجاشت علي النفس اول مرة فردت على مكروها فاستقرت

فكانهم لما عصوا نفوسهم التي تدعوهم للإيمان عند سماع الآيات والنذر اذ لا تخلو النفس من اوبة الى الحق جعل معاملتهم لها في الاعراض عن نصحتها واعراضها عنهم في قلة تجديد النصح لهم وتركهم في غيهم كالمخادعة من هذين الجانبين والنفس في لسان العرب الذات والقوة الباطنية المعبر عنها بالروح وخواطر العقل

وقوله وما يشعرون عطف على يخادعون والشعور العلم بالاشياء الخفية ومنه سمي الشاعر شاعرا لعلبه بالمعاني التي لا يهتدي اليها كل احد وقدرته على الوزن والتقفية بسهولة ولا يهتدي الى ذلك كل احد . وقولهم ليت شعري في التحير في علم امر حفي ولولا الخفاء لما تمنى عليه بل علمه بلا تمن واما تسمية الخواص مشاعر فلانها اصل العلم بالحفريات لان اصل العلم النظري راجع

الحديث الشريف

كتاب

الاعتصام بالكتاب والسنة^(*)

الاعتصام التمسك بالحبل والاعتماد عليه كما في تفسير القاضي رحمه الله تعالى فهو من لوازمه وعليه فائباته للكتاب والسنة تخيل دال على وقوع تشبيه في النفس بين الكتاب والسنة وبين الحبل وهو تشبيه مقبول بدليل انه قد صرح به في حديث هو حبل الله المتين . والجامع ان الكل به الربط والوصلة النافعة للتمسك وحيث في التركيب استعارة بالكناية على حد قوله :

ولئن نطقت بشكر برك مفصحا فلسان حالي بالشكاية انطق

ونظائره ، فالتشبيه استعارة بالكناية والاثبات استعارة تخيلية وحيث فكل من لفظي الاعتصام والكتاب حقيقة مستعملة في المعنى الموضوع له وليس في التركيب مجاز اغوي اصلا والمجاز الموجود فيه انما هو اثبات شيء لشيء ليس هو له وهو عقلي كاثبات الانبات للربيع وعلى هذا المذهب فالاستعارة

الى الضروري ومنته اليه . وقولهم هو لا يشعر وصف بعدم الفطنة لا بعدم الاحساس وهو ابلغ في الذم لان الذم بالوصف الممكن الحصول انكى من الذم بما يتحقق عبده فان احساسهم امر معلوم لهم وللناس فلا يغيضهم ان يوصفوا بعدمه وانما الذي يغيضهم ان يوصفوا بالبلادة وخفاء مخادعتهم انفسهم مما لا يمتري فيه ولذلك اختير هنا لا يشعرون واختير مثله في نظيره في الخفاء وهو : الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون . لان كليهما أثبت فيه ما هو المآل والغاية وهي مما يخفى واختير في قوله : الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون نفي العلم دون نفي الشعور لان السفه قد يبدو لصاحبه باقل التفاته الى احواله وتصرفاته ولان السفه اقرب لادعاء الظهور من مخادعة النفس عند ارادة مخادعة الغير ومن حصول الافساد عند ارادة الاصلاح

(*) درس الحديث الذي ختم به العلامة التحرير الحجة الباش مفتي المالكي والامام الاكبر بجامع الزيتونة الاعظم أبو الفلاح الشيخ صالح النيفر برد الله ضريحه المولود سنة ١٢٣٦ والمتوفى سنة ١٢٩٠ . القاه في رمضان سنة ١٢٧٣ بمسجد المدرسة المرادية

بالكناية والاستعارة التخيلية امران معنويان وهما فعلان للمتكلم ويتلازمان في الكلام اذ التخيلية يجب ان تكون قرينة للمكنية وهي يجب ان تكون قرينتها التخيلية، ثم ان الاعتصام اما بالكتاب فواجب قطعاً قال شارحه: لقوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً، قلت ولعله حمل الحبل فيها على القرآن كما في الحديث المتقدم وهذا هو الذي صدر به ابو الفرس والقاضي في تفسيريهما والذي ذكره صاحب الكشف وتبعوه ان الحبل في الآية مستعار للعهد لكونه وسيلة لربط شيء بشيء على طريق الاستعارة التصريحية وقرينتها اضافته اليه تعالى وذكر الاعتصام ترشيح وجوز فيه صاحب الكشف ان يكون باقياً على معناه أو مستعاراً للتوثق وهو الذي ذهب اليه السمرقندي في الرسالة لكن جزم سعد الدين في المطول ببقائه على معناه ونفى ان يكون من المجاز او الاستعارة مستدلاً على ذلك بعبارة الكشف وهي قوله يجوز ان يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام استعارة للتوثق بالعهد او ترشيح لاستعارة الحبل بما يناسبه مقابل بين الاستعارة والترشيح، ويبحث في هذا الاستدلال السيد الشريف بان قول الكشف او ترشيح يحتمل ترشيح فقط فيكون قوله قبل استعارة اي اما مستقلة او تابعة لاستعارة الحبل وردة عبد الحكيم بانه تأويل وهو خلاف الظاهر والاستدلال في المقام بالظاهر لان المطلب ظني انتهى وهو رد متجه لان محصل بحث الشريف انه استدلال تطرقه الاحتمال وحاصل الرد انه احتمال مرجوح وهو لا يكون مسقطاً فانه لا يكاد يوجد نص لا احتمال فيه لكن العمدة على الظواهر وتحقيقه ان الاحتمال اذا كان مساوياً او متقارباً يكون الدليل مجملاً والمجمل لا يستدل به واما الاحتمال اذا كان مرجوحاً فمعه اللفظ يكون ظاهراً والظاهر كالنص يستدل به، وهاهنا مسألة وهي انه روي عن الامام الشافعي رحمه الله تعالى انه قال مرة حكايات الاحوال اذا تطرق اليها الاحتمال كساها ثوب الاجال وسقط بها الاستدلال فجعلها على هاته الرواية مجملة لا يستدل بها ومرة قال ترك الاستفصال في حكاية الاحوال يقوم مقام العموم في المقال فجعلها عامة يستدل بها، فبعض العلماء حمل ذلك على انها قولان له اختلفا كما تختلف اقوال العلماء في المسائل بالنفي والاثبات والذي حرره القرافي في التنقيح ان قول الشافعي هذين محمولان على حالتين فروايته الاولى في دليل الحكم والثانية في محله وتقرير ذلك على ما ذكره ان الاحتمال تارة يكون في دليل الحكم كقوله عليه الصلاة والسلام في المحرم لا تمسوه بطيب فانه بيعث يوم القيامة ملياً فهذا حكم في رجل بعينه يحتمل ان يكون خاصاً به فيجوز لمس غيره بالطيب ويحتمل ان يعمه ويعم غيره من المحرمين وليس في اللفظ تعرض لغيره بل يحتمل التعميم وعدمه على السواء فسقط به الاستدلال على تعميم الحكم في المحرمين لانه اجمال في الدليل وتارة يكون الاحتمال المساوي في محل الحكم والدليل لا اجمال فيه كقصة غيلان بن سلامة الثقفي فان قوله عليه السلام له لما اسلم على عشر نسوة اسلك اربعا وارق سائرهن ظاهر في الاذن في الاربع كيف كن من غير تعيين والاحتمال انما هو في عقود النسوة التي هي محل الحكم فيصح الاستدلال على العموم فله ان يختار تقدمت العقود

او تاخرت اجتمعت او افترقت انتهى وهو تحرير حسن لو كان مذهب الشافعي في المحرم كمذهبنا لكن مذهب الشافعي رحمه الله تعميم الحكم المتقدم في كل محرم اخذا من الحديث السابق كما نقله القرافي نفسه عن الامام الشافعي وحيث قد فحمل العبارتين على قولين اولي . وها هنا تكميل مفيد وهو ان الامام ابا حنيفة رحمه الله يقول اذا تقدمت العقود على اربع وعقد بعد ذلك على غيرهن حرم عليه الاختيار من غير تلك الاربع لوقوعهن بعدهن ونكاح الخامسة وما بعدها لا يقر وانما الحديث محمول عنده على ما اذا عقد عليهن عقدا واحدا فلا يتعين الباطل من الصحيح فيختار اربعا يستأنف العقد عليهن قال شهاب الدين القرافي اثر ما نقله ومذهبنا انكحة الكفار كلها فاسد والاسلام يصححها واذا كانت باطلة فلا يتقرر اربع يكون من عداهن يبطل عقده والحديث لم يفصل مع انه تاسيس قاعدة وابتداء حكم وشان الشرع في مثل هذا رفع البيان الى اقصى غاية فلو لا ان الاحوال كلها يعمها هذا الاختيار والا لما اطلق صاحب الشرع القول فيها وقد اشار الى ذلك المحلي في مبحث العام من شرح جمع الجوامع ولفظه النبي صلى الله عليه وسلم لم يستفصل هل تزوجهن معا او مرتبا فلو لا ان الحكم يعم الحالين لما اطلق الكلام لامتناع الاطلاق في موضع التفصيل المحتاج اليه واجاب الاصفهاني في شرح المحصول عن هذا المبحث بانه صلى الله عليه وسلم يجوز ان يكون علما بصورة الواقعة وانه تزوجهن معا ولاجل ذلك لم يستفصل فلا يكون ذلك كالعموم انتهى . ولا يخفى ان عقد غيلان على عشر نسوة معا من غير ترتيب في غاية البعد على ان اطلاع النبي صلى الله عليه وسلم على حاله لا يسوغ الاطلاق لايهامه حكما عاما بالنسبة اليها . واما الاعتصام بالسنة فاعلم اولا ان السنة لغة الطريقة ولو كانت غير مرضية وعرفاهي ما واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم او غيره ممن يقتدى به كالصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي وهي اعم من الحديث لتناولها الفعل والقول والتقرير بخلاف الحديث فانه لا يتناول الا القول وهو اقواها . ثم ان فعله صلى الله عليه وسلم اما ان يكون شرعا او جبليا او مترددا بين الجبلي والشرعي اما الجبلي كالقيام والقعود والاكل والشرب فالخلاف فيه بالاباحة والندب مشهور عند المحدثين لكن الذي في الاشارات للباجي ان الخلاف انما هو في صفة ذلك لا في اصل الفعل واما المتردد كالخروج راكبا وكالضجعة بين ركعتي الفجر وركعتي الصبح المحتمل ذلك ان يكون للاستراحة أو التشريع فقد تردد فيه تاج الدين ابن السبكي واما الشرعي المحض ونعني به ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم على وجه القرينة فهذا هو محل الخلاف المحكي في كتب الاصول المشهورة وارجح الاقوال فيه وهو مذهب مالك وبعض الشافعية الوجوب ومذهب الامام الشافعي الندب واتفقت جماهير الفقهاء والمعتزلة على وجوب اتباعه صلى الله عليه وسلم فيما فعله اذا علم وجهه على ذلك الوجه من الوجوب او الندب او الاباحة اذ لو خالفناه في النية لذهب الاتباع وذكر المعرفة الوجه طرعا منها وقوع التخيير بين ذلك الفعل وبين غيره معا علم حكمه فيسوي

به في ذلك الحكم فاذا خير بين ذلك الفعل وبين واجب علم ان حكمه الوجوب وهكذا في النذب والاباحة . فان قلت انه قد اختلف الحكم مع التخيير كما في حديث الاسراء فانه خير النبي صلى الله عليه وسلم بين قدحين احدهما لبن والآخر خمر واختار اللبن وقد قال له جبريل عليه السلام لو اخترت الخمر لغوت امتك فقد علم منه ان الخمر موجب الغواية واللبن موجب الهداية والاول منهى عنه والثاني مأمور به فقد اختلف الحكم حيثئذ قلت الحكم الشرعي لم يختلف في القدحين بل كان واحدا وهو الاباحة غاية ما في الباب انه قد ربط باحدهما حسن العاقبة وبالأخر سوء العاقبة وذلك غير الاحكام الشرعية نعم او قال جبريل لو اخترت الخمر لاثمت لاشكل اما العواقب فلا تناقض تقدم الاباحة وبالجملة لا منافات بين الاستواء في الحكم الشرعي والاختلاف في العاقبة ونظير هذا انه قد انعقد الاجماع على جواز بقاء ما شئنا من الدور وشراء ما شئنا من الدواب وزواج ما شئنا من النساء ومع ذلك اذا عدل احدنا عن بعض افراد هاته المذكورات الى غيرها امكن ان يقول له صاحب الشرع لو اخترت تلك الدار التي عدلت عنها أو الدابة أو المرأة لكانت مشومة كما جاء في الحديث وان كان مختلفا في تأويله . واما تقريره صلى الله عليه وسلم على الفعل فيدل على جوازه للفاعل لانه لا يقر احدا من الناس على باطل وكذا الغيرة خلافا للقاضي ابي بكر الباقلاني وحكى القاضي عياض الاجماع على ذلك وسواء في ذلك ما رآه عليه الصلاة والسلام فاقره او بلغه فلم يغيره وقيل التقرير يدل على الجواز الا في حق الكافر والمنافق فلا يدل تقريره له على جواز ذلك الفعل وبه قال امام الحرمين بناء على ان الكافر غير مكلف بالفروع والمنافق كافر في الباطن وقيل الا الكافر دون المنافق لان المنافق تجري عليه احكام المسلمين في الظاهر والاقوال الثلاثة حكاهما المحلي . ثم ساق المصنف رحمه الله تعالى حديثا وجبه مناسبتها للترجمة ما اشتمل عليه من الآيات الدالة على ان هاته الامة للمحمدية معتصمون بالكتاب والسنة لان الله تعالى من عليهم باكمال الدين واتمام النعمة ورضي لهم الاسلام ديناً وقد قدمه في كتاب الايمان لمناسبة اخرى فقال :

حدثنا الحميدي حدثنا سفيان عن مسعر وغيره عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال قال رجل من اليهود « هو كعب الاحبار رضي الله عنه قبل ان يسلم كما عند الطبراني في الاوسط » لعمر « بن الخطاب رضي الله عنه » يا امير المؤمنين لو ان علينا « معشر اليهود » نزلت هذه الآية اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً لاتخذنا ذلك اليوم عيداً فقال عمر اني لاعلم اي يوم نزلت هذه الآية نزلت يوم عرفة في يوم جمعة سمع سفيان من مسعر ومسعر قيساً وقيس طارقاً

الكلام على هذا الحديث من وجوه الوجه الاول صرح المؤلف رحمه الله تعالى بالسماع فيما عنونه اولا اطلاعا منه على سماع كل راو من شيخه وتصبيصا منه على وصل السند اذ العنونة وحدها

قد قيل انها لا تدل على الوصل بل هي محمولة على الاقطاع حتى يشين الوصل بمجيئه في طريقه اخر
انه سمعه منه لان عن لا تشعر بشيء من انواع التحمل وان كان هذا القول في غاية الضعف حتى قال
النووي رحمه الله تعالى هو مردود باجماع السلف وقيل انها محمولة على الوصل لكن مع شروط وقع الخلاف
فيها بينهم على اقوال وقد اشار الى جملة الاقوال شيخ الاسلام العراقي في الفيته المسماة بالتبصرة
والتذكرة فقال :

وصححوا وصل معنعن سلم من دلسته راويه واللقبا علم
وبعضهم حكى بهذا اجماعا ومسلم لم يشترط اجتماعا
لكن تعاصرا وقيل يشترط طول صحابة وبعضهم شرط
معرفة الراوي بالاخذ عنه وقيل كل ما اتانا منه

منقطع حتى يبين الوصل

واقصر الحافظ ابن حجر في نخبه الفكر على قولين منها ونصه : وعننة المعاصر محمولة على
السمع الامن المدلس . وقيل يشترط ثبوت التقائهما ولو مرة وهو المختار . الوجه الثاني ظاهر
الآية يقتضي ان الدين الذي كان عليه صلى الله عليه وسلم في غالب عمره ناقص لانها نزلت
في اخر عمره صلى الله عليه وسلم وقد قيل انه لم يعمر بعدها الا واحدا وثمانين يوما او اثنين
وثمانين يوما واحاب المفسرون عن هذا الاشكال باجوبة منها ما اشار اليه البيضاوي من ان المراد
بإكمال الدين ازالة الخوف عنهم واطهار القدرة على اعدائهم ومنها ان الاكمال انما هو بالنسبة الى ما
يحتاجون اليه في تكاليفهم من تعليم الحلال والحرام وكلاهما عند الامام الرازي في تفسيره غير صحيح
اما الاول فلانه يلزم عليه ان الدين كان من قبل قهرهم لاعدائهم ناقصا فيعود الاشكال وجوابه ان
النقص انما يشكل لو كان نقصا قدريا اما ضعف اهل الدين عن قهر اعدائهم في صدر الاسلام واوله
فهو واقع قطعيا ولا يضر كما يشير اليه حديث بدىء هذا الدين غريبا وسيعود كما بدىء . واما الثاني فلانه
يلزم عليه انه لو لم يكمل الدين لهم قبل هذا اليوم لكانوا محتاجين اليه قبله فيلزم تاخير البيان عن وقت
الحاجة وهو لا يجوز وفيه نظر لانا نمنع ان يكون هذا منه بل هو من تاخير البيان الى وقت الحاجة
في النسخ والاتفاق بين المعتزلة واهل السنة على جوازها في خصوص النسخ وهذا منه قطعيا ففي هذا
اليوم قد انزل الله شريعة كاملة وحكما متبعا الى يوم القيامة لا نسخ بعده . سلنا ان ما هنا ليس من النسخ
فتاخير البيان الى وقت الحاجة ليس ممنوعا عند الكل بل انما نسبوا القول بالمنع للمعتزلة والجواز لاهل
السنة ودلنا على ذلك قول الله تعالى فاذا قراناه فاتبع قرانه ثم ان علينا بيانه وكلمة ثم للتراخي وكذلك
قوله تعالى في قصة بقرة بني اسرائيل انها بقرة لا فارسي ، انها بقرة صفراء . انها بقرة لا ذلول ، هو بيان لما
امروا به من ذبح البقرة وهم لم يؤمروا الا ببقرة منكورة والمراد بها معينة فقد تاخر البيان فيها عن

وقت الخطاب بل وعن وقت الحاجة لانهم كانوا محتاجين المذبح تلك البقرة ليشبين امر القليل وترفع الفتنة التي كانت بينهم والحصومات في امره على ان من جوز التكليف بما لا يطاق من العلماء وهو المعتمد جوز تاخير البيان عن وقت الحاجة ويدل لوقوعه آية البقرة المتقدمة كما علمت. الوجه الثالث مما فتح الله به على الفقير ان الآية الشريفة تضمنت تذكير نعم الله تعالى على الانسان بجميع انواعها الثلاثة الاتي تقريرها ومن ثم والله اعلم عبر بنعم النعمة وتقرير ذلك ان النعمة كما في احياء العلوم عبارة عن كل لذيذ واللذات بالاضافة الى الانسان من حيث الاختصاص والاشتراك على ثلاثة انواع. النوع الاول ما كان مختصا به لا يوجد في غيره من بقية الحيوانات وهي لذة العلم والحكمة وهي اشرف اللذات والنعم وان كانت اقلها وجودا اما بيان الاشرفية فلانها لازمة لا تزول ابدا لا في الدنيا ولا في الآخرة بخلاف غيرها من اللذات ولانها لا تمل بخلاف غيرها من اللذات كالطعام والوقوع ولانها لا تحتاج الى اعوان وحفظة بخلاف غيرها كالمال فان العلم يحرسك وانت تحرس المال والعلم يزيد بالانفاق والمال ينقص به ولانها لذة على الاطلاق فان العلم نافع لذى جميل في كل حال ابدا بخلاف المال فانه تارة يجذب الى الهلاك ومن ثم ذم الله تعالى المال في مواضع من القرآن وان سماه خيرا في مواضع واما بيان الاقلية في الوجود فلان العلم لا يستلذه الا عالم والحكمة لا يستلذه الا حكيم وما اقل اهل العلم والحكمة والاشارة الى هاته النعمة من الآية في قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا لان الاسلام كما قال البغوي لا يكون في محل الرضى الا بانضمام التصديق وهكذا اذا وقع في محل القبول نحو قوله تعالى ومن يتبع غير الاسلام دينا فلن يقبل منه. النوع الثاني ما كان مشتركا بين الانسان وبعض الحيوانات من النعم واللذات وهذه لذة القهر والاستيلاء فانها كما توجد في الانسان توجد في الاسد والنمر ونحوهما والاشارة الى هاته النعمة من الآية بقوله تعالى اليوم اكملت لكم دينكم على بعض التاويلات المتقدمة فيه. النوع الثالث ما كان مشتركا بين الانسان وجميع الحيوانات وهي لذة البطن والفرج وهي اكثر انواع وجودا واخصها ومن ثم اشترك فيها جميع الحيوانات حتى الديدان والحشرات والاشارة الى هاته النعمة من الآية بقوله تعالى فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم. احلت لكم الطيبات. وحيث قد تمت نعم الله بجميع انواعها على هاته الامة المحمدية وقد كان هذا الاتمام في هذا اليوم الشريف فتاهل ان يتخذ يوم عيد يعظم في كل عام كما اشار الى ذلك كعب الاحبار رضي الله عنه ووجب ان تقيده هاته النعم العظام بالشكر فان شكر النعم يورث بقاءها وبالعكس وفي الحكم من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيدها بعقلها فمن فتح الله على بصيرته ونور قلبه وطهر سريرته رجع الى مولاه بملاطفات الاحسان والا قيد اليه بسلاسل الامتحان. فمن لم يعرف قدر النعم وجدانها. عوقب بوجود فقدانها. اذ مراد الحق من عبده الرجوع اليه طوعا او كرها. والنعم والنعم جندان من جنود الله تعالى يحوش عبادة بهما اليه. فان قلت اذا كان شكري نعمة الله نعمة علي له في

مثلاً يجب الشكر فكيف بلوغ الشكر الا بفضلله وان طالت الايام واتصل العمر قلت قد سأل داود عليه السلام ربه عن ذلك فقال الاهي كيف اشكرك والشكر نعمة منك علي فاوحى الله تعالى اليه الآن شكرتني يا داود وقيل انه قال الاهي ابن ادم ليس فيه شعرة الا وفوقها نعمة وتحتها نعمة فمن اين يكافئها فقال له تعالى اني اعطي الكثير وارضى باليسير وان شكر ذلك ان تعلم ان ما بك من نعمة فمعي فحاصله ان البلوغ الى ذلك ليس الا بمحض فضل الله تعالى ورحمته وقد اشار الى هذا محمود الوراق في السنين اللذين اوردناهما سؤالاً ومثلهما قول الآخر :

لك الحمد مولانا على كل نعمة ومن جملة النعماء قولي لك الحمد

فلا حمد الا ان تمن بنعمة تعاليت لا يقوى على حمدك العبد

الوجه الرابع في اعراب قوله لو ان علينا نزلت هذه الآية هو على منوال قوله تعالى ولو انهم آمنوا وقول الشاعر (ولو انما اسعى لادنى معيشة) وهو كثير قال في الخلاصة (وهي بالاختصاص بالفعل كان) لكن لو ان بها قد تقترن) وموقع ان مع صلتها في مثل هذا التركيب عند الجميع رفع فقيل على الابتداء وقيل على الفاعلية وعلى الاول فقال سيويو وجمهور البصريين لا حاجة الى الخبر لاشتمال الصلة على المسند والمسند اليه وقال غيره لا بد من تقديره فقيل يقدر مقدما وقيل مؤخرا على الاصل وتدير ذلك في نحو الآية ولو ثابت ايمانهم وفي الحديث ولو ثابت انزالها والقول بانه فاعل عليه الزمخشري والكوفيون والمبرد والزجاج وقد قاله الجميع في ما وصلتها في قوله لا اكله ما ان في السماء نجما . لا يقال ان حديث الباب لا يحسن تخريجه على قول سيويو المتقدم من عدم الاحتياج الى الخبر لتوجيه الاستغناء عليه بالاشتمال على المسند والمسند عليه معا واين المسند اليه في هذا الحديث لانا نقول المسند اليه اما ضمير الشأن المحذوف والفعل خبره او هو المسند اليه والخبر المجرور على اعتبار تجريده من الزمان وتقديره بالمصدر من غير اداة سبك وهذا وان نص عليه النجاة في الفعل المضارع في نحو تسمع بالمعيدي ونص عليه عبد الحكيم في الافعال الماضية الواقعة في التعاريف لكن الظاهر ان يجوز ايضا على قلة في غير ما ذكروا عند ظهور المعنى اذ لا مانع منه ، الوجه الخامس ذكر الفقهاء في كتاب الحج انه يسن الجمع بين الظهريين مع القصر جمع تقديم في يوم عرفة وانه اذا وافق الجمعة فتصلى ظهرا والاشارة الى المسألة الاولى بقول خليل وجمع بين الظهريين اثر الزوال والى الثانية بقول ابن الحاجب والصلاة سرية ولو وقعت جمعة وقد حكى شارحه سيدي خليل في التوضيح مباحة وقعت بين الامامين مالك وابي يوسف رحمهما الله بحضرة الرشيد في هاته المسألة وان الذي استقر عليه رايهما انها تصلى ظهرا بدليل انه عليه السلام وافق الجمعة بعرفة في حجة الوداع وصلى ركعتين لم يجهر فيهما وهذه قصة مشهورة وقد اعتنى بنقلها جماعة من العلماء منهم شهاب الدين القرافي ذكرها في الفرق الخامس والثمانين من فروقه وكل من هاتين المسالتين مشكل من جهة انه يتضمن ترك الواجب لغير ضرورة

وهو من تأخير صلاة العصر الى وقتها في المسألة الاولى وترك الجمعة في المسألة الثانية وفيه الاحتفاظ على المندوب وإضاعة الواجب ولا يقدم مندوب على واجب لفضله عليه بصريح قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى ما تقرب الي عبدي بمثل اداء ما افترضته عليه والجواب عن ذلك كما في الفرق المذكور اما في المسألة الاولى فلا نسلم ان ترك تأخير الصلاة الى وقتها كان في ذلك اليوم لغير ضرورة بل هو لضرورة الحاج في ذلك اليوم العظيم للتفرغ للاقبال على الدعاء والابتغال والتقرب اللائق به اذ هو يوم لا يكاد يحصل في العمر الا مرة واحدة بعد اقتحام مشاق الاسفار وقطع البراري والقفار فكان هذا ضررا اوجب التقديم وتلاشت معه مصلحة وقت العصر واما في المسألة الثانية فلان ترك الجمعة في ذلك اليوم كان بموجب ان الغالب على الحجاج السفر والمسافر فرضه الظهر لا الجمعة وعلى هذا فلم يترك الواجب هذا بالنسبة الى الغالب وهم المسافرون واما المقيم بعرفة او من كان منزله قريبا منها فحكمه حكم الغالب بالتبع له وكلاهما جواب حسن واما ما اجاب به القرافي ثانيا في الفرق المذكور عن المثلثين معا من ان القاعدة ان الاوامر تتبع المصالح الخالصة أو الراجحة والنواهي تتبع المفسدات الخالصة او الراجحة وانه على مقدار مصادحة الفعل يكون ثوابه وحيثذ فمأ قدمه الشارع من المندوبات على الواجبات فنستدل به على ان مصلحة ذلك المندوب اكثر من مصلحة ذلك الواجب المتروك فهو جواب لا يصح من وجوه الوجه الاول أن مقتضى الملازمة بين مقداري المصلحة والثواب ان لا يكون مندوب أكثر مصلحة من واجب اصلا لتفضيل الواجب عليه مطلقا كما تقدم . الوجه الثاني ما ذكره محبيه ابو القاسم ابن الشاط من انه امر على خلاف ما ذكر وان المعروف ان المصالح تتبع الاوامر والمفاسد تتبع النواهي لا ما ذكره من العكس قال وبيان ذلك اما في المصالح والمفاسد الاخروية فالامر واضح اذ المصلحة هي المنفعة والمفسدة هي المضرة ولا منفعة اعظم من النعيم المقيم ولا ضرر اعظم من العذاب المقيم واما في المصالح والمفاسد الدنيوية فيشهد لذلك دلائل من الظواهر الشرعية من ذلك قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ومنها قوله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم من اخلص لله اربعين صباحا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه . الوجه الثالث ، وهو مسك ختامها هو أن ما ذكره غير مطرد في جميع الاعمال فانا نجد كما قل القرافي نفسه في الفرق الذي بعده استواء العاملين في المصلحة من كل وجه ومع ذلك يحكم الشارع بتفضيل احدهما على الآخر وذلك كتكبير الاحرام بالنسبة الى غيرها من سائر التكبيرات بل قد وجدنا اختلاف العاملين في المصلحة ومع ذلك حكم الشارع بتفضيل الاقل منهما على الاكثر كتفضيل القصر على الاتمام وحيثذ فلا غنى عن الرجوع الى محض المشيئة والامتنان كما جاء ان بعض الاذكار مع خفته على اللسان وقلت تبعه يملا الميزان في حديث كلمتان حبستان الى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم انتهى . جمعه في اآخر رمضان عام ثلاثة وسبعين ومائتين والف فقير ربه صالح النيفر كان الله له بمنه ءامين .

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

١١

خطر اللادينية على الاسلام

ليست اللادينية من مبتكرات مصطفى أتاتورك وانما هو مقلد لمن تقدمه وان خطرها
لاعظم الاخطار التي منيت بها هذه الامة منذ زمن البعثة النبوية الى الآن .
فان اللادينية تقلب حياة الامة المتدنية راسا على عقب فتفسد الافكار والاخلاق وتنتشر
بها الموبقات والفواحش وتفقد الثقة بين وحدات الامة وتذهب الاعراض ضحية الاباحة الوقحة .
وتفسد المعاملات وتضيع الاداب العائلية واصول التربية الاسلامية المبنية على اسس النزاهة والحشمة .
ويضمحل كل اصل بنيت عليه حياتنا وينقلب علمنا جهلا وجدنا هزلا ونصير أضحوكة بين الامم .
وما دخلت في دماغ امة الا ودخلتها الفوضى والشورات واباحة الدماء فلموت الزوأم أهون
تجرعا من تجرع سموم اللادينية المخربة . نعوذ بالله من جهد بلائها . وظلمة عمائها .
ولنختصر لكم في بيان سبب انتشارها فأقول :

ان الخليفة عبد الحميد الثاني العثماني كانت له حمية اسلامية فيما هو مشهور عنه ، غير انه
ارتكب خطأ عظيما كان سببا لانتشار اللادينية (الاتحاد) في الممالك الاسلامية التي لنظره ومنها
سرى لغيرها سريعا

ذلك انه اراد إدخال النظم العصرية والمعارف الحديثة لمملكته ، فبعث بعثات من الشباب
الاسلامي لتلقي العلوم العصرية في ممالك اوروبا المختلفة المشارب والمذاهب : فرانسا ، ايطاليا ،
المانيا ، ايطاليا وغيرها : كان الواجب على عبد الحميد حامي الدين ان يقدم تهذيب تلك البعثات
تهذيبا صحيحا اسلاميا قبل ارسالها الى دار المنازع والمذاهب - كما فعل محمد علي باشا مصر قبله -
حيث اختار بعثاته من تلاميذ الازهر الانجاء المهدين الثابت ثباتهم على عقائد الدين كالمطهطاوي
والرشدي وغيرهما لكن عبد الحميد غلط غلطا فادحا فوجه شبيبة لم يتمكن التهذيب الاسلامي
من اعماق قلوبها ، ولا رسخت ملكته في افئدتها ، فاختلطت بشيبة مختلفة الميول والمعتقدات شبيبة

لم يتمكن التهذيب الاسلامي من اعماق قلوبهما . ولا رسخت ملكته في افئدتها . فاختلطت بشيئة مختلفة الميول والمعتقدات شبيبة اوروبية لادنية او متدنية بالكاطوليكية واخرى بالبروتستانتية فصادف منها قلبا خاليا - افرغ من طنبور - من كل تهذيب وايمان . فاصطبغت قلوبها بصبغات غيرت لون الاسلام النقي فتمكنت منها معتقدات غير عقائد الاسلام . واصبحت لها ميول سياسية جمهورية وفاشيستية وفوضوية وبلشفية وغيرها . خلاف الميول التي بلادها ، بل كل من تعلم في مملكة جاء بافكارها ومذاهبها السياسية ؛ زيادة على المذاهب الدينية فتبلبلت المذاهب وكثرت النزعات كما تبلبلت الاسن واللغات . وحصل الخلاف وتووع الشقاق بعد الاتفاق ومن اقبس ما جاءوا به في تحفة القدوم الاتحاد العظيم ، واللا دينية الوقحة . القاضية على كل خير وكل فضيلة وتهذيب .

ومن اسباب عظم المصيبة ان عبد الحميد ما كان يفكر هو ولا من قبله في ترقية الصناعة ولا الزراعة ولا كنوز المعادن ولا تحسين التجارة والعمارة . وانما همهم الوحيد العسكرية مكروب سرى في عروقهم من ابائهم الذين كانوا امة جلد وجد وتغلب وقهر وحرب .

فكانت اكثر البعثات عسكرية فاصبحت تنشر افكارها بين الجنود . وصيروا الجندالة صماء في يدهم فبعد ما تخلصت تركيا من فساد جند الانكشارية اصبحت تعاني ويلات الجند النظامي المتفرنج . وكان هذا البلاء اشد لان الضربة قاسية في صميم الدين .

فبعد ما كان العالم الاسلامي يعلق كل اءاله على هذا الجند المنظم ليكون حصنا منيعا للدولة الاسلامية ومعقلا للخلافة اصبح بالعكس اءاله هدم للخلافة ونشر افكارا تعني اثر الاسلام في الشرق والغرب وهذا الجند هو الذي انزل عبد الحميد عن كرسي الاسلام ثم بعده اذهب الخلافة وصارت في خبر كان .

وهذه البعثات هي التي نشرت افكار القومية الضيقة فحرضت الترك على تتريك العرب وبقية الشعوب المنضوية تحت لواء الخلافة العثمانية ابي تصيرهم تركا لغة وجنسية رغما عن تمسك الشعوب بلغتهم وقوميتهم . وما كان الخلفاء العثمانيون . يفكرون مثل هذا التفكير المفسك لعري الخلافة بل كان الخلفاء متمسكين بالدين يحمونونه وينصرونه ويعظمون القراءان والعربية والنبي العربي واءار العرب كما انهم يحترمون لغات بقية عناصر الخلافة العثمانية .

وعلى الاقل كانوا يحاملون الشعوب الضعيفة التي تركبت منها الخلافة ولا يمسونهم في لغة ولا عادة ولا دين وبهذا بقيت الخلافة في عقب الاتراك اكثر من ستمائة سنة مدة لم تتمتع بها دولة قبلهم رغما عن تقصيرها في نشر التعليم الذي هو حياة الامم .

ومن هذا الجند تكونت جمعية الاتحاد والترقي او الاتحاد والتدلي وهي التي جاءت بمبدأ القومية التركية والنقوى الجنسي المنافي للاسلام والتي صارحت تلك الشعوب بوجوب تتريكها وابدال لغتها والانسلاخ من قوميتها ومقوماتها . فاغضبت عناصر الخلافة وملأت القلوب غيظا وإحنة . العراق . والشام . واليمن . ومصر . والحزيرة العربية . وغيرها .

فلما جاءت الحرب العظمى وظهر الوهن على جيوش الدولة انقرط عقد الخلافة واصبحت كل امة ولا سيما العرب تجاهر الاتراك بالعداء ، ولعلها محقة فيما فعلت ، وقد نصب الترك المشقة للعرب وقتلهم تقتيلا ، فلم يزددهم ذلك الا تمسكا بلغتهم وقوميتهم بل زادهم ذلك تحمسا وصلابة ضد قومية الترك وكان سببا في ضياع مجد الترك وتحرير العرب واستقلالهم .

ولعلنا كنا مخطئين في تخطئة الامة العربية في انفصالها عن الترك ولعلها هي التي قد صادفت الصواب فيما فعلت .

اذ لو بقيت خاضعة للترك ل بقيت متاخرة وتحت التسلط التركي الى الابد .

ولكنها الان تنال مرغوبها شيئاً فشيئاً ولا تبذل فيه الا اقل القليل مما تبذله لو بقيت راضية بالحسف والذل التركي .

وبالجملة هذه تجربة سلكتها تركيا في تترك العرب فبات بخسران عظيم لم تشهد في تاريخها . وها هي في هذا العصر تجرب تجربة اخرى بيد مصطفى كمال وهي تأوير التركاي تصيرهم اوروبيين في كل شيء حتى في الدين كاحكام الزواج والطلاق والسفور والارث وحتى في اللباس والقبعة والعوائد بل وحروف الكتابة ، واخاف ان تكون العاقبة خسارة وافلاس هذه التجربة ولكننا ننتظر اللعبة الاخيرة والله عاقبة الامور .

واسال الله ان يهدي اخواننا الاتراك لما فيه صلاحهم حالا ومثالا وان يسلك بنا وبهم مسالك النجاة وان يقيهم شر الفتن والثورات

هذا وان افكار اللادينية لم تبق مقصورة على ضباط الجيش العثماني بل سرت سريان النار في الهشيم في سائر شبيبة بلاد الاسلام شرقا وغربا شمالا وجنوبا لا سيما الشبيبة التي تتلقى دروسا في اوروبا قبل الدروس الدينية .

ومن العجب انها افكار سرت الى بعض تلاميذ المعاهد الدينية الشهيرة والتي هي المعدة للدفع في نحر اللادينية مثل الازهر والزيتونة والقرويين ولكننا نحمد الله على ندرة ذلك ونسال الله ان يوفق رجال هذه المعاهد لحقق هذه الحركة في مهدها قبل استفحالها بطرق مجدية .

وقد علمت ان السبب الاقوى في ذلك هو اهمال التربية في الصغر وانفعال تعليم مبادي الاسلام الحقبة بكيفية ناضجة سهلة ومفيدة وواضحة غير ملتوية وخالية من الفلسفة اللفظية والقشور التي توصلا الى نتيجة ونيد الخيال نبذا كليا .

فقطع العلاقة بين الشبيبة الاسلامية وبين اصول التربية الاسلامية الحقبة السلفية القرآنية والسيرة النبوية وتاريخ الاسلام الزاهر هو الذي اوجب هذه الحالة الاسيفة ، حتى صارت بلاد الاسلام تخرج مثل كتاب مصطفى كمال .

ومن موجبات الاسف الشديد : ان بعض من ينظر في شيء من كتب الاسلام من هذه الشبيبة قبل ان يتذوقها يصبح من دعاة الطريقة الوهابية وهو لم يعرف هذه الطريقة ايضا حق المعرفة ، فاول ما يبدؤ به تكفير اخوانه المؤمنين بانهم طرقيون يعبدون الاصنام حيث عظموا الموتى واجاب هدم المساجد المبنية عليها ثم يتدرجون الى ما لا تقرة وهابية ولا غيرها من طوائف الاسلام وهو سب نفس الموق من السلف من علماء وإيمة كبار ثم الى سب الصحابة وتجريحهم ومن هناك الى هدم اساس الدين بالظعن في النبوات ، فتقلب الوهابية لادينية ، وتذهب الفضيلة وتاتي الرذيلة .

ثم ياتون بما يناقض تشدقهم فيوجبون تشييد الابنية الفخمة على قبر امثال المعري وينصبون التماثيل في الميادين لمثل مصطفى كمال ويقفون امامها مطاطئي الرؤس وذلك هو عبادة الاوثان الخبيثة سموها بذلك او وضعوا لها لقبا اخر مزخرفا فيضعون في اقبح خزي ووبال . ويعبدون الاصنام باهتبال فهدمهم لقبور من بنى مجد الاسلام وافنى عمره فيه وقاسى الاهوال في نشره هو هدم لمجدهم الحقيقي وتاريخهم الذي يرجعون اليه وينبغي ان يكون قدوة لهم فيما يزعمون من التجديد وتشييدهم لغيره هو بلا شك من التمسك بالخيال الذي لا نجاة معه من النكال . واسال الله ان يلهمهم ويلهم خصومهم طريق الاعتدال ويجعلنا جميعا ممن عض بالنواجذ على وصاية القرءان (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصىنا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) وجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اامين والحمد لله رب العالمين

محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الحنفي

الامة الاسلامية تنشد الاصلاح

(بقية الصفحة عدد ٢٦٠)

وهذا في الحقيقة نظر قاصر منشأه عدم فهم ما يعنيه المصاحون من قولهم ان من العلل التي اصابته المسلمين انحرافهم عن تعاليم الاسلام فهم يقصدون بذلك كل ما تدل عليه هذه الجملة من المعاني ، فالاسلام يدعو الى عبادة الله وتقواه ومتى كان المسلم عابدا تقيصفت نفسه وتأهلت لكل الفضائل ، والاسلام يدعو الى الاخلاق الحميدة والصفات الكاملة ومتى كان المسلم متخلقا بآداب الاسلام صفت سريره وحسنت سيرته وسلم من تأثيرات النفس الامارة بالسوء فأمن الناس من شروره وعاشر الناس بالمعروف وكان مثال الكمال الانساني

والاسلام أحاط طرق المعاشرة بسياج المروءة والعدالة فمتى راعى المسلم الحدود التي حدد بها الشرع الاسلامي طرق المعاشرة والمعاملات الخاصة والعامة سلمت العائلة الاسلامية من الفوضى وخلصت الهيئة الاجتماعية من العطب

والاسلام دعى الى الوحدة والاخاء والعزة ومهد الى ذلك السبل فمتى روض المسلم نفسه على التضحية والقيام بالواجب وأحس بانه عضو رئيسي في جسم الامة به عزها أو انحطاطها وفي سلامته سلامتها أمكن للامة أن تعتمد على بعضها وتسير متكافة مترصة الصفوف الى الغاية التي فيها عزها وحياتها ، والاسلام يدعو للاخذ بأسباب العمران فمتى ضرب المسلمون بسهم صائب في سائر العلوم وتعمقوا فيها أمكن لهم أن ينالوا حظهم في هذه الحياة غير منقوص منه ولا مشوها كما ناله أسلافهم الصالحون وكما وعدهم به الله

والاسلام يأمر بنزع العادات الفاسدة والاعتقادات التي لا تلائم قواعد الدين الحنيف فمتى أزاح المسلمون عن نفوسهم تلك الوسوس والخرافات التي تعلق بعقول الناس ولم يستسلموا لتأثير العادات الممقوتة ولم يتركوها تسيطر على نفوسهم ولم يجعلوا للشعوذين الضالين سلطانا عليهم سلمت عقولهم وحواسهم وتأهلت بصفاها للاخذ بأسباب السعادة

هذا بعض ما يعني من تلك الكلمة الجامعة التي عدها المصاحون احدى الادوية التي يجب أن تعالج بها أمراضنا . وأعتقد ان الوقوف على موضع العلة ووصف الدواء الذي يزيلها لا يوصلان الى تقاوة الجسم الا اذا اعتمدنا على امرين لهما خطرهما الاول حسن المعالجة وذلك بمعرفة طرق العلاج ، والثاني استعداد الامة للقبول واقيادها لذلك وبدون هذين الامرين لا يتم شي . وهذا هو الذي

محمد الشاذلي ابن القاضي

رجب ان نتم به اهتماما شديدا « للبحث بقية »

الملاجي الخيرية الاسلامية

في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية

بقلم العلامة الجليل الحافظ المولى
محمد عبد الحفي الكنتاني دام نفعه

حفظ التاريخ من مستشفيات فاس المذكورة على كثرتها هذا المستشفى الكبير المعروف الآن بالمارستان فهو الاثر الخالد الباقي الدال على اعتناء الدولة المرينية بالمعتوهين والضعفاء والمساكين ومن لا مأوى لهم ولا ملجأ وهذا المستشفى لا اظن انه يوجد باوربا على كثرة مستشفياتها مستشفى يضارعه في القدم ومن العجيب احتفاظ هذا المستشفى بمركزه رغما عن كثرة الحروب والفتن والاهوال التي توالى على فاس في هذه القرون السبعة التي مضت عليه ويذكر الشيخ بناني في حواشي الزرقاني كما علمت مما سبق انه كان يكفن فيه الغرباء ويغسلون يعني من اوقافه ويذكر الوزان كما علمت انه كان الغريب الافاقي الذي يدخل الى فاس له ان يقيم به ثلاثة ايام فكان هو على هذا بمنزلة فندق ينزلها السفر (اوتيلات) ويذكر الوزان في محل اخر انه كان يقوم به الشعراء اصحاب ما يسمى اليوم بالملحون يجرون عوائدهم ليلة المولد النبوي من انشاء المدايح النبوية بمحل مخصوص هناك وهذه العادة وقع الاحتفاظ بها الى وقتنا فيقوم حافظ من حفاظ الشعر الملحون في المولد وعاشوراء ويتلو ملحونه ويحلق عليه الناس وذلك تحت شجرة توتة هناك وكان يعد ايضا ملجأ للقلاق (بلارج) الطير المعروف من تكسر او اصيب منه ياوي اليه وتجري جارية لمن يضمنه ويداويه ويطعمه، وكان به وقف على الموسيقين الذين يضربون به النوبة على المعتوهين لما ذكره ابن سينا وغيره من الاطباء ان من النوبات العصبية ما يداوى بالنغمات والاورار على حالة تسلية، ومن العادة انزال المغتسلات والمحافل الحشوية لغسل الاموات من المسلمين وحملهم الى مدافنهم تصنع اذا مات غني من ماله ثم توضع في المارستان المذكور يحمل عليها الفقراء مجاناً وكثير من الناس كانوا يستخبرون عن مات في فاس بتققد هذه المغاسل صباحا في المارستان ومن الاموال الموقوفة عليه يجري تجهيز الضعفاء والغرباء الذين يموتون بفاس كما ان لهم مدفنا مخصوصا بهم خارج باب الفتوح يعرف بفدان الغرباء ومما كان يوضع بالمستشفى المذكور طبل ركب الحاج وهو طبل عظيم من نحاس كان امير ركب الحاج يستصحبه معه يضرب فيه وقت نهوض الركب ووقت جلوسه ضربة الاعلام بالتهيب للنهوض فكان بالمارستان المذكور يوضع الطبل المذكور حيث انه من الاحباب العامة، وكان بجانب المارستان المذكور قديما محكمة المحتسب بها موضوعة كتب الحسبة وءالة الجزر والتعزير يجلس فيها المحتسب

وكتابه واعوانه لاجراء اعمال وظيفه الذي كان أكبر وظيف يذكر في الخطط الشرعية لان غايته الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهذه مادة واسعة لا نهاية لها ولا حصر فكان للمحتسب السلطة التامة حتى على دور الخلفاء والملوك ويراقب وقت جلوس القاضي وانهاء عمله وسيره في محكمته وهكذا مما له كتب مخصوصة واشغال وسلطة واسعة وكان قصدهم بجلوس المحتسب بجوار المارستان ووضع المارستان بجوار العطارين والقيسارية والضريح الادريسي وعلى قرب من القرويين التسهيل على اهل البلد نساء ورجالا وصبياناً في تناول حاجياتهم والوقوف على مرضاهم وتسهيل توصيل مرضاهم بالطعام والشراب على اقرب حال فتخرج لذلك حتى العواتق والمخدرات بين الدور والرحاب والمساجد فلو وضع المارستان المذكور ابعد من هذا الموضع لضاعت خطوات المخدرات والمحتجبات ووقعوا فيما لا يرضي المجتمع الاسلامي وعوائده الموروثة في القديم والى زماننا هذا يعد سجناً للنساء وملجأً للمقطّاء والافاريص الصغار حتى يبحث عنهم اهلهم ويقفوا عليهم فلذلك نرى ان العناية التي تريد الحكومة صرفها الى هذا الملجأ الخيري من اعظم ما يخلد لها به الفخر الدائم الذي لا يبلى ولا يبيد سيما وهي تريد الاحتفاظ بشكله وموقعه واقافه وتدخل عليه من التحسينات العصرية ما يناسب روح العصر ولا شك ان توسعته واضافة بعض الدور والحوانيت اليه وجعل حديقة به لترويح المتعولين وتنشيط المساكين كل ذلك مما تشكر عليه الحكومة وتتشأى نقله من محله الى خارج المدينة لئلا يكون ذريعة للقضاء على معهد خيري قديم لا مثيل له في القدم في العالم . ومن الملاحي الخيرية التي كانت ولا زالت بفاس ضريح الشيخ ابي غالب الصاريوي بصاريوة من فاس وابو غالب هذا هو الشيخ ابو الحسن علي بن ابي غالب الحسني الادريسي الصاريوي اليازغي من اهل المائة الثامنة وكان يعد من حكماء فاس وجراحها علمته اولا امه وهو صغير صنعة الحجامه وعلاج الجراح والقروح ثم اخذ عن بعض الماليك من الاعلاج الذين كانوا يحترفون بتلك الصنعة واخذ عنه هو جماعة منهم الحاج حم الورشي قيل مولاهم وهو جد اولاد ابن حم الحراط ومن هناك صار الشيخ المذكور وضريحه ملجأً ومأوى لاصحاب العاهات والامراض . وفي القرن الماضي جدد بناء هذا الضريح السلطان المعظم ابو الربيع المسولي سليمان بن السلطان ابي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله العاوي المتوفى سنة ١٢٢٨ وجعل فيه مسجداً للصلاة وبيعوا للمرضى ودوي العاهات الذين يأتون اليه وقام بنصب سقاية ماء بظهره وذلك على يد قائد فاس الحاج محمد الصفار . ومن الملاحي الخيرية التي كانت بفاس على عهد بني مرين دار بدرب السعود كانت موقوفة على سكنى الضعفاء والمساكين ذكرها القادري في النشر الكبير في ترجمة الشريف محمد بن العربي بوطالب الجوطي انظر قصتها فيه ودار درب السعود هذه كانت من اكبر دور فاس ضخامة وسعة رحاب وكثرة مياهها وعرف الدرب والنسبة الى احد وزرائهم . ومن الملاحي الخيرية بفاس على عهدهم بلاد كانت محبسة على شراء الحبوب لترمى للطيور قوتاً يلتقطونه

في كل يوم يباب الحمراء.. ومنها عرصة باب بني مسافر موقوفة على الضعفاء والمساكين يعرسون فيها. ومن الملاحية الحيرية التي كانت بفاس على عهد بني مرين دار يعرس فيها العمي فكلها تزوج اعمى بعمياء معن لا سكنى لهم عرسا بها ثم سكنا وهي معروفة الآن بين الصاغة ورجة قش وتعرف بدار الشيوخ برياض جحا. ومن الملاحية الحيرية التي كانت بفاس دار لتعريس الشرفاء المقلين فاذا تزوج شريف بشريفة لا سكن لهما عرسا بهذه الدار وهي ذات مرافق ومنظر وبهاء وهي بوسعة العيون الى الآن ومن الملاحية الحيرية بفاس حانوت بجهة بوطويل قرب القرويين اوقفت ليصرف كراؤها في شراء اواني الفخار تعطى للصبيان الصغار اذا خرجوا من مدارسهم الصناعية (درازات) باواني طعامية فتكسرت لهم في الطريق فاذا استحي الصبي من معلمه ذهب للمكلف فاخذ انية جديدة بدل التي تكسرت له. ومن الملاحية الحيرية بفاس ما ذكره الشيخ ميارة والشيخ التاودي بن سودة كلاهما في شرح التحفة والبليدي في حواشيه على الزرقاني والدسوقي في حواشيه على الدردير انه كان بقيسارية فاس حانوت (كبنك) بها دراهم موقوفة للسلف فما زالوا يتسلمونها ويردون فيها النقص والنحاس حتى اندرست وهذا من اعظم ما يدلنا على الرقي الفكري والعاطفة الانسانية والدينية في الزمن السابق وكيف كان عملهم على تنشيط الصانع والتاجر وكيف كانوا يمدون لذوي الحاجات يد المعونة ويرصدون الارصادات فهذا لاشك. مما سبقنا به اوربا بقرون ولله في خلقه شؤون ومن نحو هذا ما في ترجمة ابي عبد الله محمد البطيوي من اهل القرن ١٢ من سلوك الطريق الوارية للزبادي من انه كان يبدل الدراهم بالفلوس ويصبح بها كل يوم بسوق الغزل من فاس ومن اراد تصريف درهم صرفه له فهذا منه تسهيل على المرأة والصبي طريق الاخذ والرد في المبيعات جزاء الله خيرا على نيته ومن المراكز الحيرية بفاس ونواحيها على عهد بني مرين ما وقع في ترجمة العارف الكبير احد مفاخر فاس ابي عبد الله محمد بن ابراهيم ابن عباد النفزي المتوفى عام ٧٩٢ وهو الذي قال فيه في نفح الطيب انه عند اهل فاس بمثابة الشافعي عند اهل مصر انه اوصى بربعة كانت محفوظة عند رأسه ان يخرج ما فيها بعد موته ويشترى بها ربع يكون حسبا على مسجد القرويين ففعل ذلك فحسب ما فيها فاذا هو ثمان عشرة مائة منقال من الذهب وذلك جملة ما قبضه في اجرة مدة خطابته وامامته بالقرويين وحكي ان الربع المشتري هو حمام القلعة بعدوة فاس القرويين بالقطانين منها قال في نشر المثاني ومن عجائبه انه يقصده اهل المرض المعروف بالحلب وهو المعروف بحب الافرنج الذي هو من الامراض الشاقة يغسلون به للاستشفاء فيشفون واعجب منه ان لا يتأذى به من غسل معهم من السالمين ولم يسمع ان احدا غسل به اعداء شيء استقرئ ذلك منه ازمته طائلة حتى صار لا يتجنبه احد اه ولا غربة في هذا ولا عجب فان فاسا فيها وبدائرتها من الناييع ما لا يوجد حول مدينة اخرى في العالم وذلك ان منشئ المدينة الاسلامية في المغرب الامام الاكبر المولى حسين ادريس بن ادريس رضي الله عنهما لما اراد بناء عاصمة بالمغرب باسمه طاف حول درن الى تادالا ينظر محلا مناسباً لاتخاذ عاصمة جامعة بين ما يكون مصححة للابدان وعونا على اقامة دين الملك الديان ويتخذ دائرة للدولاب العمران فاختار موقع مدينة فاس لغايات لا يتوجهاها ويقصدها الا عظيم من حكماء البشر ومصلح كبير من رجال العمران والغيرة على صحة بني الانسان وتسهيل الحالة الاجتماعية للسكان (يتبع)

القضاء الشرعي

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الحوجه مستشار الحكومة

قلنا في المقالة الثانية من هذا البحث ان سفينة الدهر تجري في بحار المشيئة وان انحصار سلطة القاضي الشرعي في نوازل الاستحقاق بين الرعايا وفي احكام الاحوال الشخصية من انكحة وموارث وشبه ذلك انما هو ثمرة تطورات وفيرة في احيال كثيرة وحسب الانسان الحير بتقلبات الزمان ان لا يستتج من ذلك اكثر من العبرة التاريخية التي يجد لها نظائر واشباها كثيرة في بطون الدفاتر والكتب ففي عهد انحطاط الدولة العباسية كان القضاء يغطي التراما بالمقاولة (بالسوق والدلال) على ان يستبد القاضي بفروض التعيين ونحوها في مقابلة مال سنوي يدفعه للحاكم وأول من التزمه عبد الله بن الحسين بن ابي الشوارب في بغداد سنة ٣٥٠ بمقدار مائتي الف درهم وكان ذلك مبدا السعي في طرق استنزاف اموال الخصوم وارزاق اليتامي ومن اجل ذلك وشبهه احدثوا ديوان المظالم للنظر في ظلمات الناس من اعتداء العمال والقضاة وكان اول ظهوره بالدولة الفاطمية بمصر - والحديث هنا قاصر على رجال الشرع المطهر بهذه الديار التونسية المختارة في هذا الزمان وهم بفضل صبغتهم الدينية المستمدة في اصلها من الانتساب لصاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم احرزوا بحق وجدارة على منزلة محاطة بسياج المهابة والاجلال في نظر عامة المسلمين وهذه الحيثية الدينية الشريفة نراها نضجت واخذت نصابها من الرسوخ في الازدهان بفضل ما توفق له علماء العصور الماضية من مظاهر التقوى والاقتطاع للجناب الاقدس والسير على سنن من سلفهم من ائمة الدين واقطاب الملة بهذه الديار وما زالوا بفضل الله وتوفيقه اخذين بذلك طبقة بعد طبقة الى هذا الزمان فالفقيه المتوفرة فيه تلك الصفات صفات التقوى والعلم والعمل حق علينا ان نرعى له الدمام وان نستمد من انوار فضله وان نسعى اليه بتحية طيبة وسلام ولنتنقل الآن للتعريف بمنصب شيخ الاسلام بتونس فهذا اللقب الطنان العالي كان في البدء نعتا لمن ينتهي اليه العلم بين اهل عصره فالامام احمد بن تيمية كانوا يلقبونه بشيخ الاسلام في المائة السابعة وكثير غيرهم من ائمة الدين قبله وبعده، ويلوح ان ظهور الالقاب التفضيحية في الاسلام كان بظهور السلطة الفارسية في جسم الخلافة العباسية واول بارقة ظهرت من ذلك التلقب بمثل جلال الدين وشمس الدين وشهاب الدين في اهل العلم وعضد الدولة ونظام الملك ويمين الدولة في رجال السياسة حتى اذا استقرت الخلافة في آل عثمان اتخذوا لهم شيخا للاسلام بالعنوان الرسمي له حق الاشراف على دواليب النظام الشرعي

باجمعه كما سياقي بيانه وبالتالى راج استعمال لقب شيخ الاسلام بتونس بعد دخولها في طاعة آل عثمان فكانوا في سنة ١١٣٣ يلقبون الفقيه الشيخ علي الصوفي من ائمة الحنفية بشيخ الاسلام ولم يكن لهم يومئذ بتونس غير مفتين وقضاة بل كانوا يلقبون ١٠٠ في وقت واحد ثلاثة نفر آخرين من العلماء بلقب شيخ الاسلام . سأل بعض علماء الازهر صاحب مجلة المنار ايام كان يشارك في تحريرها الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عن تاريخ منصب شيخ الاسلام فاجابه بما ياتي : هذا اللقب من الانقلاب الحادثة لمنصب حادث ووظيفة شيخ الاسلام في الدولة العثمانية الفتوى الرسمية فهو المفتي الاكبر في المملكة واحد اعضاء مجلس الوزراء وقد وضع الملوك هذا المنصب بعد ما صارت امور المسلمين في ايدي الجاهلين بالشرع . من السلاطين واعوانهم الوزراء فعمد دونهم وكانوا محتاجين الى من يفيدهم حكم الشرع في بعض ما يعرض لهم في سياستهم للامة لا سيما قبل ان يستبدلوا القانون بالشرع في كثير من احكامهم وكان اختراع هذا اللقب في اوائل القرن التاسع زمن السلطان مراد خان الثاني الذي ولي السلطنة في الثامنة عشر من عمره وقد وليه في زمنه محمد شمس الدين سنة ٨٢٨ وفخر الدين العجمي سنة ٨٣٤ وشيخ الاسلام في الدولة هو الذي يولي القضاة والمفتين في المملكة كلها باذن السلطان . هذا هو اللقب الرسمي والعلماء كانوا يطلقونه على البارعين في علم السنة وفقه الدين كابن تيمية والعز بن عبد السلام ويطلقونه في مصر على شيخ الجامع الازهر اه .

اما في تونس فقد اشتهر لقب شيخ الاسلام بها بعد سفر الشيخ علي الصوفي للاستانة في مأمورية رسمية وعوده منها لهذه الديار فكان اهل العلم يطلقون هذا اللقب على من ينفرد بالتفوق بينهم من شيوخهم سواء كان حنفيا او مالكيا ولكن ذلك لم يكن نعتا رسميا لهم في نظام الدولة بل كانوا في الرسميات يلقبون كبير المفتين تارة بالمفتي الاول وءاونة بالمفتي الاكبر الى ان استقر عنوانه الرسمي في لقب الباش مفتي ومعنى « باش » في التركية « راس » فالباش مفتي معناه راس الفتوى او راس المفتين وهكذا استرسل الامر الى دولة المشير احمد باي الاول ولما عاد في سنة ١٢٦٣ من رحلته لفرنسا بعد ان شاهد هنالك فخامة الملك وقوة السلطان حدثته نفسه بما طبع عليه من الجنوح للتعالي والتفنن في مذاهبه ان يجاري السلاطين والملوك بالابنية المشمخة كقصور المحمدية وبالمظاهر السلطانية في نظام الدولة فوضع ترتيبا لنيسان الافتخار الذي ابتكره ابوه وهذب اساليبه وحدث رتبة الفارق في الجيش متخطيا في ذلك الحد المضروب له في الولايات العسكرية من لدن الباب العالي كما انجز ما كان عزم عليه من قبل بسنوات (١) من ائمان لقب شيخ اسلام بالعنوان الرسمي لرئيس فقهاء الحنفية ولقب به باش مفتي الحنفية العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع ولكنه اكتفى بائمانه هذا اللقب العلمي

(١) ورد في ظهير عتق العبيد الصادر في محرم ١٢٦٢ تلقب الشيخ محمد بيرم شيخ الاسلام والشيخ ابراهيم الرناحي بباش مفتي المالكية

الذي بالقول الذكري لا بالقول الكتابي تحاشيا من مزاحمة الباب العالي في خطة من الخطط الرئيسية بالدولة العثمانية وبمقتضاها استمر اصدار مرسوم الولاية للباش مفتي الحنفي بعنوان كبير المفتين الحنفي ولكنهم كانوا يحلون ويبتعونه في غير مرسوم الولاية بشيخ الاسلام (١) ويلوح ان اول من امتاز بلقب شيخ الاسلام بعنوان خطة في مرسوم ولايته هو العلامة الشيخ احمد ابن الخوجه حسبما يستفاد ذلك من هذه العبارة المدرجة بالقسم الرسمي من الرائد التونسي . قال في عدد ٩ المؤرخ في ٢٩ صفر ١٢٩٤

في صبيحة يوم السبت السادس والعشرين من شهر التاريخ اولى المعظم الارفع مولانا وسيدنا ادام الله عزه الفاضل الهمام واحد علماء الاسلام الجهد الشيخ سيدي احمد بن الخوجه مشيخة الاسلام بتونس وذلك بالقصر السعيد جعلها الله ولاية سعيدة ميمونة حميدة اهـ .

وهذا الشيخ رحمه الله هو الذي البس في العهود المتأخرة خطة المشيخة نوب الاجلال والاعظام وكساها حلة الفخر والاکرام ولما التحق بالدار الآخرة في خامس حجه سنة ١٣١٣ تقدم مكانه العلامة الشيخ احمد كريم فكان ظهير ولايته صريحا بعنوان شيخ الاسلام ننقل هنا عبارته بالوقوف عليه : سبحان من جعل الحمد فاتحة القرءان . وخاتمة دعاء اهل الجنان . وشرف نوع الانسان بارسال الرسل . لتشريع الشرائع وتوضيح السبل . نشكر ك على ما اوليت من مواهب الاحسان . حمدا وشكرا يستخدمان من الانسان القلب واللسان . والصلاة والسلام على سيدنا محمد فائدة الكون ومعناه . الذي لا ينام قلبه اذا نامت عيناه . وعلى آله واصحابه حفظه الدين وائمة المهتدين . اما بعد فهذا ظهير عظيم . وكتاب كريم . يقابل بالادعاء والتسليم . لنفعه العميم . انتج الحق قياسه . وبني على الشرع اساسه . اصدرناه الى من يقف عليه من العلماء الاعلام . مشائخ الاسلام . وابنائنا امراء الامراء اعيان الوزراء وامراء الالوية وامراء الالايات وقائمي المقامات وامناء الالايات والنباشية وكافة الجنود العسكرية وسائر اولي الولايات فيما لنا من الجهات . شرح الله تعالى للحق صدورهم . واستعمل في رضاه اميرهم ومأمورهم . ليعلموا ان الهمام النحرير العالم العلامة الشيخ سي احمد كريم قدمنا على بركة الله تعالى وجعلنا شيخ الاسلام بمملكتنا التونسية يفتي ويحكم بمشهور مذهب الامام الاعظم ابي حنيفة النعمان رضي الله تعالى عنه وعن بقية الائمة المهتدين وما جرى به العمل مع مراعاة ترتيب دار الشريعة المعمورة . موسى في الابرام والنقض بتوى من يعلم خفيات السماوات والارض . وصية صدرت مصدر الذكرى التي

(١) مما يؤيد هذه الحقيقة عبارة الوثيقة التاريخية الآتي نصها :

من عبد الله سبحانه الراحي عفوه واحسانه المشير محمد الصادق باشا باي سدد الله اعماله وبلغه من اعزاز هذا القطر امامه اما بعد فان العلم الهمام الحجة شيخ الاسلام محبنا الشيخ سي محمد بن الخوجه اولينا نظارة دار الشريعة يتعاطى النظر في ذلك كمن كان قبله واوصينا له بمزيد الاجلال والسلام وكتب في ١٠ جادى الاولى سنة ١٢٧٨

تنفع . ويعلي الله بها الدرجات ويرفع . كما اوصينا له بمزيد التعظيم والاحلال . ومعرفة ماله من الكمال وصور منصبه الشرعي عن الاخلال . والامر لله وحده الكبير انتعال . والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية وفقه الله وكتب في ٨ يوم الاربعاء من ذي الحجة الحرام سنة ١٣١٣ الموافق للتاسع عشر من ماي سنة ١٨٩٦ هـ .

واسترسلت ولاية المشيخة بنظامها المتقدم في فقهاء الحنفية الى محرم ١٣٥١ وفيه شغرت الخطبة فوقع ازواحها باحداث اخت لها على مذهب امام دار الهجرة رضي الله عنه واسنادها لكثير اهل الشورى المالكية والغني عندئذ لقب الباش مفتي المالكي بتونس كما الغي قبله بزمن طويل لقب باش مفتي الحنفية وبهذا الازدواج الذي كان متوقعا من قبل حصل التساوي الحق بين قطبي الشريعة صاحبي الفضيلة امامي المذهبين الزكيين واعلن ذلك بمنشور وزير ي صدر للعمال لاداعته في افاق المملكة التونسية ولنتنقل الآن للكلام على علاقة اهل العلم باهل الدولة ففي البداية نقول ان اهل العلم كانوا في القرون الاولى يتخرجون من الالتحاق والانتساب لاهل الدولة اتقاء الزيغ عن الصراط المستقيم واليك نموذج في صحة ذلك . قال القاضي ابو الفضل عياض في كتاب المدارك : لما ثار القويص على محمد بن الاغلب قال بعض القواد اليوم سيتمكن من سجنون اما يخسر دينه او دنياه فقالوا للامير سجنون داعية مطاع فامر بصرك على هذا الخارجي فبعث فيه الامير واعلمه بالامر واستشاره في قتاله وان يعلم الناس بعرض ذلك عليهم فقال له سجنون غشك من ذلك على هذا متى كانت القضية تشلورها الملوك في صلاح سلطانها ونهض من عنده اهـ

قلت هذا الاعراض الذي تلقى به سجنون دعوة الامير الاغلب لتأييده ومناصرته على عدوة ربما يقول قائل انه لم يكن ذلك بالقاعدة المطردة في علائق الملوك باهل العلم وهذه نظرية صحيحة لان التاريخ ثبت اختيار الملوك في مهمة القضاء لمن يكون معاضدا لسياستهم وموافقا لمشربهم كما تقدم بسطه في المقالة الاولى من هذا البحث ولكن التاريخ يرينا من ناحية اخرى ان اهل العلم كانوا في كل عصر يمثلون العنصر المغالب لذوي السلطان على امرهم فالخليفة المستنصر بالله ثاني سلاطين بني حفص لما قال للفقهاء ابن عصفور : قد اصبح اليوم ملكنا عظيما اجابه ابن عصفور بقوله : بنا وبامثالنا فهذا الجواب ولئن كان فيه حنف ابن عصفور يرينا ثبات عزيمة هذا الفقيه ورسوخ قدمه في المجتمع التونسي يومئذ نعم انه ابان من ناحية اخرى ان الفقهاء ابعد الناس عن السياسة اذ كان عليه ان ينظر فيما ذا سيكون صنيع الخليفة بعد سماعه مثل تلك العبارة وهو انما تفاخر بعظم سلطانه لاستطلاع رايه فيه . وامثال هذا التناطح بين ولاة الامور وبين اهل العلم كثيرة في كتب التاريخ الى عهد متأخرة فتدخلات الشيخ ابراهيم الرياحي رضي الله عنه بالنقد والتفنيد وعبارات الوعيد فيما كان يراه زيفا من سلوك بعض اولي الحل والعقد عن منهاج الشريعة فيها الدلالة الكافية على ان اهل الدولة

كانوا في شق واهل العلم في شق آخر وهذا الشيخ الجدد وهو وسلفه وعقبه من صنع البيت الحسيني بعث له المشير احمد باي ذات يوم معينه صالح شيبوب لاستفسار خاطرة وسؤاله عن صحته وفي اثناء الحديث قال المعين للشيخ رحمه الله ان سيدنا بعثني معاتباً من اجل طول مغيبك عنه فقال الشيخ للمعين :

قل للامير نصيحة لا تركن الى فقيه

ان الفقيه اذا اتى ابوابكم لا خبر فيه

ثم بسط كفيه لباري السمات وباعث الرفات ودعا للمولى الامير بسعادي الدنيا والاخرة وقال لمبعوثه اشهدك اني وهبت ثواب هذه السلكة التي بين يدي من صحيح البخاري لسيدنا المشير دامت معاليه وسعدت ايامه ولياليه اه

ولنضرب لك مثالا اخر في معنى تخرج العلماء من الوزراء . ففي سنة ١٢٨٧ شغرت بجامع الزيتونة خطة مدرس من الطبقة الاولى وراج عند ذلك بين العلماء اسم المرحوم الشيخ احمد الورتاني واستحقاقه لتولي التدريس من الرتبة الثانية التي ستكون شاغرة بتقدم صاحبها للخطة المنحلة بالطبقة الاولى فلما اكملوا في ذلك شيخ الاسلام الشيخ محمد معاوية قال ذلك رجل له صلة باهل المخزن يعني برجال الدولة ونقلت العبارة للوزير مصطفى خزندار فاستصدر في الحال مكتوباً من سمو الباي المعظم للمشائخ النظار في اختيار الشيخ الورتاني للتدريس بداية بالرتبة الاولى وهذه الولاية لها احيان شبيهتان بها في تاريخ جامع الزيتونة ولولا خوف الاطالة لذكرتهما هنا ولكن قراء المجلة سيجدون ان شاء الله ذلك بالتفصيل في كتابي « معالم التوحيد في القديم وفي الجديد » المثل الآن للطبع .

ولننظر الآن في علائق العلماء مع اهل الدولة بحصر المعنى اي من حيث الوضع الرسمي الذي هو خط السير في هذا الزمان فنقول يظهر فيما يلوح ان مشروع عهد الامان كان فاتحة عصر جديد في تلك العلائق فان فقهاء المذهبين احضرهم المشير محمد باي يوم اعلانه بذلك المشروع في سنة ١٢٧٤ واحضر معهم في مجلس واحد اهل دولته وقناصل الدول وكبار القسيسين والرهبان واجار اليهود فكان هذا اول اجتماع لاهل الشريعة باهل السياسة في مجلس رسمي حفيظ لمصلحة عمومية تهتم الولاية التونسية واول الغيث قطر ثم ينهمر ومعلوم ان عصر المشير محمد باي جاء متمماً بطبيعة حاله لعصر سلفه المشير احمد باي الذي اوجد كما اسلفنا تطوراً عظيماً بنظم الدولة وسلطة الدولة تشمل البر والفاجر فكان لا محيص لاهل العلم من مسابقة تيار المستجدات العصرية التي قضى بها الزمان في تلك الاثناء ولا سيما في عصر الدولة الصادقية الذي هو عصر الاصلاحات الجامعة الشاملة التي قام بها المصلح الكبير الوزير خير الدين في دواوين الدولة ودواليب الاعمال ومجالس الاحكام من شرعية ووضعية وعرفية وهنا نصل بالقاري الكريم للعقد الاخير من القرن الهجري الماضي .

في هذا العقد امتاز جماعة من فقهاء المذهبين بفهم اسرار الشريعة ومعاذرة خير الدين بتأييده في

سياسته وإعانتة على مشروع الإصلاح المشار إليه وكان في مقدمة هذه الطائفة الصالحة من العلماء شيخ الاسلام الشيخ احمد بن الحوجه وبقية رجالها هم الشيخ مصطفى رضوان والشيخ محمد يرم والشيخ الطاهر النيفر والشيخ عمر بن الشيخ فهؤلاء الاعلام كانت لهم يد عاملة في مقام الإصلاح وبمشاركتهم وقع تأسيس المدرسة الصادقية التي كان القصد من احداثها ايجاد طائفة من ابناء البلاد جديرة بالمشاركة في تسيير سفينة الاحوال بهذه الديار ولم يمر غير زمن قليل حتى ظهرت نتائج مشروع الوزير خير الدين فيما توخاه من النهوض بالبلاد في طرق الإصلاح وانشرت الصدور واستبشر الناس وقالوا حي على الفلاح .

ولما استهل عصر الحماية كان اهل العلم بحالة فهم لتلك المقدمات وعلى تهيؤ واستعداد لمجاراة الحالة الجديدة ولكن كثيرهم كانوا يخشون الفكر العام لان لفيف الامة كانوا في مدارك الجهالة بالحالة السياسية الحادثة لانه مرت عليهم القرون وهم لا يرون الضوء الا من سم الحياط ناهيك ان الشيوخ تحاشوا عن المشاركة في عيد الجمهورية عند اقامة موسمه الاول بتونس فكان ذلك حاملا للوزير المقيم مسيو كمبون على الزامهم بالحضور في موسم العام التالي (١) ولما وجهت دولة الحماية عنايتها نحو تدوين القانون العقاري عقد مسيو كمبون لذلك مجلسا من اهل الدولة ومن علماء الحقوق وعلماء الشريعة فكان هذا المجلس فاتحة مستقبل سعيد ومنهج قويم سلكه الفقهاء في علاقتهم مع الدولة وطبعا وقع التوسع بالتالي في هاتيك العلاقات لمصلحة الجانبين ولما اعتدت يد ائمة على جميل الذكر صاحب الفخامة مسيو سعدي كارنو رئيس الجمهورية في سنة ١٣١١ بمعرض ليون كتب بعض اهل العلم من ذوي الشخصيات البارزة تعزية في ذلك لجانب الوزير المقيم فلما شاع خبر هذه التعزية بين الناس قام بعض المذبذبين يقول ان مثل هذا السعي من علائق اهل السياسة لا من وظائف اهل العلم وكأنه تعامى او تجاهل بما ورد في الصحيح من ان النبي صلى الله عليه وسلم سعى بذاته الشريفة لعبادة جاره من اليهود . واتفق ان

(١) هذا الحادث نقلته مجلة العالمين باوضح بيان ضمن مجموعة رسائل صدرت من الوزير مسيو كمبون لزوجه في سنة ١٨٨٤ نشرتها المجلة المذكورة بعد وفاة هذا الوزير الخطير في سنة ١٩٢٤ ومما تضمنته تلك الرسائل تصريح مسيو كمبون بان الكردينال لافيجري كان في مقدمة المعاضدين له على انجاز مشروع الحماية وعلى تأييد شوكة فرنسا بتونس ونقل هذا الاعتراف هنا ليتدبر القاري الكريم الفرق بين حشية العالم الديني في بلاد الاسلام وبين حشية العالم النصراني بباروبا والكردينال لافيجري كان محرزا على خمس دكتوريات كان دكتورا في العلوم ودكتورا في الآداب ودكتورا في الفلسفة ودكتورا في الحقوق ودكتورا في علوم اللاهوت ونحن مازلنا نقوم وتقعده اذا رأينا فقيها أمتاز بين أقرانه بالتفوق بفضل علمه ونشاطه وذكائه الفطري ووقوفه على اسرار الشريعة بما لا مانع فيه من حضور مظهر سياسي او احتفال او سعي لزيارة او ردها لبعض اهل الحل والعقد او شبه ذلك ولا نعدم عند ذلك قيام بعض المتبرئين من دم البراغيث بدس السم في الدسم والقول بان ذلك السلوك من متعلقات اهل الدولة لا من متعلقات اهل العلم وحسب هؤلاء الاعراض عن السياسة والاكتفاء بالتطيلس والرئاسة

الدولة عازمت يومئذ على تشريك معالم الدين في مظاهر الحداد بنشر الراية التونسية معصبة بالسواد فوق واجهات بيوت العبادة قياسا على العادة الجاري بها العمل باوربا فاستدعى الكاتب العام معتمد الجمعية صاحبنا السيد البشير صفر لياذنه باتمام ما استقر عليه الرأي وعندها لاحظ المعتد بان ائمة الدين الاسلامي اعربوا عن شواهد اسقهم بالمكتوب الذي ارسله زعيمهم لجناب المقيم وبظهر ان في ذلك كفاية لان المساجد عندنا لا علاقة لها بالسياسة بل هي بيوت للعبادة وحسب وان كان ولا بد من مظهر علني في ذلك فليكن نشر الراية التونسية فوق ابواب امهات المدارس كمدرسة حوانيت عاشور وغيرها فاستحسن الكاتب العام هذا الجواب المقنع وكان العمل بمقتضاه وفي هذا السلوك دليل قاطع بصحة ما هو متعلق بالاذهان من احترام الامة الحامية لعقائد ومعابد الامة المحمية

وكان الشيخ احمد بن الخوجة رحمه الله يحضر حفلة التكريم التي يقيمها المجلس البلدي للمقدس المولى علي باي ليلة المولد الشريف بحضور رجال الحماية وسمو الباي يجلسه ليمينه بذلك المقام واتفق له ايضا حضور حفلات توزيع المكارم على التلامذة المبرزين بالمدرسة العلوية مع المقيم العام م. كمبون وبمدرسة كارنو مع م. ماز من اعضاء مجلس الشيوخ بفرنسا ولقد حضرت مرة بدار السفارة في جملة من شرفهم الوزير المقيم م. ريني ميلي بالاستدعاء لمشاهدة مناظر حية من معمل خالد الذكر الاستاذ باستور متقد الجنس البشري من داء الكلب (١) فكان في مقدمة الحضور العلامة الشيخ احمد كريم شيخ الاسلام والمفتي الثاني الشيخ محمود ابن الخوجة ولما قدم فخامة مسيو لوبي رئيس الجمهورية لزيارة تونس وملكها المقدس المولى محمد الهادي باي سعى شيوخ المذهبين للسلام عليه بالسفارة العامة وحضر شيخا الاسلام الشيخ محمود بن الخوجة والشيخ احمد الشريف مع فخامته بميدان الملاسين لاستعراض مشائخ الطرق ومريديها وهكذا كان صنيعهم عند زيارة اخلافه بمسند الرئاسة الجمهورية : فخامة مسيو فليار وفخامة مسيو ميلران وفخامة مسيو دومرقي وكلها تكرر قدوم مقيم جديد سعى الشيوخ للسلام عليه وعرض شواهد الصفاء والوفاء واعتمادهم على الدولة الحامية في مقام مناصرة الشريعة وصونها ورجالها من طوارق الحدثان الامر الذي وفت به فرنسا شبرا بشبرا في بحر هذه الستين سنة ليرى مبصر ويسمع واع وانا بنفسي صاحبت شيوخ المذهبين للترجمة بينهم وبين الفقيد الوزير مسيو الابيت يوم الاعلان بالهدنة عند انتهاء الحرب العالمية وكانوا كلهم السنة ناطقة بالحمد لله والشكر لله ثم بالدعاء وبشواهد الثناء والامتنان لذلك الرجل العظيم الذي قال لهم في جملة ما افضى به اليهم من الحديث انه لمغبوط ومفتخر بوجود اقطاب الشرع الاسلامي حوله وانه لمبتهج بسماع شواهد

(١) يستفاد من احصائية رسمية نشرتها جرائد هذا الشهر ان عدد المصابين الذين وقع علاجهم بمعهد باستور بتونس في عام ١٩٣٨ بلغ الى ١٠٧٩ نسمة

السود وعرائض التهاني من افواه اهل هذه الطبقة الشريفة الممثلين للسود دكله ولجميع صفات الفضل والعلم فهو يستبشر بحلول طالع سعيد من اجل هذه الزيارة المباركة في مثل هذا اليوم يوم الظفر والنصر العائد فخره على الامتين الحامية والمحمية معا وبقي بمحفوظي انني ترجمت ذات مرة اخرى بين حضرات الشيوخ وبين جناب الوزير مسيو بيشون المقيم الاسبق في مناسبة هامة دلت على رسوخ ما هو متعلق بالاذهان من ان رجال الشريعة هم في مقدمة قادة الامة وهم المثل الاعلى الذي عليه الاعتماد واليه الرجوع وعليه الاستناد

وكيف يصح في الاذهان شيء اذا احتاج النهار الى دليل

انما الشيء الذي لا يناسب كرامة الفقيه هو الترامي على الابواب والاشتغال بما لا يعنيه او كان خاليا عن فائدة لجماعة المسلمين وهذه النقائص لم ينسبها احد حتى الآن لاهل العلم والحمد لله بقي علي استدراك شيء فاتني التعليق عليه بمقالاتي الاولى في مبحث القضاء من وجود مذهبين قائمين بالحكم في عصر واحد بهذه الديار الافريقية قال عياض في المدارك : وكان سحنون يجلس في بيت بالجامع بناء لنفسه اذا راي كثرة الناس وكثرة كلامهم فكان لا يحضر عنده الخصمين ومن يشهد بينهما في دعواهما وسائر الناس عنه بمعزل لا يراهم ولا يسمع لفظهم ولا يشغل باله امرهم فصار الجلوس في ذلك البيت سنة لقضاة المالكية فاذا ولي عراقى (اي حنفي) هدمه واذا ولي مديني (اي مالكي) بناء وحكم فيه اه

كذلك سبقت مني الاشارة في مقالة القضاء الثانية لاحكام رؤية الهلال وانها من متعلقات قاضي المالكية فوقفت بعد ذلك على ما يؤيد ان النظر في ثبوت الهلال كان من حقوق الجماعة الحنفية في اواخر القرن الثاني عشر حسبما يستفاد ذلك من وثيقة تاريخية وهي عبارة عن مكتوب في ثبوت هلال رمضان عام ١١٩٤ بحث به قاضي الجماعة الشيخ محمد بيرم الثاني للولي علي باي الثاني ونصه : اما بعد السلام التام فلتن مولانا بالهلال الجديد والطالع السعيد والمقدمة التي نتيجتها العيد فلقد ثبت لدينا الثبوت الشرعي المحرر المرعي اهله الله تعالى عليكم وعلى المسلمين باليمن والبركة وقهران الخير في حال السكون والحركة فليأذن مولانا باطلاق البشير والسلام اه من رسالة التعريف بالبيارمة

وهنا انتهى بنا الكلام في مبحث القضاء الشرعي وسيكون عنوان مقالتي الآتية : اسد بن الفرات وفيها ناتي على تاريخ انتشار المذهبين الحنفي والمالكي بافريقية وكل ما قرب محمد بن الحوجه

حديث - اتق الله حيثما كنت

اخرجه الترمذي في جامعه في باب ما جاء في معاشره الناس قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبدالرحمان بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب ابن ابي ثابت عن ميمون ابن ابي شبيب عن ابي ذر قال قال لي رسول الله اتق الله حيثما كنت واتبع السنة الحسنة تمحها وخالف الناس بخلق حسن قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن ابي هريرة حدثنا محمود بن غيلان حدثنا ابو احمد وابو نعيم عن سفيان بهذا الاسناد نحوه حدثنا محمود حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن ابي ثابت عن ميمون بن ابي شبيب عن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه قال محمود والصحيح حديث ابي ذر .

فوقع سهو في نسبة تخريجه للامام البخاري الذي اثبتاه في الجزء الخامس صحيفة ٢٢٤ تعين تداركه

صفحة من تاريخ تونس

صلة تونس بالدولة العلية

بعثة خير الدين للاستانة

في سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

غير ان الصدارة العظمى لم تنجز ما وعدت به وفي سنة ١٢٨٨ تعكرت العلايق بين الدولة التونسية وحكومة إيطاليا التي كان مستقرها اذ ذلك فير ينسا قبل فتح رومة ولم تكن الحكومة الفرنسية في استعداد لمعاوضة سمو الباي على عاداتها في مقاومة التيار الايطالي لاشتغالها بحربها ضد المانيا وبالارتباكات الداخلية الناشئة عنها فظهر من المناسب تذكير الباب العالي واليكم نص المکتوب الموجه للصدر الاعظم في تاريخه في عالي باشا :

« ١٠ »

الحمد لله اما بعد التحية فالمنهي الى جناب الصدارة العظمى ادام الله تعالى اسعادهما وجعل من التوفيق الالهي امدادها ان معظم قدرها العالي لم يزل جاريا في محاملته للدول الاروبوية ورعاية نواياها ورعاياها بهذه المملكة على ما جرت به العادة واقتضته رعاية المصالح الاسلامية بهذه الديار بقدر الاستطاعة ومن جملتهم دولة إيطاليا الى ان عرضت لقصصها نازلة جزئية بنى عليها امرا سياسيا وهو قطع الخلطة التي سعيها في ارجاعها بما امكن حسبما تقرر ذلك لسفير الدولة العلية بفرنسا على لسان رسولنا الذي وجهنا لهذه النازلة حسبما شرحنا مستوفى بالتقرير الواصل مع هذا لجنا ب الصدارة العظمى ولما كان من المعلوم ان المقاصد السياسية الباطنة مخالفة لظواهرها والاعتداد للتوقي من ذلك امر واجب شرعا لا سيما مع تيسر اسبابه بوجود الدولة العلية الذي هي سلطنة الاسلام والمفرع في المهمات العظام القائمة بحماية اقطار المسلمين والاعانة على اقامة شعائر الدين التي لا يراغ سرب من اتصل بأسبابها وامل الخير والانعام من ابوابها اعاد معظم القدر العالي مطلبه من ابواب الخلافة العلية التي هي محط الآمال ومصدر النعم والافضال التي تعودها هو وسلفه من رفيع جلالتها المتين ورفيع جلالة سلفها الخلفاء الراشدين بكتابه الواصل مع هذا طالبا من فضلها العالي انجاز ما سلفت به الارادة السنية وهو صدور فرمان العلي الذي تضمن كتاب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة ١٢٨١ انه حاضر وقت ما نطلبه وتكرر منا طلبه فيما سلف وتاكّد مضمون كتاب الصدارة العظمى معتمدا على ابواب الصدارة

العظمى في اعاقته على ما امله من فضل الخلافة العلية بمقتضى ما تعوده من فضلها وانجاز ما سلفت به الارادة السنية وهو صدوره على مقتضى ما تضمنه كتاب الصدارة العظمى المذكور اعلانا بنعمة الدولة العلية على شاكر فضلها والداعي بتأييدها ونصرها ووقاية لهذا القطر الاسلامي الذي تخطب ايمته على منابر بالدعاء للخلافة العثمانية ولحامل لوائها والقائم باعبائها وتأمينها له من الاغراض السياسية التي يوجب الدين القويم التحذر منها اذ صدوره على مقتضى كتاب الصدارة العظمى المشار اليه مانع لتلك الاغراض لتضمنه وصلة هذه الساحة بالممالك المحروسة واعانة لمعظم القدر العالي على اجراء مصالح هذا القطر التي هي مطمح انظارنا ومجال افكارنا بما جرت به العادة المقررة التي تضمنها اكتاب الكريم المذكور وعلى معارضة من يقصد هذا القطر بما يصادم حقوق الدولة العلية او حقوق معظم القدر العالي والمقطوع به عن جناب الصدارة العظمى التي احلها الله تعالى المحل الرفيع التفاتها لهذا المطلب والقاء للابواب العلية بما هو المعروف من غيرتها الدينية ومحافظتها على حماية الاقطار الاسلامية واستمطار مكارم الخلافة لاتمام ما تفضلت به لهذه المقاصد الدينية ومعظم القدر العالي يعتمد جلالة جنابكم الرفيعة التي يتيقن انها توجه عنايتها لهذه المصلحة التي هي من مصالح المسلمين والاعتناء بها اعتناء بحماية الدين وقد اعدنا هذا المطلب لهذا الغرض الديني وهو وقاية هذا الوطن على ما تعود اهله وبموجب طلبنا له المرة بعد المرة لهذه المقاصد التي منها وصلته بالاقطار المحروسة نري اني وفيت للدين وأهله بما اوجبه الله تعالى من رعاية مصالحهما وارتفعت عني المسؤولية في ذلك عند الله تعالى وعند عبده والمحقق من جلالة الدولة العلية أن تسمح بتلك المقاصد لعامة المسلمين فضلا عن قطر لها به حقوق مبرعية وعن عبد نعمتها الذي تقلب هو وسلفه في خدمتها والمقام الذي احل الله فيه الصدارة العظمى يوجب عليها الاعتناء بمصالح المسلمين وترغب جلالة الخلافة العظمى في حماية اقطارها واتباعها المخلصين ودوام مرضاتها على عبد نعمتها الشاكر بفضلها وفضل سلفها الائمة المهتدين والله سبحانه المسئول ان يمدكم باعاقته على عز الاسلام وتخليد المئثر العظام ودمتم الخ وكتب في ٥ صفر الخير سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين . .

« ١١ »

تعريب الرقيم الوارد من دائرة الوزارة العظمى الى سمو الباى

في ١٤ ربيع الاول سنة ١٢٨٨

الحمد لله ان اعظم ما في امال مولانا امام المسلمين خلد الله سلطانه انتظام ممالكه وتوابعها في سلك الامن والسعادة وان تكون الايالة التونسية التي هي وديعة تحت ادارتكم ايضا كذلك ويرى اعزه الله جسم ما كان يخالف موجبات الامن والراحة من متعلقات ادارتكم العلية ومما هو مندرج في طي

المتبوعة والذي اوجب هذا النظر الدقيق السلطاني من مولانا اعزاه الله هو نازلة الطليان التي تكونت بتونس المستفاد اضمحلالها على احسن حال من الدولة المشار اليها بواسطة سفيرنا المقيم بها للمصادقة الجارية بيننا وان المسئول عليه من هذا الحادث وغيره ان ادارتكم في اكثر الخصوصيات صارت غرضا لمشكلات صعبة تدعو الى ضرر خطير وفي هذا الباب لم يبلغ الدولة العلية خبر صحيح يعتمد عليه والا كان بالمذاكرة لم تبقى معاملات الايالة تحت يد تحكم الغير ولا تخرج الامور عن دائرة العمود الحالية والاصول العمومية فكان الاهم والا لزم اعلامكم الدولة العلية بالنوازل الحالية مهما عرضت والذي يناسب الحال الحاضر الآن هو ان تنتخبوا امينا من طرفكم يعتمد عليه وترسلوه للمذاكرة معه اعزاه الله فيما تقتضيه المصلحة في دفع ما يتوقع من الحضرات المالحوضة بتسهيلات مولانا وهذا ما اقتضاه امره العلي وارادته السنية بادرنا في اعلامكم به والسلام

« ١٢ »

تعريب الرقيم الوارد من طرف الصدارة العظمى إلى سمو الباي

في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨

الحمد لله ان معروضكم الخصوصي المحتوي على ارتباط الايالة التونسية وعامة اهاليها بالسلطنة السنية وممالكها وعلى لزوم تأييد وتجديد حكم متبوعيتها القديمة وغير ذلك من تفاصيل وافادات من هذا الباب وصل بدودوكم مصحوبا بكتب اخر من ذوي السعادة مصطفى باشا وخير الدين باشا وقد فك ختامها في المجلس الخاص وقرئت على الانفراد بمحضر الوكلاء ثم عرضت على الاعتاب الملكية هذا وقد كانت فذلكة هذه التحريرات عبارة عن البحث في احوال الايالة الحالية وما نالها من المضار المجزوم بتاثير هلاكها وما اصاب اهاليها منذ مدة من العسر وما يشعر بالامل في استجلاب موجبات العمران والتشبت باسبابه كما انه عبارة ايضا عن طلب ما وعدكم به مولانا اعزاه الله من اصدار فرمان يكون به تامين الايالة داخلا وخارجا، ولما كان من مقتضيات ما تخلق به مولانا من السجايا الحميدة حب السعادة لكم ولذويكم ولبن هو تحت تصرف ادارتكم مع بذله اعزاه الله الهمة العلية في جلب ما يتم به لكم نصاب الامن والراحة

وكما يعلم بان ذلك ترتب في ذمته وتحتم عليه وانه من الحقوق المقدسة السلطانية يعلم ايضا ما به افتخاركم من اللياقة وما اتم مفطورون عليه من حسن الطوية من اثاره الباهرة مع عليه بانكم تعلمون ذلك علما يفينا وان لا تكون سعادة الايالة التامة وسلامتها الا بالتمسك والاعتصام بعروة الخلافة الوثقى وببناء على ما اوجب ذلك من الحظوظ الصحيحة من مولانا يتوقع التردد في تفصاه بالفرمان السالف الذكر غير ان من ذلك الوقت الى الآن فاحوال العالم التي لا حاجة في بيانها

والتغييرات الوقتية زادت في اشكال معاملات الایالة الخارجية زیادة كلية والآن يرى من اللازم دفع ما تسبب عند الشكوك والاشتباهات كما يرى من اللازم تامين وتأييد ذاتكم وذوبكم ويوضح ما لكم وعليكم من الحقوق المصدقة والمقدسة السلطانية بصورة كافية شافية بالفرمان المطلوب وان كان حصول هذا المقصد الاهم لا يتأتى بالرسائل والمكاتبات كما افدناكم بريقم قبل هذا بل لا يكون الا بارسالكم رجل عمدة او رجلين للذاكرة معه في تاسيس ما به الامتياز المطلوب الادارة والمعاملات الآتية وتسويتها بالاتفاق وقد استنسب ذلك وصدرت به الاراد الملكية وفي نفس الامر لا شبهة في اوليتكم بالموافقة والتصريف ولذلك اكتفينا ببيان الحال فقط والنظر الاعلى لكم والسلام

« ١٣ »

تعريب الرقيم الوارد من الصدارة العظمى الى جناب الوزير الاكبر

في ٢٩ ربيع الثاني - نة ١٢٨٨

الحمد لله - ان كتابكم المتضمن حرصكم على الفرمان الذي وعدتم به عام ٨١ ليكون به دفع ما عسى ان يقع من المضار وصل يد ودودكم وقريء وفهم بكمال الامعان وبعد استيعاب ما اشتملت عليه معانيه في المجلس الخاص عرض على الاعتاب الملوكية وجملة الملاحظات التي هي ثمرة الدراية والحمية وقعت من مولانا اعزة الله موقعا زائد الاستحسان ولما كان ذكر ما رفع هذا الطرف ليس الا تكرار لحظ اذ هو بين بالتحرير المرسل لصاحب الولاية اعرضنا عنه وارادنا بهذا الرقيم مجرد تأييد مباني الخلوص والمواالة والسلام

« ١٤ »

مثله : صه من الصدارة العظمى لجناب الوزير المباشر خير الدين

.....

فوقع اختيار الحضرة العلية على خير الدين ليكون ذلك الرجل العمدة الامين المطلوب ارساله لدار الخلافة . ولدينا امران عليان في هذا التعيين احدهما مؤرخ في العشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ والآخر مؤرخ بالغداي بالحادي والعشرين من الشهر نفسه وكلاهما محتوم بالطابع السعيد ومحلى بالامضاء الشريف ومذيل بامضاء الوزير الاكبر مصطفى خزندار ولما كان النص متغيرا نوعا ما رأينا نشر الامرين مع اردافهما بنص المكتوب السامي الصادر لخير الدين في تحديد ماموريته وبه نجد ايضا بيان المقصد من تحرير امرين اثنين في التفويض (ننشرها في العدد القابل ان شاء الله)

الشرف الحسيني بالقيروان

والكلام على آل عوانة

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد

العوانيون نسبة الى جدهم عوانة بن حمود بن زياد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن سيدنا الحسين السبط شهيد كربلاء سنة ٦١ هـ لا يخفى ان عليا الرضا من فضلاء آل البيت وانه هو الذي زوجه المأمون العباسي ابنته وعهد اليه بالخلافة وضرب الدنانير والدراهم باسمه وبذلك استعمال القلوب وامتلكها وانه توفي بطوس سنة ٢٠٣ هـ ودفنه المأمون الى جنب ابيه الرشيد . وهو الجّد الثاني لعوانة المذكور .

وفي شهر رمضان عام ٣٣١ هـ شهد عشرة من خيرة فقهاء عدول القيروان ومشاهير فقهاءها على الترتيب الآتي وهم :

« ١ » ابو زيد عبد الرحمن بن عمر بن علي بن عامر التميمي « ٢ » وابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي زيد (١) - « ٣ » وابو الحسن علي بن محمد بن خلف المعافري (٢) - « ٤ » وابو اسحاق ابن ابراهيم بن محمد السبائي (٣) - « ٥ » وابو اسحاق ابراهيم بن علي القيسي « ٦ » وابو النما كثير بن عمر بن كثير القيسي « ٧ » وابو العباس احمد بن عبد العزيز الصديقي الجعدي « ٨ » وابو محمد عبد الصادق بن عبد الله الازدي « ٩ » وابو الحسن علي بن عبد السلام بن اخي حجون القرشي « ١٠ » وابو موسى عيسى بن عبد الحميد البلوتي . تلك عشرة كاملة شهدوا في رسم نصه :
شهادة يشهدون بمعرفة الفقيه (٤) ابي العلا سالم بن ابي مروان عبد الملك ابن ابي موسى عيسى ابن الشيخ الفقيه (٥) الصالح ابي العباس احمد بن عوانة القرشي الحسيني المعرفة التامة وهم يشهدون مع ذلك انه لم يزل ينتسب الى هذا النسب الشريف حائزا له ولم يزلوا يسمعون ذلك سمعا فاشيا مشتهرا من الثقات العدول وغيرهم ان ابا العلا سالما المذكور قرشي حسيني ولا يعلمون احدا طعن عليه فيه منذ عقلنا الى حين التاريخ قيد (٦) على ذلك كله شهادته هنا بتاريخ شهر رمضان المعظم عام

(١) هو صاحب الرسالة والنوادر (٢) المعروف بالقابسي ققيه القيروان ومفتيها (٣) السبائي الشهير ضجيع سحنون اليوم (٤) ناهيك بشهادة ابن ابي زيد والقابسي ومن معها له بالفقه الذي نازع بعض الفقهاء في وصف ابن ابي زيد نفسه بالفقيه وانه لا يستحق في ذلك العصر أن يوصف به ووصف في موضع آخر بالعدل ايضا (٥) ناهيك بقولهم الفقيه الصالح وما يدل عليه هذان الوصفان في ذلك العصر الزاهر (٦) فاعل قيد هو قوله عبد الرحمن بن عمر الخ كما هو المألوف الى اليوم في قول العدل شهد الخ

احدى وثلاثين وثلاثمائة، ويليه اسماء اولئك العدول العشرة بخطوطهم ونصه على الترتيب المتقدم عبد الرحمن بن عمر بن علي الى اخر اسم العدل العاشر ويليه قول عدول هاته النسخة من هذا الاصل بما نصه : هذه نسخة ذلك كاصلها فلو قوبلت به فكان سواء معن وقف على الاصل المتسخة منه هذه النسخة وعانين شهادة ابي زيد عبد الرحمن وذكروا اسماءهم على الكيفية (١) والترتيب المتقدم وبالكفى عنده المتقدمة وقالوا اثر قولهم وعانين شهادة الخ مكتتبه بموضعها منه وعلم انها شهادتهم بخط ايديهم لا شك في ذلك ولا ريب وانهم ماتوا على العدالة وقبول الشهادة وقيل على ذلك شهادته على ذلك كله بتاريخ العشر الوسطى من شهر شوال عام ثلاثة وعشرين وستمائة شهد علي « ١ » بن عبد الله بن قاسم بن مصيله الهواري « ٢ » وصالح بن حسن القرشي ويحيى « ٣ » بن عمر بن عبد الرحمن المدحجي « ٤ » وعبد الرحمن ابن ثابت التميمي

فشهود هاته النسخة والمعروفون بخطوط عدول الاصل اربعة من ثقات فقهاء عدول القيروان المشاهير في أول القرن السابع زيادة عن العدول الآخرين الآتية اسماءهم اذ هذا الثبوت الاصيل اخذت منه هذه النسخة في هذا التاريخ وبهؤلاء العدول المذكورين وبشهادتهم بعد التهم وقبول الشهادة منهم حتى لوفاتهم .

واخرجت منه ايضا نسخة اخرى وعلى هذا النمط مؤرخة بغرة ذي القعدة عام ٦٧٨ بشهادة العدلين ابي عفيف صالح بن حسن القرشي وابي زيد عبد الرحمن بن ثابت التميمي المذكورين لمن طلبها منهما من مستحقيها .

ونسخة اخرى ايضا مؤرخة بالعشر الاول من شهر محرم عام ٦٨٢ اثنين وثمانين وستمائة بشهادة العدول الاربعة الآتية اسماءهم وهم الفقهاء اسحاق بن ابراهيم بن يعقوب الدهماني ومحمد بن ابراهيم بن عمر بن عبد العالي الربيعي وعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن ابي دلف وعبد الرحمن ابن محمد بن علي الانصاري، ونسخة ايضا مؤرخة باوائل جمادى الاولى عام ٧٩٧ بشهادة العدلين محمد ابن عبد الواحد بن عبد السلام الدهماني ومحمد بن عبد العزيز بن ابي الرجال الربيعي، واخرى مؤرخة باواخر جمادى الاخرة عام ٨٣٧ بشهادة العدلين بالقيروان في التاريخ المذكور الفقيين الشيخ خليفة ابن احمد بن ناجي التوخي واحمد بن محمد بن مخلوف التوزاني . (يتبع)

« محمد طراد »

(١) هاته الكيفية وهو تلقي شهادات الشهود والشهادة من العلم مثل هذا الثبوت تقع بغير اذن القاضي ودامت على ذلك حتى للدور الحفصي فصار يضع القاضي عقده أمام الحمدلة موضع الطابع اليوم ولا يذكر اسمه في الرسم

حول مقال

لا عزاء بعد ثلاث

ورد على ادارة المجلة المكتوب الآتي من العالم
الفاضل الشيخ بن باشير الراجحي امام وخطيب
جامع سيدي محمد بلدة الزحولة ونصه :

فضيلة الاستاذ العالم التحرير الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي مدير « المجلة الزيتونية » والمدرس
من الطبقة الاولى بالمعهد الزيتوني المعمور والخطيب الثاني بجامع « حمودة باشا » السلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته ، وعلى اسرة المجلة الشريفة ، وبعد فاني احمد اليكم الله الذي لا اله الا هو واساله ان
يقيقكم لخدمة دينه وارشاد خليفته ءامين ، سيدي انني - والحمد لله - شغوف بمطالعة دواوين العلم
ولوع بقراءة المجلات العلمية الدينية لا سيما « المجلة الزيتونية » ذات البحوث القيمة والفصول الممتعة
وكيف لا وهي تصدر تحت اشراف هيئة عليية راقية ضربت بسهم وافر في تعليم العلم وانارة فكرة
الشباب . وقد زادها جمالا وبهاء ما يحبره ذلك القلم السيل قائم مولانا الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي حفظه الله وادام النفع به . ولقد تتبعت كتاباته كلها
لاكثرع من ذلك المورد الصافي والمنهل المائي والدواء الذي هو لكل داء شافي . غير ان شغفي بكتاباته
ومتين استدلالاته ووفور علمه وسعة اخلاقه يجعلني في مامن مما عسى ان يكون ممكن الوقوع عند
ابداء ملاحظة سبق بها قلم الطباعة وكنت - علم الله - اترجى ان يستدرك ذلك فطال الامس
ولم يقع شيء من ذلك . فقد جاء في الجزء الثاني من المجلد الثالث تاريخ شهر ذي الحجة ١٣٥٧
- فيفري ١٩٣٩ صحيفة ٦٠ في المقال المعنون بـ « لا عزاء بعد ثلاث » وبعد ان قتل الموضوع بحثا
وتدقيقا قال بعد كلام « ولم يسمع في كلام العرب اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية » . والصواب
خلاف ما ذكر : فقد قال الامام الحافظ اللغوي شرف الدين النووي في كتاب « تهذيب الاسماء
واللغات » من ص ٢١ والجزء ٢ ما لفظه « والعزاء اسم اقيم مقام التعزية » وعزاه للازهرري اه بالحرف .
ومثله في كتاب التسليمة ص ١٠٤ قال « والعزاء بالمد اسم اقيم مقام التعزية » ذكره الذويهي
فبادرنا بعرضه على فضيلة مولانا شيخ الاسلام أبقاه الله فاجاب عن توقف الشيخ الراجحي بما نصه :

تحقيق معنى لفظ العزاء

الى ابني العزيز الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي المدرس من الطبقة الاولى وصاحب
المجلة الزيتونية حفظه الله تعالى ، تحية طيبة مباركة ، قد اطلعت على الاشكال الذي ورد اليكم من الشيخ
ابن بشير الراجحي الامام بلدة الزحولة من القطر الجزائري الذي يقول فيه « لقد جاء في الجزء ٢
من المجلد ٣ صحيفة ٦٠ في المقال المعنون (لا عزاء بعد ثلاث) ما نصه : ولم يسمع في كلام العرب
اطلاق لفظ العزاء على معنى التعزية . وقد قال شرف الدين النووي في كتاب تهذيب الاسماء واللغات
خلاف ذلك ولفظه « والعزاء اسم اقيم مقام التعزية وعزاه للازهرري اه بالحرف »

وقدر اياته حقيقا بالاشكال . لما وقع في كلام النووي من الاختزال ، فصاغ به كلام الازهرري على غير مثال .
اعلم ان كلمات ايمة اللغة قد اطبقت على ان العزاء اسم بمعنى الصبر وهو من الناقص السيائي

وفعله كرضي ولم يسمع مصدرا القياسي اي بوزن رضى كأنهم استغنوا بالاسم عن المصدر، واطبقت على ان العزاء يطلق في مادة اخرى مصدرا للفعل عزاء الناقص الواوي (وياتي ايضا ياء بقله) وذلك بمعنى النسبة يقال عزوت هذه القصيدة الى فلان عزوا وعزاء .

وقد روي حديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من لم يتعز بعزاء الله فليس منا (١) قال ابن مكرم في لسان العرب اي من لم يدع بدعوى الاسلام فيقول يا لله أو يا للمسلمين (يعني انه من عزاء الواوي فالمراد النهي عن الاستصراخ بالقبائل وهو دعوى الجاهلية) ثم قال قال الازهري (٢) له وجهان (يعني لمعنى الحديث) احدهما ان لا يتعزى بعزاء الجاهلية ودعوى القبائل ولكن يقول يا للمسلمين والوجه الثاني ان معنى التعزي في هذا الحديث التأسي والصبر ومعنى بعزاء الله اي بتعزية الله اياه فاقام الاسم مقام المصدر الحقيقي وهو التعزية كما يقال اعطيته عطاء ومعناه اعطيته إعطاء اه و قريب منه في النهاية لابن الاثير غير معزو الى الازهري والازهري لم يذكر هذا في كتاب التهذيب له في اللغة بل في كتاب شرح مختصر المزني في الفقه الشافعي فهو وارد في مساق شرح وتاويل لا في مساق بيان الالفاظ اللغوية . وليس واردا مورد النقل وقد فرض احتمالين في الحديث وحاصل الاحتمال الثاني ان لفظ العزاء الذي هو اسم مرادف للصبر اقيم مقام مصدر تعزى على وجه النيابة بطريق التوسع ولذلك قال فاقام الاسم مقام المصدر الحقيقي فدل على انه ليس بمصدر حقيقي بل توسعي اي بقرينة وقوعه بعد قوله لم يتعز . والتوسع باب في كلام العرب يشبه باب المجاز وهو استعمال الكلمة في غير معناها الموضوع له لا على طريقة المجاز بل توسعا في الكلام للتخفيف او نحوه فالفرق بين التوسع والمجاز بشئين هما عدم العلاقة في التوسع بخلاف المجاز وكون القرينة في المجاز قرينة مانعة والقرينة في التوسع قرينة معينة فقط . فالنووي نقل كلام الازهري مبتورا محذوفا منه ما فيه من العبارات المحررة فاوهم ان التعزية من معاني لفظ العزاء ولم يذكر الحديث الذي تاوله الازهري على ان قول الازهري « اقيم مقام التعزية حارس من توهم ان العزاء مرادف للتعزية اذ لو كان مرادفا لما استقام قوله اقيم مقامه . ولو كان الازهري يريد بذلك اثبات معنى التعزية لكلمة العزاء لكان نقلا شاذا لم يسبقه به احد من ائمة اللغة وليس الازهري في عداد الائمة الذين تقبل افرادهم ، المذكورة جماعة منهم في النوع الخامس من كتاب المزهرة . ولو قبلنا منه هذا الفرد لكان اطلاق العزاء على معنى التعزية من غريب اللغة غير المشتهر بين نقلة اللغة وذلك ينافي وقوعه في كلام افصح العرب صلى الله عليه وسلم اذ الخلوص من الغرابة من جملة معنى فصاحة الكلمة . وايضا فكلام الازهري لو اخذ على ما يلوح منه اول وهلة لكان قصارا ان هذا احتمال في الحديث والمعاني اللغوية لا تثبت بالاحتمال بل يتعين في اثباتها ايراد شاهد لا احتمال فيه او ايراد شواهد كثيرة ظاهرة في المعنى المثبت وان كانت فيها احتمالات ضعيفة تدحضها كثرة الظواهر على نحو ما قرره علماء اصول الفقه في خبر الواحد

الخيال

في الأدب العربي

بقلم الأديب الشيخ أحمد المختار الوزير
المعلم بمدرسة ترشيح المعلمين

قلنا في حديثنا السابق إن الخيال هو العنصر النفسي القوي اللازم لتكميل الفن وإبرازه في أشكاله والوانه المختلفة . واذكر اني وعدت حضرات القراء الكرام باستعراض مثالا لهذا الفن الذي ابدع في تنسيقه وانسجامة الخيال الحصب كل الابداع
فهذا ابو عبادة البحرري استطاع ان يحرك في نفوس قرائه عاطفة حزينة باكية مشوبة اللوعة . فتضمره الحسرة . بقصيدته الخالدة التي رثى بها المتوكل وما ذلكم الا لانه استلم خيائه . فاملى عليه صورا عميقة قوية التأثير واضحة الطل والضياء . عرضها البحرري في شعرة عرضا موقعا لها له خطرا العظيم في الالهام والتأثير . فاستمعوا له اذ يقول وقد هدت ركنه الاحزان وابكت جفنه الحسرات واضناه الاسف اللهيف وقيدته الحيرة الذاهلة :

محل على القاتول اخلق دائرة	وعادت صروف الدهر جيشا تقاورة
كان الصبا توفي نذورا اذا انبرت	تراوحه اذيالها وتباكركه
ورب زمان ناعم ثم عهده	ترق حواشيه ويورق ناضره
تغير حسن الجعفري وانسه	وقوض بادي الجعفري وحاضره
تحمل عنه ساكنوه فجاءه	فعادت سواء دوره ومقابره
اذا نحن زرنه اجد لنا الاسى	وقد كان قبل اليوم يهيج زائره
ولم أنس وحش القصر اذ ريع سربه	واذ دعرت اطلاؤه وجادره
واذ صيح فيه بالرحيل فهتكت	على عجل استاراه وستائره
ووحشته حتى كان لم يقم به	انيس ولم تحسن لعين مناظره
فاين الحجاب الصم حيث تمنعت	يهيته ابوابه ومقاصره
واين عميد الناس في كل نوبة	تنوب وناهي الدهر فيهم وآمره
حسوم اضلتها الاماني ومدة	تناهت وحفت او شكته مقاديره

هذه ابيات من مراثاة البحرري تشمر وانت تلوها بصوت واضح النبرات او تطيل انصاتك

لسماعها - كأنك تقف مع البحثري وقفه الباكي الحزين تشهد ما كان يشهده من هول الخطب وكأنك معه بحسرات قلبك وعبرات طرفك في كل ما ألم به من سوء صروف الدهر وشروور ملهاته المشجية المروعة أهبل ترى البحثري استعان بشيء من الخيال في تصوير نفسه البرة ومحبة الخالصة وعهد وفائه الوثيق ثم في تصوير مصيته الفاجعة ومحتته الفادحة ؟ وهل كان البحثري ليستعين بوحى خياله الخصب الا ليهون حدة الألم الذي ينتابه ويساوره ويتظفر بخالبه الدامية في مداخل كل عضو من أعضائه ؟ فابو عبادة البحثري كان دون شك يشعر بالألم شعورا حادا عنيفا وكان يلتمس السيل الى الترويح عن نفسه من ضيق هذا الألم العاصف ، فنطق برثائه الذي سمعناه وما اظن الا انه احدث اعظم اثر في تموج شعورنا العاطفي .

وسل ما شئت بعد هذا كله هل في مرثاة البحثري ما ينسب الى تكلف التشبيه وصيد الاستعارة الغريبة النائية ، وما ينسب الى التزوير والتلفيق والحشو الذي الفه شعراء المراثي فالسماء ما زالت تظلم الناس ، والشمس ما زالت تظهر في تبلج اشراقها وضياء نورها ، والقمر ما زال وضيا لموعا يسامر النجم ويناحي الشعراء والارض ما زالت على عهدا السابق لم تدمرها الزلزلة ولم تحطمها الصاعقة والجبال لم تنسف ولا اندك شيء من شاهق صروحها واعالي عروشها ومرثاة البحثري على خلوها من هذه الغرائب تصور نكبة القصر وفاجعة الخطب ورزية الموت في ابلغ عبارة واضحة واسلوب رصين فيه من القوة ما يشير كوامن الاشفاق والرحمة والحزن الشديد ، بل قل ان بيتا واحدا من مرثاة البحثري يكفي لاثارة ما اراد الشاعر اثارته في نفوس السامعين وهو هذا البيت :

ولم انس وحش القصر اذ ربيع سربه واذ دعرت اطلالوه وجب ذره

فلو ان البحثري استعرض في مرثاته صورة اخرى بدل هذه الصورة فحدثنا عن الفقه الناس الذين كان يجمعهم القصر ويضلمهم برواق السعادة ويكتنفهم بخيرات الترف وبركات النعيم وكيف صارت تلكم الالفه الجامعة الى الفرقة والشتات والى ضلال الفزع وذهول الحيرة لما بلغ تاثير البحثري هذا الحد البعيد في غوره ومداه .

صدقوني اني لاجد في استعراض هذه الصورة الكاملة من مثيرات الحزن ودواعي الحسرة وبواعث الاشفاق والرحمة ، اثرا عظيما تضج به النفس وتضطرب له اشد الاضطراب

ليس هذا البيت رمزا يدل في سر وقوة على كمال المعاني الانسانية وسموها في نفس الشاعر ؟ ان رحمة الانسان بالانسان لا تحد ومن سوء الفهم لمعاني الانسانية الكاملة ان يحاول المرء تحديد شعوره السامي الذي يدفعه دفعا الى الرحمة والترفق ، وكل حد يجعل نهاية قصوى لتحديد ما يتولد عن هذا الشعور من قول وعمل ومن سعي متدارك وبذل جديد يكون دون شك بترأ لهذا الشعور قاضيا بفساده او بتلاشييه وتلفه ، وليس يحمد الشاعر ان هو قصد الى تصوير هذا الشعور

الانساني فأظوره في مظهر قاصر محدود . يتناول الانسانية مترقفا باخيه الانسان ليس غير ، اذ ان الشاعر ينزع الى استحضار المثل العالية ورحمة الانسانية لا تحد باي مثال مهما كان رفيعا عاليا ما لم تتسع حدود محيطه ويبعد في استغراقه وشموله . ولقد تفتن نبوغ البحري لهذا وادركت عبقرية انه ليس من فضل الانسية ان يرثي لهؤلاء الذين تعست حالهم من العذاري الحسان ومن جوارى القصر والصبايا والفتيان رأى انه ليس من الفضل في شيء ان يرثي لهؤلاء ولا يرثي لحال غيرهم فسامى به الخيال والشعور الانساني الكامل الى استعراض هذه الصورة التي جعلت شعورنا يفيض متفجرا ويغم غمراته الانسان والحيوان .

الخيال الاستحضاري والخيال الابتكاري

ويحسن هنا ان نلم بايسر تعريف الخيال اذ لعلنا على ضوء هذا التعريف الجامع نستطيع ان نتبين اقسامه وان نستوضح خصائص كل قسم وان نعرف الى اي حد تتصل هذه الاقسام بقوة الادب وضعفه ويكفي ان نذكر في تعريف الخيال : انه جميع العمليات العقلية التي ينشأ عنها استحضار صور ذهنية قد تكون في جملتها قريبة الشبه والمطابقة لتجارب الماضية والمدرجات الحسية السابقة . وهذا ما يسمى بالخيال الاستحضاري . وقد تخرج عن حدود هذا الشبه القريب والمطابقة المماثلة بحيث تكون الصور الذهنية جديدة التكوين وليدة الابداع لا عهد لنا بها من قبل اذ ليس ثمة ما يماثلها في محيط الواقع والتجارب السالفة . ومعنى هذا ان الشاعر يجرد من هياكل الاشياء نعوتا اذا اجتمعت تألف من جملتها مثال مبتكر طريف وهذا ما يسمى بالخيال الابتكاري .

وما من شك ان الادب في بدايته يستند الى ملكم الطرف الاول اذ به يستذكر الانسان حوادثه الماضية والوان الاشياء واجزاءها وتراكيبها على ما هي عليه وبه يحكي ما حدث ويصف ما كان . وهذا الاستحضار الخيالي يعين الاديب ولكنه لا يكون عنصرا من عناصر القوة الا في نوعي الادب القصصي والوصفي . .

اما ذلكم الخيال الابتكاري المبدع فهو العنصر الذي يسمو بالادب ثم يسمو به الى حيث يحلق في مسابح بعيدة الافاق وهنالكم يستنزل وحي الهامه من المثل العالية للجمال . وعلى هذا النوع من الابداع الخيالي يقوم الادب الغنائي والتمثيلي . . وعليه يقوم النقد اذ انه يدلنا في صدق وصراحة على اختلاف طبائع الادباء وكبر نفوسهم وعلى شارات كل اديب ومميزاته ولونه الذي يرسله على ما يناوله من شتى المعاني والاغراض . (يتبع)

« احمد مختار الوزير »

صفحة من

الادب التونسي

في القديم

من علماء تونس في القرن الثاني عشر وشعرائها الشيخ عبد الله السنوسي المترجم له في كتاب
عنوان الأريب للعلامة الشيخ محمد النيفر، وللشيخ عبد الله السنوسي هذا ثلاثة أبناء محمد وهو
أكبرهم ومحمد الوسط وأحمد أخذوا العلم عن والدهم قال العلامة الشيخ ابن أبي الضياف في شأنهم.
كانوا على درجة عليا في العلم والفضل وأكبرهم آية الله في الشعر والأدب وشعره يسع ديوانا
معروفا عند أهل الأدب وأوسطهم آية الله في الفقه والتصوف، قال: ولم أقف على تاريخهما، أما
أصغرهم فقد ترجم له وفيما يظن أن أكبرهم وهو الشيخ السنوسي توفي على رأس القرن الثالث عشر.
ومن شعره ما هنا به النجم ابن سعيد حين ختمه لكتاب الشمائل ونصه:

أرى ربع من أهواه غير بعيد	فها هو مني مثل جبل وريد
فموجا قليلا بي لعلي اشتفى	بسكب دموع فوق صحن خلود
حكى صوبها صوب الغمام إذا همى	وصوت زفير القلب صوت رعود
على أنه لم يجدني سكب عبرتي	على طلل عاف بطول عهد
وفي كبدي نار يشيب لبيها	ليتهم لم تتصف بخمود
يرى الشوق جثماني فصار من الضنا	دقاق عظام ضمنت بجلود
ولم يبق في جسمي سوى رمق غدا	دليل حياة مؤذنا بوجود
ولم يشني عن حبهم طول نأيم	ولم اسلمهم طول الحياة بغير
فحبهم وصفني وبني قام لازما	كما قام وصف العلم بابن سعيد
هو العلم السامي الامام محمد	سليد علي ذو الوفا بوعود
ومن اسعد الراحين نيل علومه	بفهم ورأي صائب وسديد
وقد قيد العمر المديد حياته	بحل عويس او بقيد شرود
فلا جدة اغنته عن حب نائل	ولكن لزهو في دنياه شديد
ومن جعل العلم المشرف بازيا	لصيد العطايا كان غير رشيد
وما هو الا للنفس مكملا	وليس سبيلا للانتقام ثريد

فمن شاء وصف العلم فليك هكذا
 حويت ابا عبد الاله شمائله
 فغادرت كل الحاسدين كانهم
 كختمك في يوم شمائل احمد
 فكُن ذا فخار ماشيا تحت راية
 وتحت لواء المصطفى يوم محشر
 كاني بمرأى منك حقا ومسمع
 حديثا باسناد صحيح رويته
 وانك ذو لفظ شهى مذهب
 يحاكيه لحن الموصلى وزلزل
 فكيف اذا تروي الحديث معننا
 ولولا وداد منك صح مصاحبا
 لما ملت يوما للثناء على امرء
 فشعري ذو ود لاهل مودتي
 فودي الى طول المدى ليس ينقضي
 فاجابه العلامة ابن سعيد (١) بقوله

لمن ظييات في معاجر سود
 وغير بعيد ان يكن اوانسا
 هزرن قدودا ثم قلن الى القنا
 وأسفرن عن در يقول ابتسامه
 وابرزن رايات الخدود وقلن لي
 خلي لا اخفيكما الحال اني
 والا فما بالي كان محاجري
 ولم أر نيرانا حوائى تلتظي
 على انها لم تلقني بقطيعة
 سقى باتيها غاديات يسوقها
 تركن اسود الحى غير أسود
 اتين الينا من جنات خلود
 تاخرن ما فيكن مثل قدودي
 عقود النجوم الزهر دون عقودي
 اياهم هل في الروض مثل خدودي
 اصبت بها في اعظمي وجلودي
 بمرتميات الدمع واد زرود
 وفي القلب منى حر ذات وقود
 ولا اعترضتني في ثياب صدود
 تبسم برق لابلكاء رعود

(١) هو العلامة الجليل الشيخ محمد بن سعيد صاحب الحاشية الجلية التي كتبها على الاشموني وغيرها المتوفى سنة ١١٩٩

والا دموعي الساريات كانها
والا يراعات تسيل مياهاها
يراعة مولانا الرئيس الذي به
اخو اللفظ احلى من عتيق مدامة
اذا هال القى فيه شعلة قابس
من القوم لا يلقاهم زائر لهم
على انهم في العلم والحلم والحجى
ابوه الذي الحمى تخاف بجوده
واغلب فخر من يكون مفاخرا
ايا سيدا ادركت في خلواته
ويا فاضلا شاهدت في جلواته
تأن فقد غادرت من كان لاحقا
وخل من العليا قليلا فانها
وقم لنعود من حبيب عهده
اتبعت لي بالشمس والبدر ثم لا
وترسل لي بالشهب لماعة ولا
فهبني قد انكرت فيما بعثته
وكثرت حسادي على أني امرء
على اني لا استطيع لك الجزا
نعم سوف تجزى من شمائل احمد
قدم انت والاجاب في خير رفعة
اذا ما اذيلت خافقات بنود
فتنشئ روضي نرجس وورود
عرفنا لساني جرهم ونمود (١)
واهبج من ربا المخلخل رود
وان هال القى فيه نقحة عود
سوى فرقتين ركع وسجود
وبذل العطايا نيرات سعود
وهل عرفت حمى تخاف بجود
به وبآباء له وجدود
جنود جنيد في جنيد جنود
صعود سعيد في سعيد صعود
كانك قد قيدته بقيود
غدت عن جميع الناس ذات ندود
على وفق ما ترضى بغير تقود
تلقمها في سابغات برود
توصي رسولا جاءني ببجود
ايعوزهم فيها قيام شهود
رماني حسود فوق كل حسود
وان جئت من خير الشا بوفود
(٢)
وخل الاعادي في اذل ركود

« انتهت »

(١) يظهر من هذا البيت ومن بعض ابيات القصيدة التي هذه جواب عنها ان قائلها كانا قرينين فليست تلك تهئة من تليد لشيوخه بل من تهئة صديق لصدقه خصوصا ووفاة الشيخ ابن سعيد كانت سنة ١١٩٩ في حال شبته والله اعلم .

(٢) يباض بالاصل الذي بين أيدينا فالرجاء من السادة الادباء اذا عثر احدهم على عجز البيت أن يرسله لنا لتقديمه لقراء المجلة ونحن له من الشاكرين

ديوان

أبي عبد الله محمد الوردغي

المتوفى سنة ١١٩٠

مدير المجلة

محمد الشاذلي بن قابي

تونس

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ العالم اللغوي الشاعر المفلق مفتحة زمانه أبو عبد الله محمد بن أحمد الورغي الكاتب المتوفى سنة ١١٩٠ يخاطب الحجاب العالي جناب سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر أشواقه إلى زيارة قبره الشريف ويشير إلى شغف الأمير المولى على باي ابن المولى حسين باي بالحديث واجلال اهله واختصاصه بمؤانسه اهل العلم ومسامرتهم واستلذاذة بذلك

أحمد لله السدي جعل الحديث النبوي أمانا من المخاوف . كما جعله سببا للنجاة ومنبعا للمعارف . وصلاته وسلامه الأتمان على من ختم به الرسالة . كما انار به الحق وطمس به الضلالة محمد سيد العالمين وملجأ الشقلين . وعلى آله وصحبه البالغين في نصرته . المشابرين على اعلاء كلمته . وبعد فان العبد الفقير . تطفل على باب اللطيف الخبير . بمدح رسوله سيد البشر . بما امكنه من القول وحضر . هدية قدمها بين يدي نجواه . فبما غل كل من حضر هذا المحفل مناه . ببركة هذا الختم العظيم . في هذا المقام الكريم . والوقت الذي ينزل فيه النعيم . من الرحمن الرحيم . فقلت مخاطبا لذلك المحبيب . وما توفيقني الا بالله عليه توكلت واليه انيب

فهل يبلغ المقصود منك عياني
مشيت من ذرى العليا باي مكان
بعينيك او مرت بها القدام
لذي صبوقة صبت عليه اماني
ويقعدني عنها شحيح زماني
لنحوك هم القلب بالطيران
بقيمة طرف للجنوح يدان
بساحة فتوح الله حمر هجان
فتصني ولا تعيي من الوخدان
تقصر طول الخطو بالنزوان
لتنزل من بعد على صلتان
ففي (الحرس) التعريس بعد ثمان
(طرابلس) مرت بغير عنان
لبعض وان طال المدامتدان
يطيب وقلبي للبويب دعاني
ولا في القباب يستقر جرائي
وقبري (لقو) زاد في هياني
له النبك والاقصاب يلتقيان
ودمعي بذات الدهنوين ثوان
مبادرتي (بدرا) بغير توان
وبير علي عزيمة المتوان

تملا من شوقي اليك جناني
وهل تمسح الاحقان موطنه اخص
وهل انظرن يوما بقاعا نظرتها
اماني ما بعد الرضى منك بعدها
يقربها مني رجاء يقيمني
اذا انبعثت من جانب الغرب رقعة
وقلبت طرفا جاري الدمع ماله
ولو امكنت مابت الاماقتا
احدتها عجماء عن طيب نجعتي
وتصبح كالامساء في كل منزل
وتختصر التوديع من قبل (رادس)
اذا ابصرت قصر الفلاحين لا ثجا
فان قابلتها (قابس) اودنت لها
لتطوي الى (مصر) منازل بعضها
تقول فما في (البركة) الان مبرك
ولا في ربي الخضراء ثبت منسمي
وشوقي لير النخل من قبل (ايلة)
كافي اذا جئت (المغارة) خالم
فمالي وللحوراء ينبع دمعا
احن الى مرعي (جنين) ومقصدي
لعلي اري من (زابغ) بعد بزوة

فاخلص من وادي السويق وعسفه
 ومن بطن مرو والمساجد دونها
 منازل للاسعاد لا غير كونت
 بلغنا بها لا بالسماكين مطمحا
 مزار يروح الزور منه بما اتوا
 اذا ما افاضوا مصدرين ومسحوا
 دعتم الى الاقلاع ككوم مسنة
 تباري مهب الريح ان قيل طيبة
 امن طرب تبكي وحق لصخرة
 لذاك ترى الركب المجدين نحوها
 سكارى ولكن بالحبيب وذكره
 فكيف اذا قاموا ومن دون قبره
 هناك فحدث كيف شئت عن الذي
 ولا لوم ان افجعت مثلي فانها
 اذا مدحته الآي قبلي فما عسى
 حماك رسول الله يقبل لاجئا
 الى اين ان اغلقت بابك دوننا
 اما انك المبعوث للخلق رحمة
 ومن شعلك المجمع دان تخلص الدعا
 وهذا علي ابن الحسين كما ترى
 يعامل من جراك امتك التي
 ويروي احاديثا اليك استنادها
 ولا تله الاشغال عن نشر طيبها
 ولكن في الجعفي منه محبة
 لما انه لما بنا القبة التي
 حمي وطئها الا بختم صحيحة
 فكان ابتداء الختم بدء دخولها
 وانت بها يا اكرم الخلق حاضر
 عسى نقحة من فيض فضلك تحتوي
 فيرجع راو للحديث وسامع
 عليك صلاة الله ثم سلامه

الى مجمع الخلا الى عصفان
 بيوت الى البيت العتيق دوان
 كفتنا عن الشرطين والدبران
 به الوحي والارسال يلتقيان
 له من منى عظمى وعقد امان
 بايمانهم من اسود ويمان
 تخيرها العراف غير سمان
 وتزري على الاطواق عقد جمان
 تكون كذا فضلا عن الحيوان
 يخوضون في بحر من الغشيان
 جرى طرب الجريال في الشريان
 اذا حرر التقدير قيد بتان
 تراه فاني ما ارتضيت بيان
 معان تكل الفكر اثر معان
 يخمن قلبي او يقول لساني
 اقامت له الايام سوق طعان
 وحاشاك ان يؤذى بعرضك جان
 فلست اذا ما كنت لي بمهان
 لذي الامر في حب وفي شئنان
 بذكرك مشغول بكل اوان
 توصي بها خيرا بكل حنان
 لتجزيه خيرا عن فل وفلان
 صحاح على طول المدا وحسان
 تخلص من ضيق ومس هوان
 اجاد لها الاحسان خير مكان
 باخلاص نيات وبث مثان
 وكان بلب القدر من رمضان
 تشاهد ما ياتي به الثقلان
 وتشمل هذا الجمع بالسريان
 ومبني بما يشفي الغليل وباني
 وذالك طرا ما التوى الملوان

وقال يمدح مخدومه الجامع بين شرفي العلم والامارة
 المنعم المبرور أبا الحسن علي باشا ابن محمد التركي
 صاحب تونس وبينه بعيد الفطر

أعيد احديث الانس عن ساكن السفح
 وياكما ذكر العذيب فانه
 خلي لا أنسى وقد جئت حيا
 عسى تبردا ما بالجوانح من لفح
 على غيرتي عنه غني عن الشرح
 وحيدا أسر الخطو في غيب الخنج

تطالعي الجوزاء شزر او ينطوي (١) وما وظنت رحلي على غير شائك
أحاول منها لفقة لا لريبة ولولا انتشار النسر من طي ردها
فأيقظا ملبعد (٢) خفق حشاشتي فوافت وبا لله كابن محمد
ألا إنه الباشا الذي اعترفت له همام اذا عاينته قلت إن من
طوى لاكتساب الحمد كل تنوفة وأظهر في ذا الملك كل عجيبة
رأيناه لما ودع الصوم راجعا تطلع من بين الاساطين مثلها
وقام لاعطاء التحية مقبلا وبرز للتقبل كفا لو انها
ولا شك أنا إذ لمسنا يمينه فيا أبا الغيث الذي جود كفه
وبا أبا السيف الذي انقطعت به فذاك من الاسواء كل مملك
وهنت بالعيد الذي كل موسم تحاشا وأبى الله عن كل وصمة
فلا قلة من والاك كالزهر باسماء وأنعم بهذا القصر دهرك باديا
سواريه (٤) مثل الغيد أرخت ذوائبا ترى كل بيضاء الاديم توكأت
شددن على الاوساط حزما كانما وقمن على دست النضار كأنه
ونمقن أعلى الوجه نقشا كأنه بدائع أزرت بالبديع وأغمدت
ورام يحاكبها السدير بما له وكم لك في نشر الفاخر مثلها
أما يتوقى من يياريك عزمة بعثت بها للشرق والغرب خطة
فلا زالت تبدي كل حين غريبة

على حق قلب السماء مع النطح ولا قبضت كفاي إلا على رمح
واطلب منها نعمة لا على قدم وبرق ثماياها ضللت الى الصبح
وقد عاد حرب الدهر فيها الى الصلح وقد قام للتعييد في ساحة الصرح
ملوك (٣) الوري بالخلق والخلق السمع سواه من الاملاك من جملة السرح
وأصبح عن كسب الهوى طوي الكشح يغني بها طير الفخار على دوح
وأقبل عيد الفطر في معرض الفرح تطلع وجه الرشد من خلل النصح
كما انتصب الركن اليماني للمسح تمر بمقروح لصح من القرح
ظفر نابكنا اليم من معدن الربيع من الدر والابريز منتشر السح
رقاب بني الهتان من غير ما جرح سجيته وقف على الجبن والشج
على إثره أركى واعظم بالنجح سوى انه قد جاء في أثر الفتح
وواجه من عاداك في غاية القبح لك البشر من أرحائه عالي القدم
ولولا الحيا مالت حواليك للشطح على مثلها سمراء في جودة السطح
يرحين أن تدعو الجميع الى الكدم من الثلج إلا أنه فاقد الرشح
شظايا قتل الليل في غرة الصبح مصانع ذي غمدان في حيز الطرح
وأين من السعدان نابتة الطلح (٥) اذا بلغت شانيسك أيقن بالذبح
تميز بعد المزج عذبا من الملح تخط بها الاقلام مجدك في لوح
تروق النهى بدأ وتختم بالمدح

(١) وفي رواية وينثني - (٢) أصله من العبد حذف النون تخفيفا على حد قول المتنبي :

نحن قوم ملجن في زي ناس فوق طير لها شخوص الجمال

أصله من الجن (٣) وفي رواية جميع (٤) وفي رواية حواليه (٥) السعدان نبت من أفضل مراعي الابل وفي المثل مرعى ولا كالسعدان وله شوك يشبه به حلبة الثدي والطلح شجر عظيم تشتكي الابل بطونها من رعيه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصايرها المبادئ الإسلامية
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء ٨ و ٧	تونس - جمادي ٢٠١ - ١٣٥٨ - جويلية - اوت ١٩٣٩	المجلد الثالث
-------------	---	---------------

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

رئيس قلم التحرير :

محمد المختار بن ميمون

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ تونس - تلفون ٢٦-٤٩

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

نمن العدد ٣ فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلا عدد ٥٧

صحيقة	المقال	صاحبه
٣٠٦	الاحتفال بانتهاء العام الدراسي بجامع الزيتونة
.....	وخطاب شيخ الجامع	الاستاذ الاكبر الشيخ صالح المالحقي شيخ الجامع وفروعه
٣١٠	تفسير آيات من سورة البقرة
.....	الاستاذ الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٣١٣	حقوق المسلمين على بعضهم
.....	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي
٣١٧	التعاقد المتين
.....	العلامة الهام الشيخ محمد الحنجوي وزير معارف الحكومة المغربية
٣١٩	رفع اللبس عن خطبة تزكية النفس
.....	الفاضل الزكي الشيخ الجيلاني حمزة
٣٢٣	الملاحى الحيرية
.....	العلامة الجليل المولى محمد عبد الحى الكتاني
٣٢٥	القضاء الشرعي
.....	العالم المؤرخ امير الامراء الاستاذ محمد بن الحوجة مستشار الحكومة
٣٢٨	بعثة خير الدين
.....	العالم امير الامراء الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت
٣٣١	الشرف الحسيني
.....	الفاضل الاعدل الشيخ محمد طراد
٣٣٤	محمد (صلى الله عليه وسلم)
.....	الفاضل الزكي العالم الشيخ الطاهر النيفر المدرس بجامع الزيتونة
٣٤٠	تأثير الادب في رقي الامم
.....	أمير البيان عطوفة شكيب ارسلان
٣٤٦	الخيال في الادب العربي
.....	الاديب الشيخ احمد المختار الوزير رياض الادب
٣٥٠	قصيدة
.....	الاديب الكبير الشيخ العربي الكبادي
٣٥١	قصيدة
.....	الاديب النابغ الشيخ الطاهر القصار
٣٥٢	قصيدة
.....	الاديب الفحل الشيخ بلحسن بن شعبان
٣٥٣	القضاة الشرعيون في القديم
.....	العلامة الشيخ البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة
٣٥٧	مراحل التشريع الاسلامي مكة بين والمدينة
.....	الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي
٣٦٢	بحر الانساب (كتاب)
.....
٣٦٣	ديوان الورغي
.....

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصاريهاها هيئة من هذا السبيل مع التيقن من المصالح
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء ٧ و ٨ | تونس - جمادي ١٣٥٨ - جويلية - اوت ١٩٣٩ | المجلد الثالث

ساحب المجلة والمدير:

بجمل الشاذلي القاسبي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بنونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير:

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

ثمان العدد ٣ فرحات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

بسم الله الرحمن الرحيم

في جامع الزيتونة

الاحتفال السنوي العظيم

بانتهاء العام الدراسي بالكلمة الزيتونية العامة

احتفل يوم السبت في جمادى الاولى ١٣٥٨ وفي ١٥ جويلية ١٩٣٩ بختم الامتحانات بجامع الزيتونة ادام الله عمرانه وقد كان احتفالا بهيجا حضره رجال الدولة الاعلام يتقدمهم الهمام الافخم امير الامراء المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة نائباً عن صاحب الكرسي الحسيني الملك المعظم مولانا احمد باشا باي الثاني ادام الله اجلاله وحضره ايضا اعضاء مجلس الاصلاح والجامع والشيخان المفتيان سيدي محمد العنابي وسيدي محمد المختار بن محمود والشيخان النائبان لشيخ الجامع سيدي عبد العزيز النيفر وسيدي الشاذلي الجزيري والاساتذة بالمعهد والمشايع المدرسون من الطبقات الثلاث والمتطوعون بالتعليم وتلامذة المعهد ونخبة من سراحة الامة يتوسط الجميع فضيلة الاستاذ الاكبر مولانا شيخ الجامع وفروعه الشيخ سيدي صالح الملقبي وبعد قدوم المولى الوزير الاكبر ومن حضر بمعيته من رجال الدولة وتبادل التحيات تلا الشيخ علي بن سالم ربعا من القرآن العظيم وبانتهاؤه من التلاوة خطب صاحب الفضيلة شيخ الجامع ثم نودي على اسماء من فاز في حلبة الامتحانات ووزعت المكافآت على المبرزين منهم وختم الاحتفال بتلاوة أم الكتاب وانتشر عقد المجلس والكل يدعو بدوام عمر ان جامع الزيتونة بشيوخه الحلمة وتلامذته الذين عليهم المعول في حفظ الملة مكبرين هممة فضيلة شيخ الجامع وما يسديه للمعهد من عظيم العناية والسير به في مدارج الرقي المستمر كابل الله اعمال الجميع بالتوفيق والنجاح حتى نرى الكلية الزيتونية على الدوام من ارقى الكليات العلمية انه سميع مجيب خطاب الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الاعظم

حمد الله تعالى أجل مهم يقصد واشرف غاية، وأهم أمر يعتمد بدءا ونهاية . وصلاته وسلامه على أشرف مرشد وأفضل معلم، المعرب في غير ما حديث عن فضيلتي العلم والتعلم، وعلى آله وأصحابه، المهتدين بهديه والمتادين بأدابه. وعلى تابعيهم من سائر علماء الامة المرشدين، وتابعيهم في ذلك الى يوم الدين وبعد فان السنة الدراسية للجامع الاعظم ادام الله عمرانه، وشيد بمعالم العلم اركانه، آذنت اليوم كعادتها في مثله بالانصرام، يتضوع من ارجائها مسك الحتام، حافظة لما قد حواه تاريخها للمعهد من

محاسن احاسن ، وما ارتوى به وراثة من ماء غير عاسن ، وما اهدته حائق التمايم له من ثمار يانة ، ومجالس لمختلف العلوم جامعة ، قطوفها لمجنتيها دانية ، وخرائدها لمجنتيها متدانية ، اقتطف المجدون من ثمراتها كل حسب جده واستعداده ، واخفق الراسبون فيها وانى يظفر مقصر بمراده ، وجوزي بها من تنكب الجادة الى بنات الطريق . التي لا يسلم سالكها من اقترحام عقبة او ترد في مضيق . ليعلم الكل ان من جد وجد ، ومن توانى فقد ، ومن زرع حصد

احتفل اليوم في هذا المجلس الحافل الحاشد بعالية القوم وسراة الامة من وزراء فخام وعلماء اعلام واساتذة جلة وشيوخ كرام وذوي خشيات من رجال الحكومة وشخصيات بارزة من سائر الطبقات حفظ الله جميعهم تزيينه طلعة صدر الصدور ومن اليه المرجع في مهمات الامور الهامم الافخم والعماد المفخم امير الامراء وتاج اكليل الوزراء المولى الوزير الاكبر ممثل الحضرة العلية والسدة المملوكية ومن له في اعتزاز الجانب العلمي اعلى مزيه حضرة ولي النعم وكرم الشيم ومفخرة العصور والامم المحفوف حماء بسر السبع المثاني سيدنا ومولانا احمد باشا الباي الثاني صاحب المملكة التونسية لازالت طلعتة مزدهرة وايامه راققة هنية عملا بما جاء في الفصل السادس والثلاثين بعد المائتين من ظهيرة المطاع اهتماما منه ايده الله بالهيئة العلية وتنشيطها بايفاد من ينوب جنبه العالي في احتفالها الرسمي وذلك لعرض حالة التعليم وما اتجه المعهد في بحر السنة الدراسية من ترقيات علمية وما قد احرز عليه المبرزون في شهادته بسائر انواعها مما ستعرض له فيما بعد بهذا المجلس مع ذكر اسماء اولئك المبرزين والجوائز المحظى بها من فاق منهم في حلبة الامتحان اظهارا لمزيتهم واستمهاضا لعزيمة من لم يلتحق بهم من اخوانهم الذين شاركوهم في مهمتهم من كل من كبا به في ميدان الامتحان جواده ولم يسعفه فيه حظه واسعادة راحين لجميعهم بما انا من العطف الابوي نجاحا متداركا يجبر ما مضى كمن فاتته الحاضرة فتداركها بالقضا بما سيبدلونه من جد في العمل يبلغ به صاحبه غاية السؤل والامل والله الموفق سبحانه لا اله غيره

كنا تعرضنا في مثل هذا اليوم من السنة الفارطة الى بعض واجبات التلميذ والخططة المثلى التي يجب عليه سلوكها الكافلة بنجاحه والحافطة له في مستقبله واسدينا لهم في ذلك نصائحنا الخالصة مستروحين بما نقلناه عن بديع الزمان الهمداني فيما راسل به حفيده من تلك العبارات الذهبية التي حسن وقعها ساعته ولم تزل عالقة باذهان مستمعها الحلة

ونذكر اليوم بمزيد السرور انا قدر اينا اثار تكلم النصائح بادية باقبال تلامذة المعهد على دروسهم وعدم انخداعهم لمن رام ان يكيد لهم ويستعملهم كآلة يتوصل بها السخيف اغراضه فلم ترج عليهم خزعبلاته ولم يجد لدعايته الزائفة بينهم من سبيل بما اظهروا من الثبات وكامل الرصانة وتقديرهم لنصائح المشيخة قدرها التي جنوا اليوم ثمارها وحمدوا مغبتها واثارها (وعند الصبح يحمد القوم السرى) فكان للمعهد بحمد الله في كامل السنة محل الهدو والطمانينة وباء دعاة السوء وهواة الشقاق بصفقة المغبون

التعليم بالمعهد وفروعه

جرى التعليم بالمعهد وفروعه على مقتضى البرنامج الذي هيأته المشيخة قبل افتتاح السنة الدراسية فكانت الدروس يوم افتتاح المعهد والفروع منتظمة مكثضة بتلامذتها والمراقبة تجري عليهم من حيث الحضور والغية من طرف مشائخهم طبق التعليمات في ذلك من المشيخة مع افهام التلامذة بما اصدرته المشيخة في بلاغاتها واعلنت لهم به من ان سائر الترقيات العلمية واجراء الاختبارات والامتحانات عليهم اواخر السنة والمنع من ذلك تبنى على مواظبة التليذ واقباله على دروسه طبق الملاحظات المتلقاة من شيوخه في ذلك فكان لذلك التفقد اليومي اثره المقصود ووقعت الاجراءات على مقتضى ذلك واعلم اولياء التلامذة الذين لم يسمح لهم بالمشاركة في الامتحانات لتخلفاتهم التي نشأ عنها عدم مزاولتهم لمقررات السنة الدراسية وكان قيام اساتذة المعهد والمشائخ المدرسين من سائر الطبقات والمشائخ المتطوعين في دور نيابتهم عن بعض مدرسي الطبقة الثالثة في التعليم الابتدائي في الفروع قياما محمودا كل فيما ينيط بهدته تستوجب مزيد الثناء لما قد بذلوه من جهود قيمة ومن اسداء نصائح لتلامذتهم ابنائهم الروحانيين وتوخي الطرق المنتجة في اساليب التعليم شكر الله لهم وامد الجميع بالاعانة على ما فيه ترقية شان المعهد والصعود به في اوج الكمالات

الكتب التدريسية وطريقة اختيارها

الكتب التدريسية التي تبنى عليها موازنة الدروس وبرنامج التعليم المشار اليه انفا هي نتيجة مقررات لجنة علمية خبيرة تشكلها المشيخة برئاستها لها في كل سنة من بعض اساتذة المعهد ومدرسيه من سائر الطبقات لتعرض عليها الكتب الصالحة للدراسة وبعد درسها لها ومقررات السنة قبلها تبدي رايها فيما ترى لزوم تحويره من ذلك او ابداله بغيره من التأليف سواء في ذلك المؤلفات الحديثة وغيرها مما هو اوفق بالتعليم وايصال التلامذة مع استنهاض المشيخة لذوي المقدرة من اهل العلم بامدادها بمؤلفات تجمع بين الافادة وسهولة التعبير لتدخلها في برنامج التعليم وقد وقع بعض ذلك فعلا وهو مما يزاول اليوم وبه يفند زعم من زعم ان الكتب التدريسية التي تسيّر دولا ب الجامع الاعظم اليوم عديمة النفع غير صالحة للدراسة وانها من اسباب اخلال التعليم به وتعالى البعض في ذلك بما ادى به الى الخط من بعض علوم المعهد محاولا بذلك قلب هيأته والخروج به عن صبغته وعما هو قائم به نحو الامة التي تفديه بالنفس والنفس ولا تبغي به بديلا (والمعهد للامة لا لهؤلاء) .

تطرفت شذزمة قليلة تنتمي للمعهد وهي تكيد له تحت عنوان طلب اصلاحه زعمت ان التعليم بالمعهد والكتب التي تدرس به واساليب تدريسها وسائر تقاليد مما مضت عليه عدة قرون بما صيره عديم الجدوى ضئيل النفع غير ملائم للوقت الحاضر وللتطور الاممي واتسقت التوسع في علومه والتوغل فيها الامر الذي لم يرق لها في نظرها طالبة مزاحمة علومه الاصلية التي هي به بالمنزلة الاولى في القصد من تفسير وحديث وعلومه وكلام وفقه واصول وحكمة تشريع وعلم الاخلاق وغيرها من بقية علوم الدين واصول الشريعة وعلوم العربية على اتساعها الحافظة على الامة لفتها وقوميتها والحادمة لعلومها الشرعية رائمة مزاحمة ذلك كله بما هو في نظرها احدر نقعا واتم فائدة وذلك مما

يقضي على علوم المعهد الاصلية وجعلها بمنزلة دون المنزلة المقصودة منها مصرحاً بذلك البعض بأن المعهد لم يدخله تجديد ليومنا هذا كما دخل لغيرة فيروم اليوم تجديده بذلك وقد جهلت او تجاهلت هاته الفئة وظيفه المعهد ورسالته التي يقوم بها نحو الامة مما اسفنا .

كما جهلت ان العلوم التي تدرس به اليوم تناهز الاربعين علما من بينها ما تمس الحاجة اليه من العلوم الرياضية ونحوها التي يعبرون عنها في اصطلاحهم الخاص بالعلوم العصرية وهو غلط منهم اذ لا ينسب للعصر الا ما استجد فيه وهاته العلوم نجدها قديمة العهد مزاولة منذ عصور وحظ المعهد منها غير منقوص حيث يزاول به منها ما لا بد منه مما لا يراحم علومه الاصلية احتفاظا على اصل وضعيته حسبما اقتضاه الفصل ٢٠ من قانون الاصلاح .

اما الاصلاح المنشود اليوم للمعهد وادخال تحسينات على ما هو موجود به الآن فلا يعارض فيه احد اذ كل حسن قابل لزيادة التحسين (وفوق كل ذي علم عليم) .

وقد تكفلت الحكومة بذلك بتشكيلها للجنة من اهل العلم وذوي الثقافة خيرة باصول التعليم وطرائقه ووسائل تعميمه وكل ما يعود بالنفع على المعهد من جميع جهاته وهي تواصل الآن عملها بجهد وقد اشرقت ماموريتها على الاتمام مع محافظتها على صبغة المعهد الدينية وعلومه الاصلية وعدم الخروج به عما اسس له منذ القديم ، وفوق الجميع نظر امير البلاد ايداه الله بعا له من الرئاسة الدينية والذي له القول الفصل في كل ما يرجع لمصلحة الامة وحفظ شريعته المقدسة ومعهدا العلمي .

الامتحانات ونتائجها

اجريت امتحانات المعهد لدى اعضاء لجنة الاصلاح لكل من شهادات التحصيل في العلوم وفي القراءات والاهلية يعضدها في ذلك نخبة من مدرسي الطبقة الاولى وتخصصت اللجنة الاصلية بامتحانات شهادة العالمية في انواعها الثلاث الشرعي والادبي والقراءات كما تخصصت لجنة بالرياضيات من بينها بعض معلمي تلك العلوم وكانت مباشرة اولئك الشيوخ الجليلة لمهمتهم الموما اليها محل الثناء بما اظهروه جنانهم من كامل العناية ومزيد التحصيل واعطاء كل ما يستحقه مما يكون داعيا للاقبال على التعليم ويزرع في التلامذة نشاطا كما قامت نخبة من المشائخ المدرسين من سائر الطبقات وبعض اساتذة المعهد باختبارات التلامذة في سائر مراتب التعليم ، تختص الاساتذة من ذلك بالتعليم العالي وقد اظهر الجميع في ذلك من الحزم والنشاط ما يوجب اسداء الشكر لهم وتقدير ما قد قاموا به من تلك المهمة وكان عدد الذين شاركوا في امتحان شهادة العالمية في القسم الشرعي ١١ نجح منهم ٥ وفي الادبي اثنان وقع ارجاؤهما لدورة اكتوبر المقبلة وفي القراءات ٦ نجح منهم ٢ وفي شهادة التحصيل في العلوم ١٥١ نجح منهم ١٠٩ وفي القراءات ١٠ نجح منهم ٧ وفي شهادة الاهلية ٣٤٠ نجح منهم ٢٠٩ حسبما يقع للتصريح الآن باسمائهم وما احرز عليه البعض منهم من الجوائز وفي الختام نوجه ثناءنا لسائر متوظفي المعهد وفروعه من مشائخ كتبه وقيمين ووكلاء كتب وحافظي المكتبات واعوان الادارة كل فيما قام به مما ينطبع بهدته بحزم وامانة والله المسؤول ان يديم لهذا المعهد عمرانه ويشيد بمعالم العلم اركانه - لم تعاقبت في جوها غادية ورائحة وختمت المجالس العلمية بسورة الفاتحة .

القرآن الكريم

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ

من تفسير الاستاذ الامام المولى محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

استئناف محض ويجوز أن يكون بيانا لجواب سؤال متعجب ناشئ من سماع الاحوال التي وصفوا بها قبل وهي ما في قوله تعالى « يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون » فان من يسمع ان طائفة تخادع الله تعالى وتخادع قوما عديدين وتطمع ان خداعها يتمشى عليهم ثم لا تشعر بأن ضرر الخداع لاحق بها يعلم انها طائفة جدية بان يتعجب من أمرها المتعجب ويتساءل كيف خطر هذا بخواطرها ، فكان قوله في قلوبهم مرض بيانا للسبب وهو ان في عقولهم خللا تزايد إلى أن بلغ حدا لافق . ولهذا قدم الطرف وهو في قلوبهم للاهتمام لان القلوب هي محل الفكرة في الخداع فلما كان المسؤول عنه هو متعلقها واثرها كان هو المبتهم به في الجواب .

والمرض حقيقة في العارض للمزاج الذي يخرج عن حد الاعتدال الخاص بنوع ذلك الجسم خروجا غير تام وبمقدار الخروج يشتد الالم فان تم الخروج فهو الموت . وهو مجاز في الاعراض النفسانية العارضة للاخلاق البشرية عروضا يخرجها عن كمالها وإطلاق المرض على هذا شائع مشهور في كلام العرب . وتدير المزاج لازالة هذا العارض والرجوع به الى اعتداله طب حقيقي ومجازي كذلك قال علقمة :

فان تسالوني بالنساء فانني خبير بادواء النساء طيب

فذكر الادواء والطب لفساد الاخلاق واصلاحها . والمراد بالمرض في هاته الآية هو معناه المجازي

لا محالة لانه هو الذي اتصف به المنافقون وهو المقصود من مذمتهم وبيان مشأ مساوي اعمالهم .

ومعنى فزادهم الله مرضا ان تلك الاخلاق الذميمة الناشئة عن النفاق والملازمة له كانت تتزايد

فيهم بتزايد الايام لان من شأن الاخلاق اذا تمكنت أن تتزايد بتزايد الايام حتى تصير ملكات كما قال :

ورج الفتى للخير ما انت رأيت على السن خيرا لايزال يزد

وكذلك القول في الشر ولذلك قيل من لم يتحلم في الصغر لا يتحلم في الكبر ، وقال السابعة
يهجو عامر بن الطفيل :

فانك سوف تحلم أو تناهى اذا ما شبت أو شاب الغراب

وانما كان النفاق موجبا لازدياد ما يقارنه من سيء الاخلاق لان النفاق يستر الاخلاق الذميمة
فتكون محجوبة عن الناصحين والمربين والمرشدين وبذلك تتأصل وتتوالد الى غير حد فالنفاق في
كتمه مساوي الاخلاق بمنزلة كتم المريض داءه عن الطبيب وقد بينا ما ينشأ عن النفاق من الامراض
في الجدول المذكور هنا واشرنا الى ما يشير الى كل خلق منها في الآيات الواردة هنا وفي آيات اخرى
واليكم هذا الجدول :



إعلم أن هذه طابع تنشأ عن النفاق أو تقارنه من حيث هو ولا سيما النفاق في الدين فقد نهى الله تعالى لمذاق ذلك تعليما وتريية فان النفاق يعتمد على ثلاث خصال وهي الكذب القولي ، والكذب الفعلي وهو الخداع ، ويقارن ذلك الخوف لان الكذب والخداع انما يصدران من يتوقى اظهار حقيقة أمره وذلك لا يكون الا خوفا ضرر أو خوفا اخفاق سعي وكلاهما مؤذن بقلة الشجاعة والثبات والثقة بالنفس وبحسن السلوك ، ثم إن كل خصلة من هاتئ الخصال الثلاث الذميمة تولد هنوات أخرى فالكذب ينشأ عن شيء من البله لان الكاذب يعتقد ان كذبه يتمشى عند الناس وهذا من قلة الذكاء لان الشيء يعلم

ان في الناس مثله وخيرا منه ثم البله يؤدي الى الجهل بالحقائق وبمراتب العقول ولان الكذب يعود فكرر صاحبه بالحقائق المحرفة وتشبه عليه مع طول الاسترسال في ذلك حتى انه ربما اعتقد ما اختلقه واقعا وينشأ عن الامرين السفه وهو خلل في الرأي وأفن في العقل وقد أصبح علماء الاخلاق والطب يعدون الكذب من أمراض الدماغ. واما نشأة العجب والغرور والكفر وفساد الرأي عن الغباوة والجهل والسفه فظاهرة ، وكذلك نشأة العزلة والجهن والتستر عن الخوف ، وأما نشأة عداوة الناس عن الخداع فلان عداوة الاضداد تبدأ من شعورهم بخداعه وتعقبها عداوة الاصحاب لانهم اذا رأوا تفنن ذلك الصاحب في النفاق والخداع داخلهم الشك أن يكون اخلاصه الذي يظهره لهم هو من المخادعة فاذا حصلت عداوة الفريقين تصدى الناس كلهم للتوقي منه والنكايه به وتصدى هو للمكر بهم والفساد ليصل الى مراده فمرته الناس عن قوس واحد واجتني من ذلك ان يصير هزوا للناس اجمعين . وقد رأيت أن الناشئ عن مرض النفاق والزائد فيه هو زيادة ذلك الناشئ أي تأصله وتمكنه وتولد مذمات أخرى عنه ولعل تنكير مرض في الموضوعين أشعر بهذا فان تنكير الاول للإشارة الى تنويع أو تكثير وتنكير الثاني ليشير الى ان المزيد مرض آخر على قاعده اعادة النكرة نكرة ولو اريد ازدياد المرض الاول لقلل فزادهم الله المرض واسندت زيادة مرضهم الى الله تعالى للتنبيه على خطر الاسترسال في النوايا الجبشة وانه يزيد تلك النوايا تمكنا من القلب فيتعذر الاقلاع عنها فلما خلق الله هذا المعنى في النفوس حذر الناس من اسبابه فجعلته فزادهم الله مرضا خبرية معطوفة على قوله في قلوبهم مرض واقعة موقع الاستيناف للبيان داخله في دفع التعجب أي ان سبب توغلمهم في الفساد ومحاولتهم ما لا ينال لان في قلوبهم مرضا ولانه مرض يتزايد مع الايام تزييدا مجعولا من الله تعالى فلا طمع في زواله وقول بعض المفسرين هي دعاء عليهم كقول الشاعر :

تباعد عني مسمع اذ دعوته ❁ امين فزاد الله ما بيننا بعدا

تفسير غير حسن لانه خلاف الاصل في العطف بالفاء ولان تصدي القراء ان لستمهم بذلك ليس من دأبه ولان الدعاء عليهم بالزيادة تنافي ما عهد من الدعاء للضالين بالهداية في نحو اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون (وقوله ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون) معطوف على قوله فزادهم الله مرضا اكلا للفائدة فكمثل هذا العطف بيان ما جرة النفاق اليهم من فساد الحال في الدنيا والعذاب في الآخرة وليس معطوفا على (ومن الناس من يقول) لانه ان جعل عطف على قوله من الناس لم يكن بينهما تناسب اذ قوله ومن الناس مبدأ تفصيل أحوال فريق ثالث كما قدمنا فلا يناسب ان يعطف عليه ما هو من أحوال ذلك الفريق وان جعل عطف على الصلة وهي يقول لم يصح اذ ليس استحقاقهم العذاب بمعلوم حتى يتميز الموصول به ويكون من الاحوال المختصة به في علم المخاطب . وتقديم الجار والمجرور وهو لهم للتنبيه على انه خبر لا نعت حتى يستقر بمجرد سماع المبتدا العلم بان ذلك من صفاتهم فلا تلهو النفس عن تلقيه .

الحديث الشريف

حقوق المسلمين على بعضهم

اخرج الامام مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ ، إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْهُ ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ ، وَإِذَا مَرَضَ فَعُدَّهُ ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ .

الشرح

ان الله تعالى جعل الامة الاسلامية وسطا مثال الكمال ، عالية الحصال ، بها يقتدى ومنها تلتبس الفضيلة ، وحلاها بازكى الصفات ، وارشدها الى الاداب المرضية والحقوق المرعية فالرسول الاعظم ، والمرشد الاكرم ، صلى الله عليه وسلم ، قد علم المسلمين ما يجب عليهم من الحقوق وما يتحتم ان يتخلقوا به من كريم الحلال ، ويتأدبوا به من الآداب ، ليتم ما انتدبوا له ، من غير افراط ولا تفريط فاهتدى بهديه اصحابه الاعلام ، حتى كانوا مثال الفضائل ، واتخذهم الناس قدوتهم

والاليم فعيل بمعنى مفعول وأصله عذاب مؤلم بصيغة اسم المفعول ووصف العذاب به مجاز عقلي لان المؤلم بالفتح هو الذي مسه العذاب وليس هو نفس العذاب وهذا كما قالوا جد جده أو هو فعيل بمعنى فاعل من ألم بمعنى صار ذا ألم وأما ان يكون فعيل بمعنى مفعول أي مولوم بكسر اللام فمما لم يسمع في هذا الوصف وسمع في نظيره واختلف في جواز القياس عليه .

وقوله بما كانوا يكذبون الباء للسببية وقرئ يكذبون بتشديد الذال ويكذبون بتخفيفه فاما التشديد فعلى تكذيبهم الرسول واما التخفيف فعلى كذبهم الخاص في قولهم ءامنا بالله وعلى كذبهم العام في قولهم انما نحن مصلحون .

المثلى ومما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأكد، وعلم أصحابه وأرشد، حقوق الناس على بعضهم، فإن أمرها عظيم وبقدر ما يترتب على رعايتها من المحاسن وعلى تضييعها من المساوي يكون الجزاء .

والحقوق جمع حق والحق هو الأمر الثابت الذي تلزم مراعاته والاهتمام به .
ثم الحقوق التي أوجبها الشرع على الناس لبعضهم وتلزم مراعاتها والاهتمام بها على نوعين خاصة وعامة
أما الحقوق الخاصة فلم يتعرض لها هذا الحديث لأنه ليس مساقا لبيانها وهي ما تترتب على أمر خاص بين اثنين أو أكثر كحقوق الزوج على زوجته وحقوقها عليه وكحقوق الأب على ابنائه وحقوقهم عليه ونحو ذلك .

وأما العامة فهي حقوق المسلمين على بعضهم لا فرق في ذلك بين الأمير والحقير والنبيل والصلعوك وهذه هي التي عنها الحديث بالبيان ولم يذكر جميعها وإنما اقتصر على ست منها حسبما دعت الحاجة لبيانها . فإن التشريع كانت الطريقة المتبعة فيه أن يكون تدريجيا وبحسب ما تدعو الحاجة إليه وكذلك إرشاد الله صلى الله عليه وسلم ووعظه فهذا الإمام البخاري يحدثنا في صحيحه عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الأيام كراهة السامة علينا، ولكل مقام ما يناسبه من الإرشاد، فإني صلى الله عليه وسلم يتفقد أحوال الناس وما هو الأنسب لأوقاتهم فيلقي عليهم مواعظه الطيبة الأثر وينشر بينهم آداب الإسلام وما أثره الحميدة فمناقبه في علاج أسقام الأمة بمناقب الطبيب الماهر والحكيم الخبير يعطي من الدواء بالمقدار الملائم للمرض ويتمشى معه في طريق العلاج مترقيا في مقدار الدواء حتى لا يمل المريض ويكره الدواء فيصعب علاجه ويستفحل دأؤه ويعز شفاؤه فلذلك نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يذكر حقوق المسلم على المسلم ويعد منها في هذا الحديث ستة حقوق والعدد لا مفهوم له كما هو مقرر في الأصول المستنبطة من تتبع نصوص الشريعة واستقرائها فلا إشكال حيثئذ ولا تعارض بين هذا الحديث وغيره مما تعرض لغير الست من الحقوق أو المأمورات . فقد جاء في بعض الطرق بلفظ امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء أيضا عدها سبعا . من ذلك الحديث الذي رواه البخاري وغيره من عدة طرق منها عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال امرنا النبي صلى الله عليه وسلم بسبع ونهانا عن سبع امرنا بعبادة المريض واتباع الجنازة وتشميت العاطس وأجابة الداعي ورد السلام ونصر المظلوم وإبرار المقسم . ونهانا عن سبع عن خاتم الذهب أو قال حلقة الذهب (شك من الراوي) وعن لبس الحرير والديباج والسندس والمياثر .

وأول الحقوق التي عدها الحديث الشريف (السلام) فقال صلى الله عليه وسلم مخاطبا من حضر مجلسه الشريف - وهو خطاب عام لكل من يصح منه التلقي - إذا لقيته (أي المسلم) فسلم عليه . اللقاء الاجتماع بعد الافتراق

والسلام هو الامان والسلامة من كل مكروه ظاهره وباطنه ، فقول المسلم لاخيه المسلم الذي تربطه وايه رابطة الدين والاخوة الاسلامية - واعظم بهما من رابطة - السلام عليك بمعنى أأمنك من كل مكروه وأعطيك الامان والسلامة من كل خطر وأتباعد بك عن الحيانة والغدر ونحو ذلك فهي تحية طيبة مباركة جاء بها الاسلام يحیی بها المسلم أخاه فتعبر عن معان سامية هداهم اليها دينهم الذي ارتضاه الله لهم وادبهم بأشرف الآداب وأزكاها وتكون لهم نعم العون على احداث التعارف والتوادد وداعية للحبة والالفة وطريقا الى الجنة قال صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا ادلكم على امر اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم والحديث جعل على المسلمين حق السلام عند الملاقاة ولم يخص أحد المتلاقيين بالتحية فعلها من اطلاقه ان ذلك الخطاب موجه لهما وأفضلهما من بادر بها وحصل على مزية الاسبقية كما يدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : إن أولى الناس بالله من بدهم بالسلام (١) فاذا سلم وجب على الآخر رد التحية بالمثل ، واحسن اذا زاد عليها اما وجوب الرد فانه عدة صلى الله عليه وسلم حقا على المسلم كما في الحديث الذي رواه ابو سعيد الخدري رضي الله عنه واخرجه البخاري ومسلم وابو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : إياكم والجلوس على الطرقات ، فقالوا ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها ، قال : فاذا أيتم الا المجالس فأعطوا الطريق حقا ، قالوا : وما حق الطريق ؟ قال : غص البصر وكف الاذى ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر

فعد صلى الله عليه وسلم من الحقوق الواجبة رد السلام حيث ان المفروض ان المار اذا لقي المسلمين حياهم بتحية السلام فقال : السلام عليكم ، وهو ما بينه الحديث الذي رويناه ، فمن حقه عليهم ان يردوا عليه السلام فعلها من الحديثين ان من الحقوق العامة على المسلمين التحية بالسلام والرد وقدر ارشد القرءان الكريم الى هدا الى فضل الزيادة في قوله جل ذكره (واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اوردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا) قال جمهور العلماء المراد بالتحية السلام وبنوا عليه وجوب الجواب على التخيير بين ان يكون باحسن منه وهو الافضل بان يزيد عليه ورحمة الله وبركاته قال البيضاوي وغيره وهو النهاية أو برد مثله من غير ان يزيد ، والزيادة المأثورة بذكر الرحمة والبركة قد استجمعت مع الاصل جميع اصول المطالب التي يسعى الناس اليها - وهي السلامة عن المضار الدال عليها لفظ السلام ، وحصول المنافع الدال عليه لفظ الرحمة ، وثباتها ودوامها الدال عليه لفظ البركة ، وما قاله القاضي البيضاوي من أن في قوله والبركة نهاية الرد هو رأي كثير من العلماء وذهب قوم الى ان الزيادة لا تقدر بكيفية ولا بكمية وهو الاظهر لاطلاق النصوص الدالة على فضل الزيادة وكان ابن عمر رضي الله عنهما يزيد باكثر من البركة في مواطن فقد اخرج البخاري في الادب المفرد عن سالم مولى ابن عمر قال كان ابن عمر اذا سلم عليه فرد زاد فاتيته فقالت السلام عليكم فقال : السلام عليكم ورحمة

(١) الحديث اخرجه ابو داود والترمذي من طريق ابي امامة رضي الله عنه

الله تعالى ثم أتيت مرة أخرى فقلت السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، فقال: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته وطيب صلواته وقد استثنى مواطن لا يجب فيها رد الجواب فلا يرد في الخطبة وقراءة القرآن وفي الحمام وعند قضاء الحاجة وفي الوضوء وعند التيمم (١)

هذا وقد جاء البيان بمن يبدأ بالسلام في بعض المواطن فيبدأ الراكب بالسلام على الراحل والقادم على الحاضر والمار على القاعد والقليل على الكثير قال عليه السلام (٢) يسلم الصغير على الكبير والمار على القاعد والقليل على الكثير وفي رواية أبي هريرة ويسلم الراكب على المشي ثم ان ظاهر لفظ الحق يدل على وجوب السلام ولكن قامت القرائن على انه حق ادبي نقل ابن عبد البر وغيره ان الابتداء بالسلام سنة واما رده فهو واجب، فان كان المسلم عليه واحدا وجب الجواب علينا وان كان جماعة فالجواب فرض كفاية في حقهم لما اخرجهم أبو داود مرفوعا قال يجرى عن الجماعة اذا مروا أن يسلم احدهم ويجزى عن الجلوس ان يرد احدهم . وقد اقتصر الحديث في بيان حق السلام عند اللقاء ولم يتعرض لحال الفراق وقد جاء بيان ما يطلب فيه في حديث اذا قعد احدهم فليسلم واذا قام فليسلم وليست الاولى باحق من الآخرة رواه أبو داود الترمذي فعلمنا منه ان من اداب المفارقة ان يسلم المرء على من سيغادر مجلسهم ففي هذه التحية من المكارمة ما في الاولى - وها نحن نرى ونذكر ان من يغادر مجلسه من غير ان يحيي جلساءه يحدث صنيعه في نفوسهم بعض الوحشة فان في تبادل السلام يشعر كل من راد السلام وملقيه بميل نحو صاحبه وفي تكرره ينمو ذلك الميل والناس يصفون المقصر في السلام باخس الصفات ويتخذون ذلك منه أمانة على كبره وغلاض طبعه وشراسة اخلاقه وللتحاشي من هذا الظن حث صلى الله عليه وسلم على بذل السلام على من عرفت ومن لم تعرف زيادة عما يحدث من السلام على من لا يعرف من ربط العلائق بين الناس بعضهم ببعض واحداث التعارف والالفة وتنمية الاخوة واستحكام علائقها فان ذلك مقصد عظيم من مقاصد الشريعة السمحة وهدي نبوي اهتدى به المسلمون فنرى المسلمين والحمد لله يسلمون على بعضهم بتحية الاسلام فتنزل على قلوبهم بردا وسلاما ولكن يسوؤنا ان بعض الشبان قد استبدل هذه التحية الطيبة المباركة بغيرها من الالفاظ الدخيلة جهلا منهم بمزية ما اديهم به الرسول . كما انه سرى لبعض العقول السلام على من هو دونهم في المظاهر الدنيوية يزري بمقامهم فيترفون عنه وهذا ايضا منشأ عدم ترويض النفس بالاخلاق الطاهرة المحمدية فليحذر الناس من شر هذه الفتن النفسية التي تردي بصاحبها في هاوية سحيقة وليتنبه المرء الى أن من أهم مقاصد الاسلام بث روح الاخوة الاسلامية بين الطبقات وليجعل امامه قوله عز وجل:

(١) احاديث اخرجها أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي
(٢) الحديث رواه الشيخان وامام دار الهجرة وابو داود والترمذي والدارمي

التعاضد المتين

بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

١٢

الاسلوب العلمي العربي

ان اسماعيل مظهر في كتابه تاريخ الفكر العربي رمانا بنوع من السهام صنع معمل الشعوبية المغرضة فرعم ان اسلوب العرب في علومهم العقلية وغيرها اسلوب غيبي بخلاف اسلوب الاروبيين فانه اسلوب يقيني زاعما انهم نقلوا ما نقلوه من علوم اليونان بواسطة المدرسة الاسكندرية التي ادخلت في كل علومها الطلاسم والعزائم ونحو هذا : ويشير الى ما جاء في القرآن العظيم (يؤمنون بالغيب) سورة البقرة .

جوابنا (١) المشاهدة تكذب هذا فان كتاب اقليدس في الهندسة مثلا الذي هو عمدة الفن والذي بذل العرب جهودهم المتعبة في ترجمته من لدن المائة الاولى هجرية وتحافظوا عليه الى ان وصل ليد الاروبيين مشروحا مختصرا معلقا عليه وامثاله من كتب الحساب والجبر وغيرها كل ذلك سالم من هذه الوصمة .

وهذا جابر ابن حيان المولود في المائة الاولى والمتوفى في اواخر الثانية اول من هدى الاروبيين باعترافهم الى علم الكيمياء العملي الحقيقي الحالي من كل تدجيل وغيب وما تفتنت اروبا الى كتبه وهي في خزائنها الا منذ نحو مائة سنة وبدراسهم لكتبه واكبايم على تجاربه الصادقة العجيبة اعتدوا

انما المؤمنون اخوة، ويتدبر ما في هذه الآية من معان سامية ليسهل عليه اطفاء ما يدور بخلد من العزة والجبروت وليتشبه الى ان تحيته لاخيه الضعيف لا تزيد في نظره ونظر الناس كافة الاكل اجلال وتعظيم وان طغيانه وجبروته لا يورثانه الا الندامة ولو بعد حين وفي مسند أحمد ان من أشرط الساعة أن يسلم الرجل على الرجل لا يسلم عليه الا لمعرفة، سلطنا الله من شزور انفسنا الجامحة وهذا ان الى صراطه المستقيم .

(يتبع)

محمد الشاذلي ابن القاضي

لوجه الصواب في هذا الفن العظيم الذي به تقدموا وافتخروا وقهروا العالم وهي تجارب خالية من كل تدجيل .

نعم عنده كتب فيها شيء من الامور الغيبية والطلاسم وذلك شأن العارف البصير الذي يختبر كل الطرق ويسلك منها ما هو موصل للغرض وذلك مدح له لا ذم .

فهو الرجل العظيم الذي ازاح الستار بتجاربه عن اعظم فن افتخروا به وقد خصصته بترجمة مستقلة وستلحق في المذياع قريبا .

ترك نحو ٥٠٠ كتاب منها كثير موجود الان الاكثر قد فقد فمن كتبه ما هو من الاسلوب الذي عابه ولا عيب يلحقه لان الرجل كان يستقصى في البحث كل طريق الى ان اهتدى للطريق الحقيقي فجلى فيه واعترف له المنشرق برتيلو الفرنسي في كتابه تاريخ الكيمياء في القرون الوسطى وغيره قائلا انه في علم الكيمياء كارسط طاليس في علم المنطق يعني الاول واضع الكيمياء والثاني واضع المنطق . فالطريق الغيبي موجود عندنا وعندهم والمتخصص فيها قليل لا يضر سمعتنا العلمية (٢) ان قوله تعالى يومئذ بالغيب ليس معناها ان الله اوجب علينا الاعتراف بكل غيب ولو

خالف الشهادة ولو كان وهما وخيالا - كلا - ثم كلا الف مرة

الغيب الذي مدحنا بالايمان به هو ما بينه بائر هذه الآيات والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون اوجب علينا الايمان باليوم الآخر وهو اصل الكمالات في سائر الديانات . وان تؤمن بالقرآن الذي انزل على نبينا وبسنننا التي تواترت الينا وبما انزل على الانبياء قبله مما وصل الينا غير محرف دون من بعده فمفهوم لفظ من قبلك متحكم في معنى الآية اما ما يزعمه من جاء بعد نبينا من مغيبات كشفية او ذوقية او من يقول راي النبي صلى الله عليه وسلم يقظة او مناما وامرني او اخبرني فهذا ليس مما يجب اعتماده في الدين ولا هو بحجة باجماع المسلمين ولا يعتمد في دينه او دنياه الا معتوه او جاء مشعوز بطلسمات وعزائم كل ذلك لا يساوي عندنا شيئا وهو الذي نسميه اوهاما وخرافات ولا ينبغي تلطيح سمعة المسلمين به فالمسلمون الحقيقيون يعتبرونه تدجيلا وخرافات ويحرمون عمل الطلسمات والعزائم ويحكمون بمعاينة من يشتغل بها فهذا الاسلوب الغيبي الذي يعيب اسماعيل مظهر علوم العرب به كله عندهم خارج عن الدين غير ملتفت اليه عند من هم عمدة في علم الدين او علوم الدنيا وهذه الطائفة التي تشتغل بالاوهام الغيبية موجودة عند كل الامم وربما كانت الآن في اوروبا اكثر من غيرها وكما انها ملموزة ممقوتة هناك ملموزة هنا ولا يشتغل بخرافاتها الا جهلة العوام ولا دخل لخرافاتها في امر الدين بل نحن نعتبرها هدامة للدين وامور سياسية واقتصادية شباك صيد بيد البطالين والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم

انتهى

رفع اللبس عن خطبة تزكية النفس

بقلم الفاضل الزكي الشيخ الجليلاني حمزة
الامام بجامع مصطفى حمزة بالمهدية

وقع لبعض الافاضل توقف في موضعين من الخطبة التي نشرتها بالعدد الاول من السنة الثالثة من المجلة الزيتونية الغراء فرايت من الواجب علي دفعا للالتباس وزيادة لتحقيق الموضوع ان اتعرض بالشرح والبيان للموضوعين المذكورين لكن قبل الشروع في ذلك لا بأس ان اوضح لقراء المجلة الافاضل خطورة المهمة الملقة علي نحو الوعظ والارشاد ومدى الحطة التي اسلكها تجاه هذه الغاية النبيلة والذي أحب ان يعلمه القراء هو ان الوعظ أحد سلاح ندفع به اخطار الجرائم وأنجع دواء نكافح به وباء الشرور والآثام التي غمرت هذا العصر بطوفان جارف لا نجاة لنا منه الا بان يعد الواعظون المصلحون سفينة النجاة لينقذوا البشرية من حمأة الرذائل التي تفاقم خطبها واشتد كرها واستعصى داؤها، والرذائل اذا فشت في امة هدمت بناءها واورثتها خرابا ودمارا وجعلت اهلها اعداء بعضهم لبعض فتجسهم جميعا وقلوبهم شتى لذلك نحفل كل واعض بل كل مسلم ان يجاهد بماله وبأسانه وهو واقف عند حد الحق والقانون لا يجيد عنهما قيد شعرة ولا انملة ليسلم ويامن ويؤدي ما وجب عليه ويجتني ثمرة طيبة من عمله، فالدين قد انطى بكل فرد من افراد المسلمين واجب السعي في اعلاء كلمة الدين وان اعظم ما يثاب عليه المسلم السعي وراء تحقيق السعادة واعلاء شان الامة بقدر ما يستطيع

انه لا يكفي المسلم ان يقول اننا مسلم وهو خامل لا يعمل بجهد ونشاط على اعزاز دينه وعلى تبوئه عرش الكرامة والعزة والا كان مغرورا في دينه والغرور في الدين مرض يتولد منه كبير من امراض الحياة وهيئات ان تستقيم حياة مع امراض. لقد طفقت افكر فيما نحن فيه الآن من سوء الحال وفساد الحلال فدمعت العينان وحزن القلب على ما جل بنا في هذا الزمان من اندحار في الاخلاق وتنطع في الطباع فقد نزلت الاثرة وحب النفس مكان العطف وحلت القسوة محل الرحمة واستبدل البخل بالكرم وغلت الايدي الى العنق بدل البذل والسخاء في مواقف الشرف واعراض الانسان عن الشهامة بالنذالة والامانة بالخيانة والكرامة بالدناءة وبالحملة فقد عمت الفوضى وراجت سوقها في كل ناحية من نواحي الحياة وبات المصلحون حيارى لا يدرون الى اي هاوية نسير في هذا العصر المتأخر الذي يقول اهل جيلنا الحاضر فيه انه عصر الحرية والنور ولو انصفوا السعوى عصر السماجة والفجور لاننا لا نعلم زمانا اجترأ فيه الناس على الاثم والعدوان كهذا العصر فاننا نرى المرء يرتكب ما يرتكبه

ولا يبالي بان يعرف بين عشيرته وحيرانه بانه على غير هدى وعلى غير اعتدال في كثير من شؤون حياته لذلك قاتنا اذا اكثرنا من عتاب اخواننا المسلمين على تقصيرهم في الحياة وشؤونها ولا سيما ما يتصل منها بالدين والاخلاق لم يكن قصدنا بذلك الا دلالة المسلم على ما به من عيب ونقص ليسعى في علاج نفسه واصلاح حاله فلقد عاهدنا الله عند التصدي لمهمة الوعظ ان نجهر بالحق ولا نخشى فيه لومة لائم ولا سيما في شؤون الدين الخفيف ما دمنا في حضيرة قانون الاخلاق وكذلك عودنا انفسنا ان نخشى الله قبل ان نخشى الناس فرسول الله صلى الله عليه وسلم قد حذر تحذيرا شديدا كل من يشاهد غيره يتجاوز حدود الله ولا يتقي محارمه ثم لا ينهاء عما هو فيه، فقال صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين : (مثل القائم في حدود الله والواقع فيه كمثل قوم استهموا على سفينة، فكان بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها، فكان الذي في اسفلها اذا اخذوا الماء مروا على من فوقهم فقالوا لو انا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فان تركوهم وما ارادوا هلكوا وهلكوا جميعا وان اخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا) حقا لقد صار اهل الاصلاح في تشخيص داء المسلمين وفي وصف الدواء الذي يستاصل هذا الداء ويذهب به في حيرة والحق انه لا حيرة ولا غموض فداؤهم ذو شعب وفروع

واصله انهم نبذوا دينهم وراء ظهورهم فكان عاقبة امرهم ان صار بعضهم لبعض عدوا حتى قال بعض ملوك الاسلام ما اخشى على المسلمين الا من المسلمين وهذا قول فصل ليس بالهزل فانه ما من ضر واذى يصل الى اهل الاسلام الا على يد مسلم او من طريق فيه مسلم . فهل الذين يستعين بهم اعداء الملة على الاضرار باخوانهم هم بحق وصدق مسلمون صادقو الاسلام ومؤمنون كاملو الايمان ؟ كلا ثم كلا فالايمان له امارات تدل عليه لا يثبت بمجرد الدعاوي وقد اخطأ من ظن ان الاسلام هو ان يمسك المرء السبحة بيديه ويقب خرزها باصبعيه ثم تراه بعد ذلك ياكل لحم اخيه وينبش عن مساويه ويوشي به من غير حق ويخدعه ثم يزيد يحتال في ذلك الخداع كما يحتال المرء في اصطيد الحيوانات الضارة فينصب لها الفخاخ والمصائد ويضع فيها اللحم والشحم ويفتح لها باب الضيافة فاذا ولجت الابواب امسكت الفخاخ بلحمها وعظمها واوردتها موارد الردى ولا شك ان الخداع لا يتصف به الا فاجر تجرد من مزايا الايمان فهو لا يرعى عهدا ولا يرقب من الناس احدا واني لا استقبح في هذه الدنيا شيئا بعد الكفر بالله كاستقباحي للاضرار بالناس بل اجد نفسي غير مستعدة لان تقبل عذر من يسعى في الاضرار باخيه ما لم يكن في ذلك اقامة للحق او دفاع عن النفس والعرض فانه تعالى يقول (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) نسأل الله ان يرزق المسلمين تبصرا في دينهم حتى يستطيعوا ان يروا الاسلام بالعين التي يجب ان يرى بها .

هذا ولنشرع في شرح الموضوعين اللذين اشرت اليهما في طالع المقالة شاكرا لفضيلة الاستاذ الامام سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي عنايته السامية التي لم يزل يفيضها على الوعظ

والوعاظ في كل مناسبة وما هذا الشرح والبيان الا نتيجة من تذكيره وتنبيهه ابقاء الله ذخرا للاسلام والمسلمين . وشرح الموضوعين يرجع الى فقرتين الاولى هي قولي في طالع الخطبة (ايها الاخوان ان اعمال الخير اثر الايمان ولا يكون المؤمن مؤمنا الا اذا كان لاعتقاده الباطن اثر في عمله الظاهر . اما من اكتفى من الاسلام باسمه . ومن الشرع برسمه . ثم لا يكون لذات اثر في تركية نفسه . فهو من المنافقين . وان صلى وصام وزعم انه من المسلمين . لان مخالفة الظاهر للباطن آية النفاق . والمنافقون في الدرك الاسفل من النار . ولهم في الآخرة الحزني والعار) والجواب على ذلك هو ان مرادي بالنفاق النفاق العملي لا الاعتقادي لان النفاق كما لا يخفى ينقسم الى قسمين نفاق ديني ونفاق عملي فالنفاق في الدين معروف وهو اظهار الايمان او التظاهر بالايمان واخفاء الكفر والنفاق العملي هو التظاهر بالحسن واخفاء القبيح فللنفاق في الاخلاق انسان حي يغدو وبروح ولكن وجوده قدر الانسانية ودنسها برجسه وخسة فعله وؤم طبعه فهو في الحاق والصورة انسان ولكنه في الحقيقة مارد وشيطان تراه يظهر لك المودة في كل لحظة من لحظات حياته فيهتف بحزايك في كل ءان ويمدحك في وجهك وفي كل مكان ، يطرق بابك بكرة وعشيا يسأل عك ويتودد اليك فتحسبه بذلك صادقا في الصورة التي ظهر بها ربما افضيت اليه بشيء من كامن اسرارك التي لا يطلع عليها الا الصديق الحميم والحل الوفي وبعد ايام تنكشف لك حقيقته ويفضح لك امره وغدره فاذا به محتال ولئيم ينصب فخه ويغويه بالرماد وقدمني اكثر الناس في هذا الزمان بهذه الصفات وقشت فيهم . وجونا مملوء بهذا النوع نوع المنافقين نفاقا خلقيا وهم الذين غيتهم في الفقرة الاولى من خطبتنا فهم في الحقيقة علة العلل في انحلال الامة وشقائها واذلالها .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في النفاق العملي (اربع من كن فيه كان منافقا خالصا وان صلى وصام وزعم انه مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر) وعندي ان من وجدت فيه الخصال الاربع مجتمعة ولا يبالي بها بعد انذار الله وتشديد رسوله صلى الله عليه وسلم فليبشر نفسه بسوء الخاتمة والعياد بالله تعالى نسأل الله ان يجنبنا النفاق بفضله وكرمه .

من هذا يتبين لك ايها القاري الكريم ان المراد بالنفاق في الخطبة نفاق العمل وصاحبه وان لم يعتبر خارجا عن الملة ولم يكن في الدرك الاسفل من النار لكن له من دركاتها وعذابها على قدر الآثار السيئة التي تنشأ عن نفاقه والمضرات التي تلحق الناس من خديعته وقد وصف القرآن الكريم ارباب النفاق فقال (يقولون بافواههم ما ليس بقلوبهم) ومن الآيات التي تكاد تكون صريحة في وصف النفاق الاجتماعي قوله تعالى (ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو اعداء الخصام واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبس المهاد) نزلت هذه الآية في منافق خاص وقيل في المنافقين عامة ولا يخفى ان الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد وقد طبق هذه الآية بعض علماء السلف فقالوا (ان الله عباد الستهم اخل من العسل وقلوبهم امر من الصبر لبسوا للناس جلود الضان من الدين ليبحروا الدنيا بالدين) وعلى هذا فان الآية تشمل في عمومها اولئك الذين يتظاهرون في

مجالسهم مع الناس بحبهم لعمران بلادهم ورغبتهم في اصلاح شؤونها ويؤكدون اقوالهم باغلب الايمان ويكونون هم في الباطن مبغضين لكل اصلاح اجتماعي بدليل انهم اذا قاموا من مجالسهم الى ممارسة اعمالهم كانت مساعيهم منصرفة الى تخريب البلاد والتمويه على العباد. اما الاحاديث الواردة في ذم النفاق والمناقين فكثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم (من ارى الناس فوق ما عنده من الخشية فهو منافق) رواه مسلم في صحيحه والمراد بالخشية الخوف يتظاهر بذلك تظاهرا

ومن ضرور النفاق والرياء من يتصدى لنصح الناس ووعظهم وأعماله تخالف ذلك كمن يزهد القوم في جمع المال وهو مكب عليه وكمن ينهى الناس عن المسكر وهو غريق في دنائه صباحا مساء وكمن يحذر المسلم محاربة الله ورسوله بالتعامل بالربا وهو ياكل ويشرب مما يدره عليه هذا الحرام ورحم الله من قال

ما اقبح التزهيد من واعظ يزهد الناس ولا يزهد
لو كان في تزيهده صادقا أضحي وأمسي بيته المسجد
يخاف ان تتفد ارزاقه والرزق عند الله لا يفقد
والرزق مقسوم على اهله يناله الابيض والاسود
وقول الآخر

وغير تقي يامر الناس بالتقى طيب يداوي الناس وهو عليل

فليحذر المرابي هذا الامر من نفسه ولا يفعل فعل ذلك الواعظ الذي سرق الدجاجة ثم قام يخطب في القوم ويحضمهم على ممارسة الفضيلة والعفة عما في جيوب الناس واذا بالدجاجة تفرقر في حبيبه فالوعظ لا يثمر ثمرة الطيب الا اذا اقترن به عمل الواعظ (يا ايها الناس لا تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون)

الفقرة الثانية قلت : (ان ابليس خير من هؤلاء الكذابين الدجالين . لان ابليس كان عاقلا وصادقا حين قال : رب بما اغوتني لازين لهم في الارض ولاغوينهم اجمعين الاعداء منهم المخلصين . فلم يكذب ولم يخادع ولم ينافق واعلم انه يستفي منهم المخلصين .) والجواب على ذلك انه لا يخفى على القاري ما ينتج عن الخصال المتقدمة من الفساد والشرور وتباغض الاحباء وتقاطع المتعاهدين على الصفاء والوفاء فكانت هذه الخصال الذميمة منافية للاسلام لان تتبع المسلم لعورات اخيه وبخه عن اسراره يريد بذلك هلاكه وفضيخته والتكيل به كلما قدر عليه ولم يسلم من عظيم اذايته احد قدر عليه ويتوصل الى اغراضه بخادعته لذلك قلنا ان ابليس خير من هؤلاء لان ابليس فرق بين المخلص وغيره وعلمنا شره فلا نتركه يسيطر على نفوسنا ولا تتبع غوايته فشرورة يمكن التحرز منها اما هؤلاء فسقط في ايديهم ونحن نظن يوم خيرا . ومن تعلم مضرته خير لك ممن اخفاها عليك . فكان هؤلاء يجهلون ان الله يعلم ما يفعلون او كانوا اتخذوا عند الله عهدا الا يحاسبوا ولا يسألوا فلا لوم حينئذ على من يرى أن أمثال هؤلاء شر من ابليس وليس بعيد ان يكون امثال هؤلاء الضالين سبب النكبة العامة التي حكم الله بها على البلاد كما حكم على العباد فقال في كتابه الكريم (وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك في الكتاب مسطورا)

الملاحيء الخيرية الاسلامية

في الدولة الموحدية والمرينية بالديار المغربية

بقلم العلامة الجليل الحافظ المولى
محمد عبد الحى الكتاني دام نفعه

٣

ان اقل نظرة يلقيها الرجل على فاس يجد انه يحيط بها بنايع اربعة كل ينوع قاطع لحرثومة داء فالحة
اليعقوبية لداء الجلد والقروح والحمة الحولانية للمعدة وبحري البول وحمة زالغ المعروفة بحمة وشتاة
لداء الراس وحمة بني سادة التي بضفة وادي سبوا الغير ذلك فاي قاعدة في العالم تكتنفها اربع حيات كل
واحدة لداء هذا زيادة على ما في بنايع ماء وادي فاس وبحاربه من العشب والنباتات التي لها من الخواص
ما تتبعه ابن ابي زرع والجزداعي وابن القاضي وغيرهم من مؤرخي فاس . الى كون بناء المدينة جاء
في مصب وادي الجواهر فيدخل اليها نقياً ثم يخرج بفضلات اهلها فليس هناك بلدة في الدنيا يخرج
الماء بسائر فضلاتها في وقتها عداها فلا تحتاج الى مطامر لحزن الفضلات لتباع بعد الادخار ولا
لاستخدام آلاف من الرجال وءالات يحملها سرا ان لم يكن جهاً كما هو الجاري في سائر بلاد
المعمور ولا شك ان هذا يدل دلالة واضحة على عظمة هذا الرأس المفكر وبعد غور هذا المؤسس
العربي الفذ المدبر ولا شك ان الحكمة بنت النبوة وهو احرى واجدر بالتفضل والقوة وقد ذكر
ابن القاضي في الجدوة ان الذي اعتنى ببناء حمة خولان على وجه محكم لتتم به مصالح الناس السلطان
ابو الحسن المريني رحمه الله . بقى ان نختم هذا المقال بمسالة هامة تتعلق بالمستشفيات الاسلامية
كان احد الاطباء في مستشفى الحكومة الاكبر بفاس قبل سال هل هناك من تكلم على العمل الجاري
قديمًا في تغسيل الموتى وغسل ثيابهم اذا ماتوا بداء معدي في المستشفيات الاسلامية المذكورة وقد كان
اشتد بحثي عن نص صريح يؤل معناه الى البيان حتى ظفرت بكتاب في الطب لابي عبد الله محمد
ابن يحيى الشيخ السوسي فوجدته يقول حين تكلم على الوباء والعمليات الطبية التي يجب ان يعامل
بها وكيف يتعامل الاصحاء مع المرضى قال ويحترس من تناول الحوايج من المرضى خصوصاً كسوة
المريض ولباسهم وفراشهم والمنايع من فضل طعامهم وما وصله عرق المرضى ورطوباتهم وروائحهم
والمكث في موضع مريض او ميت قال ويتحفظ في حفظ المرضى ويفرد لهم موضع يليق بهم بعيداً
عن مسكن غيرهم بنحو قدر رمح ولا يكون في جهة الريح للاصحاء ويجدر في تمرير المرضى
وغسل الموتى وحملهم ومس ثيابهم باستعمال الضمء على الانف والبعد منهم ان امكن ويغسل ثيابهم بعد
البرء او الموت بماء بارد بعد مضي ثلاثة عشر يوماً وبترك الكسوة خارج البيت في تلك المدة للرياح
وينبغي غسل ثياب الاموات في مجرى الماء على حجر صلد مستو بحيث يذهب الماء المنفصل بسرعة وكذا
غسل الاموات انما يكون بالماء البارد في موضع مكشوف ويقف الغاسل والمعين وراء الريح ويمسح انقه
بالقطران او الصبر او الورد عند مخالطة المرضى والاموات او الصبر والريحان مع الخل او ماء الليمون
او الماء ويحذر عند دفن الميت ذكرًا او اثنى قيامر الناس بالبعد عن القبر جدا ويقف من يتولاة وراء
الريح ويفعل ذلك بسرعة مشعرا ثيابه مائلاً انه بالصبر والخل ونشر النارج المذقوق وهو جيد الخ

ومما يدل على ان الناس في القرون الاولى الاسلامية كانوا يدركون تأكيد الابتعاد عن مهب الريح محال ذوي العاهات المعدنية ما وقع في روض القرطاس لابن ابي زرع من ان باي فاس الامام ادريس ابن ادريس برد الله مرقد لما وصل في بناء سور المدينة الى كراوة صنع هناك بابا شرقيا يعرف بباب الكنيسة قال ومنه يخرج الى حارة المرضى قال وكانت حارة المرضى بخارج هذا الباب ليكون سكانهم تحت مجرى الريح الغربية فتحمل الريح ابخرتهم ولا يصل الى اهل المدينة منها شيء وليكون تصرفهم من الماء وغسلهم بعد خروجه من البلد ولما ظهرت الدولة المرينية انتقل الجذمي خارج باب الخوخة وسكنوا بالكهوف التي بقرب الوادي بمطامر الزرع الى ان تم امر بني مرين في الظهور فرفع الى يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني امر الجذمي وان تصرفهم وغسل ثيابهم وءانيتهم واقاديرهم في نهر مدينة فاس لقرينهم منه وان ذلك ضرر لاهل المدينة فامر رحمه الله عامله على المدينة وهو الشيخ ابو العلاء ادريس بن ابي قريش ان ينقلهم من هناك ليعبدوا عن ماء النهر فنقلهم الى كهوف برج الكوكب الذي بخارج الجسدية من ابواب عدوة القرويين وذلك في سنة ٦٥٨ وقد اومأ الى ما ذكر العلامة ابن غازي في كتابه المسمى بالاشارات الحسان المرفوعة الى حبر فاس وتلمسان وذلك انه ذكر فيه ان في بعض التواريخ ان الامام ابا بكر بن العربي المعافري دفن على مقربة من حارة الجذمي قال وجوابه ان الجذمي كانوا هناك قديما حتى تضرر اهل فاس بسكانهم فنقلوا الى موضعهم اليوم والمحل الذي انتقلوا له بكهوف برج الكوكب هو محل مناسب جدا لبعده عن المدينة والمارة وانحداره جدا وقد احسن في التمتع والوصف ابن القاضي في الجذوة لما ترجم ليوسف بن عمر شارح الرسالة فانه قال ودفن خارج الجسدية بين الحارين على قرب مقابلة برج الكوكب اه صحيفة ٣٤٦ ومما يدل على ان اهل القرون الاولى الاسلامية كانوا يعملون على ان الوقاية من اعظم طرق الرعاية ما ذكره الامام ابو جعفر من خاتمة الاندلسي في كتابه الذي الفه في الطاعون الواقع ببلدة المرية بالاندلس عام ٧٤٧ وسماه غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد قل في المسألة ٤ منه التي هي فيما ظهر من عدواه ما نصه، الظاهر الذي لا خفاء به ولا غطاء عليه ان هذا الداء يسرى ويتعدى ضرة شهدت بذلك العادة واحكمته التجربة فعا من صحيح يلبس مريضا ويطيبل ملاسته الا وتتطرق اليه افته ويصيبه مثل مرضه من حينه عادة غالبا اجراها الله والفعل في الاول والثاني للحق جل جلاله خالق كل شيء نفيا واثباتا نفيا للتوليد الذي يذهب اليه اهل الضلال وابطالا للعدوة التي كانت تعتقدها العرب في الجاهلية واعلانا بالحق الذي قام عليه شاهد الوجود وذلك ان اصل هذا الحادث هو تغير الهواء واستحالته الى طبيعة اخرى ولا شيء اعظم تغيرا او استحالة الى العيب من الابخرة التي تنفصل عن المرضى الذين حل بهم هذا الداء ولا سيما ما خرج منها مع انقاسهم عند استحكام التعفن والعيب في ابدانهم وارواحهم وذلك عند الموت فانها ابخرة رديئة لا يستشبقها احد ممن يلبسهم ويدوم على ذلك الا اثرت فيه على الفور الى ان قال وكذلك من استعمال ملاسهم وافرشتهم التي تقلبوا عليها زمن مرضهم كما شهد له به العلم والتجربة قال ولقد شاهدت اهل سوق الحلق بالمرية الذين يتعاون بها ملاس الموتى وفرشهم بات اكثرهم ولم يسلم منهم ولا من الذين خلفوهم الا القليل الاقل وغيرهم من ارباب الاسواق حالهم كحال سائر الناس واطلعت من حال البلدان الذين حرس اهلها نفوسهم على ان لا يدخل اليهم احد من اهل بلاد الوباء وحافظوا على ذلك يستصحب السلامة زمنا طويلا وكلامه وبعبارة ابن خاتمة نختم حديثنا والسلام عليكم ورحمة الله .

القضاء الشرعي

٤

عود على بدء

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الحوجة مستشار الحكومة التونسية

قلت في خاتمة مقالتي الثالث المدرج بالعدد السادس من هذه المجلة المباركة « سيكون عنوان مقالتي الآتية : اسد بن الفرات وفيها ناتي على تاريخ انتشار المذهبين الحنفي والمالكي بافريقية » والله تعالى يقول : ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله - فلما قصدت في هذه الاثناء استيناف بحوثي لاستكمال المادة التي بين يدي لتحرير ترجمة اسد واهمها كتاب المدارك للقاضي ابي الفضل عياض وكتاب معالم الايمان للدباغ مع ذيله لابن ناجي وقفت على نبذة مهمة بكتاب فتوح العرب لصقلية للمؤرخ اماري من كبار المستشرقين في القرن الماضي استغرقت نحو اثني عشرة صحيفة في تاريخ حياة اسد عزى بعضها المستشرق المذكور لكتاب رياض النفوس (١) للمؤرخ ابي بكر عبدالله ابن محمد بن عبد الله المشهور بالمالكي وهذا الفاضل من رجال المائة الخامسة فكتابه متقدم على كتاب المدارك وهذا بدوره متقدم على كتاب معالم الايمان وهذان الكتابان هما عمدة في التراجع وعند ذلك لاح لي ان ترجمة اسد لا يصح تحريرها بوجه مفيد الا بعد النظر في اقدم كتب التراجم الافريقية عهدا يعني كتاب رياض النفوس ولكنه لسوء الحظ من الكتب المفقودة او ما في معناها فلزم بحكم الضرورة زيادة البحث عنه او التصدي على الاقل لترجمة ما نقل عنه المستشرق اماري وهذا يستدعي لا محالة اكثر من الايام المعدادات الفاصلة بيني وبين بزوغ قمر هذا العدد من المجلة الزيتونية فلقد هذا الفراغ ارجيت تحرير ترجمة اسد مع ما يتبعها من تاريخ انتشار المذاهب السنية بافريقية الى فرصة قابلة يساعدنا عليها طقس رحيم ينسينا جهنمية هذه السبعة والاربعة درجة ظلية التي نشفت دونها المحابر وتصدت اسنة الاقلام وهناك باعث اخر على هذا الارجاء وهو وجوب السعي للوقوف ولو على قطعة من المدونة الاسدية وهي من الكتب المفقودة بتونس لكن بعض الشيوخ يقول انه ربما بقيت منها بقية مشتتة بخزانة جامع القيروان لان الكلام على اسد من الناحية الشرعية اي بصفته فقيها قبل

(١) توجد منه نسخة مخطوطة تمتورها انقاص كثيرة تم نسخها في سنة ٧٢٩ محفوظة بالمكتبة العمومية بباريس مرسمه تحت عدد ٢١٥٣ بفهرس التأليف العربية بالمكتبة المذكورة

ان تتكلم عليه من الناحية الاجتماعية اي بصفته قائدا فاتها لصقلية سيجبرني للكلام على اخذه عن الامام ابي يوسف ولا سيما عن الامام محمد بن الحسن فلو تهياً لنا الاقدار الوقوف على بعض اوراق الاسدية لما صعب على اهل العلم تحليلها تحليلها فقها يرينا على ضوء الهداية والتسامح هل كانت الاسدية كلها من املاء عبد الرحمن بن القاسم تلميذ امام دار البحر مالك بن انس رضي الله عنه أم ان اسدا في دائرة اجتهاده وهو من كبار المجتهدين بما لا ريب فيه شحنا بشيء كثير من مروياته عن شيخه محمد بن الحسن صاحب الامام الاعظم ابي حنيفة رضي الله عنه اذ من المعلوم ان اسدا اخذ في مبادي امرة عن المدنيين وهم اهل الرواية ولكنه اظهر بعد ذلك ميله باجمعه للعراقيين وهم اهل الرأي الى غير ذلك مما سنبحث فيه ان شاء الله عند توفر المادة بالحصول على شيء من كتاب رياض النفوس ومن كتاب الاسدية بخزانة القيروان

بقي لي استدراك على ما ورد بآخر المقالة الثانية من مبحث القضاء الشرعي بالصفحة ٢٤٨ من المجلة حيث اشرت لما حصل لبعضهم من الشك في اسم القاضي الشيخ محمد الكافي ففي هذا المعنى نقول ان اسمه صحيح برسمه الوارد في قائمة القضاة المالكية بالصفحة ٢٤٧ من المجلة . قال الشيخ محمد يرم الرابع في رسالة التراجم المهمة للخطباء والائمة عند الكلام على القاضي الشيخ مصطفى بن القاضي الشيخ احمد الطرودي الحنفي ومن خطه نقل هنا ما نصه : واجتمع به (اي الشيخ مصطفى) في القضاء من المالكية الشيخ ابراهيم المزاج ومن قبله القاضي الكافي الذي هو اخر قضاة علي باشا وعزله المولى محمد باي (الرشيد) اه

وهذه وثيقة اخرى غريبة في نوعها لانها عبارة عن تفويض من المشير احمد باي لشيوخ المذهب الحنفي بالنظر والترجيح بين آراء شيوخ المذهب المالكي في نازلة من انظارهم وهي تدلنا من ناحية على سعة انظار سمو الباي الموالي اليه وتحريره في النوازل الشرعية وترينا من ناحية اخرى درجة التسامح والتكاتف المغبوط بين فقهاء المذهبين الشقيقين ومحصل النازلة ان جنديا دمي عليه جريح بشهادة عدلين فجاء الجندي بشهادة تبث انه كان ساعة القتل في بلد الكاف حاضرا بحفلة عرس وهو غير البلد الذي وقع فيه الاعتداء على الهالك فاختلف يومئذ الشيخ ابراهيم الرياحي كبير اهل الشورى المالكية وكاهيته المفتي الشيخ محمد بن سلامه وقاضي الجماعة الشيخ محمد النيفر الاكبر واصر كل على ما راى فلما عرضوا آراءهم على سمو الباي للترجيح امر باحالة القضية على الجماعة الحنفية وكتب بذلك مكتوبا للشيخين ابي عبد الله محمد يرم الرابع وابي عبد الله محمد بن الخوجه وهذا نص المكتوب بحروفه :

حفظكم الله تعالى ورعاكم ونور العلم بتقواكم الفاضلين الخيرين العالمين العاملين قطبي مذهب النعمان والقُدوة فيهم الشريعة الوثيقة الاركان احبابنا الصدر شيخ الاسلام سي محمد يرم وكاهيته الشيخ

سي محمد بن الحوجة سدّد الله انظارهما اما بعد السلام عليكم ورحمة الله فان جريحا دمي على رجل بشهادة عدلين وشهدا بموته فوجنا النازلة لعلماء المالكية كما هو الحكم الجاري بقطرنا في نوازل الدماء ثم ان المدعى عليه استظهر بشهادة تاني رسم التدمية وطال الخصام في النازلة فاستجّ قياسا خلافا بين علمائنا المالكية وتخرجت من تنفيذ ما يقتضيه الاجتهاد في السياسة لانها كانت على بساط الحكم الشرعي وجالت فيها انظار نوابنا في ذلك فظهر لي ان اوجه لاماتكمما حجج الفريقين ومكاتب علماء المالكية لاعتمد على ترجيحكما فانظرا فيها كانكما مالكيين (كذا) من اعتبار اقرار القتل وان القتل بغير محدد كما هو المذهب المالكي وليكن مناط نظركما كلام المشائخ المالكية الذي انهوه لنا وكاتباني بما ينشج اليه صدركما من الترحيح وبما تدنيان الله به يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا فانكما بحمد الله ممن لا تاخذة في الله لومة لائم والدين واحد واختلاف الائمة الذي هو رحمة لا يمنع المخالف من النظر بالعلم في قول غيره فان تطبيق النصوص والقواعد على النوازل ليس من شرطه اتحاد المذهب انما شرطه الفهم والعلم وهذا دم مسلم يلزمنا في اراسته التحري والله يقول ولكم في القصاص حيوة فعنايتنا بالحلي مثل عنايتنا بالقتيل والله يقول الحق وهو يهدي السبيل والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير احمد باشا باي وفقه الله ءامين وكتب في ٢٧ رجب سنة ١٢٦٥ هـ.

هذا ولانعام ما تقدم نشره بالعدد الاخير من المجلة بخصوص علاقة اهل العلم باهل السياسة في مقام الامور الرسمية نلحق بذلك هنا وثيقة تاريخية في مقام العلائق الادبية بين العلماء واهل السياسة من الاروباويين بتونس وهي عبارة عن تقرير لرسالة كتبها المستشرق ريشار وود قنصل انكليزية بتونس اسمها (الادلة الجلية في موافقة شريعة الاسلام للقواعد الانسانية) فهذه الرسالة اهداها صاحبها للعلامة الشيخ احمد بن الحوجة ولما قراها الشيخ رحمه الله قرضا بالمكتوب الاتي نصه :

جناب البارع الحاذق الماهر المجرب البصير بالسياسة المدنية والتهاذيب الانسانية الموقر سيادة ريشار وود قنصل جنرال بريطانيا بالمملكة التونسية حرسه الله تعالى بعد الدعاء لجنايبكم بالسعادة ودوام العافية فقد وصلتني هديتكم السنية كتابكم الذي سميتموه الادلة الجلية فسررنا به سرورا عظيما وزاد في ايضاح الدلالة على امتداد باعكم في المعارف وكمال انصافكم ومفاخركم المقتضية لتقدمكم في المناصب العالية وشريعة الاسلام وارادة على الميزان الاعدل مؤسسة على الرفق والرحمة حافظلة لمصالح الخلق على النظام المحكم الذي يشهد بفضل العيان فان صدر من بعض المتوحشين خلاف ذلك فهو خروج عن قواعدها ونظامها وقد اوضحتم في كتابكم من هذا الغرض ايضا حبيلا والوقائع التاريخية تشهد بان المتوحشين يفعلون ذلك البغي مع بني دينهم من المسلمين ويعوقونهم عن اقامة قواعدهم كما في حروب القرامطة في البصرة والكوفة وما فعلوه مع الحجاج من نهب الاموال وسبي النساء والصبيان والقتل والافساد وبقي الحجاج كما قال الفاضل ابن خلدون في تاريخه كتاب العبر ضاحين الى ان هلكوا الى غير ذلك مما هو مسطور في كتب التاريخ فنحن ندعو الله تعالى بدوام العافية في ذاتكم وانجالكم واهلكم مع سعادتكم اجمعين على ملاحظتكم الجلية وكمال انصافكم وصدعكم بالحق حرره الفقير الى ربه احمد بن الحوجة شيخ الاسلام بالمملكة التونسية كان الله له في ١ ربيع الانور سنة ١٢٩٦ هـ

محمد بن الحوجة

صلة تونس بالدولة العلية

صفحة من تاريخ تونس

بعث خير الدين للاستانة

سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ١٥ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
امرنا هذا بيد الهام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر وانا انتخبناه للرسالة
للابواب العلية السلطانية العثمانية خلد الله تعالى سلطانها وارشدها للخير واعانها لطلب فرمان العلي
الشريف الذي صدرت به الارادة السنية بمقتضى كتاب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة
١٢٨١ المتضمن بيان حقوق الدولة العلية بهذه الايالة وحقوق معظم قدرها وآل بيتها وفوضنا اليه
في طلب ما ذكر راجيا من الله تعالى ان يحفه من انوار الخلافة بما تقر به العيون مما املنا من مكارمها
المعروفة وطلبنا حتى يرسج اينا هذا المطالب الذي هو الامل ونتيجة القول والعمل وان يمدد باعائه
وتوفيقه بمنه وكرمه والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى
وكتب في ٢٠ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين والف صح من محمد الصادق باي
(الطابع السعيد) مصطفى

« ١٦ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
امرنا هذا بيد الهام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر وانا انتخبناه للرسالة
للابواب العلية السلطانية العثمانية خلد الله تعالى سلطانها وارشدها للخير واعانها، لعرض مطلبنا على
اعتابها السنية وفخامتها العلية وهو صدور فرمان الشريف العلي في بيان حجة الارتباط الذي بين الايالة
التونسية والخلافة العثمانية بايضاح ما للدولة العلية بها من الحقوق المقررة وما لمعظم قدرها وآل بيتها
من الحقوق المقررة بها ايضا وفوضنا له في ذلك بما يراه صالحا لهذا المقصد الديني والسياسي بحيث
ان ما يبرمه في ذلك ماض علينا راجيا من الله تعالى ان يحفه من انوار الخلافة بما تقر به العيون ويوضح
ما هو في جنب مكارمها المظنون وان يمدد باعائه وتوفيقه بمنه وكرمه والسلام من الفقير الى ربه
تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى وكتب في ٢١ جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان
وثمانين ومائتين والف صح من محمد الصادق باي
(الطابع السعيد) مصطفى

التعليمات السرية

« ١٧ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الهام المفخم امير الامراء ابننا خير الدين الوزير المباشر حرسه الله تعالى السلام عليكم وبعد فانكم على علم بمكتوب الصدارة العظمى المؤرخ في ٢٣ رجب سنة ١٢٨١ الذي اتيت به لما وجهناكم في ذلك العهد للدولة العلية العثمانية ونص ترجمته المبعوث في هذه الوجهة صحة سعادة خير الدين باشا من المكتوب المشيري شاكرًا لاثار الالتفاتات السلطانية في خصوص الوقائع المكدره الاخيرة التي وقعت في نازلة تونس المحمية ومؤيدا بعهوديتكم وخصوصيتكم البهية مع مكتوبكم المرسل الى هذا المخلص المثني على ذاتكم العلية قد قدمناهما للعتبة السنية الحاقانية وصارا معاومين عند حضرته الملوكية خلد الله تعالى على سريره شوكنه وجعله زئمة لاريكة عدالته وخلافته التي هي مرجع الانام وملجأ الاسلام بحرمة حبيب الاكرم عليه السلام مدى الدهور والاعوام فانه متخالف بفضل الله بالسجيا التي تستجلب وتستدعي دائما رفاهية حال البرية من تبعة دولته العلية فلذلك يريد ويؤمل سعادة الحال واستراحة البال على الدوام والاستمرار لذاتكم وللمنتسبين الى سلسلتكم العلية وللعباد الذين حسن ادارتهم مودوع بيد حضرتكم السامية وانه ايده الله بعد ما تاتر وناسف من ظهور ذلك الاختلال قد صار مسرورا من زواله والله الحمد على وجه السهولة في المدة اليسيرة كما انسر من تعظيمكم قدر قيمة همته العلية ومسايعه المصروفة السنية في اندفاع هذه الحادثة الفجيعة ثم ان السلطنة السنية مرادها الحقيقي ومقصودها القطعي على الوجه المحرر عبارة عما يستوجب بقاء الاستراحة في تونس وارتقاء عمرانها وتأسيس بناء الراحة والامن بها يوما فيوما لاهاليها وتبعثها ولاجل تمام حصول هذا الغرض الذي هو راجع وعائد اليها لا تنقطع عنها الهمة والاعانة في وقت من الاوقات والدليل الجديد العلني على صدق هذا المدعى رافعا ودافعا لما عسى ان يتوهم تقوية الامتيازات القديمة على وجه التجديد رسما وهي الخطبة والسكة يكون كل منهما باسم السلطان كما كانا في القديم لكونهما علامة علنية لارتباط ابلالة تونس التي هي من الاجزاء المتممة للممالك العثمانية ارتباطا شرعيا بمقام الخلافة الاسلامية والسنحقي يكون شكله ولونه المخصوص به الان باقيا على حاله والمعاملات الارتباطية الجارية مع طرف الدولة العلية الى هذا الوقت تكون مرعية وجارية كما كانت وعلى بقاء هذه الامور ودوامها يكون امر الولاية على طريق الوراثه مخصوصا بسلسلتكم العلية كما كان وتكون اتم مستقلا بالتصرف في الولايات الشرعية والسياسية والعسكرية وفي العزل بمقتضى القوانين الموافقة للعدل وفي الادارة الداخلية لتلك الايالة موافقة للشرع العزيز ومطابقة للقوانين العدلية التي هي كافية لتامين الانفس والاموال والاعراض وموافقة لمقتضيات الوقت والزمان ومرخصا في المعاملات المعلومة مع الدول

المتحابة كما كان وكذلك للمتولي ان يبعث ويطلب الفرمان العالي ويعطى له على العادة هذا ومهما وقع الاستدعاء والطلب من جنابكم السامي لصدور الامر العالي والفرمان الخاقاني فيما ذكر من الامور كلها المقررة اعلاها يصدر لكم حسبما صدر الاذن العالي بذلك وبحسب المأمورية تسارعنا لبيان هذا الحال لجنابكم بكل سرور يكون معلومكم ذلك وباطلاعكم على هذا المكتوب الدال على الخصوصية وبما يقرره لجنابكم خير الدين باشا شفاها يتبين لكم ان نية السلطنة العلية منحصرة في الاصلاح والتأييد لايالة تونس ولذا تكلم السامية ومقصورة على تخليص الرابطة القديمة والتابعة المعتادة بمقر الخلافة العلية ومنع ما يوجب دخول الخلل والتنافر ويحصل لكم الجزم واليقين بها ولا اشتباه في انكم تستجلبون دائما محاسن انظار حضرة سلطان الاسلام التي توجب سلامة الدارين وتستوجب ذكر الخير لحضرتكم مدى الاعوام فلذلك اكتفينا بتحرير هذا القدر ورفعنا دعاءكم الى محل الاستجابة فليكن ما كتبناه رهين علمكم العالي والامر كله لمن له الامر . انتهى

وقد طلبنا فيما سلف الفرمان المشار اليه به فور دكتاب الصدارة المؤرخ في ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٢٨٢ متضمنا ان ليس تاخير ارساله ناشيا عن تاخير المطلب او تركه بل المقصد تسهيل اجرائه ثم لما طلبناه عام التاريخ ورد جواب الصدر الاعظم المؤرخ في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٢٨٨ متضمنا ان هذا المقصد المهم لا يتأتى بالرسائل والمكاتيب ولا يكون الا بارسال من يعتمد للمذاكرة في تاسيس ما به الامتياز المطلوب والادارة والمعاملات الاتية وتسويتها بالاتفاق حسبما ذلك كله على علم منكم وتذكر ونه من النسخ التي اخذت لكم من المكاتيب المتعلقة بالنزلة وبناء على ما تضمنه كتاب الصدارة العظمى سمحنا بتوجيهكم بامر الله تعالى وسلامته الى الدولة العلية العثمانية وكتبناها بما علمتم طالبين منها الفرمان المذكور وكتبنا لكم امرنا المؤرخ بالعشرين من شهر التاريخ بناء على ما تضمنه المكاتيب الواردة من جناب الصدارة العظمى بان الفرمان حاضر وقت ما نطلبه ولما كان من المحتمل ان المقصود من طلب توجيه من ذكر ان يطلبوا شيئا زائدا على ما تضمنه كتاب الصدارة المضمن اعلاها كتبنا لكم امرنا المؤرخ بيوم التاريخ في التفويض لكم فيما تضمنه واستوعبنا في هذا ما يمكن ان تطلبه الدولة العلية نظراً لما سبق من الكلام في ذلك وما يمكن الاسعاف عليه من جهتنا لتوافق عليه بمقتضى امر التفويض المذكور وما لا يمكن الاسعاف عليه بحيث انه اذا لم يصدر الفرمان المشار اليه بمكتوب الصدارة اعلاها وتوقف على فصل او على الفصول التي يمكن فيها الاسعاف بمقتضى هذا فانك توافق عليها بموجب امر التفويض نظراً لحصول المصلحة المقصودة من الفرمان المذكور واما اذا توقف صدوره على ما لا يمكن الاسعاف له بمقتضى هذا فانك لا توافق على ذلك والفصول المشار اليها - ١ - هي انهم اذا طلبوا توجه من يتولى لمركز الخلافة فالجواب انه لا يمتنع - ٢ - واذا طلبوا ان الخلطة السياسية وما يقع من الخلاف بين الايالة والدول الاجنبية يكون بواسطة سفراء الدولة فالجواب انه اذا بلغت النزلة الى ما يمس اصول السياسة المعبر

الشرف الحسيني بالقيروان

- ٢ -

بقلم الفاضل المؤرخ الشيخ محمد طراد

سبب شهادة العشرة في وثيقة الشرف

ان بني عبيد الولاة في ذلك الوقت مذهبهم اذ ذلك هو مذهب الامامية فيما بعد الذين يرون ان من تنقص شريفا يكون مباح الدم ومع ذلك ينتقصون كثيرا من عظماء الصحابة والخلفاء الراشدين كالشيخين ابي بكر وعمر رضي الله عنهما .

ففي المواسم التي يكثر فيها الواردون على القيروان من قراها وضواحيها وبقيّة مدنتي القطر الافريقي يعمدون الى رؤوس الحيوانات المذبوحة في ذلك الموسم وبالاخص موسم عاشوراء فيعلقون من تلك الرؤوس على الحيطات المرتفعة ويكتبون في قراطيس توضع عليها اسماء بعض الصحابة تشهيرا لانتقاصهم .

ويسعون دعاة يشرون مذهبهم بين العامة فيعارضهم العلماء السنيون وينظرونهم في ذلك ويبكتونهم

عنها (بدروا اترناسيونال) فان الواسطة بين من ذكرهم السفراء ٣- واذا طلبوا ان الشروط التي تقع بين الالالة والدول الاجنبية تتوقف على الامضاء من السلطان فالجواب ان الشروط السياسية التي تمس حقوق السلطان في هذه المملكة لا تكون الا بموافقته واما الشروط المتجرية وغيرها من المعاملات مع الدول ورعاياهم فانها على العادة ولا تتوقف على الموافقة ٤- واذا طلبوا ان يكون تقديم من يرسل من الالالة للدول الاجنبية في المراسلات الودادية بواسطة سفراء الدولة فالجواب ان ما يتعلق باصول السياسة المعبر عنها بدروا اترناسيونال فانها لا تكون الا بواسطة من ذكر واما ما عدا ذلك من الخلطة الودادية وغيرها فانها على العادة ٥- واذا طلبوا ترجيع السكة على عاداتها اي بحذف ما زيد فيها فالجواب انه لا مانع ٦- واذا طلبوا ان تكون ادارة المملكة واحكامها على اصول كافية للادارة مطابقة للعدل ولعادات البلاد وسياسة اهلها فالجواب انه لا مانع من ذلك وكذلك ٧- اذا طلبوا الالتزام باعانة الدولة اعانة حربية عندما يعرض للدولة حرب مهم فالجواب انه لا مانع من ذلك اما اذا طلبوا ابطال اعطاء النواشن للدول الاجنبية او اداء مبلغ من المال فانه لا تيسر الموافقة على ذلك حررنا لكم ما ذكر لتعمده في وجهتك المباركة ونعتمد على الله سبحانه وتعالى في اعانتكم وتسييد عمركم ونجحه على ما نعليه من وفائكم وامانتكم وكفاءتكم بحول الله تعالى وقوته والله تعالى يمدكم بعونه والسلام من الفقير الى ربه تعالى عبده المشير محمد الصادق باشا باي وفقه الله تعالى وكتب يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨ ثمان وثمانين ومائتين والف .

مصطفى

صح من محمد الصادق باي

(الطابع السعيد)

ولا تسال عن تعذيب من يخالفهم بانواع من العذاب لم يسبقوا اليه من ذلك قصة عروس المؤذن الذي لم يزد في اذانه : حي على خير العمل اذ قطعوا لسانه وجعل بين عينيه وطيف به وقتل بالمرضاح سنة ٣١٧ الى غير ذلك من افاعيلهم المنكرة التي يضيق عنها مجلد خاص .

وفقهاء القيروان لم يطبقوا الصبر والتحمل فيغيرون عليهم في كل مجالسهم واغضب ذلك بني عبيد حتى أجبروهم على ابطال دروسهم للعامة وصار قوادهم بالمرصاد من علماء السنة .

ومع ذلك لم ينفك الفقهاء من الارشاء والاسهذاب لاختارهم وتداول الفقهاء البحث فيما بينهم في امر بني عبيد فأوأ باففاق جميعهم ان الخروج على بني عبيد امر واجب ولو مع ابي يزيد الخارجي لان الخوارج هم من اهل القبلة لم يزل عنهم الاسلام فيرثون ويورثون . وبنو عبيد ليسوا كذلك لانهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم ولا يتنسبون اليهم وقدر ان اتى ابو قضاة داعية بني عبيد الى القيروان وحضر مجلس عقد نكاح وحضرة كثير من هؤلاء الفقهاء وجماعة مشاركة من شيع العبيديين وعلى مذهبهم وكان بالقرب من ربيع القطان احد اولئك الفقهاء ابو قضاة المذكور فاتى رجل من اعظم المشاركة فقام اليه رجل منهم وقال الى هنا يا سيدي الى جانب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني ابا قضاة ويشير بيده اليه فانكر الفقهاء ذلك وكثرت اجتماعاتهم في الجامع وفي المصلى وفي غيرهما لاعمال رايهم في الامر واخيرا اتفقوا على قتالهم والخروج عليهم .

وفي رجب من عام ٣٣١ تاريخ الوثيقة اجتمعوا في الجامع وقرروا الخروج وعقدوا سبعة الوبة لكل فقيه من زعمائهم لواء وركزوها قبالة مسجد الحدادين بما فهم منه ان خروجهم كان من باب نافع وهو احد ابواب المدينة الثنتي عشرة وهو بالحلة الشرقية ويخرج منه لمقبرة باب نافع التي هي مقبرة سحنون اليوم اذ سوق الحدادين كان هنالك . وتوجهوا قاصدين المهديّة مع ابي يزيد الخارجي الذي مكر بهم في هاته الواقعة ووقع بينهم القتال خارج المهديّة بالمحل المعروف بالوادي المالح وسميت الواقعة باسم هذا الوادي . وحيث ان العبيديين يدعون انهم فاطميون ولم يثبت ذلك عند الفقهاء وكثير من علماء النسب وألف بعضهم في ذلك تاليفا وان اثبت ابن خلدون لهم هاته الدعوى وقال جادلت عنهم في الدنيا وأرجو ان يجادلوا عني يوم القيامة . فان فقهاء القيروان لم يقفوا عند حد هزيمتهم في واقعة الوادي المالح ومكر ابي يزيد بهم . وكان من بين القيروانيين بيت ابن عوانة المشهورة بالشرف الحسيني والعلم والامانة والفقه والصلاح حسبما صرح بذلك في الوثيقة فانهم جعلوا تلك الوثيقة وشهد لهم فيها اولئك العلماء العشرة

وحيث لم يحصل لهم المقصود من جعلها بقيت من تاريخها لم تخرج منها نسخة الا بعد استقرار الدولة الموحدية ورسوخ قدم بني حفص فاخرجت منها النسخ المتقدم ذكرها للتوصل لاختذ بني عوانة حقوقهم الهاشمية من بيت المال ومن الاحباس الموقوفة من الاسلاف القيروانيين رحمهم الله وحازاهم عن برهم على ارفاق واعانة اهل الفضل وهو وقف المرتفعات المعروف الى اليوم زيادة عن اوقاف الفقراء المحبس على فقراء القيروان واوقاف ماستانات المرضى بالامراض المعضلة والمعدية واوقاف السجن واوقاف الزيت والاكواز التي تنكسر ويراق زيتها للصبيان الذين يرسلهم اباؤهم عشية لذلك الى غير ذلك من اوقاف اوجه البر ومحتما يد السنين من لوحة العمل بها وان بقي الكثير منها الى اليوم في تصرف جمعية الاوقاف .

واضع بين عين القراء هاته الوثيقة التي اقيمت عام ٨٠٢ ونصها :

بعد طالعتها يعرف شهودة الشيخ الفقيه المكرم ابا عبد الله محمد المذكور اعلاه (اي اعلا النسخة من الوثيقة العوانية) واولاده ابا الحجاج يوسف و ابا عبد الله محمدا و ابا محمد عبد الله و ابا اسحاق ابراهيم و ابا مروان عبد الملك و ابا العباس احمد معرفة تامة ويشهدون انه هو واولاده ضعفاء التكبس نديلوا ذات اليد ممن تجب مواساتهم محتاجين لارفاق المرفقين واحسان المحسنين تبركا وتوسلا بذلك لنسبهم الشريف الكريم ابتغاء ثواب الله الجسم العظيم وخصوصا بارفاق المقام العلي المولوي السلطاني المتوكلي المنصوري المؤيدي المجاهدي وفر الله جنودهم ونصر اعوانهم وحيوشهم تبركا بجدهم المرجو شفاعته يوم الحساب رجا ثواب الله سبحانه وحسن الثاب بهذه الحالة عرفهم شهودة وبها خبرهم وقيدوا على ذلك شهادتهم لسانها بتاريخ اواخر شهر شوال عام اثنين وثمانمائة وبان نعت الشريف المذكور حسن القد صوب الجسم ازهر اللون يعلوه صفرة خفيفة كهل السن احيه الميج الحاجين اصلع صليت العارضين بتغير مقدم اللحية اشمط الشعر بجهته اثر جرح برئى وعفا اصفى الجوهره اليمنى والثانية التي تليها فمن عاين من حلية الشريف المذكور ما حلي به ووصف به قيد على ذلك شهادته في التاريخ المذكور وبلي ذلك اسماء العدول الشاهدين بذات معودة اسماءهم على الكيفية المعهودة في عقودهم في تلك العصور بحيث تقرا اسم العاقد من عقده على هاته الكيفية وهم :

محمد بن محمد بن ابي القاسم بن احمد الشقاضي - ومحمد بن ابي بكر بن علي الفاسي - واحمد بن محمد بن ابراهيم الحنظلي - ومحمد بن عبد العزيز بن رجال الربيعي - ومحمد بن عبد الواحد بن عبد السلام الدهماني - ومحمد بن عباد بن موسى الحضرمي - وعمر بن عبد الرحمان بن عمر الدهماني وعمر بن ابراهيم المسراقي - واحمد بن يوسف بن عيسى الترهوني - واحمد بن عبد الوهاب بن خليفة بن محمود البيري .

ومما يناسب ذكره هنا تميمها للفائدة ولمعرفة درجة التوثيق في تلك العصور وتحري العدول في شهادتهم انهم ذكروا في رسم بعد هذا الرسم مؤرخ باواخر رجب عام ٨٣٧ صفة حفيد من هاته السلسلة وهو الفقيه محمد بن الكاتب محمد ابن العدل يوسف واولدوه بالسلسلة المذكورة وان من صفته شاب السن غير ملتحي كبير الوجه ادم اللون بين ثناياه السفلى فلجة متسعة اقنى ابلج اغم افلج الثنايا العليا وانهم قيدوا على ذلك شهادتهم للحاجة اليها خوف التلبس ممن يشبهه عليه وينسب لنسبه والتحوط على هذا النسب الشريف العلي ولكونه متصفا به وحائزا له الخ شهد به خليفة بن ناجي واحمد التوزاني المتقدم ذكرهما وشهد به في اواخر رمضان عام ٨٤٠ عبد الله بن ابي القاسم الشقاضي و ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن عوانة الحسيني وشهد به في تاسع شعبان عام ٨٤٤ من غير تحقق انه اشم وليس باقنى وهو الى الشم اقرب احمد بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن عمران المسراقي

فتأمل رعاك الله كيف كانت العدول وتحريمهم في شهادتهم وفي تحاريرهم ومن هم هؤلاء العدول وهل هم الا فقهاء بمعنى الكلمة فصحاء لا تصدر منهم كلمة على غير القواعد العربية والطرائق البلاغية اقلهم يصلح لقضاء العواصم اليوم وما قبله اما اليوم فقد اختلط الحابل بالنابل

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى سامها ككل مفلس يتبع

محمد

الصادق الأمين المبعوث رحمة للعامة الناس اجمعين

بقلم العالم المدرس الشيخ الطاهر النيفر

منذ ثلاثة عشر قرنا ونيف وخمسين سنة وكثائب اعداء الاسلام توالي هجماتها نحو هذا الدين المحكمه دعائمه بكل ما لديها من قوة وتكتل وحزم ومواصلة عمل وهو كالجبل الراسي لا تقوى على زعزحته اعاصير الايام ولا عواصف الليالي. وذلك بفضل سماحة تعاليمه وما ضمنه للبشر من سعادة ورغد عيش فهو الذي يعلمهم النظام ويفهمهم معنى الاخوة وما تنطوي عليه من هناء وسعادة ويرشدتهم لما في توحيد الكلكة وجمع القوى من سمو وبإورغ آمال وهو الذي يسوي بين ضعيفهم وقويهم امام الحق وينشر على الجميع لواء الحرية الحقة بكل ما في معنى الكلكة من سمو ورفعة

بهذا وغيره من فضائله التي لا تكاد تحصى لم تزد مهاجمة اعدائه وتقدم العصور عليه الاشيعوا وانتشارا وها هو يتوغل اليوم في قارات المعمورة وتظهر مآتته وعجائب اسرارها كلما تقدمت المعارف واتسعت مدارك البشر (سرهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم الحق) فأقلق ذلك اعداءه والمنابون له واصبحوا يغزون المسلمين في عقر بيوتهم ويحاربونهم في عقيدتهم سالكين للناثير على البسطاء ممن جهلوا تعاليمه (وهم في هاته الاعصر كثيرون ويا للأسف) مسالك شتى

لكن ابي الله الا ان تكون اسدحتهم في هذا الميدان مفلولة وعملهم ضائعا لم يأت بنتيجة وان قلت ولا ينبغي ان يكون ما لاقاه هؤلاء من الاعراض وما صادفته سلعتهم من البوار فانما في سواعدنا عن كشف استار اباطيهم وما جاءوا به من ترهات الاذالييل . فانما ان امنا على هذا الجبل من الانخداع لهؤلاء الابالسة فلا نأمن على بعض ابناء الاحيال القادمة من ان تصادف شبهاتهم بعض الضعف في نفوسهم خصوصا انا اصبحنا نشاهد والاسف يملا ما بين جوانحننا ابناءنا يتعدون شيئا فشيئا عن تعاليم الاسلام ويتوغلون رويدا رويدا في الجهل باسرارها وفضائله

اذا فواجبكم يا حجة الدين المحمدي شيوخا وشباننا ان تقفوا وقوف الرجل الواحد في وجه هاته الكتائب المسلحة التي وجدت المجال فسيحا لبث سموها والطعن بحراها في ربوعنا الاسلامية التي توالى عليها النكبات وتعددت بها المصائب لاسباب يحمل البعض منها على كواهلنا .

فقوموا بواجبكم نحو هذا الدين الذي وكلت لكم حمايته حتى تؤدوا الرسالة التي ائتمنكم الله عليها واستخلفكم من اجلها في الارض بعد انتقال المشرع الاعظم صلوات الله وسلامه عليه فانتم ورثته وخلفاؤه في هذا الامر. ان من اخطر الدعاوي على الاسلام ما يخرص به بعض هؤلاء المبطلين من

انه دين خاص بالعرب فانهم يتظاهرون بتسليم رسالته صلى الله عليه وسلم وبتصديقه فيما جاء به الا انهم يدعون انه ارسل الى العرب خاصة ولم تشمل رسالته الامم الاخرى وبذلك يستديمون حياة شريعتي موسى وعيسى ويؤمنون عليهما من ان تصيهما الشريعة المحمدية بمعول التقويض والازالة ولم يقف اعداء الاسلام في وجه انتشاره بمثل هذا السلاح المفلول من اليوم بل هي شنيعة قال بها اصحاب ابي عيسى الاصهاني من اليهود منذ امد بعيد ولكنها من اشد الدعايات خطورة عليه لانها لا تثير غضب البسطاء ممن تلقى عليهم من أهله ابتداء ومن اول الامر فانهم يبادرونهم بالاقرار بصحة عقيدتهم في رسالة سيدنا محمد وبتصديقه فيما جاء به حتى اذا رأوا منهم الاستيناس بهم والاستماع لاقوالهم وصلوا بهم الى الغاية المقصودة اعني ادعاء قصر رسالته على العرب ولربما تمكنوا بسبب هذا السلوك الذي لا تثير الغضب والاعراض عن الحديث من اصله من القاء بعض الريب في نفوس بسطاء مستمعهم وجدير بنا ان نلهم موجزين بحالة العالم بأسره قبل بزوغ الشمس المحمدية لتعلم الضرورة التي دعت لمقصد البشرية المعذبة فقد تقطعت اوصالها واتهكت حرمتها وديست عقائدها واويحت اعراضها واستحلت اموالها ودمائها واكل قواها ضعيفها بعد ان امن في استعباده وتسخير جهوده لا في مقابلة شيء . ولم تكن هاته الولايات والامراض الاجتماعية مقصورة على امة دون اخرى بل عمت سائر امم المعمورة فهاته امة الفرس العريقة في الحضارة والمدنية قد اثرت فيها اذ ذاك الحروب المتوالية مع الرومان للتحصيل على سيادة العالم ويرجع تاريخ التعادي بين الامتين الى ما قبل القرن الخامس وقد استمرت دواليك وكانت سجالات من سنة ٦١٠ الى ان ختمت في سنة ٦٢٧ بانهزام الفرس الهزيمة الاخيرة والشعاع التي افضت ببلوغ جنود الرومان نينوى عاصمة الاشوريين قديما فظهرت بدولة الفرس مخايل الانحلال السياسي واشتد بها الهزال وعمتها الفوضى حتى اصبح الملك لا يلبث على دسسته الا زمنا قليلا فتشور عليه نائرة البعض من رعاياه ويفضي الامر الى انزاله ووضع آخر مكانه وهكذا يصاب بمثل ما اصيب به الاول فقد قام خلال اربع سنين تسعة من ملوكهم كل واحد منهم يدعى الملك ثم لا يلبث ان تنزل به قدما وكفالك هذا التفرق والضعف في الدولة دليلا على انحلال وحدة الامة وتفرق كلمتها زد على ذلك ما اصابها من الضلال في العقيدة والتدهور في الاخلاق من اجل تشعب المذاهب الدينية فهؤلاء يعبدون الكواكب وينسبون لها التأثير على العالم وآخرون يعتقدون في الوقاية بالطلاسم والعزائم وينخدعون للسحور والشعوذة واولئك يتبعون ما اختلقه زرادشت من المذهب المجوسي الذي يجعل للعالم الالهين احدهما للخير ويسميه بهرمنز وعنوانه النور والآخر للشر ويسميه بهريمان ويرمز له بالظلمة ويدعي ان ما من امر محبوب الا وهو من صنيع الاول وما من امر مكروه الا وهو من صنيع الثاني ولذا كان اتباع هذا المذهب يعبدون النيران التي يؤججونها في رؤوس الجبال لانها رمز الاله الخير ثم زاد الطين بله وعظمت عليهم البلية وبلغ بها

الضلال والتدهور الاخلاقي انتهى لما جاءهم اللعين مزدك مدعيا ان الله بعثه ليأمر باباحة النساء والاموال بين الناس جميعا لانهم اخوة من اصل واحد وبذلك جرى من الظلم والجور وانتهاك الحرمات والاعراض واباحة الفروج واختلاط الانساب ما لا يحيط به التعبير الا ان كسرى وان اباد هذا المذهب وقتل داعيته واتباعه لكنه لم يكن في مقدوره ان يبيد ما علق بالنقوس منه من السقوط الخلقي والاثر المذموم .

اما امبراطورية الرومان فلم يكن حظها اذ ذاك باسعد من حظ اختها فان كثرة الحروب مع الفرس وانغماس القياصرة في اللهو والمجون وافراطهم في تبذير اموال الرعية واغداقها على الاشراف واهل المناصب من البطارقة قد احدث ضائقة اقتصادية وضعفا عظيما في الثروة العامة وكثرت بسببها الضرائب وثقل حملها على الامة بعد ان ابتزت حتى اموال الكنائس وما كان مدخرا بها من الذهب لمحاربة الفرس في سنة ٦١٠ فكان من نتيجة هاته السياسة التي يراد منها اشباع الكبراء والسادة وتوفير العطاء لهم ولو افضي الامر الى تفكير العامة واهل الولايات التابعة لسلطانهم فكان من نتيجة ذلك كله ان شقت هاته الولايات عصا الطاعة تخلصا من مظالم هؤلاء الحكام وجشعهم المستديم ودبت في اجزاء الامبراطورية عقارب الانحلال مع ما اثرته هاتيك الحروب الهائلة فيها من الضعف وعمت الفوضى السياسة جميع المناصب الدولية حتى اصبح الملك يعطي لمن زاد في العطا وهاته الحالة وان اراد اصلاحها فقلدتانوس ومزجاء بعده الا انهم لم يتم لهم النجاح كله وقضى عليه تشعب المذاهب الدينية فقد قام اتباع كل مذهب بحرب عوان دفاعا على معتقدهم فعمت الفوضى الامور الدينية كما استولت من قبل على المناصب الحكومية واصبحت الامة على شفا حريف هار تتناها الفوضى في المعتقدات والسياسة وتاكل وحدثها نار الفتنة الداخلية والخارجية وياتي على تبذير اموالها تصرفات كبرائها وتكالهم على موجبات الترفه واسباب الزينة ونعيم الحياة وتكون من مجموع ذلك تدهور في الاخلاق عظيم يضاف الى ذلك كله معاداة اليهود لهم الذي بلغ منتهاه في زمن هرقل فقد بلغ من تنكيل اليهود بهم ان اشتروا من الفرس ثمانين الف اسير من الروح وذبحوهم عن آخرهم وقد قاموا نحوهم يعاملونهم بالمثل فقرروا منع اليهود من اقامة شعائرتهم الدينية بل الغوا الديانة اليهودية رسميا من بلادهم واجروا عليهم من الشدائد ما لا يوصف وبذلك تعلم ايضا ما كان عليه اليهود اذ ذاك من التدهور الاخلاقي والقسوة والظلم وما اصابوا به من التعذيب والتنكيل .

اما امة الهند فلم تنج هي بدورها ايضا من السقوط الخلقي والضلال في المعتقد فقد انتشر بينهم المذهب الاباحي وعم الفروج والاموال وبلغ الفحش فيهم منتهاه حتى كان الكاهن عندهم يختص بالعروس في ايامها الاولى لينشر عليها وعلى زوجها البركة والنعمة وهم يدعون جهرة الى المنكرات باناشيد يرددونها في الاجتماعات العامة .

أما الامة العربية فإنها رغم ما كانت عليه من الكمال الخلقى في بعض النواحي لم تكن سليمة من مثل مآته الامراض الاجتماعية الفتاكة فهم لا يأوون الى دعوة يعتصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزتها فما شئت من ارحام مقطوعة وغارات مشنونة واصنام معبودة وبنات موودة فكانت الحرب بين القبائل لا تكاد تضع اوزارها ومنهم من اتخذ الغارة موردا لعيشه

ليس هناك ما يجمع كلمتهم او يوحد جهودهم فلا يعرفون للدولة تكويننا الا من قل من بعض المتحضرين منهم ولا يدركون للعلاقات السياسية معنى فكل قبيلة تقوم بنفسها وتجمع امرها لتشن الغارة على الاخرى . اما حالتهم الاقتصادية فهي ادعى وامر فزيادة على جذب اراضيهم قد استغل المال بعض اهل الطبقة العليا منهم وابتزوا اموال الضعفاء بانواع من المظالم ما انزل الله بها من سلطان وعمل الربا الفاحش في تقديرهم عمله المشنوم حتى اصبح موردا ثانيا بمكة بعد التجارة وحسبوه لا فرق بينه وبين التجارة (قالوا إنما البيع مثل الربا) وقد بلغت بهم الشدة والقسوة في هذا الباب المنتهى فحملوا المدينين على اكراه فتياتهم على البغاء (ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان اردن تحصنا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا) وتكالبوا على جمع المال من أي وجه كان فكانوا كما وصفهم القرآن بقوله (اذا ائتناوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون) فاخذت انديون برقاب الناس حتى كانت النصارى منهم يجعلون المدينين عبدا مملوكا للدائن بسبب الدين الذي عايه ولم تخل حالتهم الخلقية في النواحي الاخرى من بعض الشين فوم فيهم الخمر والنصب والمقامرة خصوصا عند انشاء السراة منهم ووجد السلب والنهب فيهم وعملت العصية كل ما في طوقها من الظلم والتعدي وعظم في نفوسهم حب الانتقام حتى كانت النساء لا يرضين بسوى صبغ ملابسهن بدم القتيل واكل قلبه وكبدته اما ظلمهم للضعفاء واستعبادهم للارقاء فحدث عن البحر ولا حرج

ولا تسأل عن ضلالهم في الاعتقاد فقد ضجت منه السموات والارض فممنهم من تاول الاله ببعض الحيوان ومنهم من تمثله في الكواكب ومنهم من حسبته في الاشجار والاحجار او قطع الحدوى تعالى الله عما يشركون ومع هذا كله فلم تخل الامة العربية من افذاذ وحدوا الله ونزهوه عن التشريك وادركوا ما كان عليه قومهم من البغي والضلal وانذروهم بسوء العاقبة ووخامة المنقلب كما هبوا لانقاذهم من الظلم والعدوان بما استطاعوه من قوة وما حالف الفضول الذي عقد بمكة وحضره النبي صلى الله عليه وسلم عنكم بخاف كما قام الشعراء بنصيبهم في هذا المضمار قصد التأثير عليهم فم عندهم بمنزلة الزعماء والمصالحين في بقية الامم الاخرى قال الاعشى

تبتون في المشتى ملاء بطونكم وجارتكم غرثى يبتن فخاخصا

الا ان هاته المنازع الاصلاحية التي قام بها البعض منهم لم تكن كافية لردع جميعهم عن الشر

والطغيان فهما اللذان طبعت عليهما نفوسهم منذ نعومة اظفارهم

ولذا كان العقلاء منهم كورقة بن نوفل وعبد المطلب بن هاشم وامية بن ابي الصلت يتكهنون بأنه قد اقترب ان يبعث في هذا العالم نبي، ليخلصه من هذا الشقاء الذي خيم عليه في شتى نواحيه جريا على ما علوه من سنة الله تعالى. من قبل فان الضلال والتدهور قد بلغا بالناس الغاية اذا علمت هذا قبل كانت الامة العربية فقط في حالة تدعو لارسال منقذ لها يخلصها مما انغمست فيه من ضلال وفساد ام كانت حالة الشعوب كلها في ذلك سواسية فما منها الا ما تدعو حالته للانقاذ؟ لا شك ان من علم هذا ووعاه ايقن بان حالة الشعوب كلها اذ ذاك كانت داعية لمنقذ ياخذ بيد جميعها الى طريق الفلاح وبضيء دياجيرها بنور الحق والعدل

اذا فكيف يدعى بعد هذا ان الرسالة المحمدية خاصة بالعرب مع ان حالة العالم كله اذ ذاك داعية لانقاذ البشرية المعذبة قبل ان الامة العربية هي اولى عند الله بالانقاذ والرعاية من بقية البشر؟ كلام كلام البشر كله عند خالقه سواء لا يرتضي له الا السعادة ورغد العيش وانما خضت الدعوة بالنسبة لبقية الرسل لان الداعي لرسالتهم انما هو امر معين لم يحيط الا بالامة التي بعثوا فيها

فموسى عليه السلام بعث لتخليص بني اسرائيل من ظلم فرعون وجنوده وهو ظلم لم ينزل الا ببني اسرائيل خاصة فان المصريين اذ ذاك كانوا ذوي قدم راسخة في العلوم والمدنية ولهم نصيب وافر من الاخلاق الكاملة فارسل موسى اليهم لتخليص بني اسرائيل من ظلم فرعون وقومه . وكانت رسالة عيسى عليه السلام خاصة بقومه لانه بعث لانقاذهم من الرذائل التي انغمسوا فيها وليصلح نفوسهم مما تأصل فيها من ضروب الفساد وهو امر خاص بقومه اذ ذاك فقد كانت الحضارة الرومانية في ذلك العهد بالغة متنهاها اما قبل بعث سيد البشر فقد تاصل الفساد في البشر قاطبة وذلك ما دعا لتعميم الرسالة بفضل حكمته جل من خالق ورافقه بعيدة ولا يسع اي كائن من كان انكار هذا الامر الذي اثبتته التاريخ الصحيح وحكم بمقتضاه العقل السليم الذي لم يحجبه التعصب الاعمي

ولنسق لك بعد هذا من كلام الله تعالى وكلام النبوة وسيرة الرسول ما لا يبغي معه مجال لانكار هذا المدعي الاثيم فمثل هذا مما تقوم به الحجة على الخصم لانه يسلم صحة رسالته ويثبت له الصدق ويسلم بالتبع لذلك حجية اعماله

اما ادلة ذلك من الكتاب فاكبر من ان تحصى منها قوله تعالى (وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ومنها قوله جل من قائل (قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا) ومنها قوله جل جلاله (ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) وهي في السنة لا تقل عن ذلك كثره منها قوله صلى الله عليه وسلم (بعثت للناس كافة) الحديث وما محاربه صلى الله عليه وسلم ليهود خيبر الا من ادلة ذلك فهل يتناسب مع صدق الرسول وما ارسل به من العدل واقامة قسطاسه بين الناس ان يحارب قوما من اجل عدم اتباعهم لاحكامه والحال انه لم يرسل اليهم ومن اظهر الادلة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم . الكتب التي ارسلها لغالب

عظماء الامم يدعوهم بها الى الاسلام . فقد اسرل حاطب بن ابي بلتعنه الى المقوقس صاحب الاسكندرية وابن وهب الى الحارث بن ابي شمر العسائي عامل قيصر على غسان بالشام ودحية الكلبي الى قيصر وهو يومئذ هرقل ملك الروم وصليت بن عمر الى هوزة بن عمرو الحنفي وعمر بن امية الى النجاشي وعبد الله بن حذافة الى كسرى ملك الفرس وكان ارسال هؤلاء جميعا في يوم واحد سنة ٩ هجرية كما ارسل غيرهم لغير هؤلاء فهلا يستحي بعد هذا من يدعي عدم العموم في رسالته

ولا نريد ان نلويء ان القلم عن هذا الموضوع قبل ان نجيب عما عسى ان يورده الخصم في هذا المقام من ان رسالته صلى الله عليه وسلم اذا كانت عامة فلياذا اختير لها عربي وبذلك وقع الخروج عما جرت به سنة الارسال . ولماذا كان البعث في مكة مع ان البلاد الاخرى كفارس وارض الرومان هي اكثر مدنية واستعدادا لتلقي النظام وتفهم احكامه او ليس من اللائق برسالة كهاته أن تكون بين قوم قلبوا الحياة ظهرا لبطن واعلموا اسباب السعادة وموجبات الانحطاط ؟

وانا نجيب عن هذا بان الداعي لجعل الرسالة العامة في العرب امران أولهما ان رسالة كهاته ستفاجيء العالم كله بتسفيه احلامه وتضليل آبائه وتحويله بعد التفريق الى الالمنة وبعد الشقاق والتطاحن الى الايحاء والاتحاد وتعمد الى القياصرة والملوك الذين الهوا انفسهم من دون الله فتسويهم بالسوقة من رعاياهم امام الاحكام والقضاء وتجعلهم سواسية لافضل لاحدهم على الآخر الا بالتقوى وتقتنع من نفوس البشر قاطبة ما الفوه من الطباع لتضع في مكانها ما يناقضها على خط مستقيم رسالة كهاته امرها ليس بالهين ونجاحها ليس بالسهل فان الرسائل الاخرى التي تقدمتها ولم تقاوم الا شعبا واحدا فحسب لم يفلح غالبا ولاقى اصحابها جميعا كل اذى ومكرورة ومنهم من قتل في سبيلها .

اذا فلا بد لها من انصار اهل عزيمة وثبات واصحاب بطش وقوة جاش وصبر على ملاقاته الاهوال والشدائد ذوي عصبية يستميتون في الدفاع عن بعضهم من اجلها حتى تتمكن الرسالة من الثبات امام العواصف الهوجاء التي ستلاقيها من كل حذب بمعونة هؤلاء المدافعين الاشداء الذين تدعوهم حميتهم المقدمة عندهم على كل اعتبار آخر للدفاع عن صاحبها وان كانوا غير مقتنعين بصحة رسالته

ولم تجتمع هاته الصفات في غير الامة العربية وقد استنقادت الدعوة المحمدية بالفعل من هاته الصفات العربية في اول نشأتها فقد وجد صلى الله عليه وسلم من حماية عمه ابي طالب في صدر البعثة ما تمكن معه من القيام بواجبه على اكمل وجه كما وجد بعد ذلك لما اشتدت مناوات قريش له من بني هاشم والمطلب التعهد التام بحمايته من الشر لا فرق بين مسلمهم وكافرهم وما دعاهم الى ذلك الاحميتهم التي يجعلونها فوق كل شيء .

الامر الثاني : ان الاسلام قد جاء بتقرير كثير من الاخلاق العربية الكاملة التي كادت ان تنفرد بها الامة العربية من بين سائر الامم الاخرى فهي اذا اكسر قابلية للشرعية الاسلامية الملائمة لبعض اخلاقها وطباعتها فيكون انتشارها فيها اذا ظهرت اسرع من انتشارها في بقية الامم ومتى انتشرت فيهم لاقت من حميتهم وشدهم في الدفاع ما يثبت به قدمها امام القوة المعارضة . وقد تم هذا بالفعل وراينا من فضائلهم بعد ذلك في نصرته هذا الدين وتقانيهم في الدفاع عنه وخدمته وخدمة من جاء به صلى الله عليه وسلم . ما لم نر مثله من بقية الامم الاخرى بعد دخولها في الاسلام وبذلك تم ما ارادة الله وارتضاه

تأثير الادب في رقي الامم

بقلم أمير البيان عطوفة شكيب ارسلان

حياة الامم كحياة الافراد عبارة عن مسابقة شاقة ينال فيها كل بحسب استعدادة وعلى قدر اجتهاده ومن حيث اننا نتكلم الآن على الشعوب لا على افراد وعلى الوسائل التي تتوصل بها هذه الشعوب لاجل النهوض من الخضوض الى السنام الامجد كان بديها ان نقول ان رأس وسائل النجاح في هذه المسابقة هو العلم . ليس في ذلك نزاع ولكن العلم فنون كثيرة لا تكاد تحصى فأني فن من فنون العلم يجب على الامة الناشدة لاسباب الترقى أن تنشده قبل غيره وتبدأ به لتعرج الى العلاء ؟ الجواب هو : الادب . وربما ذهب أناس من المفكرين الى أن رقي الامم يتوقف على العلوم الصحيحة أو ما يسمى بالعلوم الثابتة كالرياضيات او كالتطبيعات وما تفرع منهما وهو كلام من حقه ان يبحث وهو صحيح من حيث المآل ولكن المرحلة الاولى في طريق نجاح الامم هي للادب دون غيره وذلك لان الادب هو ثقاف النفس وصقال الهمة ومثار كوامن العزائم وهو المشتمل على نواحي الحياة الروحية كلها . فالنفس لا تتوق الى المعالي الا بالادب وهو المهماز الاعظم الذي يبعث النفس على الحب في ميدان المجد . ومتى اوجد الادب هذا الشوق الى المجد نشدت الانفس ضوالة المتعددة اينما وجدتها ومن أي نوع كان . فكانت العلوم الكونية والمعارف الطبيعية وجميع الاسباب التي لا تترقى الامم الا بها النظم والنشر والزجل والامثال والحكم والقصص والتاريخ والاساطير وكل ما يهز النفس ويروقها ويشير فيها الوجد ويشوقها هي الوان الادب الذي لا مناص للامم التي تبغي العلاء وتبقي الفناء من استيفاء شروطه واستكمال ادواته حتى ترقى معارج المدنية وتتسق لها السعادة في الداخل والسيادة في الخارج .

وبعبارة اخرى العالم مركب من مادة ومعنى . فالمادة جامدة صلبة صامتة لا تعلق لها بالارادة ولذلك فهي تنتظر التصريف من عالم المعنى الذي هو المملكة الروحية القائدة المدبرة المرشدة الآمرة الناهية التي اذا تعلق ارادتها بشيء مضت تطلب أسبابه المادية . فكان عالم المادة خادما لعالم المعنى خدمة الجسم للروح وكان مقدار هذه الخدمة على نسبة مقدار الارادة وقوتها . فاذا اشتدت الارادة في امر اطاعتها المادة فيه اطاعة بعيدة المدى عميقة الغور . واذا كانت الارادة فيه ضعيفة كانت طاعة المادة للارادة ضعيفة وجاءت خدمتها لها ضئيلة كما نشاهد من احوال الامم اللائي لا يزلن في دور الانحطاط فان استمرار قصورها منشأه الحقيقي فقدتها لاسباب الرقي المادية من بخار وزيت وكهرباء وما اشبهها فقدتها لهذه الاسباب انما هو من ضعف ارادة هذه الامم في نشدانها وضعف هذه الارادة انما هو من

ضعف ملكة الادب فيها . اذ لو كان ناشئة هذه الامم يقرؤون من الاشعار ما يهز أوتار أعصابهم ويحفظون من الازجال ما يثير كوامن نفوسهم ويستظهرون من الحكم والامثال ما يوسع دائرة عقولهم ويطلعون من التاريخ ما يفسح آفاق تفكيرهم وما يقوي فيهم الرجاء ويدفع اليأس الى الوراء لكانت الامة ارقى حالا واشد على العلم اقبالا .

وقد يكون لانقص الاساطير ايضا وهي من المنازع الادبية عمل عظيم في انفسهم يسوقهم الى الكمال ويحفزهم الى المثل الاعلى لانه كما تقدم القول عليه لا تتحرك الارادة الا من بعة روحية وعن نهضة نفسية وهذه انما يقتدح زنادها الادب وتلقح مزنها رايح النظم والنثر وتستبسط ينابيعها مطالعة التواريخ وتنشل كنانها الازجال والاسجاع والاقوال التي تتسوغها الطباع والامثال التي تهفو اليها الاسماع .

فقولنا اذن ان الادب هو المرحلة الاولى من مراحل الحياة المستراد لمثلها انما هو القول الفصل المنحوت من اصفى مقاطع الحقيقة ولولا ذلك ما قال المؤرخون ان الثورة الفرنسية الكبرى ما كانت لتثور لولا الافكار التي زرعها فولتير وروسو وهما من أساطين الادب . ولما كان كارليل الكاتب الانكليزي يقول نحن الانكليز نرى شكسبير أنفس لدينا من الهند فان هذا القول يبدو غريبا لمن لم يتأمله حق التأمل فيقول كيف ان فذا من أفذاذ الانكليز مهما علا في الادب كعبه وملك العقول سلطانه يكون لدى ادباء الانكليز ائمن من الهند التي تتوقف عليها عظمة بريطانيا العظمى كلها . ولكن من تعمق في النظر يجد ان شكسبير هو الذي بقصائده هز معاطف الامة الانكليزية فاوردها موارد الصفاء واصعدھا مصاعد العلاء وحب اليها الجمال والحلال واطمعا في القلم والكمال وان فتح الهند المشتعلة على مئات الملايين من الانفس انما كان من ثمرات تلك الشجرة الادبية التي غرسها يد شكسبير في هذه الامة العظيمة ولولا ان يكون الادب هو مصدر الانبعاث الروحي ما كان الالمان فتنوا بغوثة الى حد ان شبانا كثيرين انتحروا من شدة التأثير باحدى رواياته . وما كان بعضهم يقول ان الله عوض الالمان من المستعمرات بالافكار الفلسفية ومن الفتوحات العسكرية بالفتوحات العقلية وهذه كانت نتيجة الثقافة النفسي والصقال المعنوي وهو الادب الذي نحن بصدد النهضة الفكرية والنهضة البدنية هما ابدان توأمان ولي من قصيدة :

والعرب لا تبدا بجمع جوعا الا سمعت نشيدها وحدها

هذا وما تبسط امة في الفتح والاستعمار الا على اثر نغمت شعرائها ونبرات خطبائها ونقشات ادبائها فهم هم المحركون للساكن الموقظون للهاجع الناشرون للهامد الرافعون للتضامن الحافزون للقاعد المتصرفون بقلوب الامة التي من بعد تصرفهم بها تتصرف بما لديها من مواد وخبرات على ايدي المهندسين والصناع والزراع وسائر العاملين بالمادة . واما العرب فلم يشدوا عن هذه القاعدة بل كان

الادب . من أعمال العوامل في نفوسهم . ولن تجد لهم فضيلة من قبل الاسلام الا كان الباعث اليها الادب من شعر وقصة وعظة ومثل . فهذه هي التي رغبهم في الفضائل ونفرتهم من الدنيا وهونت عليهم بذل المهج في حفظ الذمار وصون العرض واغاثة الملهوف والانتصار للضعيف وهي التي قدست لديهم قري الضيف والايثار على النفس وكون الانسان يعطش الى ان يموت حتى يسقي اخاه النميمري وهي التي جعلت البدوي المتمدن المتبذق قاصية الفلاة تضيق عليه مذاهبه وتضيق عليه نفسه وقد اقبل صوب خيمته ضيف هو عاجز عن قراءه فقال :

(هيا رباه ضيف ولا قري بحقك لا تحرمة تا اليلة الماحما)

وابنه يراه في هذه الحيرة وهو غلام يافع فيقول لايه . . (ايا ابت اذبحني وبسر له طعما) ويقول لايه لا تفعل يكن عارا كبيرا علينا فقد يظن الضيف اننا بخلنا عليه بالزاد ونحن نمكله . . (يظن لنا مالا فيوسعنا دما) وان الرجل قد يهيم بذبح ابنه لولا ان الله انقذه من هذه الورطة بمروور عانة ظباء اصمى منها بسهمه واحدة في ابان احتياجه الى القرى ولكنه كان قد حدث نفسه بذبح ابنه عندما ضاق به الامر (وان هو لم يذبح فتاه فقد هما)

وما كان غير هذا الادب الموروث الذي تناقله انسالهم خلفا عن سلف ولا يزال ملهج السنهم وحديث اسمارهم والمثال الاكمل في انظارهم حاملا لهم على هذه المبالغة في اكرام الضيف والايثار على النفس . وكما قيل في هذا الباب من بيت رفع وضيعا وخفض رفيعا وكم رويت من قصة ترنحت لها الاعطاف وثلعت بها الالباب من دون سلاف وكم سارت الركبان بحداء يتضمن من هذه الافعال النبيلة والمنازع العالية ما تنقطع دونه الاعناق حتى صار هذا الامر عندهم نهاية الشرف والسؤدد وصار المجد غير معقول من دونه وكم حدثوا عمن اوفى بعهده واتقى وتقلوا في سمر الليل من قصة في هذا الباب تتأرجح بها الاندية . ورووا من مأثرة في الوفاء تطيب لها الانفس وترتفع الارؤس وذكروا اناسا معمن امن خائفا فاذا بهذا الخائف هو نفسه قاتل ولد الرجل الذي الجاه وامنه . ومع ذلك فبعد ان عرف هذا الرجل ان هذا الملتجى هو نفسه كان قاتلا لولده لم يخفر عهده ولم يرض ان يغدر به . بل من هؤلاء المديرين من ساعد المستجير على الفرار سرا في جوف الليل حتى لا تعلم به عشيرته فتفتك به وهذا في العرب كثير وله امثال قديمة وحديثة . ومنهم من كان عنده نزيل فوقع واقعة بين ابنه وبين ابن ضيفه وكان من الصبيان الاغرار ففتك ابن المضيف بابن الضيف ولم يجد المضيف عند ذلك بدا من قتل ابنه ليخلص من عار القالة بان ولده قتل ولد ضيفه وليتقي سبة يرثها الاعقاب وتير بها تلك القبيلة على مدى الاحقاب وهذا كان مويت شيخ الضفير من عشائر العراق وهي معال لا يفهمها غير العرب ولا ترتقي همم الاعاجم الى ادنى درجتها واذا رويت لغير العرب لم يفهموا لها حديثا وقد قدرونها قدرها ولكنهم لا يعملون بشيء منها مع انها عند العرب من الخلائق الطبيعية التي لا يتصور

وجود العرب من دونها وانما رسخ هذا في نفوس العرب وامتزج بدمائهم بكثرة ما ورد في شعرهم ونقل من سلفهم الى خلفهم وتراجزت به سقاتهم على افواه الموارد وتفتت به حداثهم في اجواز الفيا في وهو الشعر الذي اوجده الله احسن قيد للمعالي واثبت سجل للآثر على حد ما قال حبيب الطائي :

ان المعالي والمساعي لم تنزل مثل الجبان اذا اصاب فريدا
هي جوهر نثر فان الفته بالشعر صار قلائدا وعقودا
في كل معترك وكل مقامة يأخذ منه ذمة وعهودا
فاذا القصائد لم تكن خفراؤها لم ترض منها مشهدا مشهودا
من أجل ذلك كانت العرب الاولى يدعون هذا سؤددا محدودا
وتند عندهم العلا الاعلا جعلت لها مرور القصيد قيودا

وما كانت للعرب فعلة محيدة الا اخذت من الادب عهدا ومن الشعر موثقا ولا دارت معركة ظهورا فيها على اعدائهم الا خلدتها اشعارهم وسارت بها ازجالهم وكانت حافزا لهم على مواقف مثلها .
إنظر الى قصائد ابي تمام والبحري والتمتبي وغيرهم في مغازي الخلفاء ومقاماتهم في الذب عن هذه الامة تجد فيها من العزة القومية ما يحرك الجماد ويزلزل الاطواد وذلك مثل قصيدة ابي تمام في فتح عمورية التي اولها .

السيف اصدق انباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

ومنها —————

اقت بنو الاصفر المصفر كاسهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب
وقصيدته في ذكر تغلب العرب على العجم في يوم ذي قار قبل الاسلام
لهم يوم ذي قار مضى وهو مفرد وحيد من الاشباة ليس له صحب
به علمت صهب الاعاجم انه به اعربت عن ذات انفسها العرب
هو المشهد الفصل الذي ما نجاه لكسرى ابن كسرى لا سنام ولا صلب

فأي عربي يسمع هذا الشعر ولا ترقص ناصيته ولا تهتاج مريته عزرة بقومه ونخوة بمصيبته ولا يستخف بالنايا في سيلهما ؟؟؟

وماذا نحصي من امثال هذه القصائد التي تغنى فيها شعراؤنا بمجد العرب وعلياهم فينطبع بها ناشتهم على الغرام بالفتح والتجد ومعالي الامور وشرائف الاعمال ويعلمون انهم سلائل تلك الامة العظيمة الفاتحة . اننا ان حاولنا احصاءها كنا كمن يحاول احصاء رمل عالج . وانما نجتزي هنا بمجرد الإشارة .

وقد بقي الشعر في العرب يرفع ويخفض وينصر ويخذل وهو أدب العرب الاسنى في الجاهلية

الى أن نزل الوحي على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم فنسخ الادب الالهي كل أدب قبله وأقرض الاخلاق ما كان مستحسنا وأبطل ما كان من حمية الجاهلية الجهلاء فأصبح الادب مقيدا بالشرع فاعتدل مائله ودجن نافرته وسلكته به المحجة الوسطى وعدل عن شعاب الانحراف وترهات الاسراف فسار الدين مع الدنيا رقيقين وتجلت الاولى والعقبى توأمين . وبديهي أن أدبا اثمره الوحي وثقافا أنجبه القرآن وفصاحة غذتها فصاحة التنزيل لما يفوق كل ادب آخر علما وعملا .

وقد شهد التاريخ العام للادب القرآني بخوارق العادة في أسلوبه وتأثيره ولم تكن هذه الفتوحات التي دهش بها المؤرخون ومكنت الاسلام من نصف المعمورة في نصف قرن لا غير الاثمة هذا الادب العالي الذي كان يفعل بالالباب فعل الشراب وناهيك بأدب رسول الله وآله واصحابه حملة الويتها وعمار انديتها وقد قلت فيهم برثائي لحافظ العصر مصطفى صادق الرافعي رحمه الله :

من ذا يطاول في البلاغة احدا وصحابه وأبا تراب حيدرا
المعربين اذا ارادوا خاطرا عنه بأعذب ما يكون وأقصرا
والمائعين المسكرات وقولهم ما خامر الالباب الا أسكرا

نعم ان فتوحات الصحابة لم تكن كلها بجوامع الكلم وأوايد الشعر وكان العامل الاعظم فيها الصارم البتار وقد يزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن . ولكن كم من كتابة أغنت عن كتبية وكم من قول اغنى عن صول وكم من معركة كانت تدور الدائرة فيها على المسلمين لولا شعراؤهم وخطبائهم وشواعرهم وأديباتهم وفرسان البيان منهم . وقد طالما لعب الشعر الحماسي ادوارا في هذه الفتوحات التي قلبت وجه العالم وطالما منع عنهم خوف العار واتقاء الاشعار هزيمة شعاء وداهية دهياء والله در المتنبي الذي يقول :

تلف الذي اتخذ الجراءة خلة وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا
والعار مضاض وليس بخائف من حنقه من خاف مما قيل

ولم تكن فائدة الشعر ومساجلات الشعراء ومحاضرات القصاصين والادباء منحصرة في اشارات نخوة المقاتلة وتهوين الموت على الغزاة في سبيل الله بل كان الادب متغلغلا في كل ناحية من نواحي الحياة الاسلامية لا يتحرك فيها متحرك ولا يسكن ساكن الا وللشعر والحطابة والبيان هناك الاثر البليغ والعمل العميق . وما كانت نهضة العرب العلمية في القرنين الثاني والثالث بعد الهجرة وتناولهم الى الفنون والآداب والحكمة التي كانت للاعاجم الا من نتائج انتشار الادب العربي لاسيما الادب القرآني الذي فيه (ومن يوت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا) . ولم تعول الدولة العباسية على ترجمة فلسفة يونان ونقل حكم فارس والهند والتبحر في العلوم العقلية والعديدية والطب وغير ذلك من الاسباب التي أسست بها هاتيك الحضارة الباهرة التي كانت الاولى من نوعها طوال القرون الوسطى الا بعد ان امتلأ

حوضها بشعر أبي العتاهية وأبي نواس ومروان ابن ابى حفصة وبشار بن برد وأبي تمام والبحري وابن الرومي ثم المتنبي والمعري وغيرهم من فحول الشعراء الذين كانوا يقظة في أبصار الدولة ولقاحا لحواطر الامة وكهرباء في اعصابها وبعد ان تدفق بعمر وابن بحر الجاحظ وبهر سحر بيان ابن المقفع والصابي وابن العميد وامثالهم من كتاب العهد العباسي ومعا لا مشاحة فيه أن المدنية الراقية لا بد لها من التحقق بالعلوم الصحيحة والعمل بها والاعتماد على الحقائق الكونية والتجارب الراهنة مما يعبر عنه اليوم بالمذهب الواقعي . ولكن الادب هو الذي يصل الازدهار ويشجذ القرائع وينبه نائم العزائم ويملا الحياة نشوة وسرورا ويجعل للمجتمع الانساني روثقا وبهاء ويشق الطريق الى المنجد ويحمل وسائل الترقى والتوقي وما كثر في الدنيا شيء الا ابتذل الا الادب فانه كلما كثر علا وهو الذي يحل صاحبه بحلية الكياسة وهو الذي يؤمن له طريق الرئاسة والله در القائل :

ما حوى العلم جميعا أحد لا ولو مارسه ألف سنة

إنما العلم عميق بحره فخذوا من كل شيء أحسنه

فالادب هو صنعة الاخذ للاحسن من كل شيء وقد أجاد الآخر في قوله :

ما خلق الله لامرئ هبة أفضل من علقه ومن أدبه

هما حياة الفتي فأنفق فقداه ففقدته للحياة أليق به

وقديما قالوا لا يمكن علمك ملحا وأدبك دقيقا وحسبك في فضل الادب وشرفه قوله صلى الله عليه وسلم (أدبي ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الاخلاق) فانت ترى ان مكارم الاخلاق هي من نتائج الادب وكفى بذلك للادب تكريما وتعظيما .

وخلاصة القول ان ارقى المجتمعات البشرية هي التي يشع فيها الادب ويعلو مناره وينتظم به القول مع العمل ويتآخي فيه الخيال مع الواقع وتسير به الحقائق الى جانب الرقائق فان الطبع البشري يأبى التمحض في منحى واحد ولا بد لرقى المجتمع من تاليف الاضداد وتعديل الاقسام حتى يحصل الاعتدال .

شكيب ارسلان

انتظروا....

معالم التوحيد في القديم وفي الجديد

لامير الامراء سيدي محمد بن الخوجة

الخيال

في الأدب العربي

بقلم الأديب الشيخ أحمد المختار الوزير
المعلم بمدرسة توشيح المعلمين

« ٣ »

الخيال الاستحضاري القصصي

ولعلني في حاجة ماسة الى ذكر امثلة متنوعة حتى لا يذهب كل قولني خلوا عاطلا من دلائل
الاستقراء والصدق . وسأختار من شعر عمر بن ابي ربيعة مثالا للخيال الاستحضاري القصصي .
اذ هو شاعر القصة في ادبنا العربي . وطريقة جدا هذه القصة التي استحضرها خيال عمر وتحدث
بها في قصيدة من غر قصائده اذ يقول

زعموها سألت جارها	وتعرت ذات يوم تبترد
أكما يعني تبصرني	عمر كن الله ام لا يقتصد ؟
فتضحكن وقد قلنا لها	حسن في كل عين من تود
حسدا حملنه من شأنها	وقديما كان في الناس الحسد
غادة تقتر عن اشنبها	حين تجلوه اقاح او برد
ولها عينان في طريفهما	حور منها وفي الجيد غيد



ولقد اذكر اذ كنا معا	ودموعي فوق خدي تطرد
قلت من انت ؟ فقلت انا من	شفه الوجد وابلاه الكمد !
نحن اهل الحيف من اهل منى	ما لمقتول قلبه قود ! !
قلت : اهلا اتم بغيتنا	وتسمينا فقلت : انا هند
انما اهلك جيران لنا	انما نحن وهم شيء احد
كلما قلت متى ميعادنا	ضحكت هند وقالت : بعد غد

ما اشك ان هذه الابيات استرعت اسماءكم . وانكم استحلستم رنة تنغيها الموسيقى العذب .
وان قلوبكم ترقصت طربالما في هذه الابيات من سرد حوار ممتع هو من سر احاديث المحبين
ونجوى العشاق المعاميد اذا انقطع بهم المكان وبعد عن عيون الرقباء وآذان الوشاة
واما اشك انكم تعجبون كل العجب من دقة هذا الشاعر في استحضار هذا الحوار بين هند
وبين جارتها في شأن ما كان يصفها به من محيد النعوت وحاو الصفات . فهند فخورة بجمالها العاري
وهي ايضا فخورة بجمال الادب الرفيع الذي كان يطوق حيدها وصدرها الناهد . ويكلك جينها
الوضي المتبلج . ثم انكم لتعجبون من استحضار هذا اللقاء الذي ظفر به عمر . فاذا هو يسألها
مستأنسا مترقفا . وفي تصون وعفة . عن اسمها . واذا هي تصارحه راضية بكل شيء . بالاسم والنسب والمنزل
والحمى . وتتحدث اليه بذلك مرتاحة مطمئنة . وادعة هادئة . بل ربما كانت غابئة لاهية . بل
ربما كانت مستهزئة ساخرة .

هذا هو خيال عمر بن ابي ربيعة الشاعر القصصي الذي ظهر في حواضر بلاد نجد بين تلكم
الربا المعشبة الخضرة . والاوادية المزدانة الخضرة . فعاش متقلبا في اعطاف النعيم يلومع لذاته . ويمرح
في مراتع الانس منقادا الى ضلال صواته . ومضى في ميعة الشباب النشيط محبا للفراغ . مؤثرا للخلاعة .
وما كان يدري انه سيعيش مفتونا باغلى محاسن الدنيا . مفتونا بجمال المرأة . فما كان يفارق زهرة
الا ليحط على زهرة . وما كان ينصرف عن رحيق وردة . الا ليقبل بعواطفه وروحه على رحيق
وردة . وهكذا لانه كان يعمش معاني الانوثة . وما ترمز اليه المرأة اكثر من المرأة . ومن يدري
لعله كان يرى في تغنيه بمحاسن امرأة واحدة ركودا . واسرا والشاعر من تلهون اعزف الناس عن
قيد الركود . واسر الجمود . وبهذا القلب المشوب عاش عمر للشعر والجمال . . . وانتهج نهج
القصص فكان صاحب فضل في هذا المنحى تقدم اليه ولم يغلب عليه . عهد كان والى هذا
العهد القريب .

الخيال الاستحضاري الوصفي

ولتكميل اطراف الموضوع ساختار مثالا للخيال الاستحضاري الوصفي من شعر ابي الحسن علي
ابن العباس المعروف بابن الرومي . فهو شاعر الوصف في الادب العربي غير منازع رسخت في نفسه
ملكة التصوير . وطبع خياله على التشخيص والتجسيد . واستعراض الكائنات في حلق من خصائص
ميزاتها . وشاراتها . والوانها . فاذا تعرض لوصف شيء ملا عينيه وقلبه بكل ما قد احتواه واشتمل عليه .
وتناول منه الخفي والظاهر والجواهر والاعراض . والحركة والسكون . وما دون هذا كله من
الدقائق التي لا يتفطن لها احساس غيره .

ولقد اعان ابن الرومي على نبوغه في فنه الكامل . طفولة عرائزه . وقوة حواسه ويقظاته شعوره التي لا قرار لها ولا سكون . فليس يغيب عنه شيء الا ادركه . وليس يدرك شيئا الا تآثر به وتلهى بالاقبال عليه . وفحصه من كل جانب .

فلا بن الرومي حاسة ذوق تدرك الحلو والمر وتعرف كيف تستحلي حلاوة الحلو وكيف تعاف مرارة المر وله حاسة سمع متنبه لمختلف الاصوات تدرك الغليظ الفاحش وتستكره وتدرك الرقيق الرخيم وتستلذه وتستعذبه . ولله حاسة بصر عميقة متأثرة فاحصة مستوعبة تتفقد مواضع الملاحة وتقدر الجمال ولا يفوتها الاقتباس من فتنه لمحاته الخاطفة وانواره المشرقة وقل ان شئت كان ابن الرومي مزودا بغريزة حب الاستطلاع . وكان ذا فن غزير . فكان ينحت اوضاع وحدته وعناصر معانيه من اصفى المقاطع ويفتن في تأليف والانسجام بقدرة كاملة وذوق صحيح .

وسترون على ضوء هذا التصدير ما قد امتازت به شاعرية ابن الرومي اذ يقول في وصف يوم خرج فيه مع اثنين من الاصدقاء لصيد الطيور .

وقد اغتدى للطير والطير هجم	ولو أوجست مغداى ما بتن هجعا
بخلين تما في ثلاثة اخوة	جسومهم وشتى وارواحهم معا
اذا ما دعا منا خليل خليله :	بافديك لباه محببا فاسرعا
كأن له في كل عضو ومفصل	وجارحة قلبا من الجمر أصمعا
فثاروا الى آلاتهم . فقلدوا	خرائط حمرا تحمل الشم منقعا
محملة زادا خقيقا مناطه	من البندق الموزون قل واقنعا
وقد وقفوا للحائثات وشعروا	لهن الى الانصاف سوقا واذرعا
وجدت قسي القوم في الطير جدها	فظلت سجدوا للرماة وركعا
وظل صحابي ناعمين بيئوها	وظلت على حوض المنية شرعا
طرائع من سود ويض نواصع	تخال اديم الارض منهن ابقعا
نؤلف منها بين شتى وانما	نشئت من الافها ما تجمعا
فكم ظاعن منهن مزمع رحلة	قصرنا نواه دون ما كان ازمعا
وكم قادم منهن مرتاد منزل	اناخ به منا منيخ فجمعا
هنالك تغدو الطير ترماد مصرعا	وحسبناها المكذوب ترماد مرتعا
ثوب بها قد امتعتنا وغادرت	من الطير مفجوعا به ومفجعا



انه لا يقول شعرا في هذا القصيد ولكنه يزخرف صوراً حية ناطقة . مفعمة بالمناظر والاشكال

والحركات والسكنات، فقد خرج مع رققة من خيرة الاصدقاء صدق مودة، ومكين حب، وبكروا في غبش الفجر حين كانت الدنيا ما تزال هادئة ساكنة يلفها الليل بشف الاستار، وينشر عليها الصبح شعاعا رقيقا من شعلة الانوار، وحين كانت النسمات الندية تنبه غفلات الاطيار، فتلمس اجنحتها لما رقيقا وهن ما يزلن هجعا بالاوكار، وما كانت الحائنات تدري ولا كان الانسان يدري ما تخبئه الاقدار والويل للطير، فقد شمر هؤلاء الرفاق للصيد وكشفوا الى الانصاف سيقانهم واذرعتهم ذلكم ليكون اسرع في تصويب السهام والملاحقة واعملوا في الطيور الحائنات سهامهم فراشوا في الصميم ألوفاً كانت مؤلفة، فاصبحت الى الفرقة والشنات، وهكذا ظلت الطيور تهوي ساجدة راكعة للرماة، قل انظروا فهناك السود والبيض ترقشت بها مطارح الارض الخضراء، فما كان احفله من منظر فرح به الاصدقاء فراخوا يجمعون هذه الطرائع في ثمول من النشوة الظفر بخير تأميل ورجاء

أليس هذا شريطا مؤلف الصور من الحركات والسكنات والاشكال والمنازع؟ ولم ينس ابن الرومي ان يتحدث لنا بما كان يحسه نحو الطير المسكين من الاحساس الاليم، فقد كان قبيل حين وإدعا مطمئنا هاجعا في اوكاره او حائما او محلقا يتخير المنازل ويرتاد المراتع، فما هي الا ساعة حتى راشت السهام، فسقط يتعرج من حرارة الضرام، وترك من الطير مفجوعا به ومفجعا.

تلكم هي عبقرية ابن الرومي التي اجابها الوصف، وابدع في التصوير كل الابداع، الا يخيل اليك انك معه بيقظات شعورك، وانتباه خاطرك، يقول استاذنا العقاد « واذا كانت هذه قدرة ابن الرومي على خلق الاشكال للمعاني المجردة او خلق الرموز لبعض الاشكال المحسوسة، فان القدرة التي سبق بها الشعراء في الامم كافة بغير شك ولا تردد هي قدرته البالغة على نقل الاشكال الموجودة كما تقع في الحس والشعور والخيال او هي قدرته على التصوير المطبوع لان هذا في الحقيقة هو فن التصوير كما يتاح لانبغ نوابغ المصورين، فلست اعرف فيمن قرأت لهم من مشاركة، وغاربة او يونان اقدمين واروين محدثين شاعرا واحدا له من الملكة المطبوعة في التصوير مثل ما كان لابن الرومي في كل شعر قاله مشها او حاكيا على قصد منه او على غير قصد، لانه مصور بالفطرة المهيئة لهذه الصناعة، فلا ينظر ولا يلتفت الا تنبهت فيه الملكة الحاضرة ابدا، واخذت في العمل موفقة محيطة، سواء سهر عليها او سها عنها، كما قد يسهو المصور وهو عامل في بعض الاحايين »

(يتبع)

احمد المختار الوزير



من رياض الأدب

بمناسبة ختم السنة الدراسية بالمعهد الزيتوني القى الشعراء
الفحول بمدياع تونس البريدية قصائد من غرر الشعر وأبدعه
في تهنئة الناجحين والتتويه بشأن جامع الزيتونة المعمور وعلومه

قصيدة الأديب الكبير
الشيخ العربي الكبادي

دخلت بيتي واستوحيت وجداني
من القريض الذي تبقى مآثره
حتى أطوق أحيادا قد اتصفت
من كل أروع في عرينه شعم
يا فتية اسهروا الأحقان وارثعوا
زرعتم فحصدتم ما يشر فكم
ايقتنم بنشاط المرء رفعة
فكنتم لكتاب الدرس من شغف
والعلم انواعه شتى فما احد
وخير انواعه ما جر منفعة
ينيل من اخلصوا في حال طاعته
وهؤلاء هم القوم الذين لهم
قوم بجامعنا المعمور ما فتحت
يتم اذا شئت عند الصبح معيهم
الى العلوم التي تقضي بصاحبها
ما بين فقه وآداب مهذبة
وسنة سنت الاخلاق طاهرة
وليس ذلك بمقصيهم وما نعمهم
ما دام في حيز الشرع الذي نزلت
ومن يكون لسبيل الشرع متبعها

لكي يجرود يياقوت ومرجان
ما دام بالارض آثار لانسان
بالسبق اربابها في خير ميدان
ذي همه اقعدته فوق كيوان
ثدي المعارف في سر واعلان
من فاخر السبق في مضمار عرفان
ولا يتاح العلا يوما لكسلان
سفرا يضم الذي فيه باتقان
يحويه طرا ولو مع طول ازمان
يوم الجزاء وفوزا عند ديان
وراقبوه باتقاف واحسان
تعلق بعلوم الدين ذو شان
على نظير لهم في الارض عينان
او المساء تجدهم جد ظمآن
بعد الممات الى روح وريحان
وبين نحو وتفسير لقرآن
من كل ما شان من زور وهتان
مما يروقههم بالعالم الفاني
آياته الغر في رشد وتبان
فليس يشيه عن نيل العلا ثان

قصيدة الاديب النابغ الشيخ الطاهر القصار

قم في الدنيا وحيى الجامعا
 وانشر مديح ذوي الدراية والحجا
 وانظمه في نحر الزمان قلائدا
 فالعلم يبني كل ملك باذنه
 ولتونس في العلم اعظم معهد
 فلجامع الزيتونة المجد الذي
 جمع الشباب سوابقا نحو العلا
 هذي الدهور شواهد بعلائه
 في كل عام هزة لتناجيه
 اسمع به وابصر بها قد اطلعت
 فتأرجحت مدن الشمال بعرفها
 والناس قد طفحت لذاك وجوهمهم
 اعظم بختم الجامع السامي الذرى
 حفل به برزت خلائف يعرب
 متسلمين من المكارم خيرها
 حفل تكلم بالكرام جبينه
 نظمت به آي العاوم كواكبها
 فليها ابناء الشمال بفوزهم
 وتسعد الخضراء بالبيت الذي
 وليمرح التاريخ تيهما وليقل
 وانشر هناء الناجحين بدائعا
 أرجبا يعم نواديا ومجامعا
 جمعت من الشعر البليغ روائعا
 ويغادر الجبل الديار بلاقعا
 غمر البلاد مكارما وصنائعا
 اضحى لمختلف المفاخر جامعا
 والانتقاء سواجدا ورواكعا
 فليكر الطرف الكليل الواقع
 تذر القلوب من الحبور سواجعا
 جناته زهر الثقافة يانعا
 وغدا بها طير البشارة ساجعا
 بشرا واعينهم سناء ساطعا
 من مشهد يدع النفوس خواشعا
 متقاسمين فيخار سبق واسعا
 متقبلين من العاوم ودائعا
 وحوث مظاهره الجلال الرائعا
 غررا تلالا في الفضاء لوامعا
 وينشئوا فوق النجوم مرابعا
 اسدى لطلاب النهوض منافعا
 قم في قم الدنيا وحيى الجامعا



قصيدة الاديب الفحل

الشيخ بلحسن بن شعبان

هو العلم فابذل ما استطعت له جهدا
وجرد له عزما وكن في سبيله
فانت به عال الى منتهى العلا
فعقبى اقتناء العلم فوز محقق
به يبلغ الانسان اقصى مرامه
ولا تتخذ شيئا سوى نيته قصدا
صبرا على حمل العناء يقظا جلدا
وانت به مستقبل زمنا رغدا
ونيل امان لست تدري لها حدا
به كم بنى من لم يكن ماجدا مجدا



الاحي من قد احرزو في مجاله
فقد حمدوا اليوم السرى وتكلمت
واتمر جهد قد اتوه مضاعفا
وعادوا الى اهلهمو في مسرة
فذلك تحصيل وذا عالميه
ايا جامع الزيتونة السامي الذرى
بنوك لقد اضحوا بذا القطر انجما
وادوا كما ترجوا وسالتك التي
بهم لم تزل تزدان كل مهمة
فما انت الادوحة ثمر المنى
فلا زلت حصن الدين واللغة التي
مفازا وأكبر فيهمو الحزم والجدا
مساعهمو بالنجح واستعذبوا الورد
واسدى لهم من خالد العز ما اسدى
وكل غدت ازكى التهانى له تهدي
وهذا حوى اهلية توقظ الكدا
لقد كنت في خضرائنا العلم الفرد
تنير الدجالا استطيع لها عدا
تقلدتها واستوجبت في الورى حمدا
بهم معقل العليا تدعم واشتدا
وتنشر من شتى المعارف ما اجدى
بفضلك لم تبرح لنجر العلا عقدا



اتينالك في مضى فافضت من
لدى حلقات يزخر العلم عندها
رعى الله عهدا فيه ثبت عقولنا
وان انس لا انسى جميل صنيعهم
واني لمن ابدى الجميل لشاكر
عوارف لا تبلى واكسبتنا رشدا
ويظفر بالمرغوب من رامها وردا
واشياخ علم زينوا ذلك العهد
ولست مضيعا ما حييت لهم ودا
ولن تبصروا منى لمعرفه ججدا



القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة الحليل الشيخ محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة

العالم النحرير الكاتب المجيد المدرس الشيخ سيدي محمد الشاذلي ابن القاضي
مدبر المجلة الزيتونية حفظه الله السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد قرأت
ما نشر بمجلتكم الغراء بقلم العلامة البجاعة المؤرخ سيدي محمد بن الحوجة
من تاريخ القضاء الشرعي بالحاضرة وأسماء من تقلد هذه الحطة من
منتصف القرن الثاني عشر الى اليوم من أهل المذهبين وكنت جمعت تراجم
مفصلة لهؤلاء على ما انتهى اليه بحثي فلمالكية من منتصف القرن السادس
للهجرة الى اصيل القرن الثالث عشر وللحنفية من القرن الحادي عشر الى
أصيل الثالث عشر أيضا فرأيت تكمة للفائدة أن أقدم اليكم خلاصة وحيزة
منه لتتشرها وهي ذي تصلكم مبتدأة بأقدم قاض وقفت على اسمه والله يتولى
حفظكم واعانتكم والسلام من عيدير به محمد البشير النيفر وكتب في
التاسع والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٣٥٨

١ - الشيخ أبو الحسن علي بن احمد الابي

كان هذا القاضي على عهد عبد المؤمن بن علي الذي اقام في الامارة ثلاثا وثلاثين سنة وثمانية
اشهر وخمسة عشر يوما وتوفي سنة ٥٥٨ هـ قال الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين (ص ٩) اثناء الكلام
على دولة عبد المؤمن :

وانشد قاضي تونس ابو الحسن علي بن احمد الابي بعد وقعة وقعت في الاعراب وهزيمة في
خبر يطول :

ولى الشباب امام الشيب منهزما فذا يصول وذا يشتد في الهرب اهـ

٢ - ابو عبد الله بن زيادة القاسبي

هو من قضاة الامير ابي زكرياء يحيى قال الزركشي في تاريخه (ص ١٨) : وفي الموفى ثلاثين
لشهر رمضان من سنة خمس وعشرين وستمائة عزل ابو زكرياء يحيى قاضي الجماعة بتونس طلب من
السلطان ذلك وقدم عوضه أبا عبد الله ابن زيادة الله القاسبي اهـ

٣- ٤ - أبو القاسم المريش وعبد الرحمن بن نفيس

هما من قضاة الأمير أبي زكرياء أيضا . قال الزركشي في تاريخه (ص ٣٣) : وفي سنة ٦٤٠ آخر المولى أبو زكرياء أبا القاسم المريش عن قضاء تونس وقدم عوضه عبد الرحمن بن عمر بن نفيس له وتوفي الشيخ ابن نفيس سنة ٦٨٢ قاله الزركشي (ص ٣٩)

٥ - عبد الرحمن بن علي التوزري المعروف بابن الصائغ

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٣) يوم الاربعاء ثاني صفر سنة ٦٤٦ بعد ان صرف عنه الشيخ عبد الرحمن ابن نفيس وتوفي على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩) سنة ٦٥٩

٦ - أبو القاسم بن علي بن عبد العزيز بن البراء المهدوي

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٦) سنة ٦٥٧ بعد ان صرف عنه الشيخ عبد الرحمن ابن الصائغ وبيت هذا القاضي من بيوتات العلم والوجاهة بتونس ، قال الشيخ احمد بابا في نيل الابتهاج في ترجمة حفيده عبد الله تقلا عن الشيخ خالد في رحلته ما نصه :
هو الشيخ الفقيه الحطيب ابن الشيخ الفقيه من بيت علم وادب ، ومجد وحسب . قطفوا ثمار المجد من غرس العلى ، واليهم الرتب والمنتهى ، فهم لباب مجد عزة انفس وذكاء ألباب ، ما منهم الا عالم اوحده ، لا ينعت ولا يجد ، والقاضي أبو القاسم به سقر مجدهم ، وهو الذي عمر ربع الملك ، وامر بالحياة والهلك ، وذبح القرطاس وفوف ، ودرس العلم وصنف له وكانت وفاة الشيخ أبي القاسم على ما في تاريخ الدولتين (ص ٣٣) سنة ٦٧٧

٧ - أبو موسى عمران بن معمر الطرابلسي

قال الزركشي في تاريخه (ص ٢٦-٢٧) : وفي سنة ٦٥٧ عزل السلطان القاضي عبد الرحمن عن قضاء تونس وقدم الفقيه أبا القاسم بن البراء المهدوي ثم اخذه عن القضاء وقدم أبا موسى عمران بن معمر الطرابلسي وكان فقيها صالحا حسن الاخلاق وطيب الجانب حافظا للذهب عارفا بالمسائل بصيرا بالاحكام ولي قضاء بلدة طرابلس والخطبة والصلاة بجامعها ثم نقل عنها الى قضاء تونس سنة ٥٨ فلم يزل قاضيا الى ان توفي له ورأيت له ترجمة مختصرة في كتاب التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الاخبار ، (ص ١٧٥) وفيه انه أبو موسى بن عمران ، ومما جاء فيها انه كان ، ، ، فقيها عالما تولى القضاء بطرابلس نيفا وثلاثين سنة واستن فيه بسنة اهل الفضل والعدل ، وانه كان ذا اخلاق جميلة وسيرة

حميدة ارسل له الخليفة الحفصي سنة ثمان وخمسين وستمائة فوصله بتونس فولاه القضاء بها واقام فيها وعشرين شهرا ثم توفي رحمه الله سنة ستين وسبعمائة اهـ والصواب ان وفاته سنة ٦٦٠ وكانت عاشر شهر ربيع الآخر على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩)

٨ - ابو عبد الله محمد بن علي بن ابراهيم المهدي المعروف بابن الجباز

ولي القضاء على ما في تاريخ الدولتين (ص ٢٩) بعد وفاة أبي موسى الطرابلسي ثم صرف عنه في ثالث شهر رمضان سنة ٦٦٢ ثم أعيد اليه في التاسع والعشرين لذي القعدة سنة ٦٦٧ وتوفي على ما في تاريخ الدولتين (ص ٤٠) بالمهديّة في ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ٦٨٣

٩ - احمد بن محمد بن الحسن الشهير بابن الغمان

ولي القضاء للمرة الاولى بعد ان صرف عنه ابن الجباز في ثالث شهر رمضان سنة ٦٦٢ ثم عزل رابع شوال سنة ٦٦٧ .

وهذا القاضي من افذاذ رجال العلم ، وهو أنصاري خزرجي ولد ببغية يوم عاشوراء سنة ٦٠٩ واخذ عن جماعة من شيوخ الاندلس ثم قصد بجاية واتخذها وطنا واشتغل فيها بالتوثيق ثم استوطن تونس واشتغل فيها بالتوثيق ايضا ثم ولي قضاء بجاية ، وكان في القضاء مثال الزعامة في الحكم والدراية بادارة رحا على قطب السياسة الحاضرة مع حفظ الحق ان يهضم ، وتبين للناس تفوقه على من جاء قبله من رجال القضاء .

ومن اجل ما تركه أثرا يذكر ويشكر أن جيش بجاية اتحد بجيش افريقية لحصار مليانة فاصبحت البلاد خالية من الجند وطلع قرن الفتنة والهرج من الخارج فنداركها رحمه الله بتدبيره وجده وحصر النار في مواقعها وقد خاف الناس ان تشر وأدار الخندق بالبلاد وشيد من اسوارها ما كان محتاجا الى التشييد .

وهذه حجة قيمة على من يزعم أن أهل العلم لا طاقة لهم أن ينهضوا بالامور العامة . ولما عادت السيوف الى اعماقها دعي رحمه الله الى تونس فقلد القضاء في كثير من بلادها ثم قدم الى قضاء الحاضرة في شهر رمضان من سنة ٦٦٢ وقد اسلفنا قريبا وتكررت ولايته الخطة وصرفه عنها نحو من سبع مرات قاله ابن فرحون في الديباج

وقال في عنوان الدراية : ولم يزل يخلع القضاء بحاضرة افريقية ويلبسها خلعا احسن من لبس ولبسا احسن من خلع لانه كان لا يخلعها الا مثلها وما هو اسنى منها ، ولم يكن الخلع لشيء اصلا اهـ

وكان اول صرف له عن الحطة رابع شوال سنة ٦٦٧ وآخر ولاية له في تاسع عشر شهر رمضان سنة ٦٩١ وتوفي عليها وقدم فيما بين التاريخين الى العلامة الكبرى سنة ٦٧٧ على عهد ابي اسحاق بن ابي زكرياء . وسمت منزلته في قلاب السلطان ابي عبد الله محمد ابن الامير ابي زكرياء الملقب بالمستنصر بالله واصطفاه رسولا منه الى بعض مملوك المغرب وكانت وفاته يوم الخميس عاشر المحرم سنة ٦٩٣ ودفن بمقبرة الشيخ عبد الرحمن المناطق بالخاصرة .

١٠ - احمد الشهير بالمفسر

ولي القضاء بعد ان صرف عنه ابن الغماز رابع شوال سنة ٦٦٧ ثم عزل في التاسع عشر من ذي القعدة في السنة نفسها واعيد الى القضاء ابن الجباز .

١١ - ابو محمد عبد الحميد بن ابي الدنيا

ولي القضاء بعد عزل ابن الغماز في رجب سنة ٦٧٩ ثم صرف عنه في شهر رمضان من هذه السنة نفسها وهذا القاضي من افذاذ رجال العلم والدين وهو طرابلسي الاصل تفقه بطرابلس الغرب على ابن الصابوني ودخل المشرق مرتين ورجع الى طرابلس بعلم جم فتصدر للتدريس بها واخذ الناس عنه الفقه واصوله واصول الدين وهم ممن ينكر المنطق من علماء الاسلام ، ولما اشتهر ذكره دعي من بلاده الى تونس فدخلها عزيزا كريما وولي بها القضاء قال في عنوان الدراية : وهو ممن يتجمل القضاء به لاهليته الدينية والعلمية اه وتوفي في السادس والعشرين من شهر ربيع الاول سنة ٦٨٤ ودفن بالزلاج قال الزركشي وتلمح العلامة ان عند رأسه سارية طويلة فيقولون قال صاحب هذا القبر اجعلوا لحدي بقدر علمي يريدون كبر درجته في العلم اه قلت وهو بعيد لان الرجل كان في الدين بالمقام الذي لا يدنو منه الاعجاب بالذفس ومن كلام الغبريني في عنوان الدراية فيه : وديانته وصيائته وورعه معلوم لا شك فيه اه وفي كتاب التذكار (ص ١٧٦) ان الخليفة المستنصر الحفصي اظهر تغيره في بعض الاوقات . (يتبع) محمد البشير النيفر

المجلة

تطلب وكلاء في المدن التي لم تبقى تصل اليها المجلة فمن آنس من نفسه الاستعداد والمقدرة يخاطب ادارتنا باسم امين مال المجلة

ان الدين عند الله الاسلام

مراحل التشريع الاسلامي بين مكة والمدينة

ان الله تعالى شرع الدين لتصفية أرواح البشر، وتخليصهم من شوائب الضلال، وتطهير عقولهم من الادران التي تعلق بها، لتمحض للاعتقاد الصحيح، وتصلح للعبادة والطاعة، وتخلص اعمالها لله وحده، وتهذب لحسن المعاشرة بالمعروف، فالدين هو ركن الاصلاح، ونبراس الهداية، والدواء الناجع لأمراض النفوس، والرابطة المتينة التي تجمع البشر على الخير، وتصل بهم الى السعادة العظمى. وتعاليم الدين مجموع امور ثلاثة، ما يحصل به الاعتقاد الصحيح، وما تهذب به النفوس، وما يتم به حسن المعاشرة الخاصة والعامة. وهي التكاليف الشرعية الموسومة ايضا بالمشقة والشرع على اختلاف في الاعتبار.

قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات ان الشريعة ترجع الى حفظ المقاصد التي يكون بها اصلاح الدارين وهي: الضروريات والحاجيات والتحسينات وما هو مكمل لها ومتمم لاطرافها. وقد اطلق القرءان اسم الاسلام على الدين الحق الخالص من كل شائبة قال تعالى: ان الدين عند الله الاسلام وهو الدين الذي جاء به الرسول لهداية البشر فخلصت به معتقدات متبعيه وكانوا على بينة فيما حملهم الرسول عليه وتمسكوا به، واسلموا وجوههم لباريء الكائنات واحسنوا في اعمالهم ومن احسن ديناً ممن اسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفاً.

واسم الاسلام يتناول سائر الشرائع السماوية الخالصة من شائبة التحريف التي خلصت معتقدات البشر فاصبحوا على بينة من الحق فالحق واحد والدين في اصله ومغزاه واحد وجاء التبديل من بعد فترتب عليه التغاير قال تعالى انا انزلنا اليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصاً له الدين الا الله الدين الخالص وقال تعالى: وما ارسلنا من قبلك من رسول الا يوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدوني. وجاء التماثل في اصول التشريع قال تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ان اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه. ومثل ذلك ما شرع في اصول العبادة يرشد اليه ما جاء في قوله تعالى مما خاطب به موسى (صلعم) اني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة لذكري

وفي اصل مشروعة الصيام ما خاطب به القرءان المسلمين بقوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون.

وفي مشروعية الحج وبيان امداء ووقته قال تعالى: الحج اشهر معلومات. علوها من شريعة

ابراهيم عليه الصلاة والسلام . وقال تعالى في بيان نوع من التشريع لامة خلت فيما يتعلق بالعقوبات وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس والسن بالسن والعين بالعين والجروح قصاص . وقال سبحانه في التشريع الاسلامي ولكم في القصاص حياة . وقال تعالى بعد ذكر الانبياء عليهم السلام اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم . وقال سبحانه في حق المسلمين . يريد الله ليعين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم . وعلى هذا الاصل قول ان الشرائع متحدة في اصل العقيدة واصول الطاعات . متحدة في العناية بتهديب النفوس ونشر الاخلاق الكريمة ، فان الله واحد لا شريك له . وصفاته سبحانه ازلية قديمة لا تبدل فيها ، ويوم الجزاء بما اشتمل عليه ثابت لا يتغير . واستحقاق المنعم للشكر والطاعة قضية مسلمة لا خلاف فيها قال تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون . والفضيلة في نفسها فضيلة مرغوب فيها على الدوام والرذيلة رذيلة لا تنقلب فضيلة . وانما التخالف في الملابسات ، وعلى هذا القياس

والتغاير بين الشرائع فيما هو اخص من ذلك انما التغاير في فروع الشرائع والعوارض الطارئة في التكليف والتكاليف انواع القسم العظيم منها يرجع الى الحياة العامة او الخاصة ومنها ما يتصل بهيئة العبادة وتنويعها والتجريم والتحليل حسب المصلحة التي تقتضي ذلك مما يعود بالنفع العام على الناس وذلك قوله تعالى : ولكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجا . فهو يرجع الى فروع المصلحة على ما اقتضته الحكمة من اوجه الحفظ والرعاية المتنوعة فان حالة البشر لم تكن متناسقة في جميع العصور فكان هذا مدعاة لاعتبار المراحل في تبليغ المالم . والرسول قد قطعوا بالبشر المرحلة تلو المرحلة على حسب الاستعدادات التي كان عليها الناس حتى كانت خاتمة المراحل التي انتهى اليها البشر فجاء التشريع العام الذي يصلح لكل عصر وفي كل مصر بما اوحاه الله تعالى لحاتم الرسل عليه الصلاة والسلام

وبهذا نعلم انه لا تفاضل بين الشرائع من حيث اصل التكليف ضرورة أن مصدر جميعها واحد وهو الله تعالى فهو سبحانه الذي ارسل الرسل وأوحى اليهم بالشرائع التي اتت كل واحدة منها ملائمة للحالة الاجتماعية التي كانت عليها الامة المرسل اليها طبق الحكمة الالهية التي ربما تخفى على بعض العقول وحيث ثبت التغاير من جهة الفروع جاء وصف التفاضل منظورا فيه الى التشريع السابق واللاحق بالنسبة للامة من حيث وطأة التكليف ويسرها وسهولتها ففقت الشريعة بهذا الوصف ينبغي ان يكون من هذه الجهة لا من الجهة الاولى واحسب ان هذا لا يخالفني فيه مخالف

وبهذا نعلم ايضا وجهة النظر في جواز تفضيل بعض الانبياء على بعض وعدم الجواز ف باعتبار انهم رسل ارسلهم الله بشرائع لانارة سبل الهداية فلا تفاضل بينهم وعليه جاء قوله عليه الصلاة والسلام لا تفضلوني على الانبياء وقوله لا تفضلوني على يونس بن متى وباعتبار ما يلاقونه في سبيل الدعوة من المشاق المتفاوتة وما اودع الله في نفوسهم من الصبر

لتحمل اعباء الرسالة وشدة صبرهم على تحمل الاذى من المعاندين المكابرين فهم متفاوتون في المنزلة كتفاوتهم في الخصال والصفات فمنهم اولوا العزم ومنهم من خصه الله بصفة الحلة ومنهم من كلبه الله ومنهم من خصه بالشفاعة العظمى يوم المحشر . فهذه المزايا وهبها الله تعالى لاصفيائه من خلقه والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم

ويتبع ذلك ما خص به تعالى هذه الامة وميزها به من طرق الهداية وشرقا بخاتم الرسال وخاتمة الاديان وجعلنا امة وسطا شهداء على الناس وجعل الرسول علينا شهيدا قال تعالى في معرض التفضل والامتنان وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا . قال المفسرون وسطا اي خيارا

فتلك منازل الشرف التي قصرت عنها سائر المنازل وسمانا سبحانه المسلمين على لسان رسوله وعلى لسان ابراهيم من قبله عليهما الصلاة والسلام فآكرم بها من نعم لا نحصى ثناء وشكرا عليها واعلم ايها الراغب في الخير المتطلع الى السعادة ان الله تعالى شرع لنا هذا الدين الذي شرفنا به وانزله على رسوله العظيم في ارض الحجاز . وقد كانت مدة التشريع اثنتين وعشرين سنة وبضعة اشهر .

واول التشريع كان نزوله بمكة ام القرى . وهو يشتمل على معظم القواعد الكافية . وكان اولها تصحيح العقيدة اقامة البراهين على ان الله هو الواحد الاحد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً احد . ليس كمثل شيء وهو السميع البصير قل لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا ثم تبعه ما هو من الاصول العامة كالصلاة وانفاق المال والترغيب في ثوابه تعالى والترهيب من غضبه واليم عقابه والنهي عن كل ما هو كفر او فسوق

ثم جاء التشريع بما يتعلق باصلاح النفوس وتهذيبها والحث على مكارم الاخلاق التي بعث صلى الله عليه وسلم ليعمها بالقول والفعل . قال عليه الصلاة والسلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق . وقال تعالى : وانك لعلى خلق عظيم

والعناية باصلاح النفوس مقصد عظيم واصل من اصول التشريع الاسلامي ولذلك جاء متصلا باصلاح معتقد الناس يامرهم بمحاشن الاخلاق كالعدل . والاحسان والوفاء بالعهد . والعفو . والاعراض عن الجاهل . والرفع بالاتي هي احسن . والخوف من الله تعالى . والصبر والشكر . وصلة الرحم وكل معروف . ويحذرهم من مساوي الاخلاق كالفحشاء والمنكر . والبغي . وقبول الزور . والتطفيف في المكيال والميزان والفساد في الارض . والزنا . وقتل النفس بغير حق . ووأد البنات . وقيل وقال . وكثرة السؤال . واضاعة المال الى غير ذلك من الصفات وقصة ابي سفيان مع هرقل عظيم الروم قد جاء فيها ان هرقل سأل ابا سفيان . وقال له ماذا

يامركم (يعني به النبي صعلم) قال ابو سفيان قالت : يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يعبد آباؤكم . ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة

وكانت المدة التي وقع فيها التشريع بمكة اثني عشرة سنة وخمسة اشهر وبضعة ايام بتبديء من السابع عشر من شهر رمضان سنة احدى واربعين من ميلاده عليه الصلاة والسلام وتنتهي في ربيع الاول سنة اربع وخمسين من الميلاد وهي نفس المدة التي اقام فيها بمكة بعد البعثة وقد اطلق العلماء على التشريع في مكة انه التشريع الاجمالي المتضمن لمعظم القواعد الكلية ، والجزيئات المشروعة بمكة قليلة والمرحلة الثانية في التشريع كانت بعد الهجرة ومدة التشريع فيها تسع سنين وتسعة اشهر وبضعة ايام . بتبديء من ربيع الاول سنة اربع وخمسين من ميلاده صلى الله عليه وسلم وتنتهي في ذي الحجة سنة ثلاث وستين من الميلاد وهي المدة التي اتخذ فيها صلى الله عليه وسلم المدينة دار إقامة واعتمدنا هذا الحساب باعتبار تاريخ الآية التي اشعرت بتعمام التشريع وكمال الدين وهي : اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا وتاريخ نزولها يوم عرفة وهو اليوم التاسع من ذي الحجة في حجة الوداع وان كان للعلماء هاهنا خلاف تقتصر على هذا وهو المتجه في نظرنا

والتشريع الذي وقع بعد الهجرة قد كملت به الاصول الكلية وما يتبعها من الجزئيات . كالوفاء بالعقود وتحديد الحدود واصلاح ذات البين ونظام الاحوال الشخصية في الموارث . والانساب والجهاد والزكاة وصوم رمضان والحج وتحريم المسكرات الى غير ذلك مما يحفظ الامور الضرورية في الحياة العامة او الخاصة ، وما يكملها ، وما يحسنها .

فعلت بهذا ان التشريع وقع على مرحلتين الاولى قبل الهجرة وقد روعي فيه حال المخاطبين به فكان على نحو ما ذكرنا ، ثم لما استقرت العقيدة في النفوس وصلاحت لتلقي بنود الشريعة واتسعت خطة الاسلام كانت المرحلة الثانية ، على ان من التشريع ما وقع خارج الحرمين فان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا ما تحدث الحادثة وهو في سفر فيقع التشريع وذلك كمشروعية التيمم وكالتشريع الذي وقع في الغزوات .

وبهذا تنتهي الى اصل من اصول التشريع ، وهو ان الاحكام الشرعية نزلت تدريجيا بحسب ما تقتضيه سنة التكليف ، روعي فيها حالة المتلقين لها .

وكانت تأتي مرة بحسب الحوادث ، وطورا تكون جوابا عن سؤال الصحابة .

والسؤال على نوعين اما ان يكون لاستظهار حكم في واقعة حال فياتي الحكم علما لكافة الامة . كقبوله تعالى يسالونكم عن الحمر والميسر قل فيها اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكثر من نفعهما واما ان لا يكون السؤال لاستظهار حكم ، والجواب عن هذا النوع مرة يكون مطابقا لاصل السؤال ولا يترتب عليه حكم لا خاص ولا عام ومرة يكون الجواب غير مطابقا للسؤال لافادة السائل ما

يهمه معرفته وتحويله الى شيء ينبغي ان يكون السؤال عنه كقوله تعالى يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج وطورا يقع التشريع ابتداء . فيأتي الحكم بعد ان يستقر ما شرع قبله في النفوس . وهذا لطف من الله تعالى بعباده حتى لا تضجر نفوسهم بتكاليف الملة وتتراس لاوامر الله ونواهيه على طريق التدريج وحكمة منه سبحانه وهو العليم الحكيم وهو تعليم وارشاد لاولي الامر ليسلكوا مع الرعية طرق اللين والتدريج فيما يكلفونهم به مما توجبه المصلحة العامة . ولا يغامرون بهم فيفرضون عليهم المشاق التي تتضاهل المصلحة المنتظر حصولها امام ما يقع من التصدع ويفضي الى عدم اداء الواجب وقد ظهرت اثار هذا التعليم في سياسة الخلفاء الراشدين التي ساسوا بها الامة الاسلامية مدة خلافتهم فهذا عمر الفاروق رضي الله عنه يعفي القائد العظيم خالد بن الوليد من قيادة الجيش الاسلامي رأفة منه رضي الله عنه بالمسلمين الذين كانوا تحت قيادة ذلك البطل

وكذلك كان حاله رضي الله عنه مع المسلمين لما خاطبه عمرو بن العاص في غزوه مصر . فانه تردد رضي الله عنه بين الاقدام والاحجام ولم يرد المغامرة بالمسلمين اتقاء ان يحملهم امرا ربما المصلحة في عدم الاسراع به ويكلفهم ما هو فوق طاقتهم فهو يرى ان الفتح يكون تدريجيا كما عليهم رسول الله حيث القى عليهم الشبر تدريجيا .

وبهذا نعلم أصلا آخر من الاصول التي راعاها التشريع الاسلامي . الا وهو رفع الحرج في التكليف الشرعية واستقراء نصوص الشريعة يفضي بنا الى هذا الاصل العظيم ايضا قال تعالى ما جعل عليكم في الدين من حرج .

وقال تعالى ما يريد الله ليجعل عليكم في الدين من حرج . ولكن يريد ليطهركم وقال تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها .

ومنه نعلم أصلا ثالثا وهو ان الدين يسر وليس بعسر وان الشريعة ميسرة لا منفرة قال تعالى :

يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر

وقال جل جلاله : يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا . وكذلك كان حاله صلى الله عليه

وسلم مع الامة . وفي الحديث : ما خير صلى الله عليه وسلم بين امرين الا اختار اليسرهما ما لم يكن انما .

ومن ذلك ما جاء في جامع الترمذي عن ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عنه صلى الله عليه وسلم

انه قال : إدراوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم . فان كان له مخرج فخلوا سبيله . فان الامام ان يخطيء

في العفو خير من ان يخطيء في العقوبة

ولا نطيل في ذكر النصوص الدالة على يسر هذا الدين الذي جعل الله فيه لعباده الرحمة والسعادة .

ورتب على الحسنات والطاعات المغفرة وحسن الثوبة وعفا عنهم بهم بالمعصية وتضعف له حسنات اذا

قصد بالكلف الخشية من الله تعالى وذلك كله رحمة من الله سبحانه بهذه الامة وهو ارحم الراحمين

بحر الانساب

نور الانوار - ذيل بحر الانساب المحيط

أهدى الى المجلة فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ حسن الرفاعي الشريف الحسيني من كبار علماء الازهر ورئيس رابطة الاشراف الكبرى بمصر هذا السفر الفاخر الجليل المشتمل على كتاب بحر الانساب المسمى بالمشجر الكشف لاصول السادة الاشراف للعلامة النسابة السيد محمد بن احمد عميد الدين علي الحسيني النجفي الذي اشتمل على اصول وفروع وعموم السادة الاشراف وعلى شرحه للعلامة السيد محمد مرتضى الزبيدي وكتاب نور الانوار في فضائل وتراجم ومناقب ومزارات آل البيت الاطهار للشيخ السيد حسين محمد الرفاعي وذيل بحر الانساب له ايضا جمع فيه ما وصل اليه من الشجرات الزكية المتصلة بالنسب الشريف من جميع الاقطار ، فجاء سفرا جامعاً له قيمته التاريخية وثمرته العلمية فهو جامع عظيم القدر يجد فيه الناظر ما يعز وجوده سيما بعد ان تغم الشيخ الرفاعي ما انتهى اليه النجفي والزبيدي واما النسخة المخطوطة التي طبع عليها الاصل وشرحه فهي النسخة الوحيدة بالقطر المصري وقد زادت قيمة الاصل والذيل بالفهارس التي جعلها لها وهي ستة فهارس في موضوعات الكتب والاعلام وقد ذكر فيها اعلام اصول الشجرات والامم والقبائل والمدن والقرى .

والشيخ الرفاعي قد ادى بهذا العمل المتميز المشكور واجبا عظيما نحو آل الرسول الاشراف نرجو له حسن الثوبة عند الله والاقبال على هذا (البحر) الزاخر ممن يقدر نفائس الاشياء حق قدرها وهو مع ما جمع فيه من فروع الشجرة الزكية فلم يزل كثير من الفروع لم تلحق باصلها فيه فنحن نحض السادة الاشراف على ان يرسلوا الشيخ حسين الرفاعي بسلاسل انسابهم او يرسلوها الى ادارة مجلتنا ونحن نتعهد لهم بابلاغها الى رئيس رابطة الاشراف ليقع نشرها في الجزء الرابع لبحر الانساب وهذا بعض ما نقوم به لآل الرسول الاكرمين عليه من الله افضل الصلاة وازكى التسليم وعلى آله آمين .

الاجابة

لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة

كما اهدى لنا الاستاذ العالم السيد سعيد الافغاني الدمشقي كتاب الاجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابة تأليف الامام بدر الدين الزركشي المولود بمصر سنة ٧٤٥ والمتوفى سنة ٧٩٤ وهو كتاب عظيم الفائدة جمع فيه مؤلفه الاحاديث التي تفردت بها ام المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن باقي الصحابة وقد ألف في مستدركات عائشة رضي الله عنها جماعة من اهل العلم منهم ابو منصور عبد الحسن البغدادي المتوفى سنة ٤٨٩ وقد اثبت مؤلفنا ما استدركه البغدادي وزاد عليه ما تفرد بتخريجه والنسخة التي طبع عليها الناشر هي نسخة بخط المؤلف نفسه وقف عليها بخزانة المكتبة الظاهرية بدمشق وصدرت بمقدمة حافلة ضمنها موضوع الكتاب وترجمة المؤلف كما علق عليها حواشي تدل على قيمته العلمية وسعة اطلاعه وختمه بفهارس خمسة على الطريقة الحديثة فنشكر الاستاذ الافغاني على هذه التحفة الثمينة والذخيرة التي قدمها لاهل العلم مع تقديرنا لمجهوده

وقال يخاطب الامير الجامع بين العلم والامارة المولى محمد باي ابن الامير الكبير المولى حسين باي ابن علي المتولى سنة ١١٦٩ يستعطفه ويستقبل العثرة ويطلب الافراج عنه من السجن

لمشري بتمام عفوك ما طلب
وأقل شيء من رضاك محصل
فإذا ظفرت به فاني آمن
ولانت أولى أن تعود بنظرة
الحلم فيك سجية معروفة
انتم شعوس هداية وطلوعها
خصصتم أبي حسين بالقي
الملك أتم أصله وابعكم به
فلذلك أجري أمره بسدادكم
يا من بنى للعفو بيتا لم تنزل
هذا مقام معذب بك عائد
عظمت ولكن كان عفوك عندها
فاسمح بها أمنية عنوانها
وامدد إلي يدا أفوز بثلثها
دامت حياتكم وعز جنابكم

ما بعده لي في الاماني من أرب (١)
لمؤمل نيل السعادة ما أحب
لا أخشي جور الزمان وان غاب
في شان من نادى خناك من كذب
يا خير من يولي الجميل إذا غاب
قد كان حسما للتعسف والشغب
يرضى بها رب الشريعة والحسب
قدم التقدم والعلي من الرتب
سهلا وتمضون العويص بلا تعب
تعلو دعائمه على هام الشهب
من هفوة القته في طرق العطب
عفو النبي عن ذنب كعب اذ رهب
منك التيسر بعد هذالك الغضب
ويزيل عني جودها هذا النصب
ما نال راحي منكم ما قد طلب (٢)

وله يخاطب الوزير الحاج علي بن عبد
العزيز في طلب الشفاعة عند مخدومه المذكور

يا ابن عبد العزيز انت عزيز
تحمل الكل في المضيق وتحمي
واذا ما الزمان اصبح صعبا
ثابت الود في جميع القلوب
من يناديك من تعدي الخطوب
كنت عوننا على الزمان الصعب (٣)

وله مهنا للامير المولى محمد باي بولادة ابنه الامير
الاشهر الافخم المولى محمود باشا ومؤرخا عام ولادته (٤)

طالع السعد باليامن حيا
حين قالت لدى الولادة يا بش
فجرى الفال بابن يعقوب بدءا
ذاك محمود الرشيد تجلى
يا اباه محمدا فز بنجل
جاء للملك كالمهني ذويه
صانه الله وارثا لابييه
ولهم قيل عند ما ارخوه
واضح البشر مستبشر المحيا
راي هذا غلام قلنا رضيا
وتناهي بان النبي زكريا
اثر ما قال رب هب لي وليا
لم تكن بالدعاء فيه شقيا
بعد ما اتبذوا مكانا قصيا
وابيه موفقا لودعيا
ووهبنا لكم غلاما زكيا

١١٧٠

(١) وفي رواية من طلب (٢) وفي رواية (ما اشتاق مضطر لعفو مرتقب) (٣) وقد نجح
مطلبه فان الامير اطلقه وتولى بعد ذلك في ولاية الامير علي باي شهادة غابة الزيتون وصلاح حاله عنده.
(٤) كانت ولادة الامير محمود سنة ١١٧٠ وولاية الملك في اوائل صفر سنة ١٢٣٠ وتوفي سنة ١٢٣٨

وله يرني الامير محمد باي المذكور رحمه الله ويعزي شقيقه
ووارث الملك من بعده صفر الملوك الشبيه بالرشد المولى علي باي

هل اذكرتك العهد بعد تناسي
ان كنت تجد ما لقيت فاني
ولئن نسيت الطاعين وقد مضوا
هذي المنازل اقفرت من بعدهم
كانوا الضياء لها ولما ادخلوا
يجد الجماد على العشير كئابة
من مخبري عن سيرهم اوسوءهم
ومتى يكون اياهم واظنهم
واود لو سمعوا حديثا دار في
ما لي اغالط بالسلو وقلها
والهم يغلب من يحاول سيره
ومن استمال الى الليالي امانا
والحي عرضة لكل سهم صائب
وانا الذي عانيت من اوجاعها
والشيء يخبر عن حقيقة امره
وهي الدواهي مرة وامرها
ذهب الامير محمد وكانه
او انه لم يسم في طلب العلا
من اين ادركه الحمام ودونه
أ تغافل البواب ام سبقت له
جهد الزمان ولو درى بمقامه
صعب على الايام ان يرى لها
قد كان طلاع الثنايا خيرا
(٢) حرذا على الواشين ليس يهزه
يبكي له الادب القريظ واهله
والسيف ملتفت الى ارضائه
كادت عرى الاسلام تنقض بعده
خير الخلائق صنوه وقسيمه
ما اخلق الملك العلي عماده
ناه عن اتيان المناكر امر
الملك يعلم انه بعناية
يا من يعز على المعالي ان يرى

دم من تقادم عهدها بالناس
رهن الاسى او كل قلب قاسي
يوم النوى فرقا فليست بناسي
ولطالما مانت من الانياس
طلع الظلام لغيبة النبراس
غلب المشوق فكيف بالحساس
في اي ناحية واي مواس
لا يرجعون لآخر الاحراس
خدي يخلت به عن الجلاس
وقف العليل لصكة المقباس
حتى يغيبه عن الاحساس
ضربت له الاخماس في الاسداس
ومصائب الدنيا على اجناس
فطعمت منها لدغة الدساس
من ذاقه نسا بغير قياس
موت الشقيق الطيب الانقاس
لم يعل فوق مراتب وكراسي
حتى ألان الصعب بعد شماس (١)
حرم السلاح وحومة الحراس
قبل الهجوم يد مع العساس
ما ساقه قسرا الى الارماس
جبل من الحلم المقدس راسي
عونا على الازمات خير مواسي
للهوقات مكائد الوسواس
وعوامل الاقلام والقرطاس
والخيل تائقة الى الاحلاس (٣)
لو لا مقيم الدين بالقسطاس
وقت الرخاء وضيق حر الباس
بعلي الشهم التزيه الباس
بالعرف لا ساء ولا نفاس
يمسي ويصبح في اعزل لباس
خلقا من الزمن المسيء الجاسي (٤)

(١) أي شدة وصعوبة ومنه فرس شماس اذا استعصى على راكبه . (٢) اي كثير الغضب على
الواشين من حرد كفهم اي غضب . (٣) الاحلاس جمع حلس وهو كساء يجعل على ظهر الدابة
تحت الرجل او السرج . (٤) اسم فاعل من جسا الشيء يجسو اذا يبس وصلب

ما مات من كنت الخليفة بعده
ان المنايا لا تترك لجازع
فهي التي مردت على حكامها
فجعت متمعا الاسيف بمالك
واذاقت النعمان سما ناعما
وتساعت في تبع وسط على
وشجت امية في بنيه وعبت
ولال اغلب قارعت وترصدت
وقضت على لمتونة وتقبلت
ولقى بنوزيان من اوصاها
وهوت باملاك الطوائف بعد ما
ورمت بني حفص بكل رزية
وهلم جرا لم يصن من كتبها
ولانت افضل مدعن لمقالة
اصبر نكن بك صابرين فانما
خير من العباس اجر ك بعده

وله يمتدح المولى علي باي ويذكر موطنه وما قاساه في طلب
تراث ابيه من ملك تونس وظفرة بذلك بعد الاهوال الصعاب

ياسعد باسمك فال من يستنطق
حدث عن الريم المقيم برامة
عهدي بهم نزلوا العذيب وقصدهم
تلك المنازل لم اهم برسومها
والدار يذكرها اللسان معرضا
والنفس تخضع للمليح وانما
ولعارض ابعدت علمي جانبا
وذهلت عن قول العواذل ماله
نظروا كما نظر الخلي محائلا
ونظرت كالיום المبارك دمية
تفترعن كالبرق ابصر ضوؤه
ويلوح تحت الحديد من اطواقها
وتميس كالغصن الرطيب يناله
تلك التي سارت وقلبي اثرها
لم انس آذ قالت وقد ودعتها
قلنا علي ابن الحسين ملاذنا
ذاك الذي ينسى الغريب بقربه
ملك لا يام الشباب محاسن

حيا ديارك صيب يتدفق
هل غربوا بخيامه ام شرقوا
وادي العقيق وبعد ذاك الابرق
الا لاسمع قولها لو تنطق
والقلب بالسكان منها اعلق
يرمي بها اقصى المرام الرونق
حتى عشقت ولدت من لا يعيش
خلع العذار لبارق يتالبق
لكنهم لما راوها رفقوا (١)
ماء الهاء بوجهها يترقرق
من بات من سخط له يتشوق
فجر اذا كذب السماء يصدق
من جانب (٢) سيل مغدق
كالباز في اثر الشريد يحلق
بان الخليط فقل بمن تتوئق
قالت ظفرت اذا وعز الابلق
اوطانه ويجود منه المعلق
واذا تعد فلهو منها الريق

غلبت الزمان به لغير اوانه
حملت به الايام في تعيسها
وبه استعادت ما مضى من عمرها
اذ قام بالعبء الثقيل لثاره
و-مى لرد الملك وهو مصمم
من بعد ما قذفت به ايدي النوى
كالبدر اذ حاز الكمال وسييره
ناهيك من اسد اذا حمي الوغى
تلقاه للخطب الجليل مبادرا
فافاض من بحر الخميس مناهلا
ينحط من بطن الجزائر فيضه
امواجه الحيل العتاق وانها
تدري سنايكها على اعطافها
وكانها العقبان تحمل فوقها
لم يعيها التوايب في ادلاجها
حتى اناخ على طريق مغيرة
مارد كف (الكاف) صدمته ولا
ودعته تونس بعد فجر خميسها
فتعاقا اذ ذاك من فطر الهوى
وكذلك الاخطار يدركها الذي
فخر به حازته تونس وحدها
ياها الملك الذي نظر السنا
مالي احوال شربة من عفوكم
ان كان لي الذنب العظيم فيحلكم
قالت قتيلة للرسول وربما
هذي حرائر خاطري وجهتها
جاءتكم تمشي على استحيائها
ومدائحي كالدور موضع حسنه
يبلى الزمان وخلقها متجدد
فانظر لها نظير الشفيق واولها
واسلم بحالة غبطة حتى ترى
وله فيه ايضا رجمها الله تعالى

حيث فجن له الفؤاد المذنب
لا يا تخلص كالشفاء ودونه
واقول ما استقلت وقفة زائر
واقول منها وكننت جالدا قبلها
ما ذا لقيت من الزمان يروعي
طيف الم بمن له يتشوف
ظن يسيء به ووعد يخلف
خاف العيون وضاق عنه الموقف
صبري وقد ولي الخيال المشرف
بالحيف حتى في المنام يخوف

من كل وجه لي عليه ملامة
أفلا كفى أن عشت فيه وقالبي
يرد الميالة بنوه لا عن غلة
هين عليهم لو قذفت بهمتي
والموت اسعد وهي بغية كلهم
فإذا قرمت أكلت لحم أناملبي
وتتوب عن خطب الوفود دفاتري
عجبا لا يام تجور الم يكن
حرم الامان لمن اراد حماية
ملء القلوب اذا بدا متسما
كم نحتمي في القول عند مديحه
حتى اذا نظر المديح بدا له
فنعود من عادابه بفوائد
وعلا بهمة الكريمة ان يرى
وكفاه عن سمع الملاهي درسه
وتفقه في الدين ثمة فصله
وافاضة للعالم بين طوائف
والذ ما يسديه منها عنده
ومضت كذا عفوا جميع فعالة
ودعى بقفصة فاستجاب معينها
وجرى يخرق كل بطن قرارة
واطاعت الانجاد فيه وهادها
فتراه كالعبان في حركاته
حتى لوى بشعاب تونس راسه
وانحل عن عذب الزلال ولاؤه
فعدت به الاكباد بعد اوارها
وراته اعظم منه اذ جاءها
لا زال يظهر كل حين غرة
وله فيه ايضا

اقصر والتطويل في الشكر واجب
واهدي الليس (٢) الناقص القدر للذي
اذا لم يكن فيما مضى لي والد
تنادي مزاي ابن الحسين الا انهضوا
كان بني الاشعار صموا عن النداء
فواعجا منها ومني ومنهم
اما انها عين حسان تبرجت

لمن فضله في كل ما شئت غالب
عن النقص في كل المشاهد غائب
ولا لي في الآتي من الدهر صاحب
بواجب اطراي واين المجاوب
بلي فساتهم في ذلك طبع مناسب
وفي كل قول للفهوم مسارب
وليس لها عن عين مرءاه حاجب

تغامزن لي والغمر للصب جالب
على حين شاخ الدهر فهي الغرائب
وقام لها من مقعد العز طارب
ولا شر الا وهو كالظلم عازب
لمن هو في شكر المزية راغب
على ألسن الاحوال منه الضرائب
وفي كل صقع من ايديه جانب
واشارهم حتى يغار الاقارب
اخو فطنة اولج فيها المشاغب
واكرام من يدنوه او يجانب
ولا منكر ان جاء للحق طالب
وكظم لغيب حين يجفو المغاضب
تغالبه عن نومه ويغالب
واصدق ما في الذكر ما هو دائب
يلاحظها منه التقبي المراقب
بدولته حلم وحاشاك ككاذب
مشارك امداح الوري والمغارب
يسلمها الراضي ومن هو غاضب
يرى انه فوق السبي او يقارب
تقبض منها جيدة والعراقب
عن الفكر في استعلاء شانك نايب
على رغبة في رجعه وهو راهب
ومن خلفه جبل الهابة جاذب
تدب به رجالة والراس راسب
ببهو تود السعي فيه الثواقب
عن الفكر في تزوير قول يناسب
وضاقت عليه في الخلاص المذاهب
واسمع ما لم تنتخبه الاعارب
ومخدومه والمتنمي والمصاحب
تمام جلال هذبته التجارب
فدو الهزل ممقوت وذو الجذ تاعب
وعش لترى الباقي عدتك النوائب
يباهتني فيه اذا غبت عاتب
ومادح ذي زيد باقص عائب
على قدر ما اسدى له العذر واجب
قضاه نصيبا ضمه وهو راكب
وقد افعمت دنياه منك المناقب
ولو سكتوا انتت عليك الحقائق

كافي انا وحدي رايت عيونها
اطلت وايام المكارم عنست
فاصبحت الايام في عفوانها
فلا خير الا وهو كالعدل لازب
فهذي طريق الحمد فيه توضح
وإن ألسن الاقوال كنت فانما
فاغناه فيض الجود عن كل مصقع
واجلال اهل العلم طرا لاجله
ودقة فهم للعويصة رامها
ومعرفة الفضل الحقيق لاهله
وانصافه من نفسه غير ساخط
ونصرة ملهوف واحسان عشرة
وجبر كسير القلب باتت همومه
وحفظ لذكر الله عن وصم فترة
ورعي جناب الله في كل حالة
فياها المسولى الذي يقضاتنا
لك الله من قطب تدور باوجه
لما انك استوجبتها بشمائل
دفعت بها في صدر كل مملك
فمرت على اسماعه فيك مدحة
فما وسعته الارض حتى اراحه
فوجه مرتادا يخلف اهله
فيجاء ومن قدماه الامن قائد
وعاين ما بين السماطين برزخا
وقد حسدت عيناه رجليه ان سعت
وما شغلته الدار تلعب بالنهى
ولما افتتحت القول طيرت سحرة
وشاهد ما لم يخطر في حسابه
وولى على الاعقاب تصغر نفسه
وانذر مولاة بان وراءه
وان ملوك الارض قسمان بعده
فهذا حديثي عنه اسندت بعضه
ولست براص من مديحك بالذي
وهل لي اعتذار في انتحالي ناقصا
على ان من اهدى لغيرك مدحة
كعذر نصيب اذ تبجح للذي
ققال ولو لاقاك يا بحر لم يقل
فاعجوا وانسوا بالذي انت اهله

الاشتراك

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠ ممضاة من امين المال
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠ محمد الهادي بن القاضي
يخصم الربع للتلازمة والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها أسبوعية من بلاد تونس مع التوقيع من المجلد
شهرية وسنتها عشرة أشهر

الجزء التاسع - تونس - في شهر رمضان ١٣٥٨ وفي أكتوبر ١٩٣٩ المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي بن قابي

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بادرارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالسديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

صحيقة	المقال	صاحبه
٣٦٤	تفسير آية من سورة البقرة.....	العلامة الامام المولى الشيخ الطاهر ابن عاشور
٣٦٨	درس في موطا الامام مالك رضي الله عنه	شيخ الاسلام المالكي
٣٧٧	الاقواق والنظار او الاحباس والمقدمون	العلامة الامام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٣٨٩	القضاة الشرعيون في القديم.....	العالم التحرير الشيخ الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
٣٨٤	وثيقة تاريخية جليله « مارستان العزافين والمستشفى الصادقي.....	العلامة الحليل الشيخ محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة
٣٩٢	بعثة خير الدين للاستانة.....	العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجة مستشار الحكومة
٣٩٦	عشية في شاطئ رواد.....	امير الامراء الاستاذ محمد صالح مزالي عامل بنزرت
٣٩٧	استقبال شهر رمضان.....	العالم الاديب الشيخ الطاهر القصار المدرس بجامع الزيتونة
٤٠٠	شهر الصيام.....	الفاضل الواعظ الشيخ الجيلاني حمزة
٤٠١	استقبال شهر رمضان المعظم.....	الاديب الكبير الشيخ العربي الكبادي
٤٠٢	التكاليف الشرعية.....	الاديب النابغ الشيخ بلحسن بن شعبان صاحب المجلة

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وص. ولات الاشتراك لا تقبّر الا اذا
الاقصى وسوريا فرنكات	كانت ممضاة من امين المال
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠	محمد الهادي ابن القاضي
يخصم الربع للتلازمة	والمخبرات المالية لا تكون الاممه

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصلاؤها إلى الجيئة من فلاسفة اليونان مع الزيتونة في الزيتونة
شهرية وستة عشر شهرا

الجزء التاسع | تونس - في شهر رمضان ١٣٥٨ وفي أكتوبر ١٩٣٩ | المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير:

محمد الشاذلي القاضى

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الإدارة:

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

حساب جاري بإدارة البريد رقم ٣٤٢٢

رئيس قلم التحرير:

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات:

ترد باسم مدير المجلة بمحل الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن الكريم

من تفسير الاستاذ الامام المولى الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
مُصْلِحُونَ * إِلَّا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ

يظهر لي أن قوله وإذا قيل لهم عطف على قوله يخادعون لأن قوله وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض إنما نحن مصلحون إنما نحن مصلحون أخبار لبعض غرائب أحوالهم ومن تلك الأحوال أنهم قالوا إنما نحن مصلحون فهو المعطوف في المعنى لأن ما قبله ظرف مقدم عليه . وإذا هنا لمجرد الظرفية وليست متضمنة معنى الشرط إذ لا يستقيم ذلك إلا بتكلف لا داعي إليه كما أنها هنا للماضي ليست للمستقبل وذلك كثير فيها كقوله تعالى حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر الآية . ومن نكت القرآن المغفول عنها من قبل تقييد هذا الفعل بالظرف فإن الذي يتبادر إلى الذهن أن محل المذمة هو أنهم يقولون إنما نحن مصلحون مع كونهم مفسدين ولكن عند التأمل يظهر أن هذا القول يكون قائلاً له أجدر بالمذمة حين يقولونه في جواب من يقول لهم لا تفسدوا في الأرض فإن هذا الجواب من المفسد لا يتشأ إلا عن مرض القلب وافن الرأي لأن شأن الفساد أن لا يخفى ولئن خفي فالتصميم عليه واعتقاد أنه صلاح بعد التحذير والموعظة افراط في الغباوة أو المكابرة وجهل فوق جهل . وعندي أن هذا هو المقتضي لتقديم الظرف على جملة يقولون لأنه أهم إذ هو محل التعجب من حالهم ونكت الإعجاز لا تنأى . والقائل لهم لا تفسدوا في الأرض بعض من وقف على حالهم من المؤمنين الذين لهم اطلاع على شؤونهم لقراءة أو صحبة فيخلصون لهم النصيحة والموعظة رجاء إيمانهم ويسترون عليهم خشية من العقوبة وعليها بأن النبي صلى الله عليه وسلم يغضي عن زلاتهم كما أشار إليه ابن عطية ويدل لذلك عندي بناء الأفعال للجهول بخلاف ما يأتي في قوله تعالى : وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا . ولا يصح أن يكون القائل لهم الله أو الرسول كما قال بعض المفسرين إذ لو نزل الوحي وبلغ

الى معينين منهم لعلم كفرهم ولو نزل في مجملات كما تنزل مواظ القرءان لم يستقم جوابهم بقولهم
انما نحن مصلحون فتأمل حق التأمل .

وقد عن لي في بيان فسادهم في الارض انه مراتب اولها فسادهم في انفسهم بالاصرار على تلك
الادواء القلبية التي اشرنا اليه فيما مضى وبما يترتب عليها من المذام ويتولد من المفاسد . الثانية افسادهم
الناس بث تلك الصفات والدعوة اليها وافسادهم ابناءهم وعيالهم في اقتدائهم بهم في مساوئهم كما قال نوح
عليه السلام (انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا) . الثالثة افسادهم بمفاسد الافعال
كالقاء النعمة والعداوة وتسعير الفتن وتاليف الاحزاب على المسلمين واحداث العقبات في طريق
المصلحين . والفساد خروج الشيء عن حد الانتفاع به في بابه فالافساد في الارض الفعل الذي يخرج
الاشياء الصالحة في الارض عن الحد المنتفع به فيها فممنه افساد الذوات كالحرق والقتل وافساد الانظمة
كالفتن والحوار وافساد المساعي كبت الجهد وتعليم الدعارة والتجريض على الكفر ومناوأة المصلحين
ولعل المنافقين قد أخذوا من كل ضرب من ضروب الفساد بنصيب فلذلك حذف متعلق الافساد
تاكيدا للعموم المستفاد من وقوع الفعل في حيز النفي وذكر المحل الواقع افساد كائناته وهو الارض
قصدا للتعميم من جهتين فكانه قال لا تفسدوا كل فساد في اي مكان من الارض . فالمراد من الارض
هنا ما تحتوي عليه من الناس والحيوان وسائر الموجودات التي بها دوام نظام العالم ونظيره قوله تعالى
(واذا تولى سعي في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)

وقوله تعالى (قالوا انما نحن مصلحون) جواب وجاءوا بانما المفيدة لقصر الموصوف على الصفة
ردا على قول من قال لهم لا تفسدوا لان الفاعل اثبت لهم وصف الفساد اما باعتقاد انهم ليسوا من
الصلاح في شيء او باعتقاد انهم خلطوا عملا صالحا وفسادا فردوا عليهم اما بقصر القلب او بقصر
الافراد لان قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا لتعذر الاحاطة بصفات الشيء .

وقوله تعالى (الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) اقول هو رد عليهم في غرورهم وحصرهم
انفسهم في الصلاح فرد عليهم بطريق من طرق القصر هو ابلغ فيه من الطريق الذي قالوه لان
تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند اليه يفيد قوله الا انهم هم المفسدون قصر الافساد عليهم
بحيث لا يوجد في غيرهم وذلك ينفي حصرهم انفسهم في الاصلاح وينقضه وهو جار على قانون
النقض وعلى اسلوب القصر الحاصل بتعريف الجنس ويضم الفصل وان كان الرد قد يكفي فيه ان
يقال انهم مفسدون بدون ضيغة قصر الا انه جيء بالقصر ليفيد نفي الافساد عن غيرهم اعني المؤمنين
الذين عرض بهم المناقون حين قالوا انما نحن مصلحون فذلك هو الغرض الاول من رد الله عليه
ما ادعوه لان الله ولي المؤمنين فالذب عنهم مقدم على ذم المنافقين فقد حصل بهذا القصر رد الدعويين وقد
يهدد ذلك ان المنافقين ليسوا ممن ينتظم في عداد المصلحين لان شان المفسد عرفا ان لا يكون مصلحا

اذ الافساد سجية ودأب لا يسكاد يفارقه موصوفه فهذا يستفاد بطريق لحن الخطاب
 وقوله (ولكن لا يشعرون) محمله محمل قوله تعالى قبله وما يخادعون الا انفسهم وما يشعرون فان
 افعالهم التي يتهيجون بها ويزعمونها غاية الحذق والفتنة وخدمة النفع الخاص ءايلة الى فساد عام لا محالة
 الا انهم لم يهتدوا الى ذلك لحفائه وللغشاوة التي القيت على قلوبهم من اثر النفاق ومخالطة اهله فان حال
 القرين وسخافة المذهب تطمس على العقول النيرة وتخف بالاحلام الراجحة حتى ترى حسنا ما ليس بالحسن
 (واذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس قالوا انؤمن كما ءامن السفهاء) هو من تمام المقول قبله
 فتحكمه حكمه في المطف والقائل ويجوز هنا ان يقول القائل ايضا طائفة من المنافقين يشيرون عليهم
 بالاقلاع عن النفاق لانهم ضجروا وسئموا كلفة مخادعته ومتقياته وكنت اذهانهم من ابتكار الحيل
 واختلاق الخطل وحذف مفعول ءامنوا استغناء عنه بالتشبيه في قوله كما ءامن الناس او العلم به .
 وقوله كما ءامن الناس الكاف فيه للتشبيه او للتعليل واللام في الناس للجنس او للاستعراق العرفي
 والمراد من عدا المخاطبين اقول هي كلمة تقولها العرب في الاغراء بالفعل والحث عليه لان شأن النفوس
 ان تسرع الى التقليد والاقتراب بمن يسبقها في الامر فلذلك ياتون بهاته الكلمة في مقام الاغراء او التسلية
 او الايتاء قال :

وننصر مولانا ونعلم انه كما الناس مجرم عليه وجارم
 وقولهم انؤمن كما ءامن السفهاء استفهام للانكار والسفهاء جمع سفيه وهو المتصف بالسفاهة والسفاهة
 في الاصل الحفة قال ذو الرمة

مشين كما اهتزت رماح تسففت اعاليها مر الرياح النواصم
 ثم سميت بها حفة العقل وقلة ضبطه للامور قال السموأل

نخاف ان تسفه احلامنا فنخمل الدهر مع الحامل
 والعرب تطلق السفاهة على افن الرأي وضعفه كما علمت وتطلقها على سوء التدبير لليال قال تلي
 (ولا تؤثروا السفهاء اموالكم . وقال : فان كان الذي عليه الحق سفيا او ضعيفا الآية) لان ذلك انما يجيء
 من ضعف الراي

(الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون) اقول اتى بما يقابل جفاء طبعهم انتصارا للمؤمنين
 واعلن ذلك بكلمة ألا المؤذنة بالتنبيه للخير وجاء بصيغة القصر على نحو ما قرر في (الا انهم هم
 المفسدون) ليدل على ان السفاهة في الدين مقصورة عليهم دون المؤمنين فهو قصر اضافي لا محالة واذا
 ثبت لهم السفاهة اتقى عنهم الحلم لا محالة لانهما ضدان في صفات العقول وان هنا لتوكيد الخبر وهو
 مضمون القصر وضمير الفصل لتأكيد القصر والا كأختها المتقدمة في الا انهم هم المفسدون
 وقوله : (ولكن لا يعلمون) اقول انه نفى عنهم العلم بكونهم سفهاء بكلمة يعلمون دون يشعرون خلاف

للإيتين السابقتين لان اتصافهم بالسفه ايس مما شانه الخفاء حتى يكون العلم به شعرا ويكون الجهل به نفي شعور بل هو وصف ظاهر لا يكاد يخفى لان لقاءهم كل فريق بوجه واضطرابهم في الاعتماد على احدى الحلتين وعدم ثباتهم على دينهم ثباتا كاملا ولا على الاسلام كذلك كاف في النداء بسفاهة احلامهم فان السفاهة صفة لا تكاد تخفى وقد قالت العرب السفاهة كاسمها

(واذا لقوا الذين ءامنوا ءامنوا ءامنوا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزون) عطف على ما عطف عليه واذا قيل لهم لا تفسدوا واذا قيل لهم ءامنوا كما ءامن الناس والكلام في الظرفية والزمان سواء والمقصود من الاخبار عنهم بقولهم ءامنوا هو التقييد بقوله : واذا لقوا الذين ءامنوا) لا يقولون ذلك ولو باللسان الا حين لقاء المؤمنين وتمهيد لقوله : واذا خلوا قبذيك الغرضين كان مفيدا فائدة جديدة على قوله السابق ومن الناس من يقول ءامنوا بالله الآية ونكتة تقديم الظرف تقدمت

ومعنى قولهم ءامنوا اي كنا مؤمنين فالمراد من الايمان هنا اللقب الذي هو مجموع الاوصاف الاعتقادية والعملية الذي تلقب بها المؤمنون وعرفوا بها على حد قوله تعالى : انا هدنا اليك) اي كنا على دين اليهودية فلا متعلق لقوله ءامنوا حتى يحتاج لتوجيه حذفه او تقديره . او اريد ءامنوا بما ءامنتم به والاول عندي اظهر

وقوله : واذا خلوا الى شياطينهم الخ معطوف على ما عطف عليه واذا لقوا والشياطين جمع شيطان وهو اسم جنس لصنف من الموجودات المجردات التي لا ترى عادة والتي هي مدبرات الفساد والشور الصادرة من بني ءادم وهذا حقيقة هذا الاسم وقد يطلق مجازا على من كان دأبه ذلك الصنيع من البشر فهو مدبر السوء واطلق ايضا على الذي يأتي بالمجائب التي لا يستطيعها البشر ولذلك اثبت العرب شياطين لنوايغ الشعراء . ويطلق على زعيم اهل الدعارة وهو المراد هنا اي اذا خلوا الى رؤسائهم وقادتهم كما قال تعالى : وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الانس والجن

وخلوا بمعنى انفردوا فهو فعل قاصر ويعدى بالباء واللام ومن مع بلا تضمين ويعدى بالى على تضمين معنى اب ورجع وانزوى ويعدى بنفسه على تضمين تجاوز وباعد وقد عدي هنا بالى ليشير الى ان الخلوة كانت في مواضع هي مثابهم ومرجعهم وان لقاءهم للمؤمنين انما هو صدقة ولمحار قليلة افاد ذلك كله قوله لقوا وخلوا وهذا من بديع الایجاز . وقولهم انا معكم بالتاكيد دليل على انهم قد بدا من ابداعهم في النفاق عند لقاء المسلمين ما يوجب شك كبرائهم في البقاء على الكفر وتطرق به التهمة ابواب قلوبهم فلذلك احتاجوا الى تأكيد ما يدل على انهم باقون على دينهم . وكذلك قولهم انما نحن مستهزون فقد ابدوا به وجه ما اظهروه للمؤمنين وجاءوا فيه بصيغة قصر القلب لرد اعتقاد شياطينهم فيهم ان ما اظهروه للمؤمنين حقيقة وايمان صادق . واما تجريد قولهم ءامنوا من المؤكدات مع ان

درس في موطا مالك

رضي الله عنه

بقلم الاستاذ الامام المولى محمد الطاهر
ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

جامع القضاء وكراهيته

ملك عن يحيى ابن سعيد ان ابا الدرداء كتب الى سلمان الفارسي ان هلم الى الارض المقدسة فكتب اليه سلمان ان الارض لا تقدر احدا وانما يقدر الانسان عمله وقد بلغني انك جعلت طبيبا تدوي فان كنت تبرئ فنعمالك وان كنت متطببا فاحذر ان تقتل انسانا فتدخل النار فكان ابو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم أدبر عنه نظر اليهما وقال ارجعا اعيدا علي قضيتكما متطببا والله لم يترك الامام رحمه الله تعالى في تبويه هذا حقا من المناسبة في التوب في الاقضاء اذ اخبر التحذير من القضاء الى اخر كتاب الاقضية واستهل كتاب الاقضية بالترغيب في القضاء بالحق وانشر بذلك التقديم وهذا التأخير ترتيبا طبيعيا من وجهين : اولهما ان الناس لو سلك بهم مسلك الاقتصار

مقتضى الظاهر ان يكون التأكيد في خطابهم للمؤمنين فلا يرددون ان يأتوا بما يجدد شك المؤمنين فيهم ولا ان يجعلوا انفسهم بموضع سوء ظن المؤمنين فيهم ولذلك حكى صدور هذا القول منهم عند مجرد لقاء المؤمنين من غير ان يسألهم المؤمنون عن دينهم فكان المناقشون يوهمون المؤمنين انهم صادقون في الايمان فلا يخطر ببالهم ان يشك احد في اخلاصهم لانهم اذا ظنوا شك الناس فيهم فقد نهوهم على سوء طواياهم كما قال المتنبي

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونهم وصدق ما يعتاده من توهم

وقولهم انما نحن مستزءون قصرنا انفسهم على الاستهزاء فقصرنا اضافيا للقلب اي مؤمنون مخلصون . وجملة انما نحن مستزءون تقرير لقوله انا معكم لانهم اذا كانوا معهم كان ما اظهروه من مفارقة دينهم استهزاء او نحوه فاما ان تكون الجملة الثانية استينافا واقعة في جواب سؤال مقدر كان سائلا يعجب من دعوى بقاءهم على دينهم مع ما تقننوا به من طرق النفاق في معاملة المسلمين ويشكر ان يكونوا باقين على دينهم وسأل كيف امكن الجمع بين البقاء على الدين واظهار المودة للمؤمنين فأجابوا انما نحن مستزءون وبه يتضح وجه الاتيان بأداة القصر لان المنكر السائل يعتقد كذبهم في قولهم انا معكم ويدعي عكس ذلك ويتضح ايضا وجه اختيار انما من بين بقية طرق القصر لان انما مشعرة برد انكار منكر وجواب سائل لمكان ان في اصل تركيبها الوضعي . واما ان تكون الجملة بدلا من انا معكم بدل اشتغال لان من دام على الكفر وتعالى فيه فقد حقر الاسلام واهله واستخف بهم

على الترهيب من القضاء ثم تمشى ذلك في عقول العلماء العدول فعافت نفوسهم القضاء وتمالؤوا على التفصي منه لكان من اثر ذلك ان يصبح الناس فوضى ويرجعوا الى الهمجية الاولى يقتصون لانفسهم تلك الهمجية التي كان من جهد الشريعة ابعاد الناس عنها قال الحماسي :

فلسنا كما كنتم تصيرون سلة فقبل ضيما او نحكم قاضيا
ولكن حكم السيف فينا مسلط فترضى اذا ما اصبح السيف راضيا

من أجل ذلك جاء الترغيب في القضاء بالحق كانه ياخذ بيد الخفاف الوجل من هذا الامر ويطل به عليه بين له ان اكباره خيال كبير وان المرء اذا شاء اجراء العدل كان يلي بولايته القضاء اكبر خطا واصلاحها للكون ثم جاء الامام في آخر كتاب الاقضية بالترهيب منه ايقاضا لنفوس ربما خامرها الذهول فاستهونت امره بعد استكباره ولم ترقب خلق الله من الاحتياط فيه واخرج في هذا الاخير هاتيكم الكلية الفذة سامعان رضي الله عنه . وثانيهما يناسب حال المرء الذي يلي القضاء اي ان يكون مكتوبا على هذا السطر القويم فتكون رهبة من القضاء بعد ولايته اشد من نفوره عنه من قبل فان الولاية ربما خيت امانى وبذلت اخلاقا . قد تغربوارق المرء فيظن سحابه ماطرا وما هو الاجام لا ينشئ الا غما للكون وساكنيه وحرارة يوقدها برقة الحلب فيه

خلق افادته الولاية انها خلق يغير اهله ويبدل

اراد الله تعالى عمران هذا الكون ففطر البشر على الدأب نحو استحصال منافعه واجابة طلبات نفسه تلك الفطرة التي هي أصل التسابق لاقتضاء ما يستتب به العمران ولكن هاته الفطرة كانت بحكم الضرورة ميالة الى استلاب المنافع من أيدي أصحابها وروم انضمامها الى المصالح الذاتية احساسا بجدة الحي في نفسه ويسمعه يوحى اليه في باطنه ان لو استطعت ان تملك الدنيا فافعل به امكن ان يسعى المرء في نيل ما يجب ولكنه سيجد المدافع عن اخذ ما يده فيضطر الى الفكر في استخراج ما يطلب من غير يد مالكة بان يسعى اليه من جهة لم يسبق عليها تلك جهة الاحياء والاختراع التي لا ينطفى نبراسها من الامم ولكنه ينوس بمقدار الحاجة الداعية كما قيل « الحاجة ام الاختراع » ولكن النفوس من قبل اميل الى الدعة والراحة واعشق الى الشيء المشاهد الحاصل فلذلك يكون ميلها الى استلاب المملوكات اسبق من تفكرها في ابتداع ما تشتهيه هكذا كان يجري هذا بين الافراد في خاصتها والقوم في قراها والامم في وحدتها والذي يظهره لكم في مظهر واضح اختلاف الملوك والفاتحين في توسيع الممالك وطموح كل امة الى تعميدها الارض وفناء ما سواها بالوجه الذي تراه . افكان التدافع بين افراد النوع لذلك طبيعيا ناشئا عن تحرك القوتين الشاهيه والغاصبة عند التزامهم في مزدحم الحياة وكذلك تكون المصالح غالبا غير سالمة من اضرار تعقبها هي منها بمنزلة ما تشتمل عليه الثمرة الطيبة من البزور والحلفايات فللتشريع في هذا ان ينظر بعد اقتضاء المصلحة العمرانية الى

ما تخلفه فيكفي الناس مضرته بوجه تسلم به تلك المصلحة من الاضرار . هذا الوجه هو حماية الحقوق اي رد يد الظالم عن تناول ما للغير بدون رضى وهو أمر حسن توافق عليه الفطرة ما دامت غير مستهواة لهوى غالب في جزئية خاصة ولا تستقل امة عن الحاجة اليه مهما بلغت من الرقي فان الامم المنحطة لا يمكنها الوصول الى ايفاء الحقوق اهلها فضرورتها الى القضاء ليست بالامر الخفي واما الراقية فانها تتألف من جماعات فاضلة ومن اضدادها فلا غنى بها عن تاسيس قواعد العدل لاصلاح الدهماء ولاقناع الحكماء والعلماء لان هؤلاء وان كانوا يعرفون العدل ويجزمون بحسنه الا انهم في الاحوال الخاصة ماسورون للشهوة او الغضب فكانهم يجبون ان يكونوا في تلك الحالة الخاصة استثناء من هاته المصلحة الكلية لما يغلب من الهوى على التعقل وهكذا يبقى ذو الهوى في كل مسألة يجب الاستثناء فاذا جاءت التوبة غيره احب ان يكون مستثنى ايضا واغراه الطمع ان يقاس على سالفه فكان العدل اذن اصل العمران وبه قامت الارض ودامت الدولات وكان اهم ما ينشأ عنه صفتين ان هما تحققتا سعدت الامة ودام بقاءها الا وهما الحرية والاخوة فان الحرية ان لم يكن معها عدل ذبلت حتى تساقط الى الحضيض اذ حقيقتها ان ياخذ المرء بكل حقوقه وان بقي بجميع حقوق غيره وان يصدىء بارائه وهذا كله لا يكون بغير العدل كيف يجد المرء بغير العدل الاخذ بكل حقوقه وهو يرى الكثير منها مستترا في حصون العظماء فلا تستطيع يده وصولا اليه ولا فمه ان يبدي حنينا عليه ام كيف يمكنه ان يسلم حقوق غيره وهو ان ترك اخذ حقه وزاد فسلم للناس حقوقهم رجعت كفه صفرا فلم يجد في حياته ما يتخذة ذخرا وكيف يمكنه التجاهر برأيه وهو يعلم ان كلمة تغضب زيدا وعملا يسوء عمرا فلا يأمن من الاذى باصنافه وبهذا ينمحي تغيير انكر والامر بالمعروف من الناس ذلك الوصف الذي ان فقدوه فسدوا وذلوا قال عمر ابن الخطاب لابي مريم الحنفي يوما : اني ابغضك لانك قتلت اخي زيدا قال ابو مريم : يا امير المؤمنين هل يعدمني بغضك اياي حقالي في الاسلام ؟ قال عمر : اللهم لا قال ابو مريم : اذن لا يرغب في الحب الا النساء .

اما التاخي فضروري انه لا يحصل ما دامت الامة متنافرة هذا يسلب حقا والآخر يسترجعه وثالث يرى سلب الاول اياها ملكا فيثار بحب اخذه من يد مسترجعه وكذلك يكون امرهم تنازعا حتى يفشلوا وتذهب ريحهم قال تعالى انما المؤمنون اخوة وقال رسوله صلى الله عليه وسلم « المسلم اخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله » فانظر كيف قرن بين الاخوة ونفي الظلم

لعل في هذا المقدار مقنعا لكم ان أردتم أن تعرفوا مرتبة القضاء بالحق ومكانه من الفضيلة . قال ابن فرحون « اعلم ان اكثر المؤلفين من اصحابنا بلغوا في الترهيب » من الدخول في ولاية « القضاء . . . ورغبوا في الاعراض عنها حتى تقرر في ذهن كثير من الفقهاء والصلحاء ان من ولي « القضاء فقد سهل عليه دينه وهذا غلط فاحش يجب الرجوع عنه والتوبة منه . . . واعلم ان ما جاء

« من الآثار التي فيها تخويف ووعيد فانما هو في حق قضاة الجور العلماء او الجهال الذين يزجون بانفسهم في هذا المصيب بغير علم واما قولي من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين فهو بمعنى المجاهدة للنفس وهو دليل على فضيلة من قضى بالحق اذ جملة ذبيح الحق » وقوله تجب التوبة منه صحيح لانه يجر الى تنقص رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان القضاء من تصرفاته وتصرفات خلفائه المتأسين به في سنته وسر ما اخرج به الامام رحمه الله في هذا الكتاب تحت ترجمة الترغيب في القضاء بالحق حديث انما انا بشر مثلكم وانكم تخطئون الي ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضي له على نحو ما اسمع لينبه على ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قاضيا بين الناس ثم كان القضاء من شان الخلفاء الراشدين فلما الت الخلافة الى من لم يكن لهم من العلم بالسنة مكانة تخولهم السلامة من الخطا غالبا ال ذلك الى اسنادهم هذه الولاية الى احد العلماء المسلم لهم العلم والعدل ليأمنوا يوم القيامة عمل حسابهم اما ان بعدت الاقطار فان من السنة ارسال القضاة تخفيفا من مشقة المتداعين وسرعة بانفاذ الحق المدين . استقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذا باليمى واول من استقضى بالمصر من الخلفاء علي رضي الله عنه استقضى شريحا بالكوفة ايام شغلته الخوارج بحروبها (ملك عن يحيى ابن سعيدان ابا الدرداء كتب الى سليمان الفارسي ان هلم الى الارض المقدسة) ابو الدرداء هو عويمر ابن عامر الخزرجي احد الثلاثة الذين نزلوا دمشق من الصحابة مع بلال ومعاوية توفي سنة ٣١ وولي قضاء القدس في خلافة عثمان وامير الشام يومئذ معاوية وقيل بل ولاه عمر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حكيم امي ابو الدرداء . وسلمان هو سلمان الفارسي من رامهرمز (١) قال في الاستعاب شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحكمة في قوله لو كان الدين او العلم بالثريا لثاله سلمان وفي رواية رجل من فارس والمراد به سلمان توفي سنة ٣٥ شهد وقعة الاحزاب وهو الذي اشار ان تحض المدينة بخندق يحيط بها . سلمان وابو الدرداء اخي بينهما النبي صلى الله عليه وسلم حين اخي بين المهاجرين والانصار وقد ورد دخول سلمان بيت ابي الدرداء وانه وجد ام الدرداء متبذلة وانه لام ابا الدرداء على ذلك . وهما من الاربعة الذين شهد لهم معاذ اذ قال : طلبوا العلم عند اربعة رهط عند عويمر ابي الدرداء وسلمان الفارسي وعبد الله ابن مسعود وعبد الله ابن سلام وباعتبار الشهادة النبوية لابي الدرداء وسلمان يكون الحوار الذي دار بينهما ملحقا بالحديث النبوي اذا هو دائري بين الحكمة والعلم المشهود بهما لهما . وهلم اسم فعل بمعنى اقبل الي يلزم حالة واحدة فلا يتغير باختلاف المخاطب به من تعدد او تانيث ، استوفد ابو الدرداء سلمان لمسأكته

(١) وتقول العرب رامز اختصارا . مدينة مشهورة من نواحي خوزستان ما بين تستر وشيراز تبعد عن تستر ٨٢ ميلا الى الجنوب الشرقي ووقعها على نهر فتحها المسلمون في خلافة عمر تحت قيادة النعمان ابن مقرن سنة ١٧ من الهجرة

رغبة في جوار أهل الفضل من الاخلاء لانهم رهط الرجل الذين يعتضد بهم وهم انفع اليه من اقاربه المنافرين لشربه فالعاقل في مواصلة اهل رايه ارغب منه في مجاورة اهل جسده وكذلك يكون الجوار حلة متى جلبه الود والاصطحاب ، سئل الحكيم اي الرجلين احب اليك اخوك ام صديقك فقال انما احب اخي اذا كان صديقي قال ابو الوليد الباجي في المنتقى « قول ابي الدرداء ان هلم الى الارض المقدسة يريد المطهرة والمقدس في كلام العرب المطهر وانما اراد موضعاً من الشام يسمى المقدس ومنه سمي مسجد ايليا البيت المقدس ومعناه انه مطهر مما كان فيه غيره من الكفر وكان ذلك في وقت من الاوقات ، فلزمه الوصف بذلك ويحتمل ان يكون معنى تقديسها انها تطهر من الذنوب والخطايا فيكون المعنى المقدس اهله ويدل على هذا قول سلمان ان الارض لا تقديس احداً فيكون انما وصف اهل بيت المقدس بذلك في زمان عملوا فيه بالطاعة وكان كثير منهم انبياء وسائرهم اتباعاً لهم اهو اقول تقديس البقاع مثل تقديس الاوقات هو امر جعلي من الله تعالى تبعاً لما رسم لها من ايقاع الاعمال الصالحة التي أهمها التوحيد وقد كان المسجد المقدس ثاني بيت وضع للناس لاعلان توحيد الله وتنزيهه وذلك اساس فضائل الاعمال (فكتب اليه سلمان ان الارض لا تقديس احداً) لم يشتمل جواب سلمان على تقرير لما يخالف اعتقاده كالذي تشتمل عليه مخاطبات الناس ورسائلهم من الاطراء لما قد يعتقدونه المرء فاسداً بعلّة المداهنة التي علق عليها الناس اسم المدارة فعدموا بذلك فائدة النصيحة والتواصي بالحق ذلك ان سلمان وامثاله صدقوا ما عاهدوا الله من بذل النصيحة لكل مسلم وكذلك يكون الامر بين اقرباء النفوس وراجحي الاحلام ان لا يكتتموا شيئاً يرون منه صلاحاً ونصحاً لان الكذب هو علة انقلاب الحقائق وموجب ارتفاع الاطمئنان وذلك يسبب التخاذل والتفريق فلا يرحى اتحاد ما دام هذا سائداً في امة . قوله ان الارض لا تقديس احداً هو رد لما تضمنه كلام ابي الدرداء حين دعا الى سكنى الارض المقدسة لان الصفة تؤذن بالتعليق فيتضمن انه يكتسب من السكنى بها تقديساً في نفسه وقصد سلمان ان يدفع ما وقر في صدور الناس من الشعور بان المرء قد تغنى عنه ملابساته حتى الارض التي هو فيها وابو الدرداء وان كان منزهاً في نظر سلمان عن اعتقاد هذا لعلمه وصحبته ولكنه رأى لسانه جرى على ما تجري به السنة العموم او انه رام ترغيبه في القرب منه بمغرب ما وهو فضل الارض التي يسكنها استكمالاً للفضيلة (وانما يقديس الانسان عمله) جاء بقضية كلية بعد ان نفى التقديس في جزئية لان تلك الجزئية المنفية ليست اولى الجزئيات بثبوت الحكم بحيث ان نفى عنها المتكلم عن نفى ما عداها من الجزئيات ما الشبهة فيه اشد والخطأ اليه اسرع نحو قرابة من المقدس او صلة به

فأورد هذا الحصر بانما تنبيهها على تعميم القضية فقصر بذلك صفة تقديس الانسان على العمل لا تتجاوزها الى غيره وهو قصر حقيقي وليس ورود القصر بعد النفي بجاعله اضافياً لان النفي انما يلحج الى الاعتقاد المردود الباعث على سلوك طريق القصر على ان النفي هنا متقدم وهو عند التقديم

صريح في انه الداعي الى الخطأ بالقصر يفيد ووزانه وزان انما الولاء لمن اعتق بعد كلام اشار الى ان الباع لا يستحقه ولذا انفق جمهور الفقهاء على ان لاولاء الامن اعتق (وقد بلغني انك جعلت طبيا تداوي) اشار الى ولاية ابي الدرداء قضاء بلد القدس ومراد سليمان ظاهر اذ قد علم ابو الدرداء انه لم يكن طبيا فهو يعلم ان سليمان اراد تمثيل حاله في القضاء بحال الطبيب او المتطبب وسمى القاضي طبيا على طريقة الاستعارة لمشابهة القاضي الطبيب في اصلاح حال البشر وازالة ادواء الظلم فان كان الطب يصلح مزاج المرضى فالقضاء بالحق يصلح مزاج العالم اجمع كما قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا لان الناس ان اطرده بينهم القضاء بالحق زالت طماعتهم في استلاب حقوق الغير فاستقاموا من تلقاء انفسهم متى علموا ان لا غاية يجتنونها من وراء الظلم فاما متى كان القضاء محتلا فان للظالم امنية الانزواء تحت التخفيف هب ان الجور كان يقضي ان يشدد على البريء تارة فان ذلك لا يرفع المظالم لان النفوس عند الشهوات تتمسك بالطمع ولهذا حظرت الشريعة الشفاعة لمن بلغ الامام في الحدود وغيرها، وجاء بكلمة تداوي ترشيحا للاستعارة وايحاء الى وجه الشبه اذ كانت الاستعارة من الغرابة بالمكان الذي ربما اهم امرها على السامع (فان كنت تبريء) طرد الاستعارة ومن محاسن التشبيه ان يكون مطردا في جميع اصوله وفروعه . واراد بكونه يسري . لقدرة على اصابة الحق وحمل الناس عليه بتنفيذه فيهم وتحمل مصاعب القضاء التي اقل ما فيها انه يقضي على ذويه واصحابه وهو كاره وهم كارهون قال الباحي « يريد بالابراء اصابة الحق ورفع الباطل لان الباطل هو الداء الذي يسال عنه المقي لازالته (فنعمنا لك) نعم فعل غير متصرف عند محقق النجاة وتدخل عليها ما التي هي في الاصل معرفة غير موصولة هي بمعنى الشيء فتدغم ميم نعم في ميم ما والغالب ان يقع بعدها ضمير مخصوص بالمدح نحو قوله تعالى فنعمنا هي فان وقع فعل بعد ما صارت موصولة نحو ان الله نعمنا يعظكم به فلا يذكر بعدها مخصوص بالمدح استغناء عنه بما اشعر به من الكلام واذا وقع بعد ما حرف جر كما هنا صح ان يجعل صلة ما اوصفة لها اي نعم الشيء لك او نعم الذي لك وفي الحديث بئس ما لاحدهم ان يقول ليست اية كذا واية كذا الخ والمعنى نعم الشيء لك القضاء بين الناس لما فيه من اصال الحق (وان كنت متطببا فاحذر ان تقتل انسانا) اراد بالمتطبب هنا المتفعل المشكك من الطب المراد هناك اي غير عالم بوجود القضاء ورشح هاته الاستعارة بقوله ان تقتل انسانا وقد شبه بقتل المتطبب مريضه ما يحدثه قضاء القاصر من ضياع الحقوق المفضي الى الفساد فيكون الترشيح مستعارا للالزام المشبه من لوازم المشبه به على نحو اعتصموا بحبل الله جميعا فيفيد الترشيح بلفظه والاستعارة بمعناه وقرينته اراد بالمتطبب الذي ليس على بينة من امره فهو يقصد الحق فيقع في الباطل كشان كل من لم يكن متحققا من شيء فسلما لا يخشى على ابي الدرداء الجور ولا يحذره منه لانه آمن عليه من عدالته اذ هو من اصحاب رسول الله وهم عدول وانما خشي عليه

ان لا يتامل جيد التامل من بعض القضايا مبالغة في النصح له وذلك لان القضاء بغير الحق جهلا يساوي قصد الجور في عدم الوصول الى الحق وفي حديث النسائي عن ابي هريرة قال رسول الله القضاء ثلاثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل عرف الحق ف قضى به فهو في الجنة ورجل عرف الحق ولم يقض به وجار فهو في النار ورجل لم يعرف الحق ف قضى للناس فهو في النار وهذا يدل على اشتراط العلم في القاضي والعلم مهما اطلق في لسان اهل الاصول والمتقدمين فانما يراد به اصدق معانيه وهو الفكر والنظر فلا يصح عند الايمة ولاية قاضي عامي او مقلد لا يستطيع النظر في مدارك الاحكام او في مسائل الخلاف قال عبد الوهاب في التلقين « ولا يستقضي الا فقيه من اهل الاجتهاد لا عامي مقلد » وشرحه المازري فقال « وقد قال مالك في كتاب ابن حبيب لا ارى خصال القضاء تجتمع اليوم في احد ولكن يجب ان يكون عالما عدلا قال ابن حبيب فان لم يكن عالم فعاقل ورع فانه بالعقل يقف وبالورع يسأل فهذا قول ابن حبيب سهل في ولاية قضاء المقلد ولكنه لم يصرح بجواز هذا مع القدرة على قاضي نظار بل اشار الى كون الضرورة تدعو الى ولاية مقاد ولا خلاف ان ولاية النظار احدر من ولاية المقلد وانما الخلاف هل تصح ولاية المقلد وتنفيذ احكامه ام لا فيمنع من ذلك الشافعي وهو الذي يحكيه ائمة مذهبنا عن المذهب ويجيز ذلك ابو حنيفة ويامر به بمشاورة النظار واحتج اصحابنا واصحاب الشافعي بقوله تعالى لتحكم بين الناس بما اراك الله وبقوله فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول اما عصرنا هذا ففي اقليم المغرب لا يوجد مفت نظار فلنعم من ولاية المقلد تعطيل للاحكام ولكن تختلف احوال المقلدين ثم اذا كان النظر شرطا فهو يتضمن المنع من اشتراط الامام على رجل نظار ان لا يحكم الا بمذهب احد الايمة لان الرجل اذا اداه اجتهاده الى الصواب وامر ان يقضي بخلاف ما عنده فقد صار مأمورا بمخالفة الحق في اعتقاده فاذا انعدت الولاية على هذا الوجه فان هذا عقد لا يجوز وينبغي فسخه وردة وذهب بعض الناس الى ان القضاء على هذه الصفة لا يفسخ بل يمضي ويطلق الشرط لان الفساد في الشرط لا في التولية » اه وقال ابو بكر ابن العربي الذي يقضي بالحق ان كان عن علم فهو الذي تقدم وان كان عن تقليد فلا يجوز ان يتخذ قاضيا الا عند الضرورة فيقضي بفتوى عالم رءاه ورواه بنص النازلة فان قاس على قوله او قال يخرج من هذا كذا او نحوه فهو تعد، اه وقال خليل « مجتهد ان امكن وان لا فامثل مقلد » وشذ ابن رشد وابن زرقون فقالا ذلك مستحب صرح بذلك في المقدمات وعليه قال ابن عاصم « ويستحب العلم فيه » فلما اطلع على هذا اللفظ من لا وقوف له على اصطلاح الناس في العلم ظن ان المستحب العلم المقابل للجهل . هكذا يتم تشبيه سلمان لان العالم بالحق يقضي وهو عالم ان ذلك هو الصواب فهو كالطبيب المعتمد فيما يشير به على تجزية النقع اما المقلد فهو كرجل بلغه ان الدواء نافع ولم يجربه او اقتضب دواء من تلقاء نفسه يريد ان يجربه في ذلك المريض فهذا اذا ناول المريض شيئا لم يكن له امنا

من سوء المغبة وإذا نظرنا الى الشروط الواجبة في القاضي نجد أنها ترجع الى دفع وصف المتطرب عنه وهي التكليف لان غير المكلف قاصر النظر قطعاً والذكورة (٢) لضعف المراقبة عن الاخذ بالحقوق ونزوعها الى الرحمة والشفقة (٣) والحرية لان المملوك لا يرجى لاقامة الحق ما دام يخاف غيره فربما قضى بهوى سيده هذا هو الذي تشدون عليه من سر اشتراط الحرية في القاضي ولا تصغوا الى ما يذكرونه من ان الرق اثر الكفر لانه لو صح لبطل استقضاء المولى (٤) والعدالة وامرها واضح (٥) والسلامة من فقد الحس او المنطق لانه لا يتوصل الى الحقيقة الا بالفهم والاستفهام وبقي شرط الاتحاد على خلاف فيه فدليل مشروطه انه اعون على اتحاد الاحكام والسلامة من التشويش على الخلق .

(فتدخل النار) لقد ابدع كلام سلمان في التفنن اذ تخلص من المشابهة التمثيلية على طريقة الخطابة البلاغية الى المشابهة الشرعية المسماة بالقياس فمرتب على تمثيل القضاء بغير الحق بقتل النفس تحذيراً من العقاب المشهور لقاتل النفس وهو دخول النار بجامع اضاعة الحق فيهما ولان القضاء قد يتعلق بالقصاص فاذا تساهل فيه قتل نفساً خطأ قريباً من العمد لاجل التساهل وقد بلغ سلمان النصيحة والتذكير بخوف الله تعالى فاستقاموا واقاموا العدل وسادوا العالم فلما انقلبت الحال في عقائد الناس الى المماهلة في امر الله والاستخفاف بالوعيد تحت اسم الرجاء وما هو الا الارحاء واتكل الناس على الطمع في المغفرة الالهية الامر الى الادبار قال حجة الاسلام ابو حامد في كتاب الرجاء من احياء علوم الدين « المحبوب المتوقع لا بد ان تكون له اسباب فان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فهو الرجاء حقيقة وان كان مع انخرام اسبابه فهو الغرور وان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا عدم فهو التمني اه ومعرفة الاسباب تسهل لمن يعرض نفسه على كتاب الله تعالى ولا يصغى الى ما يقربه الغرور من الاستخفاف وتهوين الامر لله عند عامة عباده . (فكان ابو الدرداء اذا قضى بين اثنين ثم ادبرا عنه نظر اليهما ثم قال ارجعا اعيدا علي قضيتكما) هذا اصل عظيم في ان المرء لا يامن من الخطا ما بلغ به العلم وانه يجب تعقب الاحكام لازالة الخطا عنها وان تقرر الخطا للقاضي اذا لاح له فاستنكاه عن نقض حكمه شر الجورين فان جعل ذلك اليه بالولاية فظاهر وان لم يجعل اليه نقض احكامه وجب عليه رفعها لمن اليه النقض والابرار (متطرب والله) قد يقف النظر هنا ريثما يستبين امر هاته الكلمة فانه يرى ابا الدرداء بعد ان نصح له سلمان بان المتطرب لا يامن ان يقع فيما يدخله النار وقبل النصيحة منه اخبر عن نفسه بانه متطرب فيتساءل لماذا لم يترك هاته الخطوة لطبيب فيظن ان هاته كلمة تواضع منه ولكنه ما يقدم خطوته حتى يرى يمين ابي الدرداء على ذلك الذي يعين كلامه للحقيقة وقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتادوا من قوتهم الاعظم العصمة فصاروا على وجل من اقتحام القضاء بين الناس مع انتفاء العصمة ولذلك قال ابو بكر رضي الله عنه اي ارض تقلني واي سماء تظلني ان قلت في كتاب الله شيئاً من رأيي فكذلك ابو الدرداء لما اعتبر

بكلام سليمان رأى أن التظلم لا يفارق غير المعصوم فيقال متظلم والله . فينبغي أن يكون مراده تظلماً غير التظلم الذي اراده سليمان واحسب انه اراد به عدم امن المجتهدين من الخطا في اجتهادهم فهو لا يسلم من الوعيد الا اذا بذل مقدار استطاعته مع مظنة المقدرة والتاهل من نفسه لان الخطا لا ينافي العلم والنظر ولا يلام في ذلك الا حيث يكون الخطا في محل الوضوح والحياد عن الدليل الى غيره او مع التقصير في تقصي النظر ومعرفة الحجج . فهو باعادة النازلة يستدرك ما عسى ان يلم به من خطا على غرة ولو كان ابو الدرداء شاكاً في كفاءته لمنعته عدالته من ان يلي هذا الامر وفي كلام ابي الدرداء ما يصدق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه انه حكيم فقد دل على سعة صدره وترحابه بما يسدى اليه من النصائح وذلك اية الكمال ومحبة الحق لان النفوس الكبيرة لا يهمها الا المشي على الصواب ابداً فهي لا تحب ان تخالفه ولذلك تبتهج بكل ما يجنبها الضلال عنه اما النفوس المستضعفة والعقول السخيفة فانها تستصكف عن شعور الناس بحالها اذ ليس لها ما تقنع به نفسها الا المغالطة والتناسي فهي لا تستطيع كمالاً مع شعورها بالعجز عنه فلذلك يكون ذكرها لها تعباً ونكداً خلاف الاخرى فانها انت لاح لها خطا في بعض اعمالها تعزت بالصواب في بقيتها فانشد حالها قول أبي الطيب :

ومن ذا الذي ترضى سجايها كلها كفى المرء نبلاً ان تعد معائبه

قال الله تعالى فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً الى رجسهم . وفي ملازمة ابي الدرداء لهاته الكلمة اشعار بتحفظه على النصيحة حتى لقد اتخذ لفظها شعاراً له لا يفارقه ذكره في كل قضية وكذلك حكماء الناس اذا اهتموا بامر ربما اتخذوا اسمه شعاراً لهم حتى لقد كانت تعرف اخلاق الرجل منهم في اختيار نقش خاتمه وهذه سنة كل قول انما يعتد به اذا تبعه عمل وبمقدار ذلك يكون النفع والتاثير فايما قول او علم لم يتبعه عمل فهو تبعات على صاحبه لهذا تعود رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم لا ينفع اي لا يشأ عنه عمل . قد كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعني بما علمتني وعلمني ما ينفعني وزدني علماً والله اعلم .



الاقواق والنظار

او الاحباس والمقدمون

بقلم العالم النحرير الشيخ الناصر الصدام
مدرس الطبقة الاولى بجامعة الزيتونة

الوقف في الاسلام احسبه القول السديد الذي ارشد الله تعالى به حيرة المشفقين من احترام
المنية وحيلولتها بينهم وبين الضعفاء من ذريتهم الذين خافوا عليهم من ضياع تراثهم والتدهور في هوة
الافلاس وسوء المنقلب لما في الحبس من ينبوع حياة لا ينضب معينه

وفي الوقت نفسه نبه سبحانه على انه من ائير تقواله (فليتقوا الله) وهذا التنبيه من جوامع
القرءان الحكيم ذلك ان الوقف تكتنفه تقوى الله تعالى من عموم نواحيه

فالناحية الاولى طيب الكسب الموقوف فلا يصح وقف المغصوب وغير المملوك وما تعلق به حق
الغير من غريم او وارث لم يجزه ونحو ذلك

الناحية الثانية اخلاص النية فيه لله سبحانه لا للراءات وحسن الاحدوثة والتذرع به الى
المجادة والسؤدد فانما الاعمال بالنيات

الناحية الثالثة ان يتوخى به سبيل العطايا من التسوية بين الاولاد في الانصاء اذ ذلك الافضل
في العطية ولا جناح عليه ان سلك بذلك مناهج الفريضة الشرعية (للذكر مثل حظ الانثيين) او حرم
الانثى مطلقا لكنه يقعد به ملوما محسورا

الناحية الرابعة ان يعهد بالولاية والرقابة عليه لمن يغلب على ظنه رشدة وكفاءته فان ذلك وسيلة
حفظ كيان الاوقاف لما للتمولي من رد اليد العادية عنها اذ يزع الله تعالى بالسلطان ما لا يزع بالقرءان
ولما له ايضا من البصارة باحيائها وانماها واستثمارها وصرف غلاتها في مصارفها

فحقا انه القول السديد والكنف الاحمى لوقاية الاموال والابقاء عليها وجعلها موردا لارتزاق
العائلة اولها وآخرها وهو آية من آياته سبحانه

ثم لنا فيه وراء ذلك مئارب اخرى افلا تراه كيف ظاهر ذوي الهمم واليسار وتقوى القلوب
على اشادة المساجد والحصون والمعازل والمدارس وما الى ذلك من كل ما فيه مصلحة عامة الامر الذي
يوفر على بيت المال موارد ويديمه عدة وارهابا ولولا لما سمحت انفسهم بشيء من ذلك اذ لاضمان
بابقاء ما كان على ما كان الا بالوقف

ومن ثم خرج الوقف بمجرد التحسيس عن ملك الواقف الى ملك مالك يوم الدين سبحانه
نشأ الوقف نشأته الاولى في الاسلام على يد مشرعه صلى الله عليه وسلم المبين للناس ما نزل اليهم
متنوعا الى نوعيه الاهلي والعام وذلك في الحوائط السبعة التي اوقفها صلى الله عليه وسلم على ما في كتب

السنة والفقهاء فكان منها ما سبل في المصالح العامة كالفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله تعالى والضيف ومنها ما سبل على النفس مدة الحياة والعيال والذرية حتى اذا ما انقرضوا وهو الوقف المؤبد والملك الحرام المسمد رجع لجهة بر لا تنقطع كفقراء المهاجرين مثلا وفي احكام الاوقاف للخصاف رحمه الله تعالى بروايته عن سفيان بن عيينة رضي الله تعالى عنه الذي كان يلي صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ابو رافع) رضي الله تعالى عنه فكان ياتيه منها بالباكورة فياكلها ويؤكلها

واصرح من هذا دلالة على ولاية الولاية والنظار والمقدمين ما روي في صدقة وتحسيس الخليفة الثاني عمر ابن الخطاب رضي الله تعالى عنه ونصه على ما في احكام الاوقاف حدثنا يزيد بن هارون قال حدثنا عبد الله بن عون عن نافع عن ابن عمر قال اصاب عمر مرة ارضا بخير فقال يا رسول الله اني اصببت ارضا بخير لم اصب ما لا قط انفس عندي منها فما تأمرني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت حبست اصلها وتصدقت بشعرها فجعلها عمر صدقة لاتباع ولا توهب ولا تورث يتصدق بها على الفقراء والمساكين وابن السبيل وفي الرقاب والغزاة في سبيل الله والضيف لا جناح على من وليها ان يأكل منها بالمعروف وان يطعم صديقا غير متمول منه واوصى به الى حفصة ام المؤمنين ثم الى الاكابر من آل عمر اهـ)

واصرح من هذه دلالة ايضا ما في اواخر الكتاب المسمى اليه ونصه فان قلت (١) رأيت رجلا جعل ارضا له وحددها صدقة موقوفة لله تعالى ابدا على وجوه سماها وقفا صحيحا وجعل القيام بامر هذا الوقف في حياته وبعد وفاته الى رجل وجعل لهذا الرجل من غلة هذا الوقف في كل سنة مالا معلوما لقيامه بامر هذا الوقف هل يجوز هذا ؟ قال هذا جائز قياسا على ما فعله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيما جعل للقيم بصدقته اذ قال على ان لو اتي هذه الصدقة ان ياكل منها غير متائل مالا وعلى (٢) ما جعله علي بن ابي طالب رضي الله تعالى عنه للعييد الذين وقفهم مع صدقته يقومون بعمارة صدقته وهذا بمنزلة

(١) السائل هو الامام ابو بكر الخصاف المؤلف والمسؤول هو شيخه هلال رحمه الله

(٢) قال الخصاف في كتابه احكام الاوقاف حدثنا محمد بن عمر الواقدي قال حدثنا سليمان بن بلال وعبد العزيز بن محمد عن ابيه عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان عمر ابن الخطاب قطع لعلي ينسج وهو حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حجاج مصر ثم اشترى علي الى قطيعته التي قطع له عمر اشياء فحفر فيها عينا فينما هم يعملون اذ انفجر عليهم مثل عنق الجزور من الماء فاتى عليا فبشرة بذلك فقال علي بشر الوارث ثم تصدق بها على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله وابن السبيل القريب والبعيد في السلم والحرب يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ليصرف الله النار عن وجهه بها ثم قال وحدثنا علي بن عيينة عن عمرو ابن دينار قال في صدقة علي بن ابي طالب ان جيرا ورباحا وابانيزر موالا يعملون في المال خمس حجج منه نفقاتهم ونفقات اهلهم ثم هم احرار لوجه الله تعالى اهـ محل الحاجة منه

الاجراء والكلاء في الوقف الا ترى ان لوالي الوقف ان يستاجر الاجراء لما يحتاج اليه من العمارة وهذا شيء قد كفيينا مؤنة الاحتجاج له لان عمل الناس عليه قلت هل يحد القيام الذي يستحق به هذا الرجل ما جعل له الواقف من غلة هذه الصدقة قال ليس عندنا في هذا شيء محدود وانما ذلك على ما يتعارفه الناس من القيام بعمارة ما وقعت عليه عقدة هذه الصدقة واستغلال ذلك وبيع غلاته وتفرقة ما يجتمع من غلاته في الوجوه التي سبها فيها قلت أرأيت ان يباشر الرجل هذا بنفسه قال انما يكلف من هذا ما يجوز ان يفعله مثله ولا ينبغي له ان يقصر عن ذلك واما ما كان يفعله الوكلاء والاجراء فليس ذلك عليه الا ترى انه لو جعل القيام بذلك الى امرأة من اهله او من بيته وجعل لقيامها بذلك مالا سماه لها في كل سنة هل تكلف المرأة من القيام الا مثل ما يفعله النساء قال ليس عليها من ذلك الا ما يتعارفه الناس في هذا الامر الا ترى ان الرجل يكون له الضياع فلا يباشرها بنفسه ولا يشاهدها وانما يقوم بأمرها كفاته فكذلك حال القيم بأمر هذه الصدقة فيما يتولاه من ذلك) اه وفي موضع آخر من هذا الكتاب ان السني يلي على الوقف وكيل للواقف في حياته ووصي له بعد موته اه

وأرى ان نظر الوقف والقائم عليه هو وراء كونه وكيلا او وصيا محتسب خاص على شعيرة خاصة من شعائر الله تعالى لها اهميتها وخطورتها ووجود الناظر في الوقف شرط لقيامه ودوامه على ما سلف تحريره فلا وقف الا بنظره القائم عليه ، ذلك مدرك المذهب الحنفي الزكي رضي الله تعالى عن امامه وعن سائر ائمة الدين في امر النظار والمقدمين

هذا وقد تاصلت قواعد هذا المذهب في الاوقاف على ما فيه تمهيل وتقريب وترغيب للناس في الوقف واكثر اصحاب الامام الاعظم رضي الله تعالى عنه بصارة باحكام الوقف ومعرفة لاسرارها وحكمه واحاطة بما صح عن الامام فيه تليذه الآخذ عنه الامام الثاني ابو يوسف رحمه الله تعالى الذي اقسام كغيره من التلامذة الائمة الآخذين عنه قدس سره على انهم لم يقولوا في مسألة من المسائل بقول غير مروى عن شيخهم امام المذهب ابي حنيفة النعمان روح الله ورحمة سره حسبا نص على ذلك في عامة كتب المذهب فمن ذلك القول بصحة الوقف على النفس ومنه القول بعدم افتقار صحة الحبس الى الحوز والقبول ومنه انه يصح على من سيوجد بخلاف الوصية حيث لا تصح للمعدوم الى غير ذلك من مظاهر التقريب والترغيب ومن ثم توافر المسلوب في مشارق الارض ومغاربها قديما وحديثا على تقليد هذا المذهب فيما لهم من الاوقاف لائذا بما فيه من تيسير ناهيك انه يصير الحبس فيه حسبا بمجرد قول الواقف حبست

وحيث كان الاغلب على اوقاف الناس في ديارنا التونسية ما نص فيه اصحابه على تقليد مذهب ابي يوسف جرى عمل امراء المسلمين بتونس على تخصيص احكام الاوقاف بالمذهب الحنفي

وعلى ذلك جرى عمل أميرنا إبقاء الله تبعاً لأعمال أسلافه وطريقتهم المرضية مراعاة لجانب المصلحة
أما ما كان مالِكياً فإنه لا تخصيص فيه .

كما أن هؤلاء الأمراء نظراً سامياً في تخصيص بعض المسائل والقضايا بأحد المذهبين الزكيين
الحنفي والمالكي المنتشرين بهذا القطر المحروس كتحصيلهم لمسألة رؤية الهلال ولمسألة الميراث
وغيرهما من كثير من المسائل بالمذهب المالكي الزكي

واختيار أئمة المسلمين لقول من قولين أو أقوال في مذهب أو مذاهب شنيئة أخزمية إذ لهم
في كل عصر من التبصر بمصالح الرعية ما يخولهم ذلك

وذلك فيما اظن من اصول منشأ اختلاف العمل عند السادة المالكية . ثم من قبل أن الشريعة
الإسلامية قد جاءت بتحكيم العرف وبإفساح المجال لأئمة المسلمين وقضاتهم في تخصيص ما يرون
تخصيصه للقضاء استغنت عن التجديد الذي هو ضروري للشرائع الوضعية (١)

هذا وبما أننا قد أحطنا خبراً بنسبة النظار والمقدمين من الأوقاف وهي نسبة الشرط من
المشروط وجب المصير إلى بيان ما يلزم اجراءؤه واتخاذها في الوقت الحاضر دفعاً للضرر اللاحق
للأوقاف من جراء فساد الزمان وضياع الأمانة فنقول .

ينبغي أن يكون نظر الأوقاف إلى هيئة عليية حنفية يرأسها فضيلة الشيخ المقي الحنفي المكلف
بالاحتساب على الأوقاف بعضوية ثلاثة مدرسين من الطبقة العليا بالجامع الأعظم إدام الله عمرانه ومن
عشرة كتاب على الأقل من مهرة المتخرجين في شهادة التحصيل يرشحون لذلك بمناظرة تجري
لانتخابهم ومن أعوان ثقات للاستخلاص وغيره ومن مترجم ومن محامين من ذوي الذمة والتضلع
في الحقوق تنتخبهم الهيئة بمزيد التحري والاحتياط

هذه هي الأركان الذاتية للهيئة المذكورة وأما ما يتعلق بمواد اجراءاتها الإدارية فلنا فيه اليوم
كلمة موجزة نلقيها بمذيلين بها هاته العجالة وهي أن تعمل هاته الهيئة في حدود ما يحرر
الأوقاف من كل ما يأتي على جانب من ثروتها ومن الاجراءات المجحفة بوفرة ريعها ولو بوجه
الانزال أو المعاوضة وغير ذلك مما لا يلائم كيانها الاصلاحية وحرمانها الدينية كل ذلك في نفوذ
واسع وسلطان وازع وسيف من الاقضية المحدثه لما احدث من الفجور قاطع والله يقول الحق . وهو
يهدي السبيل
محمد الناصر الصدام

(١) وأما حديث أن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يجدد على هذه الأمة أمن دينها الذي
أخرجه أبو داود فالتجديد فيه بمعنى التقوية والتأكيد ذلك أن تطاول الامد موجب لقسوة القلوب
وضعف الوازع الديني قال الله تعالى فتطاول عليهم الامد فقسست قلوبهم . ولا ريب أن المائة سنة أمد
طويل والتجديد تذكير والذكرى تنفع المؤمنين . هذا هو معنى التجديد وحمله على خلاف هذا من
تحريف الكلم عن مواضعه .

القضاة الشرعيون

في القديم

بقلم العلامة الجليل الشيخ سيدي محمد
البشير النيفر الاستاذ بجامعة الزيتونة

١٢ أبو القاسم بن زيتون

ولي القضاء بعد أن صرف عنه ابن أبي الدنيا في التاريخ الذي رايته قريبا (١) ثم صرف هو عنه
ايضا ثامن عشر شهر ربيع الاول سنة ٦٨٠ واعد ابن الغماز الى القضاء

وهذا القاضي من افاض رجال عصره . وهو ابو احمد وبكنى بابي الفضل ايضا بن ابي بكر بن
مسفر بن ابي بكر بن احمد بن عبد الرفيع اليميني ويلقب بتقي الدين . وفي عنوان الدراية : ابو القاسم
ابن ابي بكر اليميني اه

ولد سنة ٦٢١ وتبرز في الفقه حتى قال صاحب عنوان الدراية في شأنه : وفقهه جار على قوانين
النظر والاجتهاد وكان طلبه العلم اول امره بتونس ثم تحرر كنهته للضرب في الارض في سبيل
تحصيله فام المشرق سنة ٦٤٨ وسمع الحديث من الحافظ عبد العظيم المنذري وغيره واخذ عن سلطان
العلماء عز الدين بن عبد السلام وشمس الدين الحسرو شاهي وسراج الدين الارموي ثم حج البيت
ورجع الى تونس ثم خرج منها الى مصر سنة ٦٥٦ فأقام بالقاهرة ثم حج ورجع الى بلاده

ولم يكن رحمه الله فقيها فحسب بل كان كما في عنوان الدراية عالما بالاصلين والمنطق ذا مشاركة
في الحكمه . وفي الديباج للشيخ فرحون انه اول من اظهر تأليف فخر الدين بن الخطيب الاصولية
باقرائه اياها في مدينة تونس

وفي عنوان الدراية انه توجه في الرسالة لبعض ملوك المغرب عن المستنصر بالله الحفصي مرتين
فشكرت رسالته وحدثت همته العلية وسياسته اه

ورأيت في باب العقيدة من مختصر الشيخ ابن عرفة الفقيهي ان صاحب الترجمة دخل على المستنصر
بالله فسأله كيف تسمى بابي القاسم مع صحة حديث تسموا باسمي ولا تكنوا بكينتي فأجابه الشيخ بأنه تسمى
بكنية النبي صلى الله عليه وسلم ولم يتكن بها ونقل الشيخ ابن عرفة عن بعض شيوخه استحسان
هذا الجواب . وفي هذا الحوار من العبرة حسن مشاركة الامير المستنصر وبداهة الشيخ ابن زيتون

وقد وهن الجواب الشيخ الابي في شرحه على صحيح مسلم « ص ١٦٦ ج (٥) طبع مطبعة السعادة سنة ١٣٢٨ وله الحق فيما يظهر

ذلك انه صح من حديث ابن المنكدر وهو في صحيح مسلم انه سمع جابر بن عبد الله يقول ولد لرجل منا غلام فعماه القاسم فقلنا لا نكنيك ابا القاسم ولا نعنك عينا فأبى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال أسم ابنك عبد الرحمان اه قال : الابي لا يسمى بابي القاسم كما لا يسمى القاسم على هذا الحديث . ثم ذكر قصة صاحب الترجمة مع المستنصر واستحسان بعض اهل عصره الجواب وقفى على اثره بقوله : ولا يخفى عليك ما في هذا الجواب من النظر على هذا الحديث اه ثم قال : وفي العتية قيل لمالك رضي الله عنه قد كنيت ابنك بابي القاسم قال ما فعلت بل هو فعل اهل البيت ولا بأس به قال ابن رشد رضي الله عنه لا بأس تدل على ان تركه اولى لما في ظاهره من الاخبار بالكذب ولا اثم فيه لان القصد ترفيعه لا الاخبار به اه

والذي نقله الشيخ ابن عرفة عن القاضي عياض أن فقهاء الامصار على جواز التسمية والتكنية بأبي القاسم وإن النبي عنه منسوخ

وخلاصة القول في الموضوع انه ثبت النهي عن التكني بكنية النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصحيحين فقصر مالك وجماعة النهي على زمانه صلى الله عليه وسلم لان علة النهي خوف الالتباس به عليه الصلاة والسلام فقد جاء في احدى روايات الحديث عند مسلم من طريق انس نادى رجل رجلا بالبقيع يا ابا القاسم فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني لم اعنك انما دعوت فلانا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسموا باسمي ولا تكونوا بكنيتي

وذهب الاكثر الى ان النهي عن ذلك منسوخ وقد سمي جماعة من السلف ابناءهم بمجد وكنوهم بابي القاسم والحجة لذلك حديث علي وطلحة رضي الله عنهما واستشهاد علي رضي الله عنه ناسا أنه صلى الله عليه وسلم رخص في ذلك .

هذا وكانت وفاة صاحب الترجمة يوم الاثنين سابع شهر رمضان سنة ٦٩١ ودفن ببجل المرسى قال الزركشي ومثله في الديباج : ولا يكاد يصح ما نقله الشيخ احمد بابا عن التجيبي ان مولده سنة ٦٦٦ ووفاته سنة ٧٣٠ لانه ولي قضاء الجماعة سنة ٦٧٩ كما اسلفناه قريبا فهل يكون عمره يومئذ ثلاث عشرة سنة ؟

١٣ الغوري الصفاسي

جاء ذكر هذا القاضي اثناء كلام للزركشي في وفاة الشيخ ابي محمد المرجاني ولم يذكر تاريخ ولايته قال « ص ٤٣ » من تاريخه ما نصه وفي أوائل جمادى الاولى سنة ٩٩ « اي وستمائة » توفي الشيخ الصالح المرجاني ودفن ببجل الجلاز وكان صديقا لقاضي الجماعة بتونس الفقيه أبي يحيى أبي بكر الغوري الصفاسي وكان القاضي مريضا فكتب قرباؤه موت صديقه ولم يخبروه به وجعلوا

يوصون من يعود به بان لا يخبره بموت صديقه فأتى الفقيه أبو اسحاق بن عبد الرافع لعيادة القاضي فأوصي ان لا يخبره بشيء فأنسي واخبره وازداد القاضي مرضا على مرضه وتوفي يوم الاحد رابع عشر جمادى الاول سنة ٩٩٠ فقدم بعده لقضاء الجماعة بتونس الفقيه العالم :

١٤ أبو اسحاق ابراهيم بن الحسين بن علي بن عبد الرافع الربيعي

وهي أول ولايته لهذه الحطة فحكم عاما واحد عشر شهرا ثم عزل وولي عوضه الفقيه :

١٥ أبو زيد عبد الرحمن بن القطان البايوي

من أهل سوسة في غرة ربيع الآخر من سنة احدى وسبعمئة وتوجه الى سوسة وابطأ على الناس فضجوا من تأخر خصوماتهم فأمر أبو اسحاق ابن عبد الرافع بتنفيذ الاحكام الى ان يقدم القاضي فتواصي حسدته من صنفه بأنه لا يعلم بوصوله حتى يكون بمحفل يقال له فيه لا تحكم فان القاضي قد وصل وجعلوا من يرصد الطريق ففهما ابن عبد الرافع واوصى من يشق به ان يخبره قبل دخول القاضي بوصوله ليكون هو الممسك عن الحكومة ويصرف العون عن بابه بنفسه، فاتفق ان كان يوم سبت وقد جرت عادة قضاة تونس وفقهاها بوصولهم يوم السبت بمجلس الخليفة للسلام عليه وبجلس كل صنف منهم مع صنفه في بيوت اعدت لهم الى ان يخرج الخليفة، فبينما الفقهاء والقضاة جالسون وابن عبد الرافع بينهم اذا قبل كاشفه يعلمه قبل ان تصل رصدة حسادة بقدوم القاضي فلما رآه فهم ققام من محل جلوس القاضي منتقلا الى بيت أهل الشورى ففهم عنه حسدته فحدقوا ابصارهم نحوه فانجلت عقدة سراويله وقد توسط حلقة المجلس فجعل يصلحها ونظر اليهم... فادار وجهه اليهم وقال الحمد لله الذي لم يجعل فيكم من يصلح لها فأبكنهم ونكاهم من تشمتهم بقيامه... اه ما قاله الزركشي بنصه (يتبع)

محمد البشير النيفر

مجلة الامالي

في عامها الثاني

مجلة الامالي من خيرة المجلات العلمية الثقافية التي تصدر ببيروت وقد قطعت مرحلتها الاولى بانتهاـ عامها الاول فيخورة بما نشرته من الابحاث الرفيعة الشأن والمقالات المدبجة بيراعة عليـ الكتاب ذات المواضيع الثقافية الادبية الممتعة بما يدل على اتساع الحركة العلمية وانتشارها في القطر السوري العريق في المعارف والمجد وقد وصلتنا الاعداد الاولى للمجلد الثاني حافلة بالابحاث والمواضيع المتنوعة فتشفي على همة صاحبها ومديرها الكاتب الفذ الدكتور عمر فروخ والهيئة المساعدة له، ونرجو للرصفة حياة وانتشارا وكل تقدير

صفحة من تاريخ تونس

وثيقت تاريخيت جليلت (مارستان العزافين والمستشفى الصادقي)

بقلم العالم المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

مما لا خلاف فيه ان مدينة القيروان في عهد الاغالبية ومدينة المهدية في زمن العبيديين ومدينة تونس في العصر الحفصي كانت جميعها ملاحج خيرية لمعالجة المرضى ومآوي للبائس وابن السبيل قاموا بذلك وفقا للمقصود من الاحباس التي كان يتصدق بها اهل البر والمعروف على اخوانهم المسلمين المعوزين في هاتيك العصور - فلما استقر الاثر في هذه الديار في اواخر المائة العاشرة كان خيارهم من ذكور واناث بين سابق ولاحق في ميدان المشاريع الخيرية من شتى الاصناف وبديهي ان كان في المقدمة اعظم تلك القربات الى الله وهي المساجد لاقامة الصلوات ثم الحقوا بها المدارس لنشر العلم وصرفوا مع ذلك مجموع همهم نحو حماية البيضة باقامة التكنات والحصون والاسوار ثم مدد الجسور والطرقا بطراف البلاد وعمروها بالاسبلة لتمهيد اسباب العمران - وممن حفظ لهم التاريخ جميل الذكر في هذا المقام الباي محمد ويدعى حمودة باشا المرادي فهذا الامير الصالح هو المؤسس لمارستان العزافين المعروف بتونس وهو موضوع الحديث . ولقد عثرت اثناء بحوثي المتواصلة لاكتشف عن مآثر اسلافنا الكرام برد الله مراقدهم على وقفية هذا المستشفى الذي كانوا يسمونه بالمارستان (١) فرايت من خدمة التاريخ نشر عبارة هذه الوثيقة الجليّة تخليدا للذكر صاحبها قدس الله سره واثرت بها هذه المجلة المباركة لاسيما وان العامة في تونس بل وحتى بعض الخاصة يعتقدون ان مستشفى العزافين من مآثر صاحبة الخيرات عزيزة عثمانة (٢) وهو مجرد وهم سرى لبعض المتقدمين درج

(١) لفظ مارستان محرف عن يمارستان في اللغة الفارسية ودخل للاستعمال بتونس في عهد الدولة المرادية على يد الاثرالك قال الشهاب الحفاجي : هو لفظة فارسية استعمالها العرب ومعناها مجمع المرضى لان يعمار معناه المريض وستان هو الموضع واول من صنعه بقرطاج من كتابنا جيش الدخيل في انلسان التونسي الاصيل

(٢) اسمها عزيزة بنت احمد بن محمد بن عثمان داي دفين زاوية الشيخ سيدي احمد بن عروس وكانت وفاته سنة ١٠١٩ وعلى عهده كان قدوم جالية الاندلس الاخيرة بتونس اما المحسنة حفيدة العزيزة عثمانة فقد التحقت بالدار الاخيرة في حدود سنة ١٠٨٠ ودفنت بتربتها المجاورة للمدرسة الشماعية بحلقمة النحال (لا النعال كما هو مشهور على السنة الذاس بتونس)

عليه المتأخرون بسبب ان هذه المنحسة الكبيرة ما زالت لها صدقات جارية الى هذا الزمان وقع الاصطلاح على الحاقها من حيث الوجهة النظامية باوقاف المارستان كوقفها المؤسس لتزويج البنات الابكار ووقفها الخاص بختن فقراء الصبيان الذين كانوا يباشرون اختنائهم يوم عاشوراء بسقيف المستشفى (١) ويزودونهم بالاكسية اللازمة من ربيع ذلك الحبس فيحسبوا ان المستشفى نفسه ايضا من حسنات تلك السيدة الكريمة ولم يكن هذا الغلط التاريخي بالمقصود على اهل تونس فقط بل نجده ايضا بين اهل البوادي ونسق لك مثالا في ذلك ففي مدة مباشرتي لعمل بنزرت حضر لدي ذات يوم شيخ قبطنة ليحيطني علما باحوال جته وكان في جملة مقرراته الاعلام بنازلة رجل اصيب بطلقة مكحلة جعلت حالته في خطر فسألته هل عجل بعرضه على الطبيب فاجاب : نعم لمجرد وقوع الحادث عجلت بحمل الجريح لمستشفى عزيزة عثمانة بفريفل (كذا) قال ذلك معتقدا ان مستشفى فريفل (٢) الذي هو مؤسسة عسكرية فرنساوية حديثة فرع المارستان عزيزة عثمانة الذي لا وجود له الا في عالم الخيال او ان كل مستشفى يطلق عليه اسم عزيزة عثمانة .

اما الوثيقة التاريخية المشار اليها في مقدمة الكلام فهذه عبارتها :

الوثيقة التاريخية

الحمد لله الذي بيده الضعف والقوة وخلق السوء والدواء وجعل الجرم كفارة للجرم نجابا للاجر دافعا للبلوى . يعلم ما ظهر وما بطن وما عليه كل انطوى . والصلاة والسلام على نبيه الاكرم وطيبيه الاعظم سيد العرب والعجم سيدنا ومولانا محمد خاص المحبة عام الرسالة والدعوى . رحمة العالم وارومة دوائه قطب دائرة حكمه ومعدن شفائه المنزه في فصيح نطقه عن الهوى . كفى دليلا بسورة والنجم اذا هوى . وعلى آله الاطهار واصحابه الاخيار انجم الهدى واساس التقوى . وبعد فلما كانت سلسلة الممكنات مرتبطة بوجود الحق تبارك وتعالى فكذلك يتنظم نظام كل مملكة بوجود امير او خليفة فان الاصل ان السلطان امان من حوادث الزمان كان مما من الله به على هذه الديار التونسية والبلاد الافريقية حضرة من انام الانام في ظل الامان . وانشأ لهم سحائب الخيرات والاحسان . فافضاه عليهم من هاطل وبلها الهتان . من رد سياسته كيد ذوي البغي والطغيان . ومهد بيبية رئاسته

(١) ختن الصبيان الفقراء مباشرة جمعية الاوقاف بطريقة منتظمة في موسم عاشوراء من كل عام واختنائهم يقع في هذا الزمان بمدرسة بير الحجار

(٢) فريفل بلدة تاعة لعمل بنزرت ظهرت في عالم الوجود على راس هذا القرن المسيحي واسمها مقتبس من اسم الوزير حول فيري مبتكر مشروع حماية فرنسا على تونس ومن ملحقاتها بلدة تينجة تشتملان معا على نحو ثمانية آلاف نسمة اكثرهم من العملة الفرنسية بين بترسخانة سيدي عبد الله بوراوي وقد اختصت تلك الجهة بانتاج ثمار الفراولة ذات التجارة الرابعة يصدر منها ارباب السواني نحو اربعة آلاف رطل في اليوم لفندق الغلة بتونس

طرق الخوف والعدوان . حتى سار بها الرجال والولدان . وذوات الخدور الخرائد الحسان . فكم قاس قساة بقسي سهمه السيد . فاصاب الغرض بجبل الوريد . وكم عاد اليه فعاد عليه بعائدة الصلة من فيض بحره السيد . وهو السد الامين العام الاظهر الشهير نخبة الامراء الماضين . وتحفة سلالة الباشات السالفين . مدبر حياة ~~عسكر~~ تونس المشهورة . وصاحب راياتها المنشورة . اخو الانابة والاصابة في القول والانشا . السيد ابو عبد الله محمد باشا . اعانه الله بعناية رعايته . وادام على المسلمين العافية بقاء ولايته . اذ كان اعلى الله تعالى قدره . واحفل واجل بجميل النساء ذكره . مع اشتغاله بهذه السياسة العظيمة . والرئاسة الصميمة . له مزيد اعتناء بالتقرب بالقرابات . من مواساة ذوي الحاجات والهيات . والصدقات الوافية الجارية . والاحباس الصالحة الباقية . فمن ذلك ما تعلق به الآن همته العالية . وتوجت اليه وجهته السامية . رفقا بحال الفقراء ورثا لشان الضعفاء والمرضى . احدث مارستانا اليه ياوون . به دواءهم وقوتهم وما يحتاجون . وقد استقر على ملكه حفظه الله تعالى وابقى اسعاده وبلغه ما امله ١ جميع الفندق القبلي المفتح قرب القباقيين . ومكتب العزافين داخل تونس المحروسة يحده قبله حيث المفتح وشرقا حق الآن للدعصي وجوفا حق للمؤذن الحاج محمد القصار وغيره وغربا الطريق بحقوقه ومنافعه ٢ وجميع الستة حوانيت المخرجة منها الشاملة لها حدوده المذكورة الخ ٣ وجميع الفرن المعد الان لطبخ الخ ٤ وجميع الكوشة المعدة الخ ٥ وجميع الفندق الجوفي الخ ٦ وجميع الحانوتين المخرجين من الفندق المذكور الخ ٧ وجميع المخزن الجوفي الخ ٨ وجميع الكوشة الشرقية الخ ٩ وجميع الحانوت الشرقي الخ ١٠ وجميع الكوشة القبليّة الخ ١١ وجميع الفندق القبلي الخ ١٢ وجميع الحانوتين الشرقيين الخ ١٣ وجميع الفندق ذي البابين الخ ١٤ وجميع الفندق الغربي الباب الخ ١٥ وجميع الحمام الغربي الباب المحدث البناء الكائن ببلد الكاف الخ ١٦ وجميع الخمس حوانيت الملاصقة له الخ ١٧ وجميع الماء المجلوب من العين المعروفة بعين سيدي سالم الخ ١٨ وجميع الماء الخارج من الحمام المذكور الخ ١٩ وجميع الحمام الغربي المفتح ببلد زغوان الخ ٢٠ وجميع الاربع تبات ماء من الماء الجاري بالبلد المذكورة الخ ٢١ وجميع الفرن القبلي المعد للخبز الكائن ببلد الكاف الخ ٢٢ وجميع الطاحونة المعدة لرحي الطعام الغربية بالكاف الخ ٢٣ وجميع الحمام الشرقي الكائن برجة بنزرت الخ ٢٤ وجميع الكوشة والدار الملاصقة لها بربض بلسد باجه الخ ٢٥ وجميع الفندق الغربي بها الخ ٢٦ وجميع النصف من جميع الدار الجوفية الباب الكائنة بحارة اليهود داخل باب السويقة من تونس المحروسة الخ وبعد تقرر ذلك كذلك حضر الآن لشهيديه السيد المعظم الارفع مولانا ابو عبد الله محمد باشا صاحب كرسي مدينة تونس المحروسة وهو الواضع طابعه ها ايده الله ونصره وألهمه الخير وبصره . وهو المالك لجميع الربع المحدود المذكور اعلاه . زيد فخره وعلاه . ابن الامير المعظم المنعم المقدس المرحوم السائر الى رحمة الله الملك القيوم مولانا ابي

الظفر مراد باشا قدس الله روحه واسكنه من الجنان فسيحه واشهد حفظه الله تعالى انه حبس ووقف جميع الرباع المنحدودة المذكورة اعلاها بما لها من الحقوق والمنافع وما يعد منها وينسب اليها على ما سيذكر مفصلا بعد فالفندق المبدأ بذكره جعله مارستانا منزلا لسكنى المرضى والجرحى من سفر البحر او المحال او الغزو في سبيل الله الفقراء الذين لا مال لهم وليس لهم من يقوم بهم ولا من يؤويهم بمدينة تونس فينزل به المرضى المذكورون ويقيمون مدة بقاء المرض بهم الى حصول الشفاء التام فاذا برىء من مرضه احد المرضى واخبر الطبيب بشفاؤه فللمناظر بالمارستان المذكور اخراجه ولا فرق في المريض والجريح ان يكون عربيا او عجميا تركيا او غيره وباقي الرباع المذكورة كلها تصرف غلتها فيما سيذكر ويفسر بعد فعنها ما يكفيهم من القوت والدواء اللائق بحال كل واحد منهم ومن يقوم بخدمتهم وتمريضهم ليلا ونهارا الى بلوغ الغاية وكذا ما يكفيهم من الفراش والغطاء والوظء من الحصر والمضارب والسفاسر والوزاري (١) شتاء والملاحف من الكتان صيفا ومن قدر الله بوفاته من المرضى المذكورين بالمارستان المذكور ينفق عليه ما يكفيه في كفنه ومواراته ودفنه وعين حفظه الله تعالى طبيا ماهرا لاعلاهم فيعالج كلا منهم بما يليق به من الاشربة والمعاجن والدهان والمراهم على ان له بيتا من المارستان المذكور يضع فيه ما يحتاج اليه من الادوية وغيرها وحانوتا من الحوانيت الملاصقة للمارستان المذكور يجلس فيه وثمانية ناصريه (٢) واربع خبزات موظفة له كل يوم وعين ناظرا على المارستان المذكور ينظر في مصالحه ويقبض محصول اوقافه ويصرفها في مصارفها وله ست ناصريات (٣) واربع خبزات موظفة كل يوم وطباخا يطبخ لهم قوتهم من لحم وغيره وله خمسة ناصرية وخبزتان كل يوم ورجلا ينفق عليهم وكيلا للخروج وله اربعة ناصرية وخبزتان كل يوم ورجلا بوابا ملازما للمارستان ليلا ونهارا يتعاطى غلق ابوابه وكس عرصته وفنائيه واستقاء مائه للشراب والفصل وغسل ثياب المرضى وغير ذلك مما يحتاجون اليه وله ثمانية ناصرية واربع خبزات كل يوم والخبز المذكور كل خبزة منه بناصري في زمن الرخاء والشدّة (٤) حبس جميع الرباع المذكورة ووقفها على من ذكر كيف ذكر بما لها من الحقوق والمنافع حبسا حراما ووقفا دائما سرمد

(١) الوزاري جمع وزره وهي عبارة عن احرام من نسيج صوف الضاف الاسود في غالب الاحوال وقد يكون من الصوف الأبيض واليه ينسب سوق الوزر بتونس خلافا لما يعتقد بعضهم من انها نسبة وزيرية

(٢) هذه الجبراية المعطاة للطبيب كانت بمقدار جبراية شيوخ التدريس في ذلك الزمان

(٣) مفردة ناصري نسبة لمبتكرة السلطان الناصر لدين الله وهو من مسكوك الفضة يقابله في المسكوك الذهبي الدينار المؤتمني نسبة لعبد المؤمن بن علي وكانوا يلقبونه في افريقية بامير المسلمين وتلقب بعده المستنصر بالله الحفصي بامير المؤمنين

(٤) يستروح من هذا القيد انهم كانوا يعرفون في ذلك الزمان نظام المقاولات بطريقة المناقصة في لزوم التوريد والتموين وشبه ذلك

لا يباع ولا يوهب ولا يورث الى ان يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . لا يبدل عن حاله . ولا يغير عن منواله الى ان يرثه الله قائما على اصوله محفوظا بشروطه فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يدلونه ان الله سميع عليم قصد بذلك ابتغاء وجه الله العظيم ورجاء ثوابه الجسيم أنه يجزي المتصدقين ولا يضيع اجر المحسنين وذلك كله بعد التبديّة بما يحتاج اليه الربيع المذكور من بناء واصلاح حتى يبقى قائما على اصوله منتفعا به وجعل النظر في ذلك لولديه المعظمين الاسعدين المرفعين الامجدين السيد ابي الظفر مراد باي صاحب المحال المنصورة والسيد ابي عبد الله محمد باي صاحب سنجق مدينة القيروان المحمية وسوسه والمنستير وصفاقس والبلاد الساحلية حفظهما الله تعالى ثم للأكبر فالأكبر والاصح فالاصح من اخوتهما المذكور ثم لاولادهم واولاد اولادهم واعقابهم واعقاب اعقابهم ما تناسلوا وامتدت فروعهم في الاسلام لا يتقدم اهل الطبقة السفلى على اهل الطبقة العليا في النظر ولو كانوا اسن منهم واذن حفظه الله تعالى للنظر الآن في المارستان المذكور وهو الاجل موسى خفيرة الاندلسي في قبول ذلك منه وحوزة جميع الرباع المسطورة عنه فحضر وقبل ذلك منه قبولاً تاماً واحاله على ثواب الاخرة شهد على اشهادهما بذلك في الحالة الجائرة من وقف على الاستقرار المذكور كيف ذكر بتاريخ اواسط شهر ربيع الاول الشريف بمولده صلى الله عليه وسلم تسليماً عام ثلاثة وسبعين والـف بمعرفة الناظر المذكور والمعرفة بالسيد محمد ناشا المذكور تامة حفظه الله تعالى واحسن اليه - بشهادة الفقيين الاعدلين الشيخ ابي عبد الله محمد المحرزي والشيخ المفتي عبد الله ناجي (١) فهذه نسخة ذلك على ما هو عليه فمن قابله باصله اتفقا وكانا نساوا وشهد بذلك هنا اوائل حجة الحرام من عام مائة والـف اهل يله عقدا شاهديه

بعد هذا نقول ان صريح عبارة هذا التحيس تفيدنا ان مارستان العرافين كان باصل وضعه مستشفى خاصا بالغزاة والمجاهدين المسلمين في البر والبحر وبالتالي وقم التوسع في النفع به لفائدة عموم فقراء المسلمين لا سيما بعد القضاء على القرصنة البحرية ومحو قوانينها من لوحة الوجود فكان المارستان المتحدث عنه من يومئذ قاصرا على الفقراء والبائسين من اهل البلاد طيلة العصر الحسيني وقد توفّق البابا علي باي الثاني ابن حسين بن علي بتعزيزه بتكية للرجال واخرى للنساء في سنة ١٨٨٨ ومن القدر المقدور ان كان القرن الثالث عشر للهجرة مرتعا لمقدمات التعدد الاروباوي بتونس وفي اثنائه توثقت روابط الخلطة بين تونس وبين البلاد الاروباوية ولا سيما فرنسا الفخيمة حامية هذه الديار فاخذت الدولة التونسية من يومئذ تتدرج في مراقبي النهوض بالحاضرة المحمية اقتداء بعواصم اوروبا الى ان كانت دولة المشير محمد باي فامضى بمساعدة الدولة الفرنسية اتفاقا في التحمل بسبعة ملايين ريبا لحلب ماء عين زغوان لمدينة تونس التي كانت تروى منه قبل

(١) لم نقف على اسم هذا الفقيه بسلسلة الفقهاء التي بين ايدينا

ذلك بستمائة سنة في عهد المستنصر الحفصي بواسطة القنّاة التاريخية التي اقامها لذلك الانبراطور هادريان في اوائل القرن الثاني للميلاد والحامس قبل الهجرة وكان في مقدمة المنظمات الجديدة التي ادخلها المشير المذكور لبلاده مشروع عهد الامان الذي اعلن به اخوه من بعده واسس المطبعة الرسمية واشترى لوازمها من باريس كما اسس محاسبا بلديا بالحاضرة ووضع نظاما لديوان الشرع المظهر وسن له قانونا جامعاً من انشاء صهره الشيخ محمد بيرم الرابع وخلفه بكرسي الايالة في سنة ١٢٧٦ شقيقه المشير محمد الصادق باي فسار في منهج الإصلاح العصري من حيث انتهى سلفه ووجه مهجته واجمعها في ذلك السبيل مبتدئاً بالاعلان بقانون عهد الامان المشار اليه ونصب المجالس الناتجة عنه ثم احدث جريدة رسمية للحكومة وهي صحيفة الرائد التونسي التي هي اليوم في السنة الثامنة والثمانين من عمرها الزاهر السعيد ووضع ترتيباً للوزارات ووسع في دواليها التي انشأها من قبله ابن عمه المشير الاول احمد باي واعار جانباً عظيماً من نشاطه لجانب العلوي فوسع في ارزاق شيوخ التدريس بجامع الزيتونة واقام المكتبة الصادقية مكان المكتبة الحفصية بالعبدلية التي عفت رسومها من اواخر المائة العاشرة متمماً بذلك مشروع ابن عمه المشير احمد باي الذي عمر صدر جامع الزيتونة بخزانة كتبه الثمينة التي احدثها في سنة ١٢٥٦ ووضع ترتيباً للتدريس بالجامع وءاخر اضبط احوال الاشهاد العام وآخر لتحسين احوال السجون واهلها وءاخر للفلاحة الخ الخ وكانت مفخرة مساعيه الجلية في باب المستجدات العصرية تاسيس المدرسة الصادقية كل ذلك تم على يد وزيره الناصح الامين المرحوم خير الدين وهنالا مناص لنا من الاشارة لكون الاصلاحات التي تمت على يد خير الدين كان لاهل العلم نصيب فيها لا سيما العلماء الاعلام والشيوخ العظام منهم الشيخ احمد بن الخوجة وكان في راس تلك الطائفة الصالحة ومن رجالها الاطهار ايضاً الشيخ الشاذلي بن صالح والشيخ محمد بيرم والشيخ الطاهر النيفر والشيخ مصطفى رضوان والشيخ سالم بوحاجب والشيخ عمر بن الشيخ وغيرهم الهداة الاعلام والمقام لا يقتضي التوسع بأكثر من هذا لان زيادة البسط فيه تبعدا عن الموضوع الذي نحن بصدد البحث فيه فلنرجع بقراء المجلة لروح المقصود ونقول ان من متممات الاصلاحات التي وقع انجازها في عهد الدولة الصادقية المستشفى الصادقي وهذا المستشفى الذي شمله برنامج الوزير خير الدين لم تهيئ له الاقدار اظهاره لعالم الوجود لانه بارح الوزارة قبل انتهاء اعماله فيه وبعد تهيئة اسبابه لان يكون مستشفى اسلامي تام العدة يحاكي المستشفيات الأوروبية لاسيما وانه كان يومئذ بتونس مستشفى خاص بالاروباويين واسمه مستشفى صان لويس يعالجون فيه مرضاهم (١) فتخلي خير الدين عن الوزارة

(١) في اوائل القرن الثاني عشر للهجرة ظهر على يد قنصل فرنسا اول مستشفى للجالية الاروباوية بتونس وكان موقعه بحومة سيدي المرجاني داخل باب البحر وكان يعرف بين اهل البلاد باسم « سينار التصاري » ولفظ سينار محرف عن hopital في الفرنسية ومعناه مستشفى وبالتالي عوض هذا المارستان بمستشفى ءاخر اوفر منه مرافقاً واحسن مناخاً وفي سنة ١٢٤٩ وقع تحويل

في سنة ١٢٩٤ وتولاها مكانه (موقتا) الوزير محمد خزندار وفارقها بعد شهر فقدم لها الوزير مصطفى بن اسماعيل في سنة ١٢٩٥ وحاول ان يبني لنفسه - ولكن بدون اساس - صرحا من المجد قياسا على صنيع سلفه الاسبق خير الدين وهنا دبر عليه بعض خواصه بالشروع في بداية امره باستمالة العلماء واعيان البلاد اليه حيث كانوا على بينة من نشأته واطواره فبادر لاقتراء كتب المرحوم امير الامراء عصمان قائد عساكر الساحل واذاف لها ما وصلت اليه يده من كتب الوزير الاسبق مصطفى خزندار وحبس جميع ذلك على اهل العلم بجامع الزيتونة ثم سعى في اتمام مشروع المستشفى الصادقي الذي بقي معطلا من عهد خير الدين وفعلا تم ذلك في اوائل صفر سنة ١٢٩٦ ووقع نصبه بالقشلة المعروفة بقشلة البشامقية (١) ونقل اليه مرضى مارستان العزافين وجعلت نظارته للشيخ محمد بيرم رئيس جمعية الاوقاف التي كان ييدها من قبل حق التصرف في مداخيل الرباع والعقارات الموقوفة على مارستان العزافين وفي يوم افتتاحه ترأس سمو الباي المعظم بنفسه على حفلة التدشين اظهارا لعنايته بهذا المشروع الجليل واشرف بذاته على المرضى واوصى بهم خيرا وخطب في ذلك المجلس وحوله وزراؤه ورجال دولته واهل العلم فقال والكلام من انشاء وزير القلم الشيخ محمد العزيز بوعتور :
لقد سرتني ما شاهدته من حسن وضع هذا المستشفى المبارك واستحسنيت تربيته وتنظيمه وانا اشكر جنابك ايها الوزير الاكبر (مصطفى بن اسماعيل) على اعتنائك بهذه المصلحة التي نرجو ان تكون

المارستان الاول بمساعي قنصل فرنسا لكنيسة اطلق عليها اسم « سانت كروا » رمزا للطعمة الرهبان الثالوثيين المنتصين بها وهذه هي عين الكنيسة الموجودة لهذا الزمان بنهج الكنيسة بتونس trinitaires وهذا نص الامر المملوكي الصادر بذلك من المرحوم المولى حسين اي :

من عبد الله سبحانه الراحي عفوه وغفراته المتوكل عليه المفوض جميع الامور اليه حسين باشا باي امير افريقيا وفقه الله لما يرضاه وعانه (كذا) على ما اولاه الى معاهدنا القنصل اسكندر دفال القائم بقضائية دولة الفرنسيس بتونس اما بعد فانه وصلنا كتابكم في شان كنيسة لاجتماع النصارى فيها وجميع ما ينتم لنا علمناه والجواب نحن اعطيناكم المكان المعروف بالسييتار داخل باب البحر وجعلنا كراءه الف ريال كل عام وان كنا سابقا نأخذ منه كراء كثيرا لكن مساعدة احوالكم وانراها وقد اذناكم في التصرف فيه على الوجه المناسب لكم ولا زائد الا الخير وكتب في ٢٨ محرم سنة ١٢٤٩ هـ ثم في سنة ١٢٦١ تفضل المشير احمد باي باسقاط جملة الكراء الموظف على هذه الكنيسة وزاد في مساحتها بما يقرب من مساحتها الاصلية

(١) قشلة البشامقية هي احدى القشلات الخمس التي احدثها المرحوم الباي حمودة باشا الحسيني بتونس والاربع الاخريات هي قشلة الزنايدية وبها اليوم دواوين ادارة جمعية الاوقاف وقشلة العطارين وبها اليوم المكتبة العمومية الفرنسية ومدرسة اللغة والاداب العربية وادارة الانطكةخانة وقشلة سيدي عامر البطاش وتسمى ايضا قشلة المال لان المشير احمد باي نصب بها البنك التونسي الذي كانت حياته قصيرة وعال امره للافلاس وبها اليوم مصالح الجمعية الخيرية الفرنسية وهي الكائنة بطحاه نهج سيدي علي عزوز وقشلة الحنفية وهذه عفت رسومها واقام المجلس البلدي مكانها بطحاه فسيحة مشجرة للعموم وهي الكائنة بسوق الوزر

محققة النفع حيث انجزتها في اقرب وقت وعلى وفق المامول كما اني اثني على من باشر وضعه على وفق المقصود منه وبذل جهده في ذلك واثبت من انتخبناهم لاجراء ترتيبه على الاعتناء بما تقتضيه مصلحة المحل وسكانه ببذل كل منهم جهده في ذلك بما تقتضيه مأموريته ونرجو من الله تعالى ان يرينا نفعه ويعين اولئك المتتبعين على ما يثمر لهم الشكر واحرض جنابك على الاعتناء باعانتهم والمحافظة على اجراء ترتيبه واحترامه والمامول من الله تعالى ان يقر اعين الاهالي بما يشاهدونه من راحة سكانه وانتظام حالهم وعموم الشفاء لهم اهـ

وقد ارخه صاحبنا المرحوم العلامة المورخ الشيخ محمد السنوسي بايات تنقلها هنا اتماما للفائدة

لمشير تونس خير فضل يقتضى	فيما اشاد الى الاهالي واصطفوا
فحصى جميعهم بفضل وارف	وحباهم منه الحباء الالطفوا
نشر المعارف والعوارف بعد ان	حاط المحاكم والزروع بما كفى
والان اثل خير مستشفى به	حفظ الحياة لكل شخص قد وفا
واتى يعود جميعهم في موكب	ظل الفخار عليه اضحى مورفا
حتى غدا كل ينادي داعيا	ويقول في التاريخ لي قدم الشفا

١٢٩٦

وبالتالي زيد في توسيع محلات المستشفى الصادقي بادخال المدرسة اليوسفية في عموم ابنته ثم باستلحاق جميع الدور والحوانيت المجاورة له بنهج البشامقية كما الحقت به ايضا الارض الفسيحة الكائنة بالقصبة التي كانت موقعا لمقبرة الساسلة الدارسة التي سبق نقل رقاتها لمقابر الزلاج لنحو ثلاثين سنة فارطة بحيث لقد اصبح اليوم المستشفى الصادقي في ابتهاجه وانتهاجه يضاوي ارقى المستشفيات العصرية بحسن مناخه ومرافقه وانتظام احواله كل ذلك مع بقاءه على قاعدة الاختصاص بمعالجة المرضى المسلمين دون غيرهم وحيث اصبحت مداخل اوقافه المنجرة له من مارستان العزافين غير موفية بحاجاته لما تناوله من التوسيع والضبط والاصلاح الملائم للنظم الصحية العصرية لتحقيق النفع به لقصاده الكثيرين من اهل الحاضرة وغيرهم فان الدولة اغدقت عليه بما فيه الكفاية من الميزانية العامة للقيام بمهمته الجليلة بحيث هو اليوم جدير بان يعتبر في مقدمة التأسيسات التونسية النافعة التي يحق لنا الافتخار بها بين عموم عناصر السكان لاسيما اذا اعتبرنا ما نتج عن نظامه الحديث من تهيئة طبقة معتبرة من معاوني الطبيين التونسيين الذين باعوا في الحندق لصناعتهم لمتناه وعم بهم النفع في الحواضر والبادي وربك يخلق ما يشاء ويختار

محمد بن الحوجة

صلة تونس بالدولة العلية

صفحة من تاريخ تونس

بعثت خير الدين للاستان

سنتي ١٢٨١ - ١٢٨٨

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

« ١٨ »

الحمد لله وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
الهمام المفخّم أمير الامراء الوزير المباشر السيد خير الدين حرسه الله تعالى السلام عليكم ورحمة
الله تعالى وبركاته وبعد فان المعظم الارفع مولانا وسيدنا دام عزه وعلا له لم يزل ملاحظا لما ضمنه اعلي
جنابه من ان المناسب هو الاقتصار على الطابع السعيد في كتابه للابواب العلية وللصدارة وان تصحيحنا
فيهما غير لازم ولاجل ذلك كتب ابسده الله تعالى نظيرين منهما محتومين بالطابع السعيد فقط وهما
الواصلان لكم ونرجوا انهما يصلان اليكم قبل الاحتياج لتسليم الاولين الذين بايديكم فاذا بلغا اليكم
قبل ذلك فانك تبقي الكتاين الاولين وتسلم هذين وقد كاتبناكم بالتلغراف بالارقام لتعلم بمجرد
وصولكم على خبر ذلك واذا تاخر عنكم ورود ما ذكر وخشيت التعطيل او ان يقع في الظن شيء
فانك لا تضع الوقت في الانتظار ويرى الحاضر ما لا يراه الغائب وعلى فرض انه لزمك تسليم الاولين
وتوجه اعتراض فان الاعتذار عن التصحيح هو الاهتمام بحال النازلة وبموجب هذا التلغراف
يكون ابتداركم فيها تكاتبا به بالتلغراف حرف التاء المثنان ونسركم ان الحضرة العلية ونحن وجميع
الاهل بخير الشكر لله تعالى والله تعالى يمدكم باعانه وحفظه والسلام من الفقير الى ربه تعالى امير
الامراء الوزير الاكبر مصطفى وكتب يوم ٢٤ السبت من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

مصطفى

(وبطرته) الحاق خير وقد كنا تكلمنا معكم في شان النيشان ونعرفكم بان الحضرة العلية لم
تات لها نيشان المجيدة المرصع بنبهك لهذا والله تعالى ولي عونكم والسلام مصطفى

« ١٩ »

صورة التلغراف الرمزي الموجه من الوزير المباشر خير الدين لجناب الوزير الاكبر التونسي
مؤرخا من اسلامبول في الثامن والعشرين من جمادى الثانية سنة ١٢٨٨

7

« ٢٣ »

نص مكتوب للحضرة العلية مؤرخ في ٥ رجب سنة ١٢٨٨

قد وصلنا بحمد الله تعالى الى اسلامبول صبيحة يوم الاربعاء الفارط ولقينا بسعادتك في حال نزولنا وبعده مزيد الاكرام اللائق بخدام حضرتكم مع ما صادفناه عندهم من التغيرات والتبديلات الواقعة في الوظائف السياسية الناشئة عن موت الصدر الاعظم عليه رحمة الله وخلفه في الصدارة سعادة محمود نديم باشا وقد قابلته يوم السبت الماضي لكن لخلو ذهنه من اصول نازلتنا لزم تاخير الكلام الى مقابلة اخرى

والحاصل اننا لم نر حمد الله من اول السفارة الى هذا الوقت ما تتكرر منه الا وفاة خديم حضرتكم امير اللواء السيد الياس جعله الله تعالى فداء حضرتكم المحمية ثم قبل كتب هذا بنحو ساعة قابلت الوزير المذكور مرة ثانية فاخبرني انه لم يزل يتأمل في النازلة وعما قريب تقع المقابلة للبحث عن كيفية الانفصال في شأنها هذا ملخص ما عندنا الآن انهيته لحضرتكم السامية ومهما يتجدد عندما امر بنادر بانهاؤه بالتلغراف الى جناب الوزير الاكبر والله تعالى يديم تايدكم وعزكم

« ٢٤ »

للووزير الاكبر في عين التاريخ

فانا بحمد الله لم نر في هذه السفارة الى الآن امرا مكذرا الا وفاة المرحوم سي الياس جعله الله فداءكم من الباس وتفصيل السفارة اننا لما راينا طيب الهواء في اول مسيرنا ترجح عندنا ان نقتم فرصة هدو البحر ونقصد طريق اسلامبول من غير تعريض الى ماطلة فسالنا عن الفتح فقالوا يكفيننا الى اسلامبول فقصدنا طريقها ولم يتغير علينا الهواء الا بقرب البوغاز فهناك تحركت رياح معارضة لسيرنا ولو كنا ذهبنا بالاطلة لكانت تصادفنا في البحر الكبير وربما نرجع بها الى خلف وكان وصولنا الى اسلامبول في صبيحة يوم الاربعاء الفارط فمكثنا بالقابور الى ان اتانا مأمور من قبطان باشا وبعد ذهابه اطلقنا مدافع السلام فاجابتنا مدافع الترسخانة هناك وقبل نزولنا بلغنا خبر وفاة الصدر عالي باشا ومحمد قبرسلي باشا فالاول مات يوم الاربعاء والثاني يوم الخميس الذي يليه وهو يوم ركوبنا من تونس ثم وجه لنا قايق من قياق السلطان وبه مأمور من الباب العالي فنزلنا فيه الى البر ووجدنا كروسة عينوها لركوبنا ما دمنها هناك وانزلونا بدار كانت معدة لسكنى رئيس الضبطية ولم نزل نرى الاكرام يتزايد كل يوم ولما كان يوم الخميس والجمعة لا خدمة فيهما تاخرت مقابلة الصدر الى يوم السبت والصدر الجديد اسمه محمود نديم باشا ولم يقع بيننا في المقابلة الاولى الا ما اخبرت به سيادتكم بالتلغراف واما ما كان من خبر سي الياس فانه بعد نزولنا تخلف بالقابور لترتيب احوال البحرية وكان العزم

انه من الغد يقدم للدار التي نحن بها ليقيم معنا فما راعنا الا وشخصان من بحرتنا يقرعان الباب في
 آخر الليل فاجبرنا بموته فسالناهما عن السبب فقالا لم نر لذلك سببا سوى انا كنا جالسين معه بالعمرة
 في اول الليل فسمعنا زعزعة شديدة بالفابور فقام السيد الياس فزعا من ذلك وظن ان الفابور ادركه
 الفرق فبين ان فابور البوسطة السلطاني صادم فابورنا صدمة شديدة حتى انقلعت قروته التي بالبروة
 وبموجب ذلك ادخل الان للترسخانة للاصلاح ثم ان السيد الياس بعد سكون روعه قدم اليه العشاء
 فاكل كعادته ثم ذهب لينام فخذة القيء اولا ثم تهوع ليتقيا ثانيا فلم يقدر ثم اضطجع يتأوه ثم انقلب
 على جنبه فخطبه الحاضرون فلم يرد عليهم فارسلوا الطبيب الفابور القريب منهم فما اتى الا وقد نجز
 رحمة الله عليه فامتحنه الطبيب فقال انه مات بما يشبه النقط عافاكم الله وقد صار لدفعه موكب
 عسكري حافل حضرة نائب وزير البحرية بنفسه وهو ابراهيم باشا وذهب وراء جنازته راجلا والمطر
 يهيم على راسه ولم يزل واقفا في المطر حتى وقع الفراغ من الدفن وكان دفنه بترية قاسم باشا المعدة
 لدفن الكبراء عندهم ثم اتى قابلت الصدر مرة ثانية في يوم التاريخ فاجبرني بانه لم يزل يتأمل في النازلة
 وعما قريب تقع المقابلة للبحث عن كيفية فصلها وقد ورد علينا تلغرافكم الثالث المؤرخ بامس
 التاريخ يتضمن انتظاركم لعلم ما وقع في النازلة وسؤالكم عن وصول المكاتيب الموجهة من جنابكم
 فاجبتكم بان المكاتب لم تصلنا الان لعدم مضي المدة التي يمكن فيها وصولها واما انتظاركم لعلم ما وقع
 في النازلة فسيادتكم تتحقق انا لو حصلنا على ادنى علم مفيد لكنا نبادر بانناؤه في الحين الى جنابكم
 لكن لا يخفى سيادتكم ان موت الصدر من الامور التي حدث بها تبدل كبير في الوظائف السياسية
 كما تعرفون ذلك من الجواب وممن تبدل امس التاريخ شيخ الاسلام وتولى مكانه عالم يقال له منلا
 افندي فافكار القوم مشغولة باحوال التبدلات المشار اليها ومع ذلك فقد وقع الوعد بمناجزة الاتصال
 والتسديد بيد الكبير المتعال (كذا) وبمقتضى ما نشأ عن موت الصدر المذكور من انقلاب الوظائف
 وصيرورة ازبائها الآن غير معروفين لنا ولا عارفين باحوال نازلتنا ربما يخشى منه التصعب كما انهم
 بمنة الله واعانته ربما يكونون من قسم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وان كنا الى الان لم
 نر منهم الا البشاشة وقد اخبر الصدر يوم التاريخ انه عما قريب يقابلني بحضرة السلطان ويصليكم
 مع هذا مكتوب للحضرة العلية من جناب الصدر الجديد في الاعلام بولايته جعله الله مباركا على
 الاسلام والسلام

الحاق خير اذا ظهر لجنابكم ان تطلب من فضل الحضرة العلية اعانة ايتام المرحوم السيد الياس
 فلا بأس بذلك فاني نظن انهم محتاجون ودمتم

تنبيه

ضاق نطاق العدد عن نشر قسم من ديوان الشيخ الورغي وستابع نشره ان شاء الله في الاعداد القادمة

اقترحنا على شاعرنا المجيد الاديب الكبير الشيخ الطاهر القصار ان يعارض قصيدة الوريغي التي عارض بها « يا هبة باكرت من نحو دارين » فاجاد وبلغ غاية المراد في هذه المعارضة التي وصف فيها عيشة في شاطيء رواد مع جمع من اخوان الصفا

عشية في شاطيء رواد

للعالم الاديب الشيخ الطاهر
القصار المدرس بجامعة الزيتونة

واصرف حديثك عن غيطان حيرون
عن ذكر رواد في وصف البساتين
تبدو بشمس المسا في خير تلوين
ذوب اللجين بتمويه وتزيين
فيزدري حسنها بالخررد العين
الى الضفاف اهلت بالتلاحين
من عود اسحاق في ايوان هارون
من نقح داوود حظا غير مغبون
وتنثنى طربا خضر الافانين
بككامة وبماء غير مأسوف

يعم برواد مرعى الشاء والنون
وخذ على الشاعر الوريغي غفلته
شط حبه الصبا درعا مزردة
تخاله ذوب فاروز. يخالطه
تميس مثل القطا امواجه مرحا
تاتيك صامته حتى اذا بلغت
كانهن قيات حركت وترا
أوأنهن مزامير قد ابتدرت
فترقص الطير في عليائها جذلا
وينعم النعم الراعي بصفته

ومن مظاهر اصباغ وتلوين
من المساحق تغري كل مأفون
في معرض الوصف عن شك وتخمين
وقع الخوافر اشكال التعابين
تختال عجباً بتيجان الرياحين
في ساحة الروض من تين وزيتون
بسادة البدو والعرب الميامين
بيوتهم موئل السفر المضاعين
في يسر عيش من الانكاد مأفون
لما عهدناه من صبغ وتحسين
واد الجميل بانس غير موهون
في ما يصوغون من ثر وموزون
تقل في حقها اموال قارون
لكنها بين مشروع ومسنون
اصيد در ولاستخراج مكنون
« يا هبة باكرت من نحو دارين »
يعم برواد مرعى الشاء والنون
الطاهر القصار

شط فسيح نقى العرض من دنس
ومن مزيف حسن غب تطرية
به الطبيعة قد جلت محاسنها
رمل كحلة ديباج يريك به
ومنزه غادر الوسمي روايه
فيدري حسنها امال خاطبها
صفت بجانبها الاكواخ اهله
لهم من الشمس اولى القبلتين وفي
ففي البداوة حظ النفس مكتمل
وفي البداوة حسن غير مفتقر
لله وقت تقضى عند شاطيء رو
في رفقة زانت الآداب مجلسهم
عشية من يد الدنيا قد اختلست
سقت الينا بها اللذات اجمعها
والقوم في لجة الآداب قد نسجوا
هذي الاماني قدم من قال عن وله
وقل لمن يبتغي للنفس راحتها

الوعظ والارشاد

استقبال شهر رمضان

بقلم الفاضل الواعظ الشيخ الحيلاني حمزة

الحمد لله الذي فضل شهر رمضان وجعله شهر البركة وشهر العبادة وشهر الاحسان ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك الديان ، واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله النبي ، العدنان ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه ومن تبعهم باحسان وسلم تسليما كثيرا اما بعد فيا عباد الله لقد هبت عليكم الان نسيمات رمضان الزكية ، واشرقت عليكم انوار ايامه ولياليه الزاهرة البهية ، فاهلا وسهلا بـرمضان . اهلا وسهلا ومرحبا بطلعتك الميمونة يا شهر الامة وموسم الغفران ، هنيئا لك بزيارتك المباركة ايها الطيب الحليل ، والحاذق النبيل ، فيامك ولياليك ساطعة الانوار ، وبركان ساعاتك مشاهدة لاولي البصائر والابصار ، ما صامك احد ايمانا واحتسابا الا قبل منه صومه ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، فانت شهر الربيع : ورمز العفو والصفح . فيا ليت شعري من لم يربح فيك ففي اي وقت يربح . ومن لم يجتهد بالطاعة في ايامك ففي اي وقت يسعد وينجح ، انت زمن البركات ، وشهر الطاعات ، من رحم فيك فهو المرحوم ، ومن حرم خيرك فهو المحروم ، انت موسم التجار من انجر فيك بالاعمال الصالحة كان ربحه عتق رقبته من النار فاستقبلوه ايها الاخوان بالفرح والسرور وعمل الطاعات . ولا تستقبلوه باللهو واللعب والاخلاد الى الشهوات ، تزودوا فيه بالاعمال الصالحة والقربات . واماثووا بالحسنات والصدقات والصلوات ، فلقد جعل الله الحسنة في رمضان بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الى ما لا يعام له مقدار وجعله مكفرا لذنوبكم ومالككم من سابق الاوزار . فاحمدوا الله على هذه الرحمة العظيمة الغالية ، واشكروه ان امد في انفسكم واحياكم حتى شاهدتم رمضان مرة ثانية وانتم بصحة وعافية . فقد كان اسلافكم يفرحون الفرح الشديد بقدوم رمضان ويعدون ادرك رمضان فضلا من الله ونعمة وكرما ورحمة ، وكان صلى الله عليه وسلم يبشر اصحابه بقدوم رمضان يقول « قد جاءكم شهر رمضان مبارك كتب الله عليكم صيامه فيه تفتح ابواب الجنان وتغلق فيه ابواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة القدر خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم » وكان يحرض اصحابه على العبادة في رمضان يرغبهم وينذرهم . فلنتسابق اذن ايها الاخوان الى العمل الصالح في ايامه ولنكثر من اعمال البر والاحسان ، والتسبيح والذكر وقراءة

القرءان . فقد تبين لكم بالمحسوس ان ايام رمضان غنيمة عظيمة هنيئاً لمن ابتدروها، وفرصة ثمينة هنيئاً لمن انتهزها وحصلها، فكم من فرص ندم عليها من اغفلها فكثير من كان يؤمل ان يصوم هذا الشهر مرة ثانية فخانهم الامل وصاروا قبل محيئه في ضيق القبور وتحت الجنادل والصخور . قال صلى الله عليه وسلم (ما من احد يموت الا ندم قالوا وما ندامته يا رسول الله قال ان كان محسناً ندم الا يكون ازداد خيراً وان كان مسيئاً ندم الا يكون نزع) فانتبهوا رحمكم الله هذه الفرصة قبل ان يفاجئكم الموت فتندموا وتقولوا يا حسرتنا على ما فرطنا في جنب الله . واعلموا يا عباد الله ان للصوم فوائد كثيرة لا تحصى لا بأس بذكر شيء منها ليتعرف الصائم مقدار نعمة الله عليه بهذه العبادة فيزداد حباً لها . منها ان الله يكرمه ويرضى عنه (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الحلة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل الا الصيام فانه لي وانا اجزي به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من اجلي) يتبين لنا من هذا الحديث ان الله يجازي الصائم الجزاء الاوفى حيث ان الصوم لا رياء فيه . قد تصلي ليقول الناس انك مصل او تزكي ليقولوا انك كريم اما ان تصوم طمعا في ان يقول الناس انك صائم فهذا لا يكون ابداً . ومنها انه وقاية من النار قال صلى الله عليه وسلم الصوم جنة اي وقاية من النار ومنها انه يشفع لصاحبه يوم القيامة قال صلى الله عليه وسلم الصيام والقرءان يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوة فشفعني فيه ويقول القرءان منعتني النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان) ومنها انه يدخل الجنة من باب الريان قال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة بابا يقال له الريان لا يدخل منه الا الصائمون . ومنها ان الله اكرم هذه الامة بخمسة اشياء قال صلى الله عليه وسلم اعطيت امتي في شهر رمضان خمسا لم يعطهن نبي قبلي اما واحدة فانه اذا كان اول ليلة من شهر رمضان ينظر الله عز وجل اليهم ومن نظر الله اليه لم يعذبه ابداً . واما الثانية فان خلوف افواههم اطيب عند الله من ريح المسك واما الثالثة فان الملائكة تستغفر لهم في كل يوم وليلة واما الرابعة فان الله يامر جنته فيقول لها استعدي وتزيني اوشك عبادي ان يستريحوا من تعب الدنيا الى دار كرامتي واما الخامسة فانه اذا كان اخر ليلة غفر لهم جميعا ومنها صحة البدن وقد اثبت الطب ان الصوم علاج نافع لامراض كثيرة كأمراض المعدة التي قل ان يسلم منها احد ولا سيما الذين تعودوا التفتن في الماكل والمشرب وللهناسة اذكر لكم ان طبيباً اجنبياً عرض عليه مريض قد اعيى الاطباء امره فقال لا دواء له الا الصوم فقالوا هو صائم بطبيعته فقال لا انما اريد صوم محمد (صلى الله عليه وسلم) فجربوا ذلك الدواء فعادت عليه صحته . ومنها غرس ملكة الصبر على المكارة قال صلى الله عليه وسلم الصيام نصف الصبر . ومنها تذكير المومر بحالة الفقير المعسر فان الغني متى أحس بمرارة الجوع وحرارته عرف ان هناك طائفة دفعها الفقر وآلمها البؤس فيجمله ذلك على ان يعد اليهم يد المعونة فيخفف من بؤسهم ويلطف من عنائهم . ومنها اجابة الدعاء وذلك من

عناية الله بالصائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم) ومنها فرح الصائم عند فطره وفرحه عند لقاء ربه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (للصائم فرحتان يفرحهما اذا افطر فرح بفطره واذا لقي ربه فرح بصومه) وليس المراد بفرحه عند فطره فرحه باكله وشربه وانما المراد فرحه باتمام صومه وتوفير اجره وقد جمع الله جميع هذه الحكم في آية واحدة من كتابه العزيز فقال : (يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) . عباد الله ان جميع هذه الحكم العالية والمزايا الكاملة التي تكرم الله بها على هذه الامة المحمدية التي جعلها خير أمة اخرجت للناس لا شك انها تزيد في ايمانكم وترغبكم في مضاعفة الطاعة والانابة الى ربكم وتيقنون بها ان شهر رمضان ليس كما يزعمه بعضهم هو شهر سهر وضياح وقت ولعب ميسر وسرف وعصيان ولكنه شهر عبادة واستقامة وحكم عالية لا يقدر على احصائها الا الله العزيز الرحمن . فاحرص ايها المؤمن على هذه الحكم ولا تضعها فيها الشفاء والنجاة من جميع البلاء . وياك ثم اياك ان تفهم رمضان مثل ما يفهمه الجاهلة الذين قبلوا حكمته وغيروا غايته وشوهوا بهجته ونبدوا وراء ظهورهم حكمته كذلك انصحك ايها الاخ اذا اردت ان يكون صومك مقبولا وتخرج من هذا الشهر كيوم ولدتك امك يجب عليك ان تصون لسانك عن الكذب والغيبة والنميمة وجميع الصفات الذميمة كذلك يجب عليك ان تصرف وقتك فيما يعينك ولا تصرفه في قيل وقال ، واقتراء على الاحساب والانساب ، وابذل لعب الاوراق وعوضها بقراءة القرآن وسماع حديث نبيك العدنان واكثر من الصدقات اطعام المساكين وبر يجير انك وعشيرتك وقدم التوبة وعاهد ربك على ذلك واعزم على عدم العود الى المعاصي . عباد الله ان من خير اغراض الصيام تطهير النفوس من جميع العيوب وكف الجوارح من الانام والذنوب . فمن اغتاب احدا او نهم او هجا او ذم فقد فوت على نفسه ثواب الصيام . ومن قال زورا او باطلا فقد عرض نفسه لغضب الله الملك العلام وتلك خسارة لا تعوضها عليه الايام (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه) وكذلك علمنا نبينا الانجاري في رمضان من اساء فاذا سبنا احد او شتمنا اعرضنا عنه وقلنا انا صائمون لاننا اذا جاريناه في قوله كنا خاطئين ولثواب الصوم مضيعين (قال صلى الله عليه وسلم اذا كان صوم يوم احدهم فلا يرفث ولا يفسق وان امرؤ قاتله او شتمه فليقل اني صائم مرتين) يقول ذلك ليشعر نفسه انه في ضيافة الرحمن . نسألك اللهم وتضرع اليك ان تجعلنا في هذا الشهر من عبادك المقربين وفي صيامنا وقيامنا من المقبولين ومن عذاب القبر ووحشته آمنين والى الخيرات والطاعات متسابقين بفضلك يا ارحم الراحمين

الا ان احسن ما تشوق اليه قلوب المؤمنين كلام مولانا رب العالمين (اعوذ بالله من الشيطان الرجيم يا ايها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات)

الحيلاني حمزة الخطيب بجامع الحاج مصطفى حمزة بالمهدية

شهر الصيام

الاديب الكبير الشيخ
العربي الكباري

ومن به امم الاسلام مشتركة	اهلا وسهلا بشهر الصوم والبركة
حبسه بعد بين مؤلم عركه	يلقونه مثل ما يلقي اخو شعف
ايامه يتجلى الانس والبركة	به تفتح ابواب الجنان وفي
والويل والتعس والبلوى لمن تركه	من صامه فاز بالاحسان مغتبطا
بحصده عمل المجان والفتكه	هلاله منجل يبدو لناظره
ولا يلاقون مثل الفطر من حركه	فيصبحون وقد بارت بضاعتهم
فان ابليس فيه ناصب شركه	يا صائمين حذاري في صيامكم
شينا يزج بكم في زمرة الهلكه	وراقبوا الله في اعمالكم وذروا
يؤم واحدهم للفتك معتركة	ولا تكونوا كقوم في صيامهم
ويركبوا للهوى من جهلهم رمكه (١)	يروقههم فيه ان يرضوا بطونهم
وبات لله عبدا مخلصا نسكه	لا صوم الا لمن طابت سريرته
يضى وجوع ممض يفسد الملكه	كم صائم حظه من صومه ضمأ
اطاعة الله امسى راغبا دركه	وانما يرتجي اجر الصيام فتي
منه الخليفة يحسو آثما حشكه	يفض طرفا ولا يهذي وان حسنت
وكل شر اتي من حوله بتكه (٢)	لا يالف الشر في صوم يدنسه
وليله قائم حتى يرى الديكه	نهارة صائم يرجو مثوبته
يشفي نقوسا من الظلماء مرتبكه	يصدح اذنا باصباح دنا وبدا
ونال في الدين سبقا دونه السلكه (٣)	ذاك الذي ربح نسكا تجارته
منازل الصدق اذ من عسجد سبكه	واكرم الله مشواة وانزله

(١) الرمكة الفرس والبرذونه التي تتخذ للنسل معرب

(٢) البتك القطع

(٣) اراد الشاعر سليك السعدي وهو من العدائين واسم امه السلكه يضرب به المثل في شدة العدو

استقبال شهر رمضان المعظم

للاديب النابغ الشيخ بلحسن بن شعبان

رمضان اقبل جبذا اقباله
شهر يحل الخير يوم حلوله
شهر يفيض على الانام عوارفا
والمسلمون جميعهم في اي نا
ياقاه كل موفق مستبشرا
ويهب عند لقاه مسرورا الفؤا
وتراه فيه وقد تضاعف أنسه
فهو الربيع لقلب كل موحد

اهلا بشهر الصوم اهلا بالزما
اهلا بمقدمه فككم راقنا
من صامه لله محتسبا ولا
فرض اراد به الاله صلاحنا
قل للاولى لم يفقهوا ما فيه من
يتبرمون به اذا وافى كمن
قل فالمقالة ربما احدث وقو
الصوم خير مذهب لنفوسنا
الصوم طب للجسوم وكل جبه
وبه تزاح عن القلوب غشاوة
قل ما تشاء ففيه كل مزية
في الناس من جعل الصيام مطية
رأي بان العذر فيه مبهمة
يقضي سواد الليل في سهر ائمة
قد هاله ترك الطعام وما تعو
عار على ابناء دين محمد

بشرى لمن ادى الصيام وقد زكت
ذاك الذي يحظى بخير ثنوبة
بصيامه بين الانام فعالة
من ربه ويناله افضاله

التكاليف الشرعية

وسر مشروعية الصيام

يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام
كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون

ان الله تعالى خلق الخلق وهو غني عن طاعتهم لا علاقة لكماله سبحانه بمعاصيهم ضرورة ان الجزء راجع اليهم او عليهم ولما كانت عقول البشر متفاوتة في ادراك المنافع كما انهم في جانب الضرر ليسوا على قدم واحدة فربما نزل اقسام قوم وهم لا يشعرون لذلك كان من لطف الله بعباده وهو اللطيف الخبير أن اوضح سبل السعادة للبشر في دينه التوحيدي وعلى لسان رسوله الامين صلى الله عليه وسلم فجاء الشرع الاسلامي متكفلا باخراج المكلف من داعية هوالة حتى يكون عبدا اختيارا كما هو عبد اضطرارا ، ومن أخص صفات العبودية الاضطراب الدائم الذي لا ينك عن العبد طريقة عين ومن شريف مناقبها الخضوع والخنوع والتقوى والقيام بواجب الشكر ، حتى يكون الانسان عبدا شكورا ، ولا يكون عبدا كفورا ، وقيام العبد بواجب الشكر ينحصر في عبارة موجزة خفيفة الوقع على النفوس الزكية شديدة الوقر في اذان الطغاة المتمردين الا وهي الرجوع الى الله في جميع الاحوال والالتقياد الى احكامه على كل حال وهو معنى التبعيد لله تعالى الذي خلق من اجله الانسان المشار اليه بقوله تعالى وما خلقت الانس والجن الا ليعبدوني على ما فسر به ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات . وبهذا نعلم ان للسعادة شعبا ومسلك هذه الشعب الانقياد والتقوى ، وللشقاوة شعبا ومسلكها اتباع هوى النفس الامارة . وقد جاءت الشريعة الاسلامية متكفلة بتوضيح تلكم الشعب والمسالك في ضمن التكاليف وعلى وفق مصالح العباد بحسب تقرير الشارع الحكيم ، وما دام العبد مسائرا لما حددته الشارع قائما بوظائفه العامة والخاصة على وفق تعاليم الدين كانت تصرفاته طاعات يرتجي من وراء امثاله ثوابا عظيما ، وأخص ما يتقرب به العبد الى الله بالاصالة العبادات المفروضة وذلكم الايمان وتوابعه التي هي قواعد الاسلام الخمس والاسس المتينة التي اقيم عليها هذا الدين الزكي فالله تعالى تعبدنا بالصلاة والصيام والزكاة والحج كما تعبدنا بتوحيد الاعتراف بربوبيته وجعل سبحانه في هذه العبادات منافع للناس لو كانوا يعلمون وخص منها الصيام بمزايا عظام ودرجات عليا فجعله بين سائر العبادات له تعالى ، وعظم ثوابه بما فيه من القرب والاختصاص ، وأكرم به من فريضة جاء في التنويه بشأنها والتنبيه على سمو مقامها قوله عز وجل

« يأيها الذين ءامنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون »

فالله فرض الصيام على المسلمين وكتبه سبحانه علينا كما كتبه على اهل الملل السابقة فكان ركنا من الاديان سابقا ولاحقا لانه من اخص العبادات ، واغوى ذرائع التهذيب ، يتجلى فيه معنى الاخلاص ، وتزكو به النفوس ، فتتحلى بصفات المتقين التي هي المنزلة التي يسعى الى بلوغها اهل الحق والرضوان زبادة عما شرف به الزمان الذي هو ظرفه الذي يقع فيه بما جاوره من نزول القرءان ، فايقاع هذا النوع من العبادة في شهر نزل فيه القرءان اقرار بما شمل الانسان من الهداية ، وشكر النعم على ما اسدى لعبده من العناية والتوفيق ، وفي قوله تعالى كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اعلام منه تعالى بانه فرض علينا الصيام كما فرضه على الذين من قبلنا

وتأكيد الامر هذه الفريضة الشاملة للامم في عامة الاديان، وترغيب فيه بما يحرض على الامتثال وعدم التردد والتبديل .

والصيام عرف عبادة يتقرب بها في سائر الشرائع . ولا يزال اهل الاديان يصومون ويتقربون بهذه العبادة . الى يوم الناس هذا . على ان من ينكر فرضية الصيام في عامة الشرائع محجوج بتصريح القرآن بانه كتب على الذين من قبلنا القاضي اسم الموصول فيه بالعموم فلم يبق ريب في ان الصيام فرض في جميع الشرائع السابقة . اذ عموم الاشخاص يستلزم عموم الاحوال والازمنة والبقاع كما هو مقرر في علم الاصول الدالة عليه جزئيات الشريعة . غاية ما هنالك ان الاختلاف بين الشرائع كان في المقدار والوقت . فكان في كل شريعة بحسب الحكمة القاضية بالتعيين والصفة وعظم الحادثة التي حدثت فوقت بها . على ان التباين في الكمية والكيفية لا يعد اختلافًا في اصل العبادة

ثم ان كيفية صيام من قبلنا لم تبينها الآية كما انها لم تبين الكمية لان بيان ذلك لم يتعلق به غرض المشرع بالنسبة لنا واما الصفة التي هي المقصد فجاءت ظاهرة المعنى في قوله تعالى : كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم فاعلموا ان الصفة الواجب . وعدت الآية الكريمة من قبيل الجملة قال ابو بكر الجصاص لما لم يكن في قوله كما كتب على الذين من قبلكم دلالة على المراد في العدد وكيفية الصيام وفي الوقت كان اللفظ مجعلا . الى ان قال رحمه الله فلما قال تعالى في نسق التلاوة شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه . بين ذلك عدد الايام ووقتها . اه كلامه . فآية : فمن شهد منكم الشهر فليصمه . جاءت مؤكدة للوجوب الذي علم من قوله سبحانه وتعالى كتب عليكم الايام . فان معناه فرض عليكم كما في قوله عز وجل : كتب عليكم القتال . وقوله : ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا .

فالله سبحانه شرع لنا الصيام وفرضه علينا كما فرضه في الشرائع السابقة التي لحقها من اهلها التبديل والزيادة والنقصان حتى تحولت العبادة التي كانت لله الى غيره واشركوا في الله بغير علم ففسدوا خسرانا مبينا . ونهنا سبحانه في الآية الى مخالفتهم

ومشروعية صيام رمضان كانت في السنة الثانية من الهجرة الشريفة في شعبان . فصامه النبي صلى الله عليه وسلم وصامه المسلمون معه في رمضان الموالي للشهر الذي جاء فيه التشريع وقد بين الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم ان صيام رمضان شرع على معنى الطاعة والعبادة لله تعالى كما جاء في الحديث القدسي الذي اسلفنا الكلام على معناه . وهو قوله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن رب العزة عز وجل : الصيام لي وانا اجزي به

هذا وقد ارشدنا العزيز الحكيم لحكمة هذه الفريضة . وسر مشروعية هذه العبادة الفاضلة بقوله عز وجل لعلكم تتقون بما دلت عليه لعل من اعداد الصيام نفوس الصائمين لتقوى الله تعالى فالصوم يبيد النفوس للتقوى التي هي نبراس الهدى . وذلك يتجلى من وجوه تقتصر منها على وجهين اولها ان الصيام موكول الى نفس الصائم لا رقيب عليه سوى الله تعالى . وسر بين العبد وربه لا يطلع على حقيقته غيره سبحانه ففيه ترك المؤمن شهوته امتشالا لربه . وخضوعا لما جاء به نبيه . ملاحظا ذلك في سائر احواله وكلما تاقته نفسه لشهوة صدها عن التعدي عن حرمات الله ولو ما اطلع الله تعالى عليه وعليه بحاله لما ترك اطفاء شهوته فهذه صفة الملاحظة التي يورثها الصيام . ثانيها : ان الصائم بتكرار ملاحظة خشية الله تعالى للصيام بفريضة شرعية تتكون له ملكة المراقبة لله عز وجل ان يراه حيث ناه . وذلك كمال الايمان وحصول التقوى التي هي صفة الابرار المقربين وبذلك يسلم من معاطب الزلل . فان المسلم متى جعل نصب عينه ان الله يراقبه في سائر احواله . ومهما هم بفعل امر تجلت له هذه الحقيقة . وشع نورها امام بصيرته سلم من الوقوع في المحضورات وتجنب المنكرات

وذلك الفوز العظيم اما اذا ستر بصيرته حجاب الغفلة وأهمل شأن نفسه واتبع هواه فلا هو يعنفها اذا همت بالمعصية ولا هو يلاحظ انه بين يدي رقيب عتيد يعلم ما تظهره الانفس وما تخفيه الصدور فذلك تتحكم فيه الشهوة الى أبعد حد ويقدم على المعاصي بكل استهتار وبدون خجل وما وقع في معصية الا وأفضى به حاله هذا الى ما هو اعظم منها وخطر وليس هناك ما يصد عنه غيه ويرده الى رشده ما دام امر الملاحظة لا يخطر له على خاطر ومراقبة الله ليس من سبيل الى مثولها امام ناظره وعلى عكسه من اصبحت مراقبة الله له ملكة يلحظها في احواله ويركز بها نفسه في اقواله وافعاله امسك راية الفلاح باليعين وتأهل لمرتبة الناجين ثم مقام المقربين وحسن أولئك رفيقا

واذا علمت ان روح الصوم هذه الملاحظة والمراقبة تجلي لك سر اضافة الصيام الى الله عز وجل في الحديث القدسي وظهر لك كيف يكون الصيام النفوس حتى تهتأ لتقوى الله الذي دل عليه قوله تعالى لعلمكم تتقون وعلمت ايضا كيف يكون الصيام جنة يستمر القائم به وبقية لفرط خشية الله عز وجل من الوقوع في المنكرات كما ورد في الحديث الصحيح الصيام جنة .

واذ قد تبين لك مبلغ تأثير الصوم في دقة الملاحظة ومراقبة العزيز العليم الذي لا تخفاه خاية الاعين وما تخفي الصدور وتجلي لك ان ما يصدر من الناس في شهر رمضان من الذنوب سببه ضعف هذه المراقبة ومتى انعدمت الاسباب انعدمت مسبباتها وتصبح العبادة شحاً بلا روح وهو مصداق قوله صلى الله عليه وسلم : كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش

وهو جوابنا عن الايراد الذي اورده بعض الافاضل كيف يكون الصوم التقوى مع ان الناس يحدثون من الفجور مع الصيام ما لا يرتكبونه في الافطار وهو على وزان جوابنا على ايراد كثرة فواحش المصلين والله يقول ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر

ومن هنا قسم اهل المعرفة الصوم الى ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص ولهم بيانات في تفسير الدرجات وعندي في تقسيم الصوم الى درجات ثلاث الاولى صوم العموم وهو الامساك عن الفطرات من غير خشية ولا مراقبة . وهذه الدرجة لا تنشر على الصائم جلباب التقوى فيكون انتفاعه بصومه ضئيلاً . ولم يتحقق مع هذا الصوم سره ومعناه فجاء عبادة بلا روح فلا يحصل منه المقصد الاسمي ولا تتركز به النفس ولا تنال به الدرجة السامية الدرجة الثانية هي التي اشار لها حديث كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش وهو صوم الفاسق الفاجر .

الدرجة الثالثة صوم من اتقى ونهى النفس عن الهوى فحصل له من الصوم سره ومعناه ولازمته الحشية والمراقبة . فحصل على رضى الرحمن ونال عند ربه جزاء وشكورا . وهذه الدرجة مع ما فيها من الامتثال هي درجة الخوف من غضب الله والوقوف عند الامر ومراقبة الله في احوال العبد . ويسمو العبد في تلك المراتب حتى يبلغ الى الكمال وهي الدرجة التي اشار اليها حديث من صام رمضان ايماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه رواه احمد والشيخان واصحاب السنن .

فليضع الانسان نفسه في اي الدرجات احب . وموفور الكرامة لا يرضى لنفسه بالدون ويعتبر في صومه ما ندبه الشارع واختاره اليه من الكمالات ويحقق في نفسه معنى قوله تعالى لعلمكم تتقون فيلازم المراقبة والحفية والتحلي . التقوى وما يتبعها من كمالات ومن كانت هذه صفته كان راضياً مرضياً .

بسم الله الرحمن الرحيم

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها أسبوعية منذ سنة ١٩٤٠م

شهرية وستة عشر شهرا

الجزء العاشر - تونس - في شهر ربيع الثاني ١٣٥٩ وفي ماي ١٩٤٠ المجلد الثالث

صاحب المجلة والمدير :

محمد الشاذلي القاهني

المدرس من الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
والخطيب الثاني بجامع حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

رئيس قلم التحرير

محمد المختار بن محمود

المفتي الحنفي
بالديار التونسية

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

حساب جاري بادارة البريد رقم ٣٤٢٢

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

المطبعة التونسية نهج سوق البلاط عدد ٥٧

الفهرس

صاحبه	المقال	صحيفة
مدير المجلة	ختم المجلد الثالث	٤١٥
صاحب الفضيلة العلامة الهمام الشيخ سيدي	خطاب الاستاذ الاكبر في حفلة التنصيب	٤١٦
محمد العزيز جعيط المكلف بمشيخة		
الجامع الاعظم		
العلامة الشيخ سيدي البشير النيفر الاستاذ	ترجمة فقيه العلم الشيخ محمد بن يوسف	٤١٨
بجامع الزيتونة	شيخ الاسلام كان	
العلامة الشيخ سيدي الصادق المجرزي	نبذة من حياة شيخ الاسلام	٤١٢
الاستاذ بجامع الزيتونة		
"عالم الشيخ سيدي محمد الناصر الصدام	حول حياة فقيه العلم	٤١٤
المدرس بجامع الزيتونة		
العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن	مسند الرئاسة المذهبية الحنفية في الدولتين	٤١٧
الحوجة مستشار الحكومة التونسية	المرادية والحسينية	
الاديب الكبير الشيخ العربي الكبادي	فجع الوري وتضعف الاسلام (قصيدة)	٤٢١
العالم المدرس الشيخ سيدي علي النيفر	رثاء شيخ الشيوخ رحمه الله (قصيدة)	٤٢٢
العالم المدرس الشيخ سيدي الطاهر القصار	رثاء خاتمة المحققين	٤٢٤
محمد الشاذلي ابن القاضي مدير المجلة	موت العالم نلمة	٤٢٦
سعادة امير اللواء الاستاذ حسن حسني عبد	الشرف الحسني والحسيني بافريقية	٤٢٨
الوهاب رئيس القسم الثاني بالادارة العامة		
والبلدية		
العالم امير الامراء الاستاذ محمد الصالح مزالي	بعثة خير الدين للاستاذنة سني ١٢٨١ -	٤٣١
عامل بنزرت	١٢٨٨ - تعريب الفرمان السلطاني حسبما	
	آل اليه	
الاديب الاستاذ احمد المختار الوزير	الخيال في الادب العربي	٤٣٣
	الفهرس العام للمجلد الثالث	٤٣٦

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية
تصدرها المجلة الزيتونية
شهرية وستة عشر اشر

الجزء العاشر - في شهر ربيع الثاني ١٣٥٩ وفي ماي ١٩٤٠ المجلد الثالث

ختام المجلد الثالث

باسمك اللهم تفتتح مهمات الامور وتختتم ومن فضل جودك يستمد التوفيق والهداية والثبات على العمل الصالح وبثايدك لنا تتغلب على عواصف الحوادث فتندك امامنا دكا ويعود لنا نشاطنا بعد المصارعة وما النصر الا من عند الله

وبعد فان المجلة الزيتونية قد عرضتها من الحوادث ما اضعف من نشاطها في بحر سنتها الثالثة وهي مع ذلك تقاوم وتتدرع بالصبر والتجملد ثم يكتب لها التوفيق والفوز في النهاية لا سيما في هذه الاشهر الاخيرة وقد تعثر منها الجزء العاشر من مجلدها الثالث وهو الجزء الاخير لهذه السنة ولم يساعده الحظ ان يتبع سير ما سبقه في الصدور في موعده فاحتجب قسرا لا عن اختيار وقد تطاولت الاعناق وتكرر من نصراء المجلة ومريديها السؤال عن المجلة ولا غرابة في ذلك فان المجلة مشروعهم العلمي فاذا ظهرت منهم العواطف الحسنة فعا ذلك الا حرصا على المشروع ان يتتابه ما زرع اركان المشاريع النافعة من قبله واردى بها في حضيض الاهمال ونحن نعتمد على الله جل جلاله ان يكلا هذا المشروع ويحفظه حتى يستمر على طريقته المثلى ويؤدي مهمته

ونحن بهذا العدد نختم المجلد الثالث للسنة الثالثة راجين من قراء المجلة الافاضل الصفح وعدم المؤاخذه على هذا التأخر الجزئي ونحن اشد حرصا على متابعة السير بقوة عزيمة ونشاط لا يعثره فتور ولا كلل حتى لا يبقى مكان المجلة شاغرا في ميدان العمل الصالح والله المسؤول ان يأخذ بأيدينا الى ما يرضاه انه سميع مجيب

بسم الله الرحمن الرحيم

خطاب الاستاذ الاكبر

صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سبدي محمد العزيز جعيط
المفتي المالكي والمكلف بمشيخة الجامع وفروعه

هذا نص الخطاب الذي القاه فضيلته امام محراب
جامع الزيتونة يوم تكليفه بمشيخة الجامع في
موكب حافل حضره شيوخ المعهد وتلامذته

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه اجمعين ومن
تبعهم باحسان الى يوم الدين اما بعد فيا زملائي حضرات شيوخ المعهد الزيتوني العلمي ويا ابناء
الاعزاء النجباء .

اذا كان شكر المنعم يندب اليه الشرع ويغري به الطبع وجب علي ان اشكر المقام الملكي مقام
الملك الاسمي سيدنا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية دام له العز والتأييد ولا اشكر الرياض
للأمطار والنسيم للآزهار والعليل للشفاء والافق للضيء لما نفج به ايده الله من جميل وحاط به من
عناية فمنح ثقته هذا العبد الضعيف في ادارة المعهد الزيتوني وفروعه على وجه تستجد به المعارف
رواها وتقوى به اضواؤها وانها مهمة تنوء بالعصبة اولى القوة الا اذا صحبها حسن النية ولحظ المضطلع
بها التوفيق فانارت المناهج له اضواء الاستقامة وذلك الصعاب نفاذ البصيرة وصدق العزيمة الامر الذي
اقتص ساني العلامة التحرير الهام فكان سباق غايات ومعجزة آيات وعلقا ضئينا به في المهمات .
سادتي لم اتلق هذه الولاية بيد الاحجام مع علمي بثقل وطاتها وقوة شكيمتها وانها مهمة يكبو
في مدحظتها الجواد وينبو في معمعتها الصارم ويهفو في مشكلتها العالم الخريت ثقة بشيوخ هذا البيت
المعمور واعتمادا على الاستفادة من راحة احلامهم وسعة معارفهم وحكمة تجاربهم .

زملائي الاعلام اذا كانت المصلحة العامة هي خالتنا المنشودة والرقى العلمي هو مناط الرجاء
وجرى كل منا في دائرة عمله على ما يحقق هذا الامل ويبرز هذه الامنية بلا ريب ان الله يمدنا
بعاثته ويحوظنا بحسن رعايته ويفجر لنا ينابيع الحكمة ويوطؤنا اكناف النعمة ويفسح للناشئة العلمية

محال المعارف ويستبها نباتا حسنا بيد ان السبيل لادراك هذه الغاية انما يحصل بالاعتصام بحبل التقوى وكبح جماح الاهواء وشق عصا الشقاق وارتضاع افويق الوفاق والترفع عن ذميم الاغراض والعروج الى مستوى النصفه والتجافي عن سوء الاحدوثه وتقوية العاطفة العلمية فاهل العلم ابناء علات يلزمهم تمتين عرا التناصر ونفخ روح التودد والتراحم فلا تقاطع ولا تدابر ولا تباغض ولا تحاسد ولا اسرار حسد في ارتقاء ولا اغماض عين على قذى فعلى من أبصر اخلا في مزلة ان ياخذ بضبعه حتى لا يصرع وعلى من احس بخلل في الادارة ان يبادر بالنصيحة فالادارة هي متداكم وعيبة نجواكم وحصن منعتكم الذي تدافعون عنه وتاوون اليه كيف لا وجميعنا على بينة من ان الرئاسة في الاسلام على اختلاف اصنافها وكثرة القابها وتباين اوصافها لم تشرع الا لصيانة الحقوق ورفع صرح الخيرات وحراسة المصالح من ان تعبت بها ايدي الشهوات فلنسر على هذا الضياء لنحمد السرى ونظفر بالبغيه

ابناءى النجباء يلزمكم ان تنظروا للحقائق بعين البصيرة وتهتموا بتحسين السيرة واصلاح السريرة فالآمال معقودة بنواصيكم والظفر بالاماني منوط بمجهوداتكم واتم شغل التراث العلمي ورمز المثال ومرتع حذب الشيوخ ومحط عنايتهم ومركز تدبيرهم ومبعث تفكيرهم فمن حقهم عليكم مقابلتهم بالبر والتوقير واتباع نصائحهم الثمينه الرامية الى الاقبال على مناهل العلم بهمة لا يعترها فتور والاعراض عما يشغل مقاعد افكاركم بغير العرفان ويضيع نفيس اوقاتكم في غير حسن التلقي والمطالعة فان ابان التعلم كاهام القطاة والحياة هدف عوائق ودرية آفات والتعلل بسعة المستقبل غرور فالعاقل من لا يؤخر عمل يومه لغده ومن اضاع فرصة التعلم سقط في بده ومن اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يرتجيه واعتبروا ايها الابناء الاعزاء ان مشيخة الجامع لكم بمنزلة الحارس الامين ترقيق ماء قواها في سبيل حفظكم من عبث العابثين ونفثات الغاوين ومتى تباغوا اشدكم وتستبينوا رشدكم تستيقنوا سديد اعمالها وتستعظموا محكم صنعها وتترادف عليكم بواعث الاقرار لها بالجميل وحب الالتفاف حولها والله المسئول ان يمد الجميع بتوفيقه واعانتة حتى نقوم بالواجبات طلبة وقادة ويبعث بينا عزاءهم وقادة لنحقق للعلم مراده وان يرزقنا الاخلاص في العمل ويعصمنا من كئاب الهوى ودواعي الكسل حتى تصبح المساعي الحميدة ناجحة بحرمة خير الانبياء وبركة سر الفاتحة



موجز من القول في

ترجمة فقيه العلم والرسوخ

شيخ الشيوخ الاستاذ الاكبر شيخ الاسلام الحنفي

سيدي محمد بن يوسف رحمه الله رحمة واسعة

بقلم العلامة الاستاذ

الشيخ محمد البشير النيفر

فجعت البلاد التونسية والاندية العلمية ودار الشريعة العامرة في ضحى يوم الخميس الخامس والعشرين من شوال سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة والف ب وفاة الامام العلامة الفهامة شيخ الجماعة الشيخ سيدي محمد بن يوسف فراغ موته كل من يقدره قدرة ويحيط بسعة الفراغ الذي تركه في العلم ومذهب الامام ابي حنيفة رضي الله عنه ، و حياة كحياة هذا الامام الجليل قضى اكثرها في خدمة العلم بجامع الزيتونة ، وازدوج النفع بها اكثر من ربع قرن بينه وبين دار الشريعة يجب ان يسجل تاريخها الحفيل بقلم الانصاف والتحري ، لذا راينا ان ندون هذه الكلمات تخليدا لذكره وتعريفا بقدرة لمن لا يعرفه من اهل البلاد النائية عنا وفي مجملها ما ينبغي عن تفصيل ،

« اصل الشيخ ونشأته وطور الاستقادة والتحصيل فيه »

هو الشيخ محمد بن يوسف بن ابراهيم تعرف اسرته باسرة التركي وفيها الى اليوم من يدعى بهذا اللقب ، وادركت من المتقدمين في العمر من يلقب به صاحب الترجمة رحمه الله .

ولد هذا الامام حوالي سنة سبعين ومائتين والف (١) فيما يظهر فان اترابه الذين رافقوه في طلب العلم ولدوا في هذه السنة او ما قبلها مما لا يبعد عنها ، ويؤيد هذا ما سمعته يفضي به رحمه الله الى بعض الشيوخ في احد مجالس امتحان التطويع سنة ١٣٣٦ وهو يومئذ يتولى النيابة عن الشيخ العلامة محمد رضوان القاضي الحنفي سمعته وهو يشكو ضعف قوته يقول : كيف حال من عمره خمسة وستون عاما او ما هذا معناه .

وقد سجل في قصيدة له رثى بها عصره العلامة الشاعر المبدع الشيخ ابا محمد حمودة تاج المتوفى في صفر عام ١٣٣٨ انه عاشرة ستين حولا اذ قال فيها :

وما انا بالناسي اخاء تأسست على البر والتقوى قديما معاقله

نردده ستين حولا من الصبي الى هرم مدت الينا جائله

والشيخ حمودة رحمه الله مولود في نحو سنة سبعين على ما سمعت منه قبيل وفاته

(١) كنا سمعنا من الشيخ رحمه الله انه ولد في عام ١٢٧٤ (المجلة)

ولما بلغ سن القراءة دخل مكتب كوشة طاباق فشرح به في حفظ القرآن الحكيم ورافقه في القراءة به الشيخان الجليلان عبد العزيز تاج وشقيقه ابو محمد حمودة وكان هذا مبدءاً تعرفه بهما، وسمعت منه رحمه الله ان معن رافقهم ابنا للعلامة الشيخ ابي العباس احمد بن ابي الضياف توفي ولم يبلغ الحلم، وذكر لي اسمه وفي ظني انه المختار.

ولما اتم حفظ القرآن دخل جامع الزيتونة لاخذ العلم به والظاهر انه دخله سنة تسع وثمانين فقد حدثني رحمه الله انه رغب هو واحد رفقائه من الشيخ العلامة محمد الطاهر النيفر ان يقرئهما القطر فوعدهما الاجابة ولم يهض الا قليل حتى رقي الشيخ الى قضاء الجماعة في جمادى سنة ١٢٩٠ والمعروف ان القطر انما يدرس في السنة الثانية من سني التحصيل.

ورافقه في الطلب نفر لحقوا برهم، وخلد في الصالحات ذكرهم منهم الشيخ العلامة ابو الفداء اسماعيل الصفايحي القاضي الحنفي المتوفى بالقسطنطينية سنة ١٣٣٧ والشيخان الجليلان عبد العزيز تاج وشقيقه ابو محمد حمودة والشيخ العلامة المدرس ابو الحسن علي الشنوفي رحمهم الله اجمعين، وكانت الصلة بينهم متينة السبب وطالما سمعت منه رحمه الله من حسن الثناء عليهم، والتنويه باقدارهم في العلم والرسوخ. وشهدت من مظاهر احتفاظه بمودتهم ما عرفني بمكاني خلقي الانصاف والوفاء من الشيخ رحمه الله، وكان يختص بزائد الثناء من بينهم الشيخ اسماعيل الصفايحي ويقول هو الذي كان يسيرنا وكنا عن رأيه نصر.

وكان اخذه عن ثلة من علماء ومحقق ذلك العصر، فاخذ عن الشيخين المدرسين ابي عمرو عثمان الشامخ وابي العيش عمار بن سعيدان الاجرومية بشرح الشيخ خالد وعن الشيخ العلامة المحقق ابي عبد الله حسين بن حسين الانفية بشرحي ابن عقيل والاشمري وعن الشيخ العلامة النظار ابي الحسن الشاذلي ابن القاضي بعض كتب المنطق الابتدائية والمطول والمغني وعن الشيخ العلامة ابي العباس احمد ابن مراد بعض كتب الفقه وعن الشيخ العلامة ابي عبد الله محمد الطيب النيفر متن التلخيص للقزويني وعن الشيخ العلامة ابي الثناء محمود بيرم الدرة والالفية بشرح الاشعوي والكنز وعن الشيخ العلامة ابي عبد الله محمد النجار وعن الشيخ العلامة ابي النجاة سالم ابي حاجب وعن الشيخ العلامة ابي حفص عمر بن الشيخ وعن الشيخ العلامة ابي النخبة مصطفى رضوان وحضر بعض دروس تفسير القاضي البيضاوي التي كان يلقيها بجامع الزيتونة العلامة المحقق الشيخ ابو العباس احمد بن الخوجة، ولازم من بين هؤلاء الاساتيد الشيخ ابا عبد الله حسين بن حسين والشيخ ابا الحسن الشاذلي بن القاضي واستفاد من مجالسهما الخاصة في بيتيهما ومن محرراتهما التي كان يستنسخ بعضها مثل ما استفاد من دروسهما العامة بجامع الزيتونة.

كان طلبه للعلم طالب ذي همة عالية وفكر وقاد وصادف اثناء مدة طلبه ان احين الوزير الطيب

الذكر خير الدين المكتبة العبدية ونقل إليها ما بقي من الكتب الموقوفة بالجوامع والمدارس والزوايا وما اشتراه من كتب العلامة شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد يرم الرابع فعني رحمه الله على ما سمعت منه بمطالعة أكثر هذه الكتب أو كثير منها واستفاد منها ما زاد في تضلعه ورسوخه وعني بمطالعة كتب الادب ، وفيه نفسية الشعر والكتابة فاجادها على الطريقة المعروفة في ذلك العصر وما يعرف من شعرة قليل وآخر ما سمعنا منه قصيدته الرنانة في رثاء صديقه العلامة الشاعر الشيخ أبي محمد حمودة تاج ، وقد ذكرنا في صدر ترجمته بيتين منها .

ثم تقدم لامتحان التطويع سنة ١٢٩٧ وكانت مادته يومئذ درسا فحسب فظهر بمظهر جليل في التحقيق وحسن البيان وأعجب به شيوخ النظارة إعجابا وأخرج منه الامتحان لجامع الزيتونة مدرسا ينفع الناس بعلمه الواسع وفهمه الثاقب وبيانه الرائع وتحقيقه البديع ، ودخل الشيخ من يومئذ في

« طور الافادة »

شرح صاحب الترجمة رحمه الله بالتدريس في بعض مساجد الحاضرة ومنها المسجد المعروف بمسجد « قدوار » فتناول بعض الكتب الابتدائية وغيرها في فنون مختلفة ومنها النحو وكان مما درسه فيه شرح الاشموني على الالفية ولم يقطع عن الاستفادة من مجالس دروس شيوخه الاعلام حرصا في التوسع في العلم ورسوخ القدم فيه ولم يعض الانحو من نصف حول حتى شغرت خطة مدرس من الرتبة الثانية الحنفية وكان الاختيار للتدريس يومئذ حقا للنظارة العلمية بجامع الزيتونة وليس من شرط ارتقاء المتطوع لهذه الرتبة الاقراء عامين ، وكنت سمعت منه رحمه الله في شأن اختياره ان مجلس النظار اجمع واستحضر بعض شيوخه الجريدة التي بها اسماء المتطوعين لاختيار احدهم لخطة التدريس فقال المرحوم العلامة قاضي الجماعة يومئذ الشيخ محمد الطاهر النيفر لا حاجة بنا الى الجريدة لتعرف اسماء المتطوعين منها فالامر يشتردد بين الشيخ محمد بن يوسف والشيخ اسماعيل الصفايحي وارى الاقراء بينهما فنفذ رايه رحمه الله وساعد القدر صاحب الترجمة فتمت ولايته ونقل الى جامع الزيتونة بعض دروسه التي كان يلقيها خارجه ومنها شرح الاشموني على الالفية .

ابتدأ التدريس بالجامع في سنة ثمان وتسعين فنفع الناس وافاد ورعى الطبقات المتابعة وتخرج من دروسه الحافلة اعلام محققون زانوا التدريس بجامع الزيتونة ومناصب القضاء والافتاء ودواوين الحكومة على اختلافها وتناول الكتب الابتدائية والمتوسطة والعالية في فنون مختلفة فقتل مسائلها تحقيقا وتحريراً وقد أوتي رحمه الله من طلاقة اللسان وحسن البيان ما يستهوي الاسماع والنفوس ويمتلك العقول والقلوب وكانت طريقته في التدريس تجمع بين تحقيق مسائل العلم وعبارات المؤلفين مينة كيف يستفاد العلم من كلامهم . وكان معاني بتدريسه مختصر السعد وشرح الجلال المحلي على جمع الجوامع ، ودرس قطعة من دلائل الاعجاز للشيخ عبد القاهر وجملة صالحة من مشكل الآثار للطحاوي والكنز في

الفقه الحنفي بشرح الزيلعي والشفاء للقاضي عياض ثم اختص بعنايته التفسير والحديث فشرع في تدريس تفسير القاضي البيضاوي وصحيح البخاري وعني بتتبع حواشي عبد الحكيم على تفسير القاضي وكتب عليها حواشي نفيسة افردتها بالتدوين واطلعتني رحمه الله على بعضها ، وكان يكبر مقام الشيخ عبد الحكيم عليا وفهما ولا يسارع الى انتقاد كلامه وينكر جده الانكار على من يتساهل في نقده ومضى في تدريس التفسير الى ان ختم سورة البقرة في زهاء ثمانية عشر عاما تخللها انقطاع عن التدريس غير مرة لاعتلال صحته او مباشرة القضاء بالنيابة ، واما صحيح البخاري فقد درس طائفة منه ولم يتمه ، واشرب في قلبه التدريس فكان يسرع اليه الملل من النيابة في القضاء لانها تصرفه عنه ، وكانت المدة التي باشر فيها التدريس نحو من اربعة وخمسين عاما بث بها العلوم النافعة في صدور الرجال ، والله ولي جزائه .

وظائفه

وفي اوائل عهده بمباشرة التدريس تصدر للشهادة وتبرز في التوثيق ودخل ادارة الاوقاف فتدرج في رتبها من الشهادة فالكتابة ف الرئاسة الكتابة فالعضوية بمجالسها ثم رقي الى التدريس من الرتبة الاولى في سنة ١٣١١ وكان قد صدر قانون المناظرة ناسخا ما كان من تفويض الامر في الاختيار الى النظارة العلمية ، ولكن اقرانه من مدرسي الطبقة الثانية يومئذ تنازلوا عن حقهم القانوني في مناظرته فخلصت الحطة له بدون مناظرة .

وفي شهر ربيع الاول من سنة ١٣٣١ ولي الفتوى فازدوج النفع به بين دار الشريعة وجامع الزيتونة ، وافاد بفتاواه المحرزة وقد دونها في ديوان خاص . وفي سنة ١٣٥٠ ولي الامامة والخطابة بجامع حمودة باشا المرادي وخطب به خطبا نفيسة من انشائه واقام به سبعة احتام كانت مهبط تحقيق وافادة وعني بها الجنب العالي ايده الله فحضرها .

وفي المحرم من سنة ١٣٥١ ارتقى الى منصب مشيخة الاسلام الجليل ، ولم تصرفه الولاية عن مباشرة التدريس فدرس بعدها نحو من حول وكانت الايام تنال من قوته وصحته ، ولكنها لا تنال من عزيمته وهمة وغرامه بالعلم مطالعة ومذاكرة وافادة وكثيرا ما تعطل صحته ويلزم الفراش فنعوده ونشهد من اثر السقم في بناء جسده ما نحترس معه من مجاذبته اطراف الحديث في المسائل العلمية ولكنه رحمه الله رحمة واسعة لا يملك نفسه ان يوغل في الحديث فيها ويطيل كأن المذاكرة في العلم دواء يعالج به سقمه .

وكان على مباشرة التدريس والفتوى يؤلف ويحرر . واذكر من مؤلفاته رسالة في الكشف عن ضلالات وبدع كتاب « امرأتنا في الشريعة والمجتمع » - وكان عضوا او رئيسا للجنة التي شكلتها النظارة العلمية يومئذ للنظر في الكتاب يوم بروزه - وحواشيه على حواشي عبد الحكيم على تفسير القاضي ورسالة في كم ، واختامه السبعة في الجامع الباشي . وشرع في رجز في الاحكام على المذهب الحنفي حاكي به التحفة لابن عاصم المالكي ولم يتمه .

ولم يبرح يفيد وينفع الى ان ألم به مرض الموت في رجب سنة ١٣٥٨ واخذت صحته تتحط يوما فيوما وفاضت روحه في التاريخ السالف الذكر . وشهد الجنب العالي ايده الله موكب جنازته طبق الرسوم المألوفة ، وصلي عليه يوم الجمعة بطحاه القصبية ودفن بالزلاج ، بعد ان انشد جملة من فحول الشعراء القصائد الرنانة في رائته فرحمه الله رحمة واسعة ووفاه اجره انه جواد كريم .

نبذة من حياة شيخ الاسلام

سيدي محمد بن يوسف برد الله ثراه

بقلم العلامة الاستاذ
الشيخ الصادق المحرزي

انتظمت في سلك تلامذة الجامع الاعظم جامع الزيتونة ادام الله عمرانه في شهر شوال المبارك سنة ١٢٩٩ وكان الشهر المذكور مفتتح السنة الدراسية في ذلك التاريخ فوجدت الشيخ رحمه الله يقري قبل الزوال متن الالفية بشرح المكودي بدرس حافل يحضره اعيان تلامذة تلك الطبقة منهم الشيخ صالح الشريف والشيخ عمر بن عاشور وكان الشيخ اذ ذاك مدرسا من الطبقة الثانية وسنه يقارب الثلاثين سنة فيما اظن ويحضر هو نفسه في المساء درسي المطول والمعنى على شيخ الشيوخ العالم الجليل سيدي الشاذلي ابن القاضي مع اعيان من معاصريه كالشيخ اسماعيل الصفياحي والشيخ حمودة تاج وغيرهما كما يحضر قبل الزوال درس الشفاء على العلامة المقدس سيدي محمد التجار رحمه الله وكنا نحن تلامذة الطبقة الصغرى نعجب من دروسه لما خصه الله تعالى به من فصاحة اللسان وحسن البيان وكثيرا ما نقف حذوها مستمعين ولجواهرها ملتقطين وعند ما تاهلنا لقراءة الكتب المتوسطة حضرنا عليه في درس الملوى على السلم فاستفدنا منه تحريرات وتحقيقات لحواشي الصبان كانت وشاحا للنسخ التي قرانا بها عليه وختمناه في مدة عامين فطلبنا منه اقراء مختصر السعد على التلخيص فاجابنا لذلك وكانت الطريقة في ذلك العصر ان التلامذة يطلبون من الاساتذة اقراء ما يحتاجون اليه من الكتب وتجيبهم المشائخ لمطالبهم اذا كان الكتاب من كتب الدراسة القانونية وفي التلامذة كفاءة واهلية والا فانهم يشيرون عليهم بكتاب اخر هو انفع لهم فابتداه رحمه الله من خطبة الشارح ولم يهمل فوائدها فحضر عليه اعيان من المتطوعين في ذلك العصر نخص منهم بالذكر الشيخ سيدي محمد بن القاضي المتوفى في خطبة القضاء قدس الله روحه والشيخ سيدي عمر بن عاشور والشيخ سيدي الصادق بن ضيف والشيخ سيدي محمود ابن موسى المفتي بالمنستير والعبد وغيرهم فقرانا عليه جانبنا من مختصر السعد قراءة بتحقيق وتحرير تتبع لحواشيه وحواشي المطول كالسيد وعبد الحكيم مدة اربع سنوات في يومين من الاسبوع وله عليها تحريرات وتحقيقات لم تزل محفوظة عندي الى الآن ولما وصلنا فيه لقول الخطيب القزويني فينبغي ان يقتصر من التركيب على قدر الحاجة طوى الكتاب وامتنع الشيخ من الزيادة بدعوى حصول المقصود من تربية الملكة والتمرين على فهم الكتاب بما قرانا منه قائلا لنا ان شيخهم سيدي عمر بن الشيخ كان اقراهم الاشمو في قراءة تثقيف ولما بلغ لقول ابن مالك وليقس ما لم يقل طوى الكتاب واذنهم باقرائه وانا لكم مثله

وكان التدريس في ذلك العصر بالنسبة للكتب الابتدائية وما يليها يقتصر فيه على بيان المتن والشرح وحفظ القواعد والمتون بحيث لا يقرأ التليذ كتابا الا بعد ان يحفظ متنه وكان الكثير منا يحفظ الالفية على طرف ثمانية ومتن التلخيص والعاصمية وغالب متن الكنز واخليل وبالنسبة للكتب العالية طريقتان طريقة تحصيل وعليها غالب المدرسين فيقتصر فيها على بيان الشروح والبعض من الحواشي وقد امكنا بها ختم الاشمو في ثلاث سنوات واشهر على استاذنا سيدي حسين بن حسين وختم مختصر السعد في ثلاث سنوات على الشيخ سيدي مصطفى رضوان والطريقة الثانية طريقة تربية الملكة والثقافة وعليها جلة من الاساتذة كالشيخ سيدي سالم ابي حاجب وسيدي عمر بن الشيخ وسيدي

محمد النجار وشيخنا سيدي محمد بن يوسف وغيرهم وكان شيخنا المذكور كثيرا ما ينشد في اثناء الدرس .

اذا لم يكن في مجلس التدريس نكتة وتحرير اشكال باوضح صورة
فدع سعيه وانظر لنفسك واجتهد ولا تترك فالتترك اقبح حلة
ولعمري ان لكل من الطريقتين مزاياها وخصائصها والتليذ يجمع بهما بين تحصيل العلم والمملكة
وكان شيخنا سيدي محمد النجار قدس الله روحه اذا ابتدا كتابا من الكتب العالية يقول انا لا اقصد ختمه
ولكن اقصد ان اقرئي منه جملة صالحة . رحم الله الجميع

وفي اثناء تلك المدة اضطر استاذنا المذكور في خدمة جمعية الاوقاف بصفة شاهد
على اوقاف المدرسين ثم ترقى في وظائفها بما له من الفكر السديد والباع المديد الى خطة ناظر
على عدول الاوقاف فكان محل الثقة والعدالة ثم الى خطة كاتب اول بها وهي وظيفة عالية
يكون لصاحبها الرئاسة على جميع المتوظفين ثم ترقى منها الى وظيفة عضو لمجلس الاوقاف بانتخاب
رئيسها الهام المفضل سيدي محمد البشير صفر نعمه الله فباشر العضوية سنينا عديدة ثم اصطفته الدولة
لخطة الافناء في المذهب الحنفي فزاعها ورفع شأنها وكلف في اثناءها بخطة القضاء مرارا بطريق النيابة وكان
رحمه الله غير حريص على الترقى في الوظائف ويابى الله الا ان يتم نوره فترقى من الافناء الى خطة
مشيخة الاسلام ثم اجاب داعي ربه ذي الجلال والاكرام فقلت كلمة في منعه ولا حول ولا قوة الا بالله .

خطب الم بنادي العلم والعمل جري به قلم الاقدار في الازل
اعظم به نبأ افضى بفاجعة اعظم علينا بها من حادث جلد
محمد ابن يوسف الذي فقدت به نوادي العلوم ايما رجل
بحر من العلم غورا في التراب غدا ففاض منه غزير الدمع في المقل
وطود عز نوى بين القبور وقد كان الجلال له من ايسح الحلل
قضى وافى وشاد المنصبين بما يرضى الاله واحيي سنة الرسل
تبكيه مشيخة الاسلام ءاسفة لفقد حافظها من طارق الحلل
ياراحلا عنا والابصار تسبقه اودعتك الله في حل ومرحل
من للحديث ولل تفسير بعدكم في معهد كنت فيه مورد المثل
كشاف اسرارها مفتاح مغلقتها وضاح مشكلها في الموقف العضل
فصاحة تسحر الالباب لهجتها تقتر عن شنب احلى من العسل
سبعين حولا له في العلم قد سلفت يهدى به جيلا لا قوم السبل
واليوم وافى لدار الفضل مرتجيا جود الكريم بلا علم ولا عمل
فاجل نراه وحقق فيك مأملة وكن له اليوم ياربلا خير ولي
واقبل دعاء صميم القلب ارحه نزله ضيفا جوار سيد الرسل

٩٢ ١٨١ ٢١٠ ٣١٤ ٥٦١

سنة ١٣٥٨

حول حياة فقيه الاسلام والعلم

مولانا المقدس ابي عبد الله الشيخ سيدي محمد بن يوسف

شيخ الاسلام برد الله ثراه

بقلم العلامة المدرس الشيخ محمد الناصر الصدام

دخلت الجامع الاعظم ادام الله عمرانه منذ اربعين حجة فارطة عن التاريخ فوجدته يموج باعيان الاعلام والجاهزة النجارير من اهل العلم وفي طليعتهم صاحب الترجمة قدس الله روحه بتريته الممتازة وشخصيته البارزة وصدارته وتبريزه بالمواهب والشيخوخة على عامة اساطين الجامع مباشرة وبواسطة سوى معاصريه واهل طبقتهم

فكنت اراه كلما ازفت الساعة الثامنة صباحا طالعا من باب الشفاء احد ابواب الجامع المعمور طلوع الغزاة باحلى آفاقها في حسن سمته وهندامه العلي الجميل عليه مسحة من جلال العلم وروعته الى ان ينتهي الى مجلس درسه عند احدى الاساطين التي تكتنفها الابواب الساحية للجامع الاعظم بمقربة من الدكاة المنعوتة بدكاة سيدي منصور بن جردان رضي الله تعالى عنه

وبمجرد ما ترمقه عيون تلامذته المراقبين لطاعته يستديرون حول مجلسه حلقة قد أفرغها حسن الادب والنظام على افساح لمعة الكريم حتى اذا ما اجتازة عادت اطراف الحلقة الانتظام وعلتها السكينة والوقار

وعند ما يطمئن به الجلوس يحيمهم فيحيونه بأحسن تحية ثم يضع نظارته على عينيه ويسرد من المتن مقدار الدرس ثم يضع الكراس ويأخذ في شرح وتحليل المسئلة بمزيج من عبارة الشارح والكاتبين بانها لها على سابقتها بناء الفرع على اصله او رابطا بينهما بغير التفريع من اوجه الارتباط ان جمعت بينهما الصلة والتناسق

وهكذا يأخذ يسمو بالمسئلة رويدا رويدا في شرحه وايضاحه سمو حباب الماء حالا على حال حتى اذا تم له بسطها ارتقى باذهان تلاميذه الى ما عنده في القضية من تمحيص ونقد وتسويب عبارة او ذكر قيد لمطلق او مخصص لعام قائلان من دأب اهل العلم تعميم المخصص واطلاق المقيد ايكالا الى ذكرهم للمخصص او القيد في غير ذلك الموضع حتى لا يدعي علمهم الا من زاحمهم عليه بالركب ينقل ذلك عن المولى الرحمتي في حواشيه على البحر الرائق

ومما لقننا به رحمه الله تعالى مما لم تطوئه الكتب كشحا (ان المراد يدفع الايراد في الكتب العالية) وان ما شاع من ان المراد لا يدفع الايراد فانه خاص بالكتب الابتدائية وكل مقام مقال

وبالجماعة فله في تدريسه الطريقة الممتازة والاسلوب الجلاب الآخذ بمجامع القلوب ذلك انه في الوقت الواحد يعلم المسئلة وطريقة تفهمها واستنباطها من عبارة المؤلف فيستفيد بذلك تلامذته أمورا أولها تحصيل الفائدة العلمية وثانيها تعام معاناة وتفهم عبارات المؤلفين الامر الذي تتكون به الملكة العلمية وثالثها اخذ ذلك عن بصيرة وبرهان لا عن تقليد بلا اذعان

ولربما أثار ذلك بينه وبين من لم يبلغ مبالغه في الفهم اخذا وردا يكون باعنا لهيمته العلمية ونفسه الالية العصامية على التماس ادلة من نفس كلام المؤلف ما مستها يدان ولم يطعمها من قبله انس ولا جان فاذا هو برؤية من فهمه ذات قرار ومعين متلقيا لما رفع من راية مجد باليمين واذا ذلك يتحدث بما يتحدث من نعمة ربه الاعلى

وحذار ان تجادله في ذلك بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فانه يصول صولة الاسود ويورد مباحثه موارد المكابر فلا يسعه قيام ولا ععود ثم سرعان ما يسكت عنه الغضب فتراه برد الله شراره يتلطف بالمباحث ويعتذر اليه بضيق الصدر الذي كان يعرؤه في اغلب اوقاته والعذر له فان من البلية خطاب من لا يفهم

ومن ذكائه النادر معرفته بنفسية تلامذته فسررا فردا فاذا راى من احدهم همما بالشكلم ابان تقريره أوما اليه بيده ان امسك وربما استوقفه ببعض التراكيب الحلوة البليغة كقوله انت على المجرب وابلغي رقيي فقد أتعبني طريقي او نحو ذلك حتى اذا أتم تقريره التفت الى ذلك التلميذ قائلا هل بقيت حاجة في نفس يعقوب . وقد سبق لي تصدير هذا العجز فقلت

يقول من بعد ايضاح لمشكلها فهل بقت حاجة في نفس يعقوب

وقد كان رحمه الله تعالى يقول المدرس بحق من يحيط عقله بعقول تلامذته ويقتدر على ارجاع عقولهم الى عقله

واذكر ان يوما من ايام دراسته للمقدمات من جمع الجوامع وشرحه للجلال المحلي وهي السلكة التي سلكناها على يديه من اول الكتاب الى آخره التي هي من منن الله سبحانه علينا لز بنا في قرن من بحث تشعبت مسالكه وحى وطيس الجدال فيه بينه وبين الكاتبين بحيث تضافرت عامة الحواشي على طريقة واحدة في فهم كلام الجلال المحلي ارتأى الشيخ خلافا فكثر اللفظ والانجياز الى ما عليه الكتابون من بعض التلامذة فصال رحمه الله تعالى بالميدان صولته وجال به حولته وأخذ يفيض على الجميع من الادلة والبراهين ما اقتطعت به من الحضم الحجة واستنارت به المنجحة وتجاوز الدرس ميقاته فانفض الجمع ومن الغد القيت بين يديه قصيدة اعتذرت بها عن الباحثين في كلامه بانهم على حسن نية وانهم قد قصرت بهم مداركهم عن التبصر بمعاسن كلامه فارتاح اليها ايما ارتياح وبلغ من اعجابه بها ان أجاب عنها بقصيدة عصماء من بحر ها ورويا في صباح الغد واليكم ما اذكر من القصيدتين اللتين بعد العهد بهما فملطع قصيدي

هب الصبا بحديقة مطلولة فنتى بها نضب الاراك للينه
فربت روابيها واينع زهرها والماء يجري من عيون معينه
ومنها

خاض الفطاحل لجه فتراجعوا وعبرته قسرا بغير سفينه
وتنزلت آيات علمك بينهم فحوت لوصف الآي في تبينه
ومنها في الاعتذار

لم يتركوا تقديس رايك عزة لكننا وحياتكم من دونه
واذا المدارك ناولتك نتيجة فاسبر بها قلبي عرض ثمينه
ونص ما يعلق بذهي من قصيدته الرنانة التي هي آية على علو كعبه في البلاغة والادب
جاءت مع الصبح المنير فخلتها شمسا بدت للصبح فوق جبينه
وسعت على قدم المبرة والرضا هيفاء جللها الحيا بشؤنه
نفثا ذى ادب وصنعة جابر يجلو عليك التبر من تكوينه
لله درك من بليغ ماهر خبر القريض وزاد في تحسينه
فلانت (ناصره) وناظرة الذي يرعى به مستودعات فنونه
الشعر ما احكمت حلة نسجه والسحر ما أودعت في مكنونه
حيا قريضك كل شعر رائق شكرا وصافحك العلى يمينه

اما قلبه في العلييات فله المنزلة السامية في تحريره وتحبيرة وله النظم الفقي الذي حاكى به
النظم العاصمي فلم يقصر عنه في ابداعه وحسن سبكه وجمعه للكثير من المسائل في افصح عبارة
وأوجزها اتى فيه على معظم من ابواب المعاملات ولم تساعد الاقدار على اتمامه

وله الفتاوى الغريبة النادرة في قسمة الاوقاف وتبيين اغراض الواقفين والجريان على طبق
الفاظهم ورعاية عوائدهم واعرافهم وغير ذلك من الرسائل والتجارب ، وبالجملة فموته ثلعة في
العلم والادب قد عظمت بها رزية الجامع بل القطر التونسي بل الشمال الافريقي فانا بفراقه
لمحزونون فانا لله وانا اليه راجعون ثم الى الله الضراعة في اطالة حياة خلفه مولانا العلم الهمام
الحجة الامام الخطيب شيخ الاسلام الحنفي ابي عبد الله الاستاذ سيدي محمد الطيب سليل آل يرم
كرام المعادن الاعلام ومصابيح الظلام ومشائخ الاسلام سداة تواصوا في خطتهم المنيفة بالحق وتواصوا
بالصبر وخلد لهم التاريخ في ذلك اعظم فخر الى مساع في الصالحات مشكورة ومعرفة بمنازل واقدار
الناس مأثورة وادوات تامة موفورة احرزوا بها حميد الخلال وبرزوا بتوفيق الله تعالى الى غايات الكمال

محمد الناصر الصدام

بمسند الرئاسة المذهبية الحنيفة

في الدولتين المرادية والحسينية

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء ومستشار
الحكومة سيدي محمد بن الخوجة

نظرا لكون هذا العدد من المجلة الزيتونية هو اول عدد يصدر من المجلة بعد وفاة شيخ الشيوخ وطود الرسوخ العلامة الامام شيخ الاسلام والمسلمين مولانا الشيخ محمد بن يوسف طاب ثراه احببت ان تكون مشاركتي في هذا العدد من المجلة قاصرهم على ذكر اسلافه قدس الله ارواحهم بمسند رئاسة الفتوى الحنيفة في الدولة المرادية ولا سيما في العصر الحسيني السعيد وذلك بدون مراعاة لالقابهم المختلفة في رسوم الدولتين

مسند الفتوى الشرعية هو الركن الاصلي للرئاسة المذهبية بدار الشريعة ففي بداية الامر كانت الفتوى فردية واول من تولاها الشيخ رمضان افندي بعد انتهاء مدته في منصب القضاء الشرعي وعزمه على الرجوع الى الاستانة فرغبه الامير يوسف داي في الاقامة بتونس وقدمه لمنصب الفتوى فكان هو اول مفت حنفي بتونس بعد دخولها في طاعة ال عثمان ثم بالتبعية للتطورات الزمانية ونزولا عند حكم التواميس الطبيعية القاضية بارتقاء كل حي نسام امتاز المفتي في تونس بلبق المفتي الاكبر عند ازدواج خطته باضافة مفت ثان له وذلك ابتداء من دولة مراد باي الثالث التي كان مفتحتها في عام ١١١٠ فكان الشيخ عبد الكبير درغوث (١) مفتيا اكبر وجليسه المفتي الثاني ثان له واسترسل الامر كذلك في الدولة الحسينية حتى مع ارتفاع عدد المفتين لثلاث فكان الشيخ علي الصوفي هو المفتي

(١) تقدم من بينهم اربعة لمنصب الفتوى منهم الشيخ يوسف درغوث الاصغر الذي كان من أول البيوت العلمية مصاهرة لليت الحسيني حيث عقد الامير المولى علي باي الثاني في حياة والده المولى حسين بن علي لابنه سليمان باي علي ابنة هذا الشيخ وقفت على رسم صداقها فاذا هو مصدر بخطبة جلييلة تم عقده في اوائل شعبان عام ١٠٥٠ واليك تفصيل ما جاء فيه من المهر - قال :

فروجه اياها على صداق نقده قبل البناء وارخاء الستر عليها الف ريال واحدة (بسكة ذلك الزمان فما بالك بمصارقتها من عملة هذا الزمان) ونصف رطل من الجواهر النفيس وثمانية قفاطن مختلفات الالوان اثنان من المذهب ومثلها من الموبر ومثلها من الكمخة ومثلها من الاملس وثمانية فرامل مع كل قفطان منها فرملة وثمانية احزمة حريرا مثقلة الاطراف بالفضة مختلفات الالوان وعلجية ورومية وست اماء من جنس السودان واعدلهن في القيم والاسنان اها

الأكبر (١) في دولة المولى حسين بن علي طاب ثراه واختلافه على قياسه الى منتهى مدة الباي الرابع في السلك الحسيني النفيس فلما عالت الامارة للمقدس المولى حمودة باشا وهو خامسهم في الملك ظهر لقب الباش مفتي بين الناس تبعاً لقاعدة النمو الناشئة عن استكمال الاحوال و-تقرار السلطان اقتسبوا ذلك فيما يلوح بالقياس عما حصل في هاتيك الايام من اشتهار الكاتب الاكبر الذي هو رئيس ديوان الانشاء بلقب باش كاتب وهي القاب تفخيمية اقتضاها تطور الدولة وتدرجها في مراقبي ا ظهور والاستقلال النوعي الذي ما برح يومئذ في ازدياد بحيث جعلوا على راس كل هيئة منتظمة رئيساً لاهلها لقبوه بالباش منهم الباش كاتب والباش مفتي المشار اليهما ومنهم الباش حانه والباش بواب والباش عاغه والباش شاطر والباش عشي والباش طبجي والباش بلهوان والباش قزق وهذا من النصارى (٢) الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر . فكان المفتي الاكبر الشيخ محمد البارودي هو اول من غلب عليه يومئذ لقب الباش مفتي في مدة صهره المولى حمودة باشا السالف الذكر وكان هذا الشيخ بحرا زاخرا في علوم الشريعة وءاية في الصوت الرخيم كانه اوتي مزمارا من مزامير آل داود يقصده الناس من بعيد لسماع ترتيله ءاي الذكر الحكيم في الصلاة . وارتسم بعده هذا اللقب في الازدهان باستقرار الرئاسة الشرعية في السلالة الطاهرة البيرمية من عقب الشيخ محمد بيرم الاول الذي سياق ذكره في سلسلة الشيوخ التي سنختمها هذه النذة المباركة فكان ابنه كبير المفتين الشيخ محمد بيرم الثاني باش مفتي الحنفية ومثله بعده ابنه الشيخ محمد بيرم الثالث فولده الشيخ محمد بيرم الرابع الى ان جلس على كرسي الملك الحسيني المشير احمد باي الاول ففي اواسط دولته اتفق له تلقب هذا الشيخ الرابع بشيخ الاسلام وهذا افخم الالقاب التي تداولتها الرئاسة الشرعية بتونس منذ المائة العاشرة فما دون ولكن هذا اللقب الجليل لم يتغلب يومذاك تماما على اللقب السابق بل بقي رئيس المذهب ينعته الكثيرون مع لقب شيخ الاسلام بلقب الباش مفتي الذي ارتسم في الازدهان من قبل .

(١) يستفاد من رسالة المفتين للشيخ محمد بيرم الثاني ان المفتي الشيخ علي الصوفي كان الناس ينعثونه في زمنه بشيخ الاسلام مع ثلاثة ءاخرين من معاصريه وهم الشيخ يوسف درغوث الاكبر والشيخ مصطفى بن عبد الكريم من ائمة الحنفية والشيخ محمد فتاته من ائمة المالكية وهذا فيه دلالة كافية على ان لقب شيخ الاسلام انما هو في اصله من اوصاف التعظيم والتفخيم التي كانوا يحلون بها كل من ينتهي اليه العلم كما كانوا يلقبون به الشيخ احمد بن تيمية من ائمة الحنابلة في المائة السابعة وامثال ذلك كثيرة في كل زمان ومكان

(٢) هو المكلف بالمهمات في البلاط الملكي ويعرف ايضا بوكيل الغرفة كانوا ينتخبونه من ابناء العصر الاروباوي الناشئين بالسراية الملكية ومنهم من بلغ في المجد لرتبة امير الامراء ولدرجة المستشار بالوزارة الخارجية كما حصل في عهد الدولة الصادقية

والحقيقة ان القاب الرئاسة الشرعية في الازمان الماضية لم تكن مقيدة بالضبط المدقق المحيط ببيكها في الزمن الحاضر (١) ولم يكن لتلك الالقاب رواج بين اهل العلم قبل انتشار مبادي النظم العصرية بالديار التونسية لاعراضهم فيما يلوح عما كانوا يرونه من قبيل القشور واكتفائهم بلقب الباب الذي هو الكتاب والسنة فان الشيخ ابراهيم الرياحي خلع كساء التقليد عند خروجه من حضرة الباي يوم ولايته رئاسة المذهب المالكي لانه كان محلي بالديباج ولقد وقفت على محركات كثيرة رسمية وغير رسمية لجملة من

(١) تايبدا لهذه النظرية تقول انه يسفاد من بعض المراسيم الدولية التي وقعت بيدي ان الشيخ ابراهيم الرياحي كانوا يلقبونه تارة بكبير اهل الشورى من المفتين المالكيين كما ورد في ظهير ولايته وطورا باش مفتي المالكية كما ورد في منشور عتق العبيد الصادر في عام ١٢٦٢ . اما ظهير ولاية الشيخ المشار اليه الذي هو عبارة عن وثيقة تاريخية مباركة فقد عاثرت نقل عبارته هنا لانها غير معروفة بين علماء هذا الجيل لكونها لم يتقدم نشرها بمكان ولانها ايضا جاءت بغير اسلوب المراسيم الملكية المعروفة لهذا الزمان واليك هي نقلا عن كناش الشيخ الوالد ومن خط يده :

الحمد لله الذي جعل الشريعة قسطا ساما وميزانا وجعل الاعمال الصالحة على الرضا عنوانا وخص بالسعادة من شاء من عباده تفضلا وامتنانا فاطلق بالخير منهم يدا وانطق بالحق منهم لسانا والصلاة والسلام على سيدنا محمد ارفع الانبياء شانا خاطب الامم فوسعهم تبياننا وشيد باحكامه في الخلق بنيانا ليرتاب الذين في قلوبهم مرض ويزداد الذين امنوا ايمانوا وعلى آله الذين كانوا في معاضدته اخوانا ولائته في الهداية شهبانا بلغوا سيره واحاديثه صحاحا حسنا اما بعد فهذا كتاب كريم وظهير عظيم يقابل بالاذعان والتسليم لنفعه العميم انتج الحق قياسه وبني على الشرع اساسه صدر من مولانا الهمام نخبة الملوك العظام الجامع لما تفرق من محاسن الدهر كفؤ الخلافة المالي لها بالمهر من داب على حوطة المجد وجد وورث الملك من اب وجد مولانا حسين باشا باي امير القطر الافريقي اصلح الله حاله وبلغه من احياء السنة واماله الى كل من يقف عليه ويتدبر ما لديه من العلماء الاعلام ومشائخ الاسلام المفتين والنضاة والكواهي والاغوات والمشايخ والرعية وسائر اولي الولايات السياسية شرح للحق صدر الجميع ووفق لكل لصالح العمل وحسن الصنيع معلنا بانه قدم الخبر الحجة الثقة صدر الاجلة (كذا) وعلم الله الذي استمدت من نوره البدور والاهلة تاج العصر وامام هذا المصر الذي ملاء عليه النواحي محبا الشيخ سي ابراهيم الرياحي وجعله كبير اهل الشورى من المفتين المالكيين بدار المملكة تونس حاطها الله زين جبين وجهه بتاج هذه الولاية وصرف له وجوه البر وعيون العناية بعد ان اجال قداح الاختيار فبلغ الغاية واقامه بقي المسترشدين بمذهب امام دار الهجرة مالك بن انس رضي الله عنه وعن سائر الائمة الثابت لديه من اعلام مذهبه الثقات الذين احيوا من ارض العلم الموات فليتول هذه الخطوة عالما بمقدارها متصفا بما يحمد من اثارها مهيبا بالدين رءوفا بالمؤمنين قادحا بالمشورة زند التوفيق عادل الى سعة الاقوال عن المضيق متشتا حتى يظهر صبح التحقيق واوصاله في الابرام والنقض بتقوى من يعلم خفيات السماء والارض فان الله يراه والهدى هدى الله وصية صدرت مصدر الذكرى التي تنفع ويعلي الله بها الدرجات ويرفع كما اوصى له بالاجلال وحفظ منصبه عن الاخلال فانه اقطع حانب الانعام الجسيم وزادة في مراقي التنويه والتكريم اجلالا لخطته التي لا يلقاها الا ذو حظ عظيم وعلى الواقف على هذا المقال ان يبادر بالامثال ويعلم قدر هذا الاجلال والامر لمولانا الكبير المتعال وكتب لحسن عشرة خلون من جمادى الاولى عام ١٢٤٨ ثمانية واربعين ومائتين والف اه

الشيوخ منهم الشيخ ابراهيم والشيخ اسماعيل التميمي والشيخ الجدد والمشايخ البيارمة وغيرهم من اقطاب القرن الاخير واخرى اسلافهم علماء الاجيال السابقة فلم نر فيها من عقب منهم اسمه بذكر خطته تصريحاً او تلميحاً خلافاً للقاعدة الجاري بها العمل في الازمان المتأخرة والحاضرة واول ما رايت ذكر الخطة تلو اسم صاحبها كان تاريخه حوالي سنة ١٢٩٠ على عهد الشيخ محمد معاوية فقد وقفت له على مكتوب من خط يده محتتم بقوله : محمد معاوية شيخ الاسلام . ومعلوم ان خلفه في الرئاسة الشرعية هو الشيخ احمد ابن الخوجة الذي بلغت المشيخة الاسلامية في مدته لقمة مجدها الرسيخ بفضل توسعه في العلم ومشاركته مع غيره من شيوخ المذهبين في مشروع الاصلاح الذي انتهجه الوزير خير الدين بالبلاد التونسية من الوجهتين العلمية والاجتماعية فكان لقبه المشهور بين الخاصة والكافة هو شيخ الاسلام بالملكة التونسية وبهذه التسمية جاءت مراسيم ولاية اخلافه بمسند المشيخة الى مفتتح عام ١٣٥١ وفيه وقع تقريرها المشيختين مشيخة اسلام حنفية بالتخصيص ومشيخة اسلام مالكية بالتخصيص وهي الحالة التي عالت فيها رئاسة المحكمة الشرعية الحنفية لنوبة الشيخ محمد بن يوسف رحمه الله ولنختتم الآن هذه النبذة التاريخية بذكر اسماء كافة الشيوخ الماضين الذين توارثوا رئاسة المذهب الحنفي من البداية الى النهاية بقطع النظر عن القابهم التي قدمنا بيان تطوراتها حول السنين واليك ذلك :

في مدة الدولة المرادية

في العصر الحسني

- ١ - الشيخ رمضان افندي تولى في حدود سنة ١٠٢٠
- ٢ - الشيخ احمد الشريف الحنفي » ١٠٤٤
- ٣ - الشيخ احمد الشريف الاندلسي » ١٠٥١
- ٤ - الشيخ محمد بن مصطفى الازهري تولى سنة ١٠٦١
- ٥ - الشيخ مصطفى بن عبد الكريم » ١٠٦٧
- ٦ - الشيخ يوسف درغوث الاكبر » ١٠٧٥
- ٧ - الشيخ عبد انكبير درغوث » ١٠٧٦
- ٨ - الشيخ علي الصوفي » ١١٣٣
- ٩ - الشيخ يوسف درغوث الاصغر » ١١٤٣
- ١٠ - الشيخ محمد ارناوط » ١١٥٦
- ١١ - الشيخ حسين البارودي » ١١٦٩
- ١٢ - الشيخ محمد بيرم الاول » ١١٨٦
- ١٣ - الشيخ محمد البارودي » ١٢١٤
- ١٤ - الشيخ محمد بيرم الثاني » ١٢١٥
- ١٥ - الشيخ محمد بيرم الثالث » ١٢٤٧
- ١٦ - الشيخ محمد بيرم الرابع » ١٢٥٩
- ١٧ - الشيخ محمد بن الخوجة » ١٢٧٨
- ١٨ - الشيخ محمد معاوية » ١٢٧٩
- ١٩ - الشيخ احمد بن الخوجة » ١٢٩٤
- ٢٠ - الشيخ احمد كريم » ١٣١٣
- ٢١ - الشيخ محمد بن مصطفى بيرم » ١٣١٥
- ٢٢ - الشيخ محمود بن الخوجة » ١٣١٨
- ٢٣ - الشيخ احمد بيرم » ١٣٢٩
- ٢٤ - الشيخ محمد بن يوسف » ١٣٥١

فجع الورى وتضعضع الاسلام

الاديب الكبير الشيخ العربي الڪبادي

فجع الورى وتضعضع الاسلام	وعلا وجوه النيرين ققام
واهتز عرش العلم من اسف على	حبر تضرن بمثله الايام
علامة الدنيا الذي قيد قصرت	عن أن تحيط بفضلہ الافہام
يا لهف تونس عن همام طالما	كان المنير اذا اتيج ظلام
تسابق العلماء نحو دروسه	ما صد راغبهم هناك زحام
عليها بانك في زمانك واحد	ولكل عصر سنة وامام
من للكتاب اذا تطاول مشكل	وتقاصرت عن دفعه الاعلام
الا الذي طوت المنون حياته	فيخفا الظليما وطبق الظلام
ولسنة المختار يشرح خافيا	من سرها ويعينه الالهام
لا تنكروا فضلا ابن يوسف بينكم	ان كان فيكم همه وذمام
فهو الذي كشف الطريق لكل من	قد جاوز الطبيين منه حزام
ويهديه نالوا المراد وطأطأت	لهم من المجد الاثيل الهام
ان حالت اليوم الصفائح دونه	وعرت خطوط لا تطاق جسام
فلطالما شهدت اعلام الهدى	وهم قعود حوله وقيام
يجنون من ازهار روضة عليه	زهرا تحطم دونه الاوهام
ما في ايلة تونس من عالم	الا بمجلسه له المام
وهناك يظفر بالرشاد مريده	ويزول عن ذهن الضعيف سقام
واذا السحاب تحجبت بكثيفه	خوف الوصول لكنهبها الاجرام
وتعمقت في الاختفاء فذهنه	كالبرق في وسط السحاب يشام
يا من ترحل تاركا من فقده	بحشا الهدى والعالمين ضرام

هؤلاء الاشياخ الافذاذ مضوا كلهم وانقضوا فسبعة عشر قطبا منهم اجابوا داعي الله في العصر الحسيني وسبعة سبقوهم لدار النعيم في الدولة المرادية ولكن فضيلة العلم مسحت على وجوه جميعهم بيد الخلود فبقى ذكرهم حيا وسيكون كذلك الى ما شاء الله

محمد بن الخوجه

رثاء شيخ الشيوخ رحمه الله

للفاضل العالم المدرس الشيخ علي النيفر

حم القضاء فلا حام ولا واق
غشى على افق الحضراء غيبه
بذ القوى نفث البلوى بكل حشى
أدمى القلوب أسى أذكى بها قبسا
يا ليت شعري وللادواء مرهمها
مضى الردى بملك النفع غيداق
مضى بعلامة الحضراء جبهذا
محمد علم الفتيا ابن يوسف من
شيخ الشيوخ الذي كانت مجالسه
كم أنبت من نحاير حدائقها السلاقي تروق لاسماع واحداق

لما رايت الناس في دنياهم
لم يفهموا ما قد كتبت ولم يكن
وتمسكوا بالمنكرات فلم يعد
ودعت دنياك التي ما نالها
بل كنت تنظرها بمقلة عارف
فجعلت همك في اقتناها ترتضي
الحمد والحمد فيك سجية
لما سرى نبأ ارتحالك عمنا
وتسابق الفضلا الى توديعكم
ما اودعوا في التراب جسمك انما
هل ثم من خلف يخفف بعض ما
حتى تفر العين بعد بكائها
وقد هتديت ببارق من فكركم

تركوا سبيل الصالحات وناموا
لهم على ما قلته استعمال
لهم على غير الحنا اقدام
منكم على اقبالها استعظام
ان الحياة متاع فحمام
يوم الجزا ويناله الاعظام
ما شانها في موقف احجام
الم وبان على الوجوه سأم
كهل وشيخ عاجز وغلام
علما تقدر كنهه الاقوام
زلت لهول مصابه الاقدام
ولو انه بعد الغزير رهام
ارخته برق هداه ختام

وأغدقت مزنها للمستظل بها صوبي ذكاء وعلم أي إغداق
 كم قد وردت بها من منهل فبق عذب لدى ظلل أورد وأوراق
 وكم قبست سنا من نور فكرته في كل معظلة كرت باغساق
 وكم شهدت من التحقيق آيته السكبرى لديه بقول رائع راق
 به بلغت الذي أرجوه من أمل به تكامل إزهارى وإبراقى
 كم حاد للذكر من تفسيره حبرا مذهبات الحواشي غر أخلاق
 وصاغ من شرحه متن الصحيح حلى من عسجد القول محضا صوغ حذاق
 وقلد الجلم أعلاق البلاغة من دلائل الشيخ ما أزرى بأطواق
 وكم له قدم في غيرها رسخت مهما وصفت فلا أرمى باغراق
 يا للقريض لقد الوى بجده دهر فلم يبق منه غير أرماق
 وللخطابة من بعد ابن يوسف قد جادت بدمع كصوب المزن مهراق
 ولهف معهدنا العلمي حين غدا لما يبثه فيه رهن اشواق
 ولهف معهدنا الشرعي أصبح مذ أصابه الشكل في حزن وإطراق
 قد كان فيه رئيسا لا يردله قول يصول بارعاد وإبراق
 يمضي كما السيف لا تنبو مضاربه حتى طوته شعوب طي أوراق
 وكان في مذهب النعمان باقعة شأى سواه باجماع وإصفاق
 لله فخر لهذا القطر شادله ذكر يجول بأصقاع وآفاق
 جادت به كف هذا الدهر آوثة ثم اغتدت وهي منه ذات إملاق
 قد عاش ما عاش في أسر الحياة وإن طابت فبشره أن منت باطلاق
 لا هم أمنه في يوم يطول به كرب ويكشف فيه الهول عن ساق
 واجعل شأبيب رحى منك واكفة على ضريح ثوى منه بأعماق
 رسم إليه هوى نجم العلوم ومن لم يعر من أمه رجعى باخفاق
 قد قلت لما نوى فيه أورخ يا لهفي على العلم يضجى خلف أطباق

١٢٥ ١١٠ ١٧١ ١٨١ ١٠ ١١٢

١١

سنة ١٣٥٨

علي النيفر

رثاء خاتمة المحققين

للعالم الاديب المدرس
الشيخ الطاهر القصار

هو الخطب فلتطرق عليه المجامع
هو العلم السامي على قمة العلا
وزلزل صرح العلم وانهار ركنه
ونال الردى منه الضميم فاصبحت
وادمى الاسى منا المحاجر والنهى
وذا معهد العرفان فانظر قبابه
وذي انة المحراب امسى دويها
تأثر عقد الدر من حلقاته
وقد سكنت انفاس اهليه دفعة
وباتوا كاشبال تردى هزبرها
وذا الرزء فلتبك النهى والمدامع
فمادت اقاليم وريعت مرابع
وكانت تناغيه النجوم السواطع
معالمه الغناء وهي بلاقع
وبلبل البابا لها العلم جامع
قد انهمرت منها الدموع الهوامع
له اثر في مسمع الصم قوارع
ورجت الساطين به ومصانم
واصماهم سهم من الحزن صارع
فالقت عصاها حولن الفجائع



أسيف الردى قد جئت شر مساءة
والحقت بالخصراء ضراً لوانه
صرعت امرء يزري على البحر علمه
دري بنظم القول درا وجوهرها
يكاد يضيء العقل مشكاة فكرة
له همة في العلم من دون امرها
عجالسه الفيحاً حدائق حكمة
هنا وهنا ورد النبوغ مفتح
هو الحق وضاء اذا قال قوله
له الحلقات الفر موصولة العرى
تجود على الطلاب دأماً علمه
له الفكرة العصماء والنظرة التي
وانعرت درعا ماله الدهر راقع
غدا فوق رضوى لاحتوته الاصابع
وتخشى حجالة النيرات اللوامع
بليغ تحاملا الفحول المصاقع
وببصر رشد الرأي فيه المطالع
ظبات العوالي والسيوف القواطع
وساح سباق للنهى ومرائع
وزهر الفنون الغض بسام يانم
بهالته الزهراء والحجر واسع
بكل همم ما لهن تقاطع
بخير الذي ترجو المنى والمطامع
تزاح بها في المشكلات البراقع

امام عديم الغد انسان عصره
وشمس نبوغ زينت افق تونس
طراز جلاله الدهر في الناس نفحة
اضاء على الخضراء تسعين حجة
تراه نحيل الجسم لكن لبه
كأن سعال الصدر وهو قريبه
لدى رأيه تحنو الجباه مهابة
قضى مرشدا سبعين حولا سمعت بها
فكانت على التاريخ سطر مذهبها
تسم صريح العالم فاحتل رعنه
وشقت فتاويه الدجى مثل بارق
وسحت على الديوان انواء حكمه
وقلده الاسلام كبرى رئاسة
فاصبح للاسلام شيخا وقادة
حياه هدى النعمان عزاء وسوددا

ايا شيخ اسلام ايا ركن امة
اشيخ شيوخ العصر يا نير الحجا
مضيت فخلفت اللهى تنذب النوى
ووليت شطر القبر وجها تلالا
وقوץ من نادي الخطابة منبر

بنى تونس هذا ابن يوسف قد قضي
« وما المال والاهلون الا ودائع »
فهل فيكم كفؤ لهذا الطود وارث
كأنى اصغى لفظ لا حول موقفي
لنبك اذا طود المعارف كلها
ونشر على ناووسه الشعر باكيا
وكم من يد اسدى الي ونعمة
فدم يا امام القطر نومة امن
فان كان اقصاك الردى عن ربوعنا

مهمته والموت لا شك واقع
« ولا بد يوما ان ترد الودائع »
يزود الاسى عن لبيكم ويدافع
وذلك يغري بالاسى ويشايح
همى وابل او كلها ناح ساجع
فقد كان في مضماره لا يقارع
وهل في سوى ذا اليوم تجزى الصنائع
يحيط به عفو من الله وابسع
فذكرك باق طيلة الدهر شائع

موت العالم ثلمت

بقلم مدير المجلة

هوى بدر العلوم اللامع من أوج الثريا الى الثرى ففجعت المحافل العلمية وتصدعت اركانها وغشاها ظلام حالك وحزن عميق واضحت القلوب بلوعة الاسى مكلومة ومن شدة الصدمة ترجف كيف لا والنفوس قد اصطدمت بمصاب عظيم ورزء جليل لما نعي اليها شيخ الاسلام وعالم القطر فعظم الخطب وحارت به الالباب واضطربت من اجله الافكار فلقد فقد من بيننا امام من ائمة المسلمين وبحر زاخر بعلوم الشريعة ذو فكر وقاد ومدارك سامية وعزيمة لا يلحقها فتور ولا ملل حتى بعد الشيخوخة وتقدم السن وقرينة صافية من كل قاتم تجلت امامها الحكمة غير مشبوهة ولا ملتبسة برز في الفنون ونضجت مادته العلمية فكانت ثمرة طيبة استساغها منه طلابه وموردا عذبا تزامت عليه رواده فاستعت شهرته اتساعا قل فيه المشارك وعز فيه المزاحم وطبق ذكره الآفاق وخطب وده فحول العلماء والكل يودون به التحاق وخف لمجلسه العلمي كل من رام الفوز في هذا السباق لما خصه الله به من ذوق علمي نادر المثال ورجاحة عقل وبراعة بيان

اجل عرفتك استاذي وانا في سن الحلم لما بين اسرتي ومقامك الكريم من الوصلة العلمية المستحكمة العرى المقامة على اساس متين هي صلة الروح بالروح واعظم بها من صلة تضعف دونها الصلات وتشوقت للالتحاق بمجالس درسك الجليل وانا ازاول التعليم الثانوي فانظر الى تلك الطاعة المباركة في كل صباح وامني النفس لو يتاح لي عبور هذه المرتبة لاحظى بالانضمام الى درس عالم القطر وشيخ الشيوخ ثم يداخني القلق والاضطراب خيبة ان احرم من الارتشاف من ذلك المعين الصافي او يجول ستار الموت قبل ان ارجع بقبس من نور تلك المشكاة اللامع الذي احلى عن صدور طبقات ما بها من ظلمة الجهل او الاضطراب وهداها الى الحكمة والقول الفصل وشاء الله ان لا احرم مما قصدت وكتب لي في سنة اربعين هجرية ان التحق بدرس شيخنا وامانا فاصبحت من اخص تلاميذه البررة مفتخرا بشدة اخلاصي اليه مقتبضا بما افوز به كل صباح من درره اللوامع وجواهره المصقولة المجالوة عن اصداقها في احسن سمع واروع هجة ، وازدوج النفع وعظمت الفائدة وكلما تقادم العهد ازداد بي ادراك المنزلة السامية التي يحظى بها كل من ساعده القدر ويسر له الاتصال بذلك الركن الركين والبحر الزاخر السني لا ينفك يقذف باللاي ولو في اخص الاوقات وكملت عشر سنوات ونحن نرقل في حلل المعرفة ونخوض معارك يقودنا اليها بصائب راي وجودة قريحة فنقلب من حلبة الدرس بغنائم احلت لنا ولم تبح لاحد من قبله وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

اي شيخنا الامام لقتنا الاخلاص للعلم فتمكنت من نفوسنا تلكم النصيحة السامية
اوصيتنا بحمي الحواصل من صفار الطلبة خيرا ومبرة وصدقا في التعليم واقطعا للدرس
فصدقنا النية واخلصنا ان شاء الله في القول والعمل
هذبت نفوسنا بنصائحك الاخلاقية فاهتدينا الى السيل على ضوء تلكم الوصايا والنور اللامع الوضاء
بعثت في قلوبنا الطموح للعلوي وشجعنا على الولوج في فيافيه ومغاورة ورسمت لنا الخطط
والمناهج لنسلكها من غير هوادة ولا اضطرب
حيث الينا القد وعبدت لنا مسالكه ولا ترضى منا مجرد لنقل المسائل العلية واحذها على كلاتها
فتسمو بقولنا وتحلق بها في سماء المعرفة وتفتح امام الانظار نوافذ تشرف على رياض ناعمه ثمارها
مقطوعة ولا ممنوعة

وفرت لنا في شخصك الزكي معرفة الفضيلة والكمال واخلص الضمير في العمل
من قصصك اخذنا المواعظ البالغة ووفرة الكرامة وحسن السلوك وصدق المودة وطهارة العاطفة
ادنوت منك طلابك وانزليهم من نفسك اخض المنازل فنمت فيهم عواطف الاخلاص والمبزة
لمقام شيخوختكم زتسابقوا في ميدان المبرة وتلكم من احض التي امتزتم بها وروضتم بها نفوسهم
من مجالسك اقتبسنا طيب الحديث وانفع الذكر وابلغه
امام انظارنا وفي قرارة نفوسنا تجلت تلكم النفس المطمئنة المفعمة بالافكار السامية والمدارك
الراقية الطافحة بالتفكير الصحيح والقول السديد
في اواخر ايام حياتكم الدنيا واتم على سرير المرض تضميني الى صدرك الطاهر وتخصني باطيب
الدعوات المفعمة بالرضى الشامل والمبرة الموفورة وتنحدر دمعات الحنان فتزيد في لوعتي وحزني
حرارة وشدة

وفي اواخر ساعة يشفع لي اخلاصي الى مقام شيخوختكم فاحظي بوضع جسدكم الطاهر في
مرقدكم الاخير

فانا لافراقكم لمحزونون فانا لله وانا اليه راجعون . محمد الشاذلي ابن القاضي

اشرنا في طالعة كتابتنا الى بعض الوثائق التي اوردها محبنا الشيخ محمد طراد في اثبات نسب الاشراف العوانيين بالقيروان ، ويناسب ان نورد هنا ما يؤيد انتشار هذا النسب الكريم في المشرق - مصر والحجاز والشام - كاشتهاره في الديار الاقريقية ، فقد ساق المؤرخ المصري ابن اياس الفقرة الآتية ضمن حوادث سنة ٨٩١ ، قال (٥) :

« وفي المحرم من السنة توفي السيد الشريف ابو عوانة - واسمه احمد بن ابي بكر - التونسي المملوكي رحمه الله ، وكان يعرف بالعواني ، وكان ديناً خيراً جميل الصورة حسن الشكل ، ويقال ان فيه أشياء من شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومولده قبل الاربعين والثمانمائة »

فهذه فقرة اولى تفيدنا - على ما فيها من الايجاز - بتاريخ وفاة احد العوانيين من غير ان تبين لنا محل وفاته ولا كامل نسبه ، لكن هناك امام القرن التاسع العلامة شمس الدين السخاوي سيرشدنا الى كل ما ترقبه من واسع عليه واحاطته في الاطلاع باحوال اهل عصره . فانه ترجم لشريفنا هذا بما يشفي الغليل وعرف به لا سيما وانه كان ممن يحضر دروسه في الحديث ، قال السخاوي رحمه الله تعالى (٦) :

احمد بن ابي بكر بن احمد بن علي بن احمد بن علي بن يوسف بن عبد الملك بن عبد الله بن سلم بن عبد الملك بن عيسى بن احمد بن عوانة بن حمود بن زياد بن علي بن محمد بن جعفر بن علي التقي بن محمد التقي بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب . أبو العباس بن ابي يحيى الحلي - بني القيرواني الاصل التونسي المملوكي نزيل مصر ويعرف بان عوانة ، ولد يوم عاشوراء سنة تسع وعشرين وثمانمائة بتونس ونشأ بها وقدم القاهرة في اول دولة الاشراف اينال وحج منها في سنة ثمان وخمسين وكانت الوقفة الجمعة وصحب خطيب مكة فتوة به وعرفه بالاكابر من الامراء وغيرهم . وشاع بين العامة شبهه بالنبي ، صلى الله عليه وسلم وكتابة علماء القيروان كان ابي زيد صاحب الرسالة فعمل قبله باستفاضة نسب شخص من اسلافه . مات بالاسكندرية في مستهل المحرم سنة احدى وتسعين (وثمانمائة) بالاسكندرية وكان توجه اليها بالزام السلطان له مع صهره ابي عبد الله البرتشي (٧) كالامين ، وكان كثير المحاسن ، عالي الهمة مع من يقصده ، لا يهاب ملكاً ولا غيره ، كريماً شهما متودداً متجعلاً في ملبسه ومركبه معن تكرر الى مع من يقصده في الاجتماع بي من غرباء بلده كقاضي الركب ، وربما سمع معهم علي ، ومقاصدة شريفة ، وخصاله منيفة ، عوضه الله الجنة . »

(٥) كتاب « بدائع الزهور . في وقائع الدهور » لابن اياس ط بولاق سنة ١٣١١ ج ٢ : ٢٣٣

(٦) « الضوء اللامع ، لاهل القرن التاسع » ط مصر ١٣٥٣ ج ١ : ٢١٨

(٧) البرتشي نسبة الى حصن من غرب الاندلس (اصل)

بعثت خير الدين للاستتانت

سنتي ٢٨١ - ٢٨٨

تعريب فرمان السلطاني الشريف حسبما آل اليه

للعالم امير الامراء الاستاذ
محمد صالح مزالي عامل بنزرت

منذ احييت واودعت من جناب سلطنتنا السنية ادارة الايالة التونسية التي هي من ممالك الدولة العلية المحروسة المتوارثة الى عهدتكم ذات الليافة والاهلية كما وجهت الى عهد اسلافكم لم تنزل تظهر حسن السيرة والخدمة وتنتهي الى الطرف الملوكي الاشرف خلوص النية والاستقامة حتى صار ذلك قرينا لعلنا المضىء بالعالم فعمولنا السلطاني على مقتضى الشيم المرضية التي جبلتم عليها هو الدوام في هذا المسلك المرضي والجد والاجتهاد في كل ما ينمي عمران مملكتنا الشاهانية وسعادة اهلها تبعه دولتنا العلية ورفاهيتهم وراحتهم حتى تستديم بذلك استحقاق العناية الشاهانية والاعتماد السلطاني المبذولين في حقك انا فآنا وتعرف قدر تلك العنية والاعتماد وتشكرها ولما كان المقصود الاصلي والمراد القدامي لسلطنتنا السنية هو ارتقاء طمأنينة الايالة المهمة الراجعة لسلطنتنا الفخيمة ونمو عمرانها وتأسيس ابنية الامن والراحة لسكانها يوما فيوما وكان من البدييات ان السلطة العزيزة لا يعزها ولا يؤدها صرف الهمة والعناية العائدة الى حقوقها الاصلية لتعام استحصال هاته المطالب وورد الطلب المدرج في كتابك المخصص الموجه من طرفك اخيرا الى جانب الخلافة العلية . قررت واقيت ايالة تونس المحدودة بحدودها القديمة المعلومة بعهدتك بضم امتياز الوراثة والشرائط الاتية وحيث ان مرغوبنا السلطاني على ما تقدم بيانه انما هو تزييد عمران تلك المملكة الشاهانية وثروة اهلها وهي الآن في حالة مضايقة وتمخر في الواردات لكل من الحكومة والايالة قد سمحت السلطنة السنية بعدم

فانت ترى من هذه الترجمة الحافلة ان الوثيقة التي شهد فيها الخبر ابن ابي زيد وغيره من اعلام القيروان بشبوت نسب العوانيين والتي نشر نصها صاحبنا طراد كانت معروفة من العلماء الباحثين وان صداها بلغ المشرق كما طوق المغرب ، وهذا هو الشرف الذي لا يدانيه شرف !
نسب تحسب العلا بحللاء قلده نجوما الجوزاء

وربما عدنا في فرصة اخرى لاستقصاء خبر اشراف آخرين اتخذوا افريقية دارا رقرارا ،
وفوق كل ذي علم عليم
ح . ح . عبد الوهاب الصمادحي

ارسال ما كان يرسل باسم معلوم من الايالة لطرف دولتنا العلية بموجب التبعية المقررة المشروعة رحمة لاهالي تلك الايالة ولما كانت الايالة المشار اليها من الاجزاء انتعمة لما لكنا الملوكية صدرت الارادة السنية بان يكون السوالي بتونس مرخصا له تولية المناصب الشرعية والعسكرية والمملكية والمالية وهذا السياسة لمن يكون متأهلا لها وفي العزل عنها بمقتضى قوانين العدل ومن اجراء المعاملات المعلومة مع الدول الاجنبية كما كانت فيما عدى المواد البوليتكية العائدة الى حقوقنا المقدسة السلطانية ونعني بها ما كان كعقد الشروط المتعاقبة باصول السياسة والحرب وتغيير الحدود ونحوها مما يكون اجراؤه راجعا الى حقوق السلطنة السنية على شرط ان تستمر الخطبة باسمنا السلطاني وتزين به السكة التي تضرب هناك علامة علانية للارتباط القديم الشرعي لايالة تونس لمقام الخلافة الجليل وان بقى السنجق على شكله ولونه ومهما وقع حرب لساطينا السنية مع اجني يرسل العسكر من تامك الايالة الشاهانية بقدر الاستطاعة طبق ما جرت به العادة القديمة ومع دوام تلك المواد ان يكون امر الولاية بطريق الوراثة مخصوصا بعائلتكم على ان تبقى سائر المعاملات الارتباطية مع دولتنا العلية جارية ومرعية كما كانت سابقا وان تجري الادارة الداخلية مطابقة للشرع الشريف وموافقة لقوانين العدل التي تقتضيها الوقت والحال الكافلة بتأمين السكان في النفس والعرض والمال وعند حلول القدر المحتوم في مقام الولاية وتقديم معروض الطلب من الوارث الاكبر من عائلتك لطرف سلطنا السنية يرسل له فرمان الشريف مع منشور الوزارة والمشيريه الهيايوني كما استمر العمل بذلك الى الآن فاعلانا لما ذكر اصدر هذا فرمان الشريف الجليل القدر من ديواننا الهيايوني وارسل موشما اعلالا بخطنا الميموني السلطاني فيخلاصة نيائنا الخيرية الشاهانية انما هي اصلاح حالة تلك الايالة المهمة وءال بيتك وتقوية ذلك حالا ومثالا واستكمال اسباب اسعاده والرفاهية والامن له لصنوف تبعتنا المستظلين بظل عدلنا السلطاني وماملونا القطعي السلطاني يبذل من جهتك الجهد في حصول ما ذكر ثم حيث كان تمام المحافظة على حقوق سلطتنا السنية المحققة بتونس من قديم الازمان وعلى امن الاهالي القاطنين بتلك الايالة المودعة بعهد صدقتك من حيث النفس والعرض والمال وسائر الحقوق العمومية شرائطا اساسية مقدرة لامتياز الوراثة فيقتضى ان تتأكد محافظتها على تطرق الحلل دائما سرمدا ويتباعد عن وقوع الحال والحركة على خلافها اذا علمت ذلك فلا بد ان تعرف انت ومن يقام في امر الولاية بالتوارث من اعضاء عائلتك قدر هاته النعمة وتشكرها فعلى ذلك تسعى لتحصيل رضائي السلطاني بالغيرة والاهتمام باجراء هذه الشروط المؤسسة .

الخيال في الادب العربي

٥

بقلم احمد المختار الوزير

الخيال الابتكاري

على اساس ما تقدم اريد ان اتعم حديثي عن الخيال في الادب ، واذكر انني انتهيت بالبحث الى ذكر مثال لهذا الخيال الابتكاري الذي يستمد قوته من الحياة ، اذ انه يستوعب الحياة ويشمل كل ما فيها من الحركات الاجتماعية ، وتقلب النظريات العلمية ، والفلسفة والاخلاقية ، هذا الخيال الفياض الذي يستنزل الهامه ويجمع عناصر قوته وخلوده من اسرار الخلائق وما قد تحجب في اعماق النفوس وغيب القلوب ، من احط جوعات الغرائز ، ونزوات الشهوة ، الى ذلكم الطموح اللهيف ، والامل النشيط ،

هذا الخيال المبدع في تصويره لحقائق الكون والطبيعة ، وللمثل العالية للخير والجمال ، هذا الخيال الطليق الذي تتراعى في التصور افاقه ، وتبعد في النظر طروح مسابحه حتى يقف من هذه الدنيا على سواحل السرمدية وعوالم الجمال الابدي ، هذا الخيال الذي يجعل من الشاعر العبقرى مثل الفيلسوف في شوقه الى اكتناه كل شيء من طريق الاحساس والشعور ثم في تعبيرة عن كل شيء تعبيرا صادقا جميلا مؤثرا نلح في فصول اقضيته ، ويطوالع ابنيته ، وفواصل تراكيبه وجمله ، عنوان نفسه الكبيرة التي كان يشعر بها ويحس ، وليس من شك ان هذا الخيال الفياض هو الذي ينتج ادب الحياة والخلود ، تطلعه فيفتح في نفسك المعلقة ابوابا جديدة للاحاسيس ، ويلهم قلبك وعقلك ما شئت من المعاني السامية والاغراض النبيلة ، ويملا عينيك بالنور ويضاعف فيك حب الحياة ونحن نسأل بعد هذا هل في ادبنا العربي القديم والحديث ما يصح ان يكون مثال لهذا النوع من الخيال ، وقل ان شئت هل بلغ الخيال العربي في شموله وفي بعد حدوده الى هذه الغاية ؟ هل عبر عن هذا الجمال المصور في كل مظاهر الطبيعة والحياة ؟ هل استوعب بنظراته العميقة المتأثرة هذا السحر الفاتن المتجلى في مناص الوجود ؟ ثم هل امتد الى ما قد تحجب في ضمير الانسانية من كوامن الاحاسيس ومختلف المنازع في الخير والشر ، والى هذا الشك الحائر الذي يجتذب العقائد والافكار ، فتضطرب حيناً وتسكن حيناً اخر ، وتلقي سؤال حيرتها على كل شيء تستملن سره وتستوضح غيبه ؟

ذلكم ما سأتمنى لتحصيله بعد حين ، ومن الخير ان نأخذ في درين هذين البيتين لشاعر عربي

تحدث فيهما عن زهرة من زهرات الربيع فوصفها بما استحضره من اوصافها ونعوتها . واراد ان قد افتن في تاليف هذه النعوت والافصاف الى حد بعيد يقول ابن خفاجة .

ومائسة زهى وقد خام الحيا تليها حلى حمرا واردية خضرا
يذوب لها ريق الغمام فضة ويمكن في اعطافها ذهباً نضرا

فالزهرة هنا ليست ذلكم النوع المادي المألوف في عالم النبات بخصائص اللون البديع والشكل الجميل . والفوح العطر . وانما هي كائن حي له ما للكائنات الحية من خصائص الحياة . كذلكم يراها شاعرنا . وكذلك تقع في تصور خياله وعبقريته . وليس بدعا ان يرى ابن خفاجة زهرة الربيع فيملا عينيه من مدرجاتها الحسية . ويأخذ في تأويل تلكم المدرجات والمعاني المستحضرة في مجازات خاطرة وخياله . فاذا الزهرة صبية فاتنة الجمال فيها خضر واستحياء . وفيها تيه وخيلاء . واذا هي تعطف مترنحة وفي عطفها معاني الدلال والفنج . وتستقيم وفي استقامتها معاني الزهو والاعجاب . وتعانها نسيمات المساء فتلين لهذا العبث وتطرب له اشد الطرب . وتبدي من زينتها وقتة جمالها مالم تكن ابدته من قبل .

الم تعجب الزهرة بحلاوة حسنها . وسحر جمالها ؟ الم تظهر شعورها في اختيار ما خلع عليها الحياء من الوان الزينة وتبرج الاصباغ ؟ ثم الم تكن ثملة منتشية من ريقة الندى وخمرة الغمام . اذ ترشفت من ذوب سلسلها العذب ما استحال فوق مرآشفها الغضة نورا يلح لموع الفضة والذهب ؟ هكذا تصور خيال ابن خفاجة زهرة الربيع وتحدث عنها . فاذا ما رآها القاريء من خلال هذا الوصف او من خلال نظرات الشاعر . جن من اعجابه بجمالها الحضري . واخذ يتروح بالاقبال عليها والنظر الى محاسنها . وكلما لاح له من حسنها شيء جديد عظم في نفسه الاعجاب والحب . وازداد شغفا . وكلف بما للزهرة من حسن وبهجة . وما ذلكم الا لان خيال الشاعر استطاع ان يريك في زهرة الربيع او في هذا الكائن الحي الذي تناوله بالوصف مالم تكن رايته من قبل ولا تنبت يقظت حسك لجمالها من قبل .

ومهما قلنا في ابداع ابن خفاجة وقدرته على الابتكار في عرض الجمال والتعبير عنه فاننا لم نذهب في ذلكم مذهب المبالغة والعلو . فابن خفاجة لم يحتفل بشيء غير الجمال . فكان كل شعرة تعبيراً عن الجمال ليس غير .

ولكن هل تعمق ابن خفاجة في فهم الجمال ؟ وهل كانت له جولة فكرية في استقصاء معانيه وهل تطلعت نفس الى ما هو اروع ؟

ثم هل كان يقف امام مشاهد الجمال في خشعه العابد وامعان المفكر . ام انه كان يقف وقفة من يحمل بين اضلاعه روح الطفولة العابت ولهو الشباب الساخر مفتونا بما يرى ثم لا يريد ان يفسد على نفسه لذة الاستماع ونشوة السرور ؟

هذه اسئلة القيها على شعر ابن خفاجة وفي الحق انه من الجائز ان تمارى في القاء هذه الاسئلة على شعراء اللطيفة في ادبنا العربي . اذ ان آثار انتاجهم التي احتفلت بها الدواوين وكتب الرواية . كلها جاءت على نمط واحد في الاحساس والشعور . وفي الفكر والخيال . فاذا تقصيتها بالتدق وتناولتها بالدرس . كنت كمن ينصت الامد الطويل ليسمع نغماً واحداً من وتر واحد . وتلكم هي علامة التقليد ومهمة الواضح في جملة اشعار اولئك الشعراء .

فكلهم يتلهون بالازهار . ويقبلون عليها مفتونين باللون والشكل وطيب النثر وفوح العبير وكان نعوت الازهار اقترنت في اذهانهم بنعوت المرأة . ومن ثم استقام لهم التشبيه . وحسنت الاستعارة

واستقرت الكنايات والمجازيات. ولست نذكر على شعرائنا انهم قرنوا خصائص النساء بخصائص الازهار او العكس. اذ ربما كانوا موفقين في ذلك. وربما كان الربط في تداعي المعاني بين الازهار والنساء. قويا مستحكما وثيقا متكاملا ولكن الذي ننكره ونبالغ في انكاره انما هو ضعف الابتكار في الاستحضار والعرض. وقصور الحيال في التنسيق والانسجام. وتخاذل الفكر في الاستقصاء والتعمق. فكل شعرائنا يجدون اللذة في الاستمتاع بجمال الزهور. ويشغلهم هذا الجمال الظاهر. او هذا الاستمتاع على الصحيح فتقف شاعريتهم حيال ما يرون راضية مطمئنة. تصف مرة وتشبه مرة وتجمع بين الوصف والتشبيه مرات اخرى. وقد نجد في تعبير احدهم توفيقا واقتدارا. وحسنا وافنانا. ولكنه مهما وفقى واجاد فانه لا يكاد يقضي حاجة النفس المترقة المنتظرة. ولا يكاد يصور حالاتها المتطلعة الطامحة.

واحسب ان وقتهم حيال ما يرون من الجمال الظاهر. وتلهيهم بما يجدون من متعة السرور ونشوات الفرح والحبور. جعلت خيالهم عاجزا محدود المنازع لا يتطلع الى ما يتطلع اليه خيال غيرهم ولا يحاول ما قد يحاوله خيال غيرهم من استجلاء الغامض واستعلان المكتوم. ولتقرير هذه المعاني في الادهان انقل هذا الخطاب الذي تحدث به « تيسون » الى زهرة الربيع ايضا انه يقول :

(ايها الزهرة النابتة في ثغر الجدار لله حسنك وجمالك. والله اليد التي زرعتك وتعهدتك باسباب النماء والزكاة اعطاك باطراف انامي فقتلعت اقتلاعا. وتصيرين في قبضة يدي. وحذا لو تم لي بمثل هذه السهولة ان اعرف ما تكونين. وما تكون اصولك هذه النخيفة. واوراقك هذه الجميلة. اذ لو عرفت. ما انت وما اصلك وفصلك ؟ اذن لعرفت ما هو الانسان. وما هو الله سبحانه)

افليست هذه التحية الفاضلة تعبر في سهولة عن المعاني المكتنزة في خاطر هذا الشاعر الصوفي الناسك. واحسب انها تعبر عن خطر كل نفس ضجت بها سائمة الجبل. وحزبها البأس بالسوار من الحيرة. اذ ترى الظلام يحول بينها وبين ما تنزع الى ادراكه ومعرفته. وتقرأ هذه التحية واجمل ما يتلذذ من بلاغتها الخالدة انك ترى في ظلال كلماتها. ما يتخلج في النفس من خداع الظنون. ثم هذه الجودة في الثبت ثم هذه الكثرة الملحة في الطلب. ثم هذه القوة المتمردة. التي لا تهدأ ولا تسكن وان قيدها خذلان الحيرة والجهل. فهي بالرغم من ذلكم تريد ان تسف نسفا حجب الجلالة واسرار الغيوب وتقرأ هذه التحية مرة ومرة وفي كل مرة تعطيك من وفرة معانيها ما لم تكن ادركته من قبل وما اشك ان هذه التحية هي اصدق مثال للادب الخالد. يقول الكاتب الفرنسي الشهير « مانت يوف » (الاديب هو الكاتب الذي يغني العقل الانساني ويزيد ثروته ويساعده على ان يخطو الى الامام. وهو الذي يكشف حقيقة ادبية ويزيل ما حولها من الشك والغموض. وهو الذي ينفذ الى اعماق قلب الانسان فيستخرج منه عاطفة ادبية في حين يظن الناس انه لم يعد هناك شيء. يكشف في هذه المنطقة وهو الذي يبرز الى الوجود افكاره وملاحظاته او ما وصل اليه من الحقائق في صورة دقيقة صحيحة جميلة. معقولة. وهو الذي يخاطب الناس بأسلوب هو أسلوبه الخاص. ولكنه أسلوب جميع القراء في القديم والحديث معا. صالح لكل زمان ومكان) ولن يكون هذا الحد مطردا في اقتلاء شعرائنا وقد انتاحهم على مقتضى اوضاع فصوله. اذ قلنا نجد بينهم من اتسع خياله وسما ابتكاره ثم سما حتى يبلغ هذه الغاية القصوى .

وليس موضوعي ان ازيد في توجيه الخطاب الى شعرائنا وان اتمادى في توضيح هذه الظواهر العائقة. التي جعلت شعراء العرب على كثرة جهم للقول والانشاد في امر ممقوت يهيمون في ظلال الحسية. ويتروحون بالاقبال على الاستمتاع بالذائد الغريبة الدانية. ولا تنزع شاعريتهم الى ما فوق هذا ... (يتبع) احمد المختار الوزير

فهرس عام للمجلد الثالث من المجلد الزيتونية مرتب على حروف الهجاء

الموضوع	صاحبه	جزء
« أ »		
إيطاليا في طرابلس برقة	السيد احمد رازم الطرابلسي	٨٠
ابتلاء الرسول سنة الله في المرسلين	صاحب المجلة	١٠٥
الاحتفال بعيد الهجرة	صاحب المجلة	٩١
آيات الآتية عند الهجرة	الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر	١٣٢
الامة الاسلامية تشدد الاصلاح	صاحب المجلة	٢٥٨
الاحتفال بانتهاء العام الدراسي بجامع الزيتونة	٣٠٦
الاقواق والنظار او الاحباس والمقدمون	المدرس الشيخ الناصر الصدام	٣٧٧
استقبال شهر رمضان (خطبة منبرية)	الشيخ الحيلاني حمزة	٣٩٧
استقبال شهر رمضان (قصيدة)	الاديب السيد بلحسن بن شعبان	٤٠١
« ب »		
بلاؤة وحله صلى الله عليه وسلم	١٠٤
بعثة خير الدين باشا الى الاستانة	الاستاذ محمد صالح مزالي	١٨٤-٢٤٨
		٢٨٧-٣٢٨
		٣٩٢-٤٣٨
بحوث تونسية	موظف فرنسي كبير	٢٠
بحر الانساب (كتاب)	المجلة	٣٦٢
« ت »		
تفسير آيات من سورة الفاتحة	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	٢١٣-١٦٠-٤٩-٧ ٣٦٤-٣١٠-٣٦١
تفسير آيات من سورة البقرة	فضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط	٢٠
التشريع الاسلامي	المفتي المالكي	٣٧
تزكية النفس	الشيخ الحيلاني حمزة	٤٣
تهنئة بخطة الافتاء (قصيدة)	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار	٢٢٢-١٧٧-٦٢ ٣١٧-٣٧٢
التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين	سعادة العلامة الشيخ محمد الحجوي	٨٣
تهنئة صاحب التاج الحسيني بالعيد (قصيدة)	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	
التاريخ بالحجرة الشريفة	سعادة امير الامراء سيدي محمد بن الحوجة	١٢٣

صفحة	صاحبه	الموضوع
١٤٢	المجلة	التاريخ المدرسي (كتاب)
١٤٣	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	تهلل بالبشري (قصيدة)
٢٤٠	المدرس الشيخ علي النيفر	تفصيل وبيان حول اجوبة عن اسئلة شرعية
٢٥١	الشيخ محمد المقداد الورتاني	تهمنة الامير الحليل بعيد المولد الشريف (قصيدة)
٣٤٠	لايب كبير	تأثير الادب في رقي الامم
٤٠٢	صاحب المحلة	التكاليف الشرعية
٤٠٨	الاستاذ الشيخ سيدي محمد البشير النيفر	ترجمة فقيه العلم الشيخ سيدي محمد بن يوسف
		« ج »
٧٢	سعادة امير اللواء سيدي حسن عبد الوهاب	جامع الزيتونة يؤدي رسالة الدين الاسلامي
٢٩٣	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	جواب عن بحث حول مقال لاعزاء بعد ثلاث
		« ح »
١١	المنعم الشيخ الشاذلي ابن القاضي	(حديث اذا رأيتم الهلال فصوموا الخ)
٥٣٥	صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن يوسف	(حديث) انكم تقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً (اليوم اكملت لكم دينكم)
١٦٤	شيخ الام الحنفي	باب ما ينهى عن التحاسد والتدابير
٢١٨	المنعم العلامة الشيخ الشاذلي ابن القاضي	(حديث) اعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي
٢٢٤	صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن يوسف	(حديث) اتق الله حيثما كنت
٢٦٤	شيخ الاسلام الحنفي	(حديث) باب الاعتصام بالكتاب والسنة
٣١٣	المنعم المبرور الشيخ الطاهر بن عاشور	(حديث) حق المسلم على المسلم ست
٣٦٨	المنعم المبرور الشيخ صالح النيفر	جامع القضاء وكرهه
٢٣	صاحب المجلة	حكم الصوم والحج
٣٥	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	حكم خلقية
٤١٤	العلامة الحليل الشيخ محمد الحجوي	حول ولاية الشيخ المختار بن محمود الفتوى
٢٠٤	مدرس كبير	حول حياة فقيه الاسلام
٢٩٣	الشيخ ابن باشير الرايجي	حول البحوث التونسية
		حول مقال لاعزاء بعد ثلاث

صفحة	صاحبه	الموضوع
		« خ »
٢٩٥ - ١٨٩ - ٧٦ ٤٢٢ - ٢٤٦	الشيخ محمد المختار بن محمود	خطاب بين يدي الحضرة العلية
١٩٩	الاديب السيد احمد الوزير	الخيال في الادب العربي
٢٧٧	الشيخ محمد طراد	الخطوط الكوفية وأدوارها بالقيروان
	العلامة الشيخ محمد الحجوي	خطر اللادينية على الاسلام
	صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سيدي	خطاب فضيلة شيخ الجامع بمناسبة
٣٠٦	صالح المالقي	الاحتفال بانتهاء العام الدراسي بجامع
		الزيتونة
٢١٠	صاحب المجلة	خطاب في حفلة الشبان المسلمين بمولد
٤٠٥	صاحب المجلة	الرسول الاعظم صلى الله عليه وسلم
	صاحب الفضيلة العلامة الشيخ سيدي	ختام المجلد الثالث
٤٠٦	محمد العزيز جعيط	خطاب فضيلة شيخ الجامع الاعظم
		« د »
٣٠١	الاديب الشيخ محمد الورغي	ديوان الورغي
٣٦٣	»	»
		« ذ »
	صاحب الفضيلة الشيخ محمد المختار بن	ذكرى الهجرة
٨٨	محمد	
١٣٠	المدرس الشيخ علي النيفر	ذكرى الهجرة « قصيدة »
		« ر »
٣١٩	الشيخ الحيلاني حمزة	رفع اللبس عن خطبة تزكية النفس
٤٢٢	العالم المدرس الشيخ علي النيفر	رثاء شيخ الشيوخ
٤٢٤	العالم المدرس الشيخ الطاهر القصار	رثاء خاتمة المحققين
		« ش »
٣٣	الشيخ محمد طراد	الشرف الحسيني والحسيني
٤٠٠	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	شهر الصيام « قصيدة »
	سعادة امير السواء الاستاذ حسن حسني	الشرف الحسيني والحسيني بافرقية
٤٢٨	عبد الوهاب	
		« ص »
٢٩٨ - ٢٩٨	نشرة المجلة	صفحة من الادب التونسي في القديم
	الى	(قصيدتان)

الموضوع	صاحبه	صفحة
« ع »		
عمر بن الخطاب	صعصعة بن صوحان	٣٩
عمارة البيت الحرام	سعادة امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة	١٣٦
	الشيخ الطاهر القصار	٣٩٦
« ف »		
فاتحة المجاهد الثالث	الشيخ محمد المختار بن محمود	
فتاوى	الشيخ علي النيفر المدرس بجامع الزيتونة	٣٤
فجع الوري (قصيدة)	الشيخ العربي الكبادي	٤٢١
الفهرس العام للمجلد الثالث		٤٣٦
« ق »		
القضاء الشرعي	سعادة امير الامراء سيدي محمد بن الخوجة	١٨٠ - ٢٤٢ - ٢٧٩
القضاة الشرعيون في القديم	الاستاذ الشيخ محمد البشير النيفر	٣٨١ - ٣٥٣
القضايا التي القيت بمحطة الاداعة		
الاسلكية بتونس بمناسبة الاحتفال		
بختم السنة الدراسية بجامع الزيتونة		
قصيدة (١)	شيخ الادباء السيد العربي الكبادي	٣٥٠
قصيدة (٢)	الاديب الشيخ الطاهر القصار	٣٥٢
قصيدة (٣)	الاديب الشيخ بلحسن بن شعبان	٣٥٣
« ل »		
لا عزاء بعد ثلاث	صاحب الفضيلة الشيخ الطاهر ابن عاشور	٥٩
	شيخ الاسلام المالكي	
« م »		
مثال العمود الذي على قبر الحسين	المجلة	٣٢
المعروف	٣٤
مؤتمر جمعية الحرمين الشريفين	المجلة	٨٥
المعارضات الاسلامية (كتاب)	المجلة	٩٣
المقصد العظيم من الهجرة	صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن	
	عاشور شيخ الاسلام المالكي	٩٤
	صاحب المجلة	١٤٥
المدينة دار الهجرة		
« معارضات قصيدة عامر ابن هشام »		
معارضة الشيخ الورغي	الاديب الكبير الشيخ الورغي	١٩٤
معارضة الشيخ احمد بن ضياف	الشيخ احمد بن ضياف	١٩٥
معارضة الشيخ الباجي المسعودي	الشيخ الباجي المسعودي	١٩٧

صفحة	صاحبه	الموضوع
٢٧٦-٢٣٦	العلامة الكبير الشيخ عبد الحي الكتاني	الملاحى الخيرية فى الاسلام
٢٣٤	العالم المدرس الشيخ محمد الطاهر النيفر	محمد صلى الله عليه وسلم
٣٥٧	صاحب المجلة	مرآة التشرىع الاسلامى بين مكة والمدينة
٣٨٤	سعادة امير الامراء سيدى محمد بن الخوجه	مارستان العزافين والمستشفى الصادقى
٤١٧	سعادة امير الامراء سيدى محمد بن الخوجه	مسند الرئاسة المذهبية الحنفية
٤٢٦	صاحب اجلة ومديرها	موت العالم ثلة
		« ن »
٤٥	المجلة	النهضة العربية فى العصر الحاضر
١٥٨	المجلة	النبوغ التونسى
٤١٢	العلامة الاستاذ الشيخ الصادق المحرزى	نبذة من حياة شيخ الاسلام
		« هـ »
٩٨	العالم المدرس الشيخ ابراهيم النيفر	هجرة الصحابة الى الحبشة
١١٤	العالم المدرس الشيخ الناصر الصدام	هلال له يمن (قصيدة) فى عيد الهجرة
١١٨	العلامة الكبير الشيخ محمد الحجوى	الهجرة النبوية مبدأ التاريخ الاسلامى
١٥٦	الشيخ الحيلاني حمزة	الهجرة (خطبة منبرية)
		« و »
	سعادة امير الامراء سيدى محمد بن الخوجه	الوزراء التونسيون قبل الحماية وبعدها
٦٧	الامام محمد بن اسماعيل البخارى	وصف الهجرة النبوية
١١٠	المجلة	ولاية عهد المملكة التونسية
١٥٤	صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن يوسف	الوقف فى الاسلام
١٧٣	شيخ الاسلام الحنفى	

انتهى المجلد الثالث

المجلة الزيتونية

ان المجلة الزيتونية بهذا الجزء تختم المجلد الثالث فخورة بما وقفت اليه من الخدمات العلمية والثقافية شاكرة سعي السادة الكتاب والمحريين الذين شاركوها في هذا الميدان ومقدرة ولاء السادة الفضلاء قرائها الكرام وتشجيعهم المتواصل

وهي تذكر السادة المشتركين الذين لم يسددوا ما تخذل بذمتهم من معلوم الاشتراكات عن سنة او سنوات ان يتفضلوا بتقديم ما ترتب عليهم نحو هذا المشروع الذي لا يقوم الا على دعائم اهمها المال

وقد راينا بعض تقاعس او اهمال من بعض السادة المشتركين وتعديات متكررة من بعض الباعة ما تسبب في تعطيل سير المجلة عن صدورها في اوقاتها الشهرية بانتظام ولكن الحالة الآن ليست كما سبق ونفقات الطبع قد تضاعفت مرارا وللمجلة قبل جمهور عظيم من المشتركين والباعة اموال طائلة وان هم احجموا عن دفع ما عليهم يكونون قد ضربوا المشروع في الصميم والعهددة تكون عليهم فيسجلها لهم التاريخ والله يشهد اننا قمنا بهذا الواجب وبذلنا في سبيله مجهودات مادية وادبية

وبعز علينا ان يقبر وهو في شبابه لاشيء سوى عدم الاهتمام بالحقوق وعدم مراعاة الواجب

وها نحن قد القينا المسؤولية عن سواعدنا فلننظر ما سيصنعه السادة الغيورون ولنا كامل الثقة

في اخلاصهم واجابة هذا النداء
(الادارة)

خلاصة التاريخ التونسي

بين الآونة والآخرى يظهر اهتمام اساتذة التعليم بتونس بالناشئة المتعلبة بما يقدمونه لهم من نفائس المؤلفات العلمية المناسبة لرتبتهم الثقافية على الاساليب الحديثة الكافلة بحصول النفع العميم ومن بين اولئك العاملين لحير الشباب المتعلم الشيخ عمر الركباني المعلم بمدرسة خير الدين فالشيخ قد وقف حياته على العلم فهو ما برح يخرج للناشئة كتبه الدراسية الصالحة وقد وفق خير توفيق وها هو يعيد طبع كتابه (خلاصة تاريخ تونس) بعد ان ادخل عليه تقيحات مفيدة والاقبال على كتبه يزداد يوما فيوما ونحن نهي الشيخ الركباني بهذا التوفيق وتتمنى له النجاح المطرد